مجموع مصنفات الإمام ابن قيم الجوزية (١)

الداء والدواء

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

تأليف

الإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(المتوفى سنة ٧٥١ هـ)

تحقيق وتعليق

د. أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي

تقريظ

أ. د/ محمد بن عبد الوهاب العقيل

دار الهجرة للنشر والتوزيع

الدَّاءُ والدَّوَاءُ

الجَوابُ الكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



الإدارة: ابن عاشور - متفرع من شارع الجرابة 00218913775771

فرع طرابلس: 00218925291020 فرع زليتين: 00218925291030

البريد الالكتروني: Emam_daralhegra@yahoo. com

مجموع مصنفات الإمام ابن قيم الجوزية (١)



الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

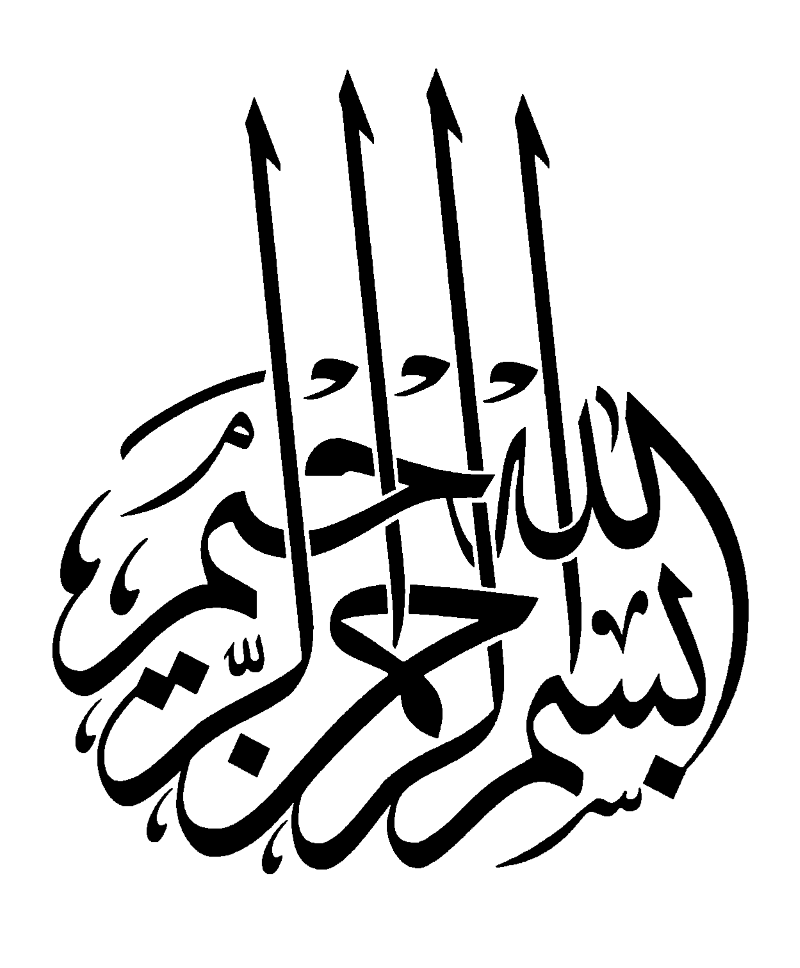
تأليف

الإمام العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(المتوفى سنة ٧٥١هـ)

تحقيق وتعليق
د. أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي

تقريظ
أ.د/ محمد بن عبد الوهاب العقيل




بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اطلعت على عمل الشيخ أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي على كتاب «الداء والدواء» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد وجدته عملًا دقيقًا، متقنًا، خدم فيه الكتاب خدمة لائقة وقدمه لطبعة نفيسة لقرائه، فجزاه الله خيرًا.

وقد ذكر الشيخ أسامة وَفَّقَهُ اللَّهُ أن هذا العمل باكورة مشروع مبارك، لخدمة كتب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، بالتعاون مع مكتبة إمام دار الهجرة بطرابلس، فجزى الله الجميع خيرًا، وأعانهم على إكمال هذا المشروع الضخم، الذي اجتمع فيه المنهج الصحيح، والعقيدة الصحيحة، والصناعة الحديثية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

كتبه

أ.د/ محمد بن عبد الوهاب العقيل

الأستاذ بقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية

بالمدينة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله من أعلام الهدى، وممن له قدم صدق في بيان العقيدة السلفية، ونشر العلم والخير والهدى للناس، ومن كبار المحققين في العلوم الشرعية، وهذا ليس مستغربًا منه فهو متخرج على يد شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية الحراني الإمام الرباني.

ولقد ساهم الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريب الخير للناس، وكتب في مسائل هامة يحتاجها العامة والخاصة، وتنوعت تأليفاته للكتب، وكتبها بأسلوب جميل رائق، لا يمل منه القارئ، ولا يستصعبه المستفيد.

وكان العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحرًا في علوم الكتاب والسنة، متعمقًا في علم الحديث، بارعًا في علوم اللغة، لا يشق له غبار في علم التفسير، أما في الآداب والأخلاق والسلوكيات فقد حاز في تأليفها قصب السبق، وله فيها القدح المعَلَّى، وكتب فيها الكتابات العجيبة الفريدة.

وله في تقرير العقيدة السلفية، ونصرتها، والرد على مخالفيها الشيء الكثير العجيب، الذي يبهر بها العقول، ويشهد له فيها بالرسوخ في العلم، وقوة الحجة والبيان، والمعرفة التامة بمقالات الفرق والمذاهب، وتفنيد الشبهات، ورفع منار العلم النقي الصافي..

ومن تأمل مؤلفاته التي سأسرد جملة منها سيظهر له هذا جليًا.

سبب العمل على كتب الإمام ابن القيم، وميزة هذا العمل:

لقد رغب إلي الأخ السلفي الفاضل حسين محمد سلام مدير مكتبة إمام دار الهجرة بطرابلس- ليبيا أن أقوم بالإشراف على مشروع تُخْدَمُ فيه كتب العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ خدمة لائقة به:

١- يتحرى في تحقيقها الدقة، اعتمادًا على نسخ خطية.

٢- تخريج الأحاديث على منهج أهل الحديث، مع الاهتمام بأحكام العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- التعليق بما يكون مفيدًا، بعزو النقول، والأبيات الشعرية، وتفسير الغريب، والتعليق على بعض المسائل الهامة (١).

٤- أن تكون التعليقات مختصرة لا تزيد حجم الكتاب من غير حاجة ماسَّةٍ، فيكون تحقيقًا نقيًا صافيًا، منيرًا لطريق الشباب المسلم الذي يحرص على سلوك منهج السلف الصالح، والذي يحذر أشد الحذر من دسائس أهل الأهواء والبدع في تحقيقاتهم، وتعليقاتهم.

ولقد استجبت لطلبه، وبادرت إلى عمل خطة للعمل على كتب العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع النظر فيمن يساعدني على ذلك من طلبةِ عِلْمٍ سلفيين، مع المتابعة التامة مني، والمراجعة، والتدقيق.

فاخترت كتبًا من كتب العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتكون المجموعة الأولى لتحقيقها، ولتكون باكورة هذا العمل الهامّ.

فكانت كالآتي:

- كتاب «الداء والدواء».
- كتاب «عدة الصابرين».
- كتاب «الفوائد».
- كتاب «طريق الهجرتين».
- كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح».
- كتاب «زاد المعاد».

---

(١) مثل التعليق على مسألة تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر، وبيان أن من خالف التقسيم هم الخوارج، والأشاعرة والمعتزلة، والرد على بعض شبهاتهم.

وقد ضمنت مقدمة تحقيق زاد المعاد ترجمة مطولة للعلامة ابن القيم، لذلك سأكتفي في مقدمة تحقيق كل كتابٍ بذكر ترجمة مختصرة له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي هذه المقدمة الخاصة بكتاب «الداء والدواء» أبين ثبوت نسبة الكتاب للعلامة ابن القيم، وتحرير عنوانه، وبيان موضوعه، والنسخ المعتمدة في التحقيق، ومنهج التحقيق.

ثم سرد الكتاب مع التعليق عليه.

والله أسأل أن يجعل عملي خالصًا لوجهه، وأن يوفقني ويسددني.

وأشكر الأخ حسين محمد سلام وإخوانه في مكتبة دار إمام الهجرة بطرابلس ليبيا على حرصهم على خدمة السلفيين بالعناية بالكتب السلفية النقية، التي يبينون فيها منهج السلف النقي، بعيدًا عن العقائد الباطلة، والأفكار المنحرفة.

وأرجو من كل أخ ناصح إذا وقف على شيء يحتاج إلى إصلاح أو تعديل أو تعليق أن يكاتبني أو يكاتب مكتبة إمام دار الهجرة لأجل التصحيح، والإصلاح، فالمقصود هو نشر الحق، وبيانه، والعمل به، والدعوة إليه، مع الصبر على الأذى فيه.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

كتبه

د. أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي

المدينة النبوية ٣/٢/ ١٤٣٥هـ



ترجمة الإمام ابن القيم (١)

اسمه ونسبه:

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْر بنِ أيوبَ بْن سَعْدِ بن حريز الزرعي، الدمشقي، الحنبلي.

كنيته ولقبه:

كنية الإمام ابن القيم:أَبُو عَبْد الله، ويقلب بـ: شمس الدين.

واشتهر بـ: ابن قيم الجوزية، أو ابن القيم.

مولده:

ولد سنة: ٦٩١هـ.

طلبه للعلم، ونبوغه المبكر فيه:

سَمِعَ من الشهاب النابلسي العابر، والقاضي تقي الدين سُلَيْمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبي بَكْر بْن عَبْد الدايم، وجماعة.

وتفقه فِي المذهب، وبرع وأفتى، ولازم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، وأخذ عَنْهُ. وتفنن فِي علوم الإسلام. وَكَانَ عارفًا بالتفسير لا يجارى فِيهِ، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى. والحَدِيث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق فِي ذَلِكَ، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وَلَهُ فِيهَا اليد الطولى، وتعلم الْكَلام والنحو وغير ذَلِكَ.

وكان عالمًا بعلم السلوك، وعارفًا بكلام المتصوفة، وإشاراتهم، ودقائقهم.

ولَهُ فِي كُل فن من هذه الفنون اليد الطولى.

---

(١) الترجمة مستفادة من كتاب «ذيل طبقات الحنابلة» للحافظ ابن رجب (٥/ ١٧٠-١٧٩) تحقيق: العثيمين، مع تعديلات يسيرة.

ثناء العلماء عليه:

قَـالَ الحافـظ الذهبـي: «عني بالحَدِيـث ومتونه، وَبَعْـض رجاله. وَكَانَ يشـتغل فِي الفقه، ويجيد تقريره وتدريسـه، وَفِي الأصلين. وَقَدْ حبس مدة، لإِنكاره شـد الرحال إِلَى قبر الْخَيْل، وتصدى للأشغال، وإقراء العلم ونشره».

وَقَالَ الْقَاضِي برهان الدين الزرعي عَنْهُ: «مَا تَحْتَ أديم السماء أوسع علما منه».

وقـال الحافظ ابـن رجب: «وَكَانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا عبادة وتهجـد، وطول صلاة إِلَى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشـغف بالمحبة، والإِنابة والاسـتغفار، والافتقار إِلَى الله، والانكسـار لَهُ، والإطراح بَيْنَ يديه عَلَى عتبة عبوديته، لم أشـاهد مثله فِي ذَلِكَ، ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعاني الْقُرْآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هُوَ المعصوم، ولكن لَمْ أرَ فِي معناه مثله. وقد امتحن وأوفي مرات، وحبس مَعَ الشيخ تقي الدين فِي المرة الأخيرة بالقلعة، منفردًا عَنْهُ، وَلَمْ يفرج عَنْهُ إلا بَعْد موت الشيخ.

وَكَانَ فِي مدة حبسـه مشـتغلا بتلاوة القـرآن بالتدبر والتفكر، ففتـح عَلَيْهِ من ذَلِكَ خـير كثـير، وحصل لَهُ جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسـلط بسـبب ذَلِكَ عَلَى الْكَلام فِي علوم أهل المعارف، والدخول فِي غوامضهـم، وتصانيفه ممتلئة بِذَلِكَ، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة. وَكَانَ أهل مَكَّة يذكرون عَنْهُ من شـدة العبادة، وكثرة الطـواف أمـرًا يتعجب منه. ولازمت مجالسـه قبـل موته أزيد من سـنة، وسـمعت عَلَيْهِ «قصيدته النونية الطويلة » فِي السنة، وأشياء من تصانيفه، وغيرها.

وأخـذ عَنْـهُ العلم خلـق كثير من حيـاة شـيخه وإلى أن مَـات، وانتفعوا بِـهِ، وَكَانَ الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون لَهُ، كابن عَبْد الهادي وغيره».

وظائفه:

درس بالصدرية. وأمَّ بالجوزية مدة طويلة.

مصنفاته:

كتب بخطه ما لا يوصف كثرة.

وصنف تصانيف كثيرة جدًا فِي أنواع العلم. وَكَانَ شديد المحبة للعلم، وكتابته ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب مَا لَمْ يحصل لغيره.

فمن تصانيفه:

١- «حاشية على تهذيب سنن أَبِي دَاوُد» وإيضاح مشكلاته، والكلام عَلَى مَا فِيهِ من الأحاديث المعلولة.

٢- «طريق الهجرتين وباب السعادتين».

٣- «مدارج السالكين بَيْنَ منازل إياكَ نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتَعِين». وَهُوَ شرح لكتاب «منازل السائرين» لشيخ الإِسلام الأَنْصَارِي.

٤- «الوابل الصيب من الكلم الطيب».

٥- «شرح أسماء الكتاب الْعَزِيز».

٦- «زاد المعاد فِي هدى خير الْعِبَاد» وَهُوَ كتاب عظيم جدًا.

٧- «جلاء الأفهام فِي ذكر الصلاة والسلام عَلَى خير الأنام» وبيان أحاديثها وعللها.

٨- «بيان الدليل عَلَى استغناء المسابقة عَنِ التحليل».

٩- «نقد المنقول والمحك المميز بَيْنَ المردود والمقبول».

١٠- «إعلام الموقعين عَن رب العالمين».

١١- «بدائع الفوائد».

١٢- «الفوائد».

١٣- «الشافية الكافية فِي الانتصار للفرقة الناجية» وَهِيَ «القصيدة النونية فِي السنة» .

١٤- «الصواعق المنزلة عَلَى الجهمية والمعطلة».

١٥- «حادي الأرواح إِلَى بلاد الأفراح»، وَهُوَ كتاب «صفة الْجَنَّة».

١٦- «روضة المحبين».

١٧- «الداء والدواء». وهو كتابنا هذا.

١٨- «تحفة الودود فِي أحكام المولود».

١٩- «مفتاح دار السعادة».

٢٠- «اجتماع الجيوش الإسلامية عَلَى غزو الفرقة الجهمية».

٢١- «إغاثة اللهفان من مصائد الشَّيْطَان».

٢٢- «الطرق الحكمية».

٢٣- «رفع اليدين فِي الصلاة».

٢٤- «نكاح المحرم».

٢٥- «تفضيل مَكَّة عَلَى الْـمَدِينَة».

٢٦- «فضل الْعُلَمَاء».

٢٧- «عدة الصابرين».

٢٨- «الكبائر».

٢٩- «حكم تارك الصلاة».

٣٠- «نور المؤمن وحياته».

٣١- «حكم إغمام هلال رمضان».

٣٢- «التحرير فيما يحل، ويحرم من لباس الحرير».

٣٣- «هداية الحيارى إلى أجوبة اليهود والنصارى».

٣٤- «بطلان الكيمياء من أربعين وجها».

٣٥- «الفرق بَيْنَ الخلة والمحبة، ومناظرة الخليل لقومه».

٣٦- «الفتح القدسي».

٣٧- «التحفة المكية».

٣٨- «أمثال الْقُرْآن».

٣٩- «شرح الأسماء الحسنى».

٤٠- «أيمان الْقُرْآن».

٤١- «المسائل الطرابلسية».

٤٢- «أحكام أهل الذمة».

٤٣- «الطاعون».

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس ثالث عشرين رجب سنة: ٧٥١هـ.

وصلَّى عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر، ثُمَّ بجامع جراح. وَدُفِنَ بمقبرة الباب الصغير، وشيعه خلق كثير.

وَكَانَ قَدْ رأى قبل موته بمدة رؤية مبشرة، حيث رأى الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي النوم، وسأله عَن منزلته؟ فأشار إِلَى علوها فَوْقَ بَعْض الأكابر. ثُمَّ قَالَ لَهُ: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أَنْتَ الآن فِي طبقة ابْن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فرحمه الله، وغفر له، وأسكنه الفردوس.





نسبة الكتاب للإمام ابن القيم

من مشهور كتب العلامة ابن القيم كتاب «الداء والدواء»، وهو في أصله جواب عن سؤال ورد للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعلق بالعشق وأنواعه، وأحكامه.

ومن أدلة صحة نسبة الكتاب للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أولًا- أن المخطوطات التي رجعت إليها في تحقيق الكتاب نصت في أولها على أن السؤال ورد للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأنه أجاب عنه، وسيأتي ذكر نماذج عن المخطوطات، وهذا فيها جلي واضح.

ثانيًا- نسبه له جماعة من العلماء ممن ترجموا له، منهم تلميذه الحافظ ابن رجب في الذيل على «طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٥)، والداودي في «طبقات المفسرين» (٢/ ٩٦)، وابن العماد في «شذرات الذهب» (٦/ ١٧٠)، وغيرهم كما سيأتي ذكره. والشوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ١٤٤)، وصديق حسن خان في «أبجد العلوم» (٣/ ١٤٢)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٧٢٨)، وكالبغدادي في «هدية العارفين» (٢/ ١٥٨) وغيرهم وكلهم ذكروه باسم «الداء والدواء».

ثالثًا- عزا العلامة ابن القيم في كتاب «الداء والدواء» كلامًا له في موضعين إلى كتاب «أيمان القرآن» وهو موجود في كتابه «التبيان في أقسم القرآن».

رابعًا- نقل عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية نقلًا مباشرًا بلفظ: «سمعت»، مما يؤكد أنه من تلامذته، فهو قرينة مع ما سبق ذكره، تثبت صحة الكتاب إلى ابن القيم.

خامسًا- حكى في كتابه قصة استشفائه بقراءة الفاتحة لما مرض بمكة، وقد ذكر هذه القصة في كتابه «زاد المعاد» (٤/ ١٧٨) وغيره.

سادسًا- تقريراته، وأبحاثه، وطريقته في سياق الحجج والأدلة يؤكد أنه لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا سيما مع ذكره مسائل قررها بنحو هذا التقرير في كتبه الأخرى، كقوله: «وَقَدْ رَتَّبَ الله سُبْحَانَهُ حُصُولَ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحُصُولَ الشُّرُورِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْأَعْمَالِ، تَرْتِيب الْجَزَاءِ عَلَى الشَّرْطِ، وَالْمَعْلُولِ عَلَى الْعِلَّةِ، وَالْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ. وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ مَوْضِعٍ»، وقال في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٢): «كيف والقرآن وسنة رسول الله مملوآن من تعليل الأحكام بالحكم والمصالح وتعليل الخلق بهما والتنبيه على وجوه الحكم التي لأجلها شرع تلك الإحكام ولأجلها خلق تلك الأعيان ولو كان هذا في القرآن والسنة في نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة».

مع ما سبق ذكره من أدلة نسبة الكتاب له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



عنوان الكتاب

لم يسم العلامة ابن القيم كتابه، وإنما اشتهر اسمه في زمانه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـ «الداء والدواء»، وهـذا الاسـم هو الذي ذكره تلميـذه الحافظ ابن رجب في الذيل عـلى «طبقات الحنابلة» (٥/ ١٧٥)، والـداودي في «طبقـات المفسريـن» (٢/ ٩٦)، وابـن العـماد في «شـذرات الذهب» (٦/ ١٧٠)، والشـوكاني في «البدر الطالع» (٢/ ١٤٤)، وصديق حسن خان في «أبجد العلوم» (٣/ ١٤٢)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٧٢٨)، والبغدادي في «هدية العارفين» (٢/ ١٥٨).

وهو الاسم المثبت على معظم المخطوطات للكتاب.

وورد في صفحة الغلاف للمخطوطة التي من جامعة ييل، والتي رمزت لها بـ (أ) باسم: «كتاب الجواب الكافي في سؤال الدواء الشافي».

وورد اسـم «الجـواب الـكافي لمن سـأل عن الدواء الشـافي» عند حاجـي خليفة في «كشـف الظنـون» (١/ ٦٠٨)، وإسـماعيل البغـدادي في «هدية العارفـين» (٢/ ١٥٨) ولكنهما عداه كتابًا غير كتاب «الداء والدواء»!

ولا شك أنهما كتاب واحد.

فالاسم المعتمد هو: «الداء والدواء». والله أعلم.

❁ ❁ ❁

موضوع الكتاب

كتـاب «الداء والدواء» يظهـر من عنوانه أنه يعرض داءً، مع بيـان دوائِهِ، وقد ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ السـؤال الوارد إليه، وأنه وارد من مبتلى ببلية، يريد الإعانة على دفعها، وكشفها، ولم يذكر فيه نوع هذه البلية، ولا سماها.

وهذا يؤكد أن العلامة ابن القيم لم يسرد السؤال كاملًا، بل لما ذكر بعض ما يستدل به دعاة العشـق قال: «فَفِي مَـحَبَّةِ الله وَكَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرَ السَّائِلُ مِنْ فَوَائِدِ الْعِشْقِ وَمَنَافِعِهِ»، فبيَّن أن السائل ذكر العشقَ في سؤاله، وذكر جملة من فوائده.

فيتبين من هذا أن السـائل سـأل العلامة ابن القيم عن العشق، وذكر بعض فوائده، ويظهر من تركيز ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أمر عشق الصور، وكذلك خطورة عشق المردان، ومـا في جريمة اللواط من العواقـب الوخيمة، وكذلك ما في جريمة الزنى من البلاء، أن السائل يقصد ببلواه البلوى بعشق المردان أو عشق المرأة الأجنبية.

لذلـك فقـد فصل العلامـة ابن القيم في بيـان العلاج لهذا الداء، فبـين أهمية العلم، وضرر الجهل، وذكر التداوي بالقرآن، وبالدعاء، وذكر أهمية الدعاء، وترتب الجزاء على الأعـمال، وحذَّر مـن الاغترار بعفو الله، وبين الفرق بين حسـن الظـن والاغترار، وذكر أن سـبب البـلاء والأدواء: الذنـوب، ثم ذكـر أضرار المعـاصي في الديـن والدنيا، وذكر العقوبات الشرعية والقدرية على الجرائم، وبيَّن خطورة أعظم الذنوب وهو الشرك بالله، وبـيَّن أنواعـه، ثم ذكر خطورة القـول على الله بلا علمٍ، وذكر خطـورة الظلم والعدوان، وخطورة قتل النفس التي حرم الله بغير حقٍّ، ثم ذكر مفسدة الزنى، وأنها تلي مفسدة قتل النفس، وذكر مداخل المعاصي على العبد.

۞ ثم ذكر عظم مفسدة جريمة اللواط، وذكر حكم السحاق، والتلوط بالمملوك.

۞ ثم ذكر علاج العشق عن طريق المنع من حصوله (الوقاية)، وعن طريق الخلاص منه (العلاج).

۞ وذكر أهمية غض البصر، واشتغال القلب بما يصده عن الفكر فيما شاهده من صورة محرمة عليه، وذكر مراتب الحب، وأنواع المحبة.

۞ وذكر أهمية محبة الله عَزَّوَجَلَّ ومحبة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ وذكر أقسام العشق، ومفاسده، ومقاماته.

۞ ثم عرض ما ذكره السائل من فضائل العشق، وقصص العشاق، وبسط ما أورده السائل، وكان الأولى اختصاره.

۞ ثم رد على كلام السائل ردًا مفصلًا، وبين أنواع اللذات، ومحبة الزوجات.

۞ وذكر أقسام العشاق، ثم ختم الكتاب ببيان بطلان ونكارة حديث: «مَنْ عَشِقَ، وَكَتَمَ، وَعَفَّ، وَصَبَرَ: غَفَرَ الله لَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ».

ولكن الذي يؤخذ على الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ استرساله في عرض ما أورده السائل من فضائل العشق سردًا متتابعًا، مع ذكر بعض قصص العشاق، والذي يظهر لي أن الأولى كان طي هذا الكلام، والاكتفاء بعرض طرف من الشبهات، وعدم الحاجة لإيراد قصص العشاق التي اشتمل بعضها على أمور منكرة.

ولكنه أحسن رحمه في الرد المفصل، والذي يأتي على المشكلة من جذورها.

فرحمه الله وأجزل مثوبته.

۞۞۞

النسخ المعتمدة في التحقيق، وذكر شيء عن بعض طبعات الكتاب

إن كتاب «الداء والدواء» من الكتب التي تعددت نسخه الخطية في مكتبات العالم، وقد اعتمدت للعمل في هذا التحقيق على نسختين خطيتين، واحدة متقدمة، وثانية متأخرة، مع محاولة استيعاب الفروق بينهما، مع الرجوع إلى طبعتين للكتاب من الطبعات المتداولة، مع الاستئناس بما ورد في فروق بقية المخطوطات التي اطلعت على فروقها، وسأصف النسختين الخطيتين، مع ذكر الطبعتين.

أولًا- النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق:

النسخة الخطية الأولى- نسخة جامعة ييل بالولايات المتحدة، وتقع في (٢٢١) ورقة، منها ورقة الغلاف، وعدد الأسطر: (١٥) سطرًا في الصفحة.

وخطها نسخي واضح، ولم يكتب اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، غير أن في ورقة العنوان كتب أنها «من كتب حمزة بن توكل الحاجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، ويقدر أنها من القرن الثامن.

والنسخة عليها بعض الحواشي اليسيرة، وفيها تصحيحات، تدل على أنها مقابلة على نسخة أخرى.

ورمزت لها بـ : (أ).

النسخة الخطية الثانية- نسخة جامعة الملك سعود، وعليها ختم «مكتبة الرياض»، وتقع في (١٠٢) ورقة مع ورقة الغلاف، وكل ورقة فيها صفحتان، عدا ورقة العنوان، والورقة الأخيرة فصفحة واحدة.

وعدد الأسطر في غالب الصفحات: (٢٥) سطرًا، وبعضها: (٢٦) سطرًا.

وخطها نسخي واضح، والفصول مكتوبة باللون الأحمر، وفيها هوامش، وتصحيحات تدل على مقابلتها، وناسخها: أحمد بن محمد بن عبد الله بن جمال الفارسي الشافعي، وتم نسخها في آخر شهر ربيع الأول، عام ١٢٤٣هـ.

ورمزت لها بـ : (ب).

ثانيًا- المطبوعات:

الكتاب له طبعات كثيرة، وقد تداول الناس عددًا منها، فاخترت اثنتين لأذكر فروقهما مع فروق المخطوطات، لتنبيه القارئ على مدى دقة تلك الطبعات، وكذلك من باب مزيد الفائدة.

وثمة طبعتان منتشرتان كنت قد ذكرت فروقهما في بداية العمل، لكني وجدتهما لا تغايران كثيرًا الطبعة التي قابلت عليها، فأعرضت عن ذكر فروقهما[1].

أما الطبعتان اللتان ذكرت فروقهما فهما:

أولًا- طبعة مكتبة الإيمان: وتقع في (٢٦٢) صفحة بدون صفحة العنوان. وعدد الأسطر في الصفحة مختلف متوسطها: (٢٣) سطرًا، وفيها (١٦) هامشًا أحدها في بيان فرق مع نسخة أخرى، والبقية لتفسير غريب.

وفيها أخطاء عديدة، وتصرفات يظهر أنها من الطابع، نبهت على فروقها في الهامش.

ورمزت لها بـ : (ط).

---

(١) وهما: طبعة دار ابن الجوزي، وهي كثيرة الأخطاء، مع ضعف في تخريج الأحاديث، وعدم الدقة في مراجعة المخطوط، الذي زعم القائم عليها أنه اعتماد عليها.

وطبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة - توزيع مكتبة العلم بجدة، والتي لم يرجع فيها محققها إلى مخطوط، وإنما اعتمد المطبوع، وزاد من سوء تلك الطبعة اعتماد منهج المليبارية (غير السليم) في تخريج الأحاديث، فضعف أحاديث صحيحة كثيرة، وأفسد في الكتاب أيما إفساد.

ثانيًا- طبعة دار عالم الفوائد: وهي التي بإشراف د.بكر أبو زيد، وتحقيق محمد أجمل الإصلاحي، وتخريج زائد بن أحمد النشيري. وهي من أفضل مطبوعات الكتاب السابقة، لاعتمادها على ست نسخ خطية، مع الاعتناء بذكر الفروق في الغالب، مع التخريج للحديث، والعزو للأقوال.

وتقع في (٥٧٢) صفحة بدون صفحة العنوان، ويختلف عدد السطر تبعًا لطول الهوامش من قصرها.

ومع اعتناء محققها وجدته قد تبع المطبوعة في عدة مواضع، وأخطأ في غيرها، وكان عدد تلك المواضع نحو (٤٠) موضعًا، نبهت عليها في الهامش.

ورأيت في الحكم على بعض الأحاديث توافقًا مع منهج المليبارية.

ورمزت لها بـ : (ط١).





منهج التحقيق

سلكت في تحقيق كتاب «الداء والدواء» ما يلي:

أولاً- فيما يتعلق بمقابلة النسخ الخطية وضبط الكتاب:

معلوم أن الكتاب مطبوع مما ييسر عملية مقابلة الكتاب على النسخ الخطية، وسبق أن ذكرت أني قابلت الكتاب على نسختين خطيتين، وعلى مطبوعتين، مع الرجوع إلى فروق ست نسخ أخرى(١)، وأثبت ما أراه أولى بالإثبات، دون اعتماد نسخة خطية معينة لأن تكون أصلا، وذلك لأنها جميعا مقابلة، وكان عملي في الكتاب على النحو الآتي:

١ - أثبت الفروق في الهامش إلا ما كان من خطإ ظاهر جدًا يقطع القارئ بأنه زلة قلم من الناسخ، مع أني ذكرت كثيرًا من هذا النوع، لا على سبيل الاستقصاء.

وإذا كانت الكلمة مما اختلفت فيها النسخ مثل كلمة «إذا» في نسخة، وفي أخرى «إن» فإني أجعل رقم الحاشية في نهاية الكلمة، ثم في الحاشية أذكر الكلمة التي في النسخة الأخرى.

وكذلك إذا كان الخلاف في سياق كلمتين فأكثر، فأضع الرقم عند نهاية الكلام الذي أذكر فروق النسخ فيه، وأنبه في الحاشية على الخلاف.

وأما إن كانت الكلمة الساقطة واحدة فأضع رقم الحاشية في آخر الكلمة، ثم أكتب في الهامش -مثلًا-: ساقطة من: (أ). أعني: أن الكلمة ساقطة من النسخة التي رمزت لها بـ (أ).

---

(١) وهي: نسخة الإسكوريال الإسبانية، ونسخة مكتبة كوبريلي التركية، ونسخة مكتبة با يزيد العمومي التركية كذلك، ونسخة أوقاف بغداد، ونسخة مركز الملك فيصل بالرياض، وهذه النسخ الخمس، إضافة إلى نسخة جامعة ييل الأمريكية التي ذكر محقق طبعة دار عالم الفوائد الاعتماد عليها، ومنه استفدت فروق النسخ الخمسة، مع عزوها إلى (ط١). وكذلك رجعت إلى نسخة ضمن مخطوطات المسجد النبوي الشريف.

وإذا كان السقط عدة كلمات وضعتها بين معقوفين هكذا: [ ] ثم أضع حاشية وأكتب-مثلًا-: ساقط من: (ب). أو أكتب: ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

٢- اعتمدت الرسم الحديث للكلمات، دون التقيد بما ورد في النسخ التي غالبًا ما تختلف في ذلك مثل كلمة «جبريل»، أو «السموات» أو «الرحمن».

٣- إذا زادت في بعض النسخ كلمة: «تعالى»، أو «عز وجل»، أو «صلى الله عليه وسلم» أو الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم أثبت ذلك دون التنبيه والإشارة، وكذلك إذا كان في بعضها «النبي» وفي أخرى «الرسول» لم أنبه على ذلك غالبا.

٤- عند بداية عملي وجدت الكتاب منسوخًا على الوورد، مضبوطًا بالشكل، فراجعت ذلك الضبط، وصححت ما يحتاج إلى تصحيح، وضبطت الكلمات أو الجمل التي سقطت من تلك المنسوخة، واهتممت بعلامات الترقيم على قدر علمي ومعرفتي القاصرة.

٥- وجدت في بعض النسخ الخطية فوائد في الهامش فأثبت ذلك في موضعه، وبعضها متعلق بذكر عناوين جانبية، فذكرتها جانبية كذلك.

مع التعليق على بعض ما ذكره الإمام ابن القيم بما رأيت أنه مفيد كتفسير بعض الكلمات الغريبة، وترجمة بعض الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب، أو التنبيه على مسألة عقدية، ونحو ذلك.

ثانيًا- فيما يتعلق بتوثيق النصوص الواردة في الكتاب:

كتاب «الداء والدواء» اشتمل على آيات وأحاديث وآثار ونقول عن العلماء، وتحريرات وتقريرات العلامة ابن القيم رحمه الله:

أما الآيات فعزوتها إلى سورها مع ذكر أرقام آياتها.

وأما الأحاديث والآثار فخرجتها، وعزوتها إلى مصادرها أو مراجعها بذكر الرقم غالبًا أو رقم الجزء والصفحة إن لم يكن مرقمًا، وأحيانًا أذكر الجزء والصفحة والرقم للكتب المرقمة.

١- فإذا كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو إليه، إلا إذا ذكر الإمام ابن القيم من رواه غير البخاري ومسلم فأخرجه من الكتب التي عزا إليها فقط.

٢- وإذا كان خارج الصحيحين خرجته، وحاولت الاختصار في كثير من الأحيان في ذكر مصادر التخريج عند كثرتها مكتفيا بالعزو إلى الأشهر، وما اشترط فيه أصحابها الصحة، وحكمت على إسناده بما يقتضيه حاله من الصحة أو الضعف، مع حكم الشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الأحاديث، والتنبيه على ما يحتاج إلى تنبيه من ذلك.

وأما النقول عن العلماء فأبذل جهدي في عزو تلك النقول إلى مصادرها الأصلية، فإن لم أجدها بحثت عمن ذكرها عن المصدر الأصلي، ذاكرًا الجزء والصفحة.

أشرح الغريب غالبًا.

أعلق على ما يحتاج إلى تعليق في مسألة عقدية أو غيرها.

ثالثًا- عملت للكتاب مقدمة ذكرت فيها علاقتي بالكتاب، وسبب خدمتي له، وخطة البحث.

وختمت العمل بفهارس للآيات، والأحاديث والآثار، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون سائقًا لي إلى جنات النعيم.



نماذج مصورة

من النسخ الخطية

94

كتاب الجواب الكافي في سؤال الدوا الشافي

غلاف نسخة (أ)



الصفحة الأولى من النسخة (أ)

الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

والموقوذة قد أنكره وشهد ببطلانه، نعم ابن عباس غير مستنكر ذلك عنه، وقد ذكر
أبو محمد بن حزم عنه أنه سئل عن الميت عشقاً فقال: قتيل الهوى لا عقل له ولا قود، ورفع
إليه بعرفات شاب قد صار كالفرخ فقال: ما شأنه؟ فقالوا: العشق، فجعل عامة يومه
يستعيذ من العشق، فهذا نفي من ابن عباس أن يكون من مات عشقاً وكتم ثم مات فهو شهيد، ومما
يوضح ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عد الشهداء في الصحيح فذكر المقتول في الجهاد و
المبطون والحرق والنفساء يقتلها ولدها والغرق وصاحب ذات الجنب ولم يذكر
منهم العاشق يقتله العشق، وحسب قتيل العشق أن يصح له هذا الأثر عن ابن عباس
على أنه لا يستحق ذلك حتى يصبر لله ويعف لله ويكتم لله، وهذا لا يكون إلا مع قدرته
على معشوقه وإيثار محبة الله وخوفه ورضاه، وهذا من أحق من دخل تحت قوله
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى، وتحت قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان، فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن
آثر حبه على هواه وابتغى بذلك قربه ورضاه بمنه وكرمه إنه جواد كريم. وتم
الكتاب بحمد الله تعالى وعونه ومعونته وحسن توفيقه، نسأل الله العظيم أن
يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يختم لنا بخير في
عافية إنه أرحم الراحمين ورب العالمين

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك ضحى يوم الأحد [illegible]
سنة [illegible] والعشرين ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل
الصلاة وأزكى التسليم، وكان تمامه على يد أحقر العباد لله [illegible]
[illegible] محمد بن عبد الله بن جمال [illegible]
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه [illegible] والحمد لله رب
العالمين

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد [illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة «ب»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وَبِهِ نَسْتَعِينُ، ولا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلا بِالله العَلِيِّ العَظِيمِ، رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ بِرَحْمَتِكَ يَا كَرِيمُ، حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، اللهُمَّ وَفِّقْ](١).

[سُئِلَ شَيخُ الإِسْلامِ، شَمْسُ الدِّينِ، أَبُو عَبْدِ الله، مُحَمَّدُ بنُ أبي بكرِ ابنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ](٢):

مَا تَقُولُ(٣) السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ، أَئِمَّةُ الدِّينِ - رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ - فِي رَجُلٍ ابْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ، وَعَلِمَ أَنَّهَا إِنِ اسْتَمَرَّتْ بِهِ أَفْسَدَتْ عليه دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ، وَقَدِ اجْتَهَدَ فِي دَفْعِهَا عَنْ نَفْسِهِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَمَا تَزْدَادُ(٤) إِلَّا تَوَقُّدًا وَشِدَّةً، فَمَا الْحِيلَةُ فِي دَفْعِهَا؟ وَمَا الطَّرِيقُ إِلَى كَشْفِهَا؟ فَرَحِمَ الله مَنْ أَعَانَ مُبْتَلًى، «وَالله فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٥)، أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ، رحمكم الله، ورضي عنكم، [وختم لكم بخير](٦).

[فَأَجَابَ الشَّيْخُ، الْإِمَامُ، الْعَالِمُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، مُفْتِي الفِرَق، شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّد بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَيُّوبَ، إِمَامِ الْمَدْرَسَةِ الْجَوْزِيَّةِ بِدِمَشْق المَحرُوسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ](٧).

---

(١) تتفق جميع النسخ الخطية التي اطلعت عليها على البدء بالبسملة، وتختلف فيما بعد ذلك، وهو من عبارات النساخ فيما يظهر، لذلك جمعت ما في تلك النسخ في سياق واحد، لكونها أدعية مشروعة.

(٢) ما بين المعقوفين لم يرد في بعض النسخ، وورد في بعضها دون ذكر الكنية والاسم، وبعضها ورد فيه ألفاظ مديح مطولة، مثل: «سئل الشيخ الإمام العالم العلامة، المتقن، الحافظ الناقد، شمس الدين، أبي عبد الله، محمد، بن الشيخ الصالح تقي الدين أبي محمد أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، زاده الله من فضله»، وهذا من تصرف النساخ أيضًا، فاكتفيت ما ورد في بعض النسخ الخطية.

(٣) في (ب): يقول، وفي معظم النسخ الخطية: تقول.

(٤) في (ط)، وبعض النسخ الخطية: يزداد.

(٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه مسلم في كتاب: «الذكر والدعاء» [٢٦٩٩].

(٦) زيادة من: (ب).

(٧) بدل ما بين المعقوفين في (أ، ب): فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي بعض النسخ: فكتب الشيخ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الحَمْدُ لله. ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً**»(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ**»(٢).

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٣).

وَفِي لَفْظٍ: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ دَوَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «**الْهَرَمُ**». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»(٤).

مَطْلَبٌ
أنزل الله لكل داء دواء وأعظمه القرآن

وَهَذَا يَعُمُّ أَدْوَاءَ(٥) الْقَلْبِ وَالرُّوحِ وَالْبَدَنِ، وَأَدْوِيَتِهَا.

وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَهْلَ دَاءً، وَجَعَلَ دَوَاءَهُ سُؤَالَ الْعُلَمَاءِ:

فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ، فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ قَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً، وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ، فَمَاتَ. فَلَمَّا

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٢١٥١) رقم: [٥٣٥٤].

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٢٩) رقم: [٢٢٠٤].

(٣) صحيحٌ لغيره: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨) وفي إسناده نظرٌ، ولكنه صحيح بشواهده عن ابن مسعودٍ، وأبي سعيدٍ. («الصحيحة»: [٤٥١]).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٨)، وأبو داود [٣٨٥٥]، والترمذي [٢٠٣٨]، وابن ماجه [٣٤٣٦]، وابن حبان في «صحيحه» [٤٨٦]، وغيرهم وإسناده صحيح. («صحيح ابن ماجه»: [٢٧٧٢]).

(٥) في (أ، ب): دواء، وهو خطأ، والمثبت من (ط)، وبعض النسخ الخطية.

قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ، قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ[١] لَمْ يَعْلَمُوا! فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ - أَوْ يَعْصِبَ - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ»[٢].

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ، وَأَنَّ شِفَاءَهُ السُّؤَالُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْقُرْآنِ أَنَّهُ شِفَاءٌ[٣]، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٤].

وَقَالَ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وَ«مِنْ» ههُنَا لِبَيَانِ[٤] الْجِنْسِ، لَا لِلتَّبْعِيضِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ شِفَاءٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى[٥]. فَهُوَ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ دَاءِ الْجَهْلِ وَالشَّكِّ وَالرَّيْبِ، فَلَمْ يُنْزِلِ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ، وَلَا أَنْفَعَ، وَلَا أَعْظَمَ، وَلَا أَنْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

---

(١) في (أ، ب): إذا، والمثبت من (ط)، وبعض النسخ الخطية، و«سنن أبي داود». ومثل هذه الفروق بين النسخ من نحو هذه الأخطاء الواضحة لا أتتبعها لئلا تكثر الحواشي، فليتنبه لذلك.

(٢) رواه أبو داود [٣٣٦]، والدارقطني (١/ ١٨٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١١٦٣]، والبيهقي (١/ ٢٢٧)، والبغوي في «شرح السنة» [٣١٣] وفي إسناده: الزبير بن خريق: ليس بالقوي. وقد روي من حديث ابن عباس، وفي سنده اختلاف. والحديث حسن لغيره إلى قوله: «إنما شفاء العي السؤال». («صحيح أبي داود» [٣٢٥]).

(٣) في (أ): أن القرآن شفاء، وسقط «أنه شفاء» من: (ب).

(٤) ساقطة من: (أ)، ومثبتة من: (ب، ط). ومثل هذا السقط في بعض النسخ لا أنبه عليه غالبًا.

(٥) يعني آية فصلت، وفي (ط): الآية المتقدمة.

لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ[١]. فَأَتَوْهُمْ، فَقَالُوا: أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نعم، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللهِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ حَتَّى تَجْعَلُوا لنا[٢] جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفُلُ عَلَيْهِ، وَيَقْرَأُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي، وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ[٣]، فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْتَسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا نَفْعَلُ حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ[٤]، فَنَذْكُرُ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرُ بِما[٥] يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْتَسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا**»[٦].

مطلب الرقية بالفاتحة

فَقَدْ أَثَّرَ هَذَا الدَّوَاءُ فِي هَذَا الدَّاءِ، وَأَزَالَهُ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهُوَ أَسْهَلُ دَوَاءٍ وَأَيْسَرُهُ، وَلَوْ أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالْفَاتِحَةِ، لَرَأَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي الشِّفَاءِ.

وَمَكَثْتُ بِمَكَّةَ مُدَّةً تَعْتَرِينِي[٧] أَدْوَاءٌ، وَلَا أَجِدُ طَبِيبًا وَلَا دَوَاءً، فَكُنْتُ أُعَالِجُ نَفْسِي

---

(١) في (أ): عندهم بعض شيء.

(٢) في (ط): لي. وهي موافقة لرواية أبي داود (٣٤١٨، ٣٩٠٠)، والمثبت من: النسخ الخطية، والبخاري، وأحمد (٣/ ٤٤)، الترمذي [٢٠٦٤].

(٣) أي: ليس به داء. «مشارق الأنوار» (٢/ ١٨٤).

(٤) في (أ، ب): رسول الله ﷺ. والمثبت من بعض النسخ الخطية، (ط)، ولا أنبه غالبًا على مثل هذا الفرق.

(٥) ساقطة من: (ط).

(٦) «صحيح البخاري» (٢/ ٧٩٥) رقم: [٢١٥٦]، «صحيح مسلم» (٤/ ١٧٢٧) رقم: [٢٢٠١].

(٧) في بعض المطبوعات: يعترينى أدواء، وفي (ب، ج): يعتريني داء، والمثبت من: (أ).

بِالْفَاتِحَةِ، فَأَرَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا، فَكُنْتُ أَصِفُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْتَكِي أَلَـمًا، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَبْرَأُ سَرِيعًا.

وَلَكِنْ هَهُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي التَّفَطُّنُ لَهُ: وَهُوَ أَنَّ الْأَذْكَارَ وَالْآيَاتِ وَالْأَدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا، وَيُرْقَى بِهَا؛ هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ الْمَحِلِّ، وَقُوَّةَ هِمَّةِ الْفَاعِلِ، وَتَأْثِيرِهِ، فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْفَاعِلِ، أَوْ لِعَدَمِ قَبُولِ الْمُنْفَعِلِ، أَوْ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ، كَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوِيَةِ وَالْأَدْوَاءِ الْحِسِّيَّةِ، فَإِنَّ عَدَمَ تَأْثِيرِهَا قَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ قَبُولِ الطَّبِيعَةِ لِذَلِكَ الدَّوَاءِ، وَقَدْ يَكُونُ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ، يَمْنَعُ مِنَ اقْتِضَائِهِ أَثَرَهُ.

فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوَاءَ بِقَبُولٍ تَامٍّ كَانَ انْتِفَاعُ الْبَدَنِ بِهِ بِحَسْبِ ذَلِكَ الْقَبُولِ، وَكَذَلِكَ الْقَلْبُ إِذَا أَخَذَ الرُّقَى وَالتَّعَاوِيذَ بِقَبُولٍ تَامٍّ، وَكَانَ لِلرَّاقِي نَفْسٌ فَعَّالَةٌ، وَهِمَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ؛ أَثَّرَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ.

مَطْلَبٌ
الكلام في الدعاء

وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَحُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ أَثَرُهُ، إِمَّا لِضَعْفِهِ فِي نَفْسِهِ، بِأَنْ يَكُونَ دُعَاءً لَا يُحِبُّهُ اللهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ، وَإِمَّا لِضَعْفِ الْقَلْبِ وَعَدَمِ إِقْبَالِهِ عَلَى اللهِ وَجَمْعِيَّتِهِ عَلَيْهِ وَقْتَ الدُّعَاءِ، فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْقَوْسِ الرِّخْوِ جِدًّا، فَإِنَّ السَّهْمَ يَخْرُجُ مِنْهُ خُرُوجًا ضَعِيفًا، وَإِمَّا لِحُصُولِ الْمَانِعِ مِنَ الْإِجَابَةِ: مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَرَيْنِ الذُّنُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ، وَاسْتِيلَاءِ الْغَفْلَةِ وَالشَّهْوَةِ وَاللَّهْوِ، وَغَلَبَتِهَا عَلَيْهَا.

كَمَا فِي صحيح[1] الْحَاكِمِ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) في (ط): مستدرك، والمثبت من النسخ الخطية، وقد تكرر ذلك في المطبوع خلافًا للنسخ الخطية، ولم أنبه على ذلك في جميع المواضع اكتفاء بهذا التنبيه.

=

«ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[(١)].

فَهَذَا دَوَاءٌ نَافِعٌ مُزِيلٌ لِلدَّاءِ، وَلَكِنَّ غَفْلَةَ الْقَلْبِ عَنِ اللهِ تُبْطِلُ قُوَّتَهُ.

وَكَذَلِكَ أَكْلُ الْحَرَامِ يُبْطِلُ قُوَّتَهُ، أَو يُضْعِفُهَا[(٢)]: كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا[(٣)] النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ، لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ

= وتسمية كتاب المستدرك بالصحيح تسمية صحيحة، لكون الحاكم اشترط فيه الصحة، وألف كتابه ليستدرك الأحاديث الصحيحة التي على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاها، ولكنه تساهل جدًا في ذلك، وصحح أحاديث باطلة وموضوعة، فلخص الذهبي كتابه، وانتقده كثيرًا، بل استل منه نحو مائة حديث باطل، وأفردها في جزء، وهو مطبوع.

(١) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٤٧٩] وَقَالَ: «غَرِيبٌ»، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» رقم: [١٨٤٢٦]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» رقم: [٦٢]، وَابنُ حِبَّانَ فِي «الْمَجْرُوحِينَ» (١/ ٣٦٨)، وَابنُ عَدِيٍّ فِي «الكَامِلِ» (٤/ ٦٢)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ» (١/ ٤٩٣)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (٤/ ٣٥٥، ١٤/ ٢٣٧)، وَابنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٤/ ٣١٥) وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِي سَنَدِهِ: صَالِحُ بنُ بَشِيرٍ الْمُرِّيُّ؛ وَهُوَ ضَعِيفٌ كَمَا فِي «التَّقْرِيبِ» ص: [٢٧١]، ومع ذلك قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ مُسْتَقِيمُ الإِسْنَادِ تَفَرَّدَ بِهِ صَالِحٌ الْمُرِّيُّ، وَهُوَ أَحَدُ زُهَّادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/ ١٧٧)، وأبو الطاهر السِّلَفِيُّ فِي كِتَابِ: «الدُّعَاءِ» رقم: [٧٣] وَفِي سَنَدِهِ: ابنُ لَهِيعَةَ وَفِيهِ ضَعْفٌ، فَالْحَدِيثُ حَسَنٌ، وَقَدْ حَسَّنَهُ الْمُنْذِرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٢/ ٣٢٢)، وَالْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» (١٠/ ١٤٨)، وَالأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ» رقم: [١٦٥٣].

(٢) في (ط): ويضعفها، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ب، ط): يا أيها الناس، وموافقة لرواية الترمذي [٢٩٨٩]، والمثبت من: (أ)، وصحيح مسلم.

أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ[١] إِلَى السَّماءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[٢].

وَذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الإمامِ[٣] أَحْمَدَ فِي كِتَابِ «الزُّهْدِ» لِأَبِيهِ: «أَصَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَلَاءٌ، فَخَرَجُوا مَخْرَجًا، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى نَبِيِّهِمْ أَنْ أَخْبِرْهُمْ: تَخْرُجُونَ[٤] إِلَى الصَّعِيدِ بِأَبْدَانٍ نَجِسَةٍ، وَتَرْفَعُونَ إِلَيَّ أَكُفًّا قَدْ سَفَكْتُمْ بِهَا الدِّمَاءَ، وَمَلَأْتُمْ بِهَا بُيُوتَكُمْ[٥] مِنَ الْحَرَامِ، الْآنَ حِينَ اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَيْكُمْ؟ وَلَنْ تَزْدَادُوا مِنِّي إِلَّا بُعْدًا»[٦].

وَقَالَ[٧] أَبُو ذَرٍّ: «يَكْفِي مِنَ الدُّعَاءِ مَعَ الْبِرِّ، مَا يَكْفِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ»[٨].



---

(١) في (ب): يده، وموافقة لرواية الترمذي، والمثبت من: (أ)، وصحيح مسلم.

(٢) «صحيح مسلم» (٢/ ٧٠٣) رقم: [١٠١٥].

(٣) زيادة من بعض النسخ.

(٤) في (ب، ط): إنكم، والمثبت من: (أ)، و«الزهد» لأبي داود.

(٥) في هامش (ب): لعله بطونكم. وما ذكره -«بطونكم»- هو لفظ أبي داود.

(٦) رواه أبو داود في «الزهد» [١٣]، والبيهقي في «الشُّعَب» [١١٥٧] عن عمرو بن دينار به. وإسناده حسنٌ. والذي وجدته في «الزهد» للإمام أحمد ص: [١٠٠] عن مالك بن دينار قال: «بلغني أنه قيل لبني إسرائيل: تدعون بألسنتكم وقلوبكم بعيدة مني، باطل ما ترهبون».

(٧) في (ب): وروى.

(٨) رواه ابن المبارك في «الزهد» [٣١٩]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٩٢٧٢]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٤٦]، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٤)، والخطيب في تالي تلخيص المتشابه (١/ ٢٢٤) من طريق بكر المزني عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده منقطع.

فَصْلٌ

وَالدُّعَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلَاءِ، يدافعه، وَيُعَالِجُهُ، وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ، أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ.

وَهُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ: كَمَا رَوَى الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»**(١).

وَلَهُ مَعَ الْبَلَاءِ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ:

أَحَدُهَا- أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنَ الْبَلَاءِ؛ فَيَدْفَعُهُ.

الثَّانِي- أَنْ يَكُونَ أَضْعَفَ مِنَ الْبَلَاءِ؛ فَيَقْوَى عَلَيْهِ الْبَلَاءُ، فَيُصَابُ بِهِ الْعَبْدُ، وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا.

الثَّالِثُ- أَنْ يَتَقَاوَمَا وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ.

---

(١) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٤٣٩]، وَابنُ عَدِيٍّ فِي «الكاملِ» (٦/ ١٧٢)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/ ٤٩٢)، وَالقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١٤٣]، وَالْمَقْدِسِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ» رقم: [١٠] مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «التَّلْخِيصِ»، أَمَّا فِي «الْمِيزَانِ» فَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِنْ مُنْكَرَاتِ مُحَمَّدِ بنِ الْحَسَنِ بنِ أَبِي يَزِيدَ، وهُوَ واهٍ، وقَالَ الْهَيثمي فِي «الْمَجْمَعِ» (١٠/ ١٤٧): «متروك»، وكَذَّبَهُ ابنُ مَعِينٍ وَأَبُو دَاوُدَ. وَوَهِمَ بَعْضُ الرُّوَاةِ فِي «مُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ» فَجَعَلَ مُحَمَّدَ بنَ الْحَسَنِ: ابنَ الزُّبَيْرِ وهُوَ خطأٌ، بَلْ هُوَ ابنُ أَبِي يَزِيدَ، انْظُرْ للفَائدةِ: «السِّلْسِلَةَ الضَّعِيفَةَ» رقم: [١٧٩]، وَلِبَعْضِهِ شَاهِدٌ وَاهٍ مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ أَبُو يَعْلَىٰ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١٨١٢] بلفظِ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُنْجِيكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَيُدِرُّ لَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ؟ تَدْعُونَ اللهَ فِي لَيْلِكُمْ وَنَهَارِكُمْ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ سِلاحُ الْمُؤْمِنِ»، وفي إِسْنَادِهِ سلام بن سليم الطويل: متروكٌ، ومحمد بن أبي حميد ضعيفٌ، منكر الحديث، وَرَوَاهُ السِّلَفِيُّ فِي «الطُّيُورِيَّاتِ» رقم: [٢٩٨] عَنِ الفُضَيْلِ بنِ عياضٍ مِنْ قولِهِ.

مَطْلَبٌ **حديث: «لا يغني حذر من قدر»**

وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]: **«لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[(٢)].

وَفِيهِ أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ»**[(٣)].

---

(١) في (ب): قال لي، والمثبت من: (أ، ط)، ومطبوع «المستدرك» للحاكم، وجميع من رأيته أخرج الحديث.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» في «ضعفاء الرجال» (٣/ ٢١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٦٦) رقم: [٢٤٩٨]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٦٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٤٨) رقم: [٨٥٩]، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٥٣)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٤٣) رقم: [١٤١١]، وغيرهم وفي إسناده: زكريا بن منظور وهو ضعيفٌ.

وَرَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٥/ ٢٣٤)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٢٠/ ١٠٣)، والقضاعيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٨٦٢]، وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيْثِ معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ.

قَالَ الهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» (١٠/ ١٤٦): «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ: وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ معاذٍ، وَرِوَايَةُ إِسْمَاعِيلَ - يَعْنِي: ابنَ عَيَّاشٍ - عَنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ضَعِيفَةٌ».

وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حسنه الشيخ الألباني قديمًا في «صحيح الجامع» [٧٧٣٩]، ثم ضعفه جدًّا في «ضعيف الترغيب والترهيب» [١٠١٤].

والشطران الأول والثاني لهما شواهد يرتقيان بها إلى درجة الحسن، وأما تعالج الدعاء والقضاء فهي زيادة ضعيفة. والله أعلم.

(٣) حسن لغيره: رواه الترمذي [٣٥٤٨]، والحاكم (١/ ٦٧٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٢٤٨] وفي إسناده عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي: ضعيفٌ، ولكن الحديث حسن بشواهده. «صحيح الترغيب» [١٦٣٤].

وَفِيهِ أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»**(١).

❁ ❁ ❁

(١) **حسنٌ**: رواه هناد في «الزهد» [١٠٠٩]، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٩٨٦٧]، وابن ماجه (٩٠، ٤٠٢٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٨/ ٧٩)، وابن حبان في «صحيحه» رقم: [٨٧٢]، والطبراني في «المعجم الكبير» [١٤٤٢]، وفي «الدعاء» [٣١]، والحاكم (١/ ٦٧٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٢٤٩]، من طريق عبدالله بن أبي الجعد عن ثوبان، وإسناده حسنٌ، وابن أبي الجعد، روى عنه ثلاثة من الثقات، وذكره ابن حبان في الثقات، وصحح له الطحاوي، وابن حبان، والبيهقي، وحسن حديثه هذا العراقي كما في «مصباح الزجاجة» (١/ ١٥).

وللحديث شاهد من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه الترمذي [٢١٣٩]، والبزار [٢٥٤٠]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٨/ ٧٨)، والطبراني [٦١٢٨]، وغيرهم: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إلا الدُّعَاءُ ولا يَزِيدُ في الْعُمُرِ إلا الْبِرُّ»** وفي سنده ضعفٌ. ولكنه صحيح بشواهده، وصححه الشيخ بلفظ حديث سلمان، وضعف الزيادة التي في حديث ثوبان. («الصحيحة» [١٥٤]).

فَصْلٌ

وَمِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ: الْإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(١).

وَفِي «صَحِيحِ الْحَاكِمِ»، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ**»(٢).

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ**»(٣).

---

(١) حسنٌ: رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/ ٤٤٢، ٤٤٣)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» رقم: [٦٥٨]، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٣٧٣]، وَابنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٨٢٧]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الأَوْسَطِ» رقم: [٢٤٣١]، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/ ٤٩١) وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْمُلَيْحِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ الْخوزِيِّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبو صالح الخوزي ضعفه ابن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به، فهو حسن الحديث، فإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وقال ابن كثيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٤/ ٨٦): «وهذَا إِسْنَادٌ لا بَأْسَ بِهِ». («الصحيحة» [٢٦٥٤]).

(٢) ضعيفٌ: رواه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» [٨٧١]، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٠٢)، والحاكم (١/ ٦٧١)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٧٦٠، ١٧٦١) وفي إسناده عمر بن محمد بن صهبان: ضعيفٌ واهٍ. («الضعيفة» [٨٤٣]).

(٣) ضعيفٌ: رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٥١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٥٢)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٦٣)، والطبراني في «الدعاء» [٢٠]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٠٦٩]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١١٠٨]، وأبو الطاهر السلفي في «معجم السفر» ص: [٤١٤]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٣٦٨)، ومداره على يوسف بن السفر وهو كذاب، يضع الحديث. («الضعيفة» [٦٣٧]).

وقد رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» [١١٠٧] بسند صحيح عن الأوزاعي قال: «أفضل الدعاء الإلحاح على الله عَزَّ وَجَلَّ، والتضرع إليه» واللفظ للبيهقي.

وَفِي «كِتَابِ الزُّهْدِ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: قَالَ مُوَرِّقٌ[١]: «مَا وَجَدْتُ لِلْمُؤْمِنِ مَثَلًا إِلَّا رَجُلًا فِي الْبَحْرِ عَلَى خَشَبَةٍ، فَهُوَ يَدْعُو: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، لَعَلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُنْجِيَهُ»[٢].

❁❁❁

(١) مُوَرِّق - بتشديد الراء - بن مُشَمْرِج - بضم أوله، وفتح المعجمة، وسكون الميم، وكسر الراء، بعدها جيم - بن عبد الله العجلي، أو المعتمر البصري: ثقةٌ، عابدٌ. مات بعد المائة. «تقريب التهذيب» ص: [٥٤٩].

(٢) **أثرٌ صحيحٌ**: رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [٣٠٥]، والبيهقي في «الشعب» [١١١٠] وإسناده صحيح.

فَصْلٌ

وَمِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ تَرَتُّبَ أَثَرِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ: أَنْ يَسْتَعْجِلَ الْعَبْدُ، وَيَسْتَبْطِئَ الْإِجَابَةَ، فَيَسْتَحْسِرَ، وَيَدَعَ الدُّعَاءَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ بَذَرَ بَذْرًا، أَوْ غَرَسَ غَرْسًا، فَجَعَلَ يَتَعَاهَدُهُ وَيَسْقِيهِ، فَلَمَّا اسْتَبْطَأَ كَمَالَهُ وَإِدْرَاكَهُ؛ تَرَكَهُ، وَأَهْمَلَهُ.

وَفِي «صحيح الْبُخَارِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»(١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْهُ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، ومَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ**(٢) **لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**»(٣).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟ قَالَ: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي؛ فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِي**»(٤).

❁❁❁

---

(١) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٣٥) رقم: [٥٩٨١]، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٩٥) رقم: [٢٧٣٥].

(٢) في (أ): فلم أر يستجب، وفي (ب): فلم يستجب، وفي بعض المطبوعات: فلم أر يستجاب، والمثبت من: (ط١)، وصحيح مسلم.

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٩٦) رقم: [٢٧٣٥].

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٣)، وأبو يعلى [٢٨٦٥]، والروياني [١٣٧٠]، والطبراني في «الأوسط» [٢٤٩٧]، وفي «الدعاء» [٨١]، وغيرهم وإسناده لا بأس به، وهو حديث صحيح لغيره، («صحيح الترغيب» [١٦٥٠]) لما رواه البخاري [٦٣٤٠]، ومسلم [٢٧٣٥]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا أَوْ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**».

فَصْلٌ

وَإِذَا جَمَعَ الدُّعَاءُ[١] حُضُورَ الْقَلْبِ، وَجَمْعِيَّتَهُ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَى الْـمَطْلُوبِ، وَصَادَفَ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ السِّتَّةِ، وَهِيَ:

الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، وَعِنْدَ الْأَذَانِ، وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَأَدْبَارُ الصَّلَوَاتِ الْـمَكْتُوبَاتِ، وَعِنْدَ صُعُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْـمِنْبَرِ، حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ، وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ من ذلك اليوم[٢].

وَصَادَفَ خُشُوعًا فِي الْقَلْبِ، وَانْكِسَارًا بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ، وَذُلًّا لَهُ، وَتَضَرُّعًا، وَرِقَّةً.

وَاسْتَقْبَلَ الدَّاعِي الْقِبْلَةَ، وَكَانَ عَلَى طَهَارَةٍ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَبَدَأَ بِحَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ ثَنَّى بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ.

ثُمَّ دَخَلَ عَلَى اللهِ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فِي الْـمَسْأَلَةِ، وَتَمَلَّقَهُ، وَدَعَاهُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً.

وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيدِهِ.

وَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ دُعَائِهِ صَدَقَةً، فَإِنَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَا يَكَادُ يُرَدُّ أَبَدًا، وَلَا سِيَّمَا إِنْ صَادَفَ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا مَظِنَّةُ الْإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا[٣] مُتَضَمِّنَةٌ لِلِاسْمِ الْأَعْظَمِ.

---

(١) أشار في هامش (ب) أنه في نسخة: وإذا اجتمع مع الدعاء، وفي (ط): وإذا جمع مع الدعاء، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) وردت العبارة في (ط): «وَعِنْدَ صُعُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْـمِنْبَرِ، حَتَّى تُقْضَى الصَّلَاةُ من ذلك اليوم، وَآخِرُ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»، والمثبت من: (أ، ب). وهو الصواب.

(٣) في (أ، ب): وأنها، والمثبت من: (ط)، وهو أنسب للسياق.

فَمِنْهَا مَا فِي «السُّنَنِ»، و«صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ»، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»(١).

وَفِي لَفْظٍ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ**»(٢).

وَفِي «السُّنَنِ»، وَ«صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(٣).

وأَخْرَجَ الْحَدِيثَيْنِ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ.

---

(١) صحيحٌ: رَوَاهُ عَبْدُالرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» رقم: [٤١٧٨]، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِه» رقم: [٢٩٣٦٠]، والإمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٠)، وَإِسْحَاقَ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٢٣١١]، وأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [١٤٩٣]، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٤٧٥]، وَابنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٨٥٧]، والنسائي في «الكبرى» [٧٦٦٦]، وَابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيْحِهِ» رقم: (٨٩١ - ٨٩٢)، وَالْحَاكِمُ (١/ ٥٠٤)، وَغَيْرُهُمْ عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإسْنَادُهُ صَحِيْحٌ. («صحيح الترغيب والترهيب» [١٦٤٠]).

(٢) وهذا لفظ ابن أبي شيبة، والنسائي في «الكبرى».

(٣) صحيحٌ: رَوَاهُ ابنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» رقم: [١١٧١]، والإمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣/ ١٢٠ وَغَيْرِهَا)، وأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [١٤٩٥]، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٥٤٤]، والنَّسَائِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [١٣٠٠]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» رقم: [١١٦]، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيْحَيْنِ» رقم: [١٨٥٧]، وابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» [٨٩٣]، وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَهُوَ حَدِيْث صَحِيْحٌ. («الصحيحة» [٣٤١١]).

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»[(١)].

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، وَ«صَحِيحِ الْحَاكِمِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَرَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنهم، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **أَنَّهُ**[(٢)] قَالَ: «**أَلِظُّوا بِـ «يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»**»[(٣)].

يَعْنِي: تَعَلَّقُوا بِهَا، وَالْزَمُوها، وَدَاوِمُوا عَلَيْهَا.

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ الْأَمْرُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فقال: «**سبحان الله العظيم**»[(٤)]، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ، قَالَ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»[(٥)].

---

(١) حسنه لغيره الشيخ الألباني: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٦١)، والدارمي [٣٣٨٩]، وأبو داود [١٤٩٦]، والترمذي [٣٤٧٨]، وابن ماجه [٣٨٥٥]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [١٧٨]، وغيرهم من طريق عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء رضي الله عنه به، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبيد الله وشهر، ولم أقف له على شاهدٍ، لا سيما تخصيص آية البقرة رقم: [١٦٣] بوجود اسم الله الأعظم فيها. وقال الترمذي: «حسنٌ صحيحٌ»، وقد صححه الطحاوي، وحسنه لغيره، الشيخ الألباني في («صحيح الترغيب» [١٦٤٢]).

(٢) ساقطة من: (أ، ب)، والمثبت من: (ط).

(٣) صحيحٌ: رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/ ١٧٧)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الكَبِيرِ» (٣/ ٢٨٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الكُبْرَىٰ» رقم: [٧٧١٦]، وَالرُّويَانِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١٤٧٨]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» رقم: [٤٥٩٤]، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ» (١/ ٤٩٨ - ٤٩٩)، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ رَبِيعَةَ بنِ عَامِرٍ رضي الله عنه وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَهُ شَوَاهِدُ.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ الخطية، (ط)، والمثبت من: سنن الترمذي.

(٥) ضعيفٌ جدًّا: رواه الترمذي [٣٤٣٦]، وأبو يعلى [٦٥٤٥]، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٣١)،

=

وَفِيهِ -أَيْضًا-: مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ(١) أَمْرٌ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»(٢).

وَفِي «صَحِيحِ الْحَاكِمِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ: الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَه**»، قَالَ الْقَاسِمُ: «فَالْتَمَسْتُهَا فَإِذَا هِيَ آيَةُ ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾»(٣).

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، وَ«صَحِيحِ الْحَاكِمِ»، مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. **إِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ**». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ»(٤).

= والبيهقي في «الدعوات الكبير» [١٩٨]، وفي «الاعتقاد» ص: [٨٢]، وفي إسناده: إبراهيم بن الفضل المخزومي، وهو متروكٌ. وقد قال الترمذي: «حسن غريب». («الضعيفة» [٦٣٤٥]).

(١) أي: شَقَّ عليه، وأَهَمَّهُ شأْنُهُ. «فيض القدير» (٥/ ١٥٩).

(٢) حسنٌ لغيره: رواه الترمذي [٣٥٢٤]، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٣٣٧] وفي إسناده يزيد الرقاشي واهٍ، ورواه النسائي في «الكبرى» (٧٦٨٢، ٧٦٨٣)، والطبراني في «الدعاء» [٩١]، وفي «الأوسط» [٨٠٢١]، والبيهقي في «الدعوات» [١٩٩]، والضياء في «المختارة» (٢١٥١-٢١٥٢) وغيرهم من طريقين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا حي، يا قيوم»، وسنده صحيح. وباللفظ الذي عند الترمذي له شاهد من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» [٤٧]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٨٩)، والبيهقي في «الدعوات» [١٧٠]، وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم عن أبيه عن ابن مسعود، وقد اختلف في ذكر والد القاسم. وانظر: («الصحيحة» [٣١٨٢]).

(٣) حسنٌ: رواه ابن ماجه [٣٨٥٦]، والدوري في «تاريخه عن يحيى بن معين» [٥٠٧٢]، والفريابي في «فضائل القرآن» [٧٤]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ١٦٣)، والطبراني [٧٧٥٨]، والحاكم (١/ ٦٨٤)، وغيرهم. وسنده حسنٌ. («الصحيحة» [٧٤٦]).

(٤) صحيحٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٧٠)، والترمذي [٣٥٠٥]، والنسائي في «الكبرى» =

وَفِي «صحيح الحَاكِم» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال[١]: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ [مِنْكُمْ كربٌ، أو بلاءٌ من بلايا الدنيا]**[٢]، **فَدَعَا بِهِ يُفَرِّجُ الله عَنْهُ؟ دُعَاءُ ذِي النُّونِ**»[٣].

وَفِي «صَحِيحِهِ» أَيْضًا، عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ[٤]: «**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى اسْمِ الله الأَعْظَمِ؟ دُعَاءِ يُونُسَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ كَانَت لِيُونُسَ خَاصَّةً؟ فَقَالَ: «**أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ**: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]. **فَأَيُّمَا مُسْلِمٍ دَعَا بِهَا فِي مَرَضِهِ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، فَمَاتَ فِي مَرَضِهِ ذَلِكَ؛ أُعْطِيَ أَجْرَ شَهِيدٍ، وَإِنْ بَرَأَ؛ بَرَأَ مَغْفُورًا لَهُ**»[٥].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ

= (١٠٤٩١، ١٠٤٩٢)، والطبراني في «الدعاء» [١٢٤]، والحاكم (١/ ٦٨٤)، وغيرهم، وإسناده صحيح. («صحيح الترمذي» [٢٧٨٥])، ولم ينسب للترمذي قوله هنا: «حديث صحيح» غير ابن القيم في هذا الكتاب فيما أعلم، ولا يوجد في كتاب الترمذي، ولا نقله أحد عنه حسب بحثي.

(١) ما بين المعقوفين ساقطة من: (ط).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من: مستدرك الحاكم، ومصادر التخريج، وفي نسخة خطية، (ط) بدل ما بين المعقوفين: «أمر مهم»، ولا يوجد هذا اللفظ في شيء من روايات الحديث.

(٣) صحيحٌ لغيره: رواه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» [٣٣]، والنسائي في «الكبرى» [١٦٦]، والحاكم (١/ ٦٨٥)، والبيهقي في «الدعوات» [١٠٤٩١]، وغيرهم وفي إسناده عبيد المحاربي: ضعيفٌ. ولكن يشهد له ما قبله، لذلك صححه الشيخ الألباني. («الصحيحة» [١٧٤٤]).

(٤) في (ط): وهو يقول. والمثبت من: النسخ الخطية، ومستدرك الحاكم.

(٥) ضعيفٌ جدًا بتمامه: رواه الحاكم (١/ ٦٨٥)، من طريق أحمد بن عمرو السكسكي عن أبيه، عن محمد ابن زيد، عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وسنده واهٍ، أحمد السكسكي مجهول، وأبو منكر الحديث، وقد غلط في اسم شيخه، فهو علي بن زيد بن جدعان، فالحديث بتمامه ضعيف جدًا، وقد رواه ابن جرير (١٧/ ٨٢) بسند حسنٍ عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به إلى نهاية الآية. وهذا إسناد ضعيف بسبب علي بن زيد.

عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ**(١)**، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**»(٢).

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»، مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا نَزَلَ بِي كَرْبٌ أَنْ أَقُولَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللهِ، وَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»(٣).

وَفِي «مَسْنَدِهِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حُزْنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**(٤) **رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ قَالَ: «**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»(٥).

---

(١) في (ب، ط): السموات السبع، والمثبت من: (أ)، وهي لفظ رواية الصحيحين.

(٢) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٣٦) رقم: [٥٩٨٦]، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٩٢) رقم: [٢٧٣٠].

(٣) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٩١)، والبزار [٤٦٩]، والنسائي في «الكبرى» [١٠٤٦٦]، وابن حبان في «صحيحه» [٨٦٥]، والطبراني في «الدعاء» [١٠١١]، والحاكم (١/ ٦٨٨)، والبيهقي في «الدعوات» [١٦٢]، وغيرهم وإسناده صحيح. («صحيح موارد الظمآن» [٢٠١١]).

(٤) لفظة «العظيم» لم ترد في شيء من روايات الحديث.

(٥) صحيحٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩١، ٤٥٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٠) رقم: [٢٩٣١٨]، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» رقم: [٤٩]، والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٢/ ٩٥٧) رقم: [١٠٥٧]، وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٩٨) رقم: [٥٢٩٧]، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٦٩) رقم: [١٠٣٥٢]، وفي «الدعاء» (١/ ٣١٤) رقم: [١٠٣٥]، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٢٥٣) رقم: [٩٧٢]، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٦٩٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ١٢) رقم: [٧]، وفي «الدعوات الكبير» (١/ ١٢٤) رقم: =

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «مَا كُرِبَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِلَّا اسْتَغَاثَ بِالتَّسْبِيحِ»(١).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ «الْمُجَابِينَ فِي الدُّعَاءِ» عَنِ الْحَسَنِ، [عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ](٢)، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ يُكَنَّى أَبَا مِعْلَق، وَكَانَ تَاجِرًا يَتَّجِرُ بِمَالٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، يَضْرِبُ بِهِ فِي الْآفَاقِ، وَكَانَ نَاسِكًا وَرِعًا، فَخَرَجَ مَرَّةً فَلَقِيَهُ لِصٌّ مُقَنَّعٌ فِي السِّلَاحِ، فَقَالَ لَهُ: ضَعْ مَا مَعَكَ، فَإِنِّي قَاتِلُكَ، قَالَ: ما تُرِيدُ إلى دَمِي؟ شَأْنُكَ بِالْمَالِ، قَالَ: أَمَّا الْمَالُ فَلِي، وَلَسْتُ أُرِيدُ إِلَّا دَمَكَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ(٣) أَبَيْتَ فَذَرْنِي أُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، قَالَ: صَلِّ مَا بَدَا لَكَ، فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ فِي آخِرِ سجدة، أَنْ قَالَ: يَا وَدُودُ(٤)، يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يَا فَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ(٥)، أَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَمُلْكِكَ(٦) الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِنُورِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ: أَنْ تَكْفِيَنِي

= [١٦٤]، وغيرهم، من طريق فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «أبو سلمة لا يدري من هو، ولا رواية له في الكتب الستة»، ولكن الظاهر أن إسناده حسنٌ، وأبو سلمة هو موسى بن عبد الله الجهني كما سبق ذكره عند ترجمته، والحديث صحيح كما قال ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٣/ ٩١٣) وغيرها من كتبه، والشيخ الألباني في «الصحيحة» رقم: [١٩٩]، وقال الدقاق: «حديث حسن».

(١) رواه ابن سمعون في «أماليه» [١٥٨] من طريق أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وإسناده قوي.

(٢) ما بين المعقوفين ليس في النسخ الخطية، واستدركتها من «مجابي الدعاء»، ومصادر التخريج.

(٣) في (أ، ب)، ومطبوع مجابي الدعاء: إذا. والمثبت من بعض النسخ الخطية، وبعض مصادر التخريج، وهو الأنسب للسياق.

(٤) في (ب)، وبعض المطبوعات: يا ودود، يا ودود، والمثبت من: (أ)، ومصادر التخريج.

(٥) في بعض النسخ، (ط): يا فعالا لما يريد، وفي بعضها: يا فعالا لما تريد، والمثبت من: (أ، ب)، ومجابي الدعاء.

(٦) في بعض المطبوعات: وبملكك.

شَرَّ هَـذَا اللِّـصِّ، يَا مُغِيثُ أَغِثْنِي، يَا مُغِيـثُ أَغِثْنِي[١]، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَـإِذَا هُوَ بِفَارِسٍ قَدْ أَقْبَلَ، بِيَدِهِ حَرْبَةٌ قَدْ وَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنَيْ فَرَسِـهِ، فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ اللِّصُّ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قُمْ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَدْ أَغَاثَنِي اللهُ بِكَ الْيَوْمَ، فَقَالَ: أَنَا مَلَكٌ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، دَعَوْتَ بِدُعَائِكَ الْأَوَّلِ فَسَمِعْتُ لِأَبْوَابِ السَّمَاءِ قَعْقَعَةً، ثُـمَّ دَعَـوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّانِي، فَسَـمِعْتُ لِأَهْلِ السَّـمَاءِ ضَجَّةً، ثُمَّ دَعَـوْتَ بِدُعَائِكَ الثَّالِثِ، فَقِيلَ لِي: دُعَاءُ مَكْرُوبٍ فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُوَلِّيَنِي قَتْلَهُ».

قَالَ الْحَسَنُ[٢]: «فَمَنْ تَوَضَّأَ، وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ؛ اسْتُجِيبَ لَهُ، مَكْرُوبًا كَانَ، أَوْ غَيْرَ مَكْرُوبٍ»[٣].



(١) في (ب)، وبعـض المطبوعـات وردت «يا مغيث أغثني» مرة واحدة، وفي بعض النسـخ ثلاث مرات، والمثبت من: (أ)، ومجابي الدعاء.

(٢) في مصادر التخريج أن القائل أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس الحسن.

(٣) أثـرٌ ضعيـفٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «المجابين في الدعاء» [٢٣]، وفي «الهواتف» [١٤]، واللالكائي في «كرامـات الأولياء» [١١١]، وعبد الغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء» [٦١]، عن الكلبي وليس بصاحب التفسـير عن الحسـن عن أنـس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وفي إسناده الكلبي: مجهـول، وإن كان الكلبي المفسر فهو كذاب.

فَصْلٌ

وَكَثِيرًا مَا نَجِدُ[١] أَدْعِيَةً دَعَا بِهَا قَوْمٌ فَاسْتُجِيبَ لَهُمْ، وَيَكُونُ قَدِ اقْتَرَنَ بِالدُّعَاءِ ضَرُورَةُ صَاحِبِهِ وَإِقْبَالُهُ عَلَى اللهِ، أَوْ حَسَنَةٌ تَقَدَّمَتْ مِنْهُ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ إِجَابَةَ دَعْوَتِهِ شُكْرًا لِحَسَنَتِهِ، أَوْ صَادَفَ وَقْتَ إِجَابَةٍ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، فَيَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ السِّرَّ فِي لَفْظِ ذَلِكَ الدُّعَاءِ، فَيَأْخُذُهُ مُجَرَّدًا عَنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي قَارَنَتْهُ مِنْ ذَلِكَ الدَّاعِي.

وَهَذَا كَمَا إِذَا اسْتَعْمَلَ رَجُلٌ دَوَاءً نَافِعًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَنْبَغِي[٢]، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي، فَانْتَفَعَ بِهِ، فَظَنَّ غَيْرُهُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ هَذَا الدَّوَاءِ بِمُجَرَّدِهِ كَافٍ[٣] فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، كَانَ غَالِطًا، وَهَذَا مَوْضِعٌ يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَمِنْ هَذَا أنه[٤] قَدْ يَتَّفِقُ دُعَاؤُهُ بِاضْطِرَارٍ عِنْدَ قَبْرٍ فَيُجَابُ، فَيَظُنُّ الْجَاهِلُ أَنَّ السِّرَّ لِلْقَبْرِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ السِّرَّ لِلِاضْطِرَارِ، وَصِدْقِ اللَّجْأِ إِلَى اللهِ[٥]، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ وَأَحَبَّ إِلَى اللهِ.



---

(١) في (ب): نَجِدُ، وغير واضحة في (أ)، وفي معظم المطبوعات: تجد.

(٢) في بعض المطبوعات: ينبغي استعماله.

(٣) في (أ): نافعا، وفي (ب): نافع، وفي بعض النسخ: كافيًا، والمثبت من: بعض النسخ، (ط).

(٤) زيادة من بعض النسخ، (ط).

(٥) وقد تكون إجابته استدراجًا، وليس بسبب اضطراره، وصدق لجوئه.

فَصْلٌ

وَالْأَدْعِيَةُ وَالتَّعَوُّذَاتُ بِمَنْزِلَةِ السِّلَاحِ، وَالسِّلَاحُ بِضَارِبِهِ، لَا بِحَدِّهِ فَقَطْ، فَمَتَى كَانَ السِّلَاحُ سِلَاحًا تَامًّا لَا آفَةَ بِهِ، وَالسَّاعِدُ سَاعِدُ قَوِيٍّ[1]، وَالْمَانِعُ مَفْقُودٌ؛ حَصَلَتْ بِهِ النِّكَايَةُ فِي الْعَدُوِّ، وَمَتَى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ؛ تَخَلَّفَ التَّأْثِيرُ.

فَإِذَا كَانَ الدُّعَاءُ فِي نَفْسِهِ غَيْرَ صَالِحٍ، أَوِ الدَّاعِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فِي الدُّعَاءِ، أَوْ كَانَ ثَمَّ مَانِعٌ مِنَ الْإِجَابَةِ؛ لَمْ يَحْصُلِ الْأَثَرُ.



(١) في (ب): والساعد ساعدًا قويًا، وفي بعض المطبوعات: والساعد قوي.

فَصْلٌ

وَهَهُنَا سُؤَالٌ مَشْهُورٌ وَهُوَ: أَنَّ الْـمَدْعُوَّ بِهِ إِنْ كَانَ قَدْ قُدِّرَ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ وُقُوعِهِ، دَعَا بِهِ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَدْعُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قُدِّرَ لَمْ يَقَعْ، سَوَاءٌ سَأَلَهُ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَسْأَلْهُ.

فَظَنَّتْ طَائِفَةٌ صِحَّةَ هَذَا السُّؤَالِ، فَتَرَكَتِ الدُّعَاءَ، وَقَالَتْ: لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَهَؤُلَاءِ مَعَ فَرْطِ جَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، مُتَنَاقِضُونَ، فَإِنَّ طَرْدَ مَذْهَبِهِمْ يُوجِبُ تَعْطِيلَ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ.

فَيُقَالُ لِأَحَدِهِمْ: إِنْ كَانَ الشِّبَعُ وَالرِّيُّ قَدْ قُدِّرَا لَكَ فَلَابُدَّ مِنْ وُقُوعِهِمَا، أَكَلْتَ أَوْ لَمْ تَأْكُلْ، وَإِنْ لَمْ يُقَدَّرَا لَمْ يَقَعَا، أَكَلْتَ أَوْ لَمْ تَأْكُلْ.

وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ قُدِّرَ لَكَ فَلَابُدَّ مِنْهُ، وَطِئْتَ الزَّوْجَةَ أَوِ الْأَمَةَ[1] أَوْ لَمْ تَطَأْ، وَإِنْ لَمْ يُقَدَّرْ لَمْ يَكُنْ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّزْوِيجِ وَالتَّسَرِّي، وَهَلُمَّ جَرًّا.

فَهَلْ يَقُولُ هَذَا عَاقِلٌ أَوْ آدَمِيٌّ؟ بَلِ الْحَيَوَانُ الْبَهِيمُ مَفْطُورٌ عَلَى مُبَاشَرَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ وَحَيَاتُهُ.

فَالْحَيَوَانَاتُ أَعْقَلُ وَأَفْهَمُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ ﴿كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[الفرقان: ٤٤]

وَتَكَايَسَ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: الِاشْتِغَالُ بِالدُّعَاءِ مِنْ بَابِ التَّعَبُّدِ الْـمَحْضِ، يُثِيبُ اللهُ عَلَيْهِ الدَّاعِيَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الْـمَطْلُوبِ بِوَجْهٍ مَا!

وَلَا فَرْقَ عِنْدَ هَذَا الكَيِّس[2] بَيْنَ الدُّعَاءِ وبين الْإِمْسَاكِ عَنْهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ

---

(١) في بعض النسخ، والمطبوعات: والأمة، وسقطت من (ب)، وأشار أنها في نسخة: أو الأمة، والمثبت من: (أ)، وهامش (ب).

(٢) في بعض المطبوعات: المتكيس، وفي بعضها: المتكايس، والمثبت من النسخ الخطية.

فِي التَّأْثِيرِ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَارْتِبَاطُ الدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ بِهِ كَارْتِبَاطِ السُّكُوتِ[1]، وَلَا فَرْقَ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَكْيَسُ مِنْ هَؤُلَاءِ: بَلِ الدُّعَاءُ عَلَامَةٌ مُجَرَّدَةٌ نَصَبَهَا الله سُبْحَانَهُ أَمَارَةً عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَمَتَى وُفِّقَ الْعَبْدُ لِلدُّعَاءِ؛ كَانَ ذَلِكَ عَلَامَةً لَهُ، وَأَمَارَةً عَلَى أَنَّ حَاجَتَهُ قَدْ قُضِيَتْ[2]، وَهَذَا كَمَا إِذَا رَأَيْنَا[3] غَيْمًا أَسْوَدَ بَارِدًا فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ وَعَلَامَةٌ عَلَى أَنَّهُ يُمْطِرُ.

قَالُوا: وَهَكَذَا حُكْمُ الطَّاعَاتِ مَعَ الثَّوَابِ، وَالْكُفْرُ وَالْمَعَاصِي مَعَ الْعِقَابِ، هِيَ أَمَارَاتٌ مَحْضَةٌ لِوُقُوعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، لَا أَنَّهَا أَسْبَابٌ لَهُ.

وَهَكَذَا عِنْدَهُمُ الْكَسْرُ مَعَ الِانْكِسَارِ، وَالْحَرِيقُ[4] مَعَ الْإِحْرَاقِ، وَالْإِزْهَاقُ مَعَ الْقَتْلِ، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ سَبَبًا الْبَتَّةَ، وَلَا ارْتِبَاطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ، إِلَّا مُجَرَّدُ الِاقْتِرَانِ الْعَادِيِّ، لَا التَّأْثِيرُ السَّبَبِيُّ.

وَخَالَفُوا بِذَلِكَ الْحِسَّ، وَالْعَقْلَ، وَالشَّرْعَ، وَالْفِطْرَةَ، وَسَائِرَ طَوَائِفِ الْعُقَلَاءِ، بَلْ أَضْحَكُوا عَلَيْهِمُ الْعُقَلَاءَ.

وَالصَّوَابُ: أَنَّ هَهُنَا قِسْمًا ثَالِثًا، غَيْرَ مَا ذَكَرَهُ السَّائِلُ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْمَقْدُورَ[5] قُدِّرَ بِأَسْبَابٍ، وَمِنْ أَسْبَابِهِ الدُّعَاءُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ مُجَرَّدًا عَنْ سَبَبِهِ، وَلَكِنْ قُدِّرَ بِسَبَبِهِ.

---

(١) اي: ترك الدعاء والسكوت عن دعاء الله.

(٢) في بعض المطبوعات: انقضت.

(٣) في بعض المطبوعات: رأيت.

(٤) في بعض المطبوعات: الحرق، والمثبت من: النسخ الخطية.

(٥) في بعض النسخ، وبعض المطبوعات: المقدر.

فَمَتَى أَتَى الْعَبْدُ بِالسَّبَبِ، وَقَعَ الْمَقْدُورُ[١]، وَمَتَى لَمْ يَأْتِ بِالسَّبَبِ انْتَفَى الْمَقْدُورُ.

وَهَذَا كَمَا قُدِّرَ الشِّبَعُ وَالرِّيُّ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَقُدِّرَ الْوَلَدُ بِالْوَطْءِ، وَقُدِّرَ حُصُولُ الزَّرْعِ بِالْبَذْرِ، وَقُدِّرَ خُرُوجُ نَفْسِ الْحَيَوَانِ بِذَبْحِهِ.

وَكَذَلِكَ قُدِّرَ دُخُولُ الْجَنَّةِ بِالْأَعْمَالِ، وَدُخُولُ النَّارِ بِالْأَعْمَالِ.

وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الْحَقُّ، وهو الَّذِي حُرِمَهُ السَّائِلُ، وَلَمْ يُوَفَّقْ لَهُ.

وَحِينَئِذٍ فَالدُّعَاءُ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ: فَإِذَا قُدِّرَ وُقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالدُّعَاءِ؛ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ: لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ، كَمَا لَا يُقَالُ: لَا فَائِدَةَ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنْفَعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَلَا أَبْلَغَ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ.

وَلَمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعْلَمَ الْأُمَّةِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَفْقَهَهُمْ فِي دِينِهِ؛ كَانُوا أَقْوَمَ بِهَذَا السَّبَبِ وَشُرُوطِهِ وَآدَابِهِ، مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَكَانَ عُمَرُ [بن الخطاب][٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَنْصِرُ بِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَكَانَ أَعْظَمَ جُنْدِيهِ[٣]، وَكَانَ يَقُولُ للصحابة[٤]: «لَسْتُمْ تُنْصَرُونَ بِكَثْرَةٍ، وَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ مِنَ السَّمَاءِ».

وَكَانَ يَقُولُ: «إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَلَكِنْ هَمَّ الدُّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُ[٥] الدُّعَاءَ، فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ»[٦].

---

(١) في هذا الموضع والذي بعده في (أ): المقدر، والمثبت من: (ب).

(٢) زيادة من: (ط)، وبعض النسخ الخطية.

(٣) في (ب): جنده، وفي الهامش مصححة إلى: جنديه. وفي بعض المطبوعات: جنده به!

(٤) في بعض النسخ، (ط): لأصحابه، والمثبت من: (أ، ب).

(٥) في (ط): ألهمتم، والمثبت من النسخ الخطية.

(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٩٣)، و«مدارج السالكين» (٣/ ١٠٣).

وَأَخذَ الشَّاعِرُ هَذَا[١] فَنظَمَهُ فَقَالَ:

لَوْ لَمْ تُرِدْ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ[٢] مَا عوَّدتَني[٣] الطَّلَبَا[٤].

فَمَنْ أُلْهِمَ الدُّعَاءَ فَقَدْ أُرِيدَ بِهِ الْإِجَابَةُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وَقَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]

وَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»**[٥].

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ رِضَاءَهُ فِي سُؤَالِهِ وَطَاعَتِهِ، وَإِذَا رَضِيَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَكُلُّ خَيْرٍ فِي رِضَاهُ، كَمَا أَنَّ كُلَّ بَلَاءٍ وَمُصِيبَةٍ فِي غَضَبِهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ «الزُّهْدِ» أَثَرًا: «أَنَا اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، إِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي مُنْتَهًى، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ»[٦].

وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ، وَالنَّقْلُ، وَالْفِطَرُ السليمة[٧]، وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ - عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَمِلَلِهَا وَنِحَلِهَا - عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ، وَالْبِرَّ

---

(١) في (ط): هذا المعنى.

(٢) في بعض النسخ: كفك، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٣) أشار في هامش (ب) أنها في نسخة: علمتني.

(٤) ذكره العلامة ابن القيم أيضًا في عدة الصابرين ص: [٦٠]، و«مدارج السالكين» (٣/ ١٠٣)

(٥) حديثٌ حسنٌ: سبق تخريجه.

(٦) أثرٌ صحيح عن وهب: رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [٥٢]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٨٢]، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٨/ ٧٠ - ملحق بتاريخ بغداد) عن وهب بن مُنَبِّه رَحِمَهُ اللَّهُ، به.

(٧) «السليمة» زيادة من: (ب)، وفي بعض المطبوعات: والفطرة.

وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ؛ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَأَضْدَادَهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ.

فَمَا اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ اللهِ، وَاسْتُدْفِعَتْ نِقَمُهُ[١]، بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خَلْقِهِ.

وَقَدْ رَتَّبَ اللهُ سُبْحَانَهُ حُصُولَ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحُصُولَ الشُّرُورِ[٢] فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْأَعْمَالِ، تَرْتِيبَ[٣] الْجَزَاءِ عَلَى الشَّرْطِ، وَالْمَعْلُولِ عَلَى الْعِلَّةِ، وَالْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ.

وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ مَوْضِعٍ.

فَتَارَةً يُرَتِّبُ الْحُكْمَ الْخَبَرِيَّ الْكَوْنِيَّ وَالْأَمْرَ[٤] الشَّرْعِيَّ عَلَى الْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ لَهُ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وَكَقَوْلِهِ[٥]: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا.

---

(١) في (ط): نقمته.

(٢) في (ب): السرور، والمثبت من: (أ، ط).

(٣) في بعض النسخ، وبعض المطبوعات: ترتب.

(٤) في بعض النسخ: الأمري.

(٥) في (ط): وقوله، والمثبت من: (أ، ب).

وَتَارَةً يُرَتِّبُهُ عَلَيْهِ بِصِيغَةِ الشَّرْطِ وَالجَزَاءِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَتَّقُوا ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، وَنَظَائِرِهِ.

وَتَارَةً يَأْتِي بِلَامِ التَّعْلِيلِ: كَقَوْلِهِ: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ «كَيْ» الَّتِي لِلتَّعْلِيلِ: كَقَوْلِهِ: ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧].

وَتَارَةً يَأْتِي بِبَاءِ السَّبَبِيَّةِ: كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥].

و: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]، وكَقَوْلِهِ[١]: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم[٢] بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الإسراء: ٩٨].

وَتَارَةً يَأْتِي بِالْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ ظَاهِرًا أَوْ مَحْذُوفًا[٣]: كَقَوْلِهِ: ﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

---

(١) في (ط): وقوله، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) لم تذكر هذه الكلمة في النسخ الخطية سهوًا، فجعل في بعض الطبعات بدل الآية التي ذكرها ابن القيم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وفي بعضها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]، [آل عمران: ١١٢]، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) في (ب): ومحذوفًا.

وَقَوْلِهِ: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٦] أي: كَرَاهَةَ أَنْ تَقُولُوا.

وَتَارَةً يَأْتِي بِفَاءِ السَّبَبِيَّةِ: كَقَوْلِهِ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ [الحاقة: ١٠].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨]. وَنَظَائِرِهِ.

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ «لَمَّا» الدَّالَّةِ عَلَى الْجَزَاءِ[1]: كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. وَنَظَائِرِهِ.

وَتَارَةً يَأْتِي بِـ «إِنَّ» وَمَا عَمِلَتْ فِيهِ: كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَقَوْلِهِ فِي ضِدِّ هَؤُلَاءِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٧].

وَتَارَةً يَأْتِي بِأَدَاةِ «لَوْلَا»، الدَّالَّةِ عَلَى ارْتِبَاطِ مَا قَبْلَهَا بِمَا بَعْدَهَا: كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤].

وَتَارَةً يَأْتِي بِـ«لَو» الدَّالَّةِ عَلَى الشَّرْطِ: كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا﴾ [النساء: ٦٦].

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ صَرِيحٌ فِي تَرَتُّبِ الْجَزَاءِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْأَحْكَامِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْأَمْرِيَّةِ عَلَى الْأَسْبَابِ، بَلْ تَرَتُّبِ[2] أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَصَالِحِهِمَا وَمَفَاسِدِهِمَا عَلَى الْأَسْبَابِ وَالْأَعْمَالِ.

---

(١) في (أ): الخبر!

(٢) في (ب، ط): ترتيب.

وَمَنْ تَفَقَّهَ فِي هَذِهِ[١] الْـمَسْـأَلَةِ، وَتَأَمَّلَهَا حَـقَّ التَّأَمُّلِ انْتَفَعَ بِهَا غَايَةَ النَّفْعِ، وَلَمْ يَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ جَهْلًا مِنْهُ، وَعَجْزًا وَتَفْرِيطًا وَإِضَاعَةً، فَيَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَجْزًا، وَعَجْزُهُ تَوَكُّلًا.

بَـلِ الْفَقِيهُ كُلَّ الفَقِيـهِ[٢] الَّذِي يَرُدُّ الْقَـدَرَ بِالْقَدَرِ، وَيَدْفَعُ الْقَـدَرَ بِالْقَدَرِ، وَيُعَارِضُ الْقَدَرَ بِالْقَدَرِ.

بَـلْ لَا يُمْكِنُ الإِنْسَـانَ يَعِيشَ[٣] إِلَّا بِذَلِكَ، فَـإِنَّ الْـجُوعَ وَالْعَطَشَ وَالْـبَرْدَ وَأَنْوَاعَ الْـمَخَاوِفِ وَالْـمَحَاذِيرِ هِيَ مِنَ الْقَدَرِ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ سَاعُونَ فِي دَفْعِ هَذَا الْقَدَرِ بِالْقَدَرِ.

وَهَكَذَا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ: يَدْفَعُ قَدَرَ الْعُقُوبَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ بِقَدَرِ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَهَذَا وِزَانُ الْقَدَرِ الْـمُخَوِّفِ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُضَادُّهُ سَوَاءٌ.

فَرَبُّ الدَّارَيْنِ وَاحِدٌ، وَحِكْمَتُهُ وَاحِدَةٌ، لَا يُنَاقِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا، [وَلَا يُبْطِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا][٤].

فَهَذِهِ الْـمَسْـأَلَةُ مِنْ أَشْرَفِ الْـمَسَـائِلِ لِمَنْ عَرَفَ قَدْرَهَا، وَرَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَاللهُ الْـمُسْتَعَانُ.

لَكِنْ يَبْقَى عَلَيْهِ أَمْرَانِ، بِهِمَا تَتِمُّ سَعَادَتُهُ، وَفَلَاحُهُ:

أَحَدُهُمَـا - أَنْ يَعْـرِفَ تَفَاصِيلَ أَسْـبَابِ الـشَّرِّ وَالْخَيْرِ، وَيَكُونَ لَهُ بَصِـيرَةٌ فِي ذَلِكَ، بِـمَا يُشَـاهِدُهُ[٥] فِي الْعَـالَمِ، وَمَا جَرَّبَهُ فِي نَفْسِـهِ وَغَـيْرِهِ، وَمَا سَـمِعَهُ مِنْ أَخْبَـارِ الْأُمَمِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

---

(١) في (أ): ومن فقه في هذه، وفي بعض النسخ: ومن فقه هذه، والمثبت من: (ب، ط).

(٢) في بعض المطبوعات: «كل الفقه»، وساقطة من: (أ).

(٣) في (ط): أن يعيش، وفي بعض المطبوعات: للإنسان أن يعيش، وفي نسخة خطية: العيش، والمثبت من: (أ، ب) على إضمار «أن».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب)، والمثبت من: (ط).

(٥) في (ب): شاهده.

وَمِنْ أَنْفَعِ مَا فِي ذَلِكَ تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ كَفِيلٌ بِذَلِكَ، عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَفِيهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ جَمِيعًا، مُفَصَّلَةً مُبَيَّنَةً.

ثُمَّ السُّنَّةِ، فَإِنَّهَا شَقِيقَةُ الْقُرْآنِ، وَهِيَ الْوَحْيُ الثَّانِي، وَمَنْ صَرَفَ إِلَيْهِمَا عِنَايَتَهُ اكْتَفَى بِهِمَا عن[1] غَيْرِهِمَا، وَهُمَا يُرِيَانِكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَأَسْبَابَهُمَا، حَتَّى كَأَنَّكَ تُعَايِنُ ذَلِكَ عِيَانًا.

وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ أَخْبَارَ الْأُمَمِ، وَأَيَّامَ اللهِ فِي أَهْلِ طَاعَتِهِ وَأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ؛ طَابَقَ ذَلِكَ مَا عَلِمْتَهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَرَأَيْتَ تَفَاصِيلَ[2] مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ، وَوَعَدَ بِهِ، وَعَلِمْتَ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يُنْجِزُ وَعْدَهُ لَا مَحَالَةَ.

فَالتَّارِيخُ تَفْصِيلٌ لِجُزْئِيَّاتِ[3] مَا عَرَّفَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ به[4] مِنَ الْأَسْبَابِ الْكُلِّيَّةِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ.



(١) في (أ، ب): من، والمثبت من: (ط).

(٢) في (ط)، وبعض النسخ: ورأيته بتفاصيل، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ب): بجزئيات.

(٤) ساقطة من: (أ، ب)، والمثبت من: بعض النسخ، (ط).

فَصْلٌ

وَالأَمْرُ الثَّانِي- أَنْ يَحْذَرَ مُغَالَطَةَ نَفْسِهِ له عَلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ.

وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَعْرِفُ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ وَالْغَفْلَةَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُضِرَّةِ لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَلَا بُدَّ، وَلَكِنْ تُغَالِطُهُ نَفْسُهُ(١) بِالِاتِّكَالِ عَلَى عَفْوِ الله وَمَغْفِرَتِهِ تَارَةً، وَبِالتَّسْوِيفِ بِالتَّوْبَةِ تَارَةً، وَبِالِاسْتِغْفَارِ بِاللِّسَانِ تَارَةً، وَبِفِعْلِ الْمَنْدُوبَاتِ تَارَةً، وَبِالْعِلْمِ تَارَةً، وَبِالِاحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ تَارَةً، وَبِالِاحْتِجَاجِ بِالْأَشْبَاهِ وَالنُّظَرَاءِ(٢)، وَبِالِاقْتِدَاءِ بِالْأَكَابِرِ تَارَةً(٣).

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّهُ لَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله؛ زَالَ أَثَرُ الذَّنْبِ، وَرَاحَ هَذَا بِهَذَا.

وَقَالَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفِقْهِ: أَنَا أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَقُولُ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَقَدْ غُفِرَ ذَلِكَ أَجْمَعُهُ، كَمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ عنه(٤) خَطَايَاهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**(٥).

وَقَالَ لِي آخَرُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: نَحْنُ أحدنا إِذَا فَعَلَ مَا فَعَلَ؛ اغْتَسَلَ(٦)، وَطَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعًا(٧)، وَقَدْ مُحِيَ عَنْهُ ذَلِكَ.

---

(١) في (أ): يغالطه بنفسه.

(٢) في (ط): وبالاحتجاج بالأشباه والنظراء تارة، وفي بعض المطبوعات: وبالاحتجاج بالأشباه والنظائر تارة.

(٣) في (ط): وبالاقتداء بالأكابر تارة أخرى.

(٤) ساقطة من: (أ)، وكذا هي رواية البخاري، ومسلم، والمثبت من: (ب، ط)، ورواية مالك في «الموطأ» [٤٨٩].

(٥) «صحيح البخاري» (٥/ ٢٣٥٢) رقم: [٦٠٤٢]، «صحيح مسلم» (٤/ ٢٠٧١) رقم: [٢٦٩١].

(٦) في (ب): ثم اغتسل.

(٧) أي: سبعة أشواط.

وَقَالَ لِي آخَرُ: قَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَصَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهُ لِي، فَغَفَرَ له**(١)**، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، أَصَبْتُ ذَنْبًا، فَاغْفِرْهِ لِي، فغفر له**(٢)**، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَصَبْتُ ذَنْبًا، فاغفره لِي، فَقَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَصْنَعْ مَا شَاءَ**»(٣). قَالَ: وأَنَا لَا أَشُكُّ أَنَّ لِي رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ.

وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّقَ بِنُصُوصِ الرَّجَاءِ(٤)، وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا، وَتَعَلَّقَ بِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَإِذَا عُوتِبَ عَلَى الْخَطَايَا وَالِانْهِمَاكِ فِيهَا؛ سَرَدَ لَكَ مَا يَحْفَظُهُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، وَنُصُوصِ الرَّجَاءِ.

وَلِلْجُهَّالِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ غَرَائِبُ وَعَجَائِبُ:

كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ:

وَكَثِّرْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى كَرِيمِ(٥).

وَقَوْلِ الْآخَرِ: «التَّنَزُّهُ مِنَ الذُّنُوبِ جَهْلٌ بِسَعَةِ عَفْوِ اللهِ».

وَقَالَ(٦) الْآخَرُ: تَرْكُ الذُّنُوبِ جَرَاءَةٌ عَلَى مَغْفِرَةِ اللهِ، وَاسْتِصْغَارٌ لها(٧).

---

(١) في (أ): فغفره له، والمثبت من: (ب)، وموافق لرواية الحديث في «المسند» وغيره، ولم أقف على رواية فيها: فغفره له.

(٢) في (أ): فغفره له، والمثبت من: (أ)، ورواية الحديث.

(٣) «صحيح البخاري» (٦/ ٢٧٢٥) رقم: [٧٠٦٨]، «صحيح مسلم» (٤/ ٢١١٢) رقم: [٢٧٥٨].

(٤) في (ط): بنصوص من الرجاء، والمثبت من النسخ الخطية.

(٥) نسبه ابن خلكان لأبي نواس في «وفيات الأعيان» (٢/ ٩٧) وفيه: «تكثر»، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٤٦٢) عن أبي نواس. وفيه: «فإنك لاقيا ربا غفورا».

(٦) في (ط): وقول، والمثبت من: (أ، ب).

(٧) سقطت من بعض المطبوعات، وسقط من بعضها عبارة: «واستصغار لها».

وَقَالَ أبو مُحَمَّدِ ابنُ حَزْمٍ: «رَأَيْتُ بَعْضَ هَؤُلَاءِ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِصْمَةِ»[(١)].

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَغْرُورِينَ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةِ الْجَبْرِ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَا فِعْلَ لَهُ أَلْبَتَّةَ وَلَا اخْتِيَارَ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَغْتَرُّ بِمَسْأَلَةِ الْإِرْجَاءِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ، وَالْأَعْمَالَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ، وَإِيمَانَ[(٢)] أَفْسَقِ النَّاسِ كَإِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَغْتَرُّ بِمَحَبَّةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَالصَّالِحِينَ، وَكَثْرَةِ التَّرَدُّدِ إِلَى قُبُورِهِمْ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِمْ، وَالِاسْتِشْفَاعِ بِهِمْ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللهِ بِهِمْ، وَسُؤَالِهِ بِحَقِّهِمْ عَلَيْهِ، وَحُرْمَتِهِمْ عِنْدَهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِآبَائِهِ وَأَسْلَافِهِ، وَأَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ مَكَانَةً وَصَلَاحًا، فَلَا يَدَعُوهُ أَنْ[(٣)] يُخَلِّصُوهُ، كَمَا يُشَاهِدُ فِي حَضْرَةِ الْمُلُوكِ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ تَهَبُ لِخَوَاصِّهِمْ ذُنُوبَ أَبْنَائِهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ، وَإِذَا وَقَعَ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي أَمْرٍ مُفْظِعٍ خَلَّصَهُ أَبُوهُ وَجَدُّهُ بِجَاهِهِ وَمَنْزِلَتِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، وَأَنَّ عَذَابَهُ[(٤)] لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا، وَرَحْمَتَهُ لَا تَنْقُصُ[(٥)] مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا، فَيَقُولُ: أَنَا مُضْطَرٌّ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ، وَلَوْ أَنَّ فَقِيرًا مِسْكِينًا، مُضْطَرًّا إِلَى شَرْبَةِ مَاءٍ عِنْدَ مَنْ فِي دَارِهِ شَطٌّ يَجْرِي؛ لَمَا مَنَعَهُ مِنْهَا، فَاللهُ أَكْرَمُ وَأَوْسَعُ، فَالْمَغْفِرَةُ لَا تَنْقُصُهُ شَيْئًا، وَالْعُقُوبَةُ لَا تَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا.

---

(١) نسبه ابن حزم في «طوق الحمامة» ص: (٢٧٩ - ٢٨٠) إلى عبيد الله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الجزيري، ولفظه: «ولقد سمعته في المسجد يستعيذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان».

(٢) في (ط): وأن إيمان.

(٣) في بعض المطبوعات: فلا يدعون أن، وفي بعضها: فلا يدعونه حتى.

(٤) في (أ، ب)، وبعض المطبوعات: وعذابه، والمثبت من: بعض النسخ الخطية، والمطبوعة.

(٥) في (ب): ولا ينقص، وفي بعض المطبوعات: ورحمته له لا ينقص، والمثبت من: (أ، ط).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْتَرُّ بِفَهْمٍ فَاسِدٍ فَهِمَهُ هُوَ وَأَضْرَابُهُ، مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَاتَّكَلُوا عَلَيْهِ كَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

قالوا: وَهُوَ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ فِي النَّارِ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ!

وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهْلِ، وَأَبْيَنِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَرْضَى بِمَا يُرْضِي[١] رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يُرْضِيهِ تَعْذِيبُ الظَّلَمَةِ وَالْفَسَقَةِ وَالْخَوَنَةِ وَالْمُصِرِّينَ عَلَى الْكَبَائِرِ، فَحَاشَا رَسُولَهُ[٢] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لا يَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَكَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَقْبَحِ الْجَهْلِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الذُّنُوبِ وَأَسَاسُهَا، وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي حَقِّ التَّائِبِينَ، فَإِنَّهُ يَغْفِرُ ذنب كُلِّ تائبٍ مِنْ أَيِّ ذَنْبٍ كَانَ[٣]، وَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ فِي حَقِّ غَيْرِ التَّائِبِينَ لَبَطَلَتْ نُصُوصُ الْوَعِيدِ كُلُّهَا، وَأَحَادِيثُ إِخْرَاجِ قَوْمٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ.

وَهَذَا إِنَّمَا أُتِيَ صَاحِبُهُ مِنْ قِلَّةِ عِلْمِهِ وَفَهْمِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ هَهُنَا عَمَّمَ وَأَطْلَقَ، فَعُلِمَ أَنَّهُ أَرَادَ التَّائِبِينَ، وَفِي سُورَةِ النِّسَاءِ خَصَّصَ وَقَيَّدَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الشِّرْكَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يَغْفِرُ مَا دُونَهُ[٤]، وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي حَقِّ التَّائِبِ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ الشِّرْكِ وَغَيْرِهِ.

وَكَاغْتِرَارِ بَعْضِ الْجُهَّالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]. فَيَقُولُ: كَرَمُهُ، وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ لَقَّنَ الْمُغْتَرَّ حُجَّتَهُ، وَهَذَا جَهْلٌ قَبِيحٌ، وَإِنَّمَا غَرَّهُ بِرَبِّهِ الْغَرُورُ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، وَنَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ، وَجَهْلُهُ وَهَوَاهُ.

---

(١) في (ط): يرضى به، والمثبت من النسخ الخطية. (٢) في (ب): رسول الله.

(٣) في بعض المطبوعات: يغفر كل ذنب للتائب اي: ذنب كان، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٤) في (ب): ما دون ذلك.



وَأَتَى سُبْحَانَهُ بِلَفْظِ «الْكَرِيمِ» وَهُوَ السَّيِّدُ الْعَظِيمُ الْمُطَاعُ، الَّذِي لَا يَنْبَغِي الِاغْتِرَارُ بِهِ، وَلَا إِهْمَالُ حَقِّهِ، فَوَضَعَ هَذَا الْمُغْتَرُّ «الْغُرُورَ» فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَاغْتَرَّ بِمَنْ لَا يَنْبَغِي الِاغْتِرَارُ بِهِ.

وَكَاغْتِرَارِ بَعْضِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي النَّارِ: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل: ١٥ - ١٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرُّ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤]، هو لِنَارٍ مَخْصُوصَةٍ مِنْ جُمْلَةِ دَرَكَاتِ جَهَنَّمَ، وَلَوْ كَانَتْ جَمِيعَ جَهَنَّمَ فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ لَا يَدْخُلُهَا بَلْ قَالَ: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥]. وَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ صَلْيِهَا، عَدَمُ دُخُولِهَا، فَإِنَّ الصَّلْيَ أَخَصُّ مِنَ الدُّخُولِ، وَنَفْيُ الْأَخَصِّ لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الْأَعَمِّ.

ثُمَّ إِن هَذَا الْمُغْتَرَّ لَوْ تَأَمَّلَ الْآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا؛ لَعَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهَا، فَلَا يَكُونُ مَضْمُونًا لَهُ أَنْ يُجَنَّبَهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي النَّارِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فَقَدْ قَالَ فِي الْجَنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وَلَا يُنَافِي إِعْدَادُ النَّارِ لِلْكَافِرِينَ أَنْ يَدْخُلَهَا الْفُسَّاقُ وَالظَّلَمَةُ، وَلَا يُنَافِي إِعْدَادُ الْجَنَّةِ لِلْمُتَّقِينَ أَنْ يَدْخُلَهَا مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ إِيمَانٍ(١)، وَلَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ(٢).

---

(١) في (ط): الإيمان، والمثبت من النسخ الخطية.

(٢) يشير إلى ما خرَّجه البخاري [٧٤٤٠]، ومسلم [١٨٦] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفيه: «يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ، أُصَيْفِرُ، وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ؟ قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الله الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ الله

=

وَكَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ(١) عَلَى صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَوْ يَوْمِ عَرَفَةَ(٢)، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ: صومُ(٣) يَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ الْعَامِ كُلَّهَا، وَيَبْقَى صَوْمُ عَرَفَةَ زِيَادَةً فِي الْأَجْرِ!

وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْمُغْتَرُّ، أَنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ صِيَامِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَهِيَ إِنَّمَا تُكَفِّرُ مَا بَيْنَهَا(٤) إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ.

فَرَمَضَانُ [إِلَى رَمَضَانَ](٥)، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، لَا يَقْوى(٦) عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ، إِلَّا مَعَ انْضِمَامِ تَرْكِ الْكَبَائِرِ إِلَيْهَا، فَيَقْوَى مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ.

فَكَيْفَ يُكَفِّرُ صَوْمُ يَوْمِ تَطَوُّعٍ كُلَّ كَبِيرَةٍ عَمِلَهَا الْعَبْدُ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا، غَيْرُ تَائِبٍ مِنْهَا؟!

هَذَا مُحَالٌ.

عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَيَوْمِ عَاشُورَاءَ، مُكَفِّرًا لِجَمِيعِ ذُنُوبِ الْعَامِ عَلَى عُمُومِهِ، وَيَكُونُ مِنْ نُصُوصِ الْوَعْدِ(٧)، الَّتِي لَهَا شُرُوطٌ وَمَوَانِعُ، وَيَكُونُ إِصْرَارُهُ عَلَى الْكَبَائِرِ مَانِعًا مِنَ التَّكْفِيرِ.

= **الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»** واللفظ لمسلم.

(١) في (ط): وكاغترار بعضهم بالاعتماد، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) لما ورد في فضلها من الأحاديث، منها: حديث أبي قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»** رواه مسلم في صحيحه [١١٦٢] مطولًا.

(٣) ساقطة من بعض النسخ.

(٤) في (أ، ب، ط): بينهما، والمثبت من بعض النسخ الخطية.

(٥) زيادة من: (ط)، وبعض النسخ الخطية.

(٦) في (ط): يقويان.

(٧) في (أ، ب): الوعيد، وهو خطأ، والمثبت من: بعض النسخ، (ط).

فَإِذَا[(١)] لَمْ يُصِرَّ عَلَى الْكَبَائِرِ تَسَاعد الصَّوْمِ وَعَدَمِ الْإِصْرَارِ، وَتَعَاونَا عَلَى عُمُومِ التَّكْفِيرِ، كَمَا كَانَ رَمَضَانُ وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، مَعَ اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، مُتَسَاعِدَيْنِ مُتَعَاوِنَيْنِ عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ.

مَعَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ قَالَ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

فَعُلِمَ أَنَّ جَعْلَ الشَّيْءِ سَبَبًا لِلتَّكْفِيرِ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَتَسَاعَدَ هُوَ وَسَبَبٌ آخَرُ عَلَى التَّكْفِيرِ، وَيَكُونُ التَّكْفِيرُ مَعَ اجْتِمَاعِ السَّبَبَيْنِ أَقْوَى وَأَتَمَّ مِنْهُ مَعَ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ أَسْبَابُ التَّكْفِيرِ كَانَ أَقْوَى وَأَتَمَّ وَأَشْمَلَ.

وَكَاتِّكَالِ بَعْضِهِمْ عَلَى قَوْلِهِ ﷺ، حَاكِيًا عَنْ رَبِّهِ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ**[(٢)] **عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[(٣)] يَعْنِي مَا كَانَ فِي ظَنِّهِ فَإِنِّي فَاعِلُهُ بِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ حَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّهِ أَنَّهُ[(٤)] يُجَازِيَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَلَا يُخْلِفَ وَعْدَهُ، وَيَقْبَلَ تَوْبَتَهُ.

وَأَمَّا الْمُسِيءُ الْمُصِرُّ عَلَى الْكَبَائِرِ وَالظُّلْمِ وَالْمُخَالَفَاتِ، فَإِنَّ وَحْشَةَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ والإجرام[(٥)] تَمْنَعُهُ[(٦)] مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ.

---

(١) في (أ): وإذا.
(٢) في (أ): حسن ظن، والمثبت من: (ب)، ومصادر التخريج.
(٣) صحيح دون لفظة «حُسْن» المقحمة في بعض النسخ والمطبوعات. رواه ابن المبارك في «الزهد» [٩٠٩]، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، والدارمي [٢٧٣١]، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله [٢]، وابن حبان (٦/ ٣٣)، والحاكم (٤/ ٢٦٨) وغيرهم من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه به، وسنده حسنٌ، ولفظه: «**انا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»، ليس عنده لفظ «حُسْن»، ولم ترد هذه اللفظة في حديث صحيح. وقد رواه البخاري [٥٠٥]، ومسلم [٢٦٧٧] عن أبي هريرة مرفوعًا: «**قال الله: انا عند ظن عبدي بي**». وانظر: («الصحيحة» [١٦٦٣]).
(٤) في (ط): أن.
(٥) في (ط)، وبعض النسخ الخطية: الحرام، والمثبت من: (أ، ب).
(٦) في (أ، ب): يمنعه، والمثبت من: بعض النسخ الخطية، (ط).

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الشَّاهِدِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ الْآبِقَ، المسيء، الْخَارِجَ عَنْ طَاعَةِ سَيِّدِهِ؛ لَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بربه(١).

وَلَا يُجَامِعُ(٢) وَحْشَةَ الْإِسَاءَةِ إِحْسَانُ الظَّنِّ أَبَدًا، فَإِنَّ الْمُسِيءَ مُسْتَوْحِشٌ بِقَدْرِ إِسَاءَتِهِ، وَأَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا بِرَبِّهِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ.

كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ، فَأَسَاءَ الْعَمَلَ»(٣).

وَكَيْفَ يَكُونُ مُحْسِنُ(٤) الظَّنِّ بِرَبِّهِ مَنْ هُوَ شَارِدٌ عَنْهُ، حَالٌّ مُرْتَحِلٌ فِي مَسَاخِطِهِ، وَمَا يُغْضِبُهُ(٥)، مُتَعَرِّضٌ لِلَعْنَتِهِ، قَدْ هَانَ حَقُّهُ وَأَمْرُهُ عَلَيْهِ فَأَضَاعَهُ، وَهَانَ نَهْيُهُ عَلَيْهِ فَارْتَكَبَهُ وَأَصَرَّ عَلَيْهِ؟!

وَكَيْفَ يُحْسِنُ الظَّنَّ به(٦) مَنْ بَارَزَهُ بِالْمُحَارَبَةِ، وَعَادَى أَوْلِيَاءَهُ، وَوَالَى أَعْدَاءَهُ، وَجَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَأَسَاءَ الظَّنَّ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ(٧)، وَظَنَّ بِجَهْلِهِ أَنَّ ظَاهِرَ ذَلِكَ ضَلَالٌ وَكُفْرٌ؟!

وَكَيْفَ يُحْسِنُ الظَّنَّ به(٨) مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَأْمُرُ، وَلَا يَنْهَى، وَلَا يَرْضَى، وَلَا يَغْضَبُ؟!

---

(١) في (ط): به، والمثبت من: (أ، ب). (٢) في (أ): ولا تجامع.

(٣) أثرٌ صحيحٌ: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٥١٩١]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [٢٨٥]، وابن أبي الدنيا في «الوجل» [٢]، والفريابي في «صفة المنافق» [٩٦]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٤) وغيرهم من طرق عن الحسن، وبعض أسانيده صحيح.

(٤) في بعض النسخ الخطية، والمطبوعة: يحسن، والمثبت من: (أ، ب).

(٥) في (ب): يبغضه (٦) في (ب، ط): بربه.

(٧) في (ط): ووصفه به رسوله ﷺ.

(٨) في (ب): بربه، وفي (ط): وكيف يحسن الظن بمن يظن.



وَقَدْ قَالَ تَعَالَى[(١)] فِي حَقِّ مَنْ شَكَّ فِي تَعَلُّقِ سَمْعِهِ بِبَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ، وَهُوَ السِّرُّ مِنَ الْقَوْلِ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

فَهَؤُلَاءِ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا يَعْمَلُونَ، كَانَ هَذَا إِسَاءَةً لِظَنِّهِمْ بِرَبِّهِمْ، فَأَرْدَاهُمْ ذَلِكَ الظَّنُّ.

وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنْ جَحَدَ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتَ جَلَالِهِ، وَوَصَفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَإِذَا ظَنَّ هَذَا أَنَّهُ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ؛ كَانَ هَذَا غُرُورًا، وَخِدَاعًا مِنْ نَفْسِهِ، وَتَسْوِيلًا مِنَ الشَّيْطَانِ، لَا إِحْسَانَ ظَنٍّ[(٢)] بِرَبِّهِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ، وَتَأَمَّلْ شِدَّةَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَيَقُّنُهُ بِأَنَّهُ مُلَاقٍ اللهَ، وَأَنَّ اللهَ يَسْمَعُ كلامه، وَيَرَى مَكَانَهُ، وَيَعْلَمُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَنَّهُ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَسْؤولٌ عَنْ كُلِّ مَا عَمِلَ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَسَاخِطِهِ، مُضَيِّعٌ لِأَوَامِرِهِ، مُعَطِّلٌ لِحُقُوقِهِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا مُحْسِنٌ[(٣)] الظَّنَّ بِهِ؟!

وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ خِدَعِ النُّفُوسِ، وَغُرُورِ الْأَمَانِيِّ؟!

وَقَدْ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ بْنُ[(٤)] سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: «لَوْ رَأَيْتُمَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضٍ لَهُ، وَكَانَتْ عِنْدِي سِتَّةُ دَنَانِيرَ، أَوْ سَبْعَةٌ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُفَرِّقَهَا، قَالَتْ: فَشَغَلَنِي وَجَعُ

---

(١) في (ط): وقد قال الله تعالى.

(٢) في (ب): الظن.

(٣) في (ط): يحسن.

(٤) ساقطة من: (ط).

النبيِّ[(١)] ﷺ حتَّى عَافَاهُ الله، ثُمَّ سَـأَلَنِي عَنْهَا فَقَالَ: مَا فَعَلْتِ؟ أَكُنْتِ فَرَّقْتِ السِّتَّةَ الدَّنَانِـيرَ؟[(٢)] فَقُلْـتُ: لَا، وَالله، لَقَـدْ كان شَـغَلَنِي وَجعُكَ، قَالَتْ: فَدَعَا بِهَـا، فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ، فَقَالَ: «مَا ظَنُّ نَبِيِّ الله، لَوْ لَقِيَ الله وَهَذِهِ عِنْدَهُ؟»، [وَفِي لَفْظٍ: «مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ، لَوْ لَقِيَ الله وَهَذِهِ عِنْدَهُ»[(٣)]][(٤)].

فَيَا لله مَا ظَنُّ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ وَالظَّلَمَةِ بِالله، إِذَا لَقَوْهُ وَمَظَالِمُ الْعِبَادِ عِنْدَهُمْ؟!

فَإِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ قَوْلُهُمْ: «حَسَّـنَّا ظُنُونَنَا بِكَ»، لم يُعَذَّبْ[(٥)] ظَالِمٌ وَلَا فَاسِـقٌ، فَلْيَصْنَعِ الْعَبْدُ مَـا شَـاءَ، وَلِيَرْتَكِبْ كُلَّ مَا نَهَـاهُ الله عَنْهُ، وَلِيُحْسِـنْ ظَنَّهُ بِالله، فَإِنَّ النَّارَ لَا تَـمَسُّـهُ، فَسُبْحَانَ الله! مَا يَبْلُغُ الْغُرُورُ بِالْعَبْدِ.

وَقَدْ[(٦)] قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِقَوْمِهِ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦ - ٨٧]

أَيْ: فما[(٧)] ظَنُّكُمْ به، أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ إِذَا لَقِيتُمُوهُ وَقَدْ عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟!

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ حَقَّ التَّأَمُّلِ: عَلِمَ أَنَّ حُسْـنَ الظَّنِّ بِالله هُوَ حُسْـنُ الْعَمَلِ نَفْسُـهُ، فَـإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَى حُسْـنِ الْعَمَلِ حسـن ظَنِّهِ بِرَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَـهُ عَلَى أَعْمَالِهِ[(٨)]، وَيُثِيبَهُ عَلَيْهَا، وَيَتَقَبَّلَهَا مِنْهُ.

---

(١) في (ب، ط): رسول الله.

(٢) في بعض المطبوعات: الستة دنانير.

(٣) صحيح لغيره: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٠٤)، وابن جرير في «تهذيب الآثار»، «مسند ابن عباس» [٤١٩] وابـن حبان في «صحيحـه» [٣٢١٣]، والبيهقي (٦/ ٣٥٦)، وإسناده حسنٌ، وله طرق وشواهد. انظر: («الصحيحة« [١٠١٤]).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب)، والمثبت من: (ط).

(٥) في (أ، ط): تعذب، والمثبت من: (ب).

(٦) في (أ): وإذ، والمثبت من: (ب، ط).

(٧) في (ط): ما.

(٨) في (أ): بأعماله.

فَالَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْعَمَلِ حُسْنُ الظَّنِّ، فَلَمَا[١] حَسُنَ ظَنُّهُ حَسُنَ عَمَلُهُ، وَإِلَّا فَحُسْنُ الظَّنِّ مَعَ اتِّبَاعِ الْهَوَى عَجْزٌ، كَمَا فِي «التِّرْمِذِيِّ»[٢]، وَ«الْمُسْنَدِ»، مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [أنه قَالَ][٣]: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**»[٤].

وَبِالْجُمْلَةِ فَحُسْنُ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ النَّجَاحِ[٥]، وَأَمَّا مَعَ انْعِقَادِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأَتَّى إِحْسَانُ الظَّنِّ.

فَإِنْ قِيلَ: بَلْ يَتَأَتَّى ذَلِكَ، وَيَكُونُ مُسْتَنَدُ حُسْنِ الظَّنِّ سَعَةَ مَغْفِرَةِ اللهِ، وَرَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَجُودِهِ، وَأَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَأَنَّهُ لَا تَنْفَعُهُ الْعُقُوبَةُ، وَلَا يَضُرُّهُ الْعَفْوُ.

قِيلَ: الْأَمْرُ هَكَذَا، وَاللهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَأَجَلُّ، وَأَكْرَمُ، وَأَجْوَدُ، وَأَرْحَمُ، وَلَكِنْ إِنَّمَا يَضَعُ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ اللَّائِقِ بِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ، وَالْعِزَّةِ، وَالِانْتِقَامِ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ، وَعُقُوبَةِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ.

فَلَوْ كَانَ مُعَوَّلُ حُسْنِ الظَّنِّ عَلَى مُجَرَّدِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛ لَاشْتَرَكَ فِي ذَلِكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَوَلِيُّهُ وَعَدُوُّهُ.

---

(١) في (ط): فكلما، وفي بعض المطبوعات: وكلما، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) في بعض المطبوعات: حديث الترمذي.

(٣) زيادة من بعض النسخ الخطية، وسقطت «أنه» من: (ط).

(٤) ضعيفٌ: رَوَاهُ الطيالسي رقم: [١١٢٢]، والإمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/ ١٢٤)، وَالتِّرْمِذِيّ رقم: [٢٤٥٩]، وابن ماجه رقم: [٤٢٦٠]، والبزار رقم: [٣٤٨٩]، وابن عدي فِي «الكامل» (٢/ ٣٩)، وَالحَاكِم فِي «الْمُسْتَدْرَك» (١/ ١٢٥، ٤/ ٢٨٠)، والبغوي فِي «شرح السنة» رقم: (٤١١٦، ٤١١٧)، وَغَيْرُهُمْ من حديثِ شَدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إِسْنَادِهِ أَبُو بكر بن أبي مريم الغساني ضَعِيفٌ، ومع ذَلِكَ صَحَّحَهُ الحَاكِم، وحسنه التِّرْمِذِيّ والبغوي. («الضعيفة» [٥٣١٩]).

(٥) في (ط): النجاة، والمثبت من: (أ، ب).

فَمَا يَنْفَعُ الْـمُجْرِمَ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، وَقَدْ بَاءَ بِسُخْطِهِ وَغَضَبِهِ، وَتَعَرَّضَ لِلَعْنَتِهِ، وأوضع[(١)] فِي مَحَارِمِهِ، وَانْتَهَكَ حُرُمَاتِهِ؟!

بَلْ حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ وَنَدِمَ وَأَقْلَعَ، وَبَدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ بِالْـخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، ثُمَّ حَسَّنَ الظَّنَّ، فَهَذَا[(٢)] حُسْنُ الظَّنِّ[(٣)]، وَالْأَوَّلُ غُرُورٌ، والله الْـمُسْتَعَانُ.

وَلَا تَسْتَطِلْ هَذَا الْفَصْلَ، فَإِنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ شَدِيدَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَفَرْقٌ[(٤)] بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ بِالله، وَبَيْنَ الْغِرَّةِ[(٥)] بِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فَجَعَلَ هَؤُلَاءِ أَهْلَ الرَّجَاءِ، لَا الْبَطَّالِينَ[(٦)]، وَالْفَاسِقِينَ.

وقَالَ[(٧)] تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٠]. فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ بَعْدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ غَفُورٌ رَحِيمٌ لِـمَنْ فَعَلَهَا.

فَالْعَالِمُ يَضَعُ الرَّجَاءَ مَوَاضِعَهُ، وَالْـجَاهِلُ الْـمُغْتَرُّ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ.

❁❁❁

(١) في بعض المطبوعات: ووقع، والمثبت من: (أ، ب).
(٢) في بعض المطبوعات: فهذا هو.
(٣) في (أ): حسن ظنٍّ.
(٤) في نسخة: وفرق، وفي بعض المطبوعات: يفرق.
(٥) في نسخة خطية، (ط): الغرور.
(٦) في (أ، ب): الظالمين، والمثبت من: بعض النسخ الخطية، (ط).
(٧) في نسخة، وبعض المطبعات: وقد قال.

فَصْلٌ

وَكَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ اعْتَمَدُوا عَلَى رَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، وَضَيَّعُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَنَسُوا أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ، وَأَنَّهُ لَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، وَمَنِ اعْتَمَدَ عَلَى الْعَفْوِ مَعَ الْإِصْرَارِ(١) فَهُوَ كَالْمُعَانِدِ.

وقَالَ(٢) مَعْرُوفٌ: «رَجَاؤُكَ لِرَحْمَةِ مَنْ لَا تُطِيعُهُ مِنَ الْخِذْلَانِ وَالْحُمْقِ»(٣).

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «مَنْ قَطَعَ عُضْوًا مِنْكَ فِي الدُّنْيَا بِسَرِقَةِ ثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، لَا تَأْمَنُ أَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى نَحْوِ هَذَا».

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ: نَرَاكَ طَوِيلَ الْبُكَاءِ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يَطْرَحَنِي فِي النَّارِ وَلَا يُبَالِي»(٤).

وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمْ أَمَانِيُّ الْمَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوْبَةٍ، يَقُولُ أَحَدُهُمْ: لِأَنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي، وَكَذَبَ، لَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لَأَحْسَنَ الْعَمَلَ»(٥)(٦).

---

(١) في (ط): مع الإصرار على الذنب.

(٢) في (أ): قال.

(٣) أثرٌ ضعيفٌ: رواه السلمي في «طبقات الصوفية» ص: [٨٤]، وذكره أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦٧) بلفظ: «**طَلَبُ الْجَنَّةِ بِلا عَمَلٍ ذَنْبٌ مِنَ الذُّنُوبِ، وَانْتِظَارُ الشَّفَاعَةِ بِلا سَبَبٍ نَوْعٌ مِنَ الْغُرُورِ، وَارْتِجَاءُ رَحْمَةِ مَنْ لا يُطَاعُ جَهْلٌ وَحُمْقٌ**» وروي مرفوعًا، رواه أبو نعيم في «معجمه» - كما في «تنزيه الشريعة» (٢/ ٤٠٢) - من طريق أبي هدبة - وهو وضاع كذاب - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أثرٌ حسنٌ: رواه ابن الجوزي في «المنتظم» (٧/ ١٣٧) بسند حسنٍ، عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: «الوجل» رقم: [٢]، بسند رجاله ثقات، لكنه منقطع بين علي بن صالح ابن حي أبي محمد الكوفي والحسن البصري.
ورواه ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٣/ ٣٢٣) بسند واهٍ.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ط).

وَسَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، كَيْفَ نَصْنَعُ بِمُجَالَسَةِ أَقْوَامٍ يُخَوِّفُونَا حَتَّى تَكَادَ قُلُوبُنَا تَطِيرُ؟ فَقَالَ: «وَاللهِ لَأَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُخَوِّفُونَكَ، حَتَّى تُدْرِكَ أَمْنًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ أَقْوَامًا يُؤَمِّنُونَكَ، حَتَّى تَلْحَقَكَ الْمَخَاوِفُ»[(١)].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ [بن حارثة][(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ[(٣)]، فَيَدُورُ فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فيطيف[(٤)] بِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ: مَا أَصَابَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ»**[(٥)].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَقِيعِ فَقَالَ: **«أُفٍّ لَكَ، أُفٍّ لَكَ[(٦)]»**، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي، فقال: **«لَا، وَلَكِنَّ هَذَا قَبْرُ[(٧)] فُلَانٍ، بَعَثْتُهُ سَاعِيًا على[(٨)] آلِ فُلَانٍ، فَغَلَّ نَمِرَةً، فَدُرِّعَ[(٩)] الْآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارٍ»**[(١٠)].

وَفِي «مُسْنَدِهِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ،**

---

(١) أثرٌ صحيحٌ: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٣٠٣]، وابن أبي الدنيا في «الوجل» [٣]، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد على الزهد» لأبيه، ص: [٢٥٩]، وإسناده صحيح.

(٢) زيادة من: (ب).　(٣) أي: تخرج أمعاؤه.　(٤) في (ط): فيطوف.

(٥) البخاري [٣٢٦٧]، ومسلم [٢٩٨٩].

(٦) لم تتكرر «أف لك» في (ط).

(٧) ساقطة من: (أ).　(٨) في نسخة: إلى.　(٩) أي: أُلبِس.

(١٠) حسنٌ لغيره: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٩٢)، والنسائي [٨٦٢]، وابن خزيمة في «صحيحه» [٢٣٣٧]، والروياني [٧٢٥]، والطبراني [٩٦٢]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٤)، والبيهقي في «الشعب» [٤٣٣٣] من طرق عن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث حسن بطرقه. («صحيح الترغيب» [١٣٥٠]).

فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ، قَالُوا(١) **: خُطَبَاءُ**(٢)**، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، [أفلا يعقلون]**(٣)**»**(٤).

وَفِيهِ أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ**(٥) **وُجُوهَهُمْ، وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»(٦).

وَفِيهِ أَيْضًا، عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ**(٧)**، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**(٨)»(٩).

---

(١) في نسخة: فقالوا.

(٢) في (ط): خطباء من أمتك، والمثبت من: (أ، ب)، وموافقة لرواية المسند وغيره، وفي بعض روايات المسند وغيره: «خطباء أمتك من أهل الدنيا».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من بعض النسخ.

(٤) صحيح: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٢٧]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٦٥٧٦]، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٠)، والبخاري في «التاريخ الأوسط» ص: [١٣٠] مختصرًا، وابن أبي داود في «المصاحف» [٣٥٨]، وابن حبان في «صحيحه» [٥٣]، وغيرهم من طرق عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو صحيح. («الصحيحة» [٢٩١]).

(٥) في (ط): يخمشون بها.

(٦) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود [٤٨٧٨]، وابن أبي الدنيا في «الصمت» [٥٧٢]، والطبراني في «الأوسط» [٨]، وفي «مسند الشاميين» [٩٣٢]، والضياء في «المختارة» (٢٢٨٥ – ٢٢٨٦) وغيرهم، وإسناده صحيح. («الصحيحة» [٥٣٣]).

(٧) في (أ): مثبت القلوب، وفي (ط): مقلب القلوب والأبصار.

(٨) في (ط): شاء.

(٩) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٩٢٩٦]، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١١٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٦٨٣]، والترمذي [٢١٤٠]، وابن ماجه [٣٨٣٤]، وأبو يعلى [٣٦٨٧]، والحاكم (١/ ٧٠٧)، والضياء في «المختارة» [٢٢٢٢] وغيرهم، وهو حديث صحيح. («صحيح الأدب المفرد» [٥٢٨]).

وَفِيهِ أَيْضًا، عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ: «**مَا لِي لَمْ أَرَ مِيكَائِيلَ ضَاحِكًا قَطُّ؟**» قَالَ: «**مَا ضَحِكَ مُنْذُ خُلِقَتِ النَّارُ**»(١).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**(٢)»(٣).

وَفِي «الْـمُسْنَدِ»، مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا -، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْـمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ**(٤)**، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ**».

---

(١) حسن لغيره: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤)، وفي «الزهد» ص: [٦٩]، والآجري في «الشريعة» [٣٤٢]، وأبو الشيخ في «العظمة» [٣٨٤]، من طريق إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن حميد بن عبيد عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وسنده ضعيف لأنه من رواية إسماعيل بن عياش عن غير أهل بلده، وحميد مجهول، ولكن رواه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» [٤٠٨] من طريق أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، عن عمه ابن وهب، عن ابن لهيعة ويحيى بن أيوب، عن عمارة ابن غزية، عن حميد سمع أنسًا به، وإسناده حسنٌ. («صحيح الترغيب والترهيب» [٣٦٦٤]).

(٢) في (أ، ب): ما رأيت بؤسًا قط، ولا مر بي شدة قط، والمثبت من: بعض النسخ، (ط)، وصحيح مسلم.

(٣) مسلم [٢٨٠٧].

(٤) في (ط): أكفان أهل الجنة.

«ثُـمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِـهِ، فَيَقُولُ: أَخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، أَخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي(١) السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَـا فِي ذَلِـكَ الْكَفَـنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْـرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْـكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ».

«فَيَصْعَـدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَـلأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هذا الرّوحُ الطَّيِّبُ؟(٢) فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ(٣)، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حتى ينتهوا به إلى السـماء الدنيا، فَيَسْـتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَـيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا، إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ».

«فَيَقُـولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُـوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

«قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ، [في جسـده](٤)، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَـانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْـلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ(٥) رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ».

---

(١) «في السقاء» أي: فم السقاء وهو الإناء الذي يشرب منه.

(٢) في (ط): ما هذه الروح الطيبة.

(٣) في (ط): روح فلان بن فلان.

(٤) ما بين المعقوفين سـاقط من: النسـخ الخطيـة، وفي (ط): فتعاد روحـه إلى الأرض، وهذا مغاير لجميع روايات الحديث، وما ذكرته هو الموافق لرواية الحديث في مصادر التخريج.

(٥) ساقطة من: (ب)، وفي (ط): هو محمد.

«فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأفرِشُوه[١] مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ».

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ».

فَيَقُولُ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ[٢] بِالْخَيْرِ».

فَيَقُولُ: «أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ».

فَيَقُولُ: «رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ[٣]، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ، إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ، سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ».

قَالَ: «فتفرق[٤] فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْتَلِّ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ».

«فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟»[٥].

---

(١) في (ط): فافرشوا له، والمثبت من: (أ، ب).
(٢) في (ط): الذي يجيء.
(٣) في (أ): رب أقم الساعة.
(٤) في (ط): فتغرق!
(٥) في (ط): ما هذه الروح الخبيثة.

فَيَقُولُونَ: «فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ[(١)]، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى[(٢)] بِهَا فِي الدُّنْيَا».

فَيُسْتَفْتَحُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ[(٣)] رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

«فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِه، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ، هَاهْ، لَا أَدْرِي».

«فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ[(٤)] مِنَ النَّارِ، [وألبسوه من النار][(٥)]، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ».

«فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

---

(١) في (ط): روح فلان بن فلان.

(٢) في (ب): كانوا يسمونه، وسقطت «كان» من: (ط).

(٣) في النسخ الخطية: فيطرح، وهو لفظ بعض الروايات، وفي (ط)، والمسند: فتطرح.

(٤) في (ط): فارشوا له من النار، وفي (ب): فأفرشوه النار.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

«وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: وَمَنْ[(١)] أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ[(٢)] بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[(٣)].

وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ أَيْضًا: «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَم، فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ، لَوْ ضَرَبَ بِهَا جَبَلًا كَانَ تُرَابًا، [فيضربه ضربةً فيصير ترابًا][(٤)]، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصِيحُ صَيْحَةً[(٥)]، يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ».

قَالَ [الْبَرَاءُ][(٦)]: «ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، وَيمهد لَهُ مِنْ فُرُش[(٧)] النَّارِ»[(٨)].

وَفِي «الْمُسْنَدِ» أَيْضًا، عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ؟». قِيلَ: عَلَى قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ، فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَاسْتَقْبَلْتُهُ من[(٩)] بَيْنِ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَيْ إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا»[(١٠)].

---

(١) في (ب، ط): من. بدون واو.

(٢) في (ب، ط): الذي يجيء، والمثبت من: (أ)، ولفظ المسند.

(٣) صحيح: رواه الطيالسي [٧٥٣]، وعبد الرزاق في «المصنف» [٦٧٣٧]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [١٢٠٥٩]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥)، وهناد في «الزهد» [٣٣٩]، وأبو داود [٤٧٥٣]، والنسائي في «الكبرى» [٢١٢٨]، وابن خزيمة في «التوحيد» [١٧٦]، والحاكم (١/ ٩٣)، وغيرهم وإسناده صحيح. («صحيح الترغيب» [٣٥٥٨]).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب، ط)، والمثبت من: بعض النسخ الخطية، والمسند.

(٥) في (أ، ب): فيصيح صيحة واحدة، والمثبت من: بعض النسخ الخطية، (ط)، ومصادر التخريج.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ط).

(٧) في (ط): فراش.

(٨) هذا لفظ أحمد في الموضع الثاني، وعبد الرزاق.

(٩) ساقطة من: (ط).

(١٠) حسنٌ: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٣٣١]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٤)، والبخاري =

وَفِي «الْـمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَنَادَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَدْرُونَ[1] مَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ؟**»، فَقَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ: مَثَلُ قَوْمٍ خَافُوا عَدُوًّا يَأْتِيهِمْ[2]، فَبَعَثُوا رَجُلًا يَتَرَاءَى لَهُمْ، فَأَبْصَرَ الْعَدُوَّ، فَأَقْبَلَ لِيُنْذِرَهُمْ، وَخَشِيَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ، فَأَهْوَى بِثَوْبِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ أُتِيتُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ أُتِيتُمْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[3].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ مسكر[4] حَرَامٌ، وَإِنَّ عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا[5] لِمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ**»، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ- أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**»[6].

وَفِي «الْـمُسْنَدِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ[7] تَجْأَرُونَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ**» قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ[8].

= في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٢٨)، وابن ماجه [٤١٩٥]، والروياني [٤٢٢]، والبيهقي (٣/ ٣٦٩)، وغيرهم، وإسناده حسنٌ: الصحيحة: [١٧٥١].

(١) في (ب، ط): أتدرون، والمثبت من: (أ)، والمسند.

(٢) في (أ): بغتة. والمثبت من: (ب، ط)، والمسند.

(٣) حسنٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٨)، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٢٥٣]، والرامهرمزي في «الأمثال» ص: [١٩]، وإسناده حسنٌ.

(٤) في (أ، ب): ما أسكر، ومصححة في (ب): مسكر، وهو الموافق لـ (ط)، ورواية الإمام مسلم.

(٥) في (أ): عقدًا. والمثبت من: (ب، ط)، ورواية مسلم.

(٦) مسلم [٢٠٠٢].

(٧) أي: الطرقات: وهي جمع صعيد، كطريق، وزنا ومعنى. «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٠٧).

(٨) صحيحٌ لغيره: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٣)، والترمذي [٢٣١٢]، وابن ماجه [٤١٩٠]، =

وَفِي «الْـمُسْنَدِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ قَعَدَ عَلَى شَفَتِهِ[(١)]، فَجَعَلَ يُرَدِّدُ بَصَرَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ ضَغْطَةً، تَزُولُ مِنْهَا حَمَائِلُهُ، وَيُمْلَأُ عَلَى الْكَافِرِ نَارًا**»[(٢)].

وَالْـحَمَائِلُ عُرُوقُ الْأُنْثَيَيْنِ[(٣)].

وَفِي «الْـمُسْنَدِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ حِينَ تُوُفِّيَ، فَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَسُوِّيَ عَلَيْهِ، سَبَّحَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَبَّحْنَا طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ، فَكَبَّرْنَا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، لِمَ سَبَّحْتَ، ثُمَّ كَبَّرْتَ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ، حَتَّى فَرَّجَ الله عَنْهُ**»[(٤)].

= والبزار (٣٩٢٤ - ٣٩٢٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٦٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٢٥١]، وابن خزيمة في «التوحيد» [٨٣]، والحاكم (٢/ ٥٥٤)، من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مُوَرِّقٍ عن أبي ذر. وإسناده منقطع، مورق لم يسمع من أبي ذر. وقد رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٦٨٢]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٤) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا. وسنده صحيح، وله حكم الرفع. والحديث صحيح لغيره بشواهده. («الصحيحة» [١٧٢٢]).

(١) في (أ، ب، ط): ساقيه. والمثبت من المسند. وشفته: حافَّتُه.

(٢) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠٧)، وابنه عبد الله في «السنة» [١٤٦٢]، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» [٧١٨]، وتمام في «فوائده» [١٤٨١]، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [١١٥]، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٤٠٦)، وفي إسناده محمد بن جابر: ضعيفٌ، وأبو البختري لم يسمع من حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما يتعلق بضغطة القبر، وامتلاء قبر الكافر نارًا فهو ثابت صحيح في عدة أحاديث، وإنما الإشكال في وصف ضغطة القبر للمؤمن بأنها تزول منها حمائله فهذا لم يصح فيه حديث فيما أعلم.

(٣) كذا قال الأزهري، ويحتمل ان يراد موضع حمائل السيف أي عواتقه وصدره وأضلاعه. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٤٤٢).

(٤) صحيح لغيره: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٨) مختصرًا، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٤١٧٣]، وابن حبان في «صحيحه» [٧٠٣٣]،

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عن[(١)] أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ لَصُعِقَ**»[(٢)].

وَفِي «مُسْنَدِ الإمام[(٣)] أَحْمَدَ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الرُّؤُوسُ، كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ، يَعْرَقُونَ[(٤)] فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ**»[(٥)].

وَفِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَسْمَعُ مَتَى يُؤْمَرُ، فَيَنْفُخُ؟**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: كَيْفَ نَقُولُ؟ قَالَ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**»[(٦)].

= والطبراني [٥٣٤٦]، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» [١١٠]، وغيرهم وإسناده حسن، وهو صحيح بشواهده. «الصحيحة» [٣٣٤٨].

(١) في (ط): من حديث، والمثبت من: (أ، ب). (٢) البخاري [١٣١٤].

(٣) زيادة من: (ط). (٤) في (ب): ويعرقون.

(٥) حسنٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٤)، والطبراني في «الكبير» [٧٧٧٩]، وفي «مسند الشاميين» [١٩٩٣]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ١٠٢)، وإسناده حسنٌ. وحسنه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٤/ ٦٤٤).

(٦) صحيحٌ لغيره: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٩٥٨٧]، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٢٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٥٣٤٧]، والطبراني (١٢/ ٦٧٠)، والحاكم (٤/ ٦٠٣)، وغيرهم من طريق عطية عن ابن عباس. وعطية ضعيفٌ. لكن الحديث صحيحٌ لغيره. انظر: شواهده وطرقه في («الصحيحة» [١٠٧٩]).

وَفِي «الْمُسْنَدِ» أَيْضًا، عَنِ ابْنِ عُمَرَ يَرْفَعُهُ: «مَنْ تَعظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»(١).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُصَوِّرِينَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»(٢).

وَفِيهِمَا أَيْضًا، عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

وَفِيهِمَا أَيْضًا، عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحَ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتٌ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»(٤).

وَفِي «الْمُسْنَدِ» عَنْهُ، قَالَ: «مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ، فِيهَا دِرْهَمٌ حَرَامٌ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً(٥)، مَادَامَ عَلَيْهِ»، ثُمَّ أَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: صُمَّتَا إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُهُ(٦).

---

(١) صحيحٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٤٩]، والحاكم (١/ ١٢٨)، والبيهقي في «الشعب» [٨١٦٧] وغيرهم وإسناده صحيح. («الصحيحة» [٥٤٣]).

(٢) البخاري [٢١٠٥]، ومسلم [٢١٠٨].

(٣) البخاري [١٣٧٩]، ومسلم [٢٨٦٦].

(٤) البخاري [٦٥٤٨]، ومسلم [٢٨٥٠].

(٥) في (أ): لم تقبل له صلاة.

(٦) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٩٨)، وعبد بن حميد [٨٤٩]، وابن أبي الدنيا في «الورع» [١٧٣]، والبيهقي في «الشعب» [٦١١٤]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٢٤٢ - ٢٤٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» [١١٤٠] من طريق بقية بن الوليد، وقد اضطرب فيه، ولا يخلو =

وَفِيهِ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً، فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، فَسُلِبَهَا، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يَسْقِيَهُ من**[1] **طِينَةِ الْخَبَالِ**»، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ**»[2].

وَفِيهِ أَيْضًا، عَنْهُ، مَرْفُوعًا: «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ شربة**[3] **لَمْ يُقْبَلْ**[4] **لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ، [فَإِنْ عَادَ لَمْ يُقْبَلْ**[5] **لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ**

= سنده من مجهول أو واهٍ. («الضعيفة» [٨٤٤]).

وقد رواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٧)، والدارقطني في «غرائب مالك»، والخطيب في الرواة عن مالك - كما في «لسان الميزان» (٢/ ٢٦١)-، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» [١١٣٩] من طريق عبد الله بن أبي علاج عن مالك عن نافع عن ابن عمر به، وابن أبي علاج كذاب يضع الحديث. وله شاهد من حديث علي، رواه البزار [٨١٩]، والشجري في «أماليه» [١٢٨] بلفظ: «**أَلْيَنُهُ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَشَدُّهُ يَا أَخَا الْعَالِيَةِ الأَمَانَةُ، إِنَّهُ لا دِينَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا صَلاةَ لَهُ وَلا زَكَاةَ لَهُ، يَا أَخَا الْعَالِيَةِ، إِنَّهُ مَنْ أَصَابَ مَالا مِنْ حَرَامٍ، فَأَنْفَقَهُ، لَمْ يُؤْجَرْ عَلَيْهِ، وَإِنِ ادَّخَرَهُ، كَانَ زَادُهُ إِلَى النَّارِ، يَا أَخَا الْعَالِيَةِ، إِنَّهُ مَنْ أَصَابَ مَالا مِنْ حَرَامٍ، فَلَبِسَ جِلْبَابًا يَعْنِي قَمِيصًا، لَمْ تُقْبَلْ صَلاتُهُ حَتَّى يُنَحِّيَ ذَلِكَ الْجِلْبَابَ عَنْهُ، إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْرَمُ وَأَجَلُّ يَا أَخَا الْعَالِيَةِ مِنْ أَنْ يَتَقَبَّلَ عَمَلَ رَجُلٍ أَوْ صَلاتَهُ وَعَلَيْهِ جِلْبَابٌ مِنْ حَرَامٍ**»، وفي إسناده النضر بن منصور، وأبو الجنوب وهما ضعيفان، ومن حديث أبي أمامة بلفظ: «**مَنْ صَلَّى فِي ثَوْبٍ فِيهِ سِلْكٌ مِنْ حَرَامٍ لَمْ يَقْبَلِ الله مِنْهُ فِيهِ صَلاةً**»، رواه الشيرازي في «حديث أبي ذوالة وغيره» وإسناده مسلسل بالمجاهيل.

(١) ساقطة من: (ط).

(٢) حسنٌ: رواه ابن وهب في «موطئه» [٧٨]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٩٢٢]، والحاكم (٤/ ١٦٢)، والبيهقي (١/ ٣٨٩)، وغيرهم وإسناده حسنٌ: («الصحيحة» [٣٤١٩]).

(٣) في (أ): من الخمر شربة، وفي (ط): من شرب الخمر مرة.

(٤) في (ط): لم تقبل، وفي بعض المطبوعات: لم يقبل الله

(٥) في نسخة: لم تقبل، وفي (ط): لم يقبل الله.

تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ][(١)]، **فَلَا أَدْرِي فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الرَّابِعَةِ قَالَ: فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدْغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[(٢)].

وَفِي «الْمُسْنَدِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ مَاتَ مُدْمِنًا لِلْخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ مِنْ نَهْرِ الْغُوطَةِ»**، قِيلَ: وَمَا نَهْرُ الْغُوطَةِ؟ قَالَ: **«نَهْرٌ يَجْرِي مِنْ فُرُوجِ الْمُومِسَاتِ، يُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ»**[(٣)].

وَفِيهِ أَيْضًا، عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُعْرَضُ**[(٤)] **النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ**[(٥)] **بِشِمَالِهِ»**[(٦)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب)، والمثبت من: بعض النسخ، (ط).

(٢) صحيحٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦)، والدارمي [٢٠٩١]، وابن ماجه [٣٣٧٧]، والنسائي [٥٦٧٠]، وابن حبان [٥٣٥٧]، وغيرهم، وإسناده صحيح. («صحيح ابن ماجه» [٢٧٢٢].

(٣) حسنٌ: مختلفٌ فيه. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/ ٣٩٩)، وَأَبُو يَعْلَىٰ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٣/ ٢٢٣) رقم: [٧٢٤٨]، وابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» رقم: [٥٣٤٦]، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ» (٤/ ١٤٦)، وَغَيْرُهُمْ من طريق الْمُعْتَمِرُ بن سُلَيْمَانَ قال: قرأت علىٰ الْفُضَيْلِ بن مَيْسَرَةَ عن أبي حَرِيزٍ عبد الله بن الْحُسَيْنِ: أن أَبَا بُرْدَةَ حدثه عن حديث أبي مُوسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ: وقد ضعفه الشيخ الألباني بتمامه في («الضعيفة» [١٤٦٣]).

(٤) في بعض المطبوعات: تعرض، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٥) في (ط): أو آخذ، والمثبت من: (أ، ب)، ومصادر التخريج.

(٦) صحيح موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وله حكم الرفع. رواه وكيع في «الزهد» [٣٦٦]، ووالإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤١٤)، وابن ماجه [٤٢٧٧]، والبزار [٣٠٧٣] من طريق الحسن عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقد روي موقوفًا على أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ورجحه الدارقطني. وسنده ضعيفٌ مرفوعًا وموقوفًا لانقطاعه. («ضعيف الترمذي» [٤٢٦]).

وصح موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه ابن معين في فوائده - الجزء الثاني [١٢٣] عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «يُعْرَضُ النَّاسُ ثَلاثَ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا الأُولَتَانِ فَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَتَطِيرُ الصُّحُفِ بِالأَيْمَانِ» وإسناده صحيح. وله حكم الرفع.

وَفِي «الْمُسْنَدِ» أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»، وَضَرَبَ(١) لَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلًا، «**كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ(٢)، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا**»(٣).

وَفِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ(٤)، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَعَلَى حَافَّتَيْهِ(٥) كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوثَقُ(٦) بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ(٧)، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ(٨) مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْحَمَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى**

---

(١) في (ب): فضرب. (٢) أي وقت طبخ الطعام وصنعه.

(٣) صحيح لغيره: رواه الطيالسي [٤٠٠]، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٢)، وفي «الزهد» ص: [١٤]، وأبو الشيخ في «الأمثال» [٣١٩]، والبيهقي (١٠/ ١٨٧)، وفي «الشعب» [٢٨٥] وفي إسناده عبد ربه ابن يزيد مجهول. وهو صحيح بشواهده عن سهل، وعائشة وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. («صحيح الترغيب» [٢٤٧٠]). وقد صح موقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه معمر في «جامعه» [٢٠٢٧٨]، ومن طريقه: الطبراني [٨٧٩٦]، والبيهقي في «الشعب» [٧٢٦٢] من طريق أبي إسحاق عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَزَلُوا بِأَرْضٍ قَفْرٍ، مَعَهُمْ طَعَامٌ، لا يُصْلِحُهُمْ إِلا النَّارُ، فَتَفَرَّقُوا فَجَعَلَ هَذَا يَجِيءُ بِالرَّوْثَةِ، وَيَجِيءُ هَذَا بِالْعَظْمِ، وَيَجِيءُ هَذَا بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا مِنْ ذَلِكَ مَا أَصْلَحُوا بِهِ طَعَامَهُمْ، فَكَذَلِكَ صَاحِبُ الْمُحَقَّرَاتِ، يَكْذِبُ الْكَذْبَةَ، وَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، وَيَجْمَعُ مِنْ ذَلِكَ مَا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

(٤) في (ط): يجوز. (٥) في (ب): وعلى حافتيه.

(٦) أشار في هامش (ب) أنها في نسخة: الموبق، وكلاهما «الموبق»، و«الموثق» رواية عند البخاري.

(٧) أي الذي تقطعه الكلاليب وتجرحه.

(٨) في بعض المطبوعات: الناس!

النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنِ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا[١]، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءٍ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ، فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»[٢].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ[٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى قُتِلْتُ.

قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنْ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ[٤]: تَعَلَّمْتُ فِيكَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ[٥] الْقُرْآنَ.

فَقَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ، هُوَ عَالِمٌ، [فَقَدْ قِيلَ][٦]، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ[٧]، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا؟، فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ.

---

(١) أي احترقوا، واختلف في ضبطها فقيل: «امْتَحَشُوا»، وقيل: على ما لم يسم فاعله: «امْتُحِشوا».
(٢) البخاري [٦٥٧٣]، ومسلم [١٨٢].
(٣) في (ب): بينهم.
(٤) في (أ): فقال.
(٥) ساقطة من: (أ).
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من بعض المطبوعات الحديثة.
(٧) في بعض المطبوعات الحديثة: وسع الله عليه رزقه. وزيادة «رزقه» لا توجد في المخطوطات، ولا المطبوعات، ولا مصادر التخريج.

قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حتى أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)].

وَفِي لَفْظٍ: «فَهَؤُلَاءِ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ [ابْنَ تَيْمِيَةَ][(٣)] يَقُولُ: كَمَا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ؛ فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ [من الكذابين، وادعى أنه منهم][(٤)]، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَخَيْرُ النَّاسِ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالشُّهَدَاءُ، والمتصدقونَ الْـمُخْلِصُونَ[(٥)]، وَشَرُّ[(٦)] النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فِي مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ؛ فَلْيَأْتِهِ، فَلْيَسْتَحِلَّهَا مِنْهُ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَأُعْطِيَهَا هَذَا، وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ هَذَا، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**[(٧)].

وَفِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٨)]: **«مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»**[(٩)].

---

(١) مسلم [١٩٠٥].

(٢) رواه الترمذي [٢٣٨٢]، وابن خزيمة [٢٤٨٢]، وابن حبان [٤٠٨]، والحاكم (١/ ٥٧٩) بسند صحيح.

(٣) زيادة من: (د، ط).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط)، وبدلها: يوهم أنه منهم.

(٥) في (ط): والصديقون، والمخلصون.

(٦) في بعض المطبوعات الحديثة: فشر.

(٧) البخاري [٢٤٤٩].

(٨) في (ط): عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال.

(٩) مسلم [١٦١٤] بنحوه. وانظر: البخاري (٢٤٥٢ - ٢٤٥٤، ٣١٩٥ - ٣١٩٦)، ومسلم (١٦١١-١٦١٥).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ واحد**[١] **مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»، قَالُوا: وَاللهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةٌ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا قَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»[٢].

وَفِي «الْمُسْنَدِ»، عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُتِلْتَ وحُرِّقْتَ**[٣]**، وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ تُحِلُّ سَخَطَ اللهِ**»[٤].

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرْنَا، فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَنْ يَتَعَامَى عَنْهَا، وَيُرْسِلَ نَفْسَهُ فِي الْمَعَاصِي، وَيَتَعَلَّقَ بحبل[٥] الرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ.

قَالَ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ عَقِيلٍ: «احْذَرْهُ، وَلَا تَغْتَرَّ[٦]، فَإِنَّهُ قَطَعَ الْيَدَ فِي ثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَجَلَدَ الْحَدَّ فِي مِثْلِ رَأْسِ الْإِبْرَةِ مِنَ الْخَمْرِ، وَقَدْ دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ، وَاشْتَعَلَتِ[٧] الشَّمْلَةُ نَارًا عَلَى مَنْ غَلَّهَا، وَقَدْ قُتِلَ شَهِيدًا».

---

(١) ساقطة من: (ط).

(٢) البخاري [٣٢٦٥]، ومسلم [٢٨٤٣].

(٣) في (ط): أو حرقت، والمثبت من: (أ، ب)، ومسند الإمام أحمد.

(٤) حسن لغيره: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٩٢١]، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٨٢)، و«الأوسط» [٧٩٥٦]، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٦) وإسناد الإمام أحمد فيه انقطاع، وهو حسن بشواهده. («صحيح الترغيب» [٥٧٠]).

(٥) في (ط): بحسن، والمثبت من: (أ، ب).

(٦) في (أ): احذروه، ولا تغتروا، وفي (ط): احذره ولا تغتر به.

(٧) في (أ): وأشعل، وفي (ب): واشتعل، والمثبت من: (ط).

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أبو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، يَرْفَعُهُ قَالَ: «**دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ**»، قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ، لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالُوا لَه: قَرِّبْ، وَلَوْ ذُبَابًا، فقرب ذبابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا مِنْ دُونِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1].

وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ يَتَكَلَّمُ بِهَا الْعَبْدُ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

وَرُبَّمَا اتَّكَلَ بَعْضُ الْمُغْتَرِّينَ عَلَى مَا يَرَى مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِهِ[2]، وَيَظُنُّ أَنَّ[3] ذَلِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ لَهُ، وَأَنَّهُ يُعْطِيهِ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، وهذا مِنَ الْغُرُورِ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ غَيْلَانَ، حَدَّثَنَا رِشْدِينُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ حَرْمَلَةَ بْنِ عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ**

---

(١) صحيح موقوفًا: رَوَاهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (١٢/ ٣٥٨)، والإمامُ أحمدُ كِتَابِ «الزُّهْدِ» ص: [١٥]، وَفِي «العِلَلِ» رقم: [١٥٩٦] مُختَصَرًا، وابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٨٦٢) رقم: [١٧٩٦]، وأبو نُعَيْمٍ فِي «حِلْيَةِ الأَوْلِيَاءِ» (١/ ٢٠٣)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» (٥/ ٤٨٥) رقم: [٧٣٤٣]، وَالخَطِيبُ فِي «الكِفَايَةِ» ص: [١٨٥] عَنْ طَارِقِ بنِ شِهَابٍ عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ بِهِ مَوْقُوفًا، وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَمْ أقف عَلَيْهِ مَرْفُوعًا إلا فِيمَا ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ والله أعلم. («الضعيفة» [٥٨٢٩]).

(٢) في (ط)، وبعض الطبعات الحديثة: لا يغير به، وفي (ب): لا يغتر ما به، ولعل الصواب ما أثبته.

(٣) زيادة من بعض النسخ، (ط).

اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]»[(١)].

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُتَابِعُ نِعَمَهُ عليك، وَأَنْتَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ؛ فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ، يَسْتَدْرِجُكَ بِهِ»[(٢)].

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥].

وَقَدْ رَدَّ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنْ يَظُنُّ هَذَا الظَّنَّ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧]

---

(١) صحيحٌ: رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٤/ ١٥٤)، وَفِي «الزُّهْدِ» ص: [١٢]، وابنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الشُّكْرِ» رقم: [٣٢]، وَابنُ عَبْدِ الحَكَمِ فِي «فُتُوحِ مِصْرَ» ص: [٢٩٣]، وابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٧/ ١٩٥)، وَابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤/ ١٢٩٠) رقم: [٧٢٨٨]، (١٠/ ٣٢٨٤) رقم: [١٨٥١٠]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» (١٧/ ٣٣٠)، وَفِي «الأَوْسَطِ» رقم: [٩٢٧٢]، وَالرُّويَانِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٢٦١]، وابنُ قَانِعٍ فِي «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» (٢/ ٢٧٢)، والرافعي في «تاريخ قزوين» (١/ ٢٧٩)، والبيهقي في كتاب: «القضاء والقدر» ص: (٢٤٢ - ٢٤٣) وَغَيْرُهُمْ من طريق ابن لهيعة وحرملة بن عمران التجيبي عَنْ عقبة بن مُسْلِمٍ عَنْ عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ. وإسناده متصل صحيح. («الصحيحة» [٤١٣]).

(٢) أثر صحيحٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» [٧٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٤٤)، والبيهقي في «الشُّعب» [٤٥٣٨]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٦٤) عن أبي حازم سلمة بن دينار الأعرج رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُتَابِعُ نِعَمَهُ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ»، وإسناده صحيح.
وذكره العلامة ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٢٢٢) بلفظ: «إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فإنما هو استدراج فاحذره».

أَيْ: لَيْسَ كُلُّ مَنْ نَعَّمْتُهُ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ؛ أَكُونُ قَدْ أَكْرَمْتُهُ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنِ ابْتَلَيْتُهُ، وَضَيَّقْتُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ؛ أَكُونُ قَدْ أَهَنْتُهُ، بَلْ أَبْتَلِي هَذَا بِالنِّعْمَةِ[(١)]، وَأُكْرِمُ هَذَا بِالِابْتِلَاءِ.

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، عَنْهُ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ»**[(٢)].

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «رُبَّ مُسْتَدْرَجٍ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مَغْرُورٍ بِسَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَرُبَّ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ»[(٣)].



---

(١) في (ط): النعم.

(٢) صحيحٌ موقوفًا، وله حكم الرفع. رواه ابن أبي شيبة في «المسند» [٣٤٤]، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٧)، والعدني في «الإيمان» [٦٤]، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣١٣) مختصرًا، والبزار [٢٠٢٦]، والحاكم (١/ ٨٨)، وغيرهم، ولم أقف عليه عند الترمذي. وفي إسناده الصباح بن محمد ضعيف، وقد رواه الإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٣/ ٧٢٦ - ٧٢٧)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٧١)، وابن الجوزي في «العلل» [١٤٠١] بسند ظاهره الصحة، لكنه معلول بالوقف. ورواه ابن المبارك في «الزهد» [١١٣٤]، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٥٤٥، ٣٤٥٧٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٧٥]، والطبراني [٨٩٩٠]، وغيرهم بسند صحيح عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا. («الصحيحة» [٢٧١٤]).

(٣) أثر ضعيف: رواه عبدالله في «زوائد الزهد» ص: [٢٦٧] عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ» من طريق إبراهيم بن حماد عن الحسن به. وإبراهيم لم أقف له على ترجمة، وإن كان هو إبراهيم بن حماد الزهري، فإنه ضعيف، ولم يدرك الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَصْلٌ

وَأَعْظَمُ الْخَلْقِ غُرُورًا مَنِ اغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَعَاجِلِهَا، فَآثَرَهَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَرَضِيَ بِهَا مِنَ الْآخِرَةِ، حَتَّى يَقُولَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ: «الدُّنْيَا نَقْدٌ، وَالْآخِرَةُ نَسِيئَةٌ، وَالنَّقْدُ أنفعُ مِنَ النَّسِيئَةِ». وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: «ذَرَّةٌ مَنْقُودَةٌ، وَلَا دُرَّةٌ مَوْعُودَةٌ».

وَيَقُولُ آخَرُ مِنْهُمْ: «لَذَّاتُ الدُّنْيَا مُتَيَقَّنَةٌ، وَلَذَّاتُ الْآخِرَةِ مَشْكُوكٌ فِيهَا، وَلَا أَدَعُ الْيَقِينَ لِلشَّكِّ[1]».

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ تَلْبِيسِ الشَّيْطَانِ وَتَسْوِيلِهِ، وَالْبَهَائِمُ الْعُجْمُ أَعْقَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّ الْبَهِيمَةَ إِذَا خَافَتْ مَضَرَّةَ شَيْءٍ لَمْ تُقْدِمْ عَلَيْهِ وَلَوْ ضُرِبَتْ، وَهَؤُلَاءِ يُقْدِمُ أَحَدُهُمْ عَلَى عَطَبِهِ، وَهُوَ بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ.

فَهَذَا الضَّرْبُ إِنْ آمَنَ أَحَدُهُمْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَالْجَزَاءِ؛ فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ حَسْرَةً، لِأَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى عِلْمٍ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَأَبْعَدُ لَهُ.

وَقَوْلُ هَذَا الْقَائِلِ: «النَّقْدُ خَيْرٌ مِنَ النَّسِيئَةِ».

فَجَوَابُهُ: أَنَّهُ إِذَا تَسَاوَى النَّقْدُ وَالنَّسِيئَةُ فَالنَّقْدُ خَيْرٌ، وَإِنْ تَفَاوَتَا وَكَانَتِ النَّسِيئَةُ أَكْثَرُ وَأَفْضَلَ فَهِيَ خَيْرٌ، فَكَيْفَ وَالدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا كَنَفَسٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْفَاسِ الْآخِرَةِ؟

كَمَا فِي مُسْنَدِ الإمام[2] أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ، مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَمَا يُدْخِلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ»**[3].

---

(١) أشار في هامش (ب) أنها في نسخة: بالشك، وكذا في: (ط).

(٢) زيادة من: (ط).

(٣) رواه مسلم [٢٨٦٠]، وأحمد (٤/ ٢٢٨)، والترمذي [٢٣٢٣]، وابن ماجه [٤١٠٨]، وغيرهم.

فَإِيثَارُ هَذَا النَّقْدِ عَلَى هَذِهِ النَّسِيئَةِ، مِنْ أَعْظَمِ الْغَبْنِ، وَأَقْبَحِ الْجَهْلِ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا نِسْبَةَ الدُّنْيَا بِمَجْمُوعِهَا إِلَى الْآخِرَةِ، فَمَا مِقْدَارُ عُمُرِ الْإِنْسَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآخِرَةِ؟!

فَأَيُّمَا أَوْلَى بِالْعَاقِلِ: إِيثَارُ الْعَاجِلِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ، وَحِرْمَانُ الْخَيْرِ الدَّائِمِ فِي الْآخِرَةِ، أَمْ تَرْكُ شَيْءٍ حَقِيرٍ صَغِيرٍ مُنْقَطِعٍ عَنْ قُرْبٍ، لِيَأْخُذَ مَا لَا قِيمَةَ لَهُ، وَلَا خَطَرَ لَهُ، وَلَا نِهَايَةَ لِعَدَدِهِ، وَلَا غَايَةَ لِأَمَدِهِ؟!

وَأَمَّا قَوْلُ الْآخَرِ: «لَا أَتْرُكُ مُتَيَقَّنًا لِمَشْكُوكٍ فِيهِ».

فَيُقَالُ لَهُ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَى شَكٍّ مِنْ وَعْدِ اللهِ وَوَعِيدِهِ وَصِدْقِ رُسُلِهِ، أَوْ تَكُونَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ كُنْتَ عَلَى الْيَقِينِ: فَمَا تَرَكْتَ إِلَّا ذَرَّةً عَاجِلَةً مُنْقَطِعَةً فَانِيَةً عَنْ قُرْبٍ، لِأَمْرٍ مُتَيَقَّنٍ، لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لَهُ.

وَإِنْ كُنْتَ عَلَى شَكٍّ: فَرَاجِعْ آيَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى الدَّالَّةَ عَلَى وُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ اللهِ[1]، وَتَجَرَّدْ، وَقُمْ للهِ نَاظِرًا أَوْ مُنَاظِرًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنِ اللهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَنَّ خَالِقَ هَذَا الْعَالَمِ، وَرَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَتَعَالَى وَيَتَقَدَّسُ وَيَتَنَزَّهُ عَنْ خِلَافِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ.

وَمَنْ نَسَبَهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ شَتَمَهُ، وَكَذَّبَهُ، وَأَنْكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ وَمُلْكَهُ، إِذْ مِنَ الْمُحَالِ الْمُمْتَنِعِ عِنْدَ كُلِّ ذِي فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ؛ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ الْحَقُّ عَاجِزًا أَوْ جَاهِلًا، لَا يَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَأْمُرُ، وَلَا يَنْهَى، وَلَا يُثِيبُ، وَلَا يُعَاقِبُ،

---

(١) في (أ): عنه. والمثبتن من: (ب، ط).

وَلَا يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَلَا يُرْسِلُ رُسُلَهُ إِلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ وَنَوَاحِيهَا، وَلَا يَعْتَنِي بِأَحْوَالِ رَعِيَّتِهِ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ سُدًى وَيُخَلِّيهِمْ هَمَلًا، وَهَذَا يَقْدَحُ فِي مُلْكِ آحَادِ مُلُوكِ الْبَشَرِ، وَلَا يَلِيقُ بِهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ نِسْبَةُ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ إِلَيْهِ؟

وَإِذَا[١] تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ حَالَهُ مِنْ مَبْدَأِ كَوْنِهِ نُطْفَةً إِلَى حِينِ كَمَالِهِ وَاسْتِوَائِهِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَنْ عُنِيَ بِهِ هَذِهِ الْعِنَايَةَ، وَنَقَلَهُ فِي[٢] هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَصَرَّفَهُ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ، لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُهْمِلَهُ وَيَتْرُكَهُ سُدًى، لَا يَأْمُرُهُ، وَلَا يَنْهَاهُ، وَلَا يُعَرِّفُهُ حُقُوقَهُ عَلَيْهِ، وَلَا يُثِيبُهُ، وَلَا يُعَاقِبُهُ.

وَلَوْ تَأَمَّلَ الْعَبْدُ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَكَانَ كُلُّ مَا يُبْصِرُهُ[٣]، وَمَا لَا يُبْصِرُهُ: دَلِيلًا لَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا وَجْهَ الِاسْتِدْلَالِ[٤] بِذَلِكَ فِي كِتَابِ «أَيْمَانِ الْقُرْآنِ»، عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٠][٥].

وَذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ دَلِيلُ بِنَفْسِهِ[٦] عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ، وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ كَمَالِهِ[٧].

فَقَدْ بَانَ أَنَّ الْمُضَيِّعَ مَغْرُورٌ عَلَى التَّقْدِيرَيْنِ: تَقْدِيرِ تَصْدِيقِهِ وَيَقِينِهِ، وَتَقْدِيرِ تَكْذِيبِهِ وَشَكِّهِ.

---

(١) في (ب): فإذا.

(٢) في (ط ١): إلى.

(٣) في (ب): ما أبصَرَهُ.

(٤) في (ب): الإشكال، وذكر في الهامش أنها في نسخة: الاستدلال.

(٥) «التبيان في أقسام القرآن» ص: [١٠٩].

(٦) في (أ): نفسه، وفي (ط ١): لنفسه، وساقطة من: (ط).

(٧) «التبيان في أقسام القرآن» ص: (١٩٠، ٢٠٤ - ٢٦٨).

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَجْتَمِعُ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِالْمَعَادِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَخَلُّفُ[١] الْعَمَلُ؟ وَهَلْ فِي الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ غَدًا إِلَى بَيْنِ يَدَيْ بَعْضِ الْمُلُوكِ لِيُعَاقِبَهُ أَشَدَّ عُقُوبَةٍ، أَوْ يُكْرِمَهُ أَتَمَّ كَرَامَةٍ، وَيَبِيتُ سَاهِيًا غَافِلًا، وَلَا يَذْكُرُ[٢] مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ، وَلَا يَأْخُذُ لَهُ أُهْبَتَهُ.

قِيلَ: هَذَا - لَعَمْرُ اللهِ - سُؤَالٌ صَحِيحٌ، وَارِدٌ عَلَى أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ، وَاجْتِمَاعُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ.

وَهَذَا التَّخَلُّفُ لَهُ عِدَّةُ أَسْبَابٍ:

أَحَدُهَا- ضَعْفُ الْعِلْمِ، وَنُقْصَانُ الْيَقِينِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَتَفَاوَتُ، فَقَوْلُهُ مِنْ أَفْسَدِ الْأَقْوَالِ وَأَبْطَلِهَا.

وَقَدْ سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى عِيَانًا بَعْدَ عِلْمِهِ بِقُدْرَةِ الرَّبِّ عَلَى ذَلِكَ، لِيَزْدَادَ طُمَأْنِينَةً، وَيَصِيرَ الْمَعْلُومُ غَيْبًا شَهَادَةً.

وَقَدْ رَوَى أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«لَيْسَ المخبر كَالْمُعَايِنِ[٣]»**[٤].

---

(١) في (أ، ط، ط ١): ويتخلف، والمثبت من: (ب).

(٢) في (ط، ط ١): لا يتذكر، والمثبت من: (أ، ب).

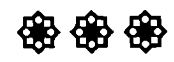
(٣) في بعض النسخ الخطية، (ط١): «ليس الخبر كالمعاينة». والمثبت من: (أ، ب، ط)، والحديث باللفظ الذي في (ط١) رواه: الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥)، وابن حبان [٦٢١٣]، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٧٦٦]، والحاكم (٢/ ٣٥١) وغيرهم، وإسناده صحيحٌ. («التعليق على مشكاة المصابيح» [٥٧٣٨]).

(٤) صحيحٌ: رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٩١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٠٠)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٥/ ٢٠٢) رقم: [١٨٢٧] من طريق محمد بن محمد بن مرزوق، ثنا الأنصاري، ثنا أبي، عن ثمامة، عن أنس رضي الله عنه به. وإسناده حسنٌ، وهو صحيح بهذا اللفظ، له شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، بسند صحيح عند البزار (١٨٦ - كشف الأستار)، وابن =

فَإِذَا اجْتَمَعَ إِلَى ضَعْفِ الْعِلْمِ عَدَمُ اسْتِحْضَارِهِ، وَغَيْبَتُهُ عَنِ الْقَلْبِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوْقَاتِهِ أَوْ أَكْثَرِهَا، لِاشْتِغَالِهِ بِمَا يُضَادُّهُ، وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ تَقَاضِي الطَّبْعِ[1]، وَغَلَبَاتُ الْهَوَى، وَاسْتِيلَاءُ الشَّهْوَةِ، وَتَسْوِيلُ النَّفْسِ، وَغُرُورُ الشَّيْطَانِ، وَاسْتِبْطَاءُ الْوَعْدِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَرَقْدَةُ الْغَفْلَةِ، وَحُبُّ الْعَاجِلَةِ، وَرُخَصُ التَّأْوِيلِ، وَإِلْفُ الْعَوَائِدِ: فَهُنَاكَ لَا يُمْسِكُ الْإِيمَانَ إِلَّا الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا.

وَلِهَذَا السَّبَبِ يَتَفَاوَتُ [النَّاسُ فِي الْإِيمَانِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي][2] الْقَلْبِ.

وَجَمِيعُ[3] هَذِهِ الْأَسْبَابِ تَرْجِعُ[4] إِلَى ضَعْفِ الْبَصِيرَةِ وَالصَّبْرِ[5]، وَلِهَذَا مَدَحَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلَ الصَّبْرِ[6] وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةَ الدِّينِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].



= حبان [٦٢١٤]، والحاكم (٢/ ٤١٢/ ٧)، وغيرهم («التعليق على صحيح ابن حبان» [٦١٨١]).

(١) في (ب): أو يضم ذلك إلى تقاضي الطبع.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٣) في (أ): جمع، وفي (ط، ط ١): وجماع، والمثبت من: (ب).

(٤) في (ط، ط١): يرجع، والمثبت من: (أ، ب).

(٥) في (أ، ب): البصر، وفي نسخة: التصبر، وفي هامش (ب): لعله: واليقين. والمثبت من: (ط، ط١).

(٦) في (أ، ب): البصيرة، والمثبت من: (ط، ط١).



فَصْلٌ

فَقَدْ[١] تَبَيَّنَ الْفَرْقُ بَيْنَ حُسْنِ الظَّنِّ وَالْغُرُورِ، وَأَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ إِنْ حَمَلَ عَلَى الْعَمَلِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَسَاقَ إِلَيْهِ؛ فَهُوَ صَحِيحٌ.

وَإِنْ دَعَا إِلَى الْبِطَالَةِ وَالِانْهِمَاكِ فِي الْمَعَاصِي؛ فَهُوَ غُرُورٌ.

وَحُسْنُ الظَّنِّ هُوَ الرَّجَاءُ: فَمَنْ كَانَ رَجَاؤُهُ حادِيًا[٢] لَهُ إِلَى[٣] الطَّاعَةِ، زَاجِرًا لَهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ[٤]، فَهُوَ رَجَاءٌ صَحِيحٌ.

وَمَنْ كَانَتْ بِطَالَتُهُ رَجَاءً، وَرَجَاؤُهُ بِطَالَةً وَتَفْرِيطًا؛ فَهُوَ الْمَغْرُورُ.

وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ[٥] لَهُ أَرْضٌ يُؤَمِّلُ أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِ مِنْ مغلّها مَا يَنْفَعُهُ فَأَهْمَلَهَا، وَلَمْ يَبْذُرْهَا، وَلَمْ يَحْرُثْهَا، وَحَسَّنَ[٦] ظَنَّهُ بِأَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مغلها مَا يَأْتِي مِنْ غَيْرِ[٧] حَرْثٍ، وَبَذْرٍ، وَسَقْيٍ، وَتَعَاهُدِ الْأَرْضِ؛ لَعَدَّهُ النَّاسُ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ.

وَكَذَلِكَ لَوْ حَسَّنَ ظَنَّهُ وَقَوِيَ رَجَاؤُهُ، بِأَنْ يَجِيئَهُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ، أَوْ يَصِيرَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ الْعِلْمِ[٨]، وَحِرْصٍ تَامٍّ عَلَيْهِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ[٩] مَنْ حَسَّنَ ظَنَّهُ وَقَوِيَ رَجَاؤُهُ فِي الْفَوْزِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ

---

(١) في (أ): قد.

(٢) في (ب): حاذيًا، وفي (ط): هاديًا.

(٣) في (ب، ط١): على، وأشار في هامش (ب) أنها: إلى.

(٤) في (ب): المعاصي، وأشار في الهامش أنها: المعصية.

(٥) ساقطة من: (ط ١).

(٦) في (ط١): وأحسن.

(٧) ساقطة من: (أ، ط، ط١)، والمثبت من: (ب).

(٨) في بعض النسخ: للعلم، والمثبت من: (ب)، وغير واضحة في (أ).

(٩) في (ط، ط ١): فكذلك، والمثبت من: (أ، ب).

الْـمُقِيـمِ، مِنْ غَيْرِ طَاعَـةٍ، وَلَا تَقَـرُّبٍ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَـابِ[١] نَوَاهِيهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ[٢]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ﴾ [البَقَرَة: ٢١٨].

فَتَأَمَّلْ[٣] كَيْفَ جَعَلَ رَجَاءَهُمْ بِإِتْيَانِهِمْ[٤] بِهَذِهِ الطَّاعَاتِ؟

وَقَالَ الْـمُغْتَرُّونَ: إِنَّ الْـمُفَرِّطِينَ الْـمُضَيِّعِينَ حُقُوقَ[٥] اللهِ الْـمُعَطِّلِينَ لِأَوَامِرِهِ، الْبَاغِينَ عَلَى عِبَادِهِ، الْـمُتَجَرِّئِينَ عَلَى مَحَارِمِهِ؛ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الرَّجَاءَ وَحُسْنَ الظَّنِّ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِتْيَانِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا حِكْمَةُ اللهِ فِي شَرْعِهِ، وَقَدَرِهِ، وَثَوَابِهِ، وَكَرَامَتِهِ، فَيَأْتِي الْعَبْدُ بِهَا ثُمَّ يُحْسِنُ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ، وَيَرْجُوهُ[٦] أَنْ لَا يَكِلَهُ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مُوصِلَةً إِلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَيَصْرِفَ مَا يُعَارِضُهَا وَيُبْطِلَ أَثَرَهَا.



---

(١) في (ب): أو اجتناب.

(٢) في (أ): وقد قال تَعَالَىٰ، والمثبت من: (ب).

(٣) في (أ): فانظر.

(٤) في (أ، ط): إتيانهم، والمثبت من: (ب).

(٥) في (ط): لحقوق، والمثبت من: (أ، ب).

(٦) في (ب): ويرجوا.

فَصْلٌ

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَنْ رَجَا شَيْئًا اسْتَلْزَمَ رَجَاؤُهُ أُمُورًا(١):

أَحَدُهَا- مَحَبَّةُ(٢) مَا يَرْجُوهُ.

الثَّانِي- خَوْفُهُ مِنْ فَوَاتِهِ.

الثَّالِثُ- سَعْيُهُ فِي تَحْصِيلِهِ بِحَسْبِ الْإِمْكَانِ.

وَأَمَّا رَجَاءٌ لَا يُقَارِنُهُ(٣) شَيْءٌ(٤) مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْأَمَانِيِّ، وَالرَّجَاءُ شَيْءٌ وَالْأَمَانِيُّ شَيْءٌ آخَرُ، فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَالسَّائِرُ عَلَى الطَّرِيقِ إِذَا خَافَ أَسْرَعَ السَّيْرَ مَخَافَةَ الْفَوَاتِ.

وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله الْجَنَّةُ»**(٥).

وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا جَعَلَ الرَّجَاءَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَكَذَلِكَ جَعَلَ الْخَوْفَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ السيئة(٦)، فَعُلِمَ أَنَّ الرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ النَّافِعَ هو مَا اقْتَرَنَ بِهِ الْعَمَلُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

---

(١) في (ط): ثلاثة أمور.

(٢) في (ب): حبه.

(٣) في (أ): لا يقاربه.

(٤) في (ب): شيء آخر.

(٥) حسنٌ لغيره: رواه عبد بن حميد [١٤٦٠]، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١١١)، والترمذي [٢٤٥٠]، والحاكم (٤/ ٣٤٣)، وغيرهم وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن سنان، ولكنه حسن بشاهده. «الصحيحة» (٩٥٤، ٢٣٣٥).

(٦) ساقطة من: (ط ١)، وفي (ط): الصالحة! وهو غلط، وغير واضحة في (أ)، والمثبت من: (ب).

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقُلْتُ(١): أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَيَزْنُونَ، وَيَسْرِقُونَ، فَقَالَ(٢): «**لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَخَافُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**». وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا(٣).

واللهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ أَهْلَ السَّعَادَةِ بِالْإِحْسَانِ مَعَ الْخَوْفِ، وَوَصَفَ الْأَشْقِيَاءَ بِالْإِسَاءَةِ مَعَ الْأَمْنِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَمَلِ مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ، وَنَحْنُ جَمَعْنَا بَيْنَ التَّقْصِيرِ، بَلِ التَّفْرِيطِ(٤) وَالْأَمْنِ، فَهَذَا الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَنِّي شَعْرَةٌ فِي جَنْبِ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ»، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ عَنْهُ(٥).

وَذَكَرَ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَمْسِكُ بِلِسَانِهِ، وَيَقُولُ: «هَذَا الَّذِي(٦) أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ»(٧).

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (ب): قال.

(٣) صحيحٌ: رواه الحميدي [٢٧٥]، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩)، والترمذي [٣١٧٥]، وابن ماجه [٤١٩٨]، وأبو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِه» رقم: [٤٩١٧]، وابنُ جرِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨/ ٣٣)، وابنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تفسِيرِه»، وابنُ المُنْذِرِ - كَمَا فِي «الدُّرِّ المَنْثُورِ» (٦/ ١٠٥) - وَالحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ» (٢/ ٣٩٣)، والبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» رقم: [٧٦٢]، وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَعِيدٍ عَنْ عَائِشَةَ وَهُوَ لَمْ يُدْرِكْهَا، وَلَكِنْ رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (١٨/ ٣٣)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الأَوْسَطِ» رقم: [٣٩٦٥]، وَغَيْرُهُمَا مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ، فَعُرِفَتِ الوَاسِطَةُ، وَصَحَّ الحَدِيثُ، وَالحَمْدُ لله. وَهَذَا هُوَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ صَنِيعُ التِّرْمِذِيِّ، وإِنْ كَانَ الدَّارَقُطْنِيُّ ذَكَرَ أَنَّ المُنْقَطِعَ هُوَ المَحْفُوظُ كَمَا فِي «العلل» (١١/ ١٩٣)، وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، فَالحَدِيثُ صَحِيحٌ. واللهُ أَعْلَمُ. («الصحيحة» [١٦٢]).

(٤) في (ب): بالتفريط. (٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٠٨] وإسناده منقطع.

(٦) ساقطة من: (أ، ط ١)، والمثبت من: (ب، ط).

(٧) أثر صحيحٌ: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٣٦٩]، والإمام مالك في «الموطأ» [١٧٨٨]، والإمام أحمد =

وَكَانَ يَبْكِي كَثِيرًا، وَيَقُولُ: «**ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا**»(١).

وَكَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ عُودٌ مِنْ خَشْيَةِ الله عَزَّوَجَلَّ(٢).

وَأُتِيَ بِطَائِرٍ فَقَلَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا صِيدَ مِنْ صَيْدٍ، وَلَا قُطِعَتْ مِنْ شَجَرَةٍ، إِلَّا بِمَا ضَيَّعَتْ مِنَ التَّسْبِيحِ»(٣).

وَلَـمَّا احْتُضِرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِعَائِشَةَ: يَا بُنَيَّةُ، إِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْعَبَاءَةَ، وهذا الْحِلَابَ، وَهَذَا الْعَبْدَ، فَأَسْرِعِي بِهِ إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ(٤).

وَقَالَ: «وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ(٥) هَذِهِ الشَّجَرَةَ، تُؤْكَلُ، وَتُعْضَدُ»(٦).

وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: «وددت أني خَضِرَةٌ تَأْكُلُنِي الدَّوَابُّ»(٧).

= في «الزهد» ص: [١٠٩]، وهناد في «الزهد» [١٠٩٣]، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٨ - ١٩)، وإسناده صحيح.

(١) أثر صحيحٌ: رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٠٨] وإسناده صحيحٌ.

(٢) رواه عبدالرزاق في «المصنف» [٣٣٠٢]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٧٢٤٥]، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده على «فضائل الصحابة» لأبيه [٢٣٠]، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [١٤٤]، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (١/ ٢٠١) وغيرهم من طريق مجاهد عن أبي بكر. وإسناده منقطع.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٤٤١]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١١٠]، وأبو الشيخ في «العظمة» [١٠٩٥] من طريق ميمون بن مهران عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده منقطع.

(٤) أثرٌ صحيحٌ: رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١١١]، وأبو نعيم في «فضائل الخلفاء الراشدين» [١٩٩]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤٣٠) وإسناده صحيح.

(٥) ساقطة من: (أ، ب)، والمثبت من: (ط، ط ١).

(٦) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١١٢]، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» [١٠]، من طريق الحسن عن أبي بكر. وإسناده منقطع.

(٧) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٩٨)، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١١٢]، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» [١١]، وغيرهم من طريق قتادة عن أبي بكر. وإسناده منقطع.

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ[(١)] حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور: ٧]. بَكَى[(٢)] وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ حَتَّى مَرِضَ وَعَادُوهُ[(٣)].

وَقَالَ لِابْنِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ: وَيْحَكَ ضَعْ خَدِّي عَلَى الْأَرْضِ عَسَاهُ أَنْ يَرْحَمَنِي، ثُمَّ قَالَ: وَيْلُ أُمِّي، إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي[(٤)] - ثَلَاثًا -، ثُمَّ قُضِيَ[(٥)].

وَكَانَ يَمُرُّ بِالْآيَةِ فِي وِرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَتخنقهُ [الْعَبْرَةُ][(٦)]، فَيَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَيَّامًا يُعَادُ، يَحْسَبُونَهُ مَرِيضًا[(٧)].

---

(١) في (أ، ب): سورةً، ولم يذكر فيهما الطور، وفي هامش (ب): لعله: سورة الطور.

(٢) في (ط ١): فبكى، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٣) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» [١٤٢] عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨]، قَالَ: فَرَبَا لَهَا رَبْوَةً عِيدَ مِنْهَا عِشْرِينَ يَوْمًا»، وإسناده منقطع.

وروى ابن أبي الدنيا - كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٤١) -، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٠٨) من طريق صَالِحٍ الْمُرِّيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ زَيْدٍ العبدي، أَنَّ عُمَرَ خَرَجَ يَعِسُّ بِالْمَدِينَةِ لَيْلَةً، وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَمَرَّ بِدَارِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَوَافَقَهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَوَقَفَ يَسْمَعُ لِقِرَاءَتِهِ، فَقَرَأَ: وَالطُّورِ، حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨]، فَقَالَ عُمَرُ: «قَسَمٌ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ حَقٌّ، امْضِ لِحَاجَتِكَ»، فَاسْتَنَدَ إِلَى حَائِطٍ، فَمَكَثَ مَلِيًّا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: امْضِ لِحَاجَتِكَ، فَقَالَ: «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ اللَّيْلَةَ إِذْ سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُ»، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَمَرِضَ شَهْرًا يَعُودُهُ النَّاسُ لا يَدْرُونَ مَا مَرَضُهُ» وصالح المري ضعيفٌ.

(٤) في (ط، ط ١): إن لم يغفر لي، والمثبت من: (أ، ب)، ومصادر التخريج.

(٥) أثر صحيحٌ: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٠)، وأبو داود في «الزهد» [٤٦]، وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١٥٧٥ - ١٥٧٨)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» [٤٢]، وأبو العرب التميمي في «المحن» ص: [٧٧]، وابن زبر في «وصايا العلماء عند حضور الموت» [١٩]، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٤/ ٤٤٤)، من طرق عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو صحيح.

(٦) في (ب): فيخنقه، وفي (أ، ط ١): فتخنقه، وفي (ط): فتخيفه، وليس في جميعها «العبرة»، والمثبت من: بعض النسخ الخطية، ومصادر التخريج.

(٧) رَوَاهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المصنّف» رقم: [٣٤٤٥٧]، وأَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ» رقم: [١١٩]، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي =

وَكَانَ فِي وَجْهِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ[(١)].

وَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَصَّرَ اللهُ بِكَ الْأَمْصَارَ، وَفَتَحَ بِكَ الْفُتُوحَ، وَفَعَلَ وفَعَلَ، فَقَالَ: «وَدِدْتُ أَنِّي أَنْجُو؛ لَا أَجْرَ، وَلَا وِزْرَ»[(٢)].

وَهَذَا عُثْمَانُ [بْنُ عَفَّانَ] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[(٣)] كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ[(٤)].

وَقَالَ: «لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِما[(٥)] يُؤْمَرُ بِي، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ»[(٦)].

= «الحِلْيَةِ» (١/ ٥١) عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ: «كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمُرُّ بالآيَةِ فِي وِرْدِهِ، فَتَخْنُقُهُ العَبْرَةُ حتَّى يَسْقُطَ ثُمَّ يَلْزَمُ بَيْتَهُ، حتَّى يُعَادَ يَحْسَبُونَهُ مَرِيضًا» وَالحَسَنُ لَمْ يُدْرِكْ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ فَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ.

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٢١]، و«فضائل الصحابة» [٣١٨]، وابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» [٢٠٩]، والفاكهي في «أخبار مكة» [١٥٨٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥١)، من طريق عبد الله بن عيسى عن عمر. وإسناده منقطع.

(٢) أثر صحيحٌ: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٥١)، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٢٤]، وابن شبة في «تاريخ المدينة» [١٥٦٦]، وأبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» [٧٦]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٤/ ٤٢٣) وإسناده صحيح.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٤) أثرٌ حسنٌ: رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٢٢٩)، والترمذي [٢٣٠٨]، وابن ماجه [٤٢٦٧]، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده» على «المسند» (١/ ٦٣)، وفي «زوائده على فضائل الصحابة» [٧٧٣]، وفي «السنة» [١٤٢٥]، والحاكم (٤/ ٣٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦١)، وغيرهم، ولفظه: كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»** وإسناده حسنٌ.

(٥) في (ط ١): أيهما، والمثبت من: (أ، ب، ط). وكذلك في الموضع الثاني من الأثر.

(٦) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٢٩]، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» [٧٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦٠) عن عبد الله بن عبد الرحمن الرومي عن عثمان. وإسناده منقطع.

وَهَـذَا عَلِيُّ بْـنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبُكَاؤُهُ وَخَوْفُهُ، وَكَانَ يَشْـتَدُّ خَوْفُهُ مِنِ اثْنَيْنِ[(١)]: مِـنْ[(٢)] طُولِ الْأَمَـلِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، قَالَ: «فَأَمَّا[(٣)] طُولُ الْأَمَـلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ[(٤)] وَلَّتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةَ مُقْبِلَةٌ[(٥)]، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ منهـما بَنُـونٌ[(٦)]، فَكُونُوا مِـنْ أَبْنَاءِ الْآخِـرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَـاءِ الدُّنْيَا، فَـإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»[(٧)].

وَهَـذَا أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ[(٨)] يَقُولُ: «إِنَّ أَشَـدَّ مَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لِي: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَدْ عَلِمْتَ، فَكَيْفَ عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟»[(٩)].

وَكَانَ يَقُولُ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَنْتُمْ لَاقُونَ بَعْدَ الْـمَوْتِ لَـمَا أَكَلْتُمْ طَعَامًا عَلَى شَـهْوَةٍ، وَلَا شَرِبْتُـمْ شَرَابًا عَلَى شَـهْوَةٍ، وَلَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا[(١٠)] تَسْـتَظِلُّونَ فِيـهِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصَّعِيدِ تَضْرِبُونَ صُدُورَكُمْ، وَتَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ ثُمَّ تُؤْكَلُ[(١١)]»[(١٢)].

---

(١) في (ط، ط ١): اثنتين، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) ساقطة من: (ط، ط ١)، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ب) فأما.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ب): قد أتت مقبلة.

(٦) في (ط): ولكل واحد بنون.

(٧) أثـر صحيـح: علَّقـه البخـاري في «صحيحـه» (٢٢/ ٥٨) مختصرًا، ورواه موصولًا: الإمـام أحمد في «الزهـد» ص: [١٣٠]، وفي «فضائـل الصحابـة» [٨٨١]، وابـن أبي الدنيا في «قـصر الأمل» [٤٩]، وأبـو نعيـم في «الحليـة» (١/ ٧٦)، والبيهقـي في «الشـعب» (١٠٦١٣، ١٠٦١٤) مطولًا ومختصرًا، والبيهقي في «الزهد الكبير» [٤٦٣] من طرق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعض أسانيده صحيح.

(٨) ساقطة من: (ب)، وغير واضحة في (أ).

(٩) رواه ابـن أبي شـيبة في «المصنـف» [٣٦٠٣٨]، والإمام أحمد في «الزهـد» ص: [١٣٦]، وابن جرير في تفسـيره (٧/ ٢٦٧-٢٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٣) من طريقين عن أبي الدرداء، وإسناده منقطع.

(١٠) في (أ): مبيتًا.

(١١) في (أ، ب): تعضد وتؤكل، والمثبت من: (ط، ط١)، ومصادر التخريج.

(١٢) أثـر حسـن لغيـره: رواه الإمـام أحمـد في «الزهـد» ص: [١٣٨]، وأبـو داود في «الزهـد» [٢٠١]، =

وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَسْفَلَ عَيْنَيْهِ مِثْلُ الشِّرَاكِ الْبَالِي مِنَ الدُّمُوعِ(١).

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُخْلَقْ»(٢).

وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ النَّفَقَةُ، فَقَالَ: «عِنْدَنَا عَنْزٌ نَحْلِبُهَا، وَأَحْمِرَةٌ نَنْقُلُ عَلَيْهَا، وَمُحَرَّرٌ يَخْدِمُنَا، وَفَضْلُ عَبَاءَةٍ، وَإِنِّي أَخَافُ الْحِسَابَ فِيهَا»(٣).

وَقَرَأَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ لَيْلَةً سُورَةَ الْجَاثِيَةِ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]. جَعَلَ يُرَدِّدُهَا وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ(٤).

= وابن أبي الدنيا في «المتمنين» [١٢٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٦/ ٢٦٨)، وفي «تعزية المسلم» [٧٢] من طريقين عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو حسنٌ لغيره.

(١) أثر صحيح: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٥٥٢٢]، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» [١٨٤٣]، وابنه عبد الله في «زوائد فضائل الصحابة» [١٩٣٠]، وفي «زوائد الزهد» ص: [١٤٥]، وابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» [٢١٠]، والفاكهي في «أخبار مكة» [١٥٨٤]، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٠٧)، وإسناده صحيح.

(٢) أثرٌ صحيحٌ: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٦٨٢]، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٣)، وفي «الزهد» ص: [١٤٥]، ومسدد -كما في «المطالب العالية» [٤٠٨١]-، وأبو داود في «الزهد» [١٩٣]، وابن أبي عاصم في «الزهد» [٦٦]، وهناد في «الزهد» [٤٥٠]، والبزار في «مسنده» [٣٩٢٥]، وابن أبي الدنيا في «المتمنين» [٢٣]، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٤) من طرق عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو صحيح بطرقه. («الصحيحة» [١٧٢٢]).

(٣) رواه وكيع في «الزهد» [١٣٢]، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٣٥)، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٤٦]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٣)، وغيرهم من طريق أبي شعبة عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إسناده حسنٌ، وأبو شعبة: صدوقٌ؛ روى عنه جمع من الثقات، ولم يأت بها ينكر عليه.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» [٩٤]، ووكيع في «الزهد» [١٥٠]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٨٢]، وأبو داود في «الزهد» [٣٩٤]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٧٦)، وفي إسناده رجل مبهم.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الْجَرَّاحِ: «وَدِدْتُ أَنِّي كَبْشٌ فَذَبَحَنِي[(١)] أَهْلِي، وَأَكَلُوا لَحْمِي وَحَسُوا مَرَقِي»[(٢)].

وَهَذَا بَابٌ يَطُولُ تَتَبُّعُهُ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: «بَابُ خَوْفِ الْمُؤْمِنِ من أَنْ يُحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ».

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا»[(٣)].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ[(٤)] ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»[(٥)].

---

(١) في (ب): قد ذبحني.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» [٢٤١]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٨٤] من طريق قتادة عن أبي عبيدة، وإسناده منقطع.

(٣) أثرٌ صحيحٌ: علَّقه البخاري في «صحيحه». كتاب: «الإيمان» باب: «خَوْفِ الْمُؤْمِنِ من أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وهو لَا يَشْعُرُ» (١/ ٢٦)، ووصله: ابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٢٨٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٩٧٠]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [٣٥٧]، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٣٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» [١٠٤]، والفريابي في «صفة المنافق» [٩٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١١)، وغيرهم، وإسناده صحيح.

(٤) في (ب): رسول الله.

(٥) أثرٌ حسنٌ: علَّقه البخاري في «صحيحه». كتاب: «الإيمان» باب: «خَوْفِ الْمُؤْمِنِ من أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وهو لَا يَشْعُرُ» (١/ ٢٦)، وهو صحيح عن ابن أبي مليكة فقد رواه موصولًا: البُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الكَبِيْرِ» (٥/ ١٣٧) عن شيخه الحسن بن الربيع، وابن أبي خيثمة في «أخبار المكيين» ص: [٣٠٤] رقم: [٢٦٦] - مختصرًا -، والخلال في كتاب: «السنة» (٣/ ٦٠٧) رقم: [١٠٨١]، والحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢) من طريق يحيىٰ بن يمان عن سفيان عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ به. وإسناده حسن، وعنعنة ابن جريج هنا محتملة والله أعلم.

وَرَوَاهُ ابن أبي خيثمة في «أخبار المكيين» ص: [٣٠٢] رقم: [٢٦٢] - مختصرًا -، ومحمد بن نصر في =

وَيُذْكَرُ عَنِ الْحَسَنِ: «مَا خَافَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا أَمِنَهُ إِلَّا مُنَافِقٌ[(١)]»[(٢)].

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِحُذَيْفَةَ: أَنْشُدُكَ اللهَ هَلْ[(٣)] سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَعْنِي فِي الْمُنَافِقِينَ، فَيَقُولُ: «**لَا، وَلَا أُزَكِّي بَعْدَكَ أَحَدًا**»[(٤)].

فَسَمِعْتُ شَيْخَنَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَيْسَ مُرَادُهُ لَا أُبْرِئُ غَيْرَكَ مِنَ النِّفَاقِ، بَلِ الْمُرَادُ لَا أَفْتَحُ عَلَيَّ هَذَا الْبَابَ، فَكُلُّ مَنْ سَأَلَنِي: هَلْ سَمَّانِي لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَأُزَكِّيهِ».

قُلْتُ: وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِلَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ السَّبْعِينَ[(٥)] أَلْفًا، الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»[(٦)].

وَلَمْ يُرِدْ أَنَّ عُكَاشَةَ وَحْدَهُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِمَّنْ عَدَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنْ لَوْ دَعَا له لَقَامَ آخَرُ وَآخَرُ وَانْفَتَحَ الْبَابُ، وَرُبَّمَا قَامَ مَنْ لَمْ يَسْتَحِقَّ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، فَكَانَ الْإِمْسَاكُ أَوْلَى، وَاللهُ أَعْلَمُ.

= «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٦٣٤)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» - مسند ابن عباس - (٢/ ٦٧٦) رقم: [١٠١٤]، والحافظ ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢) مِنْ طُرُقٍ عن الصلت بن دينار ثنا عبد الله بن أبي مليكة قال: «أدركت زيادة علىٰ خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ ما مات أحد منهم إلا وهو يخاف النفاق علىٰ نفسه»، قال: «فما رضي أحد من هؤلاء حتى قال: إنه على إيمان جبريل ﷺ، فوالذي نفسي بيده ما كان يتفوه محمد ﷺ بذلك». وعند ابن أبي خيثمة: «أدركت أكثر من خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ». والصلت بن دينار: متروك.

(١) علَّقه البخاري في «صحيحه». كتاب: «الإيمان» باب: «خَوْفِ الْمُؤْمِنِ من أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وهو لَا يَشْعُرُ» (١/ ٢٦)، ووصله: الفريابي في «صفة النفاق» [٨٧]، والخلال في «السنة» [١٦٦٩]، وسنده صحيح.

(٢) «صحيح البخاري». كتاب: «الإيمان». باب: رقم: [٣٦].

(٣) في (ب): أهل.

(٤) رواه البزار [٢٨٨٥]، ورواه ابن عساكر في «تاريخه» (١٢/ ٢٧٦) وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٥) في (ب): السبعين.

(٦) البخاري [٦٥٤٢]، ومسلم [٢١٦] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فَصْلٌ

فَلْنَرْجِعْ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ[١] مِنْ ذِكْرِ دَوَاءِ الدَّاءِ الَّذِي إِنِ اسْتَمَرَّ أَفْسَدَ دُنْيَا الْعَبْدِ وَآخِرَتَهُ.

فَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ، أَنَّ الذُّنُوبَ تَضُرُّ وَلَا بُدَّ، وأَنَّ ضَرَرَهَا فِي الْقُلوبِ[٢] كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الْأَبْدَانِ، عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا فِي الضَّرَرِ، وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ وَدَاءٌ[٣] إِلا وَسَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي.

فَمَا الَّذِي أَخْرَجَ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ، دَارِ اللَّذَّةِ، وَالنَّعِيمِ، وَالْبَهْجَةِ، وَالسُّرُورِ، إِلَى دَارِ الْآلَامِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمَصَائِبِ؟

وَمَا الَّذِي أَخْرَجَ إِبْلِيسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، وَطَرَدَهُ، وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، فَجُعِلَتْ صُورَتُهُ أَقْبَحَ صُورَةٍ وَأَشْنَعَهَا، وَبَاطِنُهُ أَقْبَحَ مِنْ صُورَتِهِ وَأَشْنَعَ؟!

وَبُدِّلَ بِالْقُرْبِ بُعْدًا، وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنَةً، وَبِالْجَمَالِ قُبْحًا، وَبِالْجَنَّةِ نَارًا تَلَظَّى، وَبِالْإِيمَانِ كُفْرًا، وَبِمُوَالَاةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ أَعْظَمَ عَدَاوَةٍ وَمُشَاقَّةٍ، وَبِزَجَلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالتَّهْلِيلِ زَجَلَ الْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالْكَذِبِ، وَالزُّورِ، وَالْفُحْشِ؟!

وَبِلِبَاسِ الْإِيمَانِ لِبَاسَ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَهَانَ[٤] عَلَى اللهِ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَسَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ غَايَةَ السُّقُوطِ، وَحَلَّ عَلَيْهِ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ فَأَهْوَاهُ، وَمَقَتَهُ أَكْبَرَ الْمَقْتِ، فَأَرْدَاهُ، فَصَارَ[٥] قَوَّادًا لِكُلِّ فَاسِقٍ وَمُجْرِمٍ، رَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْقِيَادَةِ بَعْدَ تِلْكَ الْعِبَادَةِ وَالسِّيَادَةِ، فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَارْتِكَابِ نَهْيِكَ.

---

(١) في (ب): عليه، وفي الهامش: نسخة: فيه.

(٢) في (ط): القلب.

(٣) في (ب): شر داء.

(٤) في (ط): فهان.

(٥) في (ب): وصار.

۞ وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ كُلَّهُمْ حَتَّى عَلَا الْـمَاءُ فَوْقَ رَأْسِ الْجِبَالِ؟

۞ وَمَا الَّذِي سَلَّطَ الرِّيحَ[١] عَلَى قَوْمِ عَادٍ، حَتَّى أَلْقَتْهُمْ مَوْتَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧]، وَدَمَّرَتْ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَزرعِهِمْ[٢] وَدَوَابِّهِمْ، حَتَّى صَارُوا عِبْرَةً لِلْأُمَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟!

۞ وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ، حَتَّى قَطَعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ، وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟!

۞ وَمَا الَّذِي رَفَعَ قُرَى اللُّوطِيَّةِ، حَتَّى سَمِعَتِ الْـمَلَائِكَةُ نَبِيحَ كِلَابِهِمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، فَأَهْلَكَهُمْ[٣] جَمِيعًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، فَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ عَلَى أُمَّةٍ غَيْرِهِمْ، وَلِإِخْوَانِهِمْ أَمْثَالُهَا، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ؟!

۞ وَمَا الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى قَوْمِ شُعَيْبٍ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلَلِ، فَلَمَّا صَارَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلَظَّى؟!

۞ وَمَا الَّذِي أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ نَقَلَتْ أَرْوَاحَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، فَالْأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ، وَالْأَرْوَاحُ لِلْحَرْقِ[٤]؟!

۞ وَمَا الَّذِي خَسَفَ بِقَارُونَ وَدَارِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ؟!

۞ وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ، وَدَمَّرَهَا تَدْمِيرًا؟!

---

(١) في بعض النسخ: الريح العقيم.

(٢) في (ط، ط١): وزروعهم، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ب): فأهلكتهم.

(٤) مع التنبيه على أن عقيدة أهل السنة أن العذاب على الروح والجسد معًا، فمع غرق أجسادهم إلا أن العذاب يصل إليها، حتى بعد أكل الدود لها.

❁ وَمَا الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ صَاحِبِ يس[(١)] بِالصَّيْحَةِ حَتَّى خَمَدُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟!

❁ وَمَا الَّذِي بَعَثَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ، وَسَبُوا الذُّرِّيَّةَ وَالنِّسَاءَ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، وَنَهَبُوا الْأَمْوَالَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا؟![(٢)].

❁ وَمَا الَّذِي سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ، مَرَّةً بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَخَرَابِ الْبِلَادِ، وَمَرَّةً بِجَوْرِ الْمُلُوكِ، وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَآخِرُ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ[(٣)]، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُسُ[(٤)] فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا، فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، رَأَيْتُ[(٥)] أَبَا الدَّرْدَاءِ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ، بَيْنَمَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ، تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى[(٦)].

---

(١) في (ب): قوم يونس، وفي (أ): قوم يس، والمثبت من: (ط). والله عَزَّوَجَلَّ لم يهلك قوم يونس، بل تاب عليهم لما آمنوا. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، وإنما أهل أصحاب القرية الذين ذكر الله قصتهم في سورة يس.

(٢) وذكر الله أمرهم في أول سورة الإسراء.

(٣) في (ب): نويرة. وهو خطأ.

(٤) في بعض النسخ: قبرص. وكلاهما صحيح.

(٥) في (ط، ط ١)، وبعض النسخ: فرأيت.

(٦) أثرٌ صحيحٌ: رواه أبو إسحاق الفزاري في «السير» [٤١]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٤٢]، وسعيد بن منصور في «سننه» [٢٦٦٠]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢]، وأبو نعيم في «الحلية» =

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ: أَنْبَأَنَا(١) شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**»(٢).

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَاصِي فِي(٣) أُمَّتِي عَمَّهُمُ الله بِعَذَابٍ(٤) مِنْ عِنْدِهِ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَمَا فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ أُنَاسٌ صَالِحُونَ؟ قَالَ: «**بَلَى**»، قالت: فَكَيْفَ يُصْنَعُ بِأُولَئِكَ؟ قَالَ: «**يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ الله وَرِضْوَانٍ**»(٥).

وَفِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ الله، وَفِي كَنَفِهِ، مَا لَمْ يُمَالِئْ قُرَّاؤُهَا أُمَرَاءَهَا، وَمَا لَمْ يُزَكِّ صُلَحَاؤُهَا فُجَّارَهَا، وَمَا لَمْ يُهِنْ**

= (١/ ٢١٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ١٨٦)، وإسناده صحيح.

(١) في (ب): ثنا.

(٢) **صحيحٌ**: رواه ابن المبارك في «الزهد» [١٣٤٨]، ووكيع في «الزهد» [٢٩٠]، وعلي بن الجعد في «مسنده» [١٢٨]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٠)، وأبو داود [٤٣٤٧]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١]، وغيرهم، وإسناده صحيح. «صحيح أبي داود».

(٣) في (ب): من.

(٤) في (ب): عمهم بعذاب.

(٥) **حسنٌ**: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٠٤)، والطبراني (٢٣/ ٣٢٥) رقم: [٧٤٧]، والدينوري في «المجالسة» [٢١٢٧]، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٠٩)، من طريق ليث بن أبي سليم عن علقمة بن مرثد، عن المعرور بن سويد عن أم سلمة به، وإسناده ضعيف لضعف ليث، ولكنه قد توبع، فقد رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤)، والحارث في «مسنده» [٧٦٦]، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٣٧٧) رقم: [٨٩١]، وفي «الأوسط» [٢٠٨٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢١٨)، وفي «معرفة الصحابة» [٨١٢٤] من طريق جامع بن راشد عن منذر الثوري عن محمد بن علي عن امرأة من الأنصار صحابية رضي الله عنها عن أم سلمة. وإسناده حسنٌ. وفي بعض الطرق تسمية المرأة أم مبشر، وفي بعضها سقط ذكر محمد بن علي، وفي بعضها جاءت تسميته الحسن بن محمد، وهذا اختلاف لا يضر، لأن الثابت هو اتصال سنده، والاختلاف في تسمية شيخ منذر الثوري بين محمد بن علي وولده الحسن لا يضر لكونهما من الثقات. وفيه وجه آخر من الخلاف انظر: في: («الصحيحة: ١٣٧٢»).

خِيَارَهَا شِرَارُهَا[١]، **فَإِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ رَفَعَ اللهُ عَنْهُمْ يَدَهُ، ثُمَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ جَبَابِرَتَهُمْ فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالْفَاقَةِ وَالْفَقْرِ**»[٢].

وَفِي «الْـمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**»[٣].

وَفِيهِ أَيْضًا، عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ، كَمَا تَتَدَاعَى**[٤] **الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ**»، قَالُوا: وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهَةُ الْمَوْتِ**»[٥].

وَفِي «الْـمُسْنَدِ»، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»[٦].

---

(١) في (ط): أشرارها، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) ضعيفٌ: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٨٢١]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٤]، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة»، في «الفتن» [٣٣١] من طريق صالح المري عن خليد بن حسان عن الحسن به، وإسناده ضعيف لإرساله، وضعف صالح المري، وخليد.

(٣) حسنٌ: سبق تخريجه.

(٤) في (أ، ط١): تداعى، والمثبت من: (ب، ط)، ومعظم مصادر التخريج.

(٥) صحيح لغيره: رواه الطيالسي [١٠٨٥]، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٣٥٣)، وفي «الكنى» ص: [٦٠]، وأبو داود [٤٢٩٧]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٥]، وابن أبي عاصم في «الزهد» [٢٧٨]، والروياني [٦٥٤]، وابن الأعرابي في «معجمه» [٢٢٢٨]، والطبراني في «الكبير» [١٤٥٢]، وفي مسند «الشاميين» [٦٠٠]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٢)، وغيرهم من طريق عن ثوبان رضي الله عنه به. وأحد طرقه حسنٌ، وهو صحيح بطرقه. («الصحيحة» [٩٥٨]).

(٦) سبق تخريجه.

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَخْتِلُونَ**[(١)] **الدُّنْيَا بِالدِّينِ، وَيَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ**[(٢)] **الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ الله** عَزَّوَجَلَّ: **أَبِي يَغْتَرُّونَ؟ وَعَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ، لَأَبْعَثَنَّ على أُولَئِكَ منهم فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ منهم**[(٣)] **حَيْرَانًا**»[(٤)].

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ[(٥)]: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ،

---

(١) أي: يطلبون.

(٢) أي: جلود.

(٣) في (ط): فيها، وفي (ط١): فيهم، والمثبت من: (أ، ب)، وسنن الترمذي.

(٤) ضعيفٌ: رواه ابن المبارك في «البزهد» [٥٠]، والترمذي [٢٤٠٤]، وهناد في «الزهد» [٨٦٠]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٧]، والبغوي في «شرح السنة» [٤١٩٩]، وغيرهم وفي إسناده يحيى بن عبيد الله التيمي ضعيفٌ. («ضعيف الترمذي» [٤٢١]).

وللحديث شواهد من حديث ابن عمر، وأبي الدرداء، وأنس، وعائشة، ومرسل محمد بن كعب القرظي، ولا تخلوا من ضعف، وبعضها شديد الضعف، ولذلك حسنه الترمذي، ويظهر أنه من الإسرائيليات، رفعه بعض الضعفاء. فقد روى ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٢١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٤٩) بسند صحيح عن محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ، عَنْ نَوْفٍ البكالي، وَكَانَ، يقرأ الكتب، قال: «إِنِّي لَأَجِدُ صِفَةَ نَاسٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي كِتَابِ الله الْمُنَزَّلِ: «قَوْمٌ يَحْتَالُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، يَلْبَسُونَ لِبَاسَ مُسُوكِ الضَّأْنِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، فَعَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ، وَبِي يَغْتَرُّونَ، حَلَفْتُ بِنَفْسِي لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ».

قَالَ الْقُرَظِيُّ: تَدَبَّرْتُهَا فِي الْقُرْآنِ، فَإِذَا هُمُ الْمُنَافِقُونَ، فَوَجَدْتُهَا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ [الحج: ١١]، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٥٦٢٤]، والبيهقي في الشعب [٦٩٥٧] نحوه عن وهب بن منبه.

(٥) في (ب): قال: قال رسول الله ﷺ. والمثبت من: (أ، ط)، وكتاب «العقوبات».

مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ، وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، مِنْهُمْ خَرَجَتِ الْفِتْنَةُ، وَفِيهِمْ تَعُودُ»(١).

وَذَكَرَ مِنْ حَدِيثِ سِمَاكٍ [بْنِ حَرْبٍ](٢) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **بِهَلَاكِهَا**»(٣).

وَفِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ: «**إِذَا أَظْهَرَ النَّاسُ الْعِلْمَ، وَضَيَّعُوا الْعَمَلَ، وَتَحَابُّوا بِالْأَلْسُنِ، وَتَبَاغَضُوا بِالْقُلُوبِ، وَتَقَاطَعُوا الْأَرْحَامَ**(٤)**، لَعَنَهُمُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**»(٥).

---

(١) علقه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص: [٦٧]، رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٨]، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٢٧)، وابن بطة في «إبطال الحيل» [١]، والدينوري في «المجالسة» [٥١٩]، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» [٢٣٩]، والبيهقي في «الشعب» [١٩٠٩]، وغيرهم وفي إسناده عبد الله بن دكين فيه ضعفٌ، وقد اضطرب فيه، فرواه موقوفًا كما سبق تخريجه، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٠٨، ١٩٠٩) مرفوعًا. وهو ضعيفٌ مرفوعًا، وموقوفًا.

(٢) زيادة من: (ط)، وبعض النسخ الخطية.

(٣) حسن لغيره مرفوعًا: رواه ابن أبي الدنيا [٩]، وابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٠٧) من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبيه به موقوفًا، وسنده فيه انقطاع، وقد روي مرفوعًا عنه، وعن ابن عباس، وهو حديث حسن لغيره. («صحيح الترغيب» [١٨٥٩-١٨٦٠]).

(٤) في (ط ١): بالأرحام. وهو خطأ.

(٥) حسن لغيره: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٠] وإسناده ضعيفٌ، وله شاهد من حديث سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه الطبراني في «الكبير» [٦١٧٠]، وفي «الأوسط» [١٥٧٨]، والخرائطي في «مساوئ القلوب» [٣١٥]، وفي «اعتلال القلوب» [٣٩١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠٩)، وابن عساكر في «تاريخه» (١٣/ ١٠٠، ٥٣/ ٣٧٤)، من طريق ابن علاثة عن حجاج بن فرافصة عن زاذان عن سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإسناده حسنٌ. وقد روي موقوفًا، والأصح رفعه، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في («الضعيفة» [٥٥٥٩]).

وَفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ [بْنِ الْخَطَّابِ][(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: **«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا إِلَّا ابْتُلُوا بِالطَّوَاعِينِ، وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ[(٢)] وَالْمِيزَانَ إِلَّا ابْتُلُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمؤنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، فَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا[(٣)]، وَلَا خَفَرَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُم مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَئِمَّتُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ[(٤)] بَيْنَهُمْ»**[(٥)].

وَفِي «الْمُسْنَدِ»، وَ«السُّنَنِ»، مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانَ إِذَا عَمِلَ الْعَامِلُ فِيهِمْ بِالْخَطِيئَةِ جَاءَ[(٦)] النَّاهِي تَعْذِيرًا، فَإِذَا كَانَ الْغَدِ جَالَسَهُ وَوَاكَلَهُ وَشَارَبَهُ، كَأَنَّهُ[(٧)] لَمْ يَرَهُ عَلَى خَطِيئَةٍ بِالْأَمْسِ، فَلَمَّا رَأَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ**

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٢) في (أ، ب): من المكيال، والمثبت من: (ط)، ومصادر التخريج.

(٣) في (ب): تمطروا.

(٤) في (أ، ب): جعل بأسهم، وأشار في هامش (ب) أنها في نسخة: جعل الله بأسهم، وهو كذلك في (ط)، ومصادر التخريج.

(٥) حسنٌ: رواه ابن ماجه [٤٠١٩]، والبزار [٦١٧٥]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١١]، والطبراني في «الكبير» [١٣٦١٩] مختصرًا، وفي «الأوسط» [٤٦٧١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٣٣)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة»، في «الفتن» [٣٢٧]، والحاكم (٤/ ٥٨٣)، والبيهقي في «الشعب» [٣٣١٤] من طرق عن عطاء عن ابن عمر، وإسناد البزار حسنٌ. («صحيح الترغيب» [٢١٨٧]).

(٦) في (ط): جاءه، والمثبت من: (أ، ب).

(٧) في (ب): وكأنه.

مِنْهُمْ، ضَرَبَ بِقُلُوبِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ السَّفِيهِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ(١) عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ(٢) بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ(٣) كَمَا لَعَنَهُمْ»(٤).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو الصَّنْعَانِيِّ قَالَ: «أَوْحَى اللهُ إِلَى يُوشَعَ ابْنِ نُونٍ: إِنِّي مُهْلِكٌ مِنْ قَوْمِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا مِنْ خِيَارِهِمْ، وَسِتِّينَ أَلْفًا مِنْ شِرَارِهِمْ، قَالَ: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ، فَمَا بَالُ الْأَخْيَارِ؟ قَالَ: إنهم لَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي(٥)، وَكَانُوا يُؤَاكِلُونَهُمْ وَيُشَارِبُونَهُمْ»(٦).

وَذَكَرَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، عَنْ أَبِي هِزَّانَ(٧) قَالَ: «بَعَثَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَلَكَيْنِ إِلَى قَرْيَةٍ،

---

(١) في هامش (ب): أي: لتعطفنَّهُ.

(٢) ساقطة من: (أ، ب)، والمثبت من: (ط)، ومصادر التخريج.

(٣) في (ط ١): ليلعننكم.

(٤) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩١)، وأبو داود [٤٣٣٦]، والترمذي [٣٠٤٧]، وابن ماجه [٤٠٠٦]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [١١٦٤]، وغيرهم من طريق أبي عبيدة عن أبيه به. وإسناده منقطع. («الضعيفة» [١١٠٥]).

(٥) في (ب) ذكر جملة اعتراضية تفسيرية: إنهم لم يغضبوا لغضبي - يعني: لم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر -، وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم.

(٦) أثرٌ حسنٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٣]، وفي «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [٧٦]، وأبو الشيخ - كما في «المغني عن حمل الأسفار» للعراقي (١/ ٥٨٧)-، وابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٣٧٨)، وعبد الغني المقدسي في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [٤٣]، من طريق يحيى بن بسطام عن جعفر بن سليمان عن إبراهيم به، وهذا إسناد حسنٌ.

ورواه البيهقي في «الشعب» [٩٤٢٨]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣١٠)، والشجري في «أماليه»، وابن عساكر في «تاريخه» - كما في «مختصره» لابن منظور (٢٨/ ١٠١) - من طريق السابق عن إبراهيم بن عمرو الصنعاني عن الوضين بن عطاء به، وإسناده حسنٌ.

(٧) لعله: عطية بن رافع أبو هزان الشامي، وهو عطية بن أبي جميلة، سمع حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروى عن =

أَنْ دَمِّرَاهَا بِمَنْ فِيهَا، فَوَجَدَا رَجُلًا قَائِمًا يُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ، فَقَالَا: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهَا عَبْدَكَ فُلَانًا يُصَلِّي، فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: دَمِّرَاهَا وَدَمِّرَاهُ مَعَهُمْ، فَإِنَّهُ مَا تَمَعَّرَ وَجْهُهُ فِيَّ قَطُّ»[(١)].

وَذَكَرَ الْحُمَيْدِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: قَالَ: حَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مِسْعَرٍ: «أَنَّ مَلَكًا أُمِرَ أَنْ يَخْسِفَ بِقَرْيَةٍ[(٢)]، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنَّ فِيهَا فُلَانًا الْعَابِدَ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ: أَنْ بِهِ فَابْدَأْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهُهُ[(٣)] فِيَّ سَاعَةً قَطُّ»[(٤)].

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: لَمَّا أَصَابَ دَاوُدُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ، اغْفِرْ لِي: قَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَأَلْزَمْتُ عَارَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ وَأَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ، لَا تَظْلِمُ أَحَدًا، أَعْمَلُ أَنَا الْخَطِيئَةَ، وَيَلْزَمُ[(٥)] عَارَهَا غَيْرِي، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: «إِنَّكَ لَمَّا عَمِلْتَ الْخَطِيئَةَ لَمْ يُعَجِّلُوا عَلَيْكَ بِالْإِنْكَارِ»[(٦)].

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، هُوَ وَرَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، حَدِّثِينَا عَنِ الزَّلْزَلَةِ، فَقَالَتْ: «إِذَا اسْتَبَاحُوا الزِّنَا، وَشَرِبُوا الْخَمْرَ، وَضَرَبُوا بِالْمَعَازِفِ، غَارَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي سَمَائِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: تَزَلْزَلِي بِهِمْ،

= معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أدركه، وروى عن كعب، روى عنه فضيل بن فضالة، وصفوان بن عمرو، ويحيى بن حصين. «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٨٢).

(١) أثر حسنٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٤]، وفي «الأمر بالمعروف» [٧٣]، وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» [٢٨٦]، والمقدسي في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [٤٢] من طريق بقية حدثني عبد الله بن نعيم، حدثني أبو هزان به، وإسناده حسنٌ.

(٢) في (ط١): قرية، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٣) في هامش (ب): قوله: «تمعَّر» بالعين، والراء المهملتين، أي: تغيَّر من الغضب. ا.هـ.

(٤) أثر صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٦]، وفي «الأمر بالمعروف» [٧٥]، وإسناده صحيح.

(٥) في (ط): وتلزم.

(٦) أثر إسرائيلي منكر: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٥]، وفي «الأمر بالمعروف» [٧٢]، وفي «الرقة والبكاء» [٣٨٧]، والمقدسي في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [٧٦].

فَإِنْ تَابُوا، وَنَزَعُوا، وَإِلَّا هَدَمَهَا عَلَيْهِمْ»، قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَذَابًا لَهُمْ؟ قَالَتْ: «بَلْ مَوْعِظَةً وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، وَنَكَالًا وَعَذَابًا وَسُخْطًا عَلَى الْكَافِرِينَ»، فَقَالَ أَنَسٌ: مَا سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَا أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ(١) مِنِّي بِهَذَا الْحَدِيثِ(٢).

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدِيثًا مُرْسَلًا: «إِنَّ الْأَرْضَ تَزَلْزَلَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا ثم قَالَ(٣): اسْكُنِي، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْنِ لَكِ بَعْدُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَسْتَعْتِبُكُمْ فَأَعْتِبُوهُ، ثُمَّ تَزَلْزَلَتْ بِالنَّاسِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ، أَيُّهَا النَّاسُ، مَا كَانَتْ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ إِلَّا عَنْ شَيْءٍ أَحْدَثْتُمُوهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»(٤).

وَفِي «مَنَاقِبِ عُمَرَ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا: «أَنَّ الْأَرْضَ زُلْزِلَتْ(٥) عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَا لَكِ؟ مَا لَكِ؟ أَمَا إِنَّهَا لَوْ كَانَتِ الْقِيَامَةُ حَدَّثَتْ أَخْبَارَهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَلَيْسَ فِيهَا ذِرَاعٌ، وَلَا شِبْرٌ، إِلَّا وَهُوَ يَنْطِقُ**»(٦).

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ صَفِيَّةَ، قَالَتْ: زُلْزِلَتِ الْمَدِينَةُ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا هَذَا؟ مَا أَسْرَعَ مَا أَحْدَثْتُمْ، لَئِنْ عَادَتْ لَا أُسَاكِنُكُمْ فِيهَا(٧).

---

(١) ساقطة من: (أ، ط ١).

(٢) حديث ضعيفٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٧]، وإسناده ضعيفٌ. («الضعيفة» [٦٠٤٣]).

(٣) في (أ، ب): فقال لها، والمثبت من: (ط، ط ١)، وكتاب: «العقوبات».

(٤) منكر: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٨]، عن شهر بن حوشب مرسلًا.

(٥) في (أ، ب، ط): تزلزلت، والمثبت من: (ط ١)، وكتاب ابن أبي الدنيا.

(٦) أثر ضعيف جدًا: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [١٩] وفي إسناده سعد بن طريف: متروك.

(٧) أثر صحيحٌ: رواه نعيم في «الفتن» [٤٢١]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٨٣٣٥]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٠]، والبيهقي (٣/ ٣٤٢)، وإسناده صحيح.

وَقَالَ كَعْبٌ: «إِنَّمَا تُزَلْزَلُ الْأَرْضُ إِذَا عُمِلَ فِيهَا بِالْمَعَاصِي، فَتُرْعَدُ فَرَقًا[1] مِنَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا»[2].

وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَمْصَارِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الرَّجْفَ[3] شَيْءٌ يُعَاتِبُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِ الْعِبَادَ، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْأَمْصَارِ: أَنْ يَخْرُجُوا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي شَهْرِ كَذَا وَكَذَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَتَصَدَّقْ بِهِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥].

وَقُولُوا كَمَا قَالَ آدَمُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]»[4].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَطَاءِ ابْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، واتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ**

---

(١) أي: ترتجف خوفًا.

(٢) أثر إسرائيلي ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢١]، من طريق سعيد بن أبي هلال عن كعب الأحبار قال: «إِنَّمَا تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ عَلَى ظَهْرِ حُوتٍ، فَلَعَلَّ الْحُوتَ إِنْ تَحَرَّكَ، أَوْ تُعْمَلُ عَلَيْهَا الْمَعَاصِي، فَتَرْعَدَ فَرَقًا مِنَ الرَّبِّ تَعَالَى إِذْ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا» وإسناده منقطع.

(٣) أي: الزلزال.

(٤) أثر حسنٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٣] وإسناده حسنٌ.

الله، أَنْـزَلَ الله بِهِـمْ بَلاءً، فَـلا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ[(١)] حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُـمْ» ورواه[(٢)] أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[(٣)].

---

(١) ساقطة من: (ط ١). (٢) في (ط): رواه.

(٣) صحيح لغيره: روي من طرق عن ابن عمر م منها:

الطريـق الأول- مـا روَاهُ البُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ» (١/ ٣٨١)، وأبو داود في «سننه» (٣/ ٢٧٤) رقـم: [٣٤٦٢]، وابنُ جَرِيْرٍ فِي «تَهْذِيْبِ الآثَارِ مسند عمـر» (١/ ١٠٩) رقم: [١٨٢]، والطبراني في «مسـند الشـاميين» (٣/ ٣٢٨) رقم: [٢٤١٧]، والدولابي في «الكنـىٰ» (٢/ ٨٤٩) رقم: [١٤٨٩]، وابـن عـدي في «الكامـل» (٥/ ٣٦٠)، وأبـو نعيـم في «الحليـة» (٥/ ٢٠٩)، والبيهقـي في «الكبرى» (٥/ ٣١٦) من طريق إسحاق بن أَسيد عن عطاء الخراسـاني عن نافع عن ابن عمر م به. قال شيخ الإسـلام كما في «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٠): «إسـناد جيد»، وحسـن إسـناده ابن القيم في «حاشيته علىٰ تهذيب سنن أبي داود» (٩/ ٢٤٥) وهو كما قالا.

الطريـق الثانـي: مـا روَاهُ الإمـام أحمـد في «مسنده» (٢/ ٢٨)، والطـبراني في «المعجـم الكبـير» (١٢/ ٤٣٢) رقـم: [١٣٥٨٣]، والطرسـوسي في «مسـند عبد الله بن عمـر» ص: [٢٦] رقم: [٢٢]، والبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّـعَبِ» (٤/ ١٢)، من طريق أبي بَكرِ بن عَيَّاشٍ عَـنِ الأَعْمَشِ عن عَطَاءِ بن أبي رَبَاحٍ عَنِ ابن عُمَرَ قال: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إذا ضَنَّ النـاس بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَتَبَايَعُوا بِالْعَيْنِ وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله انزل الله بِهِمْ بَلاءً فلم يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حتى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ**». وإسـناده حسـن، وعطاء سـمع مـن ابن عمر علىٰ الصحيـح. ولذلك صححه ابن القطان من هذا الطريق في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٩٥ - ٢٩٦)، وجود إسـناده شـيخ الإسـلام ابن تيمية، وحسن إسناده ابن القيم هنا وفي «حاشيته علىٰ تهذيب السُّنن» (٩/ ٢٤٥).

الطريـق الثالـث: ما روَاهُ أبـو يعلىٰ (١٠/ ٢٩) رقـم: [٥٦٥٩]، وابـنُ جَرِيْرٍ فِي «تَهْذِيْـبِ الآثَارِ» - مسند عمـر (١/ ١٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبـير» (١٢/ ٤٣٣)، والبَيْهَقِيُّ فِي «شُـعَبِ الإِيْمَانِ» (٧/ ٤٣٤) مـن طريق لَيْثِ بن أبي سُـلَيْمٍ عن عبد الْـمَلِكِ بن أبي سُـلَيْمَانَ عن عَطَـاءٍ عَنِ ابن عُمَرَ به. وروَاهُ الرويـاني (٢/ ٤١٤) رقـم: [١٤٢٢]، وأبـو نعيم في «حلية الأوليـاء» (١/ ٣١٣، ٣/ ٣١٩)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ٣١٥) بدون ذكر عبد الملك، وليثٌ ضعيفٌ مُخلِّطٌ في الرواية.

الطريـق الرابـع: مـا روَاهُ الإِمَـامُ أَحْمَدُ فِي «المُسْـنَدِ» (٢/ ٤٢، ٨٤)، والخطيـب في «تاريـخ بغـداد» (٤/ ٣٠٧)، وابـنُ عَسَـاكِرٍ فِي «تَارِيْـخِ دِمَشْـقَ» (١/ ١٦١)، من طريق يحيىٰ بن أبي حية عن شَـهْرِ بن حَوْشَـبٍ عَنِ بـن عُمَـرَ عَنِ النبي ﷺ قال: «**لَئِـنْ تَرَكْتُـمُ الْجِهَادَ وَأَخَـذْتُمْ بِأَذْنَـابِ الْبَقَرِ وَتَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ لَيُلْزِمَنَّكُمُ الله مزلة فِي رِقَابِكُمْ لا تَنْفَكُّ عَنْكُمْ حتى تَتُوبُوا إلى اللهِ وَتَرْجِعُوا على**

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنا وَمَا أَحَدٌ أَحَقَّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وَتَبَايَعُوا بِالْعِينَةِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ، وَأَخَذُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ بَلَاءً، فَلَا يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ**»[(١)].

وَقَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّ الْفِتْنَةَ - والله - مَا هِيَ إِلَّا عُقُوبَةٌ[(٢)] مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَى النَّاسِ»[(٣)].

وَنَظَرَ بَعْضُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَا يَصْنَعُ بِهِمْ بُخْتَنَصَّرُ، فَقَالَ: «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا سَلَّطْتَ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَعْرِفُكَ، وَلَا يَرْحَمُنَا»[(٤)].

وَقَالَ بُخْتَنَصَّرُ لِدَانْيَالَ: مَا الَّذِي سَلَّطَنِي عَلَى قَوْمِكَ؟ قَالَ: «عِظَمُ خَطِيئَتِكَ، وَظُلْمُ قَوْمِي أَنْفُسَهُمْ»[(٥)].

= **ما كُنْتُمْ عليه**» وشهر فيه ضعفٌ، ويحيى بن أبي حية كثير التدليس، وقد عنعن.

الطريق الخامس- ما رواهُ العسكري في «تصحيفات المحدثين» (١/ ١٩١) من طريق فَضَالَةَ بنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ، وَمَا يَرَى أَحَدُنَا أَنَّهُ أَحَقُّ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعَ النَّاسُ بِالْعِينَةِ**». وفضالة فيه ضعف، لكن قد توبع كما سبق. فالحديث صحيح بطرقه. انظر: «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني رقم: [١١].

(١) صحيح لغيره: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٤] من طريق راشد الحماني عن ابن عمر، وإسناده منقطع، لكنه حديث صحيح بطرقه.

(٢) في (أ، ب): العقوبة، والمثبت من: (ط)، وكتاب «العقوبات».

(٣) أثر حسنٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٥]، وإسناده حسنٌ.

(٤) أثر إسرائيلي حسن الإسناد: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٨] بسند حسن عن عبد الله بن أبي الهذيل الثقة العابد.

(٥) أثر إسرائيلي حسن الإسناد: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٩] بسند حسن عن عبد الله بن أبي الهذيل.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَحُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بِالْعِبَادِ نِقْمَةً أَمَاتَ الْأَطْفَالَ، وَأَعْقَمَ أَرْحَامَ النِّسَاءِ، فَتَنْزِلُ النِّقْمَةُ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَرْحُومٌ**»[(١)].

وَذَكَرَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي الْحِكْمَةِ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا اللهُ، مَالِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ بِيَدَيَّ، فَمَنْ أَطَاعَنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ رَحْمَةً، وَمَنْ عَصَانِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِ نِقْمَةً، فَلَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَيَّ أُعْطِفْهُمْ عَلَيْكُمْ»[(٢)].

وَمِنْ مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ خَيْرًا جَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَى حُلَمَائِهِمْ، وَفَيْأَهُمْ عِنْدَ سُمَحَائِهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ[(٣)] شَرًّا جَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَى سُفَهَائِهِمْ، وَفَيْأَهُمْ عِنْدَ بُخَلَائِهِمْ»[(٤)].

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ قَتَادَةَ: «قَالَ[(٥)] مُوسَى: يَا رَبِّ، أَنْتَ فِي السَّمَاءِ، وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا عَلَامَةُ غَضَبِكَ مِنْ رِضَاكَ؟ قَالَ: إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خِيَارَكُمْ فَهُوَ مِنْ[(٦)] عَلَامَةِ رِضَائِي عليكُمْ[(٧)]، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَهُوَ مِنْ[(٨)] عَلَامَةِ سُخْطِي عَلَيْكُمْ»[(٩)].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٢٦]، والشيرازي في «الألقاب»، والديلمي «مسنده» [٩٥١] وإسناده ضعيف فيه مجاهيل. («ضعيف الجامع» [١٥٤٤]).

(٢) أثر إسرائيلي صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٠]، وفي «التوبة» [١٠١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٨، ٦/ ١٧٢)، وأحد إسنادي أبي نعيم صحيح.

(٣) في (ط١): وإذا أراد بقوم.

(٤) ضعيف: رواه أبو يوسف في «الآثار» [٩٢٤]، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣١]، وفي كتاب: «الحِلْم» [٧٥]، وإسناده ضعيف إرساله.

(٥) في (ط)، ونسخة: عن قتادة قال: قال.

(٦) ساقطة من: (ط)، وبعض النسخ.

(٧) في (ط): عنكم.

(٨) ساقطة من: (أ، ط، ط ١)، والمثبت من: (ب).

(٩) أثر ضعيف: رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» ص: [٢٧٧]، ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٢]، والدينوري في «المجالسة» [٤٢٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٩٠)، وابن عساكر في «تاريخه» =

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ: «أَوْحَى الله إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي»(١).

وَذَكَرَ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ يرفعه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ الله أُمَرَاءَ كَذَبَةً، وَوُزَرَاءَ فَجَرَةً، وَأَعْوَانًا خَوَنَةً، وَعُرَفَاءَ ظَلَمَةً، وَقُرَّاءَ فَسَقَةً، سِيمَاهُمْ سِيمَا(٢) الرُّهْبَانِ، وَقُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ، أَهْوَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، فَيُتِيحُ الله لَهُمْ فِتْنَةً غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً فَيَتَهَاوَكُون(٣) فِيهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَيُنْقَضَنَّ الْإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً، حَتَّى لَا يُقَالَ: الله الله، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ الله عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ، فَلَيَسُومُونَكم(٤) سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَبْعَثَنَّ الله عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَرْحَمُ صَغِيرَكُمْ، وَلَا يُوَقِّرُ كَبِيرَكُمْ**»(٥).

= (٦١/ ١٤٥)، وفي إسناده عنبسة الخواص وفيه جهالة.

(١) أثر حسنٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩١)، والشجري في «الأمالي» (٢/ ٢٥٦)، وإسناده حسنٌ.

(٢) في (ط): سيماء.

(٣) في هامش (ب): التهوك: التحير. وفي النهاية: التهوك: كالتهور، الوقوع في الأمر بلا روية. اهـ.

(٤) في (ط): فيسومونكم، وفي (ط١): فليسومنكم، والمثبت من: (أ، ب)، و«العقوبات».

(٥) ضعيفٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٤]، والإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٣/ ٧٢٢)، والشجري في «الأمالي» (٢/ ٢٦٤)، وفي إسناده كوثر بن حكيم: متروك، وروي من حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَبْعَثَ الله أُمَرَاءَ كَذَبَةً، وَوُزَرَاءَ فَجَرَةً، وَأُمَنَاءَ خَوَنَةً، وَقُرَّاءَ فَسَقَةً سِمَتُهُمْ سِمَةُ الرُّهْبَانِ، وَلَيْسَ لَهُمْ رَغْبَةٌ، أَوْ قَالَ: لَيْسَ لَهُمْ رَعْبَةٌ أَوْ قَالَ: رَعَةٌ فَيُلْبِسُهُمُ الله فِتْنَةً غَبْرَاءَ مُظْلِمَةً يَتَهَوَّكُونَ فِيهَا تَهَوُّدَ الْيَهُودِ فِي الظُّلَمِ**» وفي إسناده حبيب بن عمر الأنصاري: ضعيفٌ. ورواه الداني في السنن الواردة في «الفتن» [٢٢١] عَنِ ابْنِ أَبِي صَدَقَةَ الْيَمَانِيِّ، قَالَ: «يُبْعَثُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أُمَرَاءُ كَذَبَةٌ، وَوُزَرَاءُ فَجَرَةٌ، وَأُمَنَاءُ خَوَنَةٌ، وَعُرَفَاءُ ظَلَمَةٌ، وَقُرَّاءُ فَسَقَةٌ، أَهْوَاؤُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الرُّهْبَانِ، لَيْسَ لَهُمْ دَعَةٌ، قُلُوبُهُمْ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيَفِ، يَلْبِسُهُمُ الله فِتْنَةَ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةَ، يَتَهَوَّكُونَ فِيهَا تَهَوُّكَ الْيَهُودِ الظَّلَمَةِ». وفي إسناده ضعفٌ.

وَفِي «مُعْجَمِ الطَّبَرَانِيِّ»، وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا طَفَّفَ قَوْمٌ كَيْلًا، وَلَا بَخَسُوا مِيزَانًا، إِلَّا مَنَعَهُمُ الله عَزَّوَجَلَّ الْقَطْرَ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمِ الزِّنَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَمَا ظَهَرَ فِي قَوْمِ الرِّبَا إِلَّا سَلَّطَ الله عَلَيْهِمُ الْجُنُونَ، وَلَا ظَهَرَ فِي قَوْمِ الْقَتْلُ - يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا - إِلَّا سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْخَسْفُ، وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا لَمْ تُرْفَعْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ دُعَاؤُهُمْ»** وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدٍ، بِهِ[1].

وَفِي «الْمُسْنَدِ»، وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ أَنْ قَدْ حَفَزَهُ شَيْءٌ، فَمَا تَكَلَّمَ حَتَّى تَوَضَّأَ، وَخَرَجَ، فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ: فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّهَا[2] النَّاسُ، إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي فَلَا أُجِيبُكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلَا أَنْصُرُكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلَا أُعْطِيكُمْ»**[3].

---

(١) ضعيفٌ ولبعضه شواهد صحيحة: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٥]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٩٢]، وإسناده ضعيفٌ واهٍ. ورواه الطبراني [١٠٩٩٢] بنحوه، وفي إسناده إسحاق ابن عبد الله بن كيسان وهما ضعيفان. وقد صح موقوفًا على ابن عباس بنحوه - وله حكم الرفع - بلفظ: «مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ إِلا سَلَّطَ الله عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، وَلا فَشَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلا أَخَذَهُمُ الله بِالْمَوْتِ، وَمَا طَفَّفَ قَوْمٌ الْمِيزَانَ إِلا أَخَذَهُمُ الله بِالسِّنِينَ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلا مَنَعَهُمُ الله الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا جَارَ قَوْمٌ فِي حُكْمٍ إِلا كَانَ الْبَأْسُ بَيْنَهُمْ، أَظُنُّهُ قَالَ: وَالْقَتْلُ». رواه البيهقي (٣/ ٣٤٦)، وفي «شعب الإيمان» [٣٣١١]، والخرائطي في «اعتلال القلوب» [٤١٦]، وفي «مساوئ الأخلاق» [٣٩٨] مختصرًا، وإسناده صحيح، وقد روي مرفوعًا وله شواهد، لذلك صححه الشيخ الألباني في («الصحيحة» [١٠٧]).

(٢) في (ط): يا أيها.

(٣) ضعيف بهذا التمام: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٩)، وإسحاق في «مسنده» [٨٦٤]، وابن =

وَقَالَ الْعُمَرِيُّ الزَّاهِدُ(١): «إِنَّ مِنْ غَفْلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ، وَإِعْرَاضِكَ عَنِ الله: أَنْ تَرَى مَا يُسْخِطُ الله فَتَتَجَاوَزَهُ، وَلَا تَأْمُرُ فِيهِ، وَلَا تَنْهَى عَنْهُ، خَوْفًا مِمَّنْ لَا يَمْلِكُ(٢) ضُرًّا وَلَا نَفْعًا»، وَقَالَ: «مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، مَخَافَةَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، نُزِعَتْ مِنْهُ الطَّاعَةُ، وَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ أَوْ بَعْضَ(٣) مَوَالِيهِ لَاسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ»(٤).

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، مِنْ حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتْلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المَائدة: ١٠٥].

وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ** - وَفِي لَفْظٍ: **إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ - أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعِقَابٍ مِنْ عِنْدِهِ**»(٥).

= ماجه [٤٠٠٤] مختصرًا، والبزار في «مسنده» (٣٣٠٤، ٣٣٠٥)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٦]، وابن حبان في «صحيحه» [٢٩٠]، والبيهقي (١٠/ ٩٣)، وغيرهم وإسناده ضعيف فيه مجهولان. وقد ضعفه الشيخ الألباني بتمامه في «ضعيف موارد الظمآن» [٢٢٢]، وصححه دون قوله في آخره: «وتسألوني..» إلخ. في «صحيح الترغيب» [٢٣٢٥].

(١) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٧٣): «العمري: الإمام، القدوة، الزاهد، العابد، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن عمر ابن الخطاب القرشي، العدوي، العمري، المدني. وهو قليل الرواية، مشتغل بنفسه، قوال بالحق أمار بالعرف، لا تأخذه في الله لومة لائم. مات العمري سنة أربع وثمانين ومئة، وله ست وستون سنة رحمه الله تَعَالَى» انتهى باختصار.

(٢) في (ط): لا يملك لنفسه.

(٣) في (أ): وبعض.

(٤) أثر صحيح: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٣٨]، وفي «الأمر بالمعروف» [١٤]، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٤)، والمقدسي في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [٤٩] عن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني الزاهد، وإسناده صحيح.

(٥) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٧)، وأبو داود [٤٣٣٨]، والترمذي [٢١٦٨]، وابن ماجه =

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عن أبي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِذَا أُخْفِيَتِ(١) الْخَطِيئَةُ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ، ضَرَّتِ الْعَامَّةَ»**(٢).

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تُوشِكُ الْقُرَى أَنْ تُخَرَّبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ»، قِيلَ وَكَيْفَ تُخَرَّبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ؟ قَالَ: «إِذَا عَلَا فُجَّارُهَا أَبْرَارَهَا(٣)، وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُوهَا(٤)»(٥).

وَذَكَرَ الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«سَيَظْهَرُ شِرَارُ أُمَّتِي عَلَى خِيَارِهَا، حَتَّى يَسْتَخْفِيَ الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ كَمَا يَسْتَخْفِي الْمُنَافِقُ فِينَا الْيَوْمَ»**(٦).

= [٤٠٠٥]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٢٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» [٣٠٤]، وإسناده صحيح. («الصحيحة» [١٥٦٤]).

(١) في (أ، ط): خفيت.

(٢) حديث موضوع: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٤٠]، والطبراني في «الأوسط» [٤٧٧٠]، وفي إسناده مروان بن سالم الغفاري: متروك، وكذبه الساجي وأبو عروبة الحراني. («الضعيفة» [١٦١٢]).

رواه ابن المبارك في «الزهد» [١٣٥٠]، وغيره، عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: «الْمَعْصِيَةَ إِذَا أُخْفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إلا صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ ضَرَّتِ الْعَامَّةَ» وسنده صحيحٌ.

(٣) في (أ، ب): أمراؤها، وهو خطا، والمثبت من: (ط)، وكتاب: «العقوبات»، و«كنز العمال» (١١/ ١٢٠) رقم: [٣١٤٨٧]، وعزاه إلى أبي موسى المديني في كتاب: «دولة الأشرار».

(٤) في (أ، ط ١): منافقها، والمثبت من: (ب، ط)، وكتاب: «العقوبات».

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٤٤]، وسنده منقطع، وبنحوه الداني في «السنن الواردة في الفتن» [٤٠٢] وإسناده منقطع، وفيه مجهولان.

(٦) ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٤٥]، وأبو شعيب الحراني في «الفوائد المنتقاة» [٩]، والداني في «السنن الواردة في الفتن» [٤٠١]، وإسناده صحيح إلى حسان بن عطية، لكنه مرسلٌ.
=

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ قَالَ: «**يَأْتِي زَمَانٌ يَذُوبُ فِيهِ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ**»، قِيلَ: مِمَّ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِمَّا يَرَى مِنَ الْمُنْكَرِ، لا**(١) **يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهُ**»(٢).

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، مِنْ حَدِيثِ جَرِيرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، وَهُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ؛ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**»(٣).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ، مَا شَأْنُكَ؟**

= («الضعيفة: ٥٥٦٥]).

وروى ابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٨٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» [٢٣٨]، والفريابي في «صفة المنافق» [٩٧]، وابن منده في «فوائده» [١٠] عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ كَمَا يَسْتَخْفِي الْمُنَافِقُ فِيكُمُ الْيَوْمَ**» وفي إسناده: يحيى بن أبي أنيسة: تالفٌ. («الضعيفة» [٦٧٥٩]).

(١) في (أ، ب): فلا، والمثبت من: (ط)، وكتاب: «العقوبات».

(٢) ضعيفٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٤٦]، وفي «الأمر بالمعروف» (٢٥، ٩٦)، من طريق جعفر بن سليمان عن أشرس بن ربيعة عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، وخالفه أسد بن موسى فرواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» [٢٧٣] عنه عن أشرس عن عطاء به مرسلًا، وأشرس فيه جهالة، والحديث فيه اضطراب، وفي رواية عطاء الخراساني كلام، لا سيما عن ابن عباس.

(٣) حسنٌ: رواه الطيالسي [٦٦٣]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦١)، وأبو داود [٤٣٣٩]، وابن ماجه [٤٠٠٩]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٢١٤)، وابن حبان في «صحيحه» [٣٠٠]، وغيرهم من طريق أبي إسحاق السبيعي عن ابن جرير عن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وإسناده حسنٌ إن كان ابن جرير هو عبيد الله، وإسناده صحيح إن كان ابن جرير هو: المنذر. («الصحيحة» [٣٣٥٣]).

أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ(١): **كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»(٢).

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: «كَانَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَغْشَى مَنْزِلَهُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَيَعِظُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ، فَرَأَى بَعْضَ بَنِيهِ يَوْمًا يَغْمِزُ النِّسَاءَ، فَقَالَ: مَهْلًا يَا بُنَيَّ، مَهْلًا يَا بُنَيَّ، فَسَقَطَ مِنْ سَرِيرِهِ، فَانْقَطَعَ نُخَاعُهُ، وَأُسْقِطَتِ امْرَأَتُهُ، وَقُتِلَ بَنُوهُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيِّهِمْ: أَنْ أَخْبِرْ فُلَانًا الْحَبْرَ: أَنِّي لَا أُخْرِجُ مِنْ صُلْبِكَ صِدِّيقًا أَبَدًا، مَا كَانَ غَضَبُكَ لِي إِلَّا أَنْ قُلْتَ: مَهْلًا يَا بُنَيَّ، مَهْلًا يَا بُنَيَّ»(٣).

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ**(٤)**، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»، «وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ الْقَوْمِ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ(٥)، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا»(٦).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ(٧) كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ»(٨).

---

(١) في (ط): قال: بلى، والمثبت من: (أ، ب)، وصحيح البخاري.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أثر حسنٌ: رواه أحمد في «الزهد» [١٠٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٢) وإسناده حسنٌ.

(٤) اي: ما يحتقره العبدُ من الذنوب، ويظنه صغيرًا، حقيرًا.

(٥) اي: ما يصنعونه لطعامهم.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) ساقطة من: (ب)، وغير واضحة في (أ)، وفي (ط): وإن، والمثبت من: (ط ١)، وصحيح البخاري.

(٨) البخاري [٦٤٩٢].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حبستها[١] حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتِ النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا سَقَتْهَا، وَلَا تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»**[٢].

وَفِي «الْحِلْيَةِ» لِأَبِي نُعَيْمٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ تَرَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ دِينَهُمْ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أُمِرُوا بِشَيْءٍ تَرَكُوهُ، وَإِذَا نُهُوا عَنْ شَيْءٍ رَكِبُوهُ، حَتَّى انْسَلَخُوا مِنْ دِينِهِمْ، كَمَا يَنْسَلِخُ الرَّجُلُ مِنْ قَمِيصِهِ»[٣].

وَمِنْ هَهُنَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الْقُبْلَةَ بَرِيدُ الْجِمَاعِ، وَالْغِنَاءَ بَرِيدُ الزِّنَا، وَالنَّظَرَ بَرِيدُ الْعِشْقِ، وَالْمَرَضَ بَرِيدُ الْمَوْتِ»[٤].

وَفِي «الْحِلْيَةِ» أَيْضًا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ قَالَ: «يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَأْمَنْ سُوءَ[٥] عَاقِبَتِهِ، وَلَمَا يَتْبَعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَه[٦]: قِلَّةُ حَيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى الْيَمِينِ وَعَلَى الشِّمَالِ - وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ - أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ بِكَ؛ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ؛ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ؛ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، وَلَا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللهِ إِلَيْكَ؛ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَيْحَكَ! هَلْ تَدْرِي

---

(١) في (ط)، وبعض النسخ: سجنتها.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أثر صحيح: رواه الخلال في «السنة» [٨٠٠]، وابن بطة في «الإبانة - الإيمان» [٧]، أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٩)، وغيرهم عن طارق بن شهاب عن حذيفة، وإسناده صحيح.

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٤٤)، والبيهقي في «الشعب» [٧٢٢٣] عن أبي حفص النيسابوري الزاهد قال: «الْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ، كَمَا أَنَّ الْحُمَّى بَرِيدُ الْمَوْتِ».

(٥) ساقطة من: (أ).

(٦) في (أ، ب): علمته.

مَا كَانَ ذَنْبُ أَيُّوبَ، فَابْتَلَاهُ بِالْبَلَاءِ فِي جَسَدِهِ، وَذَهَابِ مَالِهِ؟ اسْتَغَاثَ بِهِ مِسْكِينٌ عَلَى ظَالِمٍ يَدْرَؤُهُ عَنْهُ، فَلَمْ يغثه[١]، وَلَمْ يَنْهَ الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ، فَابْتَلَاهُ اللهُ»[٢].

وقَالَ[٣] الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ[٤] مَنْ عَصَيْتَ»[٥].

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «بِقَدْرِ مَا يَصْغَرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ يَعْظُمُ عِنْدَ اللهِ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ يَصْغَرُ عِنْدَ اللهِ»[٦].

وَقِيلَ: «أَوْحَى اللهُ تَعَالَىٰ إِلَى مُوسَى: يَا مُوسَى إِنَّ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ خَلْقِي إِبْلِيسُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَصَانِي، وَإِنَّمَا أَعُدُّ مَنْ عَصَانِي مِنَ الْأَمْوَاتِ»[٧].

وَفِي «الْمُسْنَدِ»، وَ«جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١) في (ط)، ونسخة: فلم يعنه، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) ضعيف جدًا: رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٤)، وابن عساكر (١٠/ ٦٠)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٨١]، وفي «القصاص والمذكرين» ص: [٢٢٨] وإسناده تالف جدًا، فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، وجويبر: متروكان، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٣) في (ط): قال.

(٤) في (ب، ط): انظر إلى، والمثبت من: (أ، ط١)، و«الزهد» للإمام أحمد.

(٥) أثر صحيح: رواه ابن المبارك [٧١]، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائد الزهد» ص: [٣٨٤]، والنسائي في «الكبرى» [١١٨٥٤]، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٣١) وغيرهم وإسناده صحيح.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» [٦٤]، والبيهقي في «الشعب» [٧١٥٢]، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٨/ ٤٢٦) من طريق محمد بن أبي القاسم مولى بني هاشم عن الفضيل به، وإسناده منقطع.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» [٤٢]، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠٤)، وابن عساكر (٦١/ ١٥٣)، وابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ١٧٧) عن بقية بن الوليد عن سفيان، أو عن مسروق بن سفيان. على خلاف في الكتب المطبوعة التي خرجته، فإن كان مسروق بن سفيان فلم أجد له ذكرًا في شيء من كتب التراجم، وإن كان سفيان فلعله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الإمام المعروف، وقد عنعن بقية، ولم يصرح بالتحديث.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ**[١] **نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ**[٢] **تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ؛ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ**[٣] **اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»[٤].

وَقَالَ حُذَيْفَةُ: «إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ[٥] نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، حَتَّى يَصِيرَ قَلْبُهُ كَالشَّاةِ الرَّبْدَاءِ[٦]»[٧].

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ الله بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَإِنَّكُمْ أَهْلٌ لِهَذَا الْأَمْرِ مَا لَمْ تَعْصُوا الله، فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ**

---

(١) في (ط): أذنب ذنبًا.

(٢) في (ط)، ونسخة: فإذا، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ط١): ذكر.

(٤) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٧)، والترمذي [٣٣٣٤]، وابن ماجه [٤٢٤٤]، والنسائي في(الكبرى) [١١٦٥٨]، وابن حبان [٢٧٨٧]، والحاكم (٢/ ٥٦٢)، والبيهقي (١٠/ ١٨٨)، وغيرهم وإسناده صحيح.وفي («صحيح الترغيب» [٢٤٦٩]): «حسنٌ».

(٥) في (ط): أذنب العبد ذنبًا.

(٦) الربداء من المعزى: السوداء المنقطة بحمرة، وهي المنقطة الموسومة موضع النطاق منها بحمرة، وهي من شيات المعز خاصة، وشاة ربداء: منقطة بحمرة وبياض أو سواد. «لسان العرب» (٣/ ١٧٠).

(٧) أثر صحيح: رواه أبو داود في «الزهد» [٢٨٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٣)، والبيهقي في «الشعب» [٧٢٠٥]، من محمد بن عبيد - وهو الطنافسي - وأبي خالد الأحمر عن الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن حذيفة، وخالفهما وكيعٌ، فرواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٠٣٢٢]، والخلال في «السنة» [٩٤٤]، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ١٣٥)، عن وكيع عن الأعمش، عن سليمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن عبد الله بن مسعود، والإسناد صحيح، والترجيح بين الروايتين عسير، وهو على كل حالٍّ صحيح إلى طارق بن شهاب وهو صحابي رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ[(١)] كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ - بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ -، ثُمَّ لحَا قَضِيبَهُ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضُ يَصْلِدُ[(٢)]»[(٣)].

❁ وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: عَنْ وَهْبٍ، قَالَ[(٤)]: «إن الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ: قَالَ فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنِّي إِذَا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَايَةٌ، وَإِذَا عُصِيتُ غَضِبْتُ، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ[(٥)]»[(٦)].

❁ وَذَكَرَ أَيْضًا: عَنْ وَكِيعٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا، عَنْ عَامِرٍ[(٧)]، قَالَ: كَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا»[(٨)].

❁ وذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: «لِيَحْذَرِ امْرُؤٌ أَنْ

---

(١) الالتحاء: من اللحو، وهو القَشْرُ، وأخذُ اللِّحَاءِ. الفائق (٣/ ٣١٠).

(٢) يصلدُ: أي يبْرق. «غريب الحديث» لابن قتيبة ص: [٦٢٣].

(٣) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٨)، وأبو يعلى [٥٠٢٤]، والشاشي [٨٦٩]، من طريق عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود به، وإسناده منقطع، قال الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ١١٦): «ورجاله ثقات إلا أنه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم أبيه عبد الله بن مسعود ولم يدركه»، ولم يتنبه شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه العلة عند تخريجه هذا الحديث، فصححه في («الصحيحة» [١٥٥٢])، ولقد نبه رحمه الله على هذا الانقطاع عند تخريجه لحديث آخر في («الضعيفة» [٤٤٢٧]).

(٤) ساقطة من: (أ، ب، ط١)، والمثبت من:(ط) ونسخة.

(٥) في (ب) الولد السابع.

(٦) أثر صحيح عن وهب: سبق تخريجه.

(٧) هو عامر بن شراحيل الشعبي.

(٨) صحيح: رَوَاهُ وكيع في «الزهد» رقم: [٥١٥]، والإمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ» ص: [١٦٥]، والبَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ الكَبِيرِ» رقم: [٨٨٦]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٨٢]، وغيرهم عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كتبَ مُعَاوِيَةُ.. فَذَكَرَهُ، وفي بعضها: كتبت عائشة، وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ، وهو قد أدرك معاوية وسمع منه، لكنه لم يسمع من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. («الصحيحة» تحت رقم: [٢٣١١]).



تَلعَنهُ قُلُوبُ الْـمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، ثُمَّ قَالَ: تَدْرِي[١] مِمَّ هَذَا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَخْلُو بِمَعَاصِي اللهِ، فَيُلْقِي اللهُ بُغْضَهُ فِي قُلُوبِ الْـمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ»[٢].

❁ وَذَكَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، فِي كِتَابِ «الزُّهْدِ» لِأَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: «أَنَّهُ لَـمَّا رَكِبَهُ الدَّيْنُ اغْتَمَّ لِذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْرِفُ هَذَا الْغَمَّ، بِذَنْبٍ أَصَبْتُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[٣].

وَهَهُنَا نُكْتَةٌ دَقِيقَةٌ، يَغْلَطُ فِيهَا النَّاسُ فِي أَمْرِ الذَّنْبِ:

وَهِيَ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ تَأْثِيرَهُ فِي الْحَالِ، وَقَدْ يَتَأَخَّرُ تَأْثِيرُهُ فَيُنْسَى، وَيَظُنُّ الْعَبْدُ أَنَّهُ لَا يُغَبِّرُ[٤] بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

إِذَا لَمْ يُغَبِّرْ حَائِطٌ فِي وُقُوعِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ غُبَارُ[٥]

وَسُبْحَانَ اللهِ! مَاذَا أَهْلَكَتْ هَذِهِ البَلِيَّةُ[٦] مِنَ الْخَلْقِ؟ وَكَمْ أَزَالَتْ مِن نِعْمَةٍ؟ وَكَمْ جَلَبَتْ مِنْ نِقْمَةٍ؟

وَمَا أَكْثَرَ الْـمُغْتَرِّينَ بِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ، فَضْلًا عَنِ الْجُهَّالِ.

وَلَمْ يَعْلَمِ الْـمُغْتَرُّ أَنَّ الذَّنْبَ يَنْقُضُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، كَمَا يَنْقُضُ السُّمُّ، وَكَمَا يَنْقُضُ الْجُرْحُ الْـمُنْدَمِلُ عَلَى الْغِشِّ وَالدَّغَلِ.

---

(١) ساقطة من: (أ)، وفي (ط ١): أتدري، والمثبت من: (ب، ط).

(٢) رواه أبو داود في «الزهد» [١٨٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٥)، وإسناده منقطع. ورواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٤٢] من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الدرداء قال: «لِيَحْذَرِ امْرُؤٌ أَنْ يَمْقُتَهُ قُلُوبُ الْـمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ» وإسناده معضل.

(٣) أثر صحيح: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٧١) من طريق عبد الله بن الإمام أحمد، وابن عساكر (٥٣/ ٢٢٦)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢١٢] وإسناده صحيح.

(٤) في (ب، ط): لا يغير، والمثبت من: (أ، ط ١).

(٥) انظر: «فيض القدير» (٣/ ٢١٨) للمناوي.

(٦) في (أ، ط): النكتة، والمثبت من: (ب، ط ١).

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «اعْبُدُوا اللهَ كَأَنَّكُمْ تَرَوْنَهُ، وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ قَلِيلًا يُغْنِيكُمْ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُلْهِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْبِرَّ لَا يَبْلَى، وَأَنَّ الْإِثْمَ لَا يُنْسَى»(١).

وَنَظَرَ بَعْضُ الْعُبَّادِ إِلَى صَبِيٍّ، فَتَأَمَّلَ مَحَاسِنَهُ، فَأُتِيَ فِي مَنَامِهِ، وَقِيلَ لَهُ: لَتَجِدَنَّ غِبَّهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً(٢).

هَذَا، مَعَ أَنَّ لِلذَّنْبِ نَقْدًا مُعَجَّلًا لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ، قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُ الذَّنْبَ فِي السِّرِّ فَيُصْبِحُ وَعَلَيْهِ مَذَلَّتُهُ»(٣).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ: «عَجِبْتُ مِنْ ذِي عَقْلٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ لَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ، ثُمَّ هُوَ يُشْمِتُ بِنَفْسِهِ كُلَّ عَدُوٍّ لَهُ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ يَعْصِي اللهَ فَيَشْمَتُ بِهِ فِي الْقِيَامَةِ كُلُّ عَدُوٍّ»(٤).

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» [١١٥٥]، ووكيع في «الزهد» [١٣]، ومسدد في مسنده - كما في «المطالب العالية» [٣١٣٠] -، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٥٨٠]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: (١٣٥، ١٤٢)، وهناد في «الزهد» [٥٠٨]، وأبو داود في «الزهد» [٢٠٠]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٢)، والبيهقي في «الشعب» [١٠٦٦٤]، وابن عساكر (٤٧/ ١٦٧)، ورواه عن أبي الدرداء: عبد الله بن مرة، وقيل: عمرو بن مرة، وأبو قلابة، وسنده منقطع. وروي مرفوعًا ولا يصح. انظر: («الضعيفة» [١٥٧٦، ٤١٢٤]).

(٢) رواه ابن عساكر (٦/ ٨٤)، وابن العديم في «تاريخ حلب» (٣/ ١٢٣٧) وابن الجوزي ص: [١٢٧] عن أبي عبد الله بْنِ الْجَلاءِ قال: «كُنْتُ وَاقِفًا أَنْظُرُ إِلَى غُلام نَصْرَانِيٍّ حَسَنِ الْوَجْهِ، فَمَرَّ بِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْبَلْخِيُّ، فَقَالَ: إِيشِ وُقُوفُكَ؟ فَقُلْتُ: عَمِّ، مَا تَرَى هَذِهِ الصُّورَةَ تُعَذَّبُ بِالنَّارِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ بَيْنَ كَتِفَيَّ، وَقَالَ: لَتَجِدَنَّ غِبَّهَا وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، قَالَ ابْنُ الْجَلاءِ: فَوَجَدْتُ غِبَّهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أُنْسِيتُ الْقُرْآنَ». وفي سندها: علي بن عبد الله بن جهضم الصوفي وهو كذاب يضع الحديث.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» [٦٧]، وفي «التوبة» [١٩٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣١)، والبيهقي في «الشعب» [٧٢٣١]، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» [١٢٦]، وفي «ذم الهوى» ص: [١٨٣].

(٤) ذكره الهيتمي في «الزواجر» (١/ ٢٥).

[وَقَالَ ذُو النُّونِ: «مَنْ خَانَ اللهَ فِي السِّرِّ هَتَكَ اللهُ سِتْرَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ»[١]][٢].

❁ ❁ ❁

(١) أثر صحيح: رواه البيهقي في «الشعب» [٦٩٨٨]، والقشيري في «الرسالة» ص: [٦٥]، وابن الجوزي في «المنتظم» (١٢/ ١٤٩) وهو صحيح عنه.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط١).

فَصْلٌ

وَلِلْمَعَاصِي مِنَ الْآثَارِ الْقَبِيحَةِ الْـمَذْمُومَةِ، والْـمُضِرَّةِ[١] بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ والدُّنْيَا[٢] وَالْآخِرَةِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الله.

فَمِنْهَـا: حِرْمَانُ الْعِلْمِ: فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ الله فِي الْقَلْبِ، وَالْـمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

وَلَـمَّا جَلَسَ الشَّافِعِيُّ[٣] بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ، أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقُّدِ ذَكَائِهِ، وَكَمَالِ فَهْمِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي أَرَى الله قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْـمَعْصِيَةِ»[٤].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ ... وَفَضْلُ الله لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي[٥]

وَمِنْهَـا: حِرْمَانُ الرِّزْقِ. وَفِي الْـمُسْنَدِ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**» وَقَدْ تَقَدَّمَ[٦].

وَكَمَا أَنَّ تَقْوَى الله مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ، فَتَرْكُ التَّقْوَى مَجْلَبَةٌ لِلْفَقْرِ، فَمَا اسْتُجْلِبَ رِزْقُ الله بِمِثْلِ تَرْكِ الْـمَعَاصِي.

---

(١) في (ط)، وبعض النسخ: المضرة، والمثبت من: (أ، ب، ط ١).

(٢) في (ط)، ونسخة: في الدنيا، والمثبت من: (أ، ب، ط ١).

(٣) في (ط): الإمام الشافعي.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/ ٢٨٤ - ٢٨٦).

(٥) «ديوان الشافعي» [٧٢]، وفي (ب): لا يؤتى لعاصي.

(٦) تقدم تخريجه.



وَمِنْهَا: وَحْشَةٌ يَجِدُهَا الْعَاصِي فِي قَلْبِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، لَا يُوَازِنُهَا وَلَا يُقَارِنُهَا[١] لَذَّةٌ أَصْلًا، وَلَوِ اجْتَمَعَتْ لَهُ لَذَّاتُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا لَمْ تَفِ بِتِلْكَ الْوَحْشَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُحِسُّ بِهِ إِلَّا مَنْ فِي قَلْبِهِ حَيَاةٌ.

وَمَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامٌ[٢]

فَلَوْ لَمْ يَتْرُكِ[٣] الذُّنُوبَ إِلَّا حَذَرًا مِنْ وُقُوعِ تِلْكَ الْوَحْشَةِ، لَكَانَ الْعَاقِلُ حَرِيًّا بِتَرْكِهَا.

وَشَكَا رَجُلٌ إِلَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ وَحْشَةً، يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ لَهُ:

إِذَا كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ ... فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ[٤]

وَلَيْسَ عَلَى الْقَلْبِ أَمَرُّ مِنْ وَحْشَةِ الذَّنْبِ عَلَى الذَّنْبِ، فَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَمِنْهَا: الْوَحْشَةُ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَلَاسِيَّمَا أَهْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ يَجِدُ وَحْشَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ تِلْكَ الْوَحْشَةُ بَعُدَ مِنْهُمْ، وَمِنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَحُرِمَ بَرَكَةَ الِانْتِفَاعِ بِهِمْ، وَقَرُبَ مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، بِقَدْرِ مَا بَعُدَ مِنْ حِزْبِ الرَّحْمَنِ، وَتَقْوَى هَذِهِ الْوَحْشَةُ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ، فَتَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهِ وَأَقَارِبِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ، فَتَرَاهُ مُسْتَوْحِشًا مِنْ نَفْسِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِنِّي لَأَعْصِي اللهَ فَأَرَى ذَلِكَ فِي خُلُقِ دَابَّتِي، وَامْرَأَتِي»[٥].

---

(١) في (ط): لا توازنها، ولا تقارنها، وفي بعض النسخ: لا يوازنها، ولا يقاربها.

(٢) عجز بيت للمتنبي، وصدره: «من يهن يسهل الهوان عليه»، ديوان المتنبي تحقيق عزام ص: [١٤٩].

(٣) في (ط): لم تترك.

(٤) رواه الخطابي في «العزلة» ص: [١٧] عن أبي سليمان قال: «أنشدني بعض أهل المعرفة».

(٥) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٨٥]، ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٩) بلفظ: «أَصْلَحُ مَا أَكُونُ أَفْقَرُ مَا أَكُونُ، وَإِنِّي لَأَعْصِي اللهَ فَأَعْرِفُ ذَلِكَ فِي خُلُقِ حِمَارِي وَخَادِمِي». وإسناده لا بأس به.

وَمِنْهَا: تَعْسِيرُ أُمُورِهِ عَلَيْهِ، فَلَا يَتَوَجَّهُ لِأَمْرٍ إِلَّا يَجِدُهُ مُغْلَقًا دُونَهُ، أَوْ مُتَعَسِّرًا عَلَيْهِ، وَهَذَا كَمَا أَنَّ مَنْ تَلَقَّى اللهَ جَعَلَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا، فَمَنْ عَطَّلَ التَّقْوَى جَعَلَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ عُسْرًا.

وَيَا للهِ الْعَجَبُ! كَيْفَ يَجِدُ الْعَبْدُ أَبْوَابَ الْخَيْرِ وَالْمَصَالِحِ مَسْدُودَةً عَنْهُ، وَطُرُقَهَا مُعَسَّرَةً عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ؟

وَمِنْهَا: ظُلْمَةٌ يَجِدُهَا فِي قَلْبِهِ حَقِيقَةً، يَحِسُّ بِهَا كَمَا يَحِسُّ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ إِذَا ادْلَهَمَّ، فَتَصِيرُ ظُلْمَةُ الْمَعْصِيَةِ لِقَلْبِهِ كَالظُّلْمَةِ الْحِسِّيَّةِ لِبَصَرِهِ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ نُورٌ، وَالْمَعْصِيَةَ ظُلْمَةٌ.

وَكُلَّمَا قَوِيَتِ الظُّلْمَةُ ازْدَادَتْ حَيْرَتُهُ، حَتَّى يَقَعَ فِي الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ وَالْأُمُورِ الْمُهْلِكَةِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، كَأَعْمَى أُخْرِجَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ يَمْشِي وَحْدَهُ.

وَتَقْوَى هَذِهِ الظُّلْمَةُ حَتَّى تَظْهَرَ فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ تَقْوَى حَتَّى تَعْلُوَ الْوَجْهَ، وَتَصِيرُ سَوَادًا فِيهِ[١]، حَتَّى[٢] يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَإِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ»[٣].

---

(١) في نسخة: في الوجه.

(٢) ساقطة من: (ط، ط١)، وغير واضحة في (أ)، والمثبت من: (ب).

(٣) ذكره شيخ الإسلام في «الجواب الصحيح» (٦/ ٤٨٩)، و«منهاج السنة» (٣/ ٢٧)، وابن القيم في «الوابل الصيب» ص: [٤٨]، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٢٤)، ولم أقف على سنده.

وقد روى ابن أبي شيبة [٣٥١٩٥]، وابن أبي الدنيا في «التوبة» [١٩٧] بسند صحيح عن الحسن البصري قال: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ، فَتَكُونُ نُورًا فِي قَلْبِهِ، وَقُوَّةً فِي بَدَنِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ السَّيِّئَةَ، فَتَكُونُ ظُلْمَةً فِي قَلْبِهِ، وَوَهَنًا فِي بَدَنِهِ»، وروي مرفوعًا ولا يصح.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْـمَعَاصِيَ تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ.

أَمَّا وَهْنُهَا لِلْقَلْبِ: فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ، بَلْ لَا تَزَالُ تُوهِنُهُ حَتَّى تُزِيلَ حَيَاتَهُ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَأَمَّا وَهْنُهَا لِلْبَدَنِ: فَإِنَّ الْـمُؤْمِنَ قُوَّتُهُ مِنْ[1] قَلْبِهِ، وَكُلَّمَا قَوِيَ قَلْبُهُ قَوِيَ بَدَنُهُ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنَّهُ - وَإِنْ كَانَ قَوِيَّ الْبَدَنِ - فَهُوَ أَضْعَفُ شَيْءٍ عِنْدَ الْحَاجَةِ، فَتَخُونُهُ قُوَّتُهُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى نَفْسِهِ. فَتَأَمَّلْ قُوَّةَ أَبْدَانِ فَارِسَ وَالرُّومِ، كَيْفَ خَانَتْهُمْ، أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا، وَقَهَرَهُمْ أَهْلُ الْإِيمَانِ بِقُوَّةِ أَبْدَانِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ؟!

وَمِنْهَا: حِرْمَانُ الطَّاعَةِ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلذَّنْبِ عُقُوبَةٌ إِلَّا أَنَّه[2] يَصُدُّ عَنْ طَاعَةٍ تَكُونُ بَدَلَهُ، وَيَقْطَعُ طَرِيقَ طَاعَةٍ أُخْرَى، فَيَنْقَطِعَ عَلَيْهِ[3] طَرِيقٌ ثَالِثَةٌ[4]، ثُمَّ رَابِعَةٌ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَيَنْقَطِعُ عَلَيْهِ بِالذَّنْبِ[5] طَاعَاتٌ كَثِيرَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا[6] خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَهَذَا كَرَجُلٍ أَكَلَ أَكْلَةً أَوْجَبَتْ لَهُ مَرْضَةً طَوِيلَةً، مَنَعَتْهُ مِنْ عِدَّةِ أَكَلَاتٍ أَطْيَبَ مِنْهَا، فَاللهُ[7] الْـمُسْتَعَانُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْـمَعَاصِيَ تُقَصِّرُ الْعُمُرَ، وَتَمْحَقُ بَرَكَتَهُ، وَلَا بُدَّ، فَإِنَّ الْبِرَّ كَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، فَالْفُجُورُ يُقَصِّرُ الْعُمُرَ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْـمَوْضِعِ[8].

---

(١) في (ط)، وبعض النسخ: في.

(٢) في (ط)، وبعض النسخ: أن، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ط) وبعض النسخ: فينقطع عليه بالذنب، والمثبت من: (أ، ب).

(٤) في (ب): ثلاثة، وهو خطأ.

(٥) ساقطة من: (ب).

(٦) ساقطة من: (أ. ب)، والمثبت من: (ط)، وبعض النسخ.

(٧) في (ط)، وبعض النسخ: والله.

(٨) في هامش (ب): نقصان عمر العاصي هو ذهاب بركته.

فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: نُقْصَانُ عُمُرِ الْعَاصِي هُوَ ذَهَابُ بَرَكَةِ عُمُرِهِ، وَمَحْقُهَا عَلَيْهِ، وَهَذَا حَقٌّ، وَهُوَ بَعْضُ تَأْثِيرِ الْمَعَاصِي.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلْ تُنْقِصُهُ[1] حَقِيقَةً، كَمَا ينقصُ[2] الرِّزْقَ، فَجَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِلْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ أَسْبَابًا كَثِيرَةً؛ تُكَثِّرُهُ، وَتَزِيدُهُ، وَلِلْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ أَسْبَابًا؛ تُكَثِّرُهُ، وَتَزِيدُهُ.

قَالُوا: وَلَا يمتنعُ زِيَادَةُ الْعُمُرِ بِأَسْبَابٍ كَمَا يُنْقَصُ بِأَسْبَابٍ.

فَالْأَرْزَاقُ[3] وَالْآجَالُ، وَالسَّعَادَةُ وَالشَّقَاوَةُ، وَالصِّحَّةُ وَالْمَرَضُ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرُ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَضَاءِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، فَهُوَ يَقْضِي مَا يَشَاءُ بِأَسْبَابٍ جعَلَهَا مُوجِبَةً لِمُسَبَّبَاتِهَا، مُقْتَضِيَةً لَهَا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى: تَأْثِيرُ الْمَعَاصِي فِي مَحْقِ الْعُمُرِ إِنَّمَا هُوَ بِأَنَّ حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ هِيَ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَلِهَذَا جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْكَافِرَ مَيِّتًا غَيْرَ حَيٍّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل: ٢١].

فَالْحَيَاةُ فِي الْحَقِيقَةِ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَعُمُرُ الْإِنْسَانِ مُدَّةُ حَيَاتِهِ، فَلَيْسَ عُمُرُهُ إِلَّا أَوْقَاتَ حَيَاتِهِ بِاللهِ، فَتِلْكَ سَاعَاتُ عُمُرِهِ، فَالْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَالطَّاعَةُ تَزِيدُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، الَّتِي هِيَ حَقِيقَةُ عُمُرِهِ، وَلَا عُمُرَ لَهُ سِوَاهَا.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَالْعَبْدُ إِذَا أَعْرَضَ عَنِ اللهِ، وَاشْتَغَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاتِهِ الْحَقِيقِيَّةُ، الَّتِي يَجِدُ غِبَّ إِضَاعَتِهَا يَوْمَ يَقُولُ: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

---

(١) في (ب): ينقصه.

(٢) في (ب): نقص، وفي (ط): تنقص، والمثبت من: (أ).

(٣) في (ط): والأرزاق، والمثبت من: (أ، ب، ط).

فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ تَطَلُّعٌ إِلَى مَصَالِحِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، أَوْ لَا؟[١]، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَطَلُّعٌ إِلَى ذَلِكَ؛ فَقَدْ ضَاعَ عَلَيْهِ عُمُرُهُ كُلُّهُ، وَذَهَبَتْ حَيَاتُهُ بَاطِلًا.

وَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَلُّعٌ إِلَى ذَلِكَ؛ طَالَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ بِسَبَبِ الْعَوَائِقِ، وَتَعَسَّرَتْ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، بِسَبَبِ[٢] اشْتِغَالِهِ بِأَضْدَادِهَا، وَذَلِكَ نُقْصَانٌ حَقِيقِيٌّ مِنْ عُمُرِهِ.

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ عُمُرَ الْإِنْسَانِ مُدَّةُ حَيَاتِهِ، وَلَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِإِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَالتَّنَعُّمِ بِحُبِّهِ، وَذِكْرِهِ، وَإِيثَارِ مَرْضَاتِهِ.



(١) في (ب): وإلا.
(٢) في (ط، ط١): بحسب، والمثبت من: (أ، ب).

فَصْلٌ [١]

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعَاصِيَ تَزْرَعُ أَمْثَالَهَا، وَيُوَلِّدُ[٢] بَعْضُهَا بَعْضًا، حَتَّى يَعِزَّ عَلَى الْعَبْدِ مُفَارَقَتُهَا، وَالْخُرُوجُ مِنْهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «**إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا، وَإِنَّ مِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا**»[٣].

فَالْعَبْدُ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً قَالَتْ أُخْرَى إِلَى جَانِبِهَا[٤]: اعْمَلْنِي أَيْضًا، فَإِذَا عَمِلَهَا، قَالَتِ الثَّالِثَةُ[٥] كَذَلِكَ، وَهَلُمَّ جَرًّا، فَتَضَاعَفُ[٦] الرِّبْحُ، وَتَزَايَدَتِ الْحَسَنَاتُ.

وَكَذَلِكَ جَانِبُ السَّيِّئَاتُ أَيْضًا، حَتَّى تَصِيرَ الطَّاعَاتُ وَالْمَعَاصِي هَيْئَاتٍ رَاسِخَةً، وَصِفَاتٍ لَازِمَةً، وَمَلَكَاتٍ ثَابِتَةً، فَلَوْ عَطَّلَ الْمُحْسِنُ الطَّاعَةَ لَضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَأَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ، حَتَّى يُعَاوِدَهَا، فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ، وَتَقَرَّ عَيْنُهُ.

وَلَوْ عَطَّلَ الْمُجْرِمُ الْمَعْصِيَةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ لَضَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ، وَضَاقَ عليهِ[٧] صَدْرُهُ، وَأَعْيَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ، حَتَّى يُعَاوِدَهَا، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُسَّاقِ لَيُوَاقِعُ الْمَعْصِيَةَ مِنْ غَيْرِ لَذَّةٍ يَجِدُهَا، وَلَا دَاعِيَةٍ إِلَيْهَا، إِلَّا لِمَا يَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ بِمُفَارَقَتِهَا.

---

(١) في هامش (ب): توليد المعاصي بعضها بعضًا.

(٢) في (أ): وتولد، والمثبت من: (ب، ط).

(٣) ذكره شيخ الإسلام في عدد من كتبه منها: «الصفدية» ص: [٨٨]، و«الفتاوى الكبرى» (١/ ٤٢٥)، وعزاه في «التحفة العراقية» ص: [٣٩] إلى سعيد بن جبير، وذكره ابن كثير في «تفسيره في عدة مواطن منها» (١/ ٤١٩)، وذكره ابن القيم في عدد من كتبه منها: «طريق الهجرتين» ص: [٤١١]، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٩٩).

(٤) في (ط): جنبها.

(٥) في (ط ١): الثانية، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٦) في (أ): فيضاعف.

(٧) ساقطة من: (ط، ط ١)، والمثبت من: (أ، ب).

كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ شَيْخُ الْقَوْمِ الْحَسَنُ بْنُ هَانِئٍ حَيْثُ يَقُولُ:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا[(١)]

وَقَالَ الْآخَرُ[(٢)]:

فَكَانَتْ دَوَائِي وَهْيَ دَائِي بِعَيْنِهِ ... كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ[(٣)]

وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يُعَانِي الطَّاعَةَ، وَيَأْلَفُهَا وَيُحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا حَتَّى يُرْسِلَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَيْهِ الْـمَلَائِكَةَ تَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا، وَتُحَرِّضُهُ عَلَيْهَا، وَتُزْعِجُهُ عَنْ فِرَاشِهِ وَمَجْلِسِهِ إِلَيْهَا.

وَلَا يَزَالُ يَأْلَفُ الْـمَعَاصِيَ وَيُـحِبُّهَا وَيُؤْثِرُهَا، حَتَّى يُرْسِلَ اللهُ إِلَيْهِ الشَّيَاطِينَ، فَتَؤُزُّهُ إِلَيْهَا أَزًّا.

فَالْأَوَّلُ قَوَّى جَنَّدَ الطَّاعَةَ بِالْـمَدَدِ، فَصارو مِنْ أَكْبَرِ أَعْوَانِهِ، وَهَذَا قَوَّى جَنَّدَ الْـمَعْصِيَةَ بِالْـمَدَدِ وَكَانُوا[(٤)] أَعْوَانًا عَلَيْهِ.

❁❁❁

(١) نسبه المؤلف هنا إلى الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس، وهو منسوب للأعشى كما في «ديوانه تحقيق د. محمد محمد حسين» ص: [١٧٣].

(٢) في (أ، ط): آخر، والمثبت من: (ب).

(٣) العجز من البيت منسوب إلى قيس بن الملوح كما في «ديوانه تحقيق يسري» ص: [٧٠]، وصدره: «تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى عَنِ الْهَوَى».

(٤) في (ط): فكانوا، والمثبت من: (أ، ب).

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: - وَهُوَ مِنْ أَخْوَفِهَا عَلَى الْعَبْدِ - أَنَّهَا تُضْعِفُ الْقَلْبَ عَنْ إِرَادَتِهِ، فَتَقْوَى إِرَادَةُ الْـمَعْصِيَةِ، وَتَضْعُفُ إِرَادَةُ التَّوْبَةِ شَـيْئًا فَشَيْئًا، إِلَى أَنْ تَنْسَلِخَ مِنْ قَلْبِهِ إِرَادَةُ التَّوْبَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَوْ مَاتَ نِصْفُهُ لَمَا تَابَ إِلَى اللهِ، فَيَأْتِي من الِاسْتِغْفَارِ، وَتَوْبَةِ الْكَذَّابِينَ بِاللِّسَانِ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، وَقَلْبُـهُ مَعْقُودٌ بِالْـمَعْصِيَةِ، مُـصِرٌّ عَلَيْهَا، عَازِمٌ عَلَى مُوَاقَعَتِهَا مَتَـى أمكنته وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَمْرَاضِ وَأَقْرَبِهَا إِلَى الْهَلَاكِ.



فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَنْسَلِخُ[(١)] مِنَ الْقَلْبِ اسْتِقْبَاحُهَا، فَتَصِيرُ[(٢)] لَهُ عَادَةً، فَلَا يَسْتَقْبِحُ مِنْ نَفْسِهِ رُؤْيَةَ النَّاسِ لَهُ، وَلَا كَلَامَهُمْ فِيهِ.

وَهَذَا عِنْدَ أَرْبَابِ الْفُسُوقِ هُوَ غَايَةُ التَّهَتُّكِ، وَتَمَامُ اللَّذَّةِ، حَتَّى يَفْتَخِرَ أَحَدُهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيُحَدِّثَ بِهَا مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ عَمِلَهَا، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ كَذَا وَكَذَا.

وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ النَّاسِ لَا يُعَافَوْنَ، وَتُسَدُّ عَلَيْهِمْ طَرِيقُ التَّوْبَةِ، وَتُغْلَقُ عَنْهُمْ أَبْوَابُهَا فِي الْغَالِبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المجاهرين[(٣)]، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَسْتُرَ اللهُ عَلَى الْعَبْدِ، ثُمَّ يُصْبِحُ يَفْضَحُ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فيهتك[(٤)] نَفْسَهُ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ»**[(٥)].

وَمِنْهَا: أَنَّ كُلَّ مَعْصِيَةٍ مِنَ الْمَعَاصِي فَهِيَ مِيرَاثٌ عَنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ، الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فَاللُّوطِيَّةُ: مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ.

وَأَخْذُ الْحَقِّ بِالزَّائِدِ وَدَفْعُهُ بِالنَّاقِصِ، مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ.

وَالْعُلُوُّ فِي الْأَرْضِ والفسادُ[(٦)]، مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ[(٧)].

---

(١) في (أ): تنسلخ.

(٢) في (أ): فيصير.

(٣) في (ب): المجاهرون.

(٤) في (ط): فهتك.

(٥) البخاري [٦٠٦٩]، ومسلم [٢٩٩٠].

(٦) في (ط): بالفساد.

(٧) في (ط ١): فرعون وقومه.

وَالتَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ مِيرَاثٌ عَنْ قَوْمِ هُودٍ.

فَالْعَاصِي لَابِسٌ ثِيَابَ بَعْضِ[1] هَذِهِ الْأُمَمِ، وَهُمْ أَعْدَاءُ الله.

وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الله بْنُ أَحْمَدَ، فِي «كِتَابِ الزُّهْدِ» لِأَبِيهِ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: «أَوْحَى الله إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ قُلْ لِقَوْمِكَ: لَا يَدْخُلُوا[2] مَدَاخِلَ أَعْدَائِي، وَلَا يَلْبَسُوا مَلَابِسَ أَعْدَائِي وَلَا يَرْكَبُوا مَرَاكِبَ أَعْدَائِي، وَلَا يَطْعَمُوا مَطَاعِمَ أَعْدَائِي، فَيَكُونُوا[3] أَعْدَائِي كَمَا هُمْ أَعْدَائِي»[4].

وَفِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَتَّى يُعْبَدَ الله وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»[5].



---

(١) في (ب): بعض ثياب.

(٢) في (ط١): تدخلوا، والمثبت من: (أ، ب، ط)، وكذلك بقية الأفعال في الأثر: تلبسوا، تركبوا، تطعموا، فتكونوا.

(٣) في (ب): فيكونوا هم.

(٤) أثرٌ حسنٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٧٧، ٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧١) وسنده حسنٌ.

(٥) صحيحٌ: علَّقه البخاري في «صحيحه» (٣/ ١٠٦٧)، ورواه موصولًا: ابن أبي شيبة في «المصنف» [١٩٤٠١]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠)، وأبو داود [٤٠٣١] مختصرًا، وعبد بن حميد [٨٤٨]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٢١٣)، وغيرهم، وإسناده صحيحٌ. («إرواء الغليل» [١٢٦٩]).

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّ[١] الْـمَعْصِيَةَ سَبَبُ هَوَانِ الْعَبْدِ عَلَى رَبِّهِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «هَانُوا عَلَيْهِ فَعَصَوْهُ، وَلَوْ عَزُّوا عَلَيْهِ لَعَصَمَهُمْ»[٢].

وَإِذَا[٣] هَانَ الْعَبْدُ عَلَى اللهِ لَمْ يُكْرِمْهُ أَحَدٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ[٤]: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، وَإِنْ عَظَّمَهُمُ النَّاسُ فِي الظَّاهِرِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ، أَوْ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِمْ، فَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ أَحْقَرُ شَيْءٍ وَأَهْوَنُهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَرْتَكِبُ الذَّنْبَ حَتَّى يَهُونَ عَلَيْهِ، وَيَصْغُرَ فِي قَلْبِهِ، وَذَلِكَ عَلَامَةُ الْهَلَاكِ، فَإِنَّ الذَّنْبَ كُلَّمَا صَغُرَ فِي عَيْنِ الْعَبْدِ عَظُمَ عِنْدَ اللهِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٥] قَالَ: «إِنَّ الْـمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ فِي أَصْلِ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عليه، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ وَقَعَ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا فَطَارَ»[٦].

❁❁❁

---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) رواه ابن الجوزي في (المنتظم) (١٤/ ٣٥٦)، وابن النجار في (ذيل تاريخ بغداد) (١٦/ ٣٣٣) وإسناده معضل.

(٣) في (ب): فإذا.

(٤) في (أ، ط ١): قال تَعَالَىٰ، والمثبت من: (ب، ط).

(٥) في (أ): عن عبد الله بن مسعود.

(٦) البخاري [٦٣٠٨].

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ يَعُودُ عَلَيْهِ شُؤْمُ ذَنْبِهِ، فَيَحْتَرِقُ هُوَ وَغَيْرُهُ بِشُؤْمِ الذُّنُوبِ وَالظُّلْمِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «إِنَّ الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ»(١).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «إِنَّ(٢) الْبَهَائِمَ تَلْعَنُ عُصَاةَ بَنِي آدَمَ إِذَا اشْتَدَّتِ السَّنَةُ، وَأُمْسِكَ الْمَطَرُ، وَتَقُولُ: هَذَا بِشُؤْمِ مَعْصِيَةِ ابْنِ آدَمَ(٣)»(٤).

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: «دَوَابُّ الْأَرْضِ وَهَوَامُّهَا حَتَّى الْخَنَافِسُ وَالْعَقَارِبُ، يَقُولُونَ: مُنِعْنَا الْقَطْرَ بِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ»(٥).

فَلَا يَكْفِيهِ عِقَابُ ذَنْبِهِ، حَتَّى يبوء بِلَعْنَةِ(٦) مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.

❁❁❁

---

(١) أثرٌ حسنٌ: رواه ابن جرير (١٢/ ١٢٦)، وابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٦٩، ٢٧٢)، والبيهقي في «الشعب» [٧٤٧٩]، من طرق عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حسنٌ.

(٢) في (ب): وإن.

(٣) في (ب): بني آدم.

(٤) صحيحٌ: رواه ابن وهب في «تفسيره» [٢٤]، وابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٤٦-١٤٤٨)، وهو صحيح.

(٥) حسنٌ: ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٥٥) بسند لا بأس به.

(٦) في (أ، ط): حتى يلعنه.

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تُورِثُ الذُّلَّ، وَلَا بُدَّ؛ فَإِنَّ الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي طَاعَةِ الله تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى[١]: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] أَيْ: فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ الله، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي طَاعَته[٢].

وَكَانَ مِنْ[٣] دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ، وَلَا تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ»[٤].

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ[٥] بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى الله إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ[٦]»[٧].

وَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ[٨] الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا[٩]

---

(١) في (ب): قال الله تَعَالَى. (٢) في (ط): طاعة الله. (٣) في (ب): في.

(٤) ذكر الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» ص: [٦٤] أنه من دعاء الإمام أحمد، وروى أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٢٨) عن غسان بن المفضل الغلابي - وهو ثقة -، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ، وَلا تُخْزِنِي بِمَعْصِيَتِكَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مُوَاسَاةَ مَنْ قَتَّرْتَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ بِمَا وَسَّعْتَ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ»، قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ يَعْنِي: غَسَّانَ، فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ سَعِيدَ ابْنَ سَلْمٍ، فَقَالَ: «هَذَا دُعَاءُ الأَشْرَافِ»، وسنده صحيح إلى غسان.

(٥) في (أ): طقطقت. (٦) في (أ): أن يذل قلوبهم.

(٧) ذكره شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٤٢٦)، وابن القيم أيضًا في «إغاثة اللهفان» (١/ ٤٨)، «وروضة المحبين» ص: [١٠٢]، وابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ١٧٨) وعزاه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٦٠) إلى الفضيل بن عياض.

(٨) في (ب): يفسد.

(٩) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ٢٧٩)، و«شعب الإيمان» للبيهقي [٧٣٠٠].

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّ الْـمَعَاصِيَ تُفْسِدُ الْعَقْلَ. فَإِنَّ لِلْعَقْلِ نُورًا، وَالْـمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ نُورَ الْعَقْلِ، وَلَا بُدَّ. وَإِذَا طُفِئَ نُورُهُ ضَعُفَ وَنَقَصَ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «مَا عَصَى اللهَ أَحَدٌ حَتَّى يَغِيبَ عَقْلُهُ»[١]

وَهَـذَا ظَاهِـرٌ، فَإِنَّهُ لَوْ حَـضَرَه[٢] عَقْلُهُ لَحَجَزَهُ عَنِ الْـمَعْصِيَةِ، وَهُـوَ فِي قَبْضَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٣]، وتَحْتَ[٤] قَهْرِهِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَفِي دَارِهِ، وعَلَى بِسَاطِهِ، وَمَلَائِكَتُهُ شُهُودٌ عَلَيْـهِ، نَاظِرُونَ إِلَيْهِ، وَوَاعِظُ الْقُرْآنِ يَنْهَاهُ، وواعظُ الإِيـمانِ يَنْهَاهُ، وَوَاعِظُ الْـمَوْتِ يَنْهَاهُ، وَوَاعِـظُ النَّارِ يَنْهَاهُ، وَالَّـذِي يَفُوتُهُ بِالْـمَعْصِيَةِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَـا وَالْآخِرَةِ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَـا يَحْصُـلُ[٥] لَـهُ مِـنَ الـسُّرُورِ وَاللَّـذَّةِ بِهَا، فَهَـلْ يُقْـدِمُ[٦] عَـلَى الِاسْـتِهَانَةِ بِذَلِـكَ كُلِّهِ، وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ؟.



---

(١) لم أقـف عليـه بهذا اللفـظ، وقد روى ابن أبي الدنيـا في كتاب: «العقل وفضلـه» [١٩]، وابن حبان في «روضة العقلاء» ص: [١٩] بسـند ضعيف عن الحسـن أنه قال: «مَا يَتِمُّ دِينُ الرَّجُلِ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ»، وروى ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٦٥٨) بسـند ضعيف عن أبي العالية أنه قال: «ما عصى الله عبد إلا من جهالة».

(٢) في (أ): حضر.

(٣) زيادة من: (أ).

(٤) في (ط): أو تحت.

(٥) في (أ): تحصل.

(٦) في (أ): تقدم.

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَكَاثَرَتْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا، فَكَانَ(١) مِنَ الْغَافِلِينَ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، قَالَ: «هُوَ الذَّنْبُ بَعْدَ الذَّنْبِ»(٢).

وَقَالَ الْحَسَنُ: «هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يَعْمِيَ الْقَلْبَ»(٣).

وَقَالَ غَيْرُهُ: «لَـمَّا كَثُرَتْ ذُنُوبُهُمْ وَمَعَاصِيهِمْ أَحَاطَتْ بِقُلُوبِهِمْ»(٤).

وَأَصْلُ هَذَا: أَنَّ الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْـمَعْصِيَةِ، فَإِذَا(٥) زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ(٦)، حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَقُفْلًا وَخَتْمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلَافٍ، فَإِذَا(٧) حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ الْهُدَى وَالْبَصِيرَةِ انْتَكَسَ فَصَارَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ، وَيَسُوقُهُ حَيْثُ أَرَادَ.

---

(١) في (أ): وكان.

(٢) هو إحدى الألفاظ عن الحسن، ومروي عن قتادة. انظر: «تفسير ابن جرير» (٣٢/ ٩٨ - ٩٩).
«صحيح البخاري» (٧/ ١٦٦)
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الوَاصِلَةَ وَالـمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالـمُسْتَوْشِمَةَ»

(٣) أثر صحيحٌ: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣٥٦)، وابن أبي الدنيا في «التوبة» [١٩٦]، وابن جرير (٣٠/ ٩٨) وسنده صحيح.

(٤) ذكر البغوي في «تفسيرخ» (١/ ٩٠)، والثعلبي في «تفسيره» (١/ ٢٢٧) عن مجاهد قال: «هي الذنوب تحيط بالقلب، كلما عمل ذنبًا ارتفعت، حتى يغشى القلب، وهي الرين»

(٥) في (أ، ط١): فإن، والمثبت من: (ب، ط).

(٦) في (أ): فإن زادت زاد عليه الصدأ.

(٧) في (أ، ط١): فإن، والمثبت من: (ب، ط).

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: أَنَّ الذُّنُوبَ تُدْخِلُ الْعَبْدَ تَحْتَ لَعْنَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

❁ فَإِنَّهُ لَعَنَ عَلَى مَعَاصٍ(١) وغَيْرُهَا(٢) أَكْبَرُ(٣) مِنْهَا، فَهِيَ أَوْلَى بِدُخُولِ فَاعِلِهَا تَحْتَ اللَّعْنَةِ.

❁ فَلَعَنَ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ(٤)، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ(٥)، وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوْشِرَةَ(٦).

❁ وَلَعَنَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيهِ(٧).

---

(١) في (ب، ط): معاصي. (٢) في (ط): والتي غيرها.

(٣) في (أ): أكثر.

(٤) في (أ، ط١): والموصولة، وفي (ط): والموصلة، والمثبت من: (ب).
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ». رواه البخاري [٥٩٤٠]، ومسلم [٢١٢٤].

(٥) عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ» قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. » فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الْآنَ، قَالَ: «اذْهَبِي فَانْظُرِي»، قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا». رواه البخاري [٥٩٣٩]، ومسلم [٢١٢٥].

(٦) هي بمعنى المتفلجة، وقد وردت عدة روايات فيها لعن الواشرة، منها حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالْمُتَنَمِّصَةَ وَالنَّامِصَةَ، وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوْشِرَةَ» رواه الباغندي في «مسند عمر» (٢٩، ٨٤)، وفي إسناده عبدالجبار بن عمر: ضعيف.

(٧) في (ط): وشاهده.

=

❁ وَلَعَنَ الْـمُحَلِّلَ وَالْـمُحَلَّلَ لَهُ(١).

❁ وَلَعَنَ السَّارِقَ(٢).

❁ وَلَعَنَ شَارِبَ الْخَمْرِ، وَسَاقِيهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُشْتَرِيهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْـمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ(٣).

❁ وَلَعَنَ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَعْلَامُهَا وَحُدُودُهَا(٤).

❁ وَلَعَنَ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ(٥).

❁ وَلَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا، يَرْمِيهِ بِسَهْمٍ(٦).

= عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ»، وَقَالَ: «هُمْ سَوَاءٌ». رواه مسلم [١٥٩٨].

(١) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الْـمُحِلَّ وَالْـمُحَلَّلَ لَهُ»، رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٠)، والدارمي [٢٢٥٠]، والترمذي [١١٢٠]، وإسناده صحيح على شرط البخاري. «صحيح الترمذي».

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَعَنَ الله السَّارِقَ، يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ» رواه البخاري [٦٧٨٣]، ومسلم [١٦٨٧].

(٣) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَلَعَنَ شَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْـمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا»**. رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥)، وأبو داود [٣٦٧٤]، وابن ماجه [٣٣٨٠]، وإسناده صحيح. («صحيح الترغيب» [٢٣٥٦]).

(٤) عن أَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»**.
رواه مسلم [١٩٧٨]، وفي لفظ: «لعن الله من لعن والديه».

(٥) ورد في عدة أحاديث منها حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي سبق ذكره.

(٦) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا، وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا =

❁ وَلَعَنَ الْـمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْـمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ(١).

❁ وَلَعَنَ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ(٢).

❁ وَلَعَنَ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا(٣).

❁ وَلَعَنَ الْـمُصَوِّرِينَ(٤).

❁ وَلَعَنَ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ(٥).

❁ وَلَعَنَ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ، وَمن سبَّ أُمَّهُ(٦).

= لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «مَنْ فَعَلَ هَذَا لَعَنَ اللهُ، مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ **«لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»**. رواه مسلم [١٩٥٨].

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الْـمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْـمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»، وَقَالَ: **«أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ»** قَالَ: فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فُلَانًا، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا. البخاري [٥٨٨٦].

(٢) ورد في عدة أحاديث منها حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي سبق ذكره.

(٣) ورد في عدة أحاديث منها حديث علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي سبق ذكره.

(٤) عن أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الوَاشِمَةَ وَالْـمُسْتَوْشِمَةَ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَكَسْبِ البَغِيِّ، وَلَعَنَ الْـمُصَوِّرِينَ» رواه البخاري [٥٣٤٧].

(٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَّهَ أَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ثَلَاثًا»**. رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٩)، والنسائي في «الكبرى» [٧٢٩٧]، وابن حبان في «صحيحه» [٤٤١٧]، وغيرهم، وإسناده حسنٌ. («الصحيحة» [٣٤٦٢]).

(٦) في (ب، ط): ولعن من سب أباه، وأمه. والمثبت من: (أ، ط ١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»** قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: **«نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»**. رواه البخاري [٥٩٧٣]، ومسلم [١٤٦].

❁ وَلَعَنَ مَنْ كَمِهَ أَعْمَى (١) عَنِ الطَّرِيقِ (٢).

❁ وَلَعَنَ مَنْ أَتَى بَهِيمَةً (٣).

❁ وَلَعَنَ مَنْ وَسَمَ دَابَّةً فِي (٤) وَجْهِهَا (٥).

❁ وَلَعَنَ مَنْ ضَارَّ بِمُسْلِمٍ (٦) أَوْ مَكَرَ بِهِ (٧).

❁ وَلَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ (٨).

---

(١) في (ب): أضل.

(٢) سبق ذكره ضمن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) سبق ذكره ضمن حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) في (أ): على.

(٥) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ**». رواه مسلم [٢١١٩].

(٦) في (ط): مسلمًا، والمثبت من: (أ، ب).

(٧) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكَرَ بِهِ**»، رواه الترمذي [١٩٤١]، وغيره، وإسناده ضعيف فيه: فرقد السبخي: ضعيفٌ. («الضعيفة» [١٩٠٤]).

(٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»، وعند جماعة ممن خرجه بلفظ: «زوارات». رَوَاهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٢٧٣٣]، وَعَلِيُّ بنُ الجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١٥٠٠]، وأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧)، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» رقم: (٧٥٤٩، ١١٨١٤)، وأَبُو دَاودَ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٢٣٦]، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٢٠]، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وابنُ مَاجَهْ رقم: [١٥٧٥] - مقتصرًا على الشطرِ الأول-، والحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «نَوَادِرِ الأُصُولِ» (١/ ١٤٧) رقم: [٩٥]، وَالنَّسَائِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٤/ ٩٤) وَابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيْحِه» رقم: (٣١٧٩، ٣١٨٠)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيرِ» رقم: [١٢٧٢٥]، وابنُ شَاهِيْنَ فِي «النَّاسِخِ والمَنْسُوخِ» رقم: [٣٠٨]، وابنُ جُمَيعٍ الصَّيدَاوِيُّ فِي «مُعْجَمِ شيوخِهِ» ص: [٢٦٦]، والحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» (١/ ٣٧٤)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى» (٤/ ٧٨)، والخطيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (٨/ ٧٠)، وابنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «التَّمهيدِ» (٣/ ٢٣٢)، والبَغَوِيُّ فِي «شَرْحِ السُّنَّةِ» رقم: [٥١٠]، وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيْقِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابنِ عَبَّاسٍ بِهِ. واخْتُلِفَ فِي المرادِ بأبِي صَالِحٍ فَقِيلَ: هُوَ بَاذَامُ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ - وَهُوَ قول الجمهورِ -، وَقِيلَ: هُوَ ذَكْوَانُ السَّمَّانُ - وَهُوَ قول الطَّبَرَانِيِّ =

❁ وَلَعَنَ مَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ مَمْلُوكًا عَلَى سَيِّدِهِ(١).

❁ وَلَعَنَ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا(٢).

= وصرَّحت بِهِ روايةُ الصيداويِّ -، وَقِيْلَ: هُوَ مِيزَانُ البَصْرِيُّ - قَالَهُ ابنُ حِبَّانَ -. وَالأظْهَرُ أَنَّهُ بَاذَانُ، وَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيْهِ، وَيَظْهَرُ لِي أَنَّهُ حَسَنُ الحَدِيْثِ، ضَعِيفٌ فِي التَّفْسِيْرِ، وَلِمُعْظَمِهِ شَوَاهِدُ صَحِيْحَةٌ. وَالحَدِيْثُ حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ، والبَغَوِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ، وَابنُ السَّكَنِ وَغَيْرُهُمْ، قال الحاكمُ: «أَبُو صَالِحٍ هَذَا لَيْسَ بِالسَّمَّانِ الْمُحْتَجِّ بِهِ، إِنَّمَا هُوَ بَاذَانُ، وَلَمْ يَحْتَجَّ بِهِ الشَّيْخَانِ، لَكِنَّهُ حَدِيثٌ مُتَدَاوَلٌ فِيمَا بَيْنَ الأَئِمَّةِ، وَوَجَدْتُ لَهُ مُتَابِعًا مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ فِي مَتْنِ الْحَدِيثِ فَخَرَّجْتُهُ»، وَحَكَمَ بِثُبُوتِهِ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ فِي «مَجْمُوعِ الفَتَاوَى» (٢٤/ ٣٤٩ - ٣٥٢) ولَخَّصَهُ مُقِرًّا لَهُ الشيخ عبد الرحمن بن حسن في هذا الباب، وَقَالَ ابنُ رَجَبٍ فِي «فتح البارِي» (٢/ ٢٠٧): «وَضَعَّفَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَقَالَ: لَمْ يَصِحَّ عِنْدِي حَدِيثُهُ هَذَا. وَقَالَ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ: «التَّفْصِيلِ»: هَذَا الحَدِيْثُ لَيْسَ بِثَابِتٍ، وَأَبُو صَالِحٍ بَاذَامُ قَدِ اتَّقَى النَّاسُ حَدِيثَهُ، وَلا يَثْبُتُ لَهُ سَمَاعٌ مِنِ ابنِ عَبَّاسٍ». («الضعيفة» [٢٢٥]).

ولَعْنُ «زوارات القُبُورِ» صَحِيحٌ بِشَوَاهِدِهِ. وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «المُصَنَّفِ» (٣/ ٥٦٩) بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لُعِنَ زُوَّارَاتُ القُبُورِ**». («إرواء الغليل» [٧٧٤]).

(١) لم أقف عليه بلفظ اللعن، ولكن قد جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ خَبَّبَ خَادِمًا عَلَى أَهْلِهَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا فَلَيْسَ مِنَّا**». رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٧)، وإسحاق في «مسنده» [١٣٤]، والنسائي في «الكبرى» [٩٢١٤]، وابن حبان [٥٦٨]، والبيهقي في «الشعب» [٥٤٣٢]، وغيرهم، وإسناده صحيح. («الصحيحة» [٣٢٤]).

(٢) لقد تكاثرت الأحاديث في تحريم إتيان المرأة في دبرها، وهذا أمر مقطوع به، وأما اللعن من إتيان المرأة في دبرها فقد ورد حديثان فيهما نظر:

الأول- حديث عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**لَعَنَ اللهُ الَّذِينَ يَأْتُونَ النِّسَاءَ فِي مَحَاشِّهِنَّ**» رواه ابن أبي حاتم في «العلل» [١٢٢٩]، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٨٤)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٨)، والطبراني في «الأوسط» [١٩٣١] وفي إسناده عبد الصمد بن الفضل فيه نظر، وقال أبو حاتم: «منكر بهذا الإسناد»، وقد تفرد به عبدالصمد عن ابن وهب عن ابن لهيعة.

الحديث الثاني- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا**». رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٤)، وأبو داود [٢١٦٢]، والنسائي في «الكبرى» [٩٠١٥]، وأبو عوانة في «مستخرجه» [٤٢٩٢]، وغيرهم وفي إسناده الحارث بن مخلد: غير مشهور، =

۞ وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ بَاتَتْ مُهَاجِرَةً لِفِرَاشِ زَوْجِهَا؛ لَعَنَتْهَا الْـمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ(١).

۞ وَلَعَنَ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ(٢).

۞ وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فَإِنَّ الْـمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ(٣).

۞ وَلَعَنَ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ(٤).

= والأشهر والأكثر عنه روايته بلفظ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا**». ورواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١١)، وأبو يعلى [٦٤٦٢]، والطبراني في «الأوسط» [٤٧٥٤]، والبغوي في «تفسيره» (١/ ١٩٩) وفي إسناده مسلم بن خالد الزنجي وهو ضعيف، وروايته هذه منكرة. وقد حسنه شيخنا الألباني في عدد من كتبه منها: («صحيح أبي داود - الأم -» [١٨٧٨]).

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**». رواه البخاري [٣٢٣٧]، ومسلم [١٤٣٨].

(٢) ورد في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر الصحيفة، وفيه: «وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْـمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا». رواه البخاري [٣١٨٠]، ومسلم [١٥٠٩] واللفظ له.

(٣) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**» رواه مسلم [١٩١٤].

(٤) ورد لعن من سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عدة أحاديث لا تخلوا من مقال، وثمة روايات يمكن تحسين الحديث بها على طريقة المحققين من أهل الحديث، فمن ذلك: مرسل عطاء. فعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ**» رواه علي بن الجعد [٢٠١٠]، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠، ١٧٣٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» [١٠٠١]، وغيرهم، وله شاهد من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باللفظ السابق، رواه الطبراني في «الأوسط» [١٨٤٦] بسند حسن إلى عطية، وعطية ضعيفٌ. وله شاهدٌ ثانٍ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: «**مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**»، رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» [٨]، والخلال في «السنة» [٥٥٣]، و«الآجري في الشريعة» [٨٢٧]، والطبراني [٢١٠٨]، وغيرهم بسند حسن عن أبي شيبة الجوهري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأبو شيبة: لين الحديث ضعيفه. وله شاهد ثالث من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَالِمِ ابْنِ عُتْبَةَ بْنِ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اخْتَارَنِي، وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا، فَجَعَلَ مِنْهُمْ أَصْهَارًا، وَأَنْصَارًا، وَوُزَرَاءَ، فَمَنْ سَبَّهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ** =

* وَقَدْ لَعَنَ اللهُ مَنْ أَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ وَقَطَعَ رَحِمَهُ[(١)]، وَآذَاهُ وَآذَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم[(٢)].

* وَلَعَنَ مَنْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى[(٣)].

* وَلَعَنَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بِالْفَاحِشَةِ[(٤)].

* وَلَعَنَ مَنْ جَعَلَ سَبِيلَ[(٥)] الْكَافِرِ أَهْدَى مِنْ سَبِيلِ الْمُسْلِمِ[(٦)].

* وَلَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ[(٧)].

= وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلا عَدْلًا». وعبد الرحمن وأبوه مجهولان. وهناك شواهد أخرى، أكتفي بها ذكرته. والحديث بهذه الشواهد حسنٌ بلا شك. («الصحيحة» [٢٣٤٠]).

(١) قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

(٤) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]

(٥) في (أ): سبل.

(٦) في (ط): المسلمين، وفي هامش (ب، ط١): المؤمن، والمثبت من: (أ، ب).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ - ٥٢]

(٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ». رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٢٥)، وأبو داود [٤٠٩٨]، والنسائي في «الكبرى» [٩٢٥٣]، وابن حبان في «صحيحه» [٥٧٥١]، والحاكم (٤/ ٢١٥) وغيرهم وإسناده صحيح. («صحيح الترغيب» [٢٠٦٩]).

❁ وَلَعَنَ الرَّاشِي وَالْـمُرْتَشي[(١)] وَالرَّائِشَ، وَهُوَ: الْوَاسِطَةُ فِي الرِّشْوَةِ[(٢)].

❁ وَلَعَنَ عَلى[(٣)] أَشْيَاءَ أُخَرَ غَيْرِ هَذِهِ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِ[(٤)] ذَلِكَ إِلَّا رِضَا[(٥)] فَاعِلِهِ بِأَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَلْعَنُهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَلَائِكَتُهُ لَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا يَدْعُو إِلَى تَرْكِهِ.

❁❁❁

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ». رواه عبد الرزاق في «المصنف» [١٤٦٦٩] وابن أبي شيبة في «المصنف» [٢١٩٦٦]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤)، وأبو داود [٣٥٨٠]، والترمذي [١٣٣٧]، وابن ماجه [٢٣١٣]، وابن حبان في «صحيحه» [٥٠٧٧]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٥٦٥٧]، والحاكم (٤/ ١١٥) وغيرهم، وهو حديث صحيح. («إرواء الغليل» [٢٦٢٠]).

(٢) لا يصح حديث في ذكر الرائش، وإن كان فعله محرمًا لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، ومن الدلالة على الشرِّ، ووسيلة لكبيرة من الكبائر، والوسائل لها أحكام المقاصد.
عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ». رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٧٩)، والبزار [٤١٦٠]، والطحاوي (٥٦٥٥ - ٥٦٥٦)، والروياني [٦٣٩]، والطبراني [١٤١٥]، وفي «الدعاء» [٢١٠١] وفي إسناده ليث بن أبي سليم: ضعيفٌ، وفي بعض رواياته زيادة شيخٍ لليث يكنى بأبي الخطاب وهو مجهول. («الضعيفة» [١٢٣٥]).

(٣) ساقطة من: (أ).

(٤) ساقطة من: (أ).

(٥) في (ط): رضاء.

فَصْلٌ

وَمِنْهَا: حِرْمَانُ دَعْوَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَدَعْوَةِ الْـمَلَائِكَةِ.

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩]

فَهَذَا دُعَاءُ الْـمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ الْـمُتَّبِعِينَ لِكِتَابِهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، الَّذِينَ لَا سَبِيلَ لَهُمْ(١) غَيْرُهُمَا، [فَلَا يَطْمَعُ غَيْرُ هَؤُلَاءِ](٢) بِإِجَابَةِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، إِذْ لَمْ يَتَّصِفْ بِصِفَاتِ الْـمَدْعُوِّ لَهُ بِهَا، [وَاللهُ الْـمُسْتَعَانُ](٣).



---

(١) في (ط): له.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الْـمَعَاصِي: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ[١] ﷺ مِمَّا[٢] يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمُ الْبَارِحَةَ رُؤْيَا؟ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ[٣] شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَأَنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا - ابتعثاني، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الْحَجَرُ هَهُنَا، فيتبعُ الْحَجَر، فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يصحّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْـمَرَّةِ الْأُولَى.

قَالَ: قُلْتُ لَـهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ. انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ[٤] مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يصحّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْـمَرَّةِ الْأُولَى.

قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ فَقَالَا لِي: انْطَلِقِ. انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، وَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا.

---

(١) في (أ): رسول الله. (٢) في (ب): فيما. (٣) في (ب): ما.

(٤) في (ب): بكلاب، وأشار في الهامش أنه: بكلوب.

فَقَالَ: قُلْتُ: مَا[١] هَؤُلَاءِ؟ قَالَ[٢]: فَقَالَا لِي: انْطَلِقِ. انْطَلِقْ.

قال: فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، فَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ، قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْبَحَ[٣]، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فألقمه حَجَرًا.

قُلْتُ لَهُمَا[٤]: مَا هَذَانِ؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ. انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْـمَرْآةِ[٥]، كَأَكْرِهِ[٦] مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْأًى، وَإِذَا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يحشها[٧] وَيَسْعَى حَوْلَهَا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقِ. انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا فأتينا[٨] عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ[٩]، فِيهَا مِنْ كُلِّ نُورِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَانَي[١٠] الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ، لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ.

---

(١) في (ب): من.

(٢) ساقطة من: (ب، ط).

(٣) في (ب): وإذا ذلك السابح يسبح ما سبح، وفي (أ): وإذا ذلك السابح يسبح.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ب): المنظر.

(٦) في (أ، ط): أو كأكره، وفي (ب): وكأكره، والمثبت من: (ط١)، وبعض النسخ، وصحيح البخاري.

(٧) اي: يوقدها.

(٨) ساقطة من: (أ، ب)، وفي (ط): حتى أتينا، والمثبت من: (ط١)، وصحيح البخاري.

(٩) في (ب): معتمة أي مظلم.

(١٠) في (ب): ظهري.

قَالَ: قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا[١] هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ. انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ[٢] عَظِيمَةٍ، لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ، قَالَ: قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ، وَلَبِنِ فِضَّةٍ[٣].

قَالَ: فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ، فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ.

قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، قَالَ: وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا، وقَدْ[٤] ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ.

قَالَ[٥]: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذاكَ[٦] مَنْزِلُكَ.

قَالَ: فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ.

قَالَ: قَالَا لِي: هذاكَ[٧] مَنْزِلُكَ.

قال: قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا، فَذَرَانِي فَأَدْخُلُهُ، قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ.

قال[٨]: قُلْتُ لَهُما[٩]: فَإِنِّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ[١٠] عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟

قَالَ: قَالَا لي[١١]: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.

---

(١) في (ب): ما.
(٢) في (ب): دوحة شجرة كبيرة.
(٣) في (ب): بلبن من ذهب، ولبن من فضة.
(٤) في (ط): قد.
(٥) في (ب): قال: قلت: ما هذا؟ قال..
(٦) في (أ، ب، ط): وهذا، والمثبت من: (ط ١)، وصحيح البخاري.
(٧) في (أ، ب، ط): هذا، والمثبت من: (ط١)، وصحيح البخاري.
(٨) ساقطة من: (ط).
(٩) في (ب): لهم.
(١٠) في (ب): اليوم.
(١١) ساقطة من: (أ، ط ١)، والمثبت من: (ب، ط)، وصحيح البخاري.

❁ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُثْلَغُ[١] رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ.

❁ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ، تَبْلُغُ الْآفَاقَ.

❁ وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ[٢] التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.

❁ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ، وَيُلْقَمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا.

❁ وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ المرآة[٣]، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا، وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكٌ، خَازِنُ جَهَنَّمَ[٤].

❁ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ.

❁ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ - وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْقَانِيِّ: وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ - فَقَالَ[٥] بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ.

❁ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وَشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُمْ»[٦].

---

(١) في (ب): الذي يثلغ.

(٢) في (ب): أثناء.

(٣) في (ب): المنظر.

(٤) في (ب): خازن النار.

(٥) في (ب): قال.

(٦) البخاري [٧٠٤٧].

فصل

وَمِنْ(١) آثَارِ الذُّنُوبِ وَالْـمَعَاصِي: أَنَّهَا تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ: فِي(٢) الْـمِيَاهِ وَالْهَوَاءِ، وَالزَّرْعِ(٣)، وَالثِّمَارِ، وَالْـمَسَاكِنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «إِذَا وَلِيَ الظَّالِمُ سَعَى بِالظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، فَيَحْبِسُ اللهُ بِذَلِكَ(٤) الْقَطْرَ، فَيَهْلِكُ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ، واللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]».

ثُمَّ قَالَ: «أَمَا وَاللهِ، مَا هُوَ بَحْرُكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَى مَاءٍ جَارٍ فَهُوَ بَحْرٌ»(٥).

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: «﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]، أَمَا إِنِّي(٦) لَا أَقُولُ لَكُمْ: بَحْرُكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كُلُّ قَرْيَةٍ عَلَى مَاءٍ»(٧).

وَقَالَ قَتَادَةُ: «أَمَّا الْبَرُّ فَأَهْلُ الْعَمُودِ، وَأَمَّا الْبَحْرُ فَأَهْلُ الْقُرَى وَالرِّيفِ»(٨).

قُلْتُ: وَقَدْ(٩) سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْـمَاءَ الْعَذْبَ بَحْرًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣](١٠).

---

(١) في (ب): وأما. (٢) في (ب): وفي.
(٣) في (ط، ط ١): الزروع، والمثبت من: (أ، ب).
(٤) في (ب): فيحبس بذلك.
(٥) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣١٧) وإسناده صحيح.
(٦) في (ب): أنا.
(٧) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣١٧) وإسناده صحيح.
(٨) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٤٩) وإسناده صحيح.
(٩) في (ب): قد.
(١٠) لم يذكر آية الفرقان في (ط)، وإنما أورد هذه الآية: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر: ١٢].

وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ بَحْرٌ حُلْوٌ وَاقِفٌ، وَإِنَّمَا هِيَ الْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ، وَالْبَحْرُ الْمَالِحُ هُوَ السَّاكِنُ، فَسَمَّى الْقُرَى الَّتِي عَلَيْهَا الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ بِاسْمِ تِلْكَ الْمِيَاهِ[(١)].

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١]. قَالَ: «الذُّنُوبُ»[(٢)].

قُلْتُ: أَرَادَ أَنَّ الذُّنُوبَ سَبَبُ الْفَسَادِ الَّذِي ظَهَرَ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي ظَهَرَ هُوَ الذُّنُوبُ نَفْسُهَا، فَيَكُونُ قَوْلِهِ[(٣)]: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ [الروم: ٤١].[(٤)] لَامَ الْعَاقِبَةِ وَالتَّعْلِيلِ.

وَعَلَى الْأَوَّلِ فَالْمُرَادُ بِالْفَسَادِ: النَّقْصُ وَالشَّرُّ وَالْآلَامُ، الَّتِي يُحْدِثُهَا اللهُ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ مَعَاصِي الْعِبَادِ، فَكُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثَ اللهُ لَهُمْ عُقُوبَةً، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «كُلَّمَا أَحْدَثْتُمْ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللهُ لَكُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ عقوبةً»[(٥)].

وَالظَّاهِرُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْفَسَادَ الْمُرَادَ بِهِ الذُّنُوبُ وَمُوجِبَاتُهَا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١]. فَهَذَا حَالُنَا، وَإِنَّمَا أَذَاقَنَا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ مِنْ أَعْمَالِنَا، فَلَوْ[(٦)] أَذَاقَنَا كُلَّ أَعْمَالِنَا لَمَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ.

وَمِنْ تَأْثِيرِ مَعَاصِي اللهِ[(٧)] فِي الْأَرْضِ: مَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ الْخَسْفِ وَالزَّلَازِلِ، ومحقِ بَرَكَتِهَا، وَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى دِيَارِ ثَمُودَ، فَمَنَعَهُمْ مِنْ دُخُولِ دِيَارِهِمْ[(٨)]، وَمِنْ شُرْبِ[(٩)] مِيَاهِهِمْ، وَمِنَ الِاسْتِسْقَاءِ مِنْ آبَارِهِمْ، حَتَّى أَمَرَ أَنْ يُعْلَفَ الْعَجِينُ الَّذِي عُجِنَ بمائهم[(١٠)] لِلنَّوَاضِحِ[(١١)]، لِتَأْثِيرِ شُؤْمِ الْمَعْصِيَةِ فِي الْمَاءِ.

---

(١) في (ب): فسمى القرى التي على باسم تلك المياه الجارية. وفي هذا الكلام تشويش.

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٤٩) وإسناده صحيح.

(٣) في (ط): فيكون اللام في قوله.

(٤) في (ط): ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١].

(٥) عزاه في «الدر المنثور» (٤/ ٦١٨) إلى أبي الشيخ عن مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٦) في (ط): ولو.

(٧) في (ب): المعاصي لله.

(٨) في (ط): فمنعهم من دخول ديارهم إلا وهم باكون.

(٩) في (ب): وشرب.

(١٠) في (ط)، وبعض النسخ: بمياههم.

(١١) عن عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: «**لا تَدْخُلُوا** =

وَكَذَلِكَ شُؤْمِ تَأْثِيرِ[(١)] الذُّنُوبِ فِي نَقْصِ الثِّمَارِ، وَمَا ترمى بِهِ[(٢)] مِنَ الْآفَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، فِي ضِمْنِ حَدِيثٍ قَالَ: «وُجِدَ[(٣)] فِي خَزَائِنَ بَنِي أُمَيَّةَ حِنْطَةٌ، الْحَبَّةُ بِقَدْرِ نَوَاةِ التَّمْرَةِ، وَهِيَ فِي صُرَّةٍ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: هَذَا كَانَ يَنْبُتُ فِي زَمَنِ الْعَدْلِ»[(٤)].

وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ أَحْدَثَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا أَحْدَثَ الْعِبَادُ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَأَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِ الصَّحْرَاءِ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْهَدُونَ الثِّمَارَ أَكْبَرَ مِمَّا هِيَ الْآنَ، وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ الَّتِي تُصِيبُهَا[(٥)] لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا، وَإِنَّمَا[(٦)] حَدَثَتْ مِنْ قُرْبٍ.

وَأَمَّا تَأْثِيرُ الذُّنُوبِ فِي الصُّوَرِ وَالْخَلْقِ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ»، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فلم يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ**»[(٧)].

= **عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**»، رواه البخاري [٤٣٣]، ومسلم [٢٩٨٠]، وفي لفظ: «**لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ**» رواه البخاري [٣٣٧٨]، ومسلم [٢٩٨١].

(١) في (ب): تأثير شؤم.

(٢) في (ب): ومما رمي به، وفي (ط): وما ترى به، والمثبت من: (أ).

(٣) في (ط ١): وجدت.

(٤) رواه ابن أبي شيبة [٣٥١٦٤]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٦)، والدوري في «تاريخه» [٣٨٩٧]، والدينوري في «المجالسة» [٩٢] عن أبي قحذم قال: «وُجِدَ فِي زَمَنِ زِيَادٍ أَوْ ابْنِ زِيَادٍ صُرَّةٌ فِيهَا حَبٌّ أَمْثَالُ النَّوَى عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: هَذَا نَبَتَ فِي زَمَانٍ كَانَ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْعَدْلِ»، وفي رواية ابن أبي شيبة: «أُتِيَ ابْنُ زِيَادٍ بِصُرَّةٍ فِيهَا حَبُّ حِنْطَةٍ أَمْثَالُ النَّوَى وُجِدَتْ فِي بَعْضِ بُيُوتِ الْكِسْرَى مَكْتُوبٌ مَعَهَا: هَذَا نَبَتُ زَمَانٍ، كَانَ يُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللهِ». ويحتمل أن يكون أبو قحذم النضر بن معبد وهو ضعيف، أو رجلًا آخر تفرد عنه عوف، وذكر الدولابي في الكنى أنه لا يعرف اسمه، فهو مجهول. والله أعلم.

(٥) في (أ) لم تصبها.

(٦) في (أ): فإنما.

(٧) البخاري [٦٢٢٧]، ومسلم [٢٨٤١]، ولم أقف عليه عند الترمذي بهذا اللفظ.

ولَـمَّا يُطَهِّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْأَرْضَ[١] مِنَ الظَّلَمَةِ وَالْفَجَرَةِ وَالْخَوَنَةِ، ويُخْرِجُ[٢] عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا[٣]، وَيَقْتُلُ الْـمَسِيحُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى[٤]، وَيُقِيمُ الدِّينَ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَتُخْرِجُ[٥] الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا، وَتَعُودُ كَمَا كَانَتْ، حَتَّى إِنَّ الْعِصَابَةَ مِنَ النَّاسِ لَيَأْكُلُونَ الرُّمَّانَةَ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيَكُونُ الْعُنْقُودُ مِنَ الْعِنَبِ وَقْرَ بَعِيرٍ، وَإِنَّ[٦] اللِّقْحَةَ الْوَاحِدَةَ تَكْفِي[٧] الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ[٨].

وَهَذِهِ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَـمَّا طَهُرَتْ مِنَ الْـمَعَاصِي ظَهَرَتْ[٩] فِيهَا آثَارُ الْبَرَكَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، الَّتِي مَحَقَتْهَا الذُّنُوبُ وَالْكُفْرُ.

---

(١) في (ط) فإذا أراد الله أن يطهر الأرض. وهو خطأ.

(٢) في (ط): يخرج.

(٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا**»، قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا». رواه الإمام أحمد (٣/ ٣٦)، وأبو يعلى [٩٨٧]، وابن حبان في «صحيحه» [٦٨٢٣]، والحاكم (٤/ ٦٠٠) وغيرهم وإسناده صحيح. («الصحيحة» [١٥٢٩]).

(٤) قتل اليهود كونهم أتباع الدجال، وقتل النصارى لكونه يكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام، أو القتل.

(٥) في (ط١): تخرج، والمثبت من: (أ، ب، ط). ولعل معنى وتخرج أي: فتخرج، فتكون الواو بمعنى الفاء.

(٦) في (ب): ولبن.

(٧) في (ط، ط١): لتكفي، وفي (ب): يكفي، والمثبت من: (أ).

(٨) روى مسلم [٢٩٣٩] من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذكر الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ».

(٩) في (ب): حتى ظهر.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ فِي الْأَرْضِ بَقِيَتْ آثَارُهَا سَارِيَةً فِي الْأَرْضِ، تَطْلُبُ[١] مَا يُشَاكِلُهَا مِنَ الذُّنُوبِ، الَّتِي هِيَ آثَارُ تِلْكَ الْجَرَائِمِ، الَّتِي عُذِّبَتْ بِهَا الْأُمَمُ.

فَهَذِهِ الْآثَارُ فِي الْأَرْضِ مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْعُقُوبَاتِ، كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْمَعَاصِي مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْجَرَائِمِ، فَتَنَاسَبَتْ حكمة[٢] اللهِ وَحُكْمُهُ الْكَوْنِيُّ أَوَّلًا وَآخِرًا[٣].

وَكَانَ الْعَظِيمُ مِنَ الْعُقُوبَةِ لِلْعَظِيمِ مِنَ الْجِنَايَةِ، وَالْأَخَفُّ لِلْأَخَفِّ[٤]، وَهَكَذَا يَحْكُمُ[٥] سُبْحَانَهُ بَيْنَ خَلْقِهِ فِي دَارِ الْبَرْزَخِ، وَدَارِ الْجَزَاءِ.

وَتَأَمَّلْ مُقَارَنَةَ الشَّيْطَانِ، وَمَحَلَّهُ، وَدَارَهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَارَنَ الْعَبْدَ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ؛ نُزِعَتِ الْبَرَكَةُ مِنْ عُمُرِهِ، وَعَمَلِهِ، وَقَوْلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَلَمَّا أَثَّرَتْ طَاعَتُهُ فِي الْأَرْضِ مَا أَثَّرَتْ، نُزِعَتِ الْبَرَكَةُ مِنْ كُلِّ مَحِلٍّ ظَهَرَتْ فِيهِ طَاعَتُهُ[٦]، وَكَذَلِكَ مَسْكَنُهُ لَمَّا كَانَ الْجَحِيمَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنَ الرَّوحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ.



---

(١) في (ب): يطلب.

(٢) في (ط): كلمة.

(٣) في (ب): فتناسبت حكمة الله الكوني أولًا وآخرًا.

(٤) في (ب): والأخف الأخف.

(٥) في (ب): بحكم الله.

(٦) اي: طاعة الشيطان.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ، الَّتِي هِيَ لِحَيَاتِهِ وَصَلَاحِهِ كَالْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ لِحَيَاةِ جَمِيعِ الْبَدَنِ.

فَالْغَيْرَةُ حَرَارَتُهُ، وَنَارُهُ الَّتِي تُخْرِجُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَبَثِ وَالصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةِ، كَمَا يُخْرِجُ الْكِيرُ خَبَثَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ.

وَأَشْرَفُ النَّاسِ وَأَعْلَاهُمْ قدرًا وهِمَّةً[١]: أَشَدُّهُمْ غَيْرَةً عَلَى نَفْسِهِ، وَخَاصَّتِهِ، وَعُمُومِ النَّاسِ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَغْيَرَ الْخَلْقِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَشَدُّ غَيْرَةً مِنْهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»، عَنْهُ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: **«أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِي»**[٢].

وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةِ الْكُسُوفِ: **«يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أحدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ»**[٣].

وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: **«لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ، مُبَشِّرِينَ، وَمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ**، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ»**[٤].

فَجَمَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَ الْغَيْرَةِ الَّتِي أَصْلُهَا كَرَاهَةُ الْقَبَائِحِ، وَبُغْضُهَا، ومَحَبَّةِ الْعُذْرِ، الَّذِي يُوجِبُ كَمَالَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ.

---

(١) في (أ، ط): وأعلاهم همة.

(٢) البخاري [٦٨٤٦]، ومسلم [١٤٩٩] من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) البخاري [١٠٤٤]، ومسلم [٩٠١] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) البخاري (٤٦٣٤، ٤٦٣٧)، ومسلم [١٤٩٨] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وَاللهُ[١] سُبْحَانَهُ - مَعَ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ - يُحِبُّ أَنْ يَعْتَذِرَ إِلَيْهِ عَبْدُهُ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ عَبِيدَهُ بِارْتِكَابِ مَا يَغَارُ مِنَ ارْتِكَابِهِ، حَتَّى يَعْذُرَ[٢] إِلَيْهِمْ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ إِعْذَارًا وَإِنْذَارًا، وَهَذَا غَايَةُ الْمَجْدِ وَالْإِحْسَانِ، وَنِهَايَةُ الْكَمَالِ.

فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ تَشْتَدُّ[٣] غَيْرَتُهُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ؛ تَحْمِلُهُ[٤] شِدَّةُ الْغَيْرَةِ عَلَى سُرْعَةِ الْإِيقَاعِ وَالْعُقُوبَةِ، مِنْ غَيْرِ إِعْذَارٍ[٥] مِنْهُ، وَمِنْ غَيْرِ قَبُولٍ لِعُذْرِ[٦] مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ، بَلْ يَكُونُ لَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ عُذْرٌ، وَلَا تَدَعُهُ شِدَّةُ الْغَيْرَةِ أَنْ يَقْبَلَ عُذْرَهُ.

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يَقْبَلُ الْمَعَاذِيرَ يَحْمِلُهُ[٧] عَلَى قَبُولِهَا قِلَّةُ الْغَيْرَةِ، حَتَّى يَتَوَسَّعَ فِي طُرُقِ الْمَعَاذِيرِ، وَيَرَى عُذْرًا مَا لَيْسَ بِعُذْرٍ، حَتَّى يَعْذِرَ كَثِيرٌ[٨] مِنْهُمْ بِالْقَدَرِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا غَيْرُ مَمْدُوحٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّهَا اللهُ، وَمِنْهَا مَا يَبْغَضُهَا[٩] اللهُ، فَالَّتِي يَبْغَضُهَا اللهُ الْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ**» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ[١٠].

---

(١) في (أ، ط ١): وأنه، والمثبت من: (ب، ط).
(٢) في (ب): يعتذر.
(٣) في (أ، ب): يشتد، والمثبت من: (ط).
(٤) في (ب): وتحمله.
(٥) في (أ، ب): اعتذار.
(٦) في (أ، ب): العذر، والمثبت من: (ط).
(٧) في (ب): فيحمله.
(٨) في (ب): كثيرًا.
(٩) في (ط): ما يبغضه، والمثبت من: (ب).
(١٠) حسنٌ: رواه ابن ماجه [١٩٩٦] من طريق يحيى بن أبي كثير عن أبي سهم عن أبي هريرة رضي الله عنه به. وهذا إسناد صحيح، فأبو سهم صوابه: أبو شهم، وهو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الإمام المعروف. وله شاهد من حديث يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التيمي عن ابن جابر بن عتيك، عن أبيه، وابن جابر فيه جهالة، ومن حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الله الأزرق عن عقبة بن عامر وفي إسناده الأزرق فيه جهالة. ومدار جميع الروايات على يحيى بن أبي كثير، وأشهرها روايته من حديث جابر بن عتيك، فإن كان شيبان قد حفظه، ويحيى بن أبي كثير حفظه فهو صحيح، وإلا ففي تصحيحه نظر. وحسنه الشيخ الألباني في («إرواء الغليل» [١٩٩٩]).

وَإِنَّمَا الْـمَمْدُوحُ اقْتِرَانُ الْغَيْرَةِ بِالْعُذْرِ، فَيَغَارُ فِي مَحَلِّ الْغَيْرَةِ، وَيَعْذُرُ فِي مَوْضِعِ الْعُذْرِ، وَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَهُوَ الْـمَمْدُوحُ حَقًّا.

وَلَمَّا جَمَعَ سُبْحَانَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ كُلَّهَا كَانَ أَحَقَّ(١) بِالْـمَدْحِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ أَنْ يَمْدَحَهُ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ، بَلْ هُوَ كَمَا مَدَحَ نَفْسَهُ، وَأَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ.

فَالْغَيُورُ قَدْ وَافَقَ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ(٢)، وَمَنْ وَافَقَ اللهَ سُبْحَانَهُ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ قَادَتْهُ تِلْكَ الصِّفَةُ إِلَيْهِ بِزِمَامِهِ، وَأَدْخَلَتْهُ(٣) عَلَى رَبِّهِ، وَأَدْنَتْهُ مِنْهُ، وَقَرَّبَتْهُ مِنْ رَحْمَتِهِ(٤)، وَصَيَّرَتْهُ مَحْبُوبًا لَهُ.

- فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَحِيمٌ يُحِبُّ الرُّحَمَاءَ(٥).
- كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرَمَاءَ(٦).
- عَلِيمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ(٧).

---

(١) في (ب): حقًا. وفي هامشها: لعله أحق.

(٢) في (ب): فالغيور قد وافق من ربه سُبْحَانَهُ صفة من صفاته.

(٣) في (ب): فأدخلته.

(٤) في (أ): وقربته من رحمة الله له.

(٥) قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]. عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**». رواه البخاري [١٢٨٤]، ومسلم [٩٢٣].

(٦) قال تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وعَنْ طَلْحَةَ بْنِ كَرِيزٍ الْخُزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرِيمَ**». رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٤٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٢٧)، وغيرهما، وإسناده صحيح إلى طلحة، ولكنه مرسل. وقد روي عنه موصولًا فوصله بعضهم عنه عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به مرفوعًا، وبعضهم وصله عنه عن أم الدرداء الصغرى عن أبي الدرداء به موقوفًا، والمرسل أصح، وله شواهد لا تخلوا من متروك. وقد حسنه شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بشواهده في («الصحيحة» [١٣٧٨، ١٦٢٧]).

(٧) قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤]، والعلماء الذين يحبهم الله هم العلماء بالله، العارفون بأسمائه وصفاته، العاملون بأمره ونهيه، العاملون بالحق والهدى، المجتنبون للباطل والردى، وأدلة =

❁ قَوِيٌّ يُحِبُّ الْـمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْـمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ(١).

❁ حَيِيٌّ(٢) يُحِبُّ أَهْلَ الْحَيَاءِ(٣).

❁ جَمِيلٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجَمَالِ(٤).

❁ وَتْرٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْوَتْرِ(٥).

= هـذا الأصل كثيرة منها قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: ٢٨]، ومن محبته للعلم والعلماء قولـه تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقولـه ﷺ: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ الله له بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ**» رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) رقم: [٢٦٩٩]. إلىٰ غير ذلك من النصوص في الحث علىٰ العلم، واحترام العلماء، وعلو منزلتهم عند الله.

(١) قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هُود: ٦٦]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». رواه مسلم [٢٦٦٤].

(٢) في (ط): حيٌّ.

(٣) عَنْ يَعْلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْـمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَتِرْ**». رواه أحمد (٤/ ٢٢٤)، وأبو داود [٤٠١٢]، والنسائي [٤٠٦]، والبيهقي (١/ ١٩٨) وغيرهم، وهو حديث حسنٌ. («الإرواء» [٢٣٣٥]).

(٤) روى مسلم في «صحيحه» (١/ ٩٣) رقم: [٩١] عن عبد الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ**» قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قال ﷺ: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**». البخاري [٦٤١٠]، ومسلم [٢٦٧٩].

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي إِلَّا أَنَّهَا تُوجِبُ لِصَاحِبِهَا ضِدَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الِاتِّصَافِ بِهَا؛ لَكَفَى بِهَا عُقُوبَةً.

فَإِنَّ الْخَطْرَةَ تَنْقَلِبُ وَسْوَسَةً، وَالْوَسْوَسَةُ تَصِيرُ إِرَادَةً، وَالْإِرَادَةُ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً، ثُمَّ تَصِيرُ فِعْلًا، ثُمَّ تَصِيرُ صِفَةً لَازِمَةً، وَهَيْئَةً ثَابِتَةً رَاسِخَةً، وَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ الْخُرُوجُ مِنْهُمَا، كَمَا يَتَعَذَّرُ عليهِ[١] الْخُرُوجُ مِنْ صِفَاتِهِ الْقَائِمَةِ بِهِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّهُ كُلَّمَا اشْتَدَّتْ مُلَابَسَةُ الذُّنُوبِ[٢] أَخْرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ[٣] الْغَيْرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ، وَقَدْ تَضْعُفُ فِي الْقَلْبِ جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ، لَا مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْهَلَاكِ.

وَكَثِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى عَدَمِ الِاسْتِقْبَاحِ، بَلْ يُحَسِّنُ الْفَوَاحِشَ وَالظُّلْمَ لِغَيْرِهِ، وَيُزَيِّنُهُ لَهُ، وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ، وَيَسْعَى لَهُ فِي تَحْصِيلِهِ، وَلِهَذَا كَانَ الدَّيُّوثُ أَخْبَثَ خَلْقِ اللهِ، وَالْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَيْهِ[٤].

وَكَذَلِكَ مُحَلِّلُ الظُّلْمِ، وَالْبَغْيِ لِغَيْرِهِ، وَمُزَيِّنُهُ لَهُ، فَانْظُرْ مَا الَّذِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ قِلَّةُ الْغَيْرَةِ.

---

(١) ساقطة من: (ط)، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) في (ط): ملابسته للذنوب، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ط): قلبه.

(٤) عن عبد الله بن عمر قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«ثَلَاثٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْعَاقُّ وَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرَ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى»**. رواه عبد الله بن وهب في «موطئه» [٦٧]، والإمام أحمد (٢/ ١٣٤)، والنسائي [٢٥٦٢]، والحاكم (١/ ١٤٤)، وغيرهم، وإسناده حسنٌ. («الصحيحة» [٦٧٤]).

وَهَـذَا يَدُلُّـكَ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ الْغَيْرَةُ، وَمَنْ لَا غَيْرَةَ لَـهُ لَا دِينَ لَهُ، فَالْغَيْرَةُ تَحْمِي الْقَلْبَ، فَتَحْمَى لَهُ[١] الْجَوَارِحَ، فَتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْفَوَاحِشَ.

وَعَدَمُ الْغَيْرَةِ تُـمِيتُ[٢] الْقَلْبَ، فَتَمُوتُ[٣] الْـجَوَارِحُ؛ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهَا دَفْعٌ أَلْبَتَّةَ.

وَمَثَلُ الْغَيْرَةِ فِي الْقَلْبِ مَثَلُ[٤] الْقُوَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ الْـمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ، فَإِذَا ذَهَبَتِ الْقُوَّةُ وَجَـدَ الـدَّاءُ الْـمَحِلَّ قَابِـلًا، وَلَمْ يَجِدْ دَافِعًا، فَتَمَكَّـنَ، فَكَانَ الْهَلَاكُ، وَمَثَلُهَـا مِثْلُ صَيَاصِيِّ الْجَامُوسِ[٥] الَّتِي يَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِذَا كُسِرَتْ طَمِعَ فِيهَا عَدُوُّهُ.



(١) في (ب): لها.

(٢) في (ط ١): يميت.

(٣) في (ط): فتموت له.

(٤) في (ط١): كمثل.

(٥) في هامش (ب): اي: قرون الجاموس. ا.هـ

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: ذَهَابُ الْحَيَاءِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ[١]، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَذَهَابُهُ ذَهَابُ الْخَيْرِ أَجْمَعِهِ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْهُ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: **«الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»**[٢].

وَقَالَ: **«إِنَّ[٣] مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»**[٤].

وَفِيهِ تَفْسِيرَانِ:

أَحَدُهُمَا ـ أَنَّهُ عَلَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ.

وَالْمَعْنَى: مَنْ لَمْ يَسْتَحِ فَإِنَّهُ يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ[٥] مِنَ الْقَبَائِحِ، إِذِ الْحَامِلُ عَلَى تَرْكِهَا الْحَيَاءُ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَيَاءٌ يَزَعُهُ[٦] عَنِ[٧] الْقَبَائِحِ، فَإِنَّهُ يُوَاقِعُهَا، وَهَذَا تَفْسِيرُ أَبِي عُبَيْدٍ[٨].

وَالثَّانِي[٩] ـ أَنَّ الْفِعْلَ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فِيهِ[١٠] مِنَ اللهِ فَافْعَلْهُ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَنْبَغِي تَرْكُهُ مَا[١١] يُسْتَحَى فِيهِ[١٢] مِنَ اللهِ، وَهَذَا تَفْسِيرُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فِي رِوَايَةِ ابْنِ هَانِئٍ[١٣].

---

(١) في (ط ١): الحياة للقلب.

(٢) مسلم [٣٧] من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.

(٣) ساقطة من: (ب).

(٤) البخاري [٣٤٨٣] من حديث أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه.

(٥) في (ط): ما شاء، والمثبت من: (أ، ب).

(٦) في (ب): ينزعه، وفي (ط): يردعه.

(٧) في (ط ١): من.

(٨) في (ط): أبي عبيدة وهو خطأ. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٣٢).

(٩) في (ب): الثاني.

(١٠) ساقطة من: (ط)، وفي (ط ١): منه، والمثبت من: (ب).

(١١) في (ط): هو ما.

(١٢) في (ط، ط١): منه.

(١٣) قال أبو داود في «سؤالاته» للإمام أحمد ص: [٣٧٩]: «سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ =

فَعَلَى الْأَوَّلِ- يَكُونُ تَهْدِيدًا، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

وَعَلَى الثَّانِي- يَكُونُ إِذْنًا وَإِبَاحَةً.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى حَمْلِهِ عَلَى الْمَعْنَيَيْنِ؟

قُلْتُ: لَا، وَلَا عَلَى قَوْلِ مَنْ يَحْمِلُ الْمُشْتَرَكَ عَلَى جَمِيعِ مَعَانِيهِ، لِمَا بَيْنَ الْإِبَاحَةِ وَالتَّهْدِيدِ مِنَ الْمُنَافَاةِ، وَلَكِنَّ اعْتِبَارَ أَحَدِ الْمَعْنَيَيْنِ يُوجِبُ اعْتِبَارَ الْآخَرِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الذُّنُوبَ تُضْعِفُ الْحَيَاءَ مِنَ الْعَبْدِ، حَتَّى رُبَّمَا انْسَلَخَ مِنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا لَا يَتَأَثَّرُ بِعِلْمِ النَّاسِ بِسُوءِ حَالِهِ، وَلَا بِاطِّلَاعِهِمْ عَلَيْهِ، بَلْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يُخْبِرُ عَنْ حَالِهِ، وَقُبْحِ[١] مَا يَفْعَلُهُ[٢]، وَالْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ انْسِلَاخُهُ مِنَ الْحَيَاءِ، وَإِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى هَذِهِ الْحَالَةِ[٣] لَمْ يَبْقَ فِي إِصْلَاحِهِ[٤] مَطْمَعٌ [كما قيل][٥]:

وَإِذَا رَأَى إِبْلِيسُ طَلْعَةَ وَجْهِهِ حَيَّا[٦] وَقَالَ فَدَيْتُ مَنْ لَا يُفْلِحُ[٧].

= حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ: فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»، قَالَ: تَفْسِيرُهُ: إِذَا لَمْ يَسْتَحِ الْإِنْسَانُ يَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ، لَيْسَ تَفْسِيرُهُ: فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ.
سَمِعْتُ أَحْمَدَ، قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا فَسَّرَهُ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْخَيْرِ، قَالَ: إِذَا نُزِعَ الْحَيَاءُ مِنَ الْإِنْسَانِ نُزِعَ مِنْهُ الْخَيْرُ».

(١) في (ط ١): وقبيح.

(٢) في (ط): ما يفعل.

(٣) في (ط، ط ١): الحال، والمثبت من: (ب). وكلاهما جائز لغة.

(٤) في (ط، ط ١): صلاحه، والمثبت من: (أ، ب).

(٥) زيادة من: بعض النسخ.

(٦) في (ب): حياه.

(٧) «البيت منسوب» للبحتري كما في «الزهد الكبير» للبيهقي ص: [٢٤٩]، وفيه (غرة وجهه)، و(من لم يفلح)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣/ ٢٠٢) وفيه (صورة وجهه)، و(من لم يفلح).

وَالْـحَيَاءُ مُشْـتَقٌّ مِنَ الْحَيَاةِ، وَالْغَيْثُ يُسَـمَّى حَيَا - بِالْقَصْرِ - لِأَنَّ بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَالنَّبَـاتِ وَالدَّوَابِّ، وَكَذَلِكَ[١] بِالْـحَيَاءِ حَيَـاةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ مَيِّتٌ[٢] فِي الدُّنْيَا، شَقِيٌّ فِي الْآخِرَةِ.

وَبَيْنَ الذُّنُوبِ وَبَيْنَ قِلَّةِ الْـحَيَاءِ وَعَدَمِ الْغَيْرَةِ تَلَازُمٌ مِنَ الطَّرَفَيْنِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الْآخَرَ وَيَطْلُبُهُ حَثِيثًا، وَمَنِ اسْـتَحْيَى[٣] مِنَ اللهِ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، اسْتَحْيَى اللهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَحِي مِنْ مَعْصِيَتِهِ لَمْ يَسْتَحِي اللهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ.



(١) في (ط): وكذلك سميت.

(٢) في (ط): فهو ميت.

(٣) في (ب): استحى، وكذا في الموضع الذي بعده.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَلَا بُدَّ، شَاءَ أَمْ أَبَى، وَلَوْ تَمَكَّنَ وَقَارُ اللهِ وَعَظَمَتُهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ لَمَا تَجَرَّأَ عَلَى مَعَاصِيهِ[1]، وَرُبَّمَا اغْتَرَّ الْمُغْتَرُّ، وَقَالَ: إِنَّمَا يَحْمِلُنِي عَلَى الْمَعَاصِي حُسْنُ الرَّجَاءِ، وَطَمَعِي فِي عَفْوِهِ، لَا ضَعْفُ عَظَمَتِهِ فِي قَلْبِي.

وَهَذَا مِنْ مُغَالَطَةِ النَّفْسِ؛ فَإِنَّ عَظَمَةَ اللهِ[2] تَعَالَى وَجَلَالَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ[3]، فَالْمُتَجَرِّئُونَ[4] عَلَى مَعَاصِيهِ[5] مَا قَدَرُوهُ[6] حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ يَقْدِرُهُ[7] حَقَّ قَدْرِهِ، أَوْ يُعَظِّمُهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيَرْجُو وَقَارَهُ، وَيُجِلُّهُ، مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ؟

هَذَا[8] مِنْ أَمْحَلِ الْمُحَالِ، وَأَبْيَنِ[9] الْبَاطِلِ، وَكَفَى بِالْعَاصِي عُقُوبَةً: أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ[10] قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ.

وَمِنْ بَعْضِ عُقُوبَةِ هَذَا: أَنْ يَرْفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَهَابَتَهُ مِنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِ، كَمَا هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَاسْتَخَفَّ بِهِ.

فَعَلَى قَدْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ للهِ يُحِبُّهُ النَّاسُ، وَعَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ يَخَافُهُ الْخَلْقُ[11]، وَعَلَى قَدْرِ تَعْظِيمِهِ للهِ وَحُرُمَاتِهِ، يُعَظِّمُ النَّاسُ حُرُمَاتِهِ[12].

---

(١) في (ب): معصيته.
(٢) في (أ): عظمة الرب.
(٣) في (ط): فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب.
(٤) في (ط): والمتجرئون.
(٥) في (ب): المعاصي.
(٦) في (ط): ما قدروا الله.
(٧) في (ب): قدره.
(٨) في (ب): وهذا.
(٩) في (ب): وبيِّن.
(١٠) في (ب): في.
(١١) في (ط ١): الناس.
(١٢) في (ب): يعظم الناس من حرماته، وفي (ط): يعظمه الناس.

وَكَيْفَ يَنْتَهِكُ عَبْدٌ حُرُمَاتِ اللهِ، وَيَطْمَعُ أَنْ لَا يَنْتَهِكَ النَّاسُ حُرُمَاتِهِ؟!

أَمْ كَيْفَ يَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّ اللهِ، وَلَا يُهَوِّنُهُ اللهُ عَلَى النَّاسِ؟!

أَمْ كَيْفَ يَسْتَخِفُّ بِمَعَاصِي اللهِ، وَلَا يَسْتَخِفُّ بِهِ الْخَلْقُ؟!

وَقَدْ أَشَارَ سُبْحَانَهُ إِلَى هَذَا فِي كِتَابِهِ عِنْدَ ذِكْرِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ، وَأَنَّهُ أَرْكَسَ أَرْبَابَهَا[١] بِمَا كَسَبُوا، وَغَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَطَبَعَ عَلَيْهَا بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ نَسِيَهُمْ كَمَا نَسُوهُ، وَأَهَانَهُمْ كَمَا أَهَانُوا دِينَهُ، وَضَيَّعَهُمْ كَمَا ضَيَّعُوا أَمْرَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ سُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ لَهُ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

فَإِنَّهُمْ لَمَّا هَانَ عَلَيْهِمُ السُّجُودُ لَهُ، وَاسْتَخَفُّوا بِهِ، وَلَمْ يَفْعَلُوهُ؛ أَهَانَهُمْ[٢]، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ مُكْرِمٍ بَعْدَ أَنْ أَهَانَهُمُ اللهُ[٣].

وَمَنْ ذَا يُكْرِمُ مَنْ أَهَانَهُ اللهُ؟! أَوْ يُهِينُ مَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ؟



(١) في (ب): أهلها.

(٢) في (ط): أهانهم الله.

(٣) في (ب، ط ١): أهانهم.



فَصْلٌ

وَمِـنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللهِ لِعَبْدِهِ، وَتَرْكَـهُ، وَتَخْلِيَتَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِـهِ وَشَيْطَانِهِ، وهناكَ الْهَلَاكُ الَّذِي لا يُرْجَى مَعَهُ نجاةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى[1]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨ - ١٩].

فَأَمَرَ بِتَقْـوَاهُ، وَنَهَى أَنْ يَتَشَبَّهَ عِبَادُهُ الْـمُؤْمِنُونَ بِمَنْ نَسِيَهُ[2] بِتَرْكِ تَقْـوَاهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَاقَبَ مَنْ تَرَكَ التَّقْوَى بِأَنْ أَنْسَاهُ نَفْسَـهُ، أَيْ: أَنْسَـاهُ مَصَالِحَهَا، وَمَا يُنْجِيهَا مِنْ عَذَابِهِ، وَمَـا يُوجِبُ لَـهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَكَمَالَ لَذَّتِهَا[3]، وَسُرُورِهَا، وَنَعِيمِهَا، فَأَنْسَـاهُ ذَلِكَ[4] كُلَّهُ جَزَاءً لِـمَا[5] نَسِيَهُ مِـنْ عَظَمَتِهِ وَخَوْفِهِ، وَالْقِيَـامِ بِأَمْرِهِ[6]، فَتَرَى الْعَـاصِيَ مُهْمِلًا لِمَصَالِحِ نَفْسِـهِ، مُضَيِّعًـا لَهَا، قَـدْ أَغْفَـلَ اللهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْـرِهِ، وَاتَّبَعَ هَـوَاهُ، وَكَانَ أَمْـرُهُ فُرُطًا[7]، قَدِ انْفَرَطَـتْ عَلَيْـهِ مَصَالِحُ دُنْيَـاهُ وَآخِرَتِهِ، وَقَدْ فَرَّطَ فِي سَـعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَاسْـتَبْدَلَ بِهَا أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنْ لَذَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ سَحَابَةُ صَيْفٍ، أَوْ خَيَالُ طَيْفٍ، كَمَا قِيلَ:

أَحْـلَامُ نَـوْمٍ أَوْ كَـظِلٍّ زَائِـلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْـدَعُ[8]

---

(١) في (ط١): قال تعالى، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٢) في (أ، ب): تشبه، والمثبت من: (ط، ط ١).

(٣) في (ب): وكمالها.

(٤) في (ط): فأنساه الله.

(٥) في (ب): بما.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(٨) البيت منسوب لعمران بن حطان، رواه ابن حبان في «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ص: (٢٨٦ - ٢٨٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٤٩٨).

وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نِسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيبَهَا مِنَ اللهِ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْغَبْنِ وَالْهَوَانِ، وَأَبْخَسِ الثَّمَنِ، فَضَيَّعَ مَنْ لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ مِنْهُ، وَاسْتَبْدَلَ بِهِ مَنْ عَنْهُ كُلُّ الْغِنَى، ومِنْهُ[1] كُلُّ الْعِوَضِ:

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ ... وَمَا مِنَ اللهِ إِنْ[2] ضَيَّعْتَه مِنْ عِوَضِ[3]

فَاللهُ[4] سُبْحَانَهُ يُعَوِّضُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا سِوَاهُ، وَلَا يُعَوِّضُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُ شَيْءٌ، وَيَمْنَعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْنَعُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُجِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُجِيرُ مِنْهُ شَيْءٌ، فكَيْفَ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْ طَاعَةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟

وَكَيْفَ يَنْسَى ذِكْرَهُ، وَيُضَيِّعُ أَمْرَهُ، حَتَّى يُنْسِيَهُ نَفْسَهُ، فَيَخْسَرَهَا وَيَظْلِمَهَا أَعْظَمَ الظُّلْمِ؟ فَمَا ظَلَمَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَلَكِنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَمَا ظَلَمَهُ رَبُّهُ، وَلَكِنْ هُوَ الَّذِي ظَلَمَ نَفْسَهُ.



(١) في (ط): أو منه.

(٢) في (ب): إذا.

(٣) ذكره ابن القيم أيضًا في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ١٢٣)، وفي «زاد المعاد» (٤/ ١٧٧)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٢٨)، غير منسوب.

(٤) في (ب): فإنه.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ، وَتَمْنَعُهُ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِذَا بَاشَرَ الْقَلْبَ مَنَعَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، لَمْ(١) يَكُنْ ذلك إِلَّا لِاسْتِيلَاءِ ذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ عَلَى قَلْبِهِ، بِحَيْثُ يَصِيرُ كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ، وَذَلِكَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِرَادَةِ الْمَعْصِيَةِ، فَضْلًا عَنْ مُوَاقَعَتِهَا.

فَإِذَا خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِحْسَانِ، فَاتَهُ(٢) صُحْبَةُ رُفْقَتِهِ(٣) الْخَاصَّةِ، وَعَيْشُهُمُ الْهَنِيءُ، وَنَعِيمُهُمُ التَّامُّ، فَإِنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ(٤) خَيْرًا أَقَرَّهُ فِي(٥) دَائِرَةِ عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ عَصَاهُ بِالْمَعَاصِي الَّتِي تُخْرِجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ(٦)، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ فِيهَا النَّاسُ أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَإِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ(٧) بَعْدُ»**(٨)؛ [خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ](٩)، وفَاتَهُ(١٠) رُفْقَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَحُسْنُ دِفَاعِ اللهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا.

---

(١) في (ب): ولم.

(٢) ساقطة من: (أ)، وفي (ط): فإنه.

(٣) في (أ): رفقة، وفي (ط١): رفقه، والمثبت من: (ب، ط).

(٤) في (أ): فإن أراد به.

(٥) ساقطة من: (ب).

(٦) في (أ): تخرجه من جائزة الإيمان، وفي (ب): تخرجه من دائرة عموم الإيمان، والمثبت من: (ط).

(٧) في (ب): مفروضة، وهو تصحيف.

(٨) البخاري [٦٨١٠]، ومسلم [٥٧] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(١٠) في (ط): فصلٌ. العاصي يفوته ثواب المؤمن. ومن فاته.

وَفَاتَهُ كُلُّ خَيْرٍ رَتَّبَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهُوَ نَحْوُ مِائَةِ خَصْلَةٍ، كُلُّ خَصْلَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

فَمِنْهَا: الْأَجْرُ الْعَظِيمُ: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

وَمِنْهَا: الدَّفْعُ عَنْهُمْ شُرُورَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨]

وَمِنْهَا: اسْتِغْفَارُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ لَهُمْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧].

وَمِنْهَا: مُوَالَاةُ اللهِ لَهُمْ، وَلَا يَذِلُّ مَنْ وَالَاهُ اللهُ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وَمِنْهَا: أَمْرُهُ مَلَائِكَتَهُ بِتَثْبِيتِهِمْ[١]: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

وَمِنْهَا: أَنَّ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ[٢] عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَالْمَغْفِرَةَ وَالرِّزْقَ الْكَرِيمَ.

وَمِنْهَا: الْعِزَّةُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]

وَمِنْهَا: مَعِيَّةُ اللهِ لِأَهْلِ[٣] الْإِيمَانِ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ[٤] ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

---

(١) في (ب): تثبيتهم.

(٢) في (ب): الدرجات العلى. ودليل هذه الخصلة التي ذكرها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤].

(٣) في (أ): لأولي.

(٤) في (أ، ب): لمع. وهو خطأ.

وَمِنْهـا: الرِّفْعـةُ فِي الدُّنْيـا وَالآخِـرةِ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وَمِنْهـا: إِعْطَاؤُهُـمْ كِفْلَيْنِ مِـنْ رَحْمَتِـهِ، وَإِعْطَاؤُهُـمْ نُـورًا يَمْشُـونَ بِـهِ، وَمَغْفِـرَةُ ذُنُوبِهِمْ(١).

وَمِنْهـا: الْـوُدُّ الَّـذِي يَجْعَلُـهُ اللهُ سُبحانَهُ(٢) لَهُـمْ(٣)، وَهُوَ أَنَّـهُ يُـحِبُّهُـمْ وَيُـحَبِّبُهُمْ إِلَى مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ.

وَمِنْهَا: أَمَانُهُمْ مِنَ الْـخَوْفِ يَوْمَ يَشْتَدُّ الْـخَوْفُ: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

وَمِنْهَـا: أَنَّهُـمُ الْـمُنْعَمُ عَلَيْهِمُ، الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْـأَلَهُ أَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى صِرَاطِهِمْ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً.

وَمِنْهَـا: أَنَّ الْقُـرْآنَ إِنَّـمَا هُـوَ هُـدًى لَهُـمْ وَشِـفَاءٌ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

وَالْـمَقْصُودُ: أَنَّ الْإِيمَانَ سَبَبٌ جَالِبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ الْإِيمَانُ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَسَبَبُهُ عَدَمُ الْإِيمَانِ.

فَكَيْـفَ يَهُـونُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرْتَكِبَ شَيْئًا يُـخْرِجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، وَيَـحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَلَكِنْ لَا يَـخْرُجُ مِنْ دَائِرَةِ عُمُومِ الْـمُسْلِمِينَ.

---

(١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

(٢) في (أ): جعله سبحانه، وفي (ط ١): يجعله سبحانه، وفي (ب): يجعله الله، والمثبت من: (ط).

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

فَإِنِ اسْتَمَرَّ عَلَى الذُّنُوبِ، وَأَصَرَّ عَلَيْهَا خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يَرِينَ عَلَى قَلْبِهِ، فَيُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَمِنْ هَهُنَا[(١)] اشْتَدَّ خَوْفُ السَّلَفِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: «أَنْتُمْ تَخَافُونَ الذُّنُوبَ، وَأَنَا أَخَافُ الْكُفْرَ»[(٢)].



---

(١) في (ط ١): هنا.

(٢) قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «مَاتَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ عِنْدِي، فَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ جَعَلَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَرَاكَ كَثِيرَ الذُّنُوبِ، فَرَفَعَ شَيْئًا مِنَ الأَرْضِ، فَقَالَ: «وَاللهِ لَذُنُوبِي أَهْوَنُ عِنْدِي مِنْ ذَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُسْلَبَ الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ». رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٢)، وابن الجوزي في «الثبات عند المهات» [٧٥] مختصرًا. وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ١٧٤) حديث: [٤].



فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، أَوْ تَعُوقُهُ أَوْ تُوقِفُهُ وَتَقْطَعُهُ عَنِ السَّيْرِ، فَلَا تَدَعُهُ يَخْطُو إِلَى اللهِ تَعَالَىٰ خُطْوَةً، هَذَا إِنْ لَمْ تَرُدَّهُ عَنْ وُجْهَتِهِ[١] إِلَى وَرَائِهِ، فَالذَّنْبُ يَحْجُبُ الْوَاصِلَ، وَيَقْطَعُ السَّائِرَ، وَيُنَكِّسُ الطَّالِبَ[٢]، وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَسِيرُ إِلَى اللهِ بِقُوَّتِهِ، فَإِذَا مَرِضَ بِالذُّنُوبِ ضَعُفَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي تُسَيِّرُهُ، فَإِنْ زَالَتْ بِالْكُلِّيَّةِ انْقَطَعَ عَنِ اللهِ انْقِطَاعًا يَبْعُدُ تَدَارُكُهُ، اللهُ الْمُسْتَعَانُ.

فَالذَّنْبُ إِمَّا[٣] يُمِيتُ الْقَلْبَ، أَوْ يُمْرِضُهُ مَرَضًا مُخَوِّفًا، أَوْ يُضْعِفُ[٤] قُوَّتَهُ، وَلَا بُدَّ، حَتَّى يَنْتَهِيَ ضَعْفُهُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي اسْتَعَاذَ مِنْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ: «**الْهَمُّ، وَالْحَزَنُ، وَالْعَجْزُ، وَالْكَسَلُ، وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ، وَضَلَعُ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةُ الرِّجَالِ**»[٥].

وَكُلُّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قَرِينَانِ: فَالْهَمُّ وَالْحَزَنُ قَرِينَانِ. فَإِنَّ الْمَكْرُوهَ الْوَارِدَ عَلَى الْقَلْبِ إِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ يَتَوَقَّعُهُ؛ أَحْدَثَ الْهَمَّ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمْرٍ مَاضٍ قَدْ وَقَعَ؛ أَحْدَثَ الْحَزَنَ.

وَالْعَجْزُ وَالْكَسَلُ قَرِينَانِ. فَإِنَّ تَخَلُّفَ الْعَبْدِ عَنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ: إِنْ كَانَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ؛ [فَهُوَ الْعَجْزُ، وَإِنْ كَانَ لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ][٦]؛ فَهُوَ الْكَسَلُ.

---

(١) في (ب): وجهه.

(٢) في (ب): الطلب.

(٣) في (ب): إنما.

(٤) في (أ): ويضعف.

(٥) البخاري [٢٨٩٣]، ومسلم [١٣٦٥] عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وليس عند الإمام مسلم موضع الشاهد.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

وَالْـجُبْنُ وَالْبُخْلُ قَرِينَانِ: فَإِنَّ عَدَمَ النَّفْعِ مِنْهُ: إِنْ كَانَ بِبَدَنِهِ؛ فَهُوَ الْـجُبْنُ، وَإِنْ كَانَ بِمَالِهِ، فَهُوَ الْبُخْلُ.

وَضَلَعُ الدَّيْنِ، وَقَهْرُ الرِّجَالِ قَرِينَانِ: فَإِنَّ اسْتِعْلَاءَ الْغَيْرِ عَلَيْهِ: إِنْ كَانَ بِحَقٍّ؛ فَهُوَ مِنْ ضَلَعِ الدَّيْنِ، وَإِنْ كَانَ بِبَاطِلٍ؛ فَهُوَ مِنْ[1] قَهْرِ الرِّجَالِ.

وَالْـمَقْصُودُ: أَنَّ الذُّنُوبَ مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْـجَالِبَةِ لِهَذِهِ الثَّمَانِيَةِ، كَمَا أَنَّهَا مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْـجَالِبَةِ لِجَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ[2].

وَمِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ الْـجَالِبَةِ لِزَوَالِ نِعَمِ اللهِ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِهِ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِهِ، وَجَمِيعِ[3] سَخَطِهِ[4].

❀❀❀

---

(١) زيادة من: (ب).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ» البخاري [٦٣٤٣]، ومسلم [٢٧٠٩].

(٣) في (ط): وتحول عافيته إلى نقمته، وتجلب جمع سخطه!

(٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» رواه مسلم [٢٧٣٩].

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ.

فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ بلاء[١] إِلَّا بِتَوْبَةٍ»[٢].

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣]

فَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى[٣] أَنَّهُ لَا يُغَيِّرُ نِعْمَهُ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا[٤] عَلَى أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا[٥] بِنَفْسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللهِ بِمَعْصِيَتِهِ، وَشُكْرَهُ بِكُفْرِهِ، وَأَسْبَابَ رِضَاهُ بِأَسْبَابِ سُخْطِهِ، فَإِذَا غَيَّرَ غُيِّرَ [عَلَيْهِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

فَإِنْ غَيَّرَ الْمَعْصِيَةَ بِالطَّاعَةِ، غَيَّرَ][٦] اللهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بِالْعَافِيَةِ، وَالذُّلَّ بِالْعِزِّ.

---

(١) ساقطة من: (ط).

(٢) روي هذا الكلام عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في استسقائه بالناس في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه الزبير بن بكار، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (٢٦/ ٣٥٩)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وهذا سند موضوع.

وذكر شيخ الإسلام كما في «مجموع الفتاوى» (٨/ ١٦٣) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة».

(٣) في (ب): وأخبر تعالى، وفي (أ): فأخبر تعالى، والمثبت من: (ط)، ونسخة.

(٤) في (ب): نعمةً أنعمها.

(٥) في (ب): الذي يغيرها.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ الْإِلَهِيَّةِ، عَنِ الرَّبِّ تبارك وتعالى، أَنَّهُ قَالَ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَى مَا أُحِبُّ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أَكْرَهُ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا يُحِبُّ إِلَى مَا يَكْرَهُ، وَلَا يَكُونُ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِي عَلَى مَا أَكْرَهُ، فَيَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى مَا أُحِبُّ، إِلَّا انْتَقَلْتُ لَهُ مِمَّا(١) يَكْرَهُ إِلَى مَا يُحِبُّ»(٢).

وَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ(٣):

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ
وَحُطْهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَادِ ... فَرَبُّ الْعِبَادِ سَرِيعُ النِّقَمْ
وَإِيَّاكَ وَالظُّلْمَ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ ... فَظُلْمُ الْعِبَادِ شَدِيدُ الْوَخَمْ
وَسَافِرْ بِقَلْبِكَ بَيْنَ الْوَرَى ... لِتَبْصُرَ آثَارَ مَنْ قَدْ ظَلَمْ
فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ بَعْدَهُمْ ... شُهُودٌ عَلَيْهِمْ وَلَا تُتَّهَمْ
وَمَا كَانَ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ أَضَرَّ مِنَ ... الظُّلْمِ وَهُوَ الَّذِي قَدْ قَصَمْ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ جِنَانٍ وَمِنْ ... قُصُورٍ وَأُخْرَى عَلَيْهِمْ أَطَمّ
صَلَوْا بِالْجَحِيمِ وَفَاتَ النَّعِيمُ ... وَكَانَ الَّذِي نَالَهُمْ كَالْحُلُمْ(٤)

---

(١) في (ب): ما. (٢) لم أقف عليه.

(٣) في (ب): وقد أحسن القائل حيث يقول:

(٤) روى البيهقي في «شعب الإيمان» [٤٥٥٩] البيت الأول عن أبي الحسن الكندي القاضي، وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/ ٧٠) أن عمر بن عبد العزيز كان كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
ولا تحقرن صغير الذنوب ... فإن الإله شديد النقم

ولم أجد من ذكر بقية القصيدة.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: مَا يُلْقِيهِ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ(١) فِي قَلْبِ الْعَاصِي، فَلَا تَرَاهُ إِلَّا خَائِفًا مَرْعُوبًا.

فَإِنَّ الطَّاعَةَ حِصْنُ اللهِ الْأَعْظَمُ، الذي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ مِنْ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهُ أَحَاطَتْ بِهِ الْمَخَاوِفُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَمَنْ أَطَاعَ اللهَ انْقَلَبَتِ الْمَخَاوِفُ فِي حَقِّهِ أَمَانًا، وَمَنْ عَصَاهُ انْقَلَبَتْ مَآمِنُهُ مَخَاوِفَ، فَلَا تَجِدُ(٢) الْعَاصِيَ إِلَّا وَقَلْبُهُ كَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاحَيْ طَائِرٍ، إِنْ حَرَّكَتِ الرِّيحُ الْبَابَ قَالَ: جَاءَ الطَّلَبُ، وَإِنْ سَمِعَ وَقْعَ قَدَمٍ خَافَ أَنْ يَكُونَ نَذِيرًا بِالْعَطَبِ، يَحْسَبُ أَنَّ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِ، وَكُلَّ مَكْرُوهٍ قَاصِدٌ(٣) إِلَيْهِ، فَمَنْ خَافَ اللهَ آمَنَهُ(٤) مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهَ أَخَافَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

بِذَا قَضَى اللهُ بَيْنَ النَّاسِ مُذْ خُلِقُوا ... أَنَّ الْمَخَاوِفَ وَالْأَجْرَامَ فِي قَرَنِ(٥)



---

(١) في (ب): من الرعب والحزن والخوف.

(٢) في (ب): فلا يجد.

(٣) في (ط، ط): قاصدًا، والمثبت من: (أ، ب). و«قاصد» خبر أنَّ في محل رفع.

(٤) في (ب): آمن.

(٥) يظهر أنه من إنشاء العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فَصْلٌ (١)

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُوقِعُ الْوَحْشَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الْقَلْبِ، فَيَجِدُ الْمُذْنِبُ نَفْسَهُ مُسْتَوْحِشًا(٢)، قَدْ وَقَعَتِ الْوَحْشَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَبَيْنَه وبين الْخَلْقِ، وَبَيْنَه وبين نَفْسِهِ، وَكُلَّمَا كَثُرَتِ الذُّنُوبُ اشْتَدَّتِ الْوَحْشَةُ، وَأَمَرُّ الْعَيْشِ عَيْشُ الْمُسْتَوْحِشِينَ الْخَائِفِينَ، وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ عَيْشُ الْمُسْتَأْنِسِينَ.

فَلَوْ نَظَرَ الْعَاقِلُ، وَوَازَنَ بَيْنَ لَذَّةِ الْمَعْصِيَةِ وَمَا تُوقِعُهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ، لَعَلِمَ سُوءَ حَالِهِ، وَعَظِيمَ غَبْنِهِ، إِذْ بَاعَ أُنْسَ الطَّاعَةِ وَأَمْنَهَا وَحَلَاوَتَهَا، بِوَحْشَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَمَا تُوجِبُهُ مِنَ الْخَوْفِ(٣). [شعرٌ](٤):

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ(٥)

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الطَّاعَةَ تُوجِبُ الْقُرْبَ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَكُلَّمَا(٦) اشْتَدَّ الْقُرْبُ(٧) قَوِيَ الْأُنْسُ، وَالْمَعْصِيَةُ تُوجِبُ الْبُعْدَ مِنَ الرَّبِّ، وَكُلَّمَا زَادَ الْبُعْدُ(٨) قَوِيَتِ الْوَحْشَةُ.

وَلِهَذَا يَجِدُ الْعَبْدُ وَحْشَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ(٩)، لِلْبُعْدِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَإِنْ(١٠) كَانَ مُلَابِسًا لَهُ(١١)، قَرِيبًا مِنْهُ، وَيَجِدُ أُنْسًا وقربًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا عَنْهُ.

وَالْوَحْشَةُ: سَبَبُهَا(١٢) الْحِجَابُ، وَكُلَّمَا غَلُظَ الْحِجَابُ زَادَتِ الْوَحْشَةُ.

---

(١) ساقطة من: (ط، ب)، ولكنها مستدركة في هامش ب بدون إشارة استدراك.

(٢) في (ب): مستوحشة.

(٣) في (ط): من الخوف والضرر الداعي له، كما قيل.

(٤) زيادة من: (ب).

(٥) في (ب): واستأنسي. والبيت سبق ذكره.

(٦) في (ط): فكلما.

(٧) في (ب): القرب من الرب.

(٨) في (ب): البعد من الرب.

(٩) في (أ): عبده.

(١٠) في (ب): فإن.

(١١) ساقطة من: (ب).

(١٢) في (أ): منها.

فَالْغَفْلَةُ تُوجِبُ الْوَحْشَةَ، وَأَشَدُّ مِنْهَا وَحْشَةُ الْمَعْصِيَةِ، وَأَشَدُّ مِنْهَا وَحْشَةُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَلَا تَجِدُ[1] أَحَدًا يلابسُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وَيَعْلُوهُ مِنَ الْوَحْشَةِ بِحَسْبِ مَا لَابَسَهُ مِنْهُ، فَتَعْلُو الْوَحْشَةُ وَجْهَهُ وَقَلْبَهُ، فَيَسْتَوْحِشُ، وَيُسْتَوْحَشُ مِنْهُ.

❁❁❁

---

(١) في (ب): ولا يجد.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَصْرِفُ الْقَلْبَ عَنْ صِحَّتِهِ وَاسْتِقَامَتِهِ، إِلَى مَرَضِهِ وَانْحِرَافِهِ، فَلَا يَزَالُ مَرِيضًا مَعْلُولًا، لَا يَنْتَفِعُ بِالْأَغْذِيَةِ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ.

فَإِنَّ تَأْثِيرَ الذُّنُوبِ فِي الْقُلُوبِ كَتَأْثِيرِ الْأَمْرَاضِ فِي الْأَبْدَانِ، بَلِ الذُّنُوبُ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ وَأَدواؤها[١]، وَلَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا تَرْكُهَا.

وَقَدْ أَجْمَعَ السَّائِرُونَ إِلَى اللهِ: أَنَّ الْقُلُوبَ لَا تُعْطَى مُنَاهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى مَوْلَاهَا، وَلَا تَصِلُ إِلَى مَوْلَاهَا حَتَّى تَكُونَ صَحِيحَةً سَلِيمَةً، وَلَا تَكُونُ صَحِيحَةً سَلِيمَةً حَتَّى يَنْقَلِبَ دَاؤُهَا، فَيَصِيرَ نَفْسَ دَوَائِهَا، وَلَا يَصِحُّ[٢] لَهَا ذَلِكَ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهَا، فَهَوَاهَا[٣] مَرَضُهَا، وَشِفَاؤُهَا مُخَالَفَتُهُ، فَإِنِ اسْتَحْكَمَ الْمَرَضُ قَتَلَ، أَوْ كَادَ.

وَكَمَا أَنَّ مَنْ نَهَى نَفْسَهُ عَنِ الْهَوَى كَانَتِ الْجَنَّةُ مَأْوَاهُ، فَكَذَا[٤] يَكُونُ قَلْبُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ فِي جَنَّةٍ عَاجِلَةٍ، لَا يُشْبِهُ نَعِيمُ أَهْلِهَا نَعِيمٌ[٥] أَلْبَتَّةَ، بَلِ التَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ[٦]، كَالتَّفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ[٧] لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ بَاشَرَ قَلْبُهُ هَذَا وَهَذَا[٨].

وَلَا تَحْسَبُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]. مَقْصُورٌ[٩] عَلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَجَحِيمِهَا فَقَطْ، بَلْ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ هم كَذَلِكَ - أَعْنِي دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ الْبَرْزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ -.

---

(١) في (أ، ب): ودواها، وفي (ط)، وبعض النسخ: وداؤها، والمثبت من: (ط)، ونسخة.
(٢) في (أ): ولا يصلح.
(٣) في (أ): وهواها.
(٤) في (ب): كذا.
(٥) في (ب): نعيمه.
(٦) في (ب): النعمتين.
(٧) في (ب): الأمر.
(٨) ساقطة من: (ب).
(٩) في (ب): مقصورًا.

فَهَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ، وَهَلِ النَّعِيمُ إِلَّا نَعِيمَ الْقَلْبِ؟ وَهَلِ الْعَذَابُ إِلَّا عَذَابَ الْقَلْبِ؟

وَأَيُّ عَذَابٍ أَشَدُّ مِنَ الْخَوْفِ، وَالْهَمِّ، وَالْحُزْنِ، وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَإِعْرَاضِهِ عَنِ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، وَتَعَلُّقِهِ بِغَيْرِ اللهِ، وَانْقِطَاعِهِ عَنِ اللهِ، بِكُلِّ وَادٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ؟

وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَلَّقَ بِهِ وَأَحَبَّهُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا [غَيْرَ اللهِ][١] عُذِّبَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي هَذِهِ الدَّارِ: فَهُوَ يُعَذَّبُ بِهِ قَبْلَ حُصُولِهِ حَتَّى يَحْصُلَ، فَإِذَا حَصَلَ عُذِّبَ بِهِ حَالَ حُصُولِهِ بِالْخَوْفِ مِنْ سَلْبِهِ وَفَوَاتِهِ، وَالتَّنْغِيصِ وَالتَّنْكِيدِ عَلَيْهِ، وَأَنْوَاعِ الْمُعَارَضَاتِ[٢]، فَإِذَا سُلِبَهُ اشْتَدَّ عَذَابُهُ عليهِ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعَذَابِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

وَأَمَّا فِي الْبَرْزَخِ: فَعَذَابٌ يُقَارِنُهُ أَلَمُ الْفِرَاقِ الَّذِي لَا يُرْجَى[٣] عَوْدُهُ، وَأَلَمُ فَوَاتِ مَا فَاتَهُ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ بِاشْتِغَالِهِ بِضِدِّهِ، وَأَلَمُ الْحِجَابِ عَنِ اللهِ، وَأَلَمُ الْحَسْرَةِ الَّتِي تَقْطَعُ الْأَكْبَادَ.

فَالْهَمُّ[٤]، وَالْغَمُّ، والحسرةُ، وَالْحُزْنُ تَعْمَلُ فِي نُفُوسِهِمْ نَظِيرَ مَا تَعْمَلُ[٥] الْهَوَامُّ[٦] وَالدِّيدَانُ فِي أَبْدَانِهِمْ، بَلْ عَمَلُهَا فِي النُّفُوسِ دَائِمٌ مُسْتَمِرٌّ، حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى أَجْسَادِهَا، فَحِينَئِذٍ يَنْتَقِلُ الْعَذَابُ إِلَى نَوْعٍ[٧] هُوَ أَدْهَى وَأَمَرُّ.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٢) في (ط): وأنواع (من العذاب في هذه) المعارضات.
(٣) في (ط، ط): لا يرجو، والمثبت من: (أ، ب).
(٤) في (ب): والهم.
(٥) في (ب): يعمل.
(٦) في (ط): الهوان.
(٧) في (ب): أنواع.

فَأَيْنَ هَذَا مِنْ نَعِيمِ مَنْ يَرْقُصُ قَلْبُهُ طَرَبًا، وَفَرَحًا، وَأُنْسًا بِرَبِّهِ، وَاشْتِيَاقًا إِلَيْهِ، وَارْتِيَاحًا بِحُبِّهِ، وَطُمَأْنِينَةً بِذِكْرِهِ؟ حَتَّى يَقُولَ بَعْضُهُمْ فِي حَالِ نَزْعِهِ: «وَاطَرَبَاهُ»(١).

ويقول الآخر: «إن كان أهل الجنة في مثل هذا(٢) الحال إنهم لفي عيشٍ طيب»(٣).

وَيَقُولُ الْآخَرُ: «مَسَاكِينُ أَهْلُ الدُّنْيَا، خَرَجُوا مِنْهَا وَمَا ذَاقُوا لَذِيذَ الْعَيْشِ فِيهَا، وَمَا ذَاقُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا»(٤).

وَيَقُولُ الْآخَرُ: «لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ»(٥).

وَيَقُولُ الْآخَرُ: «إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ»(٦).

فَيَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ الْغَالِي بِأَبْخَسِ الثَّمَنِ، وَغُبِنَ كُلَّ الْغَبْنِ فِي هَذَا الْعَقْدِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ قَدْ غُبِنَ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ خِبْرَةٌ بِقِيمَةِ السِّلَعِ(٧) فَسَلِ الْمُقَوِّمِينَ.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ عن بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: القشيري في «رسالته» (٢/ ٤٦٩)، والسلمي في «تفسيره» (١/ ٦٣). ولكن رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» [٢٩٤]، وابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في «الثبات عند الممات» ص: [١٠٨] من طريق سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، قَالَ: قَالَ بِلَالٌ، حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: «غَدًا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ، مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ»، قَالَ: تَقُولُ امْرَأَتُهُ: وَاوَيْلَاهُ! قَالَ: يَقُولُ: «وَافَرْحَاهُ» وإسناده منقطع.

(٢) في (ط): هذه، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٣) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٥٧) عن أبي سليمان الداراني.

(٤) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٦/ ٤٢١) عن مالك بن دينار قال: «خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها» قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: «معرفة الله تَعَالَى».

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٧١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦/ ٣٠٣) عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: «يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك، ما نحن فيه من السرور والنعيم إذا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم أيام الحياة على ما نحن فيه من لذة العيش وقلة التعب».

(٦) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، نقله عنه ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٤٥٤).

(٧) في (ط): السلعة.

فَيَا عَجَبًا مِنْ بِضَاعَةٍ مَعَكَ، اللهُ مُشْتَرِيهَا، وَثَمَنُهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، وَالسَّفِيرُ الَّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ عَقْدُ التَّبَايُعِ، وَضَمِنَ الثَّمَنَ عَنِ الْمُشْتَرِي؛ هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، وَقَدْ بِعْتَهَا بِغَايَةِ الْهَوَانِ(١).

إِذَا كَانَ هَذَا فِعْلُ عَبْدٍ بِنَفْسِهِ ... فَمَنْ ذَا لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يُكْرِمُ(٢)

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

❀❀❀

(١) بعدها في (ط): كما قال القائل.

(٢) لم أجد من ذكره غير المصنف.

فَصْلٌ [(١)]

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُعْمِي بَصِيرَةَ الْقَلْبِ، وَتَطْمِسُ نُورَهُ، وَتَسُدُّ طُرُقَ الْعِلْمِ، وَتَحْجُبُ مَوَادَّ[(٢)] الْهِدَايَةِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ لَـمَّا اجْتَمَعَ بِهِ، وَرَأَى تِلْكَ الْـمَخَايِلَ: «إِنِّي أَرَى اللهَ تَعَالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْـمَعْصِيَةِ»[(٣)].

وَلَا يَزَالُ هَذَا النُّورُ يَضْعُفُ وَيَضْمَحِلُّ، وَظَلَامُ الْـمَعْصِيَةِ يَقْوَى، حَتَّى يَصِيرَ الْقَلْبُ فِي[(٤)] مِثْلِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، فَكَمْ مِنْ مُهْلِكٍ يَسْقُطُ فِيهِ، وَهُو لا يُبْصِرُه[(٥)]، كَأَعْمَى خَرَجَ بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقٍ ذَاتِ مَهَالِكَ وَمَعَاطِبَ، فَيَا عِزَّةَ السَّلَامَةِ، وَيَا سُرْعَةَ الْعَطَبِ!

ثُمَّ تَقْوَى تِلْكَ الظُّلُمَاتُ، وَتَفِيضُ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْجَوَارِحِ، فَيَغْشَى[(٦)] الْوَجْهَ مِنْهَا سَوَادٌ، بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَتَزَايُدِهَا، فَإِذَا كَانَ[(٧)] عِنْدَ الْـمَوْتِ ظَهَرَتْ فِي الْبَرْزَخِ، فَامْتَلَأَ الْقَبْرُ ظُلْمَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مُمْتَلِئَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ظُلْمَةً، وَإِنَّ اللهَ مُنَوِّرُهَا بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»**[(٨)].

---

(١) في هامش (أ)، أمام الفصل: المعاصي تعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب مواد الهداية.

(٢) في (ب): مرآة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ط): ولا يبصره.

(٦) في (ب): فتغشى.

(٧) في (ب): كانت.

(٨) مسلم [٩٥٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَـإِذَا كَانَ يَوْمُ الْـمَعَادِ، وَحشْرِ الأجسـاد[١]؛ عَلَـتِ الْوُجُوهَ عُلُوًّا ظَاهِـرًا، يَرَاهُ كُلُّ أَحَـدٍ، حَتَّى يَصِيرَ الْوَجْهُ أَسْـوَدَ مِثْـلَ الْحُمَمَةِ[٢]، فَيَالَهَـا عُقُوبَةً[٣] لَا تُوَازَنُ لَـذَّاتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا، مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

فَكَيْـفَ بِقِسْـطِ[٤] الْعَبْدِ الْـمُنَغَّصِ، الْـمُنَكَّـدِ، الْـمُتْعَبِ فِي زَمَنٍ إِنَّمَا هُوَ سَـاعَةٌ مِنْ حُلْمٍ؟

فَاللهُ[٥] الْـمُسْتَعَانُ.



(١) في (ط): العباد.

(٢) في (ب): القحمة، وفي (أ): الجمة، والمثبت من: (ط، ط ١).

(٣) في (ط)، وبعض النسخ: من عقوبة، والمثبت من: (أ، ب).

(٤) في (أ): يقسط، وتوجد فوق السين نقطة، وفي (ب): يبسط.

(٥) في (ب): والله.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُصَغِّرُ النَّفْسَ، وَتَقْمَعُهَا، وَتُدَسِّيهَا، وَتُحَقِّرُهَا، حَتَّى تَصِيرَ أَصْغَرَ كُلِّ[1] شَيْءٍ، وَأَحْقَرَهُ، كَمَا أَنَّ الطَّاعَةَ تُنَمِّيهَا وَتُزَكِّيهَا وَتُكَبِّرُهَا.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ[2]: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشَّمْس: ٩ - ١٠]، وَالْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَبَّرَهَا، وَأَعْلَاهَا بِطَاعَةِ اللهِ، وَأَظْهَرَهَا، وَقَدْ خَسِرَ مَنْ أَخْفَاهَا، وَحَقَّرَهَا، وَصَغَّرَهَا بِمَعْصِيَةِ اللهِ.

وَأَصْلُ التَّدْسِيَةِ: الْإِخْفَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾[3] [النَّحْل: ٥٩].

فَالْعَاصِي[4] يَدُسُّ نَفْسَهُ فِي الْمَعْصِيَةِ، وَيُخْفِي مَكَانَهَا، وَيَتَوَارَى[5] مِنَ الْخَلْقِ مِنْ سُوءِ مَا يَأْتِي بِهِ، وَقَدِ[6] انْقَمَعَ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَانْقَمَعَ عِنْدَ اللهِ، وَانْقَمَعَ عِنْدَ الْخَلْقِ.

فَالطَّاعَةُ وَالْبِرُّ تُكَبِّرُ[7] النَّفْسَ، وَتُعِزُّهَا، وَتُعْلِيهَا، حَتَّى تَصِيرَ أَشْرَفَ شَيْءٍ وَأَكْبَرَهُ، وَأَزْكَاهُ وَأَعْلَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ[8] أَذَلُّ شَيْءٍ وَأَحْقَرُهُ وَأَصْغَرُهُ للهِ تَعَالَىٰ.

وَبِهَذَا الذُّلِّ حَصَلَ لَهَا هَذَا الْعِزُّ وَالشَّرَفُ وَالنُّمُوُّ، فَمَا صَغَّرَ النُّفُوسَ مِثْلُ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَمَا كَبَّرَهَا وَشَرَّفَهَا وَرَفَعَهَا مِثْلُ طَاعَةِ اللهِ.

---

(١) ساقطة من: (أ، ط١)، وفي (ط): من كل، والمثبت من: (ب).

(٢) في (أ، ط، ط ١): قال تعالى، والمثبت من: (ب).

(٣) في (ط) ذكر الآية بزيادة ففيها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النَّحْل: ٥٩].

(٤) في (ب): والعاصي.

(٥) في (ب، ط): يتوارى.

(٦) في (ط، ط ١): قد، والمثبت من: (أ، ب).

(٧) في (ب): يكبر.

(٨) في (ب): فهو.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّ الْعَاصِيَ دَائِمًا فِي أَسْرِ شَيْطَانِهِ، وَسِجْنِ شَهَوَاتِهِ، وَقُيُودِ هَوَاهُ، فَهُوَ أَسِيرٌ مَسْجُونٌ مُقَيَّدٌ.

وَلَا أَسِيرَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ أَسِيرٍ أَسَرَهُ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، وَلَا سِجْنَ أَضْيَقُ مِنْ سِجْنِ الْهَوَى، وَلَا قَيْدَ أَصْعَبُ مِنْ قَيْدِ الشَّهْوَةِ.

فَكَيْفَ يَسِيرُ إِلَى اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ قَلْبٌ مَأْسُورٌ مَسْجُونٌ مُقَيَّدٌ؟ وَكَيْفَ يَخْطُو خُطْوَةً وَاحِدَةً؟

وَإِذَا تَقَيَّدَ الْقَلْبُ طَرَقَتْهُ الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِحَسَبِ قُيُودِهِ، وَمَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الطَّائِرِ، كُلَّمَا[1] عَلَا بَعُدَ عَنِ الْآفَاتِ، وَكُلَّمَا نَزَلَ احتوشتهُ الْآفَاتُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «**الشَّيْطَانُ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ**»[2].

وَكَمَا أَنَّ الشَّاةَ الَّتِي لَا حَافِظَ لَهَا، وَهِيَ بَيْنَ الذِّئَابِ؛ سَرِيعَةُ الْعَطَبِ، فَكَذَا الْعَبْدُ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ حَافِظٌ مِنَ اللهِ؛ فَذِئْبُهُ مُفْتَرِسُهُ، وَلَا بُدَّ.

---

(١) في (ط١): وكلما، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٢) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٢)، والطبراني (٢٠/ ١٦٤) رقم: (٣٤٤ - ٣٤٥)، والحارث (٦٠٦ -بغية الباحث)، والشاشي [١٣٨٧]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٤٧) من طريق العلاء بن زياد عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَالْعَامَّةِ، وَالْمَسْجِدِ**». وإسناده منقطع. («الضعيفة» [٣٠١٦]).

ويغني عنه حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**» رواه ابن المبارك في «الزهد» [١٣٠٦]، وأحمد (٥/ ١٩٦)، وأبو داود [٥٤٧]، والنسائي [٨٤٧]، وابن خزيمة [١٤٠٤]، وابن حبان [٢١٠١]، والحاكم (١/ ٣٣٠)، وغيرهم وإسناده حسن. («صحيح أبي داود -الأم-» [٥٥٦]).

وَإِنَّمَا يَكُونُ عَلَيْهِ حَافِظٌ[١] مِنَ اللهِ بِالتَّقْوَى، فَهِيَ وِقَايَةٌ وَجُنَّةٌ، حَصِينَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذِئْبِهِ، كَمَا هِيَ وِقَايَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَكُلَّمَا كَانَتِ الشَّاةُ أَقْرَبَ مِنَ[٢] الرَّاعِي كَانَتْ[٣] أَسْلَمَ مِنَ الذِّئْبِ، وَكُلَّمَا بَعُدَتْ عَنِ الرَّاعِي كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْهَلَاكِ.

فأحمى[٤] مَا تَكُونُ الشَّاةُ إِذَا قَرُبَتْ مِنَ الرَّاعِي، وَإِنَّمَا يَأْخُذُ الذِّئْبُ الْقَاصِي[٥] مِنَ الْغَنَمِ، وَهِيَ أَبْعَدُهُنَّ[٦] مِنَ الرَّاعِي.

وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ: أَنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا كَانَ أَبْعَدَ مِنَ اللهِ؛ كَانَتِ الْآفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ اللهِ بَعُدَتْ عَنْهُ الْآفَاتُ.

وَالْبُعْدُ مِنَ اللهِ مَرَاتِبُ، بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ: فَالْغَفْلَةُ تُبْعِدُ العبدَ[٧] عَنِ[٨] اللهِ، وَبُعْدُ الْمَعْصِيَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْغَفْلَةِ، وَبُعْدُ الْبِدْعَةِ أَعْظَمُ مِنْ بُعْدِ الْمَعْصِيَةِ، وَبُعْدُ النِّفَاقِ وَالشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ[٩].

❁❁❁

(١) في (ب): حافظًا.
(٢) في (ب): إلى.
(٣) في (ب): فكانت.
(٤) في (ط): فأسلم، والمثبت من: (أ، ب، ط ١).
(٥) في (ب): القصي، وفي (ط): القاصية، والمثبت من: (أ، ط ١).
(٦) في (ب، ط): أبعد، والمثبت من: (أ، ط ١).
(٧) في (ط)، ونسخة: القلب، والمثبت من: (أ، ب، ط ١).
(٨) في (أ): من.
(٩) ساقطة من: (أ).

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: سُقُوطُ الْجَاهِ وَالْـمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ خَلْقِهِ.

فَإِنَّ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَطْوَعُهُمْ لَهُ، وَعَلَى قَدْرِ طَاعَةِ الْعَبْدِ له؛ تَكُونُ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ، فَإِذَا عَصَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَهُ سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ، فَأَسْقَطَهُ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ.

وَإِذَا لَمْ يَبْقَ لَهُ جَاهٌ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَهَانَ عَلَيْهِمْ؛ عَامَلُوهُ عَلَى حَسْبِ ذَلِكَ، فَعَاشَ بَيْنَهُمْ أَسْوَأَ عَيْشٍ، خَامِلَ الذِّكْرِ، سَاقِطَ الْقَدْرِ، زَرِيَّ[١] الْحَالِ، لَا حُرْمَةَ لَهُ، وَلا[٢] فَرَحَ لَهُ، وَلَا سُرُورَ.

فَإِنَّ خُمُولَ الذِّكْرِ، وَسُقُوطَ الْقَدْرِ وَالْجَاهِ، مَعَهُ كُلُّ غَمٍّ، وَهَمٍّ، وَحَزَنٍ، وَلَا سُرُورَ مَعَهُ، وَلَا فَرَحَ، وَأَيْنَ[٣] هَذَا الْأَلَمُ مِنْ لَذَّةِ الْـمَعْصِيَةِ لَوْلَا سُكْرُ الشَّهْوَةِ؟

وَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى الْعَبْدِ: أَنْ يَرْفَعَ لَهُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ، وَيُعْلِي قَدْرَهُ، وَلِهَذَا خَصَّ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٥ - ٤٦].

أَيْ: خَصَصْنَاهُمْ بِخِصِّيصَةٍ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ الَّذِي يُذْكَرُونَ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَهُوَ لِسَانُ الصِّدْقِ الَّذِي سَأَلَهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ [عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ][٤]، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

---

(١) في (أ): ردي.
(٢) في (ط ١): فلا.
(٣) في (ب): فأين.
(٤) زيادة من: (ط).

وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ بَنِيهِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠].

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

فَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، بِحَسَبِ مِيرَاثِهِمْ مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُمْ فاته[1] مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مُخَالَفَتِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ.

❁ ❁ ❁

(١) في (ط): فإنه بعيد!

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ، وَتَكْسُوهُ أَسْمَاءَ الذَّمِّ وَالصَّغَارِ.

فَتَسْلُبُهُ اسْمَ: الْمُؤْمِنِ، وَالْبَرِّ، وَالْمُحْسِنِ، وَالْمُتَّقِي، وَالْمُطِيعِ، وَالْمُنِيبِ، وَالْوَلِيِّ، وَالْوَرِعِ، والمصلح[1]، وَالْعَابِدِ، وَالْخَائِفِ، وَالْأَوَّابِ، وَالطَّيِّبِ، وَالْمَرْضِيِّ، وَنَحْوِهَا.

وَتَكْسُوهُ اسْمَ: الْفَاجِرِ، وَالْعَاصِي، وَالْمُخَالِفِ، وَالْمُسِيءِ، وَالْمُفْسِدِ، وَالْخَبِيثِ، وَالْمَسْخُوطِ، وَالزَّانِي، وَالسَّارِقِ، وَالْقَاتِلِ، وَالْكَاذِبِ، وَالْخَائِنِ، وَاللُّوطِيِّ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ، وَالْغَادِرِ، وَأَمْثَالِهَا.

فَهَذِهِ أَسْمَاءُ الْفُسُوقِ، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١]. الَّذِي يُوجِبُ[2] غَضَبَ الدَّيَّانِ، وَدُخُولَ النِّيرَانِ، وَعَيْشَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ.

وَتِلْكَ أَسْمَاءٌ: تُوجِبُ رِضَى[3] الرَّحْمَنِ، وَدُخُولَ الْجِنَانِ، وَتُوجِبُ شَرَفَ الْمُسَمَّى بِهَا عَلَى سَائِرِ نوع الْإِنْسَانِ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عُقُوبَةِ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا اسْتِحْقَاقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ، وَمُوجِبَاتِهَا؛ لَكَانَ فِي الْعَقْلِ نَاهٍ عَنْهَا.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ثَوَابِ الطَّاعَةِ إِلَّا الْفَوْزُ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ، وَمُوجِبَاتِهَا؛ لَكَانَ فِي الْعَقْلِ آمِرٌ بِهَا.

---

(١) في (ط): الصالح.

(٢) في (ط ١): التي توجب.

(٣) في (ط): رضاء.

وَلَكِـنْ لَا مَانِـعَ لِـمَا أَعْطَـى[١]، وَلَا مُعْطِيَ لِـمَا مَنَـعَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِـمَـن[٢] بَاعَدَ، وَلَا مُبْعِدَ لِمَنْ قَرَّبَ، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

❁❁❁

(١) في نسخة اعتمدها في (ط١): أعطى الله.

(٢) في (ط): لما.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِالْخَاصَّةِ(١) فِي نُقْصَانِ الْعَقْلِ.

فَلَا تَجِدُ عَاقِلَيْنِ أَحَدُهُمَا مُطِيعٌ للهِ تَعَالَى، وَالْآخَرُ عَاصٍ، إِلَّا وَعَقْلُ الْمُطِيعِ مِنْهُمَا أَوْفَرُ وَأَكْمَلُ، وَفِكْرُهُ أَصَحُّ، وَرَأْيُهُ أَسَدُّ(٢)، وَالصَّوَابُ قَرِينُهُ.

وَلِهَذَا تَجِدُ خِطَابَ الْقُرْآنِ إِنَّمَا هُوَ مَعَ أُولِي الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وَقَوْلِهِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٣) [الطلاق: ١٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَكَيْفَ يَكُونُ عَاقِلًا وَافِرَ الْعَقْلِ مَنْ يَعْصِي مَنْ هُوَ فِي قَبْضَتِهِ، وَفِي دَارِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ وَيُشَاهِدُهُ، فَيَعْصِيهِ، وَهُوَ بِعَيْنِهِ، غَيْرُ مُتَوَارٍ عَنْهُ، وَيَسْتَعِينُ بِنِعَمِهِ(٤) عَلَى مَسَاخِطِهِ، وَيَسْتَدْعِي كُلَّ وَقْتٍ غَضَبَهُ عَلَيْهِ، وَلَعْنَتَهُ لَهُ، وَإِبْعَادَهُ مِنْ قُرْبِهِ، وَطَرْدَهُ عَنْ(٥) بَابِهِ، وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُ، وَخِذْلَانَهُ لَهُ(٦)، وَالتَّخْلِيَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَعَدُوِّهِ، وَسُقُوطَهُ مِنْ عَيْنِهِ، وَحِرْمَانَهُ رُوحَ رِضَاهُ، وَحُبَّهُ(٧)، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِقُرْبِهِ، وَالْفَوْزَ بِجِوَارِهِ، وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ فِي زُمْرَةِ أَوْلِيَائِهِ.

إِلَى أَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ كرامة(٨) أَهْلَ الطَّاعَةِ، وَأَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنْ عُقُوبَةِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ.

---

(١) في (ط ١): بالخاصية.

(٢) في (أ): أشد.

(٣) لم يذكر هذه الآية في (ط)، وذكر مكانها قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠]، والمثبت من: (أ، ب، ط ١).

(٤) في (ب): بعمته.

(٥) في (ب): من.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) في (ب): وجنته.

(٨) في (ب): كرامات.

فَأَيُّ عَقْلٍ لِـمَنْ آثَرَ لَذَّةَ سَاعَةٍ، أَوْ يَوْمٍ، أَوْ دَهْرٍ، ثُمَّ تَنْقَضِي[١] كَأَنَّهَا حُلْمٌ لَمْ يَكُنْ[٢]، عَلَى هَذَا النَّعِيمِ الْـمُقِيمِ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ؟ بَلْ هُوَ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟.

وَلَوْلَا الْعَقْلُ الَّذِي تَقُومُ[٣] بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لَكَانَ بِمَنْزِلَةِ الْـمَجَانِينِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْـمَجَانِينُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ، وَأَسْلَمَ عَاقِبَةً، فَهَذَا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَأَمَّا تَأْثِيرُهَا فِي نُقْصَانِ الْعَقْلِ الْـمَعِيشِي: فَلَوْلَا الِاشْتِرَاكُ فِي هَذَا النُّقْصَانِ؛ لَظَهَرَ لِـمُطِيعِنَا نُقْصَانُ عَقْلِ عَاصِينَا، وَلَكِنَّ الْـجَائِحَةَ عَامَّةٌ، وَالْـجُنُونَ فُنُونٌ.

وَيَا عَجَبًا، لَوْ صَحَّتِ الْعُقُولُ: لَعَلِمَتْ أَنَّ طَرِيقَ تَحْصِيلِ اللَّذَّةِ، وَالْفَرْحَةِ، وَالسُّرُورِ، وَطِيبِ الْعَيْشِ؛ إِنَّمَا هُوَ فِي رِضَى[٤] مَنِ النَّعِيمُ كُلُّهُ فِي رِضَاهُ، وَالْأَلَمُ وَالْعَذَابُ كُلُّهُ فِي سُخْطِهِ وَغَضَبِهِ.

فَفِي رِضَاهُ: قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَسُرُورُ النُّفُوسِ، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَطِيبُ الْحَيَاةِ، وَلَذَّةُ الْعَيْشِ، وَأَطْيَبُ النَّعِيمِ، مِمَّا[٥] لَوْ وُزِنَ مِنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا لَمْ يَفِ بِهِ، بَلْ إِذَا حَصَلَ لِلْقَلْبِ مِنْ ذَلِكَ أَيْسَرُ نَصِيبٍ؛ لَمْ يَرْضَ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا عِوَضًا مِنْهُ.

[وَمَعَ هَذَا][٦] فَهُوَ يَتَنَعَّمُ بِنَصِيبِهِ مِنَ الدُّنْيَا أَعْظَمَ مِنْ تَنَعُّمِ الْـمُتْرَفِينَ فِيهَا، وَلَا يَشُوبُ تَنَعُّمَهُ بِذَلِكَ الْحَظِّ الْيَسِيرِ مَا يَشُوبُ تَنَعُّمَ الْـمُتْرَفِينَ مِنَ الْهُمُومِ، وَالْغُمُومِ،

---

(١) في (ب): ينقضي.
(٢) في (ب): تكن.
(٣) في (أ): يقوم.
(٤) في (ط): رضاء.
(٥) في (ب): بما.
(٦) ساقط من: (أ).

وَالْأَحْزَان، والْـمُعَارِضَاتِ، بَلْ قَدْ حَصَلَ لَهُ عَلَى[١] النَّعِيمَيْنِ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ نَعِيمَيْنِ آخَرَيْنِ أَعْظَمَ مِنْهُمَا.

وَمَا يَـحْصُلُ لَهُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ الْآلَامِ، فَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَا أَنْقَصَ عَقْلَ مَنْ بَاعَ الدُّرَّ بِالْبَعَرِ[٢]، وَالْـمِسْكَ بِالرَّجِيعِ، وَمُرَافَقَةَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بِمُرَافَقَةِ الَّذِينَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَلَعَنَهُمْ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا!

❁❁❁

---

(١) في (ب): من.

(٢) في (ب): الدرة بالبعرة.

فَصْلٌ

وَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُوجِبُ الْقَطِيعَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَإِذَا وَقَعَتِ الْقَطِيعَةُ: انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَاتَّصَلَتْ بِهِ أَسْبَابُ الشَّرِّ، فَأَيُّ فَلَاحٍ، وَأَيُّ رَجَاءٍ، وَأَيُّ عَيْشٍ لِمَنِ انْقَطَعَتْ(١) عَنْهُ أَسْبَابُ الْخَيْرِ، وَقَطَعَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلِيِّهِ وَمَوْلَاهُ، [الذي لا بدَّ منه، و](٢) الَّذِي لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وَلَا عِوَضَ لَهُ عَنْهُ، وَاتَّصَلَتْ(٣) بِهِ أَسْبَابُ الشَّرِّ، وَوَصَلَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ، فَتَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ، وَتَخَلَّى عَنْهُ وَلِيُّهُ؟

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا فِي هَذَا الِانْقِطَاعِ وَالِاتِّصَالِ، مِنْ أَنْوَاعِ الْآلَامِ، وَأَنْوَاعِ الْعَذَابِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «رَأَيْتُ(٤) الْعَبْدَ مُلْقًى بَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ تَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ، وَإِنْ تَوَلَّاهُ اللهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ»(٥).

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]

---

(١) في (ب): انقطع.

(٢) زيادة من: (ب).

(٣) في (أ): واتصل.

(٤) في (أ): إذا رأيت.

(٥) أثر صحيح عن مطرف: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٢٩٨]، والإمام أحمد في «الزهد» ص: [٢٤٢]، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٤٩ - ٥٠)، وابن بطة في «الإبانة - القدر-» [١٧١٢]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠١)، والبيهقي في «القضاء والقدر» [٥٢٦]، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٨/ ٣٠٧)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» [١١٠] وغيرهم عن مطرف بن عبد الله بن الشخير. وهو صحيح عنه.

ورواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١٥٥] من طريق عون بن عبد الله عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وإسناده منقطع.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ: أَنَا[(١)] أَكْرَمْتُ أَبَاكُمْ، وَرَفَعْتُ قَدْرَهُ، وَفَضَّلْتُهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَأَمَرْتُ[(٢)] مَلَائِكَتِي كُلَّهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، تَكْرِيمًا لَهُ[(٣)]، وَتَشْرِيفًا، فَأَطَاعُونِي، وَأَبَى[(٤)] عَدُوِّي وَعَدُوُّهُ، فَعَصَى أَمْرِي، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَتِي، فَكَيْفَ يَحْسُنُ بِكُمْ بَعْدَ هَذَا أَنْ تَتَّخِذُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي، فَتُطِيعُونَهُ فِي مَعْصِيَتِي، وَتُوَالُونَهُ فِي خِلَافِ مَرْضَاتِي وَهُوَ[(٥)] أَعْدَى عَدُوٍّ لَكُمْ؟ فَوَالَيْتُمْ عَدُوِّي، وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِمُعَادَاتِهِ.

وَمَنْ وَالَى أَعْدَاءَ الْمَلِكِ، كَانَ هُوَ وَأَعْدَاؤُهُ عِنْدَهُ سَوَاءً، فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ وَالطَّاعَةَ لَا تَتِمُّ[(٦)] إِلَّا بِمُعَادَاةِ أَعْدَاءِ الْمُطَاعِ، وَمُوَالَاةِ أَوْلِيَائِهِ.

وَأَمَّا أَنْ تُوَالِيَ[(٧)] أَعْدَاءَ الْمَلِكِ، ثُمَّ تَدَّعِي أَنَّكَ مُوَالٍ لَهُ؛ فَهَذَا مُحَالٌ.

هَذَا لَوْ لَمْ يَكُنْ عَدُوُّ الْمَلِكِ عَدُوًّا لَكُمْ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ عَدُوَّكُمْ[(٨)] عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَالْعَدَاوَةُ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ مِنَ الْعَدَاوَةِ الَّتِي بَيْنَ الشَّاةِ وَالذِّئْبِ؟

فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ يُوَالِيَ عَدُوَّهُ، وَعَدُوَّ وَلِيِّهِ وَمَوْلَاهُ، الَّذِي لَا مَوْلَى لَهُ سِوَاهُ؟!

وَنَبَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى قُبْحِ هَذِهِ الْمُوَالَاةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ [الكهف: ٥٠]، كَمَا[(٩)] نَبَّهَ عَلَى قُبْحِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، فَتَبَيَّنَ أَنَّ عَدَاوَتَهُ لِرَبِّهِ،

---

(١) في (أ): إني.
(٢) في (ب): وأمرت.
(٣) ساقطة من: (أ، ط ١).
(٤) في (ب): فأبى.
(٥) في (أ، ط، ط١): وهم، والمثبت من: (ب).
(٦) في (ب): لا يتم.
(٧) في (أ): وأما من والى، وفي (ب): وأما من يوالي، والمثبت من: (ط، ط ١).
(٨) في (أ، ط١): عدوا لكم، والمثبت من: (ب، ط).
(٩) في (ب): وكما.

وَعَدَاوَتَهُ لَنَا، كُلٌّ مِنْهُمَا سَبَبٌ يَدْعُو إِلَى مُعَادَاتِهِ، فَمَا هَذِهِ الْـمُوَالَاةُ؟ وَمَا هَذَا الِاسْتِبْدَالُ؟ ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ هَذَا الْخِطَابِ نَوْعٌ مِنَ الْعِتَابِ لَطِيفٌ عَجِيبٌ: وَهُوَ أَنِّي عَادَيْتُ إِبْلِيسَ إِذْ لَمْ يَسْجُدْ لِأَبِيكُمْ آدَمَ مَعَ مَلَائِكَتِي، فَكَانَتْ مُعَادَاتُهُ لِأَجْلِكُمْ، ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ هَذِهِ الْـمُعَادَاةِ أَنْ عَقَدْتُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَقْدَ الْـمُصَالَحَةِ!



فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَةَ الْعُمُرِ، وَبَرَكَةَ الرِّزْقِ، وَبَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَبَرَكَةَ الْعَمَلِ، وَبَرَكَةَ الطَّاعَةِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: تَمْحَقُ بَرَكَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

فَلَا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللهَ، وَمَا مُحِقَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧].

وَ«**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**»(١).

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»(٢).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيحٌ: رواه ابن أبي شيبة [٣٤٣٣٢]، وإسحاق في «مسنده» (٩٢٧- المطالب العالية)، وهناد في «الزهد» [٤٩٤]، وابن مردويه في «أماليه» [٢٤]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١١٥١]، وغيرهم من طريق عبد الملك بن عمر وزبيد اليامي عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وإسناده منقطع.
ورواه الحاكم (٢/ ٥)، والبيهقي في «الاعتقاد» ص: [١٧٣]، وفي «القضاء والقدر» [٢٣٥]، من طريق يونس بن كثير عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. ويونس غير معروف، وقد تصحف في «مطبوع المستدرك» إلى «يونس بن بكير». وقد رواه ابن ماجه [٢١٤٤]، وابن الجارود [٥٣٩]، وابن أبي عاصم في «السنة» [٤٢٠]، والحاكم (٢/ ٥)، وغيرهم من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا: «**أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجمل بهوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم**».
ورواه ابن حبان (٣٢٣٩، ٣٢٤١)، والحاكم (٢/ ٤)، والبيهقي (٥/ ٢٦٤)، وغيرهم من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن محمد بن المنكدر عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وإسناده صحيح.
ورواه الشافعي في «الأم» (٧/ ٢٩٩)، وعلي بن حجر في «حديثه» [١٠١]، والبيهقي (٧/ ٧٦)، =

وَ«إِنَّ اللهَ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَى وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ»[١].

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْأَثَرُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ: «الزُّهْدِ»: «أَنَا اللهُ، إِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي مُنْتَهَى[٢]، وَإِذَا غَضِبْتُ لَعَنْتُ، وَلَعْنَتِي تبلغُ[٣] السَّابِعَ مِنَ الْوَلَدِ»[٤].

وَلَيْسَتْ سَعَةُ الرِّزْقِ وَالْعَمَلِ[٥] بِكَثْرَتِهِ، وَلَا طُولُ الْعُمُرِ بِكَثْرَةِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ[٦]، وَلَكِنَّ سَعَةَ الرِّزْقِ وَطُولَ الْعُمُرِ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ.

= والبغوي في «شرح السنة» [٤١١٠]، وغيرهم من طريقين عن المطلب بن حنطب مرسلًا، بمثل حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فالحديث صحيح بشواهده. («الصحيحة» [٢٨٦٦]).

(١) ضعيفٌ مرفوعًا، حسن موقوفًا: رَوَاهُ هَنَّادٌ فِي «الزُّهْدِ» رقم: [٥٣٥]، وابنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كتاب: «الرضا عن الله بقضائه» رقم: [٩٤]، والبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» رقم: [٢٠٩]، وفي «الأربعين الصغرى» رقم: [٥٢]، وابنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٣٣/ ١٧٥) من طريق أبي هارون موسى بن أبي عيسى المدني الحناط عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وإِسْنَادُهُ مُنْقَطِعٌ، وَرَوَاهُ ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٠٣)رقم: [١٤٣٨] من طريق زبيد اليامي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وَسَنَدُهُ منقطع أيضًا، فهو حسن بهذين الطريقين، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» رقم: [١٠٥١٤]، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (٤/ ١٢١، ٧/ ١٣٠)، والقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١١١٦]، والبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» رقم: [٢٠٨]، وابن الأبار في «معجم أصحاب الصدفي» ص: (١٨٠ - ١٨١) عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا. وَفِي إِسْنَادِهِ خَالِدٌ العُمَرِيُّ وَهُوَ كَذَّابٌ كَمَا قَالَ ابنُ مَعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ. انْظُرْ: «الْجَرْحَ وَالتَّعْدِيلَ» (٣/ ٣٦٠).

وَرَوَاهُ البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢٢١)رقم: [٢٠٨]، وفي «الأربعين الصغرى» ص: [٩٩] من طريق أبي حمة محمد بن يوسف الزبيدي عن أبي قرة موسى بن طارق عن الثوري عن منصور بن المعتمر عن خيثمة عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا وَسَنَدُهُ منقطع خيثمة لم يلق عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والصواب أنه موقوف على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما سبق. وقد حكم الشيخ الألباني على المرفوع بالوضع. («ضعيف الترغيب» [١٠٦٤]).

(٢) في (ب): انتهاء.

(٣) في (ط، ط ١): تدرك، والمثبت من: (أ، ب).

(٤) أثر صحيح عن وهب بن منبه رَحِمَهُ اللَّهُ. سبق تخريجه.

(٥) في (ب): والعمر.

(٦) في (أ): ولا كثرة العمر بطول الشهور والأعوام.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ عُمْرَ الْعَبْدِ[١] هُوَ مُدَّةُ حَيَاتِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللهِ، وَاشْتَغَلَ بِغَيْرِهِ.

بَلْ حَيَاةُ الْبَهَائِمِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِهِ، فَإِنَّ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ بِحَيَاةِ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ، وَلَا حَيَاةَ لِقَلْبِهِ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِذِكْرِهِ، وَالْأُنْسِ بِقُرْبِهِ.

وَمَنْ فَقَدَ هَذِهِ الْحَيَاةَ فَقَدْ[٢] فَقَدَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَوْ تَعَوَّضَ عَنْهَا بِمَا تَعَوَّضَ مِمَّا[٣] فِي الدُّنْيَا.

بَلْ لَيْسَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا عِوَضًا عَنْ[٤] هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَفُوتُ الْعَبْدَ عِوَضٌ، وَإِذَا فَاتَهُ اللهُ لَمْ يُعَوِّضْ عَنْهُ شَيْءٌ[٥] أَلْبَتَّةَ.

وَكَيْفَ يُعَوِّضُ الْفَقِيرُ بِالذَّاتِ عَنِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ، وَالْعَاجِزُ بِالذَّاتِ عَنِ الْقَادِرِ بِالذَّاتِ، وَالْمَيِّتُ عَنِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْمَخْلُوقُ عَنِ الْخَالِقِ، وَمَنْ لَا وُجُودَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ أَلْبَتَّةَ، عَمَّنْ غِنَاهُ، وَحَيَاتُهُ، وَكَمَالُهُ، وَوُجُودُهُ، وَرَحْمَتُهُ، مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ؟

وَكَيْفَ يُعَوِّضُ عَنْهُ[٦] مَنْ لَا يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، عَمَّنْ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَإِنَّمَا كَانَتْ مَعْصِيَةُ اللهِ سَبَبًا لِمَحْقِ بَرَكَةِ الرِّزْقِ وَالْأَجَلِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ مُوَكَّلٌ بِهَا، وَبِأَصْحَابِهَا، فَسُلْطَانُهُ عَلَيْهِمْ، وَحَوَالَتُهُ عَلَى هَذَا الدِّيوَانِ.

---

(١) في (ب): الإنسان، وفي الهامش: لعله: العبد. (٢) ساقطة من: (ط).

(٣) في (ب): بها، وفي (ط١): فما، والمثبت من: (أ، ط).

(٤) في (أ): من. (٥) ساقطة من: (ب). (٦) زيادة من: (أ).

وَأَهْلُهُ، وَأَصْحَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَّصِلُ[١] بِهِ الشَّيْطَانُ، وَيُقَارِنُهُ؛ فَبَرَكَتُهُ مَمْحُوقَةٌ.

وَلِهَذَا شُرِعَ ذِكْرُ اسْمِ اللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللُّبْسِ وَالرُّكُوبِ وَالْجِمَاعِ، لِمَا فِي مُقَارَنَةِ اسْمِ اللهِ مِنَ الْبَرَكَةِ.

وَذِكْرُ اسْمِ اللهِ[٢] يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، فَتَحْصُلُ الْبَرَكَةُ، وَلَا مُعَارِضَ لَهَا[٣].

وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَكُونُ للهِ فَبَرَكَتُهُ مَنْزُوعَةٌ، فَإِنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي يُبَارِكُ[٤] وَحْدَهُ، وَالْبَرَكَةُ كُلُّهَا مِنْهُ، وَكُلُّ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مُبَارَكٌ، فَكَلَامُهُ مُبَارَكٌ، وَرَسُولُهُ مُبَارَكٌ، وَعَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ النَّافِعُ لِخَلْقِهِ مُبَارَكٌ، وَبَيْتُهُ الْحَرَامُ مُبَارَكٌ، وَكِنَانَتُهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَهِيَ الشَّامُ[٥]، أَرْضُ الْبَرَكَةِ، وَصَفَهَا بِالْبَرَكَةِ فِي سِتِّ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِهِ[٦]، فَلَا مُبَارِكَ[٧] إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ،

---

(١) في (أ): متصل.

(٢) في (ب، ط، ط ١): اسمه، والمثبت من: (أ).

(٣) في (ط): له.

(٤) في (ط ١)، ونسخة: يبارك، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٥) في هامش (ب): المشهور: «مصر كنانة الله في أرضه، من أرادها بسوء قصمه الله». كذا في الهامش، ولم يرد وصف الشام أو مصر بأنها كنانة الله في الأرض، وهذا لا أصل له، وقد روى ابن عساكر في «تاريخه» (١/ ٢٨٨)، وابن العديم في «تاريخ حلب» (١/ ٣٤٤)، عن عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَرَأْتُ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ: أَنَّ اللهَ يَقُولُ: «الشَّامُ كِنَانَتِي، فَإِذَا غَضِبْتُ عَلَى قَوْمٍ رَمَيْتُهُمْ مِنْهَا بِسَهْمٍ»، وهذا أثر مكذوب، في إسناده عمرو بن عبدالغفار الفقيمي: متروك، كذاب. وما يتعلق بمصر، انظر: «الأسرار المرفوعة» لعلي القاري [٤٣٩]، و«كشف الخفا» للعجلوني [٢٣٠٩].

(٦) ورد وصف الشام بالبركة تصريحًا، وإشارة في ستة مواطن:

قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨].

(٧) في (ط ١): متبارك، والمثبت من: (أ، ب، ط).

وَلَا مُبَارَكَ إِلَّا مَا نُسِبَ إِلَيْهِ، أَعْنِي[١] إِلَى أُلُوهِيَّتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَرِضَاهُ، وَإِلَّا فَالْكَوْنُ كُلُّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ وَخَلْقِهِ.

وَكُلُّ مَا بَاعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ؛ فَلَا بَرَكَةَ فِيهِ، وَلَا خَيْرَ فِيهِ، وَكُلُّ مَا كَانَ قريبا منه[٢] مِنْ ذَلِكَ فَفِيهِ مِنَ[٣] الْبَرَكَةِ عَلَى حَسَبِ قُرْبِهِ مِنْهُ[٤].

وَضِدُّ الْبَرَكَةِ: اللَّعْنَةُ. فَأَرْضٌ لَعَنَهَا اللهُ، أَوْ شَخْصٌ لَعَنَهُ اللهُ، أَوْ عَمَلٌ لَعَنَهُ اللهُ[٥]؛ أَبْعَدُ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ.

وَكُلُّ مَا اتَّصَلَ بِذَلِكَ، وَارْتَبَطَ بِهِ، وَكَانَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ؛ فَلَا بَرَكَةَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ.

وَقَدْ لَعَنَ عَدُوَّهُ[٦] إِبْلِيسَ، وَجَعَلَهُ أَبْعَدَ خَلْقِهِ مِنْهُ، فَكُلُّ مَا كَانَ من جِهَتِهِ فَلَهُ مِنْ لَعْنَةِ اللهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ منه، وَاتِّصَالِهِ بِهِ.

فَمِنْ هَهُنَا كَانَ لِلْمَعَاصِي أَعْظَمُ تَأْثِيرٍ فِي مَحْقِ بَرَكَةِ الْعُمُرِ، وَالرِّزْقِ، وَالْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ.

فَكُلُّ[٧] وَقْتٍ عَصَيْتَ اللهَ فِيهِ، أَوْ مَالٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ، أَوْ بَدَنٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ عِلْمٍ، أَوْ عَمَلٍ؛ فَهُوَ عَلَى صَاحِبِهِ، لَيْسَ لَهُ[٨]، فَلَيْسَ مِنْ[٩] عُمُرِهِ، وَمَالِهِ، وَقُوَّتِهِ[١٠]، وَجَاهِهِ، وَعِلْمِهِ، وَعَمَلِهِ؛ إِلَّا مَا أَطَاعَ اللهَ بِهِ.

---

(١) في (ب): يعني.
(٢) ساقطة من: (ط)، ونسخة.
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (ب): أو شخص لعنه، أو عمل لعنه الله، وفي (ط١): أو شخص لعنه، أو عمل لعنه. والمثبت من: (أ، ط).
(٦) في (ب): عدو الله.
(٧) في (ط): وكل.
(٨) ساقطة من: (ب).
(٩) ساقطة من: (أ، ط١)، وفي (ط): له من، والمثبت من: (ب).
(١٠) ساقطة من: (ب).

وَلِهَذَا[(١)] مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ فِي هَذِهِ الدَّارِ مِائَةَ سَنَةٍ، أَوْ نَحْوَهَا، وَيَكُونُ عُمُرُهُ لَا يَبْلُغُ عشر سنين[(٢)] أَوْ نَحْوَهَا، كَمَا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَمْلِكُ الْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَيَكُونُ مَالُهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَا يَبْلُغُ أَلْفَ دِرْهَمٍ، أَوْ نَحْوَهَا، وَهَكَذَا الْجَاهُ وَالْعِلْمُ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرُ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ، أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»[(٣)].

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ**»[(٤)].

فَهَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْبَرَكَةُ خَاصَّةً، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، [وعليه التُّكْلَانُ][(٥)].

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ب): فلهذا.

(٢) في (ب): عشرين.

(٣) حسنٌ: رواه الترمذي [٢٣٢٢]، وابن ماجه [٤١١٢]، وابن أبي عاصم في «الزهد» [١٢٦]، وغيرهم، من طريق ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وإسناده حسنٌ. («الصحيحة» [٢٧٩٧]).

(٤) حسن لغيره: رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٩٧٧، ١٠٦٩)، وفي «الزهد» [٦٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٧)، والخليلي في «الإرشاد» [١٩٦]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٥١٢] وغيرهم من طريق عبد الله بن الجرح عن أبي عامر العقدي عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلا مَا كَانَ لله** تَعَالَىٰ»، ورواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [٢٨]، وأبو داود في «المراسيل» [٥٠٢]، وغيرهما عن الثوري عن ابن المنكدر مرسلًا، ورجحه الأئمة. ومع إرساله فإنه حسن بشواهده عن أبي هريرة، وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَـجْعَلُ صَاحِبَهَا مِنَ السَّفَلَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مُهَيَّئًا لِأَنْ[١] يَكُونَ مِنَ الْعِلْيَةِ.

فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ قِسْمَيْنِ: عِلْيَةً، وَسَفَلَةً[٢]، وَجَعَلَ عِلِّيِّينَ مُسْتَقَرَّ الْعِلْيَةِ، وَأَسْفَلَ سَافِلِينَ مُسْتَقَرَّ السَّفَلَةِ، وَجَعَلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ الْأَعْلَيْنَ[٣] فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، [وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ الْأَسْفَلِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ][٤].

كَمَا جَعَلَ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ أَهْوَنَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ الْعِزَّةَ لِهَؤُلَاءِ، وَالذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ لِهَؤُلَاءِ.

كَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو[٥] رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**جُعِلَ[٦] الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**»[٧].

فَكُلَّمَا عَمِلَ الْعَبْدُ مَعْصِيَةً نَزَلَ إِلَى أَسْفَلِ دَرَجَةً، وَلَا يَزَالُ فِي نُزُولٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَسْفَلِينَ، وَكُلَّمَا عَمِلَ طَاعَةً ارْتَفَعَ بِهَا دَرَجَةً، وَلَا يَزَالُ فِي ارْتِفَاعٍ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الْأَعْلَيْنَ[٨].

---

(١) في (ب): مهيبًا لا.
(٢) في (ب): وسفلية.
(٣) في (ب): العليين.
(٤) ساقط من: (أ).
(٥) في (أ، ط): عمرو، والمثبت من: (ب).
(٦) في (ب): جعلت، وذكر في (ط) الحديث من أوله: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري».
(٧) سبق تخريجه.
(٨) في (ب): العليين.

وَقَدْ يَجْتَمِعُ لِلْعَبْدِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ الصُّعُودُ مِنْ وَجْهٍ، وَالنُّزُولُ مِنْ وَجْهٍ، وَأَيُّهُمَا كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ؛ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ، فَلَيْسَ مَنْ صَعِدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ وَنَزَلَ دَرَجَةً وَاحِدَةً، كَمَنْ كَانَ بِالْعَكْسِ.

وَلَكِنْ يَعْرِضُ هَهُنَا لِلنُّفُوسِ غَلَطٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَنْزِلُ نُزُولًا بَعِيدًا أَبْعَدَ مِمَّا[1] بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمِمَّا[2] بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَفِي صُعُودُهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ بِهَذَا النُّزُولِ الْوَاحِدِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ**[3]، **لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**»[4].

فَأَيُّ صُعُودٍ يُوَازِنُ[5] هَذِهِ النَّزْلَةَ؟

وَالنُّزُولُ أَمْرٌ لَازِمٌ لِلْإِنْسَانِ، وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى غَفْلَةٍ، فَهَذَا مَتَى اسْتَيْقَظَ مِنْ غَفْلَتِهِ عَادَ إِلَى دَرَجَتِهِ، أَوْ إِلَى أَرْفَعَ مِنْهَا بِحَسَبِ يَقَظَتِهِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى مُبَاحٍ لَا يَنْوِي بِهِ الِاسْتِعَانَةَ عَلَى الطَّاعَةِ، فَهَذَا مَتَى رَجَعَ إِلَى الطَّاعَةِ فَقَدْ يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ، وَقَدْ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا، وَقَدْ يَرْتَفِعُ عَنْهَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَعُودُ أَعْلَى هِمَّةً مِمَّا كَانَ، وَقَدْ يَكُونُ أَضْعَفَ هِمَّةً، وَقَدْ تَعُودُ[6] هِمَّتُهُ كَمَا كَانَتْ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ نُزُولُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ، إِمَّا صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ، فَهَذَا يَحْتَاجُ فِي عَوْدِهِ إِلَى دَرَجَتِهِ إِلَى تَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَإِنَابَةٍ صَادِقَةٍ.

---

(١) في (ب): أبعدما.
(٢) في (ب): وما.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) البخاري [٦٤٧٧]، ومسلم [٢٩٨٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) في (ط، ط١): يوازي، والمثبت من: (أ، ب).
(٦) في (ب): يكون.

وَاخْتَلَفَ[(١)] النَّاسُ: هَلْ يَعُودُ بَعْدَ التَّوْبَةِ إِلَى دَرَجَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ تَمْحُو أَثَرَ الذَّنْبِ، وَتَجْعَلُ وَجُودَهُ كَعَدَمِهِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ. أَوْ لَا يَعُودُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ التَّوْبَةَ تَأْثِيرُهَا فِي[(٢)] إِسْقَاطِ الْعُقُوبَةِ، وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الَّتِي فَاتَتْهُ فَإِنَّهُ[(٣)] لَا يَصِلُ إِلَيْهَا.

قَالُوا: وَتَقْرِيرُ ذَلِكَ: أَنَّهُ كَانَ مُسْتَعِدًّا بِاشْتِغَالِهِ بِالطَّاعَةِ، فِي الزَّمَنِ الَّذِي عَصَى فِيهِ لِصُعُودٍ آخَرَ، وَارْتِقَاءٍ، تَحْمِلُهُ[(٤)] أَعْمَالُهُ السَّالِفَةُ، بِمَنْزِلَةِ كَسْبِ الرَّجُلِ كُلَّ يَوْمٍ بِجُمْلَةِ[(٥)] مَالِهِ الَّذِي يَمْلِكُهُ، وَكُلَّمَا تَضَاعَفَ الْمَالُ تَضَاعَفَ الرِّبْحُ.

فَقَدْ رَاحَ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْمَعْصِيَةِ ارْتِفَاعٌ، وَرِبْحٌ، بجملة[(٦)] أَعْمَالِهِ، فَإِذَا اسْتَأْنَفَ الْعَمَلَ اسْتَأْنَفَ صُعُودًا مِنْ نُزُولٍ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ صَاعِدًا مِنْ عُلُوٍّ[(٧)]، وَبَيْنَهُمَا بَوْنٌ[(٨)] عَظِيمٌ.

قَالُوا: وَمَثَلُ ذَلِكَ رَجُلَانِ مُرْتَقِيَانِ[(٩)] فِي سُلَّمَيْنِ، لَا نِهَايَةَ لَهُمَا، وَهُمَا سَوَاءٌ، فَنَزَلَ أَحَدُهُمَا إِلَى أَسْفَلَ، وَلَوْ دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ[(١٠)]، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الصُّعُودَ، فَإِنَّ الَّذِي لَمْ يَنْزِلْ يَعْلُو عَلَيْهِ، وَلَا بُدَّ.

وَحَكَمَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ حُكْمًا مَقْبُولًا، فَقَالَ: التَّحْقِيقُ أَنَّ مِنَ التَّائِبِينَ مَنْ يَعُودُ إِلَى أَرْفَعَ مِنْ[(١١)] دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعُودُ إِلَى مِثْلِ دَرَجَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

---

(١) في (ب): فاختلف.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) في (ب): فلإنه.
(٤) في (ط١): وارتقاء بجملة، والمثبت من: (أ، ب، ط).
(٥) في (ب): يحمله.
(٦) في (ب): يحمله.
(٧) في (ط ١): صعود، وفي (ط): من أسفل إلى أعلى. والمثبت من: (أ، ب).
(٨) في (ب): نور.
(٩) في (ط): يرتقيان.
(١٠) ساقطة من: (ب).
(١١) ساقطة من: (ب).

قُلْتُ: وَهَذَا بِحَسَبِ قُوَّةِ التَّوْبَةِ وَكَمَالِهَا، وَمَا أَحْدَثَتْهُ الْمَعْصِيَةُ لِلْعَبْدِ مِنَ الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالْإِنَابَةِ، وَالْحَذَرِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ، وَالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَتِهِ[1]، فَقَدْ تَقْوَى هَذِهِ الْأُمُورُ، حَتَّى يَعُودَ التَّائِبُ إِلَى أَرْفَعَ مِنْ دَرَجَتِهِ، وَيَصِيرَ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ.

فَهَذَا قَدْ تَكُونُ الْخَطِيئَةُ فِي حَقِّهِ رَحْمَةً، فَإِنَّهَا نَفَتْ عَنْهُ دَاءَ الْعُجْبِ، وَخَلَّصَتْهُ مِنْ ثِقَتِهِ بِنَفْسِهِ، وَأَعْمَالِهِ[2]، وَوَضَعَتْ خَدَّ ضَرَاعَتِهِ وَذُلَّهُ وَانْكِسَارَهُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَعَرَّفَتْهُ قَدْرَهُ، وَأَشْهَدَتْهُ فَقْرَهُ وَضَرُورَتَهُ إِلَى حِفْظِ سيده[3] لَهُ، وَإِلَى عفوِهِ عَنْهُ، وَمَغْفِرَتِهِ لَهُ.

وَأَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ صَوْلَةَ الطَّاعَةِ، وَكَسَرَتْ أَنْفَهُ مِنْ[4] أَنْ يَشْمَخَ بِهَا، أَوْ يَتَكَبَّرَ بِهَا، أَوْ يَرَى نَفْسَهُ بِهَا خَيْرًا مِنْ غَيْرِهِ، وَأَوْقَفَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ مَوْقِفَ الْخَطَّائِينَ الْمُذْنِبِينَ، نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ[5]، مُسْتَحِيًا منه، خَائِفًا وَجِلًا، مُحْتَقِرًا لِطَاعَتِهِ مُسْتَعْظِمًا لِمَعْصِيَتِهِ، قَدْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالنَّقْصِ وَالذَّمِّ. وَرَبَّهُ منفردًا بِالْكَمَالِ، وَالْحَمْدِ، وَالْوَفَاءِ، كَمَا قِيلَ:

اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْـ ... ـحمدِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلا[6]

فَأَيُّ نِعْمَةٍ وَصَلَتْ مِنَ اللهِ إِلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَرَأَى نَفْسَهُ دُونَهَا، وَلَمْ يَرَهَا أَهْلًا.

وَأَيُّ نِقْمَةٍ، أَوْ بَلِيَّةٍ، وَصَلَتْ إِلَيْهِ، رَأَى نَفْسَهُ أَهْلًا لَهَا، ولِـما[7] هُوَ أَكْثَرُ[8] مِنْهَا، وَرَأَى مَوْلَاهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِذْ لَمْ يُعَاقِبْهُ عَلَى قَدْرِ جُرْمِهِ، وَلَا شَطْرِهِ، وَلَا أَدْنَى جُزْءٍ مِنْهُ.

---

(١) في (ط): خشية الله.

(٢) في (ط): وإدلاله بأعماله.

(٣) في (ط): سيده (ومولاه).

(٤) زيادة من: (أ).

(٥) في (ب): بين يدي سيده.

(٦) «البيت منسوب» للأعشى كما في «ديوانه» ص: [٢٣٣]، وكذلك في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٣٣٣)، وفيهما: (بالوفاء وبالعدل).

(٧) في (أ، ط، ط ١): أهلًا لما، والمثبت من: (ب).

(٨) في (ط، ط١): أكبر. والمثبت من: (أ، ب).

فَـإِنَّ مَا يَسْـتَحِقُّهُ مِـنَ الْعُقُوبَةِ لَا تَحْمِلُهُ[١] الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، فَضْلًا عَـنْ هَذَا الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ.

فَـإِنَّ الذَّنْـبَ وَإِنْ صَغُرَ، فَإِنَّ مُقَابَلَـةَ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَعْظَـمُ مِنْهُ، الْكَبِيرِ الَّذِي لَا شَيْءَ أَكْـبَرُ مِنْهُ، الكريم الَّذِي لَا أحدَ أكرم منـه[٢]، وَلَا أَجْمَلَ، الْـمُنْعِمِ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ النِّعَمِ دَقِيقِهَا وجليلها؛ مِنْ أَقْبَحِ الْأُمُورِ، وَأَفْظَعِهَا، وَأَشْنَعِهَا.

فَإِنَّ مُقَابَلَةَ الْعُظَمَاءِ وَالْأَجِلَّاءِ وَسَادَاتِ النَّاسِ بِمِثْلِ ذَلِكَ يَسْتَقْبِحُهُ كُلُّ أَحَدٍ؛ مُؤْمِنٌ، وَكَافِرٌ.

وَأَرْذَلُ النَّـاسِ، وَأَسْـقَطُهُمْ مُرُوءَةً مَنْ قَابَلَهُـمْ بِالرَّذَائِلِ، فَكَيْفَ بِعَظِيمِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَلِكِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، [وَإِلَهِ السَّمَاوَاتِ[٣] وَالْأَرْضِ؟][٤].

وَلَوْلَا أَنَّ رَحْمَتَهُ غلبتْ غَضَبَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ سَبَقَتْ عُقُوبَتَهُ، وَإِلَّا لَتَدَكْدَكَتِ[٥] الْأَرْضُ بِمَنْ قَابَلَهُ بِمَا لَا تَلِيقُ مُقَابَلَتُهُ بِهِ.

وَلَوْلَا حِلْمُهُ وَمَغْفِرَتُهُ لَزالت[٦] السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ مَعَاصِي[٧] الْعِبَادِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى[٨]: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

فَتَأَمَّلْ خَتْمَ هَذِهِ الْآيَةِ بِاسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَهُمَا: «الْحَلِيمُ»، و«الْغَفُورُ»[٩]، كَيْفَ تَجِدُ

---

(١) في (ب): لا تحتمله.

(٢) في (ط): الجليل الذي لا أجل منه، وفي (أ): الكريم الذي شيء أجل منه، وفي (ط ١): الكريم الذي لا أجل منه، والمثبت من: (ب).

(٣) في (ط١): أهل السموات.

(٤) ساقط من: (ب).

(٥) في (ب): لتدكرت.

(٦) في (ط): لزلزلت.

(٧) في (ب): بمعاصي.

(٨) في (أ، ط١): قال تعالى. والمثبت من: (ب، ط).

(٩) في (أ): من أسمائه: الحليم والغفور. وفي (ط١): من أسمائه وهما الحليم الغفور. والمثبت من: (ب، ط).

تَحْتَ ذَلِكَ، بحيثُ[(١)] إِنَّهُ لَوْلَا حِلْمُهُ عَنِ الْجُنَاةِ وَمَغْفِرَتُهُ لِلْعُصَاةِ لَـمَا اسْتَقَرَّتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟

وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ بَعْضِ كُفْرِ عِبَادِهِ أَنَّهُ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

وَقَدْ أَخْرَجَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْأَبَوَيْنِ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ارْتَكَبَاهُ وَخَالَفَا فِيهِ نَهْيَهُ، وَلَعَنَ إِبْلِيسَ وَطَرَدَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَلَكُوتِ السماءِ[(٢)] بِذَنْبٍ وَاحِدٍ[(٣)] ارْتَكَبَهُ، وَخَالَفَ فِيهِ أَمْرَهُ، وَنَحْنُ مَعَاشِرُ الْحَمْقَى كَمَا قِيلَ:

نَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَنَرْتَجِي دَرَكَ[(٤)] الْجِنَانِ لَدى النَّعِيمِ الْخَالِدِ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَخْرَجَ[(٥)] الْأَبَوَيْنِ مِنْ مَلَكُوتِها[(٦)] الْأَعْلَى[(٧)] بِذَنْبٍ وَاحِدِ[(٨)].

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَكُونُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِمَّا كَانَ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، وَأَرْفَعَ دَرَجَةً.

---

(١) زيادة من: (ب).

(٢) في (ط): ملكوت المسموات والأرض.

(٣) ساقطة من: (أ، ط ١).

(٤) في (ط)، ونسخة: درج، والمثبت من: أن (ب، ط ١)، والمراد بالدرك: الإدراك واللحاق.

(٥) في (أ): ولقد علمنا أنه قد أخرج الأبوين، وفي (ب): ولقد علمنا أنه ما أخرج الأبوين، والمثبت من: (ط).

(٦) في (ط): ملكوته.

(٧) في (ب): إلا.

(٨) ذكره ابن الجوزي في «التبصرة من غير نسبة» (١/ ١٨) مع بعض الفروق، ونُسب الشعر إلى محمود الوراق كما هو عند الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ص: [٤٠١] والخطيب في كتاب «الزهد» ص: (٧٥ - ٧٦) وفيه فروق أيضًا. أما البيت الثاني فهو في كل المصادر:

وَنَسِيتَ أَنَّ الله أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

وَقَدْ تُضْعِفُ الْخَطِيئَةُ هِمَّتَهُ، وَتُوهِنُ عَزْمَهُ، وَتُمْرِضُ قَلْبَهُ، فَلَا يَقْوَى دَوَاءُ التَّوْبَةِ عَلَى إِعَادَتِهِ إِلَى صِحَّتِهِ[١] الْأُولَى، فَلَا يَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

وَقَدْ يَزُولُ الْمَرَضُ بِحَيْثُ تَعُودُ الصِّحَّةُ كَمَا كَانَتْ، وَيَعُودُ[٢] إِلَى مِثْلِ عَمَلِهِ، فَيَعُودُ إِلَى دَرَجَتِهِ.

هَذَا كُلُّهُ إِذَا كَانَ نُزُولُهُ إِلَى مَعْصِيَةٍ، فَإِنْ كَانَ نُزُولُهُ إِلَى أَمْرٍ يَقْدَحُ فِي أَصْلِ إِيمَانِهِ[٣]، مِثْلِ الشُّكُوكِ وَالرِّيَبِ وَالنِّفَاقِ، فَذَاكَ نُزُولٌ لَا يُرْجَى لِصَاحِبِهِ صُعُودٌ، إِلَّا بِتَجْدِيدِ إِسْلَامِهِ [من رأسٍ][٤].

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُجَرِّئُ عَلَى الْعَبْدِ مَنْ[٥] لَمْ يَكُنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ.

فَتَجْتَرِئُ[٦] عَلَيْهِ الشَّيَاطِينَ بِالْأَذَى، وَالْإِغْوَاءِ، وَالْوَسْوَسَةِ، وَالتَّخْوِيفِ، وَالتَّحْزِينِ، وَإِنْسَائِهِ مَا بِهِ مَصْلَحَتُهُ فِي ذِكْرِهِ، وَمَضَرَّتُهُ فِي نِسْيَانِهِ.

فَتَجْتَرِئُ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ حَتَّى تَؤُزَّهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللهِ أَزًّا.

وَتَجْتَرِئُ[٧] [عَلَيْهِ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ][٨]، بِمَا تَقْدِرُ[٩] عَلَيْهِ مِنَ أذاه فِي غَيْبَتِهِ وَحُضُورِهِ.

---

(١) في (ط، ط): الصحة، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) في (ب): وتعود.

(٣) في (ب): الإيمان.

(٤) ساقط من: (ط)، وفي (ب): من رأسه.

(٥) في (ب): ما، والمثبت من: (أ، ط).

(٦) في (أ، ط١): فيجترئ، والمثبت من: (ب، ط).

(٧) في (أ، ط١): ويجترئ، والمثبت من: (ب، ط).

(٨) ساقط من: (ب).

(٩) في (أ): يقدر.

وَيَجْتَرِئُ عَلَيْهِ أَهْلُهُ، وَخَدَمُهُ، وَأَوْلَادُهُ، وَجِيرَانُهُ، حَتَّى الْحَيَوَانُ[١] الْبَهِيمُ.

قَالَ[٢] بَعْضُ السَّلَفِ: «إِنِّي لَأَعْصِي اللهَ فَأَعْرِفُ[٣] ذَلِكَ فِي خُلُقِ امْرَأَتِي وَدَابَّتِي»[٤].

وَكَذَلِكَ[٥] يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءُ الْأَمْرِ بِالْعُقُوبَةِ، الَّتِي إِنْ عَدَلُوا فِيهَا أَقَامُوا عَلَيْهِ حُدُودَ اللهِ.

وَتَجْتَرِئُ[٦] عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَتَتَأَسَّدُ عَلَيْهِ، وَتَستصعبُ عَلَيْهِ[٧]، فَلَوْ أَرَادَهَا لِخَيْرٍ لَمْ تُطَاوِعْهُ، وَلَمْ تَنْقَدْ لَهُ[٨]، وَتَسُوقُهُ إِلَى مَا فِيهِ هَلَاكُهُ، شَاءَ أَمْ أَبَى.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّاعَةَ حِصْنُ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ، فَإِذَا فَارَقَ الْحِصْنَ اجْتَرَأَ عَلَيْهِ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ وَغَيْرُهُمْ، وَعَلَى حَسَبِ اجْتِرَائِهِ عَلَى مَعَاصِي اللهِ يَكُونُ اجْتِرَاءُ هَذِهِ الْآفَاتِ وَالنُّفُوسِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَهُ[٩] شَيْءٌ يَرُدُّ عَنْهُ.

فَإِنَّ ذِكْرَ اللهِ، وَطَاعَتَهُ، وَالصَّدَقَةَ، وَإِرْشَادَ الْجَاهِلِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ: وِقَايَةٌ تَرُدُّ عَنِ الْعَبْدِ، بِمَنْزِلَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَرُدُّ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ، فَإِذَا سَقَطَتِ الْقُوَّةُ غَلَبَ وَارِدُ[١٠] الْمَرَضِ[١١]، فَكَانَ الْهَلَاكُ.

فَلَابُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ شَيْءٍ يَرُدُّ عَنْهُ، فَإِنَّ مُوجِبَ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ يَتَدَافَعُ، وَيَكُونُ الْحُكْمُ لِلْغَالِبِ كَمَا تَقَدَّمَ.

---

(١) في (ب): أن الحيوان.
(٢) في (ب): وقال.
(٣) في (أ): لأجد، وفي (ب): إني لا أعصي الله إلا وأعرف.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) في (أ): ولذلك.
(٦) في (ط١): وكذلك تجترئ، والمثبت من: (أ، ب، ط).
(٧) في (أ): فتتأسد عليه العبادة.
(٨) في (ب): ولم تنفذ إليه.
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (ب): داءه.
(١١) في (ب): غلب داءه وازداد المرض.

وَكُلَّمَا قَوِيَ جَانِبُ الْـحَسَنَاتِ كَانَ الرَّدُّ أَقْوَى[١]، فَإِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، فَبِحَسَبِ قُوَّةِ الإِيمَانِ يَكُونُ الدَّفْعُ، وَاللهُ الْـمُسْتَعَانُ.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَخُونُ[٢] الْعَبْدَ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَى نَفْسِهِ.

فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ[٣] إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْفَعُهُ وَمَا يَضُرُّهُ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ أَعْرَفُهُمْ[٤] بِذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ، وَأَقْوَاهُمْ وَأَكْيَسُهُمْ مَنْ قَوِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَإِرَادَتِهِ[٥]، فَاسْتَعْمَلَهَا فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَكَفَّهَا عَمَّا يَضُرُّهُ.

وَفِي ذَلِكَ تَفَاوَتُ[٦] مَعَارِفُ النَّاسِ وَهِمَمُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ، فَأَعْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ عَارِفًا بِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَأَرْشَدُهُمْ مَنْ آثَرَ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ، كَمَا أَنَّ أَسْفَهَهُمْ مَنْ عَكَسَ الْأَمْرَ.

وَالْـمَعَاصِي تَخُونُ الْعَبْدَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَى نَفْسِهِ فِي تَحْصِيلِ[٧] هَذَا الْعِلْمِ، وَإِيثَارِ الْحَظِّ الْأَشْرَفِ الْعَالِي الدَّائِمِ عَلَى الْحَظِّ الْخَسِيسِ الْأَدْنَى الْـمُنْقَطِعِ، فَتَحْجُبُهُ الذُّنُوبُ عَنْ كَمَالِ هَذَا الْعِلْمِ، وَعَنْ الِاشْتِغَالِ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهِ، وَأَنْفَعُ لَهُ فِي الدَّارَيْنِ.

فَإِذَا وَقَعَ مَكْرُوهٌ، وَاحْتَاجَ إِلَى التَّخَلُّصِ مِنْهُ؛ خَانَهُ قَلْبُهُ وَنَفْسُهُ وَجَوَارِحُهُ، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ مَعَهُ سَيْفٌ قَدْ غَشِيَهُ الْجَرَبُ[٨]، وَلَزِمَ قِرَابَهُ، بِحَيْثُ لَا يَنْجَذِبُ مَعَ صَاحِبِهِ

---

(١) في (ط): كان الرد أقوى كما تقدم.
(٢) في (ب): تحوج.
(٣) في (ط): يحتاج.
(٤) في (أ): وأعرفهم.
(٥) في (أ): وإرادته لها، وفي (ب): وإرادته بها، والمثبت من: (ط، ط١).
(٦) في (ط١): تفاوتت، وفي (أ): تقاربت، والمثبت من: (ب، ط).
(٧) ساقطة من: (ب).
(٨) في (ط): الصدأ، وفي (ب): الحرب، والمثبت من: (أ). والجرب هو الصدأ.

إِذَا جَذَبَهُ، فَعَرَضَ لَهُ عَدُوٌّ يُرِيدُ قَتْلَهُ[١]، فَوَضَعَ يَدِهِ عَلَى قَائِمِ سَيْفِهِ، وَاجْتَهَدَ لِيُخْرِجَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ مَعَهُ، فَدَهَمَهُ الْعَدُوُّ، وَظَفِرَ[٢] بِهِ.

كَذَلِكَ الْقَلْبُ يَصْدَأُ بِالذُّنُوبِ، وَيَخْرَبُ[٣]، وَيَصِيرُ مُثْخَنًا بِالْمَرَضِ، فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ به[٤] لَمْ يَجِدْ مَعَهُ مِنْهُ[٥] شَيْئًا.

وَالْعَبْدُ إِنَّمَا يُحَارِبُ وَيُصَاوِلُ وَيُقْدِمُ بِقَلْبِهِ، وَالْجَوَارِحُ تَبَعٌ لِلْقَلْبِ[٦]، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ مَلِكِهَا قُوَّةٌ يَدْفَعُ بِهَا، فَمَا الظَّنُّ بِهَا؟

وَكَذَلِكَ النَّفْسُ، فَإِنَّهَا تتخنَّثُ[٧] بِالشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي، وَتَضْعُفُ، أَعْنِي النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ، وَإِنْ كَانَتِ الْأَمَّارَةُ تَقْوَى وَتَتَأَسَّدُ، وَكُلَّمَا قَوِيَتْ هَذِهِ ضَعُفَتْ تِلْكَ، فَيَبْقَى الْحُكْمُ وَالتَّصَرُّفُ لِلْأَمَّارَةِ.

وَرُبَّمَا مَاتَتْ نَفْسُهُ الْمُطْمَئِنَّةُ، مَوْتًا لَا يُرْجَى[٨] مَعَهُ حياة، فهذا ميت في الدنيا، ميت في البرزخ، غير حي في الآخرة حَيَاةً يَنْتَفِعُ بِهَا، بَلْ حَيَاتُهُ حَيَاةٌ يُدْرِكُ بِهَا الْأَلَمَ فَقَطْ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَقَعَ فِي شِدَّةٍ أَوْ كُرْبَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ خَانَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَجَوَارِحُهُ، عَمَّا هُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لَهُ، فَلَا يَنْجَذِبُ قَلْبُهُ لِلتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْجَمْعِيَّةِ عَلَيْهِ، وَالتَّضَرُّعِ، وَالتَّذَلُّلِ، وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَلَا يُطَاوِعُهُ لِسَانُهُ لِذِكْرِهِ، وَإِنْ ذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَيَنْحَبِسُ

---

(١) في (ب): فعرضَ لهُ مريدٌ قتلَهُ.

(٢) في (ب): وأظفر.

(٣) ساقطة من: (ط)، وفي (ط١): ويجربُ، وفي (أ، ب): ويخرب، وكلاهما (ويجرب، ويخرب) له وجهٌ. وفي هامش (أ) أمام هذا الكلام: القلب يصدأ بالذنوب.

(٤) زيادة من: (ط١).

(٥) ساقطة من: (أ، ط).

(٦) أمام هذا الكلام في هامش (أ): القلب ملك، والأعضاء جنده، وتبع له.

(٧) في (ط): تخبث.

(٨) في (ط): لا يرتجى.

الْقَلْبُ عَلَى اللِّسَانِ، بِحَيْثُ يُؤَثِّرُ الذِّكْرُ، وَلَا يَنْحَبِسُ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ(١) عَلَى(٢) المذكور، بَلْ إِنْ ذَكَرَ أَوْ دَعَا ذَكَرَ بِقَلْبٍ لَاهٍ سَاهٍ غَافِلٍ.

وَلَوْ أَرَادَ مِنْ جَوَارِحِهِ أَنْ تُعِينَهُ بِطَاعَةٍ تَدْفَعُ عَنْهُ لَمْ تَنْقَدْ لَهُ، وَلَمْ تُطَاوِعْهُ.

وَهَذَا كُلُّهُ أَثَرُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي كَمَنْ لَهُ جُنْدٌ يَدْفَعُون عَنْهُ الْأَعْدَاءَ، فَأَهْمَلَ جُنْدَهُ، وَضَيَّعَهُمْ، وَأَضْعَفَهُمْ، وَقَطَعَ أَخْبَازَهُمْ(٣)، ثُمَّ أَرَادَ مِنْهُمْ عِنْدَ هُجُومِ الْعَدُوِّ عَلَيْهِ(٤) أَنْ يَسْتَفْرِغُوا وُسْعَهُمْ فِي الدَّفْعِ عَنْهُ بِغَيْرِ قُوَّةٍ.

هَذَا، وَثَمَّ أَمْرٌ أَخْوَفُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَدْهَى مِنْهُ(٥) وَأَمَرُّ، وَهُوَ أَنْ يَخُونَهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ وَالِانْتِقَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ، كَمَا شَاهَدَ(٦) النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْمُحْتَضَرِينَ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ(٧).

حَتَّى قِيلَ لِبَعْضِهِمْ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: آهْ آهْ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَهَا.

۞ وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: شَاهْ، رُخْ، غَلَبْتُكَ(٨). ثُمَّ قَضَى.

---

(١) في (أ): على اللسان.

(٢) في (ب): عن.

(٣) في (ب، ط، ط١): أخبارهم، والمثبت من: (أ). وأظنه الصواب، والمراد بقطع الأخباز أي: قطع المرتبات، التي كانت تعطى لموظفي الدولة، وهو اصطلاح شائع في ذلك الزمان.

(٤) ساقطة من: (أ).

(٥) ساقط من: (أ)، وفي (ب): منها، والمثبت من: (ط).

(٦) في (ب): شهد.

(٧) أورد العلامة ابن القيم عددًا من القصص في هذا الأمر، وقد ذكرها أو بعضها جماعة من الأئمة، فانظر: «المحتضرين» لابن أبي الدنيا ص: (٧٨ - ١٧٥)، و«معجم» ابن الأعرابي [١٥٦٦]، و«المجالسة» للدينوري (٣٨٣-٣٨٥)، و«شعب الإيمان» (٥/ ٢٤٦)، و«الثبات عند الممات» لابن الجوزي ص: (٧٨ - ٨٠).

(٨) اي: في «لعبة الشطرنج»، فإن «شاه» ويعني «الملك»، و«رخ» ويقابله اليوم: «القلعة» من أحجار الشطرنج.

❁ وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ[١] كيفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ

ثُمَّ قَضَى[٢].

❁ وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ، وَيَقُولُ: تَاتِنَا[٣]، تِنتنَا، حَتَّى قَضَى.

❁ وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا[٤] يَنْفَعُنِي مَا تَقُولُ[٥]، وَلَمْ أَدَعْ مَعْصِيَةً إِلَّا رَكِبْتُهَا؟ ثُمَّ قَضَى وَلَمْ يَقُلْهَا.

❁ وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَمَا يُغْنِي عَنِّي ذَلِكَ[٦]، وَمَا أَعْرِفُ أَنِّي صَلَّيْتُ للهِ صَلَاةً؟ ثُمَّ قَضَى، وَلَمْ يَقُلْهَا.

❁ [وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: هُوَ كَافِرٌ بِمَا تَقُولُ. وَقَضَى][٧].

❁ وَقِيلَ لِآخَرَ ذَلِكَ، فَقَالَ: كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا، وَلِسَانِي يُمْسِكُ عَنْهَا.

❁ وَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَ بَعْضَ الشَّحَّاذِينَ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: فِلْسٌ للهِ، فِلْسٌ للهِ[٨]. حَتَّى قَضَى.

---

(١) في (ب): غلطت.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» [١٧٨]، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ص: [٦٧]، وسيأتي البيت مع القصة.

(٣) في (ب): تاتا، وفي (ط): تاتنا، والمثبت من: (أ، ط١).

(٤) في (ب، ط): ما.

(٥) في (ب): ما أقول.

(٦) زيادة من: (ب).

(٧) ساقط من: (أ).

(٨) في (أ): «فلسٌ لله، فلسٌ»، وفي (ب): «فلس لله، فُلَيسٌ»، وفي (ط): «لله فلس، لله، فلسٌ لله»، وفي (ط١): «لله فلسٌ، لله فلسٌ».

۞وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ التُّجَّارِ، عَنْ قَرَابَةٍ لَهُ أَنَّهُ احْتُضِرَ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَجَعَلُوا[١] يُلَقِّنُونَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ الْقِطْعَةُ رَخِيصَةٌ، هَذِه[٢] مُشْتَرَى جَيِّدٌ، هَذِهِ كَذَا. حَتَّى قَضَى.

وَسُبْحَانَ اللهِ! كَمْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ هَذَا عِبَرًا؟ وَالَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخْتَضِرِينَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ.

فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ فِي حَالِ حُضُورِ ذِهْنِهِ وَقُوَّتِهِ[٣] وَكَمَالِ إِدْرَاكِهِ قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ، وَاسْتَعْمَلَهُ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَعَاصِي اللهِ، وَقَدْ أَغْفَلَ قَلْبَهُ عَنِ اللهِ[٤]، وَعَطَّلَ لِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِهِ عِنْدَ سُقُوطِ قُوَاهُ، وَاشْتِغَالِ[٥] قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ بِمَا[٦] هُوَ فِيهِ مِنْ أَلَمِ النَّزْعِ[٧]؟

وَجَمَعَ الشَّيْطَانُ لَهُ كُلَّ قُوَّتِهِ وَهِمَّتِهِ، وَحَشَدَه عَلَيْهِ بِجَمِيعِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، لِيَنَالَ مِنْهُ فُرْصَتَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ آخِرُ الْعَمَلِ، فَأَقْوَى مَا يَكُونُ عَلَيْهِ شَيْطَانُهُ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَأَضْعَفُ مَا يَكُونُ هُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ[٨]، فَمَنْ تُرَى يَسْلَمُ من[٩] ذَلِكَ؟ فَهُنَاكَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فَكَيْفَ يُوَفَّقُ لِحُسْنِ[١٠] الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا؟

---

(١) في (ط): وجعلوا.
(٢) في (ط): هذا.
(٣) في (ب): حضوره وذهنه. وسقطت منها كلمة «وقوته».
(٤) في (ط): عن ذكر الله تعالى.
(٥) في (أ): واستعمال. وهو خطأ.
(٦) في (ب): مما.
(٧) في (أ): النزاع، وفي (ب): الفراغ، والمثبت من: (ط).
(٨) في (ب): الحالة.
(٩) في (أ): عن، وفي (ط، ط١): على، والمثبت من: (ب).
(١٠) في (ط): بحسن.

فَبَعِيدٌ مِنْ قَلْبٍ بَعِيدٍ عَنَ[(١)] اللهِ تَعَالَى، غَافِلٍ عَنْهُ، مُتَعَبِّدٍ هَوَاهُ أَسِيرٍ لِشَهَوَاتِهِ، وَلِسَانٍ[(٢)] يَابِسٍ مِنْ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحَ مُعَطَّلَةٍ مِنْ طَاعَتِهِ، مُشْتَغِلَةٌ[(٣)] بِمَعْصِيَتِهِ: أَنْ يُوَفَّقَ[(٤)] لِلْخَاتِمَةِ بِالْحُسْنَى.

وَلَقَدْ قَطَعَ خَوْفُ الْخَاتِمَةِ ظُهُورَ الْمُتَّقِينَ، وَكَأَنَّ[(٥)] الْمُسِيئِينَ الظَّالِمِينَ قَدْ أَخَذُوا تَوْقِيعًا بِالْأَمَانِ[(٦)] ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝٣٩ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٣٩ - ٤٠].

[شعرٌ][(٧)]:

يَا آمِنًا مع[(٨)] قَبيح[(٩)] الْفِعْلِ مِنْهُ أَهَلْ ... أَتَاكَ تَوْقِيعُ أَمْنٍ أَنْتَ تَمْلِكُهُ

جَمَعْتَ شَيْئَيْنِ أَمْنًا وَاتِّبَاعَ هَوًى ... هَذَا وَإِحْدَاهُمَا[(١٠)] فِي الْمَرْءِ تُهْلِكُهُ

[وَالْمُحْسِنُونَ عَلَى دَرْبِ الْمَخَاوِفِ قَدْ ... سَارُوا وَذَلِكَ دَرْبٌ لَسْتَ تَسْلُكُهُ][(١١)]

فَرَّطْتَ فِي الزَّرْعِ وَقْتَ الْبَذْرِ مِنْ سَفَهٍ ... فَكَيْفَ عِنْدَ حَصَادِ النَّاسِ تُدْرِكُهُ

هَذَا وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فيك[(١٢)] زُهْدُكَ فِي ... دَارِ الْبَقَاءِ بِعَيْشٍ سَوْفَ تَتْرُكُهُ[(١٣)]

مَنِ السَّفِيهُ إِذًا بِالله أَنْتَ أَمِ الْـ ... ـمَغْبُونُ فِي الْبَيْعِ غَبْنًا سَوْفَ تُدْرِكُهُ[(١٤)]

---

(١) في (أ، ط، ط١): من، والمثبت من: (ب).

(٢) في (ط): ولسانه.

(٣) في (أ): مستعملة.

(٤) في (ط١): توفق.

(٥) في (ب): وكان.

(٦) في (أ): بالإيمان.

(٧) زيادة من: (ب)، وفي (ط): كما قيل.

(٨) في (ب): من.

(٩) في (أ، ط) قبح.

(١٠) في (أ): أحدهما، وفي (ب): واحد بها، والمثبت من: (ط).

(١١) ساقط من: (أ).

(١٢) في (ط١): منك.

(١٣) في (أ): تدركه.

(١٤) في (أ): تتركه، وفي (ط١): يدركه، والمثبت من: (ب، ط). والأبيات لم أقف عليها عند غير العلامة ابن القيم رحمه الله، فلعلها من إنشائه.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا أَنَّهَا تُعْمِي القَلْبَ، فَإِنْ لَمْ تُعْمِهِ أَضْعَفَتْ بَصِيرَتَهُ وَلَابُدَّ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ أَنَّهَا تُضْعِفُهُ، وَلَابُدَّ، فَإِذَا عَمِيَ الْقَلْبُ وَضَعُفَ، فَاتَهُ[١] مِنْ مَعْرِفَةِ الْهُدَى، وَقُوَّتِهِ عَلَى تَنْفِيذِهِ فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ، بِحَسَبِ ضَعْفِ[٢] بَصِيرَتِهِ وَقُوَّتِهِ[٣].

فَإِنَّ الْكَمَالَ الْإِنْسَانِيَّ مَدَارُهُ عَلَى أَصْلَيْنِ: مَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِيثَارِهِ عَلَيْهِ.

وَمَا تَفَاوَتَتْ[٤] مَنَازِلُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا بِقَدْرِ تَفَاوُتِ مَنَازِلِهِمْ فِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، وَهُمَا اللَّذَانِ[٥] أَثْنَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ بِهِمَا[٦] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥].

فَالْأَيْدِي: الْقُوَّةُ[٧] فِي تَنْفِيذِ الْحَقِّ، وَالْأَبْصَارُ: الْبَصَائِرُ فِي الدِّينِ.

فَوَصَفَهُمْ بِكَمَالِ إِدْرَاكِ الْحَقِّ، وَكَمَالِ تَنْفِيذِهِ.

وَانْقَسَمَ[٨] النَّاسُ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ.

فَهَؤُلَاءِ أَشْرَفُ أَقْسَامِ[٩] الْخَلْقِ، وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى.

الْقِسْمُ الثَّانِي: عَكْسُ هَؤُلَاءِ، لَا بَصِيرَةَ[١٠] فِي الدِّينِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَنْفِيذِ الْحَقِّ، وَهُمْ[١١] أَكْثَرُ هَذَا الْخَلْقِ، وَهُمُ الَّذِينَ رُؤْيَتُهُمْ قَذَى الْعُيُونِ[١٢]، وَحُمَّى الْأَرْوَاحِ، وَسَقَمُ الْقُلُوبِ، يُضَيِّقُونَ الدِّيَارَ، وَيُغْلُونَ الْأَسْعَارَ، وَلَا يُسْتَفَادُ بِصُحْبَتِهِمْ إِلَّا الْعَارُ وَالشَّنَارُ.

---

(١) في (ب): فإنه.
(٢) في (ب): بحيث يضعف.
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ب): وما تفاوتُ.
(٥) في (أ): الذين.
(٦) في (أ): بهم.
(٧) في (ط، ط١): القوى. والمثبت من: (أ، ب).
(٨) في (ب): ويُقسمُ.
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (ط): من لا بصيرة له.
(١١) في (ب): وهو.
(١٢) في (ب): قذاء العين.

الْقِسْمُ[(١)] الثَّالِثُ: مَنْ لَهُ بَصِيرَةٌ بِالْحَقِّ، وَمَعْرِفَةٌ بِهِ، لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، لَا قُوَّةَ لَهُ عَلَى تَنْفِيذِهِ، وَلَا الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ. وَهَذَا حَالُ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْهُ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: مَنْ لَهُ قُوَّةٌ وَهِمَّةٌ وَعَزِيمَةٌ، لَكِنَّهُ ضَعِيفُ الْبَصِيرَةِ فِي الدِّينِ، لَا يَكَادُ يُمَيِّزُ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، بَلْ يَحْسَبُ كُلَّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً، وَكُلَّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً، يَحْسَبُ الْوَرَمَ شَحْمًا، وَالدَّوَاءَ النَّافِعَ سُمًّا.

وَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ مَنْ يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، وَلَا هُوَ[(٢)] مَوْضِعًا لَهَا سِوَى الْقِسْمِ الْأَوَّلِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى[(٣)]: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أَنَّ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ نَالُوا الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ.

وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اسْتَثْنَاهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ جُمْلَةِ الْخَاسِرِينَ، وَأَقْسَمَ بِالْعَصْرِ - الَّذِي هُوَ[(٤)] زَمَنُ سَعْيِ[(٥)] الْخَاسِرِينَ وَالرَّابِحِينَ - عَلَى أَنَّ مَنْ عَدَاهُمْ[(٦)] فَهُوَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

فَلَمْ[(٧)] يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ[(٨)]، حَتَّى يُوصِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ[(٩)]، وَيُرْشِدَهُ إِلَيْهِ، وَيَحُضَّهُ عَلَيْهِ.

---

(١) في (ب): والقسم.
(٢) في (ب): هم.
(٣) في (ط ١): قال تعالى.
(٤) ساقطة من: (أ).
(٥) ساقطة من: (ب).
(٦) في (ب): عاداهم.
(٧) في (ط): ولم.
(٨) ساقطة من: (أ).
(٩) ساقطة من: (ب).

وَإِذَا كَانَ مَـنْ عَدَا هَؤُلَاءِ خَاسِرًا، فَمَعْلُومٌ أَنَّ الْـمَعَاصِيَ وَالذُّنُوبَ تُعْمِي[١] بَصِيرَةَ الْقَلْبِ فَلَا يُدْرِكُ الْحَقَّ كَمَا يَنْبَغِي، وَتَضْعُفُ قُوَّتُهُ وَعَزِيمَتُهُ فَلَا يَصْبِرُ[٢] عَلَيْهِ.

بَـلْ قَدْ يَتَـوَارَدُ[٣] عَـلَى الْقَلْبِ حَتَّـى يَنْعَكِـسَ إِدْرَاكُهُ، كَـمَا يَنْعَكِـسُ سَـيْرُهُ، فَيُدْرِكُ الْبَاطِـلَ حَقًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْـمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْـمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، فَيَنْتَكِسُ[٤] فِي سَـيْرِهِ وَيَرْجِعُ عَنْ[٥] سَـفَرِهِ إِلَى اللهِ [وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، إِلَى سَـفَرِهِ إِلَى][٦] مُسْتَقَرِّ النُّفُوسِ الْـمُبْطِلَةِ الَّتِـي رَضِيَتْ بِالْـحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّتْ بِهَا، وَغَفَلَتْ عَنِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَتَرَكَتْ الِاسْـتِعْدَادَ لِلِقَائِهِ.

وَلَـوْ لَمْ يَكُـنْ فِي عُقُوبَةِ الذُّنُوبِ إِلَّا هَذِهِ العقوبة وَحْدَهَا لَكَانَـتْ دَاعِيَةً[٧] إِلَى تَرْكِهَا وَالْبُعْدِ مِنْهَا، وَاللهُ الْـمُسْتَعَانُ.

وَهَـذَا كَمَا أَنَّ الطَّاعَةَ تُنَوِّرُ الْقَلْبَ، وَتَجْلُوهُ[٨]، وَتَصْقُلُهُ، وَتُقَوِّيهِ، وَتُثَبِّتُهُ، حَتَّى يَصِيرَ كَالْمِـرْآةِ الْمَجْلُـوَّةِ فِي جلَايتها[٩]، وَصَفَائِهَا، فَيَمْتَلِئَ[١٠] نُورًا، فَإِذَا دَنَا الشَّـيْطَانُ مِنْهُ أَصَابَهُ مِنْ نُورِهِ مَا يُصِيبُ مُسْتَرِقِي[١١] السَّمْعِ مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ.

فَالشَّـيْطَانُ يَفْرَقُ مِنْ هَذَا الْقَلْبِ أَشَـدَّ مِنْ فَرَقِ الذِّئْبِ مِنَ الْأَسَدِ، حَتَّى إِنَّ صَاحِبَهُ لَيَـصْرَعُ الشَّـيْطَانَ، فَيَخِـرُّ صَرِيعًـا، فَيَجْتَمِـعُ عَلَيْهِ الشَّـيَاطِينُ، فَيَقُـولُ بَعْضُهُـمْ لِبَعْضٍ: مَا شَأْنُهُ؟ فَيُقَالُ: أَصَابَهُ إِنْسِيٌّ[١٢]، وَبِهِ نَظْرَةٌ مِنَ الْإِنْسِ.

---

(١) في (ب): يعمي.

(٢) في (ب): فلا تصبر.

(٣) في (ط): يتوارد. والمثبت من: (أ، ب).

(٤) في (ب): فينكسر.

(٥) في (أ): من.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٧) في (ط ١): لكانت كافية داعية.

(٨) ساقطة من: (أ).

(٩) في (ط): جلاتها، والمثبت من: (أ، ب).

(١٠) في (ط ١): ويمتلئ.

(١١) في (ب): مسترق.

(١٢) في (أ، ب): الشيء، والمثبت من: (ط).

[شعرٌ][(١)]:

فَيَا نَظْرَةً مِنْ قَلْبِ حُرٍّ مُنَوَّرٍ يَكَادُ لَهَا[(٢)] الشَّيْطَانُ بِالنُّورِ يُحْرَقُ[(٣)]

أَفَيَسْتَوِي هَذَا الْقَلْبُ وَقَلْبٌ مُظْلِمَةٌ[(٤)] أَرْجَاؤُهُ، مُخْتَلِفَةٌ أَهْوَاؤُهُ، قَدِ اتَّخَذَهُ الشَّيْطَانُ وَطَنَهُ، وَأَعَدَّهُ مَسْكَنَهُ، إِذَا تَصَبَّحَ[(٥)] بِطَلْعَتِهِ حَيَّاهُ، وَقَالَ[(٦)]: فَدَيْتُ مَنْ لَا يُفْلِحُ فِي دُنْيَاهُ وَلَا فِي أُخْرَاهُ؟

قَرِينُكَ[(٧)] فِي الدُّنْيَا وَفِي الْحَشْرِ بَعْدَهَا فَأَنْتَ[(٨)] قَرِينٌ لِي بِكُلِّ مَكَانِ

فَإِنْ كُنْتَ فِي دَارِ الشَّقَاءِ فَإِنَّنِي وَأَنْتَ جَمِيعًا فِي شَقَا وَهَوَانِ[(٩)]

قَالَ اللهُ تَعَالَى[(١٠)]: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾

[الزخرف: ٣٦ - ٣٩]

فَأَخْبَرَ[(١١)] سُبْحَانَهُ أَنَّ[(١٢)] مَنْ عَشِيَ عَنْ ذِكْرِهِ - وَهُوَ كِتَابُهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ[(١٣)] عَلَى رَسُولِهِ -، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَعَمِيَ عَنْهُ، وَعَشَتْ[(١٤)] بَصِيرَتُهُ عَنْ فَهْمِهِ وَتَدَبُّرِهِ وَمَعْرِفَةِ مُرَادِ اللهِ مِنْهُ؛ قَيَّضَ اللهُ لَهُ شَيْطَانًا، عُقُوبَةً لَهُ بِإِعْرَاضِهِ عَنْ كِتَابِهِ، فَهُوَ قَرِينُهُ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ فِي الْإِقَامَةِ، وَلَا فِي السَّيرِ[(١٥)]، وَمَوْلَاهُ، وَعَشِيرُهُ الَّذِي هُوَ بِئْسَ الْمَوْلَى، وَبِئْسَ الْعَشِيرُ.

---

(١) زيادة من: (ب).
(٢) في (ب): بها.
(٣) لم أقف عليه عند غير ابن القيم، فيظهر أنه من إنشائه رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) في (أ): مظلم.
(٥) في (أ): يصبح.
(٦) في (ب): قال.
(٧) في (أ): فديتك.
(٨) في (ب): وأنت.
(٩) لم أقف عليهما عند غير ابن القيم، فلعله من إنشائه رَحِمَهُ اللَّهُ.
(١٠) في (ط ١): قال تعالى.
(١١) في (ب): وأخبر.
(١٢) ساقطة من: (ب).
(١٣) في (أ): أنزل.
(١٤) في (ب): وعشيت.
(١٥) في (ب): السفر، وفي (ط١): المسير، والمثبت من: (أ، ط).

[شعرٌ] (١):

رَضِيعَي لِبَانِ ثَدْيِ أُمٍّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا يَتَفَرَّقُ (٢)

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَصُدُّ قَرِينَهُ وَوَلِيَّهُ، عَنْ سَبِيلِهِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ وَإِلَى جَنَّتِهِ (٣)، وَيَحْسَبُ هَذَا الضَّالُّ الْمَصْدُودُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ (٤) هُدًى، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَرِينَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ (٥) أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨]. كُنْتَ لِي فِي الدُّنْيَا، أَضْلَلْتَنِي عَنِ (٦) الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي، وَصَدَدْتَنِي عَنِ الْحَقِّ، وَأَغْوَيْتَنِي، حَتَّى هَلَكْتُ، وَبِئْسَ (٧) الْقَرِينُ (٨) أَنْتَ لِي الْيَوْمَ.

وَلَمَّا كَانَ الْمُصَابُ إِذَا شَارَكَهُ غَيْرُهُ فِي مُصِيبَتِهِ، حَصَلَ (٩) بِالتَّأَسِّي نَوْعُ تَخْفِيفٍ وَتَسْلِيَةٍ: أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ (١٠) أَنَّ هَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ، وَغَيْرُ حَاصِلٍ، فِي حَقِّ الْمُشْتَرِكِ (١١) فِي الْعَذَابِ، وَأَنَّ الْقَرِينَ لَا يَجِدُ رَاحَةً وَلَا أَدْنَى فَرَحٍ بِعَذَابِ قَرِينِهِ مَعَهُ (١٢)، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصَائِبُ فِي الدُّنْيَا إِذَا عَمَّتْ صَارَتْ مَسْلَاةً (١٣)، كَمَا قَالَتِ الْخَنْسَاءُ فِي أَخِيهَا صَخْرٍ، [شعر] (١٤):

---

(١) زيادة من: (ب).

(٢) في (ط١): لا نترق، والمثبت من: (أ، ب، ط). و«البيت منسوب» للأعشى كما في «ديوانه» ص: [٢٢٥]، وانظر: «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (٩/ ١٣٤).

(٣) في (أ): الوحشة!

(٤) ساقطة من: (أ).

(٥) في (ب): قال.

(٦) في (ب): من.

(٧) في (أ): فبئس.

(٨) ساقطة من: (ب).

(٩) في (ط): حصل له.

(١٠) في (أ، ط١): أخبر سُبْحَانَهُ، والمثبت من: (ب، ط).

(١١) في (ط، ط ١): المشتركين.

(١٢) ساقطة من: (ب).

(١٣) في (أ): مثلًا، وفي (ب): سلاة، والمثبت من: (ط).

(١٤) زيادة من: (ب).

فَلَوْلا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي[١]

فَمَنَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الرَّاحَةِ عن[٢] أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: ٣٩].

❁❁❁

(١) «ديوان الخنساء» ص: [٧٢]، و«أمالي القالي» (٢/ ١٦٣)، وفيهما (ولولا).

(٢) في «ط»: على.

فَصْلٌ

وَمِـنْ عُقُوبَاتِهَـا: أَنَّهَـا مَدَدٌ مِنَ الْإِنْسَـانِ يَمُدُّ بِهِ عَـدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَجَيْشٌ يُقَوِّيهِ بِهِ عَلَى حَرْبِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ابْتَلَى هَذَا الْإِنْسَـانَ بِعَدُوٍّ لَا يُفَارِقُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ، يَنَامُ[١] وَلَا يَنَامُ عَنْهُ، يَغْفَلُ[٢]، وَلَا يَغْفُلُ عَنْهُ[٣]، يَرَاهُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ.

يَبْـذُلُ جَهْـدَهُ فِي مُعَادَاتِـهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَا يَـدَعُ أَمْرًا يَكِيدُهُ بِهِ يَقْـدِرُ عَلَى إِيصَالِهِ[٤] إِلَيْهِ إِلَّا أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ، وَيَسْتَعِينُ عَلَيْهِ بِبَنِي أبيه[٥]، مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْـسِ، قَـدْ[٦] نَصَبَ لَـهُ الْـحَبَائِـلَ، وَبَغَـاهُ[٧] الْغَوَائِلَ، وَمَـدَّ حَوْلَـهُ الْأَشْرَاكَ، وَنَصَبَ لَـهُ الْفِخَاخَ وَالشِّبَاكَ، وَقَـالَ لِأَعْوَانِهِ: دُونَكُـمْ عَدُوَّكُمْ، وَعَـدُوَّ أَبِيكُـمْ، لَا يَفُوتَنَّكُمْ[٨]، وَلَا يَكُـنْ[٩] حَظُّـهُ الْجَنَّـةَ وَحَظُّكُمُ النَّـارَ، وَنَصِيبُهُ الرَّحْـمَـةَ وَنَصِيبُكُمُ اللَّعْنَةَ، وَقَـدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مَـا جَـرَى عَلَـيَّ وَعَلَيْكُـمْ مِـنَ الْخِزْيِ واللعـن وَالْإِبْعَادِ مِـنْ رَحْـمَـةِ اللهِ فَبِسَبَبِهِ، وَمِنْ أَجْلِهِ.

فَابْذُلُـوا جَهْدَكُـمْ أَنْ يَكُونُوا شُرَكَاءَنَا فِي هَذِهِ الْبَلِيَّةِ، إِذْ قَـدْ فَاتَنَا شَرِكَةَ صَالِحِيهِمْ فِي الْجَنَّةِ.

---

(١) ساقطة من: (ط).

(٢) ساقطة من: (ط).

(٣) في (ب): لا يفارقه طرفة عين، وصاحب لا ينام عنه، يفعل ولا يغفل عنه.

(٤) في (ب): اتصاله.

(٥) في (ط): جنسه.

(٦) في (ط): فقد.

(٧) في (ط): وبغى له.

(٨) في (ط): لا يفوتكم.

(٩) في (ط): ولا يكون.

وَقَدْ أَعْلَمَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ[(١)] عَدُوِّنَا، وَأَمَرَنَا أَنْ نَأْخُذَ لَهُ أُهْبَتَهُ، وَنُعِدَّ لَهُ عُدَّتَهُ.

وَلَمَّا عَلِمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ آدَمَ وَبَنِيهِ قَدْ بُلُوا بِهَذَا الْعَدُوِّ، وَأَنَّهُ قَدْ سُلِّطَ عَلَيْهِمْ؛ أَمَدَّهُمْ بِعَسَاكِرَ وَجُنْدٍ يَلْقَوْنَهُ بِهَا، وَأَمَدَّ عَدُوَّهُمْ أَيْضًا بِجُنْدٍ وَعَسَاكِرَ يَلْقَاهُمْ بِهَا، وَأَقَامَ سُوقَ الْجِهَادِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فِي مُدَّةِ الْعُمُرِ، الَّتِي هِيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْآخِرَةِ كَنَفَسٍ[(٢)] وَاحِدٍ مِنْ أَنْفَاسِهَا، وَاشْتَرَى[(٣)] مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَأَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ وَعْدٌ مُؤَكَّدٌ عَلَيْهِ فِي أَشْرَفِ كُتُبِهِ، وَهِيَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ.

ثم أَخْبَرَ أَنَّهُ[(٤)] لا[(٥)] أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِهَذِهِ الصَّفْقَةِ، الَّتِي مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَهَا فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمُشْتَرِي مَنْ هُوَ؟

وَإِلَى الثَّمَنِ الْمَبْذُولِ فِي هَذِهِ السِّلْعَةِ؟

وَإِلَى مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ هَذَا الْعَقْدُ؟

فَأَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟ وَأَيُّ تِجَارَةٍ أَرْبَحُ مِنْهُ؟

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

---

(١) في (أ): ومن.

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) في (ب): فاشترى.

(٤) في (ب): أن.

(٥) ساقطة من: (أ).

وَلَمْ يُسَلِّطْ اللهُ سُبْحَانَهُ[(١)] هَـذَا الْعَـدُوَّ عَـلَى عَبْـدِهِ الْـمُؤْمِـنِ الَّـذِي هُوَ أَحَـبُّ أنواعِ الْـمَخْلُوقَـاتِ إِلَيْـهِ، إِلَّا لِأَنَّ الْجِهَـادَ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَيْـهِ، وَأَهْلَهُ أَرْفَعُ الْخَلْـقِ عِنْدَهُ دَرَجَاتٍ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَةً، فَعَقَدَ سُبْحَانَهُ لِوَاءَ هَذَا[(٢)] الْحَرْبِ لِـخُلَاصَةِ مَـخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ الْقَلْبُ الَّـذِي هو مَحَـلُّ مَعْرِفَتِهِ، وَمَـحَبَّتِـهِ، وَعُبُودِيَّتِهِ، وَالْإِخْـلَاصِ لَهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْـهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ.

فَـوَلَّاهُ[(٣)] أَمْرَ هَذِهِ الْحَرْبِ، وَأَيَّدَهُ[(٤)] بِجُنْدٍ مِنَ الْـمَلَائِكَةِ لَا يُفَارِقُونَهُ، ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرَّعْد: ١١].

يَعْقُـبُ بَعْضُهُمْ[(٥)] بَعْضًا، كُلَّمَا ذَهَبَ بَدَلٌ جَـاءَ بَدَلٌ آخَرُ، يُثَبِّتُونَهُ، وَيَأْمُرُونَهُ بِالْخَيْرِ، وَيَحُضُّونَـهُ عَلَيْـهِ، وَيَعِدُونَـهُ بِكَرَامَةِ اللهِ، وَيُصَبِّرُونَـهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّمَا هُوَ صَبْرُ سَـاعَةٍ، وَقَدِ اسْتَرَحْتَ رَاحَةَ[(٦)] الْأَبَدِ.

ثُـمَّ أَمَـدَّهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[(٧)] بِجُنْـدٍ آخَـرَ مِـنْ وَحْيِـهِ وَكَلَامِهِ، فَأَرْسَـلَ إِلَيْهِ رَسُـولَهُ ﷺ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ، فَازْدَادَ قُوَّةً إِلَى قُوتِهِ، وَمَدَدًا إِلَى مَدَدِهِ، وَعُدَّةً إِلَى عُدَّتِهِ.

وَأَمَـدَّهُ مَـعَ ذَلِكَ بِالْعَقْـلِ وَزِيرًا لَـهُ، وَمُدَبِّرًا، وَبِالْـمَعْرِفَةِ مُشِـيرَةً عَلَيْـهِ، نَاصِحَةً لَهُ، وَبِالْإِيمَانِ[(٨)] مُثَبِّتًا لَهُ، وَمُؤَيِّدًا، وَنَاصِرًا، وَبِالْيَقِينِ كَاشِفًا لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ[(٩)]، حَتَّى[(١٠)] كَأَنَّهُ يُعَايِنُ مَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَحِزْبَهُ، عَلَى جِهَادِ أَعْدَائِهِ.

---

(١) في (ب، ط١): ولم يسلط سبحانه، وفي (ط): ولم يسلط، والمثبت من: (أ).
(٢) في (ط): هذه، والمثبت من: (أ، ب، ط ١)، وكلاهما صحيح.
(٣) في (أ): فلولاه.
(٤) في (ب): وأمدَّ.
(٥) ساقطة من: (أ).
(٦) في (ب): براحة.
(٧) في (أ، ط، ط١): ثم أمده سبحانه. والمثبت من: (ب).
(٨) في (أ): بالإيمان.
(٩) في (ب): الأمن، وفي (أ): الأمر، وفوق الراء نون صغيرة.
(١٠) ساقطة من: (ب).

فَالْعَقْلُ يُدَبِّرُ أَمْرَ جَيْشِهِ، وَالْمَعْرِفَةُ تَصْنَعُ[1] لَهُ أُمُورَ الْحَرْبِ، وَأَسْبَابَهَا، وَمَوَاضِعَهَا[2] اللَّائِقَةَ بِهَا، وَالْإِيمَانُ يُثَبِّتُهُ وَيُقَوِّيهِ وَيُصَبِّرُهُ، وَالْيَقِينُ يُقْدِمُ بِهِ، وَيَحْمِلُ بِهِ الْحَمَلَاتِ الصَّادِقَةَ.

ثُمَّ أَمَدَّ سُبْحَانَهُ الْقَائِمَ بِهَذَا الْحَرْبِ بِالْقُوَى[3] الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَجَعَلَ الْعَيْنَ طَلِيعَتَهُ، وَالْأُذُنَ صَاحِبَ خَبَرِهِ، وَاللِّسَانَ تُرْجُمَانَهُ، وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ أَعْوَانَهُ، وَأَقَامَ مَلَائِكَتَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَسْأَلُونَ لَهُ أَنْ يَقِيَهُ السَّيِّئَاتِ، وَيُدْخِلَهُ الْجَنَّاتِ.

وَتَوَلَّى سُبْحَانَهُ الدَّفْعَ وَالدِّفَاعَ عَنْهُ بِنَفْسِهِ، وَقَالَ: هَؤُلَاءِ حِزْبِي، وَحِزْبُ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ[4]، [وَهَؤُلَاءِ جُنْدِي ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]][5].

وَعَلَّمَ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ هَذَا الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ، فَجَمَعَهَا لَهُمْ فِي أَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ هَذَا الْجِهَادِ إِلَّا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ، فَلَا يَتِمُّ لَهُ[6] الصَّبْرُ إِلَّا بِمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ مُوَاقَعَتُهُ[7]، وَمُنَازَلَتُهُ، فَإِذَا صَابَرَ[8] عَدُوَّهُ احْتَاجَ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ وَهو الْمُرَابَطَةُ، وَهِيَ لُزُومُ ثَغْرِ الْقَلْبِ وَحِرَاسَتُهُ، لِئَلَّا يَدْخُلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ[9]، وَلُزُومُ ثَغْرِ الْعَيْنِ، وَالْأُذُنِ،

---

(١) في (ب، ط ١): تضعُ، والمثبت من: (أ، ط). وكلاهما له وجه.

(٢) في (ب): مواضعها، وفي (ط ١): في مواضعها، والمثبت من: (أ، ط).

(٣) في (ب): بالقوة.

(٤) في (ب): الغالبون، وأشار في الهامش أنها في نسخة: المفلحون. وزاد في (ط) هنا: قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(٥) ساقط من: (ب).

(٦) ساقط من: (ب).

(٧) في (أ): موافقته، وفي (ط): مقاومته، وفي (ط١): موافقته، والمثبت من: (ب). وهي أنسب وأوفق للسياق.

(٨) في (ب): صابره.

(٩) ساقطة من: (ب).

وَاللِّسَانِ، وَالْبَطْنِ، وَالْيَدِ، وَالرِّجْلِ، فَهَذِهِ الثُّغُورُ مِنْهَا يَدْخُلُ الْعَدُوُّ فَيَجُوسُ خِلَالَ الدِّيَارِ، وَيُفْسِدُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ.

فَالْمُرَابَطَةُ: لُزُومُ هَذِهِ الثُّغُورِ، وَلَا يُخْلِي[1] مَكَانَهَا، فَيُصَادِفَ الْعَدُوُّ الثَّغْرَ[2] خَالِيًا فَيَدْخُلَ مِنْهُ.

فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَعْظَمُهُمْ حِمَايَةً وَحِرَاسَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقَدْ أَخْلَوُا الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرُوا بِلُزُومِهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَدَخَلَ مِنْهُ الْعَدُوُّ[3]، فَكَانَ مَا كَانَ.

وَجِمَاعُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَعَمُودُهَا الَّذِي يَقُومُ[4] بِهِ[5]: هُوَ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى، فَلَا يَنْفَعُ الصَّبْرُ، وَلَا الْمُصَابَرَةُ، وَلَا الْمُرَابَطَةُ؛ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَلَا تَقُومُ[6] التَّقْوَى إِلَّا عَلَى سَاقِ الصَّبْرِ.

فَانْظُرِ الْآنَ فِيكَ[7] إِلَى الْتِقَاءِ الْجَيْشَيْنِ، وَاصْطِفَافِ[8] الْعَسْكَرَيْنِ، وَكَيْفَ تُدَالُ مَرَّةً، وَيُدَالُ عَلَيْكَ أُخْرَى؟[9].

أَقْبَلَ[10] مَلِكُ الكفر[11] بِجُنُودِهِ وَعَسَاكِرِهِ، فَوَجَدَ الْقَلْبَ فِي حِصْنِهِ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ مَمْلَكَتِهِ، أَمْرُهُ نَافِذٌ فِي أَعْوَانِهِ، وَجُنْدُهُ قَدْ حَفُّوا بِهِ، يُقَاتِلُونَ عَنْهُ، وَيُدَافِعُونَ عَنْ حَوْزَتِهِ، فَلَمْ يُمْكِنْهُ الْهُجُومُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمُخَامَرَةِ[12] بَعْضِ أُمَرَائِهِ وَجُنْدِهِ عَلَيْهِ.

---

(١) في (ب): فلا يخلي، وفي (أ): ولا تخلي، والمثبت من: (ط).

(٢) ساقطة من: (أ).

(٣) ساقطة من: (ب).

(٤) في (ط، ط١): تقوم، والمثبت من: (أ، ب).

(٥) في (ب): بها، والمثبت من: (أ، ط).

(٦) في (ب): ولا يقوم.

(٧) ساقطة من: (ب).

(٨) في (ط): واصطدام.

(٩) في (ب): وكيف يذل لك مرة، وعليك أخرى.

(١٠) في (ب): قبل.

(١١) في (ط): الكفرة.

(١٢) اي: بخيانة ومواطئة.

فَسَأَلَ عَنْ أَخصِّ [١] الْجُنْدِ بِهِ، وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً، فَقِيلَ لَهُ: هِيَ النَّفْسُ، فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ: ادْخُلُوا عَلَيْهَا مِنْ مُرَادِهَا، وَانْظُرُوا مَوَاقِعَ مَحَبَّتِهَا، وَمَا هُوَ مَحْبُوبُهَا، فَعِدُوهَا [٢] بِهِ، وَمَنُّوهَا إِيَّاهُ، وَانْقُشُوا صُورَةَ الْمَحْبُوبِ فِيهَا، فِي يَقَظَتِهَا وَمَنَامِهَا، فَإِذَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ، وَسَكَنَتْ عِنْدَهُ، فَاطْرَحُوا عَلَيْهَا كَلَالِيبَ الشَّهْوَةِ وَخَطَاطِيفَهَا، ثُمَّ جُرُّوهَا بِهَا إِلَيْكُمْ.

فَإِذَا خَامَرَتْ [٣] عَلَى الْقَلْبِ، وَصَارَتْ مَعَكُمْ عَلَيْهِ، مَلَكْتُمْ ثَغْرَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ وَاللِّسَانِ وَالْفَمِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ، فَرَابِطُوا عَلَى هَذه الثُّغُورِ كُلَّ الْمُرَابَطَةِ، فَمَتَى دَخَلْتُمْ مِنْهَا إِلَى الْقَلْبِ فَهُوَ قَتِيلٌ، أَوْ أَسِيرٌ، أَوْ جَرِيحٌ مُثْخَنٌ بِالْجِرَاحَاتِ، وَلَا تُخْلُوا هَذِهِ الثُّغُورَ، وَلَا تُمَكِّنُوا سَرِيَّةً تَدْخُلُ منها [٤] إِلَى الْقَلْبِ فَتُخْرِجكُمْ مِنْهَا [٥].

وَإِنْ غُلِبْتُمْ: فَاجْتَهِدُوا فِي إِضْعَافِ السَّرِيَّةِ وَوَهَنِهَا، حَتَّى لَا تَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ، وإن وَصَلَتْ إِلَيْهِ وصَلَتْ [٦] ضَعِيفَةً لَا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا.

فَإِذَا اسْتَوْلَيْتُمْ عَلَى هَذِهِ الثُّغُورِ: فَامْنَعُوا ثَغْرَ الْعَيْنِ أَنْ يَكُونَ نَظَرُهُ اعْتِبَارًا، بَلِ اجْعَلُوا نَظَرَهُ تَفَرُّجًا وَاسْتِحْسَانًا وَتَلَهِّيًا.

فَإِنِ اسْتَرَقَ نَظَرَةَ عِبْرَةٍ [٧] فَأَفْسِدُوهَا عَلَيْهِ بِنَظَرِ الْغَفْلَةِ وَالِاسْتِحْسَانِ وَالشَّهْوَةِ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ، وَأَعْلَقُ بِنَفْسِهِ، وَأَخَفُّ عَلَيْهِ.

وَدُونَكُمْ ثَغْرَ الْعَيْنِ: فَإِنَّ [٨] مِنْهُ تَنَالُونَ بُغْيَتَكُمْ، فَإِنِّي مَا أَفْسَدْتُ بَنِي آدَمَ بِشَيْءٍ مِثْلِ النَّظَرِ، فَإِنِّي أَبْذُرُ بِهِ [٩] فِي الْقَلْبِ بَذْرَ الشَّهْوَةِ، ثُمَّ أَسْقِيهِ بِمَاءِ الْأُمْنِيَّةِ، ثُمَّ لَا أَزَالُ أَعِدُهُ وَأُمَنِّيهِ حَتَّى أُقَوِّيَ عَزِيمَتَهُ، وَأَقُودَهُ بِزِمَامِ الشَّهْوَةِ إِلَى الِانْخِلَاعِ مِنَ الْعِصْمَةِ.

---

(١) في (ب): أحصن. (٢) في (ب): فعدوه.
(٣) أي خانته، وتواطأت مع الشيطان عليه.
(٤) في (ط): فيها. (٥) ساقطة من: (ب). (٦) ساقطة من: (ط ١).
(٧) في (ب): غيرة. (٨) في (أ): فإنه. (٩) ساقطة من: (أ).

فَلَا تُهْمِلُوا أَمْرَ هَذَا الثَّغْرِ، وَأَفْسِدُوهُ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِكُمْ، وَهَوِّنُوا عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَقُولُوا لَهُ: ما[١] مِقْدَارُ نَظْرَةٍ تَدْعُوكَ إِلَى تَسْبِيحِ الْخَالِقِ، وَالتَّأَمُّلِ لِبَدِيعِ صنعتِهِ[٢]، وَحُسْنِ هَذِهِ الصُّورَةِ، الَّتِي إِنَّمَا خُلِقَتْ لِيَسْتَدِلَّ بِهَا النَّاظِرُ عَلَيْهِ، وَمَا خَلَقَ اللهُ لَكَ[٣] الْعَيْنَيْنِ سُدًى، وَمَا خَلَقَ اللهُ هَذِهِ الصُّورَةَ لِيَحْجُبَهَا عَنِ النَّظَرِ؟!

وَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ قَلِيلَ الْعِلْمِ فَاسِدَ الْعَقْلِ، فَقُولُوا لَهُ: هَذِهِ الصُّورَةُ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْحَقِّ، وَمَجْلى[٤] مِنْ مَجَالِيهِ[٥]، فَادْعُوهُ إِلَى الْقَوْلِ بِالِاتِّحَادِ[٦]، فَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ فَالْقَوْلُ بِالْحُلُولِ الْعَامِّ أَوِ الْخَاصِّ[٧]، وَلَا تَقْنَعُوا[٨] مِنْهُ بِدُونِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَصِيرُ بِهِ[٩] مِنْ إِخْوَانِ النَّصَارَى.

فَمُرُوهُ[١٠] حِينَئِذٍ بِالْعِفَّةِ، وَالصِّيَانَةِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَاصْطَادُوا عَلَيْهِ[١١] الْجُهَّالَ، فَهَذَا مِنْ أَقْرَبِ خُلَفَائِي[١٢]، وَأَكْبَرِ جُنْدِي، بَلْ أَنَا مِنْ جُنْدِهِ وَأَعْوَانِهِ!



---

(١) ساقطة من: (ط).
(٢) في (ط): صنيعه.
(٣) في (ب): وما خلق لك.
(٤) في (ب): وتجلي.
(٥) أي: أن الشيطان يوسوس له أن هذه الصورة لمحبوبه ومعشوقه من صفات الله التي يظهر بها ويتجلى بها لخلقه! تعالى الله عما يقول المشركون علوا كبيرًا.
(٦) في (ب): بالإيجاد! ومعنى الاتحاد: أن الله - تعالى وتقدس - اتحدَّ وانضمَّ إلى جسد المخلوق، فاتحد الناسوت باللاهوت، فيصبح إلهًا من وجه، إنسانًا من وجه آخر، كما يعتقد بعض النصارى في عيسى عليه السلام، وكما يعتقد بعض غلاة الرافضة كالنصيرية، والباطنية في علي رضي الله عنه.
(٧) الحلول العام: اعتقاد أن الله حلَّ ودَخَلَ في جميع المخلوقات، والحلول الخاص: اعتقاد أن الله حلَّ ودخل في بعض المخلوقات وليس في جميعها. ووحدة الوجود: اعتقاد أن جميع الموجودات هي الله، وليست غيره. عياذًا بالله من هذه العقائد الكفرية، ظاهرة الفساد والبطلان.
(٨) في (ب): ولا يقنعوا.
(٩) في (ب): فإنه بصيرته.
(١٠) ساقطة من: (ب).
(١١) في (ط): عليه وبه.
(١٢) في (ط، ط١): خلفائي، والمثبت من: (أ، ب).

فَصْلٌ

ثُمَّ امْنَعُوا ثَغْرَ الْأُذُنِ أَنْ يُدْخِلَ منهُ مَا يُفْسِدُ عَلَيْكُمُ الْأَمْرَ، فَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا تُدْخِلُوا مِنْهُ إِلا[١] الْبَاطِلَ، فَإِنَّهُ خَفِيفٌ عَلَى النَّفْسِ تَسْتَحْلِيهِ وَتَسْتَملِحُهُ[٢]، وتَخَيَّرُوا[٣] لَهُ أَعْذَبَ الْأَلْفَاظِ، وَأَسْحَرَهَا لِلْأَلْبَابِ، وَامْزِجُوهُ[٤] بِمَا تَهْوَى النَّفْسُ مَزْجًا.

وَأَلْقُوا الْكَلِمَةَ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ إِصْغَاءً إِلَيْهَا فَزُجُّوهُ[٥] بِأَخَوَاتِهَا، وَكُلَّمَا صَادَفْتُمْ مِنْهُ اسْتِحْسَانَ شَيْءٍ فَالْهَجُوا لَهُ بِذِكْرِهِ.

وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ شَيْءٌ مِنْ [كَلَامِ اللهِ، أَوْ][٦] كَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ، أَوْ كَلَامِ النُّصَحَاءِ.

فَإِنْ غُلِبْتُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَدَخَلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَحُولُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ، [وَتَدَبُّرِهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَالْعِظَةِ بِهِ، إِمَّا بِإِدْخَالِ ضِدِّهِ عَلَيْهِ][٧]، وَإِمَّا بِتَهْوِيلِ ذَلِكَ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ حِيلَ بَيْنَ النُّفُوسِ وَبَيْنَهُ، فَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَيْهِ، وَهُوَ حِمْلٌ ثقيلٌ[٨] عَلَيْهَا لَا تَسْتَقِلُّ بِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَإِمَّا بِإِرْخَاصِهِ عَلَى النُّفُوسِ، وَأَنَّ[٩] الِاشْتِغَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أهم[١٠] بِمَا هُوَ أَعْلى[١١] عِنْدَ النَّاسِ، وَأَعَزُّ عَلَيْهِمْ، وَأَغْرَبُ عِنْدَهُمْ، وَزُبُونُهُ الْقَابِلُونَ[١٢] لَهُ أَكْثَرُ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَهُوَ[١٣] مَهْجُورٌ، وَقَابِلُهُ[١٤] مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِلْعَدَاوَةِ، وَالرَّائِجُ[١٥] بَيْنَ النَّاسِ أَوْلَى بِالْإِيثَارِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

---

(١) ساقطة من: (ب).
(٢) في (ط): وتسحتسنه.
(٣) في (ط): تخيروا.
(٤) في (ب): وامزجوا له.
(٥) في (ب): فزجوا.
(٦) ساقطة من: (أ).
(٧) ساقط من: (ب).
(٨) في (ط): يثقل.
(٩) في (ب): فإن.
(١٠) ساقطة من: (ط).
(١١) في (ط): أغلى.
(١٢) في (ب، ط): القائلون.
(١٣) ساقطة من: (أ).
(١٤) في (أ): وصاحبه، وفي (ط): وقائله، والمثبت من: (ب، ط١).
(١٥) في (ط): والرابح.

فَيُدْخِلُونَ(١) الْبَاطِلَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ قَالَبٍ يَقْبَلُهُ(٢)، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ، وَيُخْرِجُونَ(٣) لَهُ الْحَقَّ فِي كُلِّ قَالَبٍ يَكْرَهُهُ، وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ.

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْظُرْ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ، كَيْفَ يُخْرِجُونَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي قَالَبِ كَثْرَةِ الْفُضُولِ، وَتَتَبُّعِ عَثَرَاتِ النَّاسِ، وَالتَّعَرُّضِ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ، وَإِلْقَاءِ الْفِتَنِ بَيْنَ النَّاسِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَيُخْرِجُونَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ، وَوَصْفَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ(٤) ﷺ، فِي قَالَبِ التَّشْبِيهِ، والتَّجْسِيمِ، وَالتَّكْيِيفِ.

وَيُسَمُّونَ عُلُوَّ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى عَرْشِهِ، وَمُبَايَنَتَهُ لِمَخْلُوقَاتِهِ، تَحَيُّزًا، وَيُسَمُّونَ نُزُولَهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَقَوْلَهُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ»(٥)، تَحَرُّكًا وَانْتِقَالًا.

وَيُسَمُّونَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْيَدِ، وَالْوَجْهِ، أَعْضَاءً وَجَوَارِحَ.

وَيُسَمُّونَ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ حَوَادِثَ(٦)، وَمَا يَقُومُ به مِنْ صِفَاتِهِ(٧) أَعْرَاضًا، ثُمَّ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى نَفْيِ [مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِنَفْيِ](٨) هَذِهِ الْأُمُورِ، وَيُوهِمُونَ الْأَغْمَارَ وَضُعَفَاءَ الْبَصَائِرِ، أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ يَسْتَلْزِمُ(٩) هَذِهِ الْأُمُورَ، وَيُخْرِجُونَ هَذَا التَّعْطِيلَ فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْظِيمِ.

---

(١) في (ط): فتدخلون. (٢) في (ب): يقلبه.

(٣) في (ط): وتخرجون. (٤) في (ب): رسله.

(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**». رواه البخاري [١١٤٥]، ومسلم [٧٥٨].

(٦) في (ب): حوادث من أفعاله. (٧) في (ب): صفته.

(٨) ساقط من: (ب). (٩) في (ب، ط): تستلزم.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ ضُعَفَاءُ الْعُقُولِ، يَقْبَلُونَ الشَّيْءَ بِلَفْظٍ، وَيَرُدُّونَهُ بِعَيْنِهِ بِلَفْظٍ آخَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى[(١)]: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. فَسَمَّاهُ زُخْرُفًا، وَهُوَ بَاطِلٌ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُزَخْرِفُهُ وَيُزَيِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَيُلْقِيهِ إِلَى سَمْعِ الْمَغْرُورِ، فَيَغْتَرُّ بِهِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ لَزِمَ[(٢)] ثَغْرَ الْأُذُنِ، يُدْخِلُ[(٣)] فِيهَا مَا يَضُرُّ الْعَبْدَ، وَلَا يَنْفَعُهُ، وَيَمْنَعَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهَا مَا يَنْفَعُهُ، وَإِنْ دَخَلَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ أَفْسَدَهُ[(٤)] عَلَيْهِ.

❀ ❀ ❀

---

(١) في (ط ١): قال تعالى.

(٢) في (ب): يلزم.

(٣) في (ط): أن يدخل.

(٤) في (أ): أفسد.

فَصْلٌ

ثُمَّ يَقُولُ: قُومُوا عَلَى ثَغْرِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ[1] الثَّغْرُ الْأَعْظَمُ، وَهُوَ قُبَالَةُ[2] الْمَلِكِ، فَأَجْرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ، وَامْنَعُوهُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَنْفَعُهُ: مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاسْتِغْفَارِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، وَنَصِيحَةِ عِبَادِهِ، وَالتَّكَلُّمِ[3] بِالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَيَكُونُ لَكُمْ فِي هَذَا الثَّغْرِ أَمْرَانِ[4] عَظِيمَانِ، لَا تُبَالُونَ بِأَيِّهِمَا ظَفِرْتُمْ:

أَحَدُهُمَا- التَّكَلُّمُ بِالْبَاطِلِ، فَإِنَّمَا الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، وَمِنْ أَكْبَرِ جُنْدِكِمْ وَأَعْوَانِكِمْ.

وَالثَّانِي- السُّكُوتُ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّ السَّاكِتَ عَنِ الْحَقِّ أَخٌ لَكُمْ أَخْرَسُ، كَمَا أَنَّ الْأَوَّلَ أَخٌ[5] نَاطِقٌ، وَرُبَّمَا كَانَ الْأَخُ الثَّانِي أَنْفَعَ إِخْوَانِكُمْ[6] لَكُمْ، أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ النَّاصِحِ: «الْمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ شَيْطَانٌ نَاطِقٌ، وَالسَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ»؟[7].

فَالرِّبَاطَ، الرِّبَاطَ، عَلَى هَذَا الثَّغْرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ، أَوْ يُمْسِكَ عَنْ بَاطِلٍ، وَزَيِّنُوا لَهُ التَّكَلُّمَ بِالْبَاطِلِ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَخَوِّفُوهُ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْحَقِّ بِكُلِّ طَرِيقٍ.

وَاعْلَمُوا يَا بَنِيَّ: أَنَّ ثَغْرَ اللِّسَانِ هُوَ الَّذِي أُهْلِكُ مِنْهُ[8] بَنِي آدَمَ، وَأَكُبُّهُمْ مِنْهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ، فَكَمْ لِي مِنْ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ وَجَرِيحٍ أَخَذْتُهُ مِنْ هَذَا الثَّغْرِ!

وَأُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظُوهَا: لِيَنْطِقْ أَحَدُكُمْ عَلَى لِسَانِ أَخِيهِ مِنَ الْإِنْسِ بِالْكَلِمَةِ،

---

(١) في (ب): وهو أنه.
(٢) اي: أمَامَ.
(٣) في (ب، ط١): أو التكلم. والمثبت من: (أ، ط).
(٤) في (أ): أثران.
(٥) في (ط ١): أخ لكم.
(٦) في (ط): أخويكم.
(٧) قال القشيري في «رسالته» [٢٤٥]: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: «من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس».
(٨) ساقطة من: (أ).

وَيَكُـونُ الْآخَرُ عَلَى لِسَـانِ السَّـامِعِ، فَيَنْطِـقُ بِاسْتِحْسَـانِهَا، وَتَعْظِيمِهَا، وَالتَّعَجُّـبِ مِنْهَا، وَيَطْلُبُ مِنْ أَخِيهِ إِعَادَتَهَا.

وَكُونُـوا أَعْوَانًا عَلَى الْإِنْسِ بِـكُلِّ طَرِيقٍ، وَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ[1] مَرْصَدٍ، أَمَا سَـمِعْتُمْ قَسَـمِي الَّذِي أَقْسَمْتُ بِهِ لِرَبِّهِمْ، حَيْثُ قُلْتُ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

أَوَمَـا تَـرَوْنِي قَـدْ قَعَدْتُ لِابْـنِ آدَمَ بِطُرُقِـهِ كُلِّهَا، فَـلَا يَفُوتُنِي مِنْ طَرِيـقٍ إِلَّا قَعَدْتُ لَـهُ بِطَرِيـقٍ غَـيْرِهِ، حَتَّى أُصِيبَ مِنْـهُ حَاجَتِـي أَوْ بَعْضَهَا؟ وَقَـدْ حَذَّرَهُـمْ ذَلِكَ رَسُـولُـهُـمْ ﷺ، فَقَـالَ[2] لَـهُـمْ: «إِنَّ الشَّـيْطَانَ قَدْ قَعَدَ لِابْـنِ آدَمَ بِطُرُقِهِ كُلِّهَـا، فَقَعَدَ[3] لَـهُ بِطَرِيـقِ الْإِسْـلَامِ، فَقَـالَ لَهُ: أَتُسْـلِمُ وَتَـذَرُ دِينَكَ وَدِيـنَ آبَائِـكَ؟ فَخَالَفَهُ، وَأَسْـلَمَ، فَقَعَـدَ لَـهُ بِطَرِيـقِ الْهِجْرَةِ، فَقَـالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَـكَ وَسَـمَاءَكَ؟ فَخَالَفَـهُ، وَهَاجَرَ، فَقَعَـدَ لَـهُ بِطَرِيـقِ الْجِهَـادِ، فَقَـالَ: تُجَاهِـدُ[4]، فَتُقْتَـلَ، فَيُقَسَّـمَ الْمَـالُ، وَتُنْكَـحَ الزَّوْجَةُ؟»[5].

فَكَهَـذَا فَاقْعُدُوا لَهُـمْ بِكُلِّ طُرُقِ[6] الْـخَيْرِ، فَـإِذَا أَرَادَ أَحَدُهُـمْ أَنْ يَتَصَدَّقَ فَاقْعُدُوا لَـهُ عَـلَى طَرِيقِ الصَّدَقَةِ، وَقُولُوا لَهُ فِي نَفْسِـهِ: أَتُـخْرِجُ الْـمَالَ، فَتَبْقَى مِثْلَ هَذَا[7] السَّـائِلِ، وَتَصِيرَ بِمَنْزِلَتِهِ أَنْتَ وَهُوَ سَوَاءٌ؟

---

(١) ساقطة من: (أ).
(٢) ساقطة من: (أ).
(٣) في (ط): وقال.
(٤) في (ط): وقعد.
(٥) حسنٌ: رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٨٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٨٧)، والنسائي [٣١٣٤]، وابن حبان [٤٥٩٣]، والطبراني [٦٥٥٨]، وغيرهم من حديث سبرة بن أبي فاكه. وإسناده حسنٌ. («الصحيحة» [٢٩٧٩]).
(٦) في (ب): طريق.
(٧) ساقطة من: (ب).

أَوَ مَا سَمِعْتُمْ مَا أَلْقَيْتُ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ سَأَلَهُ آخَرُ أَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، فَقَالَ[١]: هِيَ أَمْوَالُنَا إِنْ أَعْطَيْنَاكُمُوهَا[٢] صِرْنَا مِثْلَكُمْ.

وَاقْعُدُوا لَهُ بِطَرِيقِ الْحَجِّ، فَقُولُوا: طَرِيقُهُ مَخُوفَةٌ، مُشِقَّةٌ، يَتَعَرَّضُ سَالِكُهَا لِتَلَفِ النَّفْسِ وَالْمَالِ.

وَهَكَذَا فَاقْعُدُوا لَهُ عَلَى سَائِرِ طُرُقِ الْخَيْرِ؛ بِالتَّنْفِيرِ مِنْهَا[٣]، وَذِكْرِ صُعُوبَتِهَا وَآفَاتِهَا.

ثُمَّ اقْعُدُوا لَهُ[٤] عَلَى طُرُقِ الْمَعَاصِي فَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ، وَزَيِّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَاجْعَلُوا أَكْبَرَ[٥] أَعْوَانِكُمْ عَلَى ذَلِكَ النِّسَاءَ، فَمِنْ أَبْوَابِهِنَّ فَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ، فَنِعْمَ الْعَوْنُ هُنَّ لَكُمْ.

ثُمَّ الْزَمُوا ثَغْرَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَامْنَعُوهَا أَنْ تَبْطِشَ[٦] بِمَا يَضُرُّكُمْ، أو تَمْشِي[٧] فِيهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَكْبَرَ عَوْنِكُمْ[٨] عَلَى لُزُومِ هَذِهِ الثُّغُورِ: مُصَالَحَةُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، فَأَعِينُوهَا[٩]، وَاسْتَعِينُوا بِهَا، وَأَمِدُّوهَا، وَاسْتَمِدُّوا مِنْهَا، وَكُونُوا مَعَهَا عَلَى حَرْبِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، فَاجْتَهِدُوا[١٠] فِي كَسْرِهَا، وَإِبْطَالِ قُوَاهَا.

وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِقَطْعِ مَوَادِّهَا عَنْهَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ مَوَادُّهَا[١١]، وَقَوِيَتْ مَوَادُّ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَانْطَاعَتْ[١٢] لَكُمْ أَعْوَانُهُ؛ فَاسْتَنْزِلُوا الْقَلْبَ مِنْ حِصْنِهِ، وَاعْزِلُوهُ

---

(١) ساقطة من: (ب)، وفي (ط ١): وقال.
(٢) في (ب): أعطيناكموه.
(٣) في (ط): عنها.
(٤) زيادة من: (ب).
(٥) في (ب، ط): أكثر.
(٦) في (ب): يبطش.
(٧) في (ب): يمشي.
(٨) في (ب، ط): أعوانكم.
(٩) في (أ): أعينوها.
(١٠) في (ب): واجتهدوا.
(١١) في (ب): انقطع مودها.
(١٢) في (ط ١): وأطاعت.

عَـنْ مَـمْلَكَتِـهِ، وَوَلُّـوا مَكَانَهُ النَّفْسَ الْأَمَّـارَةَ[١]، فَإِنَّهَا لَا تَأْمُـرُ إِلَّا بِمَا تَهْوَوْنَـهُ وَتُـحِبُّونَهُ، وَلَا تَـجِيئُكُـمْ بِـمَا تَكْرَهُونَهُ أَلْبَتَّةَ، مَعَ أَنَّهَا لَا تُـخَالِفُكُمْ فِي شَيْءٍ تُشِـيرُونَ بِهِ عَلَيْهَا، بَلْ إِذَا أَشَرْتُمْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ بَادَرَتْ إِلَى فِعْلِهِ.

فَإِنْ أَحْسَسْـتُمْ مِنَ الْقَلْبِ مُنَازَعَـةً إِلَى مَـمْلَكَتِهِ، وَأَرَدْتُّمُ الْأَمْـنَ مِنْ ذَلِكَ، فَاعْقِدُوا بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ النَّفْسِ عَقْـدَ النِّـكَاحِ، فَزَيِّنُوهَـا، وَجَمِّلُوهَا، وَأَرُوهَـا إِيَّاهُ[٢] فِي أَحْسَـنِ صُورَةِ عَـرُوسٍ تُوجَـدُ، وَقُولُوا لَهُ: ذُقْ طَعْمَ هَـذَا الْوِصَالِ وَالتَّمَتُّعِ بِهَـذِهِ[٣] الْعَرُوسِ، كَمَا ذُقْتَ طَعْـمَ الْـحَرْبِ، وَبَاشَرْتَ مَرَارَةَ الطَّعْـنِ وَالضَّرْبِ، ثُمَّ وَازِنْ بَيْنَ لَذَّةِ هَذِهِ الْـمُسَـالَمَةِ[٤]، وَمَـرَارَةِ تِلْكَ الْـمُحَارَبَةِ، فَدَعِ الْحَرْبَ تَضَعُ أَوْزَارَهَا، فَلَيْسَـتْ بِيَوْمٍ وَتَنْقَضِي[٥]، وَإِنَّمَا هُوَ حَرْبٌ مُتَّصِلٌ بِالْـمَوْتِ، وَقُوَاكَ تَضْعُفُ[٦] عَنْ حَرْبٍ[٧] دَائِمٍ.

وَاسْتَعِينُوا يَا بَنِيَّ بِجُنْدَيْنِ عَظِيمَيْنِ، لَنْ تُغْلَبُوا مَعَهُمَا:

أَحَدُهُمَـا- جُنْدُ الْغَفْلَـةِ، فَأَغْفِلُوا قُلُوبَ بَنِي آدَمَ عَـنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بِكُلِّ طَرِيـقٍ، فَلَيْـسَ لَكُمْ شَيْءٌ أَبْلَغَ فِي تَحْصِيلِ غَرَضِكُمْ مِـنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا غَفَلَ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ تَـمَكَّنْتُمْ مِنْهُ، وَمِنْ أَعْوَانِه[٨].

وَالثَّانِي- جُنْدُ الشَّهَوَاتِ، فَزَيِّنُوهَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَحَسِّنُوهَا فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَصُولُـوا عَلَيْهِـمْ بِهَذَيْنِ الْعَسْـكَرَيْنِ، فَلَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ أَبْلَغُ مِنْهُمَا، وَاسْـتَعِينُوا عَلَى [الْغَفْلَةِ بِالشَّـهَوَاتِ، وَعَلَى][٩] الشَّهَوَاتِ بِالْغَفْلَةِ، وَاقْرِنُوا بَيْنَ الْغَافِلِينَ، ثُمَّ اسْتَعِينُوا

---

(١) ساقطة من: (أ، ط ١). والمثبت من: (ب، ط).

(٢) في (ب): وأروه إياها.

(٣) في (ب): بهذا.

(٤) في (ب، ط): المسألة.

(٥) في (ط١): وينقضي. والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٦) في (ب): يضعف.

(٧) في (ط ١): حراب.

(٨) في (ب، ط): إغوائه.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

بِهِمَا عَلَى الذَّاكِرِ[١]، وَلَا يَغْلِبُ وَاحِدٌ خَمْسَةً، فَإِنَّ مَعَ الْغَافِلَيْنِ شَيْطَانَيْنِ، صَارُوا أَرْبَعَةً، وَشَيْطَانُ الذَّاكِرِ مَعَهُمْ.

وَإِذَا رَأَيْتُمْ جَمَاعَةً مُجْتَمِعِينَ عَلَى مَا يَضُرُّكُمْ: مِنْ ذِكْرِ اللهِ، أو مُذَاكَرَةِ[٢] أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَدِينِهِ، وَلَمْ تَقْدِرُوا عَلَى تَفْرِيقِهِمْ؛ فَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ[٣] بِبَنِي جِنْسِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ الْبَطَّالِينَ، فَقَرِّبُوهُمْ مِنْهُمْ، وَشَوِّشُوا عَلَيْهِمْ بِهِمْ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَأَعِدُّوا لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا، وَادْخُلُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَابِ إِرَادَتِهِ وَشَهْوَتِهِ، فَسَاعِدُوهُ عَلَيْهَا، وَكُونُوا أَعْوَانًا لَه[٤] عَلَى تَحْصِيلِهَا، وَإِذَا[٥] كَانَ اللهُ قَدْ أَمَرَهُمْ[٦] أَنْ يَصْبِرُوا لَكُمْ، وَيُصَابِرُوكُمْ[٧]، وَيُرَابِطُوا عَلَيْكُمُ الثُّغُورَ[٨]، فَاصْبِرُوا أَنْتُمْ[٩]، وَصَابِرُوا، وَرَابِطُوا[١٠] عَلَيْهِمُ الثُّغُورِ، وَانْتَهِزُوا فُرَصَكُمْ[١١] فِيهِمْ عِنْدَ الشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ، فَلَا تَصْطَادُون[١٢] بَنِي آدَمَ فِي أَعْظَمَ مِنْ هَذَيْنِ الْمَوْطِنَيْنِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِ أَغْلَبَ، وَسُلْطَانُ غَضَبِهِ ضَعِيفٌ مَقْهُورٌ، فَخُذُوا عَلَيْهِ طَرِيقَ الشَّهْوَةِ، وَدَعُوا طَرِيقَ الْغَضَبِ.

---

(١) في (ب): الذكر.
(٢) في (أ): ومذاكرة.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (أ): وكونوا له أعوانا له، وفي (ط ١): وكونوا عونًا له. والمثبت من: (ب، ط).
(٥) في (ب): وإن.
(٦) في (ب): أمرهم بالصبر أن يصبروا.
(٧) في (ب): ويصابروا.
(٨) في (ط): بالثغور.
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) ساقطة من: (ب).
(١١) في (ب): فرصكم.
(١٢) في (أ): فلا تصادون.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ الْغَضَبِ عَلَيْهِ[١] أَغْلَبَ، فَلَا تُخْلُوا طَرِيقَ الشَّهْوَةِ عليهِ[٢]، وَلَا تُعَطِّلُوا ثَغْرَهَا، فَإِنَّ مَنْ[٣] لَمْ يَمْلِكْ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ؛ فَإِنَّهُ بِالْحَرِيِّ أَنْ لَا يَمْلِكَهَا[٤] عِنْدَ الشَّهْوَةِ، فَزَوِّجُوا بَيْنَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ، وَامْزِجُوا أَحَدَهُمَا بِالْآخَرِ، وَادْعُوهُ إِلَى الشَّهْوَةِ مِنْ بَابِ الْغَضَبِ، وَإِلَى الْغَضَبِ مِنْ طَرِيقِ الشَّهْوَةِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لَكُمْ فِي بَنِي آدَمَ سِلَاحٌ أَبْلَغُ مِنْ هَذَيْنِ السِّلَاحَيْنِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجْتُ أَبَوَيْهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِالشَّهْوَةِ، وَإِنَّمَا أَلْقَيْتُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ أَوْلَادِهِمْ بِالْغَضَبِ، فَبِهِ قَطَّعْتُ أَرْحَامَهُمْ، وَسَفَكْتُ دِمَاءَهُمْ، وَبِهِ قَتَلَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ أَخَاهُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ[٥] آدَمَ، وَالشَّهْوَةَ نَارٌ تَثُورُ مِنْ[٦] قَلْبِهِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ[٧] النَّارُ بِالْمَاءِ وَالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالتَّكْبِيرِ[٨]، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تُمَكِّنُوا ابْنَ آدَمَ عِنْدَ غَضَبِهِ وَشَهْوَتِهِ مِنْ قُرْبَانِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطْفِئُ عَنْهُمْ نَارَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ مِنِ احْمِرَارِ**

---

(١) في (أ): عليهما. (٢) في (ب): قلبه! (٣) ساقطة من: (ب).

(٤) في (ط): أن لا يملك نفسه. (٥) في (ب): بني. (٦) في (ب): في.

(٧) في (ب): يطفئ.

(٨) إطفاء النار بالماء هو مما وضعه الله في طبيعتها كليهما، لكن إطفاء النار بالذكر والتكبير والصلاة فيحتاج إلى نصٍّ، فكم من ذاكر ومسبِّح ومكبِّر احترقوا بالنار، ومنهم أصحاب الأخدود، ولكن ورد حديث ضعيف جدًا فيه أن التكبير يطفئ النار، وهو ما رواه الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعُمَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ**»، رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٩٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» [٢٩٤]، والطبراني في «الدعاء» [١٠٠٢]، وغيرهم، والقاسم: كذابٌ، ورواه بعض الكذابين من حديث ابن عمر، ورواه بعض المتروكين من مرسل محمد بن علي أو أبيه علي بن الحسين، ورواه مجهولان - آفته أحدهما - من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. («الضعيفة» [٢٦٠٣]).



عَيْنَيْـهِ، وَانْتِفَـاخِ أَوْدَاجِـهِ؟ فَمَنْ أَحَـسَّ بِذَلِكَ(١) **فَلْيَتَوَضَّـأْ**»(٢)، وَقَالَ لَـهُـمْ(٣): «**إِنَّمَا تُطْفَأُ**(٤) **النَّارُ بِالْمَاءِ**»(٥).

وَقَدْ أَوْصَاهُمُ اللهُ أَنْ يَسْتَعِينُوا عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، فَحُولُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَأَنْسُوهُمْ إِيَّاهُ، وَاسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِالشَّهْوَةِ وَالْغَضَبِ.

وَأَبْلَغُ أَسْلِحَتِكُمْ فِيهِمْ، وَأَنْكَاهَا: الْغَفْلَةُ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى.

---

(١) في (ب): ذلك.

(٢) حسنٌ لغيره: رواه معمر في «جامعه» [٢٠٧٢٠]، والحميدي في «مسنده» [٧٥٢]، والإمام أحمد، والترمذي [٢١٩١]، وابن ماجه [٤٠٠٠]، والحاكم (٤/ ٥٥١)، وغيرهم من حديث علي بن زيد ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد به مرفوعًا، مطولًا. وابن جدعان فيه ضعفٌ يسير، وللجزء المتعلق بكون الغضب جمرة من الشيطان، وأن الأوداج تنتفخ بسببه، والحث على الوضوء منه: شواهد عديدة، منها: حديث عطية السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الآتي تخريجه بعده. ولجملة الغضب أيضًا شواهد مرسلة عن الحسن البصري، وزيد بن أسلم، وسنان بن سعد، فبمجموعها لا يشك في حسن الحديث، وما يتعلق بالوضوء من الغضب. والله أعلم. والحديث ضعفه شيخنا الألباني في («ضعيف الترغيب» [١٦٤١]).

(٣) ساقطة من: (أ).

(٤) في (ب): يطفئ.

(٥) حسن لغيره: عن عطية السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَوَضَّأْ**». رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٢٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٨)، وأبو داود [٤٧٨٤]، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [١٢٦٧]، وابن المنذر في «الأوسط» [١٤٧]، والطبراني (١٧/ ١٦٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٤/ ٢٢١)، وغيرهم من طريق عروة بن محمد بن عطية السعدي، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وهذا إسناد صالح، وهو حسن فيما يظهر لي، فعروة ممن أَمَّرَهم عمر بن عبدالعزيز، وروى عنه جمع من الثقات، ولم يضعفه أحد في حفظه، أو دينه، وإنما ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يخطئ، وأبوه محمد بن عطية رجل صالح، وورعٌ، ومن أبناء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذكره ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار»، وقال: «ربما خالف على قلة روايته»، وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق». وهو يشهد لحديث أبي سعيد السابق، وله شواهد مرسلة سبق الإشارة إليها. والحديث ضعفه شيخنا الألباني في («الضعيفة» [٥٨٢]).

وَأَعْظَمُ أَسْلِحَتِهِمْ فِيكُمْ، وَأَمْنَعُ حُصُونِهِمْ: ذِكْرُ اللهِ، وَمُخَالَفَةُ الْهَوَى. فَإِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ مُخَالِفًا لِهَوَاهُ؛ فَاهْرَبُوا مِنْ ظِلِّهِ[١]، وَلَا تَدْنُوا مِنْهُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ سِلَاحٌ وَمَدَدٌ يَمُدُّ بِهَا الْعَبْدُ أَعْدَاءَهُ، وَيُعِينُهُمْ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَيُقَاتِلُونَه بِسِلَاحِهِ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ، و:

مَا يَبْلُغُ[٢] الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ[٣]

وَمِنَ الْعَجَائِبِ: أَنَّ الْعَبْدَ يَسْعَى بِجُهْدِهِ فِي هَوَانِ نَفْسِهِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُكْرِمٌ، وَيَجْتَهِدُ فِي حِرْمَانِهَا أَعْلَى[٤] حُظُوظِهَا وَأَشْرَفَهَا، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَسْعَى[٥] فِي حَظِّهَا، وَيَبْذُلُ جُهْدَهُ فِي تَحْقِيرِهَا، وَتَصْغِيرِهَا[٦]، وَتَدْسِيتِهَا، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُعْلِيهَا، وَيَرْفَعُهَا، وَيُكَبِّرُهَا. وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُكْرِمٌ، وَمُذِلٌّ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُعِزٌّ، وَمُصَغِّرٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَهَا مُكَبِّرٌ، وَمُضِيعٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُرَاعٍ لِحَقِّهَا[٧]، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَكُونَ مَعَ عَدُوِّهِ عَلَى نَفْسِهِ، يَبْلُغُ مِنْهَا بِفِعْلِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ عَدُوُّهُ»، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): فاهربوا منه.

(٢) في (ب): ما تبلغ.

(٣) البيت منسوب لصالح بن عبد القدوس كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣/ ٣٤٧)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٢٥٥).

(٤) في (ب): على. وفي الهامش: لعله وعلو

(٥) في (ب): سعى.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) في (ط): لحفظها.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُنْسِي الْعَبْدَ نَفْسَهُ، وَإِذَا[1] نَسِيَ نَفْسَهُ أَهْمَلَهَا وَأَفْسَدَهَا وَأَهْلَكَهَا.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَنْسَى الْعَبْدُ نَفْسَهُ؟ وَإِذَا نَسِيَ نَفْسَهُ فَأَيَّ شَيْءٍ يَذْكُرُ؟ وَمَا مَعْنَى نِسْيَانِهِ نَفْسَهُ؟

قِيلَ: نَعَمْ يَنْسَى نَفْسَهُ أَعْظَمَ نِسْيَانٍ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

فَلَمَّا نَسُوا رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ نَسِيَهُمْ، وَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

فَعَاقَبَ سُبْحَانَهُ مَنْ نَسِيَهُ عُقُوبَتَيْنِ:

إِحْدَاهُمَا[2]: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ [نَسِيَهُ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ.

وَنِسْيَانُهُ سُبْحَانَهُ][3] لِلْعَبْدِ: إِهْمَالُهُ، وَتَرْكُهُ، وَتَخَلِّيهِ عَنْهُ، وَإِضَاعَتُهُ[4]، فَالْهَلَاكُ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْيَدِ لِلْفَمِ.

وَأَمَّا إِنْسَاؤُهُ نَفْسَهُ، فَهُوَ: إِنْسَاؤُهُ لِحُظُوظِهَا الْعَالِيَةِ، وَأَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا، وَصَلَاحِهَا[5]، وَمَا تَكْمُلُ[6] بِهِ، [يُنْسِيهِ ذَلِكَ][7] جَمِيعَهُ، فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ[8]، وَلَا يَجْعَلُهُ

---

(١) في (ط ١): فإذا.
(٢) في (ب): أحدهما.
(٣) ساقط من: (أ).
(٤) في (ب): وإضاعته ونسيانه.
(٥) في (ب): وإصلاحها.
(٦) في (ط): تكل.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٨) في (ط): بباله إزالتها.

عَلَى ذِكْرِهِ، وَلَا يَصْرِفُ إِلَيْهِ هِمَّتَهُ فَيَرْغَبُ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَا يَمُرُّ بِبَالِهِ حَتَّى يَقْصِدَهُ وَيُؤْثِرَهُ. وَأَيْضًا فَيُنْسِيهِ عُيُوبَ نَفْسِهِ وَنَقْصَهَا وَآفَاتِهَا، فَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ إِزَالَتُهَا، وإصلاحها[١].

وَأَيْضًا يُنْسِيهِ أَمْرَاضَ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ، وَآلَامَهَا، فَلَا يَخْطُرُ بِقَلْبِهِ مُدَاوَاتُهَا، وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَؤُولُ[٢] بِهِ إِلَى الْفَسَادِ وَالْهَلَاكِ، فَهُوَ مَرِيضٌ مُثْخَنٌ بِالْمَرَضِ، وَمَرَضُهُ مُتَرَامٍ[٣] بِهِ إِلَى التَّلَفِ، وَلَا يَشْعُرُ بِمَرَضِهِ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ مُدَاوَاتُهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَةِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

فَأَيُّ[٤] عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةِ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا، وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا، وَدَاءَهَا، وَدَوَاءَهَا[٥]، وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا، وَصَلَاحِهَا[٦]، وَحَيَاتَهَا الْأَبَدِيَّةَ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ؟

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ: أَنَّ أَكْثَرَ هَذَا الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ حَقِيقَةً، وَضَيَّعُوهَا، وَأَضَاعُوا حَظَّهَا مِنَ اللهِ، وَبَاعُوهَا رَخِيصَةً بِثَمَنٍ بَخْسٍ بَيْعَ الْغَبْنِ.

وَإِنَّمَا يَظْهَرُ لَهُمْ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَيَظْهَرُ[٧] كُلَّ الظُّهُورِ يَوْمَ التَّغَابُنِ، يَوْمَ يَظْهَرُ لِلْعَبْدِ أَنَّهُ غُبِنَ فِي الْعَقْدِ[٨] الَّذِي عَقَدَهُ لِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، [وَالتِّجَارَةِ الَّتِي اتَّجَرَ[٩] فِيهَا لِمَعَادِهِ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَتَّجِرُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِآخِرَتِهِ][١٠].

فَالْخَاسِرُونَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الرِّبْحِ وَالْكَسْبِ: اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَحَظَّهُمْ فِيهَا، وَلَذَّاتِهِمْ[١١] بِالْآخِرَةِ، وَحَظِّهِمْ فِيهَا[١٢]، فَأَذْهَبُوا[١٣] طَيِّبَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ

---

(١) ساقطة من: (ط). (٢) في (ب): يؤول. (٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ب): وأي. (٥) ساقطة من: (ب). (٦) ساقطة من: (ب).
(٧) في (ط): ويظهر هذا. (٨) في (أ): في هذا العقد. (٩) في (ب): يتجر.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(١١) في (ب): ولذتهم. (١٢) ساقطة من: (ب). (١٣) في (أ): وأذهبوا.

الدُّنْيَا، وَاسْتَمْتَعُوا بِهَا، وَرَضُوا بِهَا، وَاطْمَأَنُّوا إِلَيْهَا، وَكَانَ سَعْيُهُمْ لِتَحْصِيلِهَا، فَبَاعُوا، وَاشْتَرَوْا، وَاتَّجَرُوا، بَاعُوا[١] آجِلًا بِعَاجِلٍ، وَنَسِيئَةً بِنَقْدٍ، وَغَائِبًا بِنَاجِزٍ، وَقَالُوا: هَذَا هُوَ الْحَزْمُ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ:

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا[٢] سَمِعْتَ بِهِ[٣]

وَكَيْفَ[٤] أَبِيعُ حَاضِرًا نَقْدًا مُشَاهَدًا فِي هَذِهِ الدَّارِ، بِغَائِبٍ، نَسِيئَةً، فِي دَارٍ أُخْرَى غَيْرِ هَذِهِ؟

وَيَنْضَمُّ إِلَى ذَلِكَ ضَعْفُ الْإِيمَانِ، وَقُوَّةُ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَمَحَبَّةُ الْعَاجِلَةِ، وَالتَّشَبُّهُ بِبَنِي الْجِنْسِ.

فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ الْخَاسِرَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي أَهْلِهَا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]، وَقَالَ فِيهِمْ[٥]: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦]، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ظَهَرَ لَهُمُ الْغَبْنُ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ، فَتَتَقَطَّعُ عَلَيْهَا النُّفُوسُ حَسَرَاتٍ.

وَأَمَّا الرَّابِحُونَ: فَإِنَّهُمْ بَاعُوا فَانِيًا بِبَاقٍ، وَخَسِيسًا بِنَفِيسٍ، وَحَقِيرًا بِعَظِيمٍ، وَقَالُوا[٦]: مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، حَتَّى نَبِيعَ حَظَّنَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ بِهَا[٧]؟

---

(١) في (ط، ط ١): وباعوا. والمثبت من: (أ، ب).

(٢) في (ب): ودع ما.

(٣) صدر بيت للمتنبي كما في «ديوانه» ص: [٣٣٠]، وعجز البيت: «في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل».

(٤) في (ط): فكيف.

(٥) ساقطة من: (ب).

(٦) في (ب): فقالوا.

(٧) ساقطة من: (أ).

فَكَيْفَ بِما يَنالُ الْعَبْدُ مِنْها فِي هَذا الزَّمَنِ(١) الْقَصِيرِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَغَفْوَةِ حُلْمٍ، لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ أَلْبَتَّةَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤].

فَهَذَا(٢) حَقِيقَةُ هَذِهِ الدُّنْيَا عِنْدَ مُوَافَاةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَلَمَّا عَلِمُوا قِلَّةَ لُبْثِهِمْ فِيهَا، وَأَنَّ لَهُمْ دَارًا غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ، هِيَ دَارُ الْحَيَوَانِ، وَدَارُ الْبَقَاءِ(٣): رَأَوْا(٤) مِنْ(٥) أَعْظَمِ الْغَبْنِ بَيْعَ دَارِ الْبَقَاءِ بِدَارِ الْفَنَاءِ، فَاتَّجَرُوا تِجَارَةَ الْأَكْيَاسِ، وَلَمْ يَغْتَرُّوا بِتِجَارَةِ السُّفَهَاءِ مِنَ النَّاسِ، فَظَهَرَ لَهُمْ يَوْمَ التَّغَابُنِ رِبْحُ تِجَارَتِهِمْ، وَمِقْدَارُ مَا اشْتَرَوْهُ، وَكُلُّ أَحَدٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بَائِعٌ مُشْتَرٍ مُتَّجِرٌ(٦)، وَكُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا(٧)، أو مبتاعها فمعتقها(٨).

---

(١) في (ب): هذه الزمان.

(٢) في (ط): فهذه.

(٣) في (ب): ودار البوار!

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ب): ومن.

(٦) في (ب): بائع ومشتر ومتجر.

(٧) في (ب): موبقها.

(٨) عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ** =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فَهَذَا أَوَّلُ نَقْده[(١)] مِنْ ثَمَنِ هَذِهِ التِّجَارَةِ، فَتَاجِرُوا أَيُّهَا الْـمُفْلِسُونَ، وَيَا مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الثَّمَنِ، هُهنا ثَمَنٌ آخَرُ، فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ التِّجَارَةِ فَأَعْطِ هَذَا الثَّمَنَ:

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

[التوبة: ١١٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠-١١].

وَالْـمَقْصُودُ: أَنَّ الذُّنُوبَ تُنْسِي الْعَبْدَ حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ التِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ، وَتَشْغَلُهُ بِالتِّجَارَةِ الْخَاسِرَةِ، وَكَفَى بِذَلِكَ عُقُوبَةً[(٢)]، وَاللهُ الْـمُسْتَعَانُ.

❁❁❁

= للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا». رواه مسلم [٢٢٣].

(١) في (ط): نقد.

(٢) في (ب): وكفى بذلك حرمانًا وعقوبة.

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ الْحَاضِرَةَ، وَتَقْطَعُ[١] النِّعَمَ الْوَاصِلَةَ، فَتُزِيلُ الْحَاصِلَ، وَتَمْنَعُ الْوَاصِلَ.

فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ مَا حُفِظَ مَوْجُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَلَا اسْتُجْلِبَ مَفْقُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا وَآفَةً: سَبَبًا يَجْلِبُهُ، وَآفَةً تُبْطِلُهُ[٢].

فَجَعَلَ أَسْبَابَ نِعَمِهِ الْجَالِبَةِ لَهَا: طَاعَتَهُ.

وَآفَاتِهَا الْمَانِعَةَ مِنْهَا: مَعْصِيَتَهُ.

فَإِذَا أَرَادَ حِفْظَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ أَلْهَمَهُ رِعَايَتَهَا بِطَاعَتِهِ فِيهَا، وَإِذَا أَرَادَ زَوَالَهَا عَنْهُ خَذَلَهُ حَتَّى عَصَاهُ بِهَا.

وَمِنَ الْعَجَبِ: عِلْمُ الْعَبْدِ بِذَلِكَ مُشَاهَدَةً فِي نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ، وَسَمَاعًا لِمَا غَابَ عَنْهُ مِنْ أَخْبَارِ مَنْ أُزِيلَتْ[٣] نِعَمُ اللهِ عَنْهُمْ بِمَعَاصِيهِ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ، كَأَنَّهُ مُسْتَثْنًى مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ، أَوْ مَخْصُوصٌ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ، وَكَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ جَارٍ عَلَى النَّاسِ لَا عَلَيْهِ، وَوَاصِلٌ إِلَى[٤] الْخَلْقِ لَا إِلَيْهِ، فَأَيُّ جَهْلٍ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا؟ وَأَيُّ ظُلْمٍ لِلنَّفْسِ فَوْقَ هَذَا؟

فَالْحُكْمُ[٥] للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ.

---

(١) في (ب): ويقطع.

(٢) في (أ): وآفة تجلبه وآفة تبطله. وفي (ب): سببًا تجلبه، وآفة تطلبه.

(٣) في (ب): «من أن» وبعدها بياض بمقدار كلمة.

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) في (أ): والحكم.



فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تُبَاعِدُ عَنِ الْعَبْدِ وَلِيَّهُ، وَأَنْفَعَ الْخَلْقِ لَهُ[(١)]، وَأَنْصَحَهُمْ لَهُ، وَمَنْ سَعَادَتُهُ فِي قُرْبِهِ مِنْهُ[(٢)]، وَهُوَ الْـمَلَكُ الْـمُوَكَّلُ بِهِ[(٣)].

وَتُدْنِي[(٤)] مِنْهُ عَدُوَّهُ، وَأَغَشَّ الْخَلْقِ لَهُ[(٥)]، وَأَعْظَمَهُمْ ضَرَرًا لَهُ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ.

فَإِنَّ الْعَبْدَ[(٦)] إِذَا عَصَى اللهَ تَبَاعَدَ مِنْهُ الْـمَلَكُ بِقَدْرِ تِلْكَ الْـمَعْصِيَةِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَبَاعَدُ[(٧)] عنه[(٨)] بِالْكِذْبَةِ الْوَاحِدَةِ مَسَافَةً بَعِيدَةً.

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: «إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ مِنْهُ الْـمَلَكُ مِيلًا مِنْ نَتَنِ رِيحِهِ»[(٩)].

فَإِذَا كَانَ هَـذَا تَبَاعُدَ الْـمَلَكِ مِنْهُ مِنْ كَذْبَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَاذَا[(١٠)] يَكُونُ مِقْدَارُ بُعْدِهِ مِنْهُ مِمَّا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَفْحَشُ مِنْهُ؟

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِذَا رَكِبَ الذَّكَرُ الذَّكَرَ[(١١)] عَجَّتِ الْأَرْضُ إِلَى اللهِ، وَهَرَبَتِ الْـمَلَائِكَةُ إِلَى رَبِّهَا، وَشَكَتْ إِلَيْهِ عَظِيمَ[(١٢)] مَا رَأَتْ»[(١٣)].

---

(١) في (ب): إليه. (٢) ساقطة من: (ب). (٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (ب): ويدني. (٥) في (ب): إليه. (٦) في (ب): فالعبد.
(٧) في (ب): ليباعد، وفي (ط، ط ١): يتباعد. والمثبت من: (أ). (٨) في (ب): منه.
(٩) ضعيف: رواه الترمذي [١٩٧٢]، وابن أبي الدنيا في «الصمت» [٤٧٧]، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٨٣)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١٣٧)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [١٥٠]، والطبراني في «الأوسط» [٧٣٩٨]، والصغير [٨٥٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٧)، وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وفي إسناده عبد الرحيم بن هارون فاحش الغلط، وقد وصفه الدار قطني بالكذب، ومع ذلك قال الترمذي: «حسن غريب»، وقد تابعه من هو مثله انظر: («الضعيفة» [١٨٢٨]).
(١٠) في (ب): فكيف. (١١) في (ب): الذكر على الذكر. (١٢) في (ب): عظم.
(١٣) قال الآجري في «ذم اللواط» [٢]: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَخْلَدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّاسًا الدُّورِيَّ، يَقُولُ: «بلغني أَنَّ الأَرْض تَعُجُّ مِنْ ذَكَرٍ عَلَى ذَكَرٍ».

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِذَا أَصْبَحَ العَبْدُ ابْتَدَرَهُ الْمَلَكُ وَالشَّيْطَانُ، فَإِنْ ذَكَرَ اللهِ، وَكَبَّرَهُ، وَحَمِدَهُ، وَهَلَّلَهُ؛ طَرَدَ المَلَكُ الشَّيْطَانَ، وَتَوَلَّاهُ، وَإِنِ افْتَتَحَ بِغَيْرِ ذَلِكَ؛ ذَهَبَ الْمَلَكُ عَنْهُ(١)، وَتَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ»(٢).

وَلَا يَزَالُ الْمَلَكُ يَقْرُبُ مِنَ الْعَبْدِ حَتَّى يَصِيرَ الْحُكْمُ وَالْغَلَبَةُ وَالطَّاعَةُ لَهُ، فَتَتَوَلَّاهُ الْمَلَائِكَةُ فِي حَيَاتِهِ، وَعِنْدَ مَوْتِهِ وَعِنْدَ بَعْثِهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١].

وَإِذَا تَوَلَّاهُ(٣) الْمَلَكُ تَوَلَّاهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ(٤)، وَأَنْفَعُهُمْ، وَأَبَرُّهُمْ، فَثَبَّتَهُ، وَعَلَّمَهُ، وَقَوَّى جَنَانَهُ(٥)، وَأَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢].

وَيَقُولُ(٦) له الْمَلَكُ عِنْدَ الْمَوْتِ: لَا تَخَفْ، وَلَا تَحْزَنْ، وَأَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ(٧)، وَيُثَبِّتُهُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعِنْدَ الْمَوْتِ، وَفِي الْقَبْرِ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ(٨).

---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) روى أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥) عن طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إِذَا غَدَا الإِنْسَانُ اتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا أَتَى الْمَنْزِلَ فَسَلَّمَ نَكَصَ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ: لا مَقِيلَ، فَإِذَا أَتَى بِغَدَائِهِ فَذَكَرَ اسْمَ اللهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لا غَدَاءَ وَلا مَقِيلَ، فَإِذَا دَخَلَ وَلَمْ يُسَلِّمْ قَالَ الشَّيْطَانُ: الْمَقِيلُ، فَإِذَا أَتَى الْغَدَاءُ وَلَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: مَقِيلٌ وَغَدَاءٌ، وَالْعَشَاءُ مِثْلُ ذَلِكَ». وإسناده صحيح.

(٣) في (ب): تولى. (٤) في (أ): أنصح الخلق له.

(٥) في (ب): جنابه. (٦) في (ط): فيقول.

(٧) في (ب): وأبشر بالذي بشَّرَكَ الله.

(٨) في (أ): الماءلة. والمثبت من: (ب). ينظر (ط).

فَلَيْسَ أَحَدٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ مِنْ صُحْبَةِ الْـمَلَكِ لَهُ[١]، وَهُوَ وَلِيُّهُ فِي يَقْظَتِهِ، وَمَنَامِهِ، وَحَيَاتِهِ، وَعِنْدَ مَوْتِهِ، وَفِي قَبْرِهِ، وَمُؤْنِسُهُ فِي وَحْشَتِهِ، وَصَاحِبُهُ فِي خَلْوَتِهِ، وَمُحَدِّثُهُ فِي سِرِّهِ، يُحَارِبُ عَنْهُ عَدُوَّهُ، وَيُدَافِعُهُ[٢] عَنْهُ، وَيُعِينُهُ عَلَيْهِ، وَيَعِدُهُ بِالْخَيْرِ، وَيُبَشِّرُهُ بِهِ[٣]، وَيُحِثُّهُ عَلَى التَّصْدِيقِ بِالْحَقِّ، كَمَا جَاءَ[٤] فِي الْأَثَرِ الَّذِي يُرْوَى[٥] مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا: «**إِنَّ لِلْمَلَكِ بِقَلْبِ ابْنِ آدَمَ لَمَّةً، وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، فَلَمَّةُ الْمَلَكِ: إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ، وَتَصْدِيقٌ بِالْوَعْدِ، وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ: إِيعَادٌ بِالشَّرِّ، وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ**»[٦].

وَإِذَا اشْتَدَّ قُرْبُ الْـمَلَكِ مِنَ الْعَبْدِ: تَكَلَّمَ[٧] عَلَى لِسَانِهِ، [وَأَلْقَى عَلَى لِسَانِهِ الْقَوْلَ السَّدِيدَ، وَإِذَا بَعُدَ مِنْهُ وَقَرُبَ منهُ الشَّيْطَانُ][٨]: تَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ، وَأَلْقَى عَلَيْهِ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفُحْشِ، حَتَّى يُرَى[٩] الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ الْـمَلَكُ، وَالرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ الشَّيْطَانُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[١٠].

---

(١) في (ب): من صحبته الملك. (٢) في (ط): ويدافع. (٣) ساقطة من: (أ).
(٤) ساقطة من: (أ). (٥) في (ب): روي.
(٦) الأصح أنه موقوفٌ، له حكم الرفع: رواه الترمذي [٢٩٨٨]، والنسائي في «الكبرى» [١١٠٥١]، والبزار [٢٠٢٧]، وابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» [٤١]، وابن جرير (٣/ ٨٨)، وأبو يعلى [٤٩٩٩]، وابن أبي حاتم [٢٨١٠]، وابن حبان [٩٩٧]، وغيرهم من طريق أبي الأحوص عن عطاء ابن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. وعطاء بن السائب اختلط، ورواية أبي الأحوص بعد اختلاطه، وقد رواه جمع من الحفاظ منهم حماد بن زيد - الطبراني [٨٥٣٢] -، وقد سمع منه قبل الاختلاط فأقفوه، وهو الصحيح. وهو مرفوع حكمًا. وكان الشيخ الألباني يضعفه، ثم صححه في «تعليقه على صحيح ابن حبان».
(٧) في (ب): يكلم.
(٨) في (ب): وألقى عليه قول الحق، وإذا اشتد قرب الشيطان من العبد..
(٩) في (ط، ط ١): ترى.
(١٠) صحيح موقوفًا: رواه معمر في «جامعه» [٢٠٣٨٠]، والقطيعي في «زوائده على فضائل الصحابة» =

وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ الصَّالِحَةَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَيَقُولُ: مَا أَلْقَاهُ عَلَى لِسَانِكَ إِلَّا الْمَلَكُ[١]، وَيَسْمَعُ ضِدَّهَا فَيَقُولُ: مَا أَلْقَاهَا عَلَى لِسَانِكَ إِلَّا الشَّيْطَانُ[٢].

فَالْمَلَكُ يُلْقِي فِي الْقَلْبِ[٣] الْحَقَّ، وَيُلْقِيهِ عَلَى اللِّسَانِ، وَالشَّيْطَانُ يُلْقِي الْبَاطِلَ فِي الْقَلْبِ، وَيُجْرِيهِ عَلَى اللِّسَانِ.

فَمِنْ عُقُوبَةِ[٤] الْمَعَاصِي: أَنَّهَا تُبْعِدُ مِنَ الْعَبْدِ وَلِيَّهُ[٥]، الَّذِي سَعَادَتُهُ فِي قُرْبِهِ وَمُجَاوَرَتِهِ وَمُوَالَاتِهِ، [وَتُدْنِي مِنْهُ عَدُوَّهُ الَّذِي هَلَاكُهُ وشقاوتُه[٦] وَفَسَادُهُ فِي قُرْبِهِ وَمُوَالَاتِهِ][٧]، حَتَّى إِنَّ الْمَلَكَ لَيُنَافِحُ عَنِ الْعَبْدِ، وَيَرُدُّ عَنْهُ إِذَا سَفِهَ عَلَيْهِ السَّفِيهُ وَسَبَّهُ، كَمَا اخْتَصَمَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلَانِ، فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا يَسُبُّ الْآخَرَ وَهُوَ سَاكِتٌ، فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَرُدُّ بِهَا عَلَى صَاحِبِهِ[٨]، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ[٩]: يَا رَسُولَ اللهِ، لَـمَّا رَدَدْتُ[١٠] عَلَيْهِ بَعْض

= للإمام أحمد [٥٢٢]، والآجري في «الشريعة» [١٢٠٥] بسند حسنٌ. ورواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٤٦)، والطبراني في «الأوسط» [٥٥٤٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٢)، وفي «الإمامة» [٦٧]، من طريق أبي إسرائيل عن الوليد بن عيزار عن عمرو بن ميمون عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّ هَلا بِعُمَرَ، مَا كُنَّا نُبْعِدُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ»، وإسناده حسنٌ. وروي من طرق عن الشعبي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووصله بعضهم بذكر أبي جحيفة، وفي سند رواية الشعبي اختلاف. وهو أثر صحيح بما سبق. وانظر: «لأثر الشعبي» وغيره: مسند أحمد (١/ ١٠٦)، و«مصنف» ابن أبي شيبة [٣١٩٧٤]، «الشريعة» للآجري باب: «ما روي أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل الحق على قلب عمر ولسانه، وأن السكينة تنطق على لسانه» (٤/ ١٨٨٦)، و«العلل» للدارقطني (٣/ ٢٠٩، ٤/ ١٣٦)، و«حلية الأولياء» (١/ ٤٢)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩٥، ٩٦، ١٠٨-١١١).

(١) في (ب): فيقول: ألقاها على لسانك ملكٌ.

(٢) في (ب): فيقول: ألقاها على لسانك الشيطان.

(٣) في (ط): يلقي بالقلب.

(٤) في (ب): عقوبات.

(٥) في (ب): أنها تبعد العبدَ من وليه.

(٦) في (ط): الذي شقاؤه وهلاكه.

(٧) ساقط من: (ب).

(٨) في (ب): فردها على صاحبه.

(٩) ساقطة من: (ب).

(١٠) في (ب): رد.

قَوْلِـهِ قُمْـتَ[(١)]، فَقَالَ[(٢)]: «**كَانَ الْـمَلَـكُ يُنَافِحُ عَنْكَ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الشَّـيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ**[(٣)]»[(٤)].

❁ وَإِذَا دَعَا الْعَبْدُ الْـمُسْلِمُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ أَمَّنَ الْـمَلَكُ عَلَى دُعَائِهِ، وَقَالَ: «لَكَ بِمِثْلِهِ[(٥)]»[(٦)].

❁ وَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ أَمَّنَتِ الْـمَلَائِكَةُ عَلَى دُعَائِهِ[(٧)].

❁ وَإِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ المؤمنُ الْـمُوَحِّدُ، الْـمُتَّبِعُ لِسَبِيلِ اللهِ[(٨)]، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَمَنْ حَوْلَهُ[(٩)].

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (ب): فقيل.

(٣) في (ب): فلم أكن لأجلس مع الشيطان.

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٣٦)، والبخاري في «التاريخ» (٢/ ١٠٢) معلقًا مختصرًا، وأبو داود [٤٨٩٧]، والبيهقي في «الشعب» [٦٦٦٩]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٨٢٠]، وغيرهم من حديث ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَتَمَ رَجُلٌ أَبَا بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ يَعْجَبُ وَيَتَبَسَّمُ، فَلَمَّا أَكْثَرَ رَدَّ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ بَعْضَ قَوْلِهِ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَلَحِقَهُ، فَقَالَ لَهُ: كَانَ يَشْتُمُنِي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنْتَ جَالِسٌ، فَلَمَّا رَدَدْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ غَضِبْتَ وَقُمْتَ، قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ قَعَدَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ**». وإسناده صحيح. وقد رواه الليث عن سعيد المقبري عن بشير بن المحرر عن سعيد بن المسيب به مرسلًا، ورواه الطبراني في «الأوسط» [٧٢٣٩] من طريق علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. («الصحيحة» [٢٢٣١، ٢٣٧٦]).

(٥) في (ب): مثله.

(٦) عن أبي الدرداء: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ دَعَا لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ: الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**». رواه مسلم [٢٧٣٢].

(٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ: آمِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ: آمِينَ، فَوَافَقَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». رواه البخاري [٧٨١]، ومسلم [٤١٠]

(٨) في (أ، ط): لسبيله، والمثبت من: (ب).

(٩) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا =

ﷺ وَإِذَا نَامَ عَلَى وُضُوءٍ بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، [فلما استيقظ من الليل استغفر له[(١)]][(٢)].

فَمَلَكُ الْمُؤْمِنِ يَرُدُّ عَنْهُ، وَيُحَارِبُ وَيُدَافِعُ عَنْهُ[(٣)]، وَيُعَلِّمُهُ، وَيُثَبِّتُهُ، وَيُشَجِّعُهُ، فَلَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُسِيءَ جِوَارَهُ، وَيُبَالِغَ فِي أَذَاهُ وَطَرْدِهِ عَنْهُ، وَإِبْعَادِهِ مِنْهُ[(٤)]، فَإِنَّهُ ضَيْفُهُ وَجَارُهُ.

ﷺ وَإِذَا كَانَ إِكْرَامُ الضَّيْفِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْجَارِ، مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَمُوجِبَاتِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِإِكْرَامِ أَكْرَمِ الْأَضْيَافِ، وَخَيْرِ الْجِيرَانِ وَأَبَرِّهِمْ؟

ﷺ وَإِذَا آذَى الْعَبْدُ الْمَلَكَ بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ دَعَا عَلَيْهِ رَبَّهُ، وَقَالَ: لَا جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا[(٥)]، كَمَا يَدْعُو لَهُ إِذَا[(٦)] أَكْرَمَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِحْسَانِ.

قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ، فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ[(٧)]»[(٨)].

= وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، لَا يَسْتَيْقِظُ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ، إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا**». رواه ابن المبارك في «الزهد» [١٢٤٤]، ومن طريقه: ابن أبي شيبة في «مسنده» - كما في «إتحاف الخيرة المهرة» [٦٨٣] -، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣١٧)، والبيهقي في «الشعب» [٢٧٨٠]، وفي «الدعوات» [٣٧٥]، وغيرهم عن الحسن بن ذكوان عن سليمان الأحول، عن عطاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وقد رواه ابن المبارك في «المسند» الذي جمعه بعض المحدثين، وابن حبان في «صحيحه» [١٠٥١] من عن الحسن بن ذكوان عن سليمان الأحول، عن عطاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وإسناده حسنٌ، واختلاف الحسن فيه لا يضر لكوه يدور على صحابي، وله شواهد يصح بها. («الصحيحة» [٢٥٣٩]).

(٢) زيادة من: (ب). (٣) زيادة من: (ط). (٤) زيادة من: (ب).

(٥) في (أ): لا جزاك خيرًا. (٦) في (أ): وإذا. (٧) في (ب): وأكرموه.

(٨) روي مرفوعًا من حديث: ابن عمر، وزيد بن ثابت، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ولا يصح شيء منها. أما حديث ابن عمر فرواه: الترمذي [٢٨٠٠]، وغيره من طريق ليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن =

وَلَا أَلْأَمَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ، وَلَا يُجِلُّهُ، وَلَا يُوَقِّرُهُ، وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ[(١)]﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]. أَي: اسْتَحْيُوا مِنْ[(٢)] هَؤُلَاءِ الْحَافِظِينَ الْكِرَامِ، وَأَكْرِمُوهُمْ، وَأَجِلُّوهُمْ أَنْ يَرَوْا مِنْكُمْ مَا يَسْتَحْيُوا[(٣)] أَنْ يَرَاكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ.

وَالْمَلَائِكَةُ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ[(٤)].

فَإِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ يَتَأَذَّى مِمَّنْ يَفْجُرُ، وَيَعْصِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنْ كَانَ قد يَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَمَا الظَّنُّ بِأَذَى الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

= عمر: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ، فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ، وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ**»، وليث: ضعيفٌ. وأما حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فرواه ابن بشران في «الأمالي» [٧١٤]، والبيهقي في «الشعب» [٧٧٣٩] من طريق الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، ثنا لَيْثٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَمْ أَنْهَكُمْ عَنِ التَّعَرِّي، أَلَمْ أَنْهَكُمْ عَنِ التَّعَرِّي؟ إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لا يُفَارِقُكُمْ فِي نَوْمٍ وَلا يَقَظَةٍ إِلا حِينَ يَأْتِي أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ أَوْ حِينَ يَأْتِي خَلاهُ، أَلا فَاسْتَحْيُوهُمْ، أَلا فَأَكْرِمُوهُمْ**». والحسن بن أبي جعفر منكر الحديث، وليث ضعيفٌ. وأما حديث ابن عباس، فرواه البزار [٤٧٩٩]، والسراج في «حديثه» [٦٧٧] من طريق حَفْصِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ عَنِ التَّعَرِّي فَاسْتَحْيُوا مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ الَّذِينَ مَعَكُمُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لا يُفَارِقُونَكُمْ إِلا عِنْدَ إِحْدَى ثَلاثِ حَالاتٍ: الْغَائِطِ وَالْجَنَابَةِ وَالْغُسْلِ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ بِالْعَرَاءِ فَلْيَسْتَتِرْ بِثَوْبِهِ، أَوْ بِجِذْمِ حَائِطٍ، أَوْ بِبَعِيرِهِ**»، وحفص متروك.

(١) ذكر في (ط) الآية التي بعدها: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٢].

(٢) ساقطة من: (أ)، والمثبت من: (ب، ط).

(٣) في (ط١): ما تستحيوا، وفي (ط): ما تستحيون.

(٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالْكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**». رواه مسلم [٥٦٤].

فَصْلٌ

وَمِنْ عُقُوبَاتِهَا: أَنَّهَا تَسْتَجْلِبُ مَوَادَّ هَلَاكِ الْعَبْدِ فِي[1] دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.

فَإِنَّ الذُّنُوبَ هِيَ أَمْرَاضٌ، مَتَى[2] اسْتَحْكَمَتْ قَتَلَتْ وَلَابُدَّ، وَكَمَا أَنَّ الْبَدَنَ لَا يَكُونُ صَحِيحًا إِلَّا بِغِذَاءٍ يَحْفَظُ قُوَّتَهُ[3]، وَاسْتِفْرَاغٍ يَسْتَفْرِغُ[4] الْـمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ[5]، وَالْأَخْلَاطَ الرَّدِيئَةَ[6]، الَّتِي مَتَى غَلَبَتْ عليهِ أَفْسَدَتْهُ، وَحِمْيَةٍ يَمْتَنِعُ بِهَا [من تناولِ][7] ما[8] يُؤْذِيهِ وَيَخْشَى ضَرَرَهُ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ لَا تَتِمُّ[9] حَيَاتُهُ إِلَّا بِغِذَاءٍ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، تَحْفَظُ[10] قُوَّتَهُ، وَاسْتِفْرَاغٍ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، تَسْتَفْرِغُ[11] الْـمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ، وَالْأَخْلَاطَ الرَّدِيئَةَ[12] مِنْهُ، وَحِمْيَةٍ تُوجِبُ لَهُ حِفْظَ الصِّحَّةِ وَتَجَنُّبَ[13] مَا يُضَادُّهَا، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ تركِ اسْتِعْمَالِ مَا يُضَادُّ الصِّحَّةَ.

وَالتَّقْوَى: اسْمٌ مُتَنَاوِلٌ[14] لِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، فَمَا فَاتَ[15] مِنْهَا فَاتَ مِنَ التَّقْوَى بِقَدَرِهِ. وَإِذَا تَبَيَّنَ هَذَا: فَالذُّنُوبُ مُضَادَّةٌ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، فَإِنَّهَا تَسْتَجْلِبُ الْـمَوَادَّ الْـمُؤْذِيَةَ، وَتُوجِبُ التَّخْلِيطَ الْـمُضَادَّ لِلْحِمْيَةِ، وَتَمْنَعُ الِاسْتِفْرَاغَ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ.

فَانْظُرْ إِلَى بَدَنٍ عَلِيلٍ قَدْ تَرَاكَمَتْ عَلَيْهِ الْأَخْلَاطُ الرديئة[16] وَمَوَادُّ الْمَرَضِ، وَهُوَ لَا يَسْتَفْرِغُهَا، وَلَا يَحْتَمِي لَهَا، كَيْفَ تَكُونُ صِحَّتُهُ وَبَقَاؤُهُ؟!

---

(١) في (ط): من.
(٢) في (ب): ومتى.
(٣) في (ب): بعد حفظ قوته.
(٤) في (أ): تستفرغ.
(٥) ساقطة من: (ب).
(٦) في (ط): الردية.
(٧) ساقط من: (ط).
(٨) في (ط): مما.
(٩) في (ب): لا يتم.
(١٠) في (أ): يحفظ، والمثبت من: (ب، ط).
(١١) في (أ): يستفرغ، والمثبت من: (ب، ط).
(١٢) في (ط): الردية.
(١٣) في (ب): ويجتنب.
(١٤) في (أ): مشارك.
(١٥) في (أ): فاتك.
(١٦) ساقطة من: (ب، ط).

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

جِسْمُكَ بِالْحِمْيَةِ حَصَّنْتَهُ مَخَافَةً مِنْ أَلَمٍ طَارِي
وَكَانَ أَوْلَى بِكَ أَنْ تَحتمي مِنَ الْمَعَاصِي خَشْيَةَ النارِ[1]

فَمَنْ حَفِظَ الْقُوَّةَ بِامْتِثَالِ الْأَوَامِرِ، وَاسْتَعْمَلَ الْحِمْيَةَ بِاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، وَاسْتَفْرَغَ التَّخْليط بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ[2]: لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا، وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

❀❀❀

---

(١) في (ب، ط): الباري، والبيتان أنشدهما عيسى بن عبد الرحمن كما في العمر والشيب لابن أبي الدنيا ص: [٥٤]:

عمرك قد افنيته تحتمي فيه من البارد والحار
وكان اولى بك أن تحتمي من المعاصي خشية النار

وأنشده محمود الوراق كما في «محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهاني (٢/ ٤٢٠)

عمرك قد افنيته تحتمي فيه من البارد والحار
وكان اولى بك ان تحتمي من المعاصي خشية النّار

(٢) ساقطة من: (أ).

فَصْلٌ

فَإِنْ لَمْ تَرعْكَ[١] هَذِهِ الْعُقُوبَاتُ، وَلَمْ تَجِدْ لَهَا تَأْثِيرًا فِي قَلْبِكَ، فَأَحْضِرْهُ الْعُقُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي شَرَعَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَى[٢] الْجَرَائِمِ.

كَمَا قَطَعَ الْيَدَ فِي سَرِقَةِ ثَلَاثَةِ دَرَاهِمَ، وَقَطَعَ الْيَدَ وَالرِّجْلَ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى مَعْصُومِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ.

وَشَقَّ الْجِلْدَ بِالسَّوْطِ عَلَى كَلِمَةِ قَذفٍ لِمُحْصَنٍ[٣]، أَوْ قَطْرَةِ خَمْرٍ يُدْخِلُهَا جَوْفَهُ.

وَقَتَلَ بِالْحِجَارَةِ أَشْنَعَ قِتْلَةٍ فِي إِيلَاجِ الْحَشَفَةِ فِي فَرْجٍ[٤] حَرَامٍ، وَخَفَّفَ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ عَمَّنْ[٥] لَمْ يَتِمَّ[٦] عَلَيْهِ[٧] نِعْمَةُ الْإِحْصَانِ بِمِائَةِ جَلْدَةٍ، وَنفي[٨] سَنَةً عَنْ وَطَنِهِ وَبَلَدِهِ إِلَى بِلَادِ[٩] الْغُرْبَةِ.

وَفَرَّقَ بَيْنَ رَأْسِ الْعَبْدِ وَبَدَنِهِ إِذَا وَقَعَ عَلَى ذَاتِ رَحِمٍ محرم مِنْهُ[١٠]، أَوْ تَرَكَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، أَوْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ كُفْرٍ.

وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ وَطِئَ ذَكَرًا مِثْلَهُ، وَقَتْلِ الْمَفْعُولَ بِهِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ أَتَى بَهِيمَةً، وَقَتْلِ الْبَهِيمَةَ مَعَهُ.

وَعَزَمَ عَلَى تَحْرِيقِ بُيُوتِ الْمُتَخَلِّفِينَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ.

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي رَتَّبَهَا[١١] اللهُ عَلَى الْجَرَائِمِ، وَجَعَلَهَا بِحِكْمَتِهِ عَلَى حَسَبِ[١٢] الدَّوَاعِي إِلَى تِلْكَ الْجَرَائِمِ، وَحَسَبِ الْوَازِعِ عَنْهَا.

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (ب): من.

(٣) في (ب): قذف المحصن، وفي (ط): قذف بها المحصن.

(٤) ساقطة من: (أ). (٥) في (ب): على من. (٦) في (ط): تتم.

(٧) ساقطة من: (ب). (٨) في (ط): وبنفي. (٩) ساقطة من: (ط).

(١٠) ساقطة من: (أ). (١١) في (ب): قد رتبها.

(١٢) في (أ): وجعلها على حكمته حسب الدواعي.

فَمَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهُ طَبِيعِيًّا، وَلَيْسَ فِي الطِّبَاعِ دَاعٍ إِلَيْهِ: اكْتفَي فيه بِالتَّحْرِيمِ مَعَ التَّعْزِيرِ، وَلَمْ يُرَتِّبْ عَلَيْهِ حَدًّا[١]، كَأَكْلِ الرَّجِيعِ[٢]، وَشُرْبِ الدَّمِ، وَأَكْلِ الْمَيْتَةِ.

وَمَا كَانَ فِي الطِّبَاعِ دَاعٍ إِلَيْهِ: رَتَّبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ بِقَدْرِ مَفْسَدَتِهِ، وَبِقَدْرِ دَاعِي[٣] الطَّبْعِ إِلَيْهِ.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ دَاعِي الطِّبَاعِ إِلَى الزِّنَا مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي؛ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ الْعُظْمَى أَشْنَعَ[٤] الْقِتْلَاتِ وَأَعْظَمَهَا، وَعُقُوبَتُهُ السَّهْلَةُ[٥] أَعْلَى أَنْوَاعِ الْجَلْدِ، مَعَ زِيَادَةِ التَّغْرِيبِ.

وَلَمَّا كَانَ اللِّوَاطِ فِيه[٦] الْأَمْرَانِ؛ كَانَ حَدُّهُ الْقَتْلُ بِكُلِّ حَالٍ، وَلَمَّا كَانَ دَاعِي السَّرِقَةِ قَوِيًّا، وَمَفْسَدَتُهَا كَذَلِكَ، قَطَعَ فِيهَا[٧] الْيَدَ.

وَتَأَمَّلْ حِكْمَتَهُ فِي إِفْسَادِ الْعُضْوِ الَّذِي بَاشَرَ بِهِ الْجِنَايَةَ[٨]، كَمَا أَفْسَدَ عَلَى قَاطِعِ الطَّرِيقِ يَدَهُ وَرِجْلَهُ[٩] اللَّتَيْنِ هُمَا آلَةُ قَطْعِهِ، وَلَمْ يُفْسِدْ عَلَى الْقَاذِفِ لِسَانَهُ الَّذِي جَنَى بِهِ، إِذْ مَفْسَدَةُ قطعِهِ[١٠] تَزِيدُ عَلَى مَفْسَدَةِ الْجِنَايَةِ، وَلَا تَبْلُغُهَا، فَاكْتَفَى مِنْ ذَلِكَ[١١] بِإِيلَامِ جَمِيعِ بَدَنِهِ بِالْجَلْدِ.

---

(١) في (ب) حدًا كاملًا.
(٢) في (أ): كالرجيع.
(٣) في (ب): دواعي.
(٤) في (ط): من أشنع.
(٥) في (ب): السفلى.
(٦) في (ط): ولما كانت جريمة اللواط فيها.
(٧) ساقطة من: (ب).
(٨) في (ب) كأنها: الخيانة.
(٩) في (أ، ب): رجليه، والمثبت من: (ط).
(١٠) في (ط): مفسدته.
(١١) في (ب): فاكتفى بذلك.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَّا أَفْسَدَ عَلَى الزَّانِي فَرْجَهُ الَّذِي بَاشَرَ بِهِ الْـمَعْصِيَةَ؟

قِيلَ: لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا- أَنَّ مَفْسَدَةَ ذَلِكَ تَزِيدُ عَلَى مَفْسَدَةِ الْجِنَايَةِ، إِذْ فِيهِ قَطْعُ النَّسْلِ، وَتَعْرِيضُهُ لِلْهَلَاكِ[١].

الثَّانِي- أَنَّ الْفَرْجَ عُضْوٌ مَسْتُورٌ، لَا يَحْصُلُ بِقَطْعِهِ[٢] مَقْصُودُ الْحَدِّ؛ مِنَ الرَّدْعِ، وَالزَّجْرِ لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْجُنَاةِ، بِخِلَافِ قَطْعِ الْيَدِ[٣].

الثَّالِثُ- أَنَّهُ إِذَا قَطَعَ يَدَهُ أَبْقَى لَهُ يَدًا أُخْرَى تُعَوِّضُ عَنْهَا، بِخِلَافِ الْفَرْجِ[٤].

الرَّابِعُ- أَنَّ لَذَّةَ الزِّنَا عَمَّتْ جَمِيعَ الْبَدَنِ، فَكَانَ الْأَحْسَنُ[٥] أَنْ تَعُمَّ الْعُقُوبَةُ جَمِيعَ الْبَدَنِ، وَذَلِكَ أَوْلَى مِنْ تَخْصِيصِهَا بِبَضْعَةٍ مِنْهُ.

فَعُقُوبَاتُ الشَّارِعِ جَاءَتْ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ، وَأَوْفَقِهَا لِلْعَقْلِ، وَأَقْوَمِهَا بِالْـمَصْلَحَةِ.

وَالْـمَقْصُودُ: أَنَّ الذُّنُوبَ إِمَّا أَنْ تَتَرَتَّبَ[٦] عَلَيْهَا الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ، أَوِ الْقَدَرِيَّةُ[٧]، أَوْ يَجْمَعُهُا اللهُ لِلْعَبْدِ، وَقَدْ يَرْفَعُهَا[٨] عَمَّنْ تَابَ وَأَحْسَنَ.



---

(١) في (ب): إلى الهلاك.

(٢) في (ب): فيه.

(٣) في (ب): كما يحصل بقطع اليد.

(٤) في (ب).

(٥) في (أ): أحسن.

(٦) في (ط): إنما تترتب.

(٧) في (أ، ب): والقدرية، والمثبت من: (ط).

(٨) في (أ): أو يجمعها الله للعبد وقد يرفعها.

فَصْلٌ

وَعُقُوبَاتُ[(١)] الذُّنُوبِ نَوْعَانِ: شَرْعِيَّةٌ، وَقَدَرِيَّةٌ.

فَإِذَا أُقِيمَتِ الشَّرْعِيَّةُ رَفَعَتِ الْعُقُوبَاتِ الْقَدَرِيَّةَ، أو خَفَّفَتْهَا، وَلَا يَكَادُ الرَّبُّ تَعَالَىٰ يَجْمَعُ عَلَى عبدِهِ[(٢)] بَيْنَ الْعُقُوبَتَيْنِ، إِلَّا إِذَا لَمْ تَفِ إحداهُمَا[(٣)] بِرَفْعِ مُوجَبِ الذَّنْبِ، وَلَمْ تَكْفِ[(٤)] فِي زَوَالِ دَائِهِ.

وَإِذَا عُطِّلَتِ الْعُقُوبَاتُ الشَّرْعِيَّةُ اسْتَحَالَتْ قَدَرِيَّةً[(٥)]، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَشَدَّ مِنَ الشَّرْعِيَّةِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ دُونَهَا، وَلَكِنَّهَا تَعُمُّ، وَالشَّرْعِيَّةُ تَخُصُّ[(٦)]، فَإِنَّ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُعَاقِبُ شَرْعًا إِلَّا مَنْ بَاشَرَ الْجِنَايَةَ، أَوْ تَسَبَّبَ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا الْعُقُوبَةُ الْقَدَرِيَّةُ: فَإِنَّهَا تَقَعُ[(٧)] عَامَّةً وَخَاصَّةً، فَإِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا خَفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ ضَرَّتِ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ، وَإِذَا رَأَى النَّاسُ الْمُنْكَرَ فاشْتَرَكُوا فِي تَرْكِ إِنْكَارِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ[(٨)] اللهُ بِعِقَابِهِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ: أَنَّ الْعُقُوبَةَ الشَّرْعِيَّةَ شَرَعَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ مَفْسَدَةِ الذَّنْبِ، وَتَقَاضِي الطَّبْعِ لَهُ[(٩)]، وَجَعَلَهَا سُبْحَانَهُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ: الْقَتْلَ، وَالْقَطْعَ، وَالْجَلْدَ.

وَجَعَلَ الْقَتْلَ بِإِزَاءِ الْكُفْرِ، وَمَا يَلِيهِ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ[(١٠)]، وَهُوَ الزِّنَا، وَاللِّوَاطُ، فَإِنَّ هَذَا يُفْسِدُ الْأَدْيَانَ[(١١)]، وَهَذَا يُفْسِدُ الْأَنْسَابَ، وَنَوْعَ الْإِنْسَانِ.

---

(١) في (ب): ومن عقوبات.
(٢) في (ط): العبد.
(٣) في (ب): لم يفي أحدها.
(٤) في (ب): ولم يكفي.
(٥) في (ب): قدرته.
(٦) في (ب): أخص.
(٧) في (ب): فيها نفع!
(٨) في (ط): يعمم.
(٩) في (ط): له.
(١٠) في (أ): وما يقرب منه.
(١١) يعني: الكفر.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «لَا أَعْلَمُ بَعْدَ الْقَتْلِ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنَ الزِّنَا»، وَاحْتَجَّ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ أَنْ تُـزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» فَأَنْـزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨][١].

وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَعْلَاهُ، لِيُطَابِقَ جَوَابُهُ سُـؤَالَ السَّائِلِ، فَإِنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ أَعْظَمِ الذَّنْبِ، فَأَجَابَهُ بِمَا تَضَمَّنَ ذِكْرَ أَعْظَمِ أَنْوَاعِهَا[٢]، وَمَا هُوَ أَعْظَمُ كُلِّ نَوْعٍ.

❁ فَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ: أَنْ يَجْعَلَ الْعَبْدُ للهِ نِدًّا[٣].

❁ وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْقَتْلِ: أَنْ يَقْتُلَ وَلَدَهُ خَشْيَةَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ.

❁ وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الزِّنَا: أَنْ يَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِهِ، فَإِنَّ مَفْسَدَةَ الزِّنَا تَتَضَاعَفُ[٤] بِتَضَاعُفِ مَا انْتَهَكَهُ مِنَ الْحَقِّ.

فَالزِّنَا[٥] بِالْـمَرْأَةِ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ أَعْظَمُ إِثْمًا وَعُقُوبَةً مِنَ الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا، إِذْ فِيهِ انْتِهَاكُ حُرْمَةِ الزَّوْجِ، وَإِفْسَادُ فِرَاشِهِ، وَتَعْلِيقُ نَسَبٍ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ أَذَاهُ، فَهُوَ أَعْظَمُ إِثْمًا وَجُرْمًا مِنَ الزِّنَا بِغَيْرِ ذَاتِ الْبَعْلِ[٦].

فَـإِنْ كَانَ زَوْجُهَا جَـارًا لَهُ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُـوءُ الْجِوَارِ، وَأَذَى جَـارِهِ بِأَعْلَى أَنْوَاعِ الْأَذَى، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْبَوَائِقِ.

---

(١) البخاري [٤٧٦١]، ومسلم [٨٦].
(٢) أي: أنواع الذنوب.
(٣) في (ب): أن يجعل العبد معه ندًّا.
(٤) في (أ): إن تتضاعف.
(٥) في (ب): والزنا.
(٦) جاءت في (ط) هنا جملة: «فَالزِّنَا بِمِائَةِ امْرَأَةٍ لَا زَوْجَ لَهَا أَيْسَرُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الزِّنَا بِامْرَأَةِ الْجَارِ» وستأتي بعد أسطر.

وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[١]، وَلَا بَائِقَةَ أَعْظَمُ مِنَ الزِّنَا بِامْرَأَته.

فَالزِّنَا بِمِائَةِ امْرَأَةٍ لا زَوْجَ لَهَا أَيْسَرُ عِنْدَ اللهِ مِنَ الزِّنَا بِامْرَأَةِ الجَارِ.

فَإِنْ كَانَ الجَارُ أَخًا لَهُ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ أَقَارِبِهِ؛ انْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ، فَيَتَضَاعَفُ الْإِثْمُ.

فَإِنْ كَانَ الْجَارُ غَائِبًا[٢] فِي طَاعَةِ اللهِ كَالصَّلَاةِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ، وَالْجِهَادِ؛ تَضَاعَفَ[٣] الْإِثْمُ، حَتَّى إِنَّ الزَّانِيَ بِامْرَأَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ يُوقَفُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ: خُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَمَا ظَنُّكُمْ؟**»[٤].

أَيْ: مَا[٥] ظَنُّكُمْ أَنَّهُ[٦] يَتْرُكُ لَهُ من حَسَنَاتٍ[٧]، قَدْ حُكِّمَ فِي أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا مَا شَاءَ، عَلَى شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ، حَيْثُ لا يَتْرُكُ الْأَبُ لِابْنِهِ، وَلَا الصَّدِيقُ لِصَدِيقِهِ حَقًّا يَجِبُ له[٨] عَلَيْهِ؟!

---

(١) علقه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بعدما رواه موصولًا بمثله من حديث أبي شريح [٦٠١٦]، ومسلم [٤٦] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) في (ط): تضاعف له.

(٤) عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ: فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ**»، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**فَمَا ظَنُّكُمْ؟!**». رواه مسلم [١٨٩٧].

(٥) ساقطة من: (أ).

(٦) في (ط١): أن.

(٧) في (ب): أنه يترك له من حسناته.

(٨) ساقطة من: (ط).

فَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ تَكُونَ الْـمَرْأَةُ رَحِمًا مِنْهُ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ قَطِيعَةُ رَحِمِهَا.

فَـإِنِ اتَّفَـقَ أَنْ يَكُونَ الزَّانِي مُحْصَنًا كَانَ الْإِثْمُ أَعْظَمَ، فَإِنْ كَانَ شَـيْخًا كَانَ أَعْظَمَ إِثْمًا، وَهُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[(١)].

فَـإِنِ اقْـتَرَنَ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ فِي شَـهْرٍ حَرَامٍ، أَوْ بَلَدٍ حَرَامٍ، أَوْ وَقْـتٍ مُعَظَّمٍ عِنْدَ اللهِ، كَأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، وَأَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ: تَضَاعَفَ الْإِثْمُ.

وَعَـلَى هَذَا: فَاعْتَبِرْ مَفَاسِـدَ الذُّنُـوبِ، وَتَضَاعُفَ دَرَجَاتِهَا فِي الْإِثْـمِ وَالْعُقُوبَةِ. وَاللهُ الْـمُسْتَعَانُ.



---

(١) عَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثَـةٌ لَا يُكَلِّمُهُـمُ اللهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ**» قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: «**وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**». رواه مسلم [١٠٧].

فَصْلٌ

وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ الْقَطْعَ بِإِزَاءِ إِفْسَادِ الْأَمْوَالِ، الَّذِي لَا يُمْكِنُ الِاحْتِرَازُ مِنْهُ.

فإِنَّ السَّارِقَ لا يُمْكِنُ الِاحْتِرَازُ مِنْهُ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ الْمَالَ[١] فِي اخْتِفَاءٍ، وَيُنَقِّبُ الدُّورَ، وَيَتَسَوَّرُ مِنْ غَيْرِ الْأَبْوَابِ، فَهُوَ[٢] كَالسِّنَّوْرِ أَوْ الْحَيَّةِ[٣] الَّتِي تَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ، فَلَمْ تَرْتَفِعْ مَفْسَدَةُ سَرِقَتِهِ إِلَى الْقَتْلِ، وَلَا تَنْدَفِعُ[٤] بِالْجَلْدِ، فَأَحْسَنُ مَا دُفِعَتْ بِهِ مَفْسَدَتُهُ[٥] إِبَانَةُ الْعُضْوِ الَّذِي يَتَسَلَّطُ بِهِ عَلَى الْجِنَايَةِ.

وَجَعَلَ الْجَلْدَ بِإِزَاءِ إِفْسَادِ الْعُقُولِ، وَتَمْزِيقِ الْأَعْرَاضِ بِالْقَذْفِ.

فَدَارَتْ عُقُوبَاتُهُ سُبْحَانَهُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الثَّلَاثَةِ، كَمَا دَارَتِ الْكَفَّارَاتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ[٦]: الْعِتْقِ، وَهُوَ أَعْلَاهَا، وَالْإِطْعَامِ، وَالصِّيَامِ.

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذُّنُوبَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

❁ قِسْمًا فِيهِ الْحَدُّ، فَهَذَا لَمْ يَشْرَعْ فِيهِ[٧] كَفَّارَةً، اكْتِفَاءً بِالْحَدِّ.

❁ وَقِسْمًا لَمْ يُرَتِّبْ[٨] عَلَيْهِ حَدًّا، فَشَرَعَ فِيهِ الْكَفَّارَةَ[٩]، كَالْوَطْءِ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ، وَالظِّهَارِ، وَقَتْلِ الْخَطَأِ، وَالْحِنْثِ فِي الْيَمِينِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

❁ وَقِسْمًا لَمْ يُرَتِّبْ عَلَيْهِ حَدًّا وَلَا كَفَّارَةً، وَهُوَ[١٠] نَوْعَانِ:

أحدهما- مَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهُ[١١] طَبْعِيًّا[١٢]، كَأَكْلِ الْعَذِرَةِ، وَشُرْبِ الْبَوْلِ وَالدَّمِ.

---

(١) في (ط): الأموال.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) في (ب، ط): والحية.
(٤) في (ب): يندفع.
(٥) في (ب): مفسدة.
(٦) ساقطة من: (أ).
(٧) في (أ): فيها.
(٨) في (أ، ط): يترتب.
(٩) في (ب): الكفارات.
(١٠) في (ب): وهي.
(١١) في (ب): فيه.
(١٢) في (ب): طبعًا، وفي (ط): طبيعيًا.

وَالثَّانِي- مَا كَانَتْ[(١)] مَفْسَدَتُهُ أَدْنَى مِنْ مَفْسَدَةِ مَا رُتِّبَ عَلَيْهِ الْحَدُّ: كَالنَّظَرِ، وَالْقُبْلَةِ، وَاللَّمْسِ، وَالْـمُحَادَثَةِ، وَسَرِقَةِ فِلْسٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَشَرَعَ الْكَفَّارَةَ[(٢)] فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا[(٣)]- مَا كَانَ مُبَاحَ الْأَصْلِ، ثُمَّ عَرَضَ تَحْرِيمُهُ، فَبَاشَرَهُ فِي الْحَالِ[(٤)] الَّتِي عَرَضَ فِيهَا التَّحْرِيمُ، كَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ وَالصِّيَامِ، وَطَرْدُهُ: الْوَطْءُ فِي الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، بِخِلَافِ الْـوَطْءِ فِي الدُّبُرِ، وَلِهَذَا كَانَ إِلْحَاقُ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ لَهُ بِالْـوَطْءِ فِي الْحَيْضِ لَا يَصِحُّ، فَإِنَّهُ لَا يُبَاحُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّلَوُّطِ[(٥)]، وَشُرْبِ الْـمُسْكِرِ.

النَّـوْعُ الثَّـانِـي- مَا عقدَهُ للهِ[(٦)] مِنْ نَذْرٍ أَوْ حَلَفَ[(٧)] بِاللهِ[(٨)] مِنْ يَمِينٍ، أَوْ حَرَّمَهُ للهُ[(٩)] ثُمَّ أَرَادَ حِلَّهُ، فَشَرَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ حِلَّهُ بِالْكَفَّارَةِ، وَسَمَّاهَا تَحِلَّةً، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْكَفَّارَةُ مَاحِيَةً لِهَتْكِ حُرْمَةِ الِاسْمِ بِالْحِنْثِ، كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، فَإِنَّ الْحِنْثَ قَدْ يَكُونُ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا، وَقَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَإِنَّمَا الْكَفَّارَةُ حِلٌّ لِمَا عَقَدَهُ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ- مَا تَكُونُ[(١٠)] فِيهِ[(١١)] جَابِرَةً لِمَا فَاتَ، كَكَفَّارَةِ قَتْلِ الْخَطَأِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِثْمٌ، وَكَفَّارَةِ قَتْلِ الصَّيْدِ خَطَأً، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْجَوَابِرِ، وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ مِنْ بَابِ الزَّوَاجِرِ، وَالنَّوْعُ الْوَسَطُ[(١٢)] مِنْ بَابِ التَّحِلَّةِ لِمَا منعه الْعَقْدُ.

---

(١) في (ب): كان.

(٢) في (ط): الكفارات.

(٣) في (أ): أحدهما. وهو خطأ.

(٤) في (ط): الحالة.

(٥) في (ب): اللواط.

(٦) في (ب، ط): ما عَقَدَ اللهُ، وللفظ «لله» لا يوجد في (أ).

(٧) زيادة من: (ب).

(٨) لم ترد في: (أ).

(٩) في (ط، ط ١): أو حرمه الله. وهو خطأ، والمثبت من: (أ، ب)، والمراد به ما حرَّمه العبد على نفسه بصيغة اليمين، كما في أول سورة التحريم.

(١٠) في (ب): يكون.

(١١) ساقطة من: (أ).

(١٢) في (ب): الواسط، وفي (ط): الأوسط.

ولَا يَجْتَمِعُ الْحَدُّ وَالتَّعْزِيرُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ إِنْ كَانَ فِيهَا حَدٌّ اكْتُفِيَ بِهِ، وَإِلَّا اكْتُفِيَ بِالتَّعْزِيرِ، وَلَا يَجْتَمِعُ الْحَدُّ وَالْكَفَّارَةُ فِي مَعْصِيَةٍ[١]، بَلْ كُلُّ مَعْصِيَةٍ فِيهَا حَدٌّ[٢] فَلَا كَفَّارَةَ فِيهَا، وَمَا فِيهِ كَفَّارَةٌ فَلَا حَدَّ فِيهِ.

وَهَلْ يَجْتَمِعُ التَّعْزِيرُ وَالْكَفَّارَةُ فِي الْمَعْصِيَةِ الَّتِي لَا حَدَّ فِيهَا؟

فِيهِ وَجْهَانِ: وَهَذَا كَالْوَطْءِ فِي الْإِحْرَامِ وَالصِّيَامِ، وَوَطْءِ الْحَائِضِ، إِذَا أَوْجَبْنَا فِيهِ الْكَفَّارَةَ، فَقِيلَ: يَجِبُ التَّعْزِيرُ لِمَا انْتَهَكَ مِنَ الْحُرْمَةِ بِرُكُوبِ[٣] الْجِنَايَةِ.

وَقِيلَ: لَا تَعْزِيرَ فِي ذَلِكَ، اكْتِفَاءً بِالْكَفَّارَةِ، لِأَنَّهَا[٤] جَابِرَةٌ وَمَاحِيَةٌ.



---

(١) في (ب): ولا يجتمع الحد والكفارة في معصية فيها الحد والكفارة.

(٢) في (ب): الحد.

(٣) في (أ): لكون.

(٤) في (أ): ولأنها، وفي (ب): فإنها.

فَصْلٌ

وَأَمَّا[١] الْعُقُوبَاتُ الْقَدَرِيَّةُ فَهِيَ[٢] نَوْعَانِ[٣]: نَوْعٌ عَلَى الْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، وَنَوْعٌ عَلَى الْأَبْدَانِ وَالْأَمْوَالِ.

وَالَّتِي[٤] عَلَى الْقُلُوبِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا- آلَامٌ وُجُودِيَّةٌ يُضْرَبُ بِهَا الْقَلْبُ.

وَالثَّانِي- قَطْعُ الْمَوَادِّ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُ وَصَلَاحُهُ عَنْهُ، وَإِذَا قُطِعَتْ عَنْهُ حَصَلَ لَهُ[٥] أَضْدَادُهَا.

وَعُقُوبَةُ الْقُلُوبِ أَشَدُّ الْعُقُوبَتَيْنِ، وَهِيَ أَصْلُ عُقُوبَةِ الْأَبْدَانِ.

وَهَذِهِ الْعُقُوبَةُ تَقْوَى وَتَتَزَايَدُ، حَتَّى تَسْرِيَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الْبَدَنِ، كَمَا يَسْرِي أَلَمُ الْبَدَنِ إِلَى الْقَلْبِ، فَإِذَا[٦] فَارَقَتِ النَّفْسُ الْبَدَنَ صَارَ الْحُكْمُ مُتَعَلِّقًا بِهَا، فَظَهَرَتْ عُقُوبَةُ الْقَلْبِ حِينَئِذٍ، وَصَارَتْ عِيَانِيَّةً[٧] ظَاهِرَةً، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَنِسْبَتُهُ إِلَى الْبَرْزَخِ كَنِسْبَةِ عَذَابِ الْأَبْدَانِ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ب): ومن.
(٢) في (ب): وهو.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (ب): فالتي.
(٥) ساقطة من: (ب).
(٦) في (ب): فإنها.
(٧) في (أ): غايبه، وفي (ط) علانية.



فَصْلٌ

وَالَّتِي عَلَى الْأَبْدَانِ أَيْضًا نَوْعَانِ: نَوْعٌ فِي الدُّنْيَا، وَنَوْعٌ فِي الْأُخْرَى[١].

وَشِدَّتُهَا وَدَوَامُهَا بِحَسَبِ مَفَاسِدِ مَا رُتِّبَتْ[٢] عَلَيْهِ[٣] فِي الشِّدَّةِ وَالْخِفَّةِ، فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شَرٌّ أَصْلًا إِلَّا الذُّنُوبَ، وَعُقُوبَاتِهَا[٤].

فَالشَّرُّ اسْمٌ لِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ، وَسَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ، وَهُمَا الْأَصْلَانِ اللَّذَانِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيذُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَتِهِ، بِقَوْلِهِ: «**وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا**»[٥].

وَسَيِّئَاتُ [الْأَعْمَالِ مِنْ شُرُورِ النَّفْسِ[٦]، فَعَادَ الشَّرُّ كُلُّهُ إِلَى شَرِّ النَّفْسِ، فَإِنَّ سَيِّئَاتِ][٧] الْأَعْمَالِ مِنْ فُرُوعِهِ وَثَمَرَاتِهِ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «**وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا**» هَلْ مَعْنَاهُ: السَّيِّئُ مِنْ أَعْمَالِنَا، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ النَّوْعِ إِلَى جِنْسِهِ، ويَكُونُ بمعنى «مِنْ»؟[٨].

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مِنْ عُقُوبَاتِهَا الَّتِي تَسُوءُ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَمِنْ عُقُوبَاتِ أَعْمَالِنَا الَّتِي تَسُوؤُنَا.

---

(١) في (ط): الآخرة.
(٢) في (أ): ترتب.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٩٣)، وأبو داود [٢١١٨]، والترمذي [١١٠٥]، وابن ماجه [١٨٩٢]، والنسائي [٣٢٧٧]، وابن الجارود [٦٧٩]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٧٠٧١]، وأبو عوانة في «مستخرجه» [٤١٤٣]، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وإسناده صحيح. («صحيح أبي داود - الأم -» [١٨٤٤]).
(٦) في (ب): النفوس.
(٧) ساقط من: (أ).
(٨) في (ط): أو تكون «من» بيانية؟

وَيُرَجِّحُ هَذَا الْقَوْلَ: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ تكُونُ قَدْ تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ الشَّرِّ، فَإِنَّ شُرُورَ الْأَنْفُسِ تَسْتَلْزِمُ الْأَعْمَالَ السَّيِّئَةَ، وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ الْعُقُوبَاتِ السَّيِّئَةَ، فَنَبَّهَ بِشُرُورِ الْأَنْفُسِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ[(١)] مِنْ قُبْحِ الْأَعْمَالِ، وَاكْتَفَى[(٢)] بِذِكْرِهَا مِنْهُ، إِذ هِيَ[(٣)] أَصْلُهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ غَايَةَ الشَّرِّ وَمُنْتَهَاهُ، وَهُوَ[(٤)] السَّيِّئَاتُ الَّتِي تَسُوءُ الْعَبْدَ مِنْ عَمَلِهِ، مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالْآلَامِ، فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الِاسْتِعَاذَةُ أَصْلَ الشَّرِّ وَفُرُوعَهُ وَغَايَتَهُ وَمُقْتَضَاهُ.

وَمِنْ دُعَاءِ الْمَلَائِكَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ قَوْلُهُمْ: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ [غافر: ٩].

فَهَذَا يَتَضَمَّنُ طَلَبَ[(٥)] وِقَايَتِهِمْ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ، وَعُقُوبَاتِهَا الَّتِي تَسُوءُ صَاحِبَهَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مَتَى وَقَاهُمْ عَمَلَ السَّيِّئِ؛ وَقَاهُمْ جَزَاءَه السَّيِّئ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ﴾ [غافر: ٩]. أَظْهَرَ فِي عُقُوبَاتِ الْأَعْمَالِ الْمَطْلُوبِ[(٦)] وِقَايَتُهَا يَوْمَئِذٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ سَأَلُوهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَهَذَا هُوَ وِقَايَةُ الْعُقُوبَاتِ السَّيِّئَةِ، فَدَلَّ عَلَى[(٧)] أَنَّ الْمُرَادَ بِالسَّيِّئَاتِ[(٨)] الَّتِي سَأَلُوا وِقَايَتَهَا: الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ، وَيَكُونُ الَّذِي سَأَلَهُ الْمَلَائِكَةُ نَظِيرَ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ.

وَلَا يَرِدُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ[(٩)]: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فَإِنَّ الْمَطْلُوبَ وِقَايَةُ شُرُورِ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَهِيَ سَيِّئَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا.

---

(١) في (ب): يقتضيه.
(٢) في (ب): واستكفى.
(٣) في (ب): منه وهي.
(٤) في (ب): وهي.
(٥) ساقطة من: (ب).
(٦) في (أ): المطلوبات.
(٧) ساقطة من: (ب).
(٨) في (ب): وفي (ط): بالسيئة.
(٩) ساقطة من: (ب).

قِيلَ: وِقَايَةُ السَّيِّئَاتِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا- وِقَايَةُ فِعْلِهَا بِالتَّوْفِيقِ، فَلَا تَصْدُرُ[١] مِنْهُ.

وَالثَّانِي- وِقَايَةُ جَزَائِهَا بِالْـمَغْفِرَةِ، فَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهَا.

فَقَدْ تَضَمَّنَتِ[٢] الْآيَةُ سُؤَالَ الْأَمْرَيْنِ، وَالظَّرْفُ[٣] تَقْيِيدٌ لِلْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ، لَا لِلْجُمْلَةِ الطَّلَبِيَّةِ.

وَتَأَمَّلْ مَا[٤] تَضَمَّنَهُ هَذَا الْخَبَرُ عَنِ الْـمَلَائِكَةِ مِنْ مَدْحِهِمْ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْـمُؤْمِنِينَ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، وَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اسْتِغْفَارِهِمْ تَوَسُّلَهُمْ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِسَعَةِ عِلْمِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ.

فَسَعَةُ عِلْمِهِ تَتَضَمَّنُ[٥] عِلْمَهُ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَسْبَابِهَا، وَضَعْفِهِمْ عَنِ[٦] الْعِصْمَةِ، وَاسْتِيلَاءِ عَدُوِّهِمْ، وَأَنْفُسِهِمْ، وَهَوَاهُمْ[٧]، وَطِبَاعِهِمْ، وَمَا زُيِّنَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَعِلْمَهُ بِهِمْ إِذْ أَنْشَأَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِذْ هُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَعِلْمَهُ السَّابِقَ بِأَنَّهُ[٨] لَابُدَّ أَنْ يَعْصُوهُ، وَأَنَّهُ[٩] يُحِبُّ الْعَفْوَ وَالْـمَغْفِرَةَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَعَةِ عِلْمِهِ، الَّذِي لَا يُحِيطُ بِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ.

وَسَعَةُ رَحْمَتِهِ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَهْلَكُ عَلَيْهِ[١٠] أَحَدٌ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ بِهِ[١١]؛ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَمَحَبَّتِهِ، فَإِنَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ لَا يُخْرِجُ عَنْ[١٢] دَائِرَةِ رَحْمَتِهِ إِلَّا الْأَشْقِيَاءَ، وَلَا أَشْقَى مِمَّنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَتُهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

---

(١) في (أ، ب): فلا يصدر.
(٢) في (ب): فتضمنت.
(٣) في (ب): فالطريق!
(٤) في (أ): «أما ما» بدلًا من: «وتأمل ما».
(٥) في (ب): يتضمن.
(٦) في (أ): على.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (ط): بأنهم.
(٩) في (ب): فإنه.
(١٠) ساقطة من: (أ).
(١١) ساقطة من: (ب).
(١٢) في (ب): من.

ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَغْفِرَ لِلتَّائِبِينَ الَّذِينَ[١] اتَّبَعُوا سَبِيلَهُ، وَهُوَ صِرَاطُهُ الْمُوَصِّلُ إِلَيْهِ، الَّذِي هُوَ مَعْرِفَتُهُ، وَمَحَبَّتُهُ، وَطَاعَتُهُ.

فَتَابُوا مِمَّا يَكْرَهُ، وَاتَّبَعُوا السَّبِيلَ الَّتِي يُحِبُّهَا.

ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَقِيَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَأَنْ يُدْخِلَهُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُصُولِهِمْ، وَفُرُوعِهِمْ، وَأَزْوَاجِهِمْ؛ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَهُمْ بِهَا.

وَهُوَ[٢] سُبْحَانَهُ وَإِنْ كَانَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فَإِنَّهُ وَعَدَهُمْ بِهَا بِأَسْبَابٍ، مِنْ جُمْلَتِهَا: دُعَاءُ مَلَائِكَتِهِ لَهُمْ بِأَنْ يُدْخِلَهُمْ إِيَّاهَا بِرَحْمَتِهِ[٣]، [فَدَخَلُوهَا بِرَحْمَتِهِ][٤] الَّتِي مِنْهَا أَنْ وَفَّقَهُمْ لِأَعْمَالِهَا، وَأَقَامَ مَلَائِكَتَهُ يَدْعُونَ لَهُمْ بِهَا بدخولها[٥].

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ مَلَائِكَتِهِ[٦] أَنَّهُمْ قَالُوا عَقِيبَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غَافِر: ٨]، أَيْ: مَصْدَرُ ذَلِكَ، وَسَبَبُهُ[٧]، وَغَايَتُهُ: صَادِرٌ عَنْ كَمَالِ قُدْرَتِكَ، وَكَمَالِ عِلْمِكَ.

فَالْعِزَّةُ[٨]: كَمَالُ الْقُدْرَةِ، وَالْحِكْمَةُ: كَمَالُ الْعِلْمِ.

وَبِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ يَقْضِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يشَاءَ[٩]، وَيَأْمُرُ، وَيَنْهَى، وَيُثِيبُ، وَيُعَاقِبُ، فَهَاتَانِ الصِّفَتَانِ مَصْدَرُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ عُقُوبَاتِ السَّيِّئَاتِ تَتَنَوَّعُ إِلَى عُقُوبَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَقَدَرِيَّةٍ[١٠].

---

(١) في (ب): وهم الذين.
(٢) في (ب): فهو.
(٣) في (ب): بأن يدخلهم الجنة.
(٤) ساقط من: (ط).
(٥) ساقطة من: (ط).
(٦) في (ب): الملائكة.
(٧) في (ب): وسنده.
(٨) في (ط): فإن العزة.
(٩) في (ب، ط): ما شاء.
(١٠) في (ط ١): عقوبات شرعية، وعقوبات قدرية. والمثبت من: (أ، ب).

وَهِيَ إِمَّا فِي الْقَلْبِ، وَإِمَّا فِي الْبَدَنِ، وَإِمَّا فِيهِمَا.

وَعُقُوبَاتٍ فِي دَارِ الْبَرْزَخِ بَعْدَ الْـمَوْتِ، وَعُقُوبَاتٍ يَوْمَ حَشْرِ الْأَجْسَادِ.

فَالذَّنْبُ لَا يَخْلُو مِنْ عُقُوبَةٍ أَلْبَتَّةَ، وَلَكِنْ لِجَهْلِ[1] الْعَبْدِ لَا يَشْعُرُ بِما[2] هو فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ، وَالْـمُخَدَّرِ[3]، وَالنَّائِمِ، الَّذِي لَا يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ وَصَحَا أَحَسَّ بِالْـمُؤْلِمِ.

فَتَرَتُّبُ الْعُقُوبَاتِ عَلَى الذُّنُوبِ كَتَرَتُّبِ الْإِحْرَاقِ عَلَى النَّارِ، وَالْكَسْرِ عَلَى الِانْكِسَارِ، وَالْغَرَقِ والإغراق عَلَى الْـمَاءِ، وَفَسَادِ الْبَدَنِ عَلَى السُّمُومِ، وَالْأَمْرَاضِ عَلَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لَهَا.

وَقَدْ تُقَارِنُ الْـمَضَرَّةُ للذَّنبَ[4]، وَقَدْ تَتَأَخَّرُ عَنْهُ، إِمَّا يَسِيرًا، وَإِمَّا مُدَّةً[5]، كَمَا يَتَأَخَّرُ الْـمَرَضُ عَنْ سَبَبِهِ أَو يُقَارِنُهُ، وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ الْغَلَطُ لِلْعَبْدِ فِي هَذَا الْـمَقَامِ، وَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَلَا يَرَى أَثَرَهُ عَقِيبَهُ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَهُ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا، كَمَا تَعْمَلُ السُّمُومُ وَالْأَشْيَاءُ الضَّارَّةُ، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، فَإِنْ تَدَارَكَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ[6] بِالْأَدْوِيَةِ، وَالِاسْتِفْرَاغِ، وَالْحِمْيَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ صَائِرٌ إِلَى الْهَلَاكِ.

هَـذَا إِذَا كَانَ ذَنْبًا وَاحِدًا لَمْ يَتَدَارَكْهُ بِمَا يُزِيلُ أَثَرَهُ، فَكَيْفَ بِالذَّنْبِ عَلَى الذَّنْبِ[7] كُلَّ يَوْمٍ، وَكُلَّ سَاعَةٍ؟ فَاللهُ[8] الْـمُسْتَعَانُ.

---

(١) في (ب): ولكن بعد الموت يجهل.
(٢) في (ب): لما.
(٣) في (ب): والمخدور.
(٤) في (ط): الذنب.
(٥) في (أ، ب): إما يسيرًا ومدة. والمثبت من: (ط).
(٦) زيادة من: (ب).
(٧) ساقطة من: (ط).
(٨) في (ط): والله.

فَصْلٌ

[فدونك](١)، فَاسْتَحْضِرْ بَعْضَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي رَتَّبَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الذُّنُوبِ، وَجَوَّزَ وُصُولَ بَعْضِهَا إِلَيْكَ، وَجَعَلَ(٢) ذَلِكَ دَاعِيًا لِلنَّفْسِ إِلَى هِجْرَانِهَا، وَأَنَا أَسُوقُ لك مِنْهَا طَرَفًا يَكْفِي الْعَاقِلَ، مَعَ التَّصْدِيقِ بِبَعْضِهِ.

فَمِنْهَا: الْخَتْمُ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، وَالْغِشَاوَةُ عَلَى الْأَبْصَارِ، وَالْأَقْفَالُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَجَعْلُ الْأَكِنَّةِ عَلَيْهَا، وَالرَّيْنُ عَلَيْهَا، وَالطَّبْعُ، وَتَقْلِيبُ الْأَفْئِدَةِ وَالْأَبْصَارِ، وَالْحَيْلُولَةُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَإِغْفَالُ الْقَلْبِ عَنْ ذِكْرِ الرَّبِّ، وَإِنْسَاءُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَتَرْكُ إِرَادَةِ اللهِ تَطْهِيرَ الْقَلْبِ، وَجَعْلُ الصَّدْرِ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ، وَصَرْفُ الْقُلُوبِ عَنِ الْحَقِّ، وَزِيَادَتُهَا مَرَضًا [عَلَى مَرَضِهَا](٣)، وَإِرْكَاسُهَا، وَنَكْسُهَا(٤)، بِحَيْثُ(٥) تَبْقَى مَنْكُوسَةً، كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: فَقَلْبٌ أَجْرَدُ، فِيهِ سِرَاجٌ يُزْهِرُ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ، [وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ](٦)، وَقَلْبٌ تَمُدُّهُ مَادَّتَانِ: مَادَّةُ إِيمَانٍ، وَمَادَّةُ نِفَاقٍ، وَهُوَ لِمَا غَلَبَ عَلَيْهِ مِنْهُمَا»(٧).

وَمِنْهَا: التَّثْبِيطُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَالْإِقْعَادُ عَنْهَا.

---

(١) زيادة من: (ب).

(٢) في (ط، ط ١): واجعل. والمثبت من: (أ، ب).

(٣) ساقط من: (أ).

(٤) في (ط): وإنكاسها.

(٥) في (أ): حيث.

(٦) ساقط من: (أ).

(٧) رواه ابن المبارك في «الزهد» [١٤٣٩]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٠٤٠٤]، وعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» [٨٢٠]، وابن بطة في «الإبانة» [٩٢٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٧٦)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (١/ ٢٦٠)، من طريق أبي البختري عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يثبت سماع أبي البختري من حذيفة.

وَمِنْهَا: جَعْلُ الْقَلْبِ أَصَمَّ لَا يَسْمَعُ الْحَقَّ، أَبْكَمَ لَا يَنْطِقُ بِهِ، أَعْمَى لَا يَرَاهُ، فَيَصِيرُ[(١)] النِّسْبَةُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَنْفَعُهُ غَيْرُهُ، كَالنِّسْبَةِ بَيْنَ أُذُنِ الْأَصَمِّ وَالْأَصْوَاتِ، وَعَيْنِ الْأَعْمَى وَالْأَلْوَانِ، وَلِسَانِ الْأَخْرَسِ وَالْكَلَامِ.

وَبِهَذَا يُعْلَمُ: أَنَّ الصَّمَمَ وَالْبَكَمَ والْعَمَى لِلْقَلْبِ بِالذَّاتِ، والْحَقِيقَةُ، وَلِلْجَوَارِحِ بِالْعَرَضِ وَالتَّبَعِيَّةِ، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ الْعَمَى الْعَمَى الْحِسِّيِّ عَنِ الْبَصَرِ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١].

وَقَالَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١ - ٢].

وَإِنَّمَا الْمُرَادُ: أَنَّ[(٢)] الْعَمَى التَّامَّ فِي الْحَقِيقَةِ: عَمَى الْقَلْبِ، حَتَّى إِنَّ عَمَى[(٣)] الْبَصَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَلَا عَمًى[(٤)]، حَتَّى إِنَّهُ يَصِحُّ نَفْيُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ[(٥)] ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرعَةِ، وَلَكِنَّ[(٦)] الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[(٧)].

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ**»[(٨)]، وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي جَعْلَ الْقَلْبِ أَعْمَى أَصَمَّ أَبْكَمَ.

وَمِنْهَا: الْخَسْفُ بِالْقَلْبِ، كَمَا يُخْسَفُ[(٩)] بِالْمَكَانِ وَمَا فِيهِ، فَيُخْسَفُ بِهِ إِلَى أَسْفَلِ

---

(١) في (ط): فتصير.
(٢) ساقطة من: (أ).
(٣) في (ب): أعمى.
(٤) في (أ، ب، ط): كالأعمى. والمثبت من: (ط ١).
(٥) ساقطة من: (أ، ب، ط ١).
(٦) في (ط): ولكنه.
(٧) البخاري [٦١١٤]، ومسلم [٢٦٠٩] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٨) البخاري [١٤٧٩]، ومسلم [١٠٣٩] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٩) في (أ): كالخسف.

سَافِلِينَ[١]، وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ، وَعَلَامَةُ الْخَسْفِ بِهِ[٢]: أَنْ لَا يَزَالَ جَوَّالًا[٣] حَوْلَ السُّفْلِيَّاتِ[٤] وَالْقَاذُورَاتِ وَالرَّذَائِلِ، كَمَا أَنَّ الْقَلْبَ الَّذِي رَفَعَهُ اللهُ وَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ لَا يَزَالُ جَوَّالًا حَوْلَ[٥] الْبِرِّ[٦]، وَالْخَيْرِ، وَمَعَالِي الْأُمُورِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالْأَخْلَاقِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ جَوَّالَةٌ، فَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ[٧]»[٨].

وَمِنْهَا: مَسْخُ الْقَلْبِ، فَيُمْسَخُ كَمَا تُمْسَخُ الصُّورَةُ، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبِ الْحَيَوَانِ الَّذِي شَابَهَهُ فِي أَخْلَاقِهِ وَأَعْمَالِهِ وَطَبِيعَتِهِ.

فَمِنَ الْقُلُوبِ مَا يُمْسَخُ عَلَى خُلُقِ خِنْزِيرٍ[٩]، لِشِدَّةِ شَبَهِ صَاحِبِهِ بِهِ[١٠].

وَمِنْهَا: مَا يُمْسَخُ عَلَى خُلُقِ كَلْبٍ، أَوْ حِمَارٍ، أَوْ حَيَّةٍ، أَوْ عَقْرَبٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذَا تَأْوِيلُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَلَى أَخْلَاقِ السِّبَاعِ الْعَادِيَةِ[١١]، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ عَلَى أَخْلَاقِ الْكِلَابِ، وَأَخْلَاقِ الْخَنَازِيرِ[١٢]، وَأَخْلَاقِ الْحَمِيرِ[١٣].

---

(١) في (ط): السافلين. (٢) ساقطة من: (أ). (٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ب): الأحوال السفليات. (٥) في (ب): جول.
(٦) في (ط): جوالًا حول العرش. ومنها: البر.. وهذا خطأ، ومشى على صاحب طبعة دار ابن الجوزي.
(٧) في (ط): العش!
(٨) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» ص: [٩٥] ومن طريق ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٧٤] عن أحمد بن خضرويه البلخي الزاهد.
(٩) في (ب): الخنازير. (١٠) في (ب): بها.
(١١) في (أ): المعادية. (١٢) في (أ، ط ١): الخنزير، والمثبت من: (ب، ط).
(١٣) في (أ، ط ١): الحمار، والمثبت من: (ب، ط).

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَتَطَوَّسُ فِي ثِيَابِهِ كَمَا يَتَطَوَّسُ الطَّاوُوسُ فِي رِيشِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ بَلِيدًا كَالْحِمَارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ كَالدِّيكِ، وَمِنْهُمْ مِنْ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ كَالْحَمَامِ، وَمِنْهُمُ الْحَقُودُ كَالْجَمَلِ، وَمِنْهُمُ الَّذِي[1] هُوَ خَيْرٌ كُلُّهُ كَالْغَنَمِ، ومنهم أشباه الذئابِ، وَمِنْهُمْ أَشْبَاهُ الثَّعَالِبِ الَّتِي تَرُوغُ كَرَوَغَانِهَا»[2].

وَقَدْ شَبَّهَ اللهُ تَعَالَىٰ أَهْلَ الجَهْلِ وَالْغَيِّ بِالْحُمُرِ تَارَةً[3]، وَبِالْكَلْبِ تَارَةً[4]، وَبِالْأَنْعَامِ تَارَةً[5]، وَتَقْوَى هَذِهِ الْمُشَابَهَةُ بَاطِنًا حَتَّى[6] تَظْهَرَ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ ظُهُورًا خَفِيفًا[7]، يَرَاهُ الْمُتَفَرِّسُونَ، وَتَظْهَرُ[8] فِي الْأَعْمَالِ ظُهُورًا يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَلَا يَزَالُ يَقْوَى حَتَّى يستتبع[9] الصُّورَةُ، فَتَنْقَلِبُ لَهُ الصُّورَةُ بِإِذْنِ اللهِ، وَهذا هُوَ[10] الْمَسْخُ التَّامُّ، فَيَقْلِبُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الصُّورَةَ الظَّاهِرَةَ عَلَى صُورَةِ ذَلِكَ[11] الْحَيَوَانِ، كَمَا فَعَلَ بِالْيَهُودِ وَأَشْبَاهِهِمْ، وَيَفْعَلُ بِقَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: يَمْسَخُهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ[12].

---

(١) في (ب): مَن.

(٢) عزاه القرطبي في «تفسيره» (٦/ ٤٢٠)، والشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ١١٤) لابن عيينة.

(٣) قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

(٤) قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

(٥) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَـٰٓئِكَ كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

(٦) في (ب): كما. (٧) في (ط): خفيًا. (٨) في (ب): تظهر.

(٩) في (ب): تستسبع، وفي (ط): تستشنع.

(١٠) في (أ، ط): وهو. (١١) ساقطة من: (ب).

(١٢) عن أبي عامرٍ أَوْ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ، وَالْحَرِيرَ، وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ بِسَارِحَةٍ**
=

فَسُبْحَانَ اللهِ! كَمْ مِنْ قَلْبٍ مَنْكُوسٍ وَصَاحِبُهُ لَا يَشْعُرُ! وَقَلْبٍ مَمْسُوخٍ! وَقَلْبٍ مَخْسُوفٍ بِهِ!

وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِسِتْرِ اللهِ عَلَيْهِ، وَمُسْتَدْرَجٍ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِ!

وَكُلُّ هَذِهِ عُقُوبَاتٌ وَإِهَانَةٌ[١] وَيَظُنُّ الجَاهِلُ أَنَّهَا كَرَامَةٌ.

وَمِنْهَا: مَكْرُ اللهِ بِالْمَاكِرِ، وَمُخَادَعَتُهُ لِلْمُخَادِعِ، وَاسْتِهْزَاؤُهُ بِالْمُسْتَهْزِئِ، وَإِزَاغَتُهُ لِقَلْبِ[٢] الزَّائِغِ عَنِ الْحَقِّ.

وَمِنْهَا: نَكْسُ الْقَلْبِ حَتَّى يَرَى الْبَاطِلَ حَقًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَيُفْسِدُ وَيَرَى أَنَّهُ يُصْلِحُ، وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ يَدْعُو إِلَيْهَا[٣].

وَيَشْتَرِي الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ عَلَى[٤] الْهُدَى، وَيَتَّبِعُ[٥] هَوَاهُ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ مُطِيعٌ لِمَوْلَاهُ؟

وَكُلُّ هَذَا مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْقُلُوبِ[٦].

وَمِنْهَا: حِجَابُ الْقَلْبِ عَنِ الرَّبِّ فِي الدُّنْيَا، وَالْحِجَابُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤ - ١٥]

= لَهُمْ يَأْتِيهِمْ يَعْنِي الْفَقِيرَ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً، وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري [٥٥٩٠].

(١) في (ط): وأهانات.
(٢) في (ط): القلب.
(٣) في (ب): إليه.
(٤) ساقطة من: (أ).
(٥) في (ب): فيتبع.
(٦) في (ب، ط): القلب.

فَمَنعَتْهُمُ الذُّنُوبُ أَنْ يَقطَعُوا الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ، فَيَصِلُوا إِلَيْهَا، فَيَرَوْا مَا يُصْلِحُهَا وَيُزَكِّيهَا، وَمَا يُفسِدُهَا وَيُشْقِيهَا، وَأَنْ يَقْطَعُوا الْمَسَافَةَ الَّتِي[١] بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ، فَتَصِلَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ، فَتَفُوزَ[٢] بِقُرْبِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَتَقَرَّ بِهِ عَيْنًا، وَتَطِيبَ بِهِ نَفْسًا، بَلْ كَانَتِ الذُّنُوبُ حِجَابًا [بَيْنَهُم وبَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَحِجَابًا][٣] بَيْنَهُمْ وبَيْنَ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

وَمِنْهَا: الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْبَرْزَخِ، وَالْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وَفُسِّرَتِ الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ: بِعَذَابِ الْقَبْرِ[٤]، وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ مِنَ الْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ، وَالْآيَةُ تَتَنَاوَلُ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَتْ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، فَإِنَّ عُمُومَهَا مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ رَتَّبَ الْمَعِيشَةَ [الضَّنْكَ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِهِ.

فَالْمُعْرِضُ عَنْهُ لَهُ مِنْ ضَنْكِ الْمَعِيشَةِ][٥] بِحَسَبِ إِعْرَاضِهِ، وَإِنْ تَنَعَّمَ فِي الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ النَّعِيمِ[٦]، فَفِي قَلْبِهِ - مِنَ الْوَحْشَةِ وَالذُّلِّ وَالْحَسَرَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ الْقُلُوبَ، وَالْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ، وَالْعَذَابِ الْحَاضِرِ - مَا فِيهِ، وَإِنَّمَا يُوَارِيهِ عَنْهُ سُكْرُ[٧] الشَّهَوَاتِ، وَالْعِشْقِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، إِنْ[٨] لَمْ يَنْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ سُكْرُ الْخَمْرِ.

---

(١) زيادة من: (ب).

(٢) في (ب): فيفوز.

(٣) ساقط من: (ب).

(٤) وقد ثبت هذا عن النبي ﷺ، وعن ابن مسعود، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري موقوفًا. انظر: «تفسير ابن جرير» (١٦/ ٢٢٧)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ١٧٠)، و«الدر المنثور» (٥/ ٦٠٧)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٢، ٣٥٦١).

(٥) ساقط من: (ب).

(٦) في (ط): النعم.

(٧) في (ط): سكرات، وفي ب: وإنما تواريه من سكرات.

(٨) في (ب، ط): وإن.

فَسُكْرُ هَذِهِ الْأُمُورِ أَعْظَمُ مِنْ سُكْرِ الْخَمْرِ، فَإِنَّهُ يَفِيقُ صَاحِبُهُ وَيَصْحُو، وَسُكْرُ الْهَوَى، وَحُبِّ الدُّنْيَا، لَا يَصْحُو[١] صَاحِبُهُ إِلَّا إِذَا صَارَ فِي عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ[٢].

فَالْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ: لَازِمَةٌ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، فِي دُنْيَاهُ، وَفِي الْبَرْزَخِ، وَيَوْمَ مَعَادِهِ[٣].

وَلَا تَقَرُّ الْعَيْنُ، وَلَا يَهْدَأُ[٤] الْقَلْبُ، وَلَا تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ إِلَّا بِإِلَهِهَا وَمَعْبُودِهَا الَّذِي هُوَ حَقٌّ، وَكُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ بَاطِلٌ.

فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللهِ تَقَطَّعَتْ[٥] نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ، وَاللهُ تَعَالَىٰ إِنَّمَا جَعَلَ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَمِلَ صَالِحًا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النَّحل: ٩٧].

فَضَمِنَ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْجَزَاءَ فِي الدُّنْيَا بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، وَبِالْحُسْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَهُمْ أَطْيَبُ الْحَيَاتَيْنِ، فَهُمْ أَحْيَاءٌ فِي الدَّارَيْنِ.

[وَنَظِيرُ هَذَا[٦] قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النَّحل: ٣٠]][٧].

وَنَظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

---

(١) في (ب): لا يفيق.
(٢) في (ط): إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات.
(٣) في (ب): في دنياه والبرزخ وفي معاده.
(٤) في (ب): ولا يهتدي.
(٥) في (ب): انقطعت.
(٦) ساقطة من: (أ).
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

فَفَازَ الْمُتَّقُونَ الْمُحْسِنُونَ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَحَصَلُوا عَلَى الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ فِي الدَّارَيْنِ، فَإِنَّ طِيبَ النَّفْسِ، وَسُرُورَ الْقَلْبِ، وَفَرَحَهُ، وَلَذَّتَهُ، وَابْتِهَاجَهُ، وَطُمَأْنِينَتَهُ، وَانْشِرَاحَهُ، وَنُورَهُ، وَسَعَتَهُ، وَعَافِيَتَهُ مِنَ[1] الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ: هُوَ النَّعِيمُ عَلَى[2] الْحَقِيقَةِ، وَلَا نِسْبَةَ لِنَعِيمِ الْبَدَنِ إِلَيْهِ.

فَقَدْ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مَنْ ذَاقَ هَذِهِ اللَّذَّةَ[3]: «لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ».

وَقَالَ آخَرُ: «إِنَّهُ[4] لَيَمُرُّ[5] بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا، إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ».

وَقَالَ آخَرُ: «إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً هِيَ فِي الدُّنْيَا كَالْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ دَخَلَهَا دَخَلَ تِلْكَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ».

وَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذِهِ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ: «**إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ**»[6].

---

(١) في (ط): من ترك.
(٢) سقطة من: (أ).
(٣) سبق للعلامة ابن القيم أن أورد هذه الأقوال.
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (أ): لتمر، وفي (ب): يمر..
(٦) حسن لغيره: رواه الإمام أحمد (٣/ ١٥٠)، والترمذي [٣٥١٠]، وفي «العلل الكبير» [٥٨٤]، والبزار [٦٩٠٧]، وأبو يعلى [٣٤٣٢]، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٣٦)، وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٥٢)، والبيهقي في «الشعب» [٥٢٩]، وابن عساكر في «تاريخه» (١٠/ ٣٨٦) وغيرهم من طريق محمد بن ثابت البناني عن أبيه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وإسناده ضعيف فيه محمد بن ثابت، وليس ضعفه شديدًا، ولم يتفرد به، فقد تابعه: زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري - وهما ضعيفان - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه البزار [٦٥٠٠]، والطبراني في «الدعاء» [١٨٩٠]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٦٨)، وتابعه: النعمان بن عبد الله - وهو مجهول - عن أبي ظلال هلال بن ميمون - وهو ضعيف - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه ابن شاهين في «الترغيب» في «فضائل الأعمال» [١٦٢]. وله =

وَقَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي[(١)] وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»[(٢)].

وَلَا تَظُنَّ[(٣)] أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]. مُخْتَصٌّ بِيَوْمِ الْمَعَادِ فَقَطْ، بَلْ هَؤُلَاءِ فِي نَعِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ، وَهَؤُلَاءِ فِي جَحِيمٍ فِي دُورِهِمُ الثَّلَاثَةِ.

وَأَيُّ لَذَّةٍ وَنَعِيمٍ فِي الدُّنْيَا أَطْيَبُ مِنْ بِرِّ[(٤)] الْقَلْبِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَمَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[(٥)] وَمَحَبَّتِهِ، وَالْعَمَلِ[(٦)] عَلَى مُوَافَقَتِهِ؟

وَهَلِ الْعَيْشُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا عَيْشُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ؟

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَلَامَةِ قَلْبِهِ، فَقَالَ[(٧)]: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٤].

[وَقَالَ حَاكِيًا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]][(٨)].

وَالْقَلْبُ السَّلِيمُ: هُوَ[(٩)] الَّذِي سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْغِلِّ، وَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالشُّحِّ، وَالْكِبْرِ[(١٠)]، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، فَسَلِمَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ تُبْعِدُهُ مِنَ اللهِ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ

= شواهد من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر رضي الله عنهم. والحديث حسن لغيره كما ذهب إليه الشيخ الألباني في «الصحيحة» [٢٥٦٢]).

(١) في (أ): قبري، وهو خطأ.

(٢) البخاري [١١٩٥]، ومسلم [١٣٩٠] من حديث عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه.

(٣) في (ب): ولا يظن.

(٤) في (ب): برد.

(٥) في (ط١): الرب تعالى.

(٦) في (أ): فالعمل.

(٧) في (ب): قال.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٩) ساقطة من: (أ).

(١٠) في (أ): الكفر.

تُعَارِضُ خَبَرَهُ، [وَمِنْ كُلِّ شَهْوَةٍ تُعَارِضُ أَمْرَهُ][١]، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ إِرَادَةٍ تُزَاحِمُ مُرَادَهُ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُ عَنِ اللهِ، فَهَذَا الْقَلْبُ السَّلِيمُ فِي جَنَّةٍ مُعَجَّلَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَفِي جَنَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ[٢]، وَفِي الجَنَّةِ[٣] يَوْمَ الْمَعَادِ.

وَلَا تَتِمُّ لَهُ سَلَامَتُهُ مُطْلَقًا حَتَّى يَسْلَمَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ شِرْكٍ يُنَاقِضُ[٤] التَّوْحِيدَ، وَبِدْعَةٍ تُخَالِفُ السُّنَّةَ، وَشَهْوَةٍ تُخَالِفُ الْأَمْرَ، وَغَفْلَةٍ تُنَاقِضُ الذِّكْرَ، وَهَوًى يُنَاقِضُ التَّجْرِيدَ وَالْإِخْلَاصَ.

وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ حُجُبٌ عَنِ اللهِ، وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ، تَتَضَمَّنُ أَفْرَادًا لَا تَنْحَصِرُ[٥].

وَلِذَلِكَ اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْعَبْدِ بَلْ ضَرُورَتُهُ، إِلَى أَنْ يَسْأَلَ اللهَ أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَلَيْسَ العبدُ أَحْوَجَ مِنْهُ إِلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لَهُ مِنْهَا.

فَإِنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ يَتَضَمَّنُ: عُلُومًا، وَإِرَادَاتٍ، وَأَعْمَالًا، وَتُرُوكًا[٦] ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، تَجْرِي عَلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ.

فَتَفَاصِيلُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ قَدْ يَعْلَمُهَا الْعَبْدُ، وَقَدْ لَا يَعْلَمُهَا، وَقَدْ يَكُونُ مَا لَا يَعْلَمُهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُهُ، [وَمَا يَعْلَمُهُ][٧] قَدْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَقَدْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ من الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ.

وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ قَدْ تُرِيدُهُ نَفْسُهُ وَقَدْ لَا تُرِيدُهُ كَسَلًا وَتَهَاوُنًا، أَوْ[٨] لِقِيَامِ مَانِعٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٢) في (أ): وفي جنة البرزخ.
(٣) في (ط): جنة.
(٤) في (ب): يناقض فيه.
(٥) في (ب): أفرادًا لأشخاص.
(٦) في (ب): وتروحات.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (أ): و.

وَمَا تُرِيدُهُ قَدْ يَفْعَلُهُ، وَقَدْ لَا يَفْعَلُهُ، وَمَا يَفْعَلُهُ قَدْ يَقُومُ فِيهِ[١] بِشُرُوطِ الْإِخْلَاصِ، وَقَدْ لَا يَقُومُ، [وَمَا يَقُومُ فِيهِ بِشُرُوطِ الْإِخْلَاصِ قَدْ يَقُومُ][٢] فِيهِ بِكَمَالِ الْمُتَابَعَةِ، وَقَدْ لَا يَقُومُ[٣]، وَمَا يَقُومُ فِيهِ بِالْمُتَابَعَةِ قَدْ يَثْبُتُ[٤] عَلَيْهِ، وَقَدْ يُصْرَفُ قَلْبُهُ عَنْهُ[٥].

وَهَذَا كُلُّهُ وَاقِعٌ سَارٍ فِي الْخَلْقِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ.

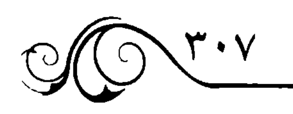
وَلَيْسَ فِي طِبَاعِ الْعَبْدِ الْهِدَايَةُ إِلَى ذَلِكَ، بَلْ مَتَى وُكِلَ إِلَى طِبَاعِهِ[٦] حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ[٧]، وَهَذَا هُوَ الْإِرْكَاسُ الَّذِي أَرْكَسَ اللهُ بِهِ الْمُنَافِقِينَ بِذُنُوبِهِمْ، فَأَعَادَهُمْ إِلَى طِبَاعِهِمْ وَمَا خُلِقَتْ[٨] عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ.

وَالرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَنَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[٩] [بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَجَعْلِهِ[١٠] الْهِدَايَةَ؛ حَيْثُ يُصْلِحُ[١١] مَنْ شَاءَ[١٢]، وَيَصْرِفُ مَنْ يَشَاءُ عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ[١٣]][١٤] بِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، لِعَدَمِ صَلَاحِيَةِ الْمَحَلِّ، وَذَلِكَ مُوجِبُ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ[١٥] مُسْتَقِيمٍ[١٦].

---

(١) ساقطة من: (أ)، وفي (ب): وما تفعله قد تقوم فيه.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٣) في (ب): وقد لا تقوم.
(٤) في (أ): قد ثبت، (ب): وقد تثبت
(٥) في (أ): وقد يضرب قلبه عنه، وفي (ب): وقد تصرف قبله عنه.
(٦) في (أ): طاعته، (ب): طاعة.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (ب): جبلت.
(٩) في (ط ١): صراطه المستقيم.
(١٠) معطوفة على «قضائه» اي: وفي جعله...
(١١) في (ط، ط١): تصلح.
(١٢) «مَنْ شَاءَ» زيادة من: (أ).
(١٣) ساقطة من: (أ).
(١٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(١٥) في (أ): صراطه.
(١٦) في (ط): وَذَلِكَ مُوجِبُ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوصِلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.



وَنَصَبَ لِعِبَادِهِ مِنْ أَمْرِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا[١] دَعَاهُمْ[٢] جَمِيعًا إِلَيْهِ حُجَّةً مِنْهُ وَعَدْلًا، وَهَدَى مَنْ شَاءَ[٣] مِنْهُمْ إِلَى سُلُوكِهِ نِعْمَةً مِنْهُ وَفَضْلًا.

وَلَمْ يَخْرُجْ بِهَذَا الْعَدْلِ وَهَذَا الْفَضْلِ[٤] عَنْ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ.

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ لِقَائِهِ[٥] نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، ثُمَّ صَرَفَ عَنْهُ مَنْ صَرَفَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ أَقَامَهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا.

وَجَعَلَ نُورَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَبِرَسُولِهِ[٦]، وَمَا جَاءَ بِهِ، الذِي كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا: نُورًا ظَاهِرًا، يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، فِي ظُلْمَةِ الْجِسْرِ[٧]، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ نُورَهُمْ حَتَّى قَطَعُوهُ، كَمَا حَفِظَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ به حَتَّى لَقُوهُ.

وَأَطْفَأَ نُورَ الْمُنَافِقِينَ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ، كَمَا أَطْفَأَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَأَقَامَ أَعْمَالَ الْعُصَاةِ بِجَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبَ وَحَسَكًا تَخْطِفُهُمْ[٨]، [كَمَا خَطَفَتْهُمْ][٩] فِي الدُّنْيَا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ قُوَّةَ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتَهُمْ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتِهِمْ إليهِ فِي الدُّنْيَا[١٠].

---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (ب): ودعاهم.

(٣) في (ب): يشأ.

(٤) في (ب): القضا.

(٥) في (أ): القيامة.

(٦) في (ط): رسوله.

(٧) في (أ، ب): الحشر.

(٨) في (ب): يخطفهم.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(١٠) انظر: ما سبق (ص/).

وَنَصَبَ لِلْمُؤْمِنِينَ حَوْضًا(١) يَشْرَبُونَ مِنْهُ بِإِزَاءِ شُرْبِهِمْ مِنْ شَرْعِهِ فِي الدُّنْيَا، وَحَرَمَ مِنَ الشُّرْبِ مِنْهُ(٢) هُنَاكَ مَنْ حُرِمَهُ(٣) مِنَ الشُّرْبِ مِنْ شَرْعِهِ وَدِينِهِ هَاهُنَا(٤).

فَانظُرْ إِلَى الْآخِرَةِ كَأَنَّهَا رَأْيُ عَيْنٍ، وَتَأَمَّلْ حِكْمَةَ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي الدَّارَيْنِ، تَعْلَمْ حِينَئِذٍ عِلْمًا يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَعُنْوَانُهَا، وَأُنْمُوذَجُهَا، وَأَنَّ مَنَازِلَ النَّاسِ فِيهَا فِي(٥) السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ عَلَى حَسَبِ مَنَازِلِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فِي الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَضِدِّهِمَا. وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

فَمِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: الْخُرُوجُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



---

(١) ساقطة من: (أ).

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) في (ط): حرم.

(٤) الأحاديث الواردة في إثبات حوض النبي ﷺ متواترة، منها حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**» رواه البخاري [٦٥٧٦]، ومسلم [٢٢٩٧].

(٥) في (ط): من.

فَصْلٌ

وَلَمَّا كَانَتِ الذُّنُوبُ مُتَفَاوِتَةً فِي دَرَجَاتِهَا وَمَفَاسِدِهَا تَفَاوَتَتْ عُقُوبَاتُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بِحَسَبِ تَفَاوُتِهَا.

وَنَحْنُ[(١)] نَذْكُرُ فِيهَا بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ[(٢)] فَصْلًا وَجِيزًا جَامِعًا، فَنَقُولُ:

أَصْلُهَا نَوْعَانِ: تَرْكُ مَأْمُورٍ، وَفِعْلُ مَحْظُورٍ.

وَهُمَا الذَّنْبَانِ اللَّذَانِ ابْتَلَى اللهُ سُبْحَانَهُ بِهِمَا أَبَوَيِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

وَكِلَاهُمَا يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ مَحَلِّهِ: إِلَى ظَاهِرٍ عَلَى[(٣)] الْجَوَارِحِ، وَبَاطِنٍ فِي الْقَلْبِ[(٤)].

وَبِاعْتِبَارِ مُتَعَلَّقِهِ إِلَى حَقٍّ للهِ[(٥)] تَعَالَى، وَحَقٍّ لِخَلْقِهِ[(٦)].

وَإِنْ كَانَ كُلُّ حَقٍّ لِخَلْقِهِ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِحَقِّهِ، لَكِنْ سُمِّيَ حَقًّا لِلْخَلْقِ[(٧)] لِأَنَّهُ يَجِبُ بِمُطَالَبَتِهِمْ، وَيَسْقُطُ بِإِسْقَاطِهِمْ.

ثُمَّ هَذِهِ الذُّنُوبُ تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ: مَلَكِيَّةٍ، وَشَيْطَانِيَّةٍ، وَسَبُعِيَّةٍ، وَبَهِيمِيَّةٍ، وَلَا تَخْرُجُ[(٨)] عَنْ ذَلِكَ.

فَالذُّنُوبُ الْمَلَكِيَّةُ: أَنْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ[(٩)] الرُّبُوبِيَّةِ؛ كَالْعَظَمَةِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْجَبَرُوتِ، وَالْقَهْرِ، وَالْعُلُوِّ، وَاسْتِعْبَادِ الْخَلْقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

---

(١) في (أ): قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ونحن..
(٢) في (ط): وحسن توفيقه.
(٣) في (ب): عن.
(٤) في (ط): القلوب.
(٥) ساقطة من: (أ)، وفي (ط): حق الله.
(٦) في (أ): الخلق.
(٧) في (ب): للحق.
(٨) في (أ): لا تخرج، وفي (ب): ولا يخرج.
(٩) في (ب): الصفات.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا[1]: الشِّرْكُ بِالربِّ[2] تَعَالَىٰ، وَهُوَ نَوْعَانِ:

❁ شِرْكٌ بِهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَجَعْلُ آلِهَةٍ أُخْرَى مَعَهُ.

❁ وَشِرْكٌ بِهِ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَهَذَا الثَّانِي قَدْ لَا يُوجِبُ دُخُولَ النَّارِ، وَإِنْ أَحْبَطَ الْعَمَلَ الَّذِي أَشْرَكَ فِيهِ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ.

وَهَذَا الْقِسْمُ أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الذُّنُوبِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْقَوْلُ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ.

فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ نَازَعَ اللهَ سُبْحَانَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَمُلْكِهِ، وَجَعَلَ لَهُ نِدًّا، وَهَذَا أَعْظَمُ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ عَمَلٌ.



(١) في (ب): ذلك.

(٢) في (ط): الشرك بالله.



فَصْلٌ

وَأَمَّا الشَّيْطَانِيَّةُ: فَالتَّشَبُّهُ بِالشَّيْطَانِ فِي الْحَسَدِ، وَالْبَغْيِ، وَالْغِشِّ، وَالْغِلِّ، وَالْخِدَاعِ، وَالْمَكْرِ، وَالْأَمْرِ بِمَعَاصِي اللهِ وَتَحْسِينِهَا، وَالنَّهْيِ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَهْجِينِهَا، وَالِابْتِدَاعِ فِي دِينِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ.

وَهَذَا النَّوْعُ يَلِي النَّوْعَ الْأَوَّلَ فِي الْـمَفْسَدَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَتُهُ دُونَهُ.

فَصْلٌ

وَأَمَّا السَّبُعِيَّةُ: فَذُنُوبُ الْعُدْوَانِ، وَالْغَضَبِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَالْعَاجِزِينَ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا أَنْوَاعُ أَذَى النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ، وَالْجُرْأَةِ عَلَى الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَأَمَّا الذُّنُوبُ الْبَهِيمِيَّةُ: فَمِثْلُ الشَّرَهِ وَالْحِرْصِ عَلَى قَضَاءِ شَهْوَةِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ، وَمِنْهَا يَتَوَلَّدُ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةُ، وَأَكْلُ أَمْوَالِ الْيَتَامَى، وَالْبُخْلُ، وَالشُّحُّ، وَالْجُبْنُ، وَالْهَلَعُ، والْجَزَعُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَهَذَا الْقِسْمُ أَكْثَرُ ذُنُوبِ الْخَلْقِ، لِعَجْزِهِمْ عَنِ الذُّنُوبِ السَّبُعِيَّةِ وَالْـمَلَكِيَّةِ، وَمِنْهُ يَدْخُلُونَ إِلَى سَائِرِ الْأَقْسَامِ، فَهُوَ يَجُرُّهُمْ إِلَيْهَا بِالزِّمَامِ، فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ إِلَى الذُّنُوبِ السَّبُعِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى الشَّيْطَانِيَّةِ، ثُمَّ إِلَى مُنَازَعَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالشِّرْكِ فِي الْوَحْدَانِيَّةِ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا حَقَّ التَّأَمُّلِ، تَبَيَّنَ لَهُ: أَنَّ الذُّنُوبَ دِهْلِيزُ الشِّرْكِ، وَالْكُفْرِ، وَمُنَازَعَةِ اللهِ رُبُوبِيَّتَهُ.

❁❁❁

فَصْلٌ

وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ وَالأَئِمَّةِ: عَلَى أَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ كَبَائِرَ وَصَغَائِرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»[١].

وَهَذِهِ الأَعْمَالُ الْمُكَفِّرَةُ لَهَا ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

إِحْدَاهَا- أَنْ تَقْصُرَ عَنْ تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ لِضَعْفِهَا، وَضَعْفِ الإِخْلَاصِ فِيهَا، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا، بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ الضَّعِيفِ الَّذِي يَنْقُصُ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدَّاءِ كَمِّيَّةً وَكَيْفِيَّةً.

الثَّانِيَةُ- أَنْ تُقَاوِمَ الصَّغَائِرَ، وَلَا تَرْتَقِيَ[٢] إِلَى تَكْفِيرِ شَيْءٍ مِنَ الْكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ- أَنْ تَقْوَى[٣] عَلَى تَكْفِيرِ الصَّغَائِرِ، وَتَبْقَى فِيهَا قُوَّةٌ تُكَفَّرُ بِهَا بَعْضُ الْكَبَائِرِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا فَإِنَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ إِشْكَالَاتٍ كَثِيرَةً.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ: [أَنَّهُ قَالَ][٤]: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى، يارسول الله. قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»[٥].

---

(١) مسلم [٢٣٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (أ): ولا يرتقي.

(٣) في (أ): أن يقوى.

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) البخاري [٢٦٥٤]، ومسلم [٨٧] من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ(١)، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(٢).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْهُ ﷺ: أَنَّهُ سُئِلَ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟» قَالَ: «أَنْ تدعُوَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ تَصْدِيقَهَا:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨](٣).

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْكَبَائِرِ: هَلْ لَهَا عَدَدٌ يَحْصُرُهَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ.

ثُمَّ الَّذِينَ قَالُوا بِحَصْرِهَا اخْتَلَفُوا فِي عَدَدِهَا:

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ أَرْبَعٌ(٤).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: هِيَ سَبْعٌ(٥).

---

(١) في (أ، ط): الإشراك بالله.

(٢) البخاري [٢٧٦٦]، ومسلم [٨٩] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه ابن جرير في «تفسيره» ج: (٥/ ٤٠) من طرق وهو صحيح.

(٥) ذكره البرديجي في «الكبائر» ص: [٩٠] عن ابن عمر م مرفوعًا، وموقوفًا. وثبت عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه عدها تسعا كما سيأتي، وقد ورد عدُّ الكبائر سبعٌ عن: عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٠٧)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٧) وغيرهما وسنده صحيح، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، رواه إسحاق في مسنده - كما في «المطالب العالية» (١٤/ ٥٦٥) رقم: [٣٥٦٦] - وسنده صحيح، وعبيد بن عمير، وعطاء. انظر: «تفسير ابن جرير» (٥/ ٣٧ - ٣٨)، و«تهذيب الآثار» - =

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: هِيَ تِسْعَةٌ(١).

وَقَالَ غَيْرُهُ: هِيَ أَحْدَ عَشَرَ(٢)، وَقَالَ آخَرُ: هِيَ سَبْعُونَ(٣).

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ: «جَمَعْتُهَا مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَوَجَدْتُهَا:

❁ أَرْبَعَةً فِي الْقَلْبِ، وَهِيَ: الشِّرْكُ(٤)، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ.

❁ وَأَرْبَعَةٌ فِي اللِّسَانِ، وَهِيَ: شَهَادَةُ الزُّورِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ، وَالسِّحْرُ.

❁ وَثَلَاثٌ فِي الْبَطْنِ: شُرْبُ الْخَمْرِ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا.

❁ وَاثْنَانِ فِي الْفَرْجِ، وَهُمَا: الزِّنَا، وَاللِّوَاطَةُ(٥).

= مسند علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ١٩٤) رقم: [٣١٦]، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٩٣٢) رقم: [٥٢٠٣]، وهو صحيح عنهما.

(١) الذي وجدته عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عدها سبعًا كما سبق، وأما عدها تسعًا فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» - كما في «المطالب» رقم: [٣٥٦٧] -، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم: [٨]، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٣٩)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» رقم: [١٩٢٥] عن ابن عمر موقوفا وإسناده صحيح. ورواه علي بن الجعد في «مسنده» ص: [٤٧٧] رقم: [٣٣٠٣]، والبيهقي (٣/ ٤٠٩)، والخطيب في «الكفاية» ص: [١٠٣]، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٦٩) عن ابن عمر مرفوعا، وفيه أيوب بن عتبة: ضعيف، وقد اضطرب فيه فرواه - مرة - مرفوعا كما سبق، ومرة موقوفا كما عند ابن جرير (٥/ ٣٩).

(٢) في (ط): إحدى عشرة. وقد ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢/ ٦٦) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) وهو مشهور عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. رواه معمر في «جامعه» رقم: [١٩٧٠٢]، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٥٥)، وابن جرير (٥/ ٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» رقم: [٢٩٤] بسند صحيح.

(٤) في (ط): الشرك بالله.

(٥) في (ط): واللواط.

❁ وَاثْنَانِ فِي الْيَدَيْنِ، وَهُمَا: الْقَتْلُ، وَالسَّرِقَةُ.

❁ وَوَاحِدٌ فِي الرِّجْلَيْنِ، وَهُوَ: الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ.

❁ وَوَاحِدٌ يَتَعَلَّقُ بِجَمِيعِ الْجَسَدِ، وَهُوَ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»(١).

وَالَّذِينَ لَمْ يَحْصُرُوهَا بِعَدَدٍ، مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: «[كُلُّ مَا](٢) نَهَى اللهُ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ كَبِيرَةٌ(٣)، وَمَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ فَهُوَ صَغِيرَةٌ(٤)»(٥).

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: «مَا اقْتَرَنَ بِالنَّهْيِ عَنْهُ وَعِيدٌ مِنْ لَعْنٍ، أَوْ غَضَبٍ، أَوْ عُقُوبَةٍ: فَهُوَ كَبِيرَةٌ، وَمَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ: فَهُوَ صَغِيرَةٌ»(٦).

وَقِيلَ: «كُلُّ مَا رُتِّبَ(٧) عَلَيْهِ حَدٌّ فِي الدُّنْيَا أَوْ وَعِيدٌ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ كَبِيرَةٌ، وَمَا لَمْ يُرَتَّبْ عَلَيْهِ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، فَهُوَ صَغِيرَةٌ»(٨).

وَقِيلَ: «كُلُّ مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ عَلَى تَحْرِيمِهِ فَهُوَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَمَا كَانَ تَحْرِيمُهُ فِي شَرِيعَةٍ دُونَ شَرِيعَةٍ فَهُوَ صَغِيرَةٌ»(٩).

وَقِيلَ: «كُلُّ مَا لَعَنَ اللهُ أَوْ رَسُولُهُ فَاعِلَهُ فَهُوَ كَبِيرَةٌ»(١٠).

---

(١) «القلوب» (٢/ ٢٨٨).
(٢) ساقط من: (أ).
(٣) في (أ): كبير.
(٤) في (أ): صغير.
(٥) ذكره ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٤٠) عن ابن عباس م وسنده منقطع. ولكن الرواية بذكر ما نهى الله عنه، ولم يذكر أن ما نهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة، فهذا لا يصح رواية ولا دراية.
(٦) رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما. كما في «تفسير ابن جرير» (٥/ ٤١).
(٧) في (أ): رتب الله، وفي (ط): يرتب.
(٨) نقله الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤١٠) عن الإمام أحمد، والماوردي.
(٩) لم أقف على قائل له، وهو كلام باطل ظاهر البطلان، لمصادمته الأدلة، فسجود التحيَّة كان مشروعًا في بعض الشرائع السابقة، وفي شريعتنا هو من أكبر الكبائر.
(١٠) هذا القول جزء من القول الذي سبق ذكره قريبًا وهو: ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعنٍ أو غضب...

وَقِيلَ: «كُلُّ مَا ذُكِرَ[(١)] مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ النِّسَاءِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]»[(٢)].

وَالَّذِينَ لَمْ يُقَسِّمُوهَا إِلَى كَبَائِرَ وَصَغَائِرَ[(٣)]، قَالُوا: الذُّنُوبُ كُلُّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجُرَاءَةِ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَمَعْصِيَتِهِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ: كَبَائِرُ، فَالنَّظَرُ إِلَى مَنْ عُصِيَ أَمْرُهُ وَانْتُهِكَتْ[(٤)] مَحَارِمُهُ، يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الذُّنُوبُ كُلُّهَا كَبَائِرَ، وَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ فِي هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ.

قَالُوا: وَيُوَضِّحُ هَذَا: أَنَّ اللهِ سُبْحَانَهُ لَا تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِهَا، فَلَا يَكُونُ بَعْضُهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَكْبَرَ مِنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُجَرَّدُ مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ ذَنْبٍ وَذَنْبٍ[(٥)].

قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَيْهِ: أَنَّ مَفْسَدَةَ الذُّنُوبِ إِنَّمَا هِيَ تَابِعَةٌ لِلْجُرَاءَةِ، وَالتَّوَثُّبِ عَلَى حَقِّ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلِهَذَا لَوْ شَرِبَ رَجُلٌ خَمْرًا، أَوْ وَطِئَ فَرْجًا حَرَامًا، وَهُوَ لَا يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ؛ لَكَانَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْجَهْلِ وَبَيْنَ مَفْسَدَةِ ارْتِكَابِ الْحَرَامِ، وَلَوْ فَعَلَ ذَلِكَ مَنْ يَعْتَقِدُ تَحْرِيمَهُ،

---

(١) في (ط١): وقيل: هي ما ذكر.

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٥/ ٣٧) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) وهو قول الخوارج، والمعتزلة، وبعض الأشاعرة كأبي إسحاق الإسفراييني والباقلاني والقاضي عياض والجويني، فهو قول بدعي، مصادم للكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح.

(٤) في (ط): وانتهك.

(٥) وهذا التعليل من هؤلاء المتكلمين: مبني على نفي صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، وهو خلاف معتقد السلف الصالح، فالله يحب أن يطاع، ويرضى عمن أطاعه، ويكره ويبغض المعصية، ويغضب على من عصاه، فكلما كبر الذنب وقبح، واقترب من منازعة الرب في شيء من خصائصه، أو ما يوصل إلى هذا الأمر كان أكبر وأعظم، وإيجابه لغضب الرب وعقوبته أعظم، فكبر الذنوب يصح أن يعلق بمقدار جناية العبد في انتهاك حرمات الله، وما يكون أشد إغضابًا للرب عَزَّوَجَلَّ.

لَكَانَ آتِيًا بِإِحْدَى الْمَفْسَدَتَيْنِ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ دُونَ الْأَوَّلِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَفْسَدَةَ الذَّنْبِ تَابِعَةٌ لِلْجَرَاءَةِ وَالتَّوَثُّبِ(١).

قَالُوا: وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِهَانَةَ بِأَمْرِ الْمُطَاعِ وَنَهْيِهِ، وَانْتِهَاكَ حُرْمَتِهِ، وَهَذَا لَا فَرْقَ فِيهِ بَيْنَ ذَنْبٍ وَذَنْبٍ(٢).

قَالُوا: فَلَا يَنْظُرُ الْعَبْدُ إِلَى كِبَرِ الذَّنْبِ وَصِغَرِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قَدْرِ مَنْ عَصَاهُ وَعَظَمَتِهِ، وَانْتِهَاكِ حُرْمَتِهِ بِالْمَعْصِيَةِ، وَهَذَا لَا يَفْتَرِقُ فِيهِ الْحَالُ بَيْنَ مَعْصِيَةٍ وَمَعْصِيَةٍ.

فَإِنَّ مَلِكًا مُطَاعًا عَظِيمًا لَوْ أَمَرَ أَحَدَ مَمْلُوكَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ فِي مُهِمٍّ لَهُ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ، وَأَمَرَ آخَرَ أَنْ يَذْهَبَ فِي شُغْلٍ لَهُ إِلَى جَانِبِ الدَّارِ، فَعَصَيَاهُ وَخَالَفَا أَمْرَهُ، لَكَانَا فِي مَقْتِهِ وَالسُّقُوطِ مِنْ عَيْنِهِ سَوَاءً(٣).

---

(١) وهذا من هؤلاء المتكلمين تحريف وتضليل، لأن الذي لا يعلم بالتحريم عنده مانع يمنع من العقوبة، وهذا المانع وهو الجهل قد يعذر به إن لم يصله العلم لكونه نشأ في بادية بعيدة، أو حديث عهد بإسلام، أما من استطاع العلم، ويعيش بين ظهراني المسلمين الذين يعلمون حرمة الخمر والزنا، فلا يقبل منه دعوى الجهل، بل يعاقب. وعلى كلٍّ فالجراءة والتوثب وتقحم الذنب والمعصية من الأمور الخطيرة، لكن الجراءة والتوثب على الزنا واللواط، ليس كالجراءة والتوثب على النظر إلى عورة الأجنبية، فمن هنا افترقت هذه الجراءة عن هذه، فالأولى جراءة على كبيرة، والثانية جراءة على صغيرة فافترقتا افتراقًا بيِّنًا.

(٢) بل حتى الاستهانة تفترق، فمن اقتصرت استهانته على النظر المحرم، ليس كمن تعدت تلك الاستهانة إلى الزنا. فكلاهما حرام، لكن الاستهانة الأولى أوصلته إلى صغيرة، والاستهانة الثانية أوصلته إلى كبيرة.

(٣) وهذا تمثيل خاطئ أيضًا من هؤلاء المتكلمين، والتمثيل الصحيح أن يمثل بين شخصين: أمر الملك أحدهما بأن يحرس له أشجار الحديقة من عبث الطيور والدواب، فقطع شجرة منها تعديًا، وأمر الآخر بحراسة مجموعة من رجاله وموظفيه المحبوبين لدى الملك، فقطع رأس بعض من أُمِرَ بحفظه وحراسته، فهل جناية الشخصين سواء؟ وهل قطع شجرة كقطع رأس إنسان يحبه الملك؟!!

قَالُوا: وَلِهَذَا كَانَتْ مَعْصِيَةُ مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ مِنْ مَكَّةَ، وَتَرَكَ[(١)] الْجُمُعَةَ[(٢)] وَهُوَ جَارُ الْمَسْجِدِ، أَقْبَحَ عِنْدَ اللهِ مِنْ مَعْصِيَةِ مَنْ تَرَكَ مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ[(٣)]، وَالْوَاجِبُ[(٤)] عَلَى هَذَا أَكْثَرُ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَى هَذَا.

وَلَوْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مِائَتَا دِرْهَمٍ فَمَنَعَ زَكَاتَهَا، وَمَعَ آخَرَ مِائَتَا أَلْفِ أَلْفٍ فَمَنَعَ مِنْ زَكَاتِهَا؛ لَاسْتَوَيَا فِي مَنْعِ مَا وَجَبَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَلَا يَبْعُدُ اسْتِوَاؤُهُمَا فِي الْعُقُوبَةِ، إِذْ كَانَ كُلُّ واحِدٍ[(٥)] مِنْهُمَا مُصِرًّا عَلَى مَنْعِ زَكَاةِ مَالِهِ، قَلِيلًا كَانَ الْمَالُ[(٦)] أَوْ كَثِيرًا.



(١) في (ط): ومن ترك، وفي (ط١): أو ترك.

(٢) في (ب): الجماعة.

(٣) إن كان هناك قبيح وأقبح، فهذا يدل على التفريق، وهذا خلاف دعواهم التسوية من حيث الجراءة والتوثب!

(٤) في (ب): فالواجب.

(٥) ساقطة من: (ط ١).

(٦) ساقطة من: (أ).

فَصْلٌ

وَكَشْفُ الْغِطَاءِ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنْ يُقَالَ:

إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَرْسَلَ رُسُلَهُ(١)، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيُعْرَفَ، وَيُوَحَّدَ، وَيُعْبَدَ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ له(٢)، وَالطَّاعَةُ كُلُّهَا لَهُ، وَالدَّعْوَةُ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْقَصْدَ بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ: أَنْ يُعْرَفَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ، وَأَنْ يَقُومَ النَّاسُ(٣) بِالْقِسْطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

[فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ](٤)، وَهُوَ الْعَدْلُ.

---

(١) في (ب): رسوله.

(٢) في (ب، ط): لله.

(٣) في (ب): للناس.

(٤) ساقط من: (أ).

وَمِنْ أَعْظَمِ الْقِسْطِ: التَّوْحِيدُ، بلْ هُوَ رَأْسُ الْعَدْلِ[١]، وَقِوَامُهُ، وَإِنَّ الشِّرْكَ [لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، فَالشِّرْكُ][٢] أَظْلَمُ الظُّلْمِ، وَالتَّوْحِيدُ أَعْدَلُ الْعَدْلِ.

فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ: فَهُوَ[٣] أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَتَفَاوُتُهَا فِي دَرَجَاتِهَا بِحَسَبِ مُنَافَاتِهَا[٤] لَهُ.

وَمَا كَانَ[٥] أَشَدَّ مُوَافَقَةً لِهَذَا الْمَقْصُودِ: فَهُوَ أَوْجَبُ الْوَاجِبَاتِ، وَأَفْرَضُ الطَّاعَاتِ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْأَصْلَ حَقَّ التَّأَمُّلِ، وَاعْتَبِرْ بِهِ[٦] تَفَاصِيلَهُ؛ تَعْرِفْ بِهِ حِكْمَةَ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَأَعْلَمِ الْعَالِمِينَ فِيمَا فَرَضَهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَتَفَاوُتَ مَرَاتِبِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي.

وَلَمَّا[٧] كَانَ الشِّرْكُ بِاللهِ مُنَافِيًا بِالذَّاتِ لِهَذَا الْمَقْصُودِ: كَانَ[٨] أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَحَرَّمَ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ مُشْرِكٍ، وَأَبَاحَ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ[٩] لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَأَنْ يَتَّخِذُوهُمْ عَبِيدًا لَهُمْ، لَمَّا تَرَكُوا الْقِيَامَ بِعُبُودِيَّتِهِ.

وَأَبَى اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ مُشْرِكٍ عَمَلًا، أَوْ يَقْبَلَ فِيهِ شَفَاعَةً، أَوْ يَسْتَجِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ دَعْوَةً[١٠]، أَوْ يُقِيلَ لَهُ فيها عَثْرَةً.

فَإِنَّ الْمُشْرِكَ أَجْهَلُ الْجَاهِلِينَ بِاللهِ، حَيْثُ جَعَلَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ[١١] نِدًّا، وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَهْلِ بِهِ، كَمَا أَنَّهُ غَايَةُ الظُّلْمِ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ[١٢] الْمُشْرِكُ لَمْ يَظْلِمْ رَبَّهُ، وَإِنَّمَا ظَلَمَ نَفْسَهُ.

---

(١) في (ط): التوحيد وهو رأس العدل.
(٢) ساقط من: (أ).
(٣) في (أ): وهو.
(٤) في (أ): منافاتها.
(٥) في (ب): ومتى كان.
(٦) ساقطة من: (ط).
(٧) في (ب، ط): فلما، وفي (أ): فكلما.
(٨) في (أ): وكان.
(٩) ساقطة من: (أ)، وفي (ب): وأهله وولده.
(١٠) ساقطة من: (أ).
(١١) في (ب): من دونه.
(١٢) ساقطة من: (ب).

وَوَقَعَتْ مَسْأَلَةٌ وَهِيَ: أَنَّ الْـمُشْرِكَ إِنَّمَا قَصْدُهُ تَعْظِيمُ جَنَابِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ[1] لِعَظَمَتِهِ لَا يَنْبَغِي الدُّخُولُ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ كَحَالِ الْـمُلُوكِ، فَالْـمُشْرِكُ لَمْ يَقْصِدِ الِاسْتِهَانَةَ بِجَنَابِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَعْظِيمَهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا أَعْبُدُ هَذِهِ الْوَسَائِطَ لِتُقَرِّبَنِي إِلَيْهِ وَتَدُلَّنِي وَتُدْخِلَنِي عَلَيْهِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ، وَهَذِهِ وَسَائِلُ وَشُفَعَاءُ.

فَلِمَ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مُوجِبًا لِسُخْطِهِ وَغَضَبِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمُخَلِّدًا فِي النَّارِ، وَمُوجِبًا لِسَفْكِ دِمَاءِ أَصْحَابِهِ، وَاسْتِبَاحَةِ حَرِيمِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؟

وَتَرَتَّبَ عَلَى هَذَا سُؤَالٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّهُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَشْرَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِعِبَادِهِ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِالشُّفَعَاءِ وَالْوَسَائِطِ، فَيَكُونَ تَحْرِيمُ هَذَا إِنَّمَا اسْتُفِيدَ مِنَ الشَّرْعِ، أَمْ ذَلِكَ قَبِيحٌ فِي الْفِطَرِ[2] وَالْعُقُولِ، [يَمْتَنِعُ[3] أَنْ تَأْتِيَ بِهِ شَرِيعَةٌ؟ بَلْ جَاءَتِ الشَّرَائِعُ بِتَقْرِيرِ مَا فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ][4] مِنْ قُبْحِهِ الَّذِي هُوَ أَقْبَحُ مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ؟ وَمَا السِّرُّ فِي كَوْنِهِ لَا يُغْفَرُ[5] مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الذُّنُوبِ؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]

فَتَأَمَّلْ هَذَا السُّؤَالَ، وَاجْمَعْ قَلْبَكَ وَذِهْنَكَ عَلَى جَوَابِهِ، وَلَا تَسْتَهْوِنْهُ، فَإِنَّ[6] بِهِ يَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْـمُشْرِكِينَ وَالْـمُوَحِّدِينَ[7]، وَالْعَالِمِينَ بِاللهِ وَالْجَاهِلِينَ بِهِ[8]، وَأَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ.

فَنَقُولُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ وَالتَّأْيِيدُ، وَمِنْهُ نَسْتَمِدُّ الْـمَعُونَةَ وَالتَّسْدِيدَ، فَإِنَّهُ مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ:

---

(١) في (ب): فإنه.
(٢) في (أ): الفطرة.
(٣) في (أ): تمتنع، في (ط١): ممتنع.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٥) في (أ): وفي (ط): لا يغفره.
(٦) في (ط ١): فإنه.
(٧) في (ط١): الموحدين والمشركين.
(٨) في (ب): والعالمين والجاهلين.

الشِّرْكُ شِرْكَانِ:

❁ شِرْكٌ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الْـمَعْبُودِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ.

❁ [وَشِرْكٌ مُعَلَّقٌ[1] فِي عِبَادَتِهِ، وَمُعَامَلَتِهِ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ][2].

وَالشِّرْكُ الْأَوَّلُ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا- شِرْكُ التَّعْطِيلِ: وَهُوَ[3] أَقْبَحُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ، كَشِرْكِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَ: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣].

وَقَالَ لِهَامَانَ: ابن لِي صَرْحًا، لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إله موسى، وإني لأظنه من الكاذبين[4].

وَالشِّرْكُ وَالتَّعْطِيلُ مُتَلَازِمَانِ: فَكُلُّ مُشْرِكٍ مُعَطِّلٌ وَكُلُّ مُعَطِّلٍ مُشْرِكٌ، لَكِنَّ الشِّرْكَ لَا يَسْتَلْزِمُ أَصْلَ التَّعْطِيلِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ الْـمُشْرِكُ مُقِرًّا بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ عَطَّلَ حَقَّ التَّوْحِيدِ.

وَأَصْلُ الشِّرْكِ وَقَاعِدَتُهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، هُوَ التَّعْطِيلُ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

❁ تَعْطِيلُ الْـمَصْنُوعِ عَنْ صَانِعِهِ وَخَالِقِهِ.

❁ وَتَعْطِيلُ الصَّانِعِ سُبْحَانَهُ عَنْ كَمَالِهِ الْـمُقَدَّسِ، بِتَعْطِيلِ أَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ[5]، وأوصافِهِ، وَأَفْعَالِهِ.

---

(١) زيادة من: (ب). (٢) ساقط من: (أ). (٣) في (أ): هذا.

(٤) في (ط): وقال تعالى مخبرًا عنه أنه قال لهامان: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

(٥) ساقطة من: (ط).

❁ وَتَعْطِيلُ مُعَامَلَتِهِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ.

وَمِنْ هَذَا: شِرْكُ طَائِفَةِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: مَا ثَمَّ خَالِقٌ وَمَخْلُوقٌ، وَلَا هَهُنَا شَيْئَانِ، بَلِ الْحَقُّ الْمُنَزَّهُ(١) هُوَ(٢) عَيْنُ الْخَلْقِ الْمُشَبَّهِ.

وَمِنْهُ: شِرْكُ الْمَلَاحِدَةِ الْقَائِلِينَ بِقِدَمِ الْعَالَمِ وَأَبَدِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْدُومًا أَصْلًا، بَلْ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ، وَالْحَوَادِثُ بِأَسْرِهَا مُسْتَنِدَةٌ عِنْدَهُمْ إِلَى أَسْبَابٍ وَوَسَائِطَ اقْتَضَتْ إِيجَادَهَا، يُسَمُّونَهَا الْعُقُولَ(٣) وَالنُّفُوسَ.

وَمِنْ هَذَا: شِرْكُ مَنْ عَطَّلَ أَسْمَاءَ الرَّبِّ تَعَالَىٰ، وَأَوْصَافَهُ، وَأَفْعَالَهُ، مِنْ غُلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ، وَالْقَرَامِطَةِ، فَلَمْ يُثْبِتُوا لَهُ اسْمًا، وَلَا صِفَةً، بَلْ جَعَلُوا الْمَخْلُوقَ أَكْمَلَ مِنْهُ، إِذْ كَمَالُ الذَّاتِ بِأَسْمَائِهَا وَصِفَاتِهَا.



(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (أ): وهو.

(٣) في (ط): بالعقول.

فَصْلٌ

النَّـوْعُ الثَّانِي- شِرْكُ مَنْ جَعَـلَ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ، وَلَمْ يُعَطِّلْ أَسْـمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتَهُ، كَشِرْكِ النَّصَارَى الَّذِينَ جَعَلُوهُ ثَلَاثَةً، فَجَعَلُوا الْـمَسِيحَ إِلَهًا، وَأُمَّهُ إِلَهًا.

۞ وَمِنْ هَذَا: شِرْكُ الْـمَجُوسِ، الْقَائِلِينَ بِإِسْـنَادِ حَوَادِثِ الْخَيْرِ إِلَى النُّورِ، وَحَوَادِثِ الشَّرِّ إِلَى الظُّلْمَةِ.

۞ وَمِـنْ هَذَا: شِرْكُ الْقَدَرِيَّـةِ، الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْحَيَوَانَ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ أَفْعَالَ نَفْسِـهِ[١]، وَأَنَّهَا تَحْدُثُ بِدُونِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَلِهَذَا كَانُوا مِنْ أَشْبَاهِ الْـمَجُوسِ.

۞ وَمِـنْ هَـذَا شِرْكُ - الَّـذِي حَـاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّـهِ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٨].

۞ فَهَذَا جَعَلَ نَفْسَهُ نِدًّا للهِ تَعَالَىٰ، يُحْيِي وَيُمِيتُ بِزَعْمِهِ، كَمَا يُحْيِي اللهُ وَيُمِيتُ، فَأَلْزَمَهُ إِبْرَاهِيـمُ أَنَّ طَـرْدَ قَوْلِـكَ: أَنْ تَقْدِرَ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالشَّـمْسِ مِنْ غَيْرِ الْجِهَـةِ الَّتِي يَأْتِي اللهُ بها مِنْهَـا[٢]، وَلَيْـسَ[٣] هَذَا انْتِقَالًا كَمَا زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَـدَلِ، بَلْ إِلْزَامًا[٤] عَلَى طَرْدِ الدَّلِيلِ إِنْ كَانَ حَقًّا.

۞ وَمِنْ هَذَا: شِرْكُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُشْرِكُ بِالْكَوَاكِبِ الْعُلْوِيَّاتِ، وَيَجْعَلُهَا أَرْبَابًا مُدَبِّرَةً لِأَمْرِ هَذَا الْعَالَمِ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ مُشْرِكِي الصَّابِئَةِ وَغَيْرِهِمْ.

۞ وَمِنْ هَذَا شِرْكُ عُبَّادِ الشَّمْسِ وَعُبَّادِ النَّارِ وَغَيْرِهِمْ.

---

(١) في (أ): يخلق أفعاله.

(٢) في (ط): التي يأتي بها الله منها.

(٣) في (ب): فليس.

(٤) في (ط١): إلزام.

وَمِـنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَزْعُـمُ أَنَّ مَعْبُودَهُ هُوَ الْإِلَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَمِنْهُـمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَكْبَرُ الْآلِهَـةِ، وَمِنْهُـمْ مَـنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِلَـهٌ مِنْ جُمْلَةِ الْآلِهَـةِ، وَأَنَّهُ إِذَا خَصَّـهُ بِعِبَادَتِـهِ، وَالتَّبَتُّلِ إِلَيْهِ، وَالِانْقِطَاعِ إِلَيْهِ؛ أَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَاعْتَنَى[1] بِهِ.

وَمِنْهُـمْ مَنْ يَزْعُـمُ أَنَّ مَعْبُودَهُ الْأَدْنَى يُقَرِّبُهُ إِلَى الْـمَعْبُودِ الَّـذِي هُوَ فَوْقَهُ، وَالْفَوْقَانِيَّ يُقَرِّبُهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، حَتَّى تُقَرِّبَهُ[2] تِلْكَ الْآلِهَةُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَتَارَةً تَكْثُرُ الْوَسَائِطُ، وَتَارَةً تَقِلُّ.



(١) في (ب): فاعتنى.

(٢) في (ب): يقربه.

فَصْلٌ

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ: فَهُوَ أَسْهَلُ مِنْ هَذَا الشِّرْكِ، وَأَخَفُّ أَمْرًا، فَإِنَّهُ يَصْدُرُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ، وَلَا يَنْفَعُ، وَلَا يُعْطِي، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا اللهُ[١]، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَلَكِنْ لَا يُخْلِصُ للهِ[٢] فِي مُعَامَلَتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، بَلْ يَعْمَلُ لِحَظِّ نَفْسِهِ تَارَةً، وَلِطَلَبِ الدُّنْيَا تَارَةً، وَلِطَلَبِ الرِّفْعَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَالْجَاهِ عِنْدَ الْخَلْقِ تَارَةً.

فَلِلَّهِ مِنْ عَمَلِهِ وَسَعْيِهِ نَصِيبٌ، وَلِنَفْسِهِ وَحَظِّهِ وَهَوَاهُ نَصِيبٌ، وَلِلشَّيْطَانِ نَصِيبٌ، وَلِلْخَلْقِ نَصِيبٌ، وَهَذَا حَالُ أَكْثَرِ النَّاسِ.

وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ: «**الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ**[٣] **أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**»، قَالُوا: كَيْفَ[٤] نَنْجُو مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[٥].

---

(١) في (أ، ط١): وأنه لا يضر وينفع ويعطي ويمنع إلا الله. والمثبت من: (ب، ط). وكلاهما صحيح.

(٢) لم ترد في: (ب). (٣) في (أ): في أمتي هذه. (٤) في (ط١): وكيف.

(٥) رَوَاهُ أَبُو يعلىٰ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٥٨]، والمروزيُّ فِي «مُسْنَدِ» أبي بَكْرٍ رقم: [١٧]، وابنُ السُّنِّيُّ فِي «عَمَلِ اليَوم والليلَةِ» رقم: [٢٨٦]، وابن المنذر، وابن أَبِي حَاتِمٍ وغيرهم من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي مُحَمَّد عن حذيفة عن أبي بكر، وإسناده ضَعِيفٌ فِيهِ ليث بن أبي سليم ضَعِيفٌ، وشيخه مجهولٌ، وَقَدْ اضطربَ فِيهِ ليثٌ فَمَرَّةً رَوَاهُ عن رجلٍ عن معقل بن يسار عن أبي بكر؛ رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي «الأدب المفرد» رقم: [٧١٦]، وأبو يعلىٰ رقم: (٥٩ - ٦٠)، والمروزي فِي «مسند أبي بكر» رقم: [١٨]، ومرةً رَوَاهُ عن مُجَاهِد بِهِ مرسلًا، رَوَاهُ هَنَّادٌ فِي «الزُّهْدِ» رقم: [٨٤٩]، ومن طريقه ابن الجوزي فِي «العلل المتناهية» رقم: [١٣٧٩]، وَرَوَاهُ الضياء فِي «المختارة» رقم: (٦٢ - ٦٣) وغيره وفي إسناده يحيى بن كَثِيرٍ مَتْرُوكٌ، ومع ذَلِكَ فمتنه يصح من وجوه أخرى، فجملة: «الشِّرك فيكم أخفى من دبيب النمل» لَهُ شواهد من حديث أبي موسى، وأبي هُرَيْرَةَ، وعائشة، وقول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّ مِثْلُهُ عَنْ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ عِنْدَ أَبِي نعيم فِي «الحلية» (١/ ٢٦٩)، وابن أبي زمنين فِي «السنة» رقم: [١٦١]، وَذِكْرُهُ من أمور الشِّرْكِ: «أَنْ تَقُولَ: أعطانِي اللهُ وَفُلَانٌ، وَالنِّدُّ: أَنْ يَقُولَ الإِنْسَانُ: لَوْلَا فُلَانٌ قَتَلَنِي فُلَانٌ»، ثبت عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ ابن أَبِي حَاتِمٍ رقم: [٢٩٩]. والله أعلم.

فَالرِّيَاءُ كُلُّهُ شِرْكٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. أَيْ: كَمَا أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، لا[1] إِلَهَ سِوَاهُ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ[2] أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ لَهُ وَحْدَهُ، فَكَمَا تَفَرَّدَ بِالْإِلَهِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يُفْرَدَ بِالْعُبُودِيَّةِ، فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الْخَالِي مِنَ الرِّيَاءِ، الْمُقَيَّدُ بِالسُّنَّةِ.

وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ عُمَرَ [بْنِ الْخَطَّابِ][3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ[4] خَالِصًا، وَلَا تَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ شَيْئًا»[5].

وَهَذَا الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ يُبْطِلُ ثَوَابَ الْعَمَلِ، وَقَدْ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ الْعَمَلُ وَاجِبًا، فَإِنَّهُ يُنْزِلُهُ[6] مَنْزِلَةَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْهُ، فَيُعَاقَبُ[7] عَلَى تَرْكِ الْأَمْرِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ عِبَادَةً خَالِصَةً، قَالَ تَعَالَى[8]: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

فَمَنْ لَمْ يُخْلِصْ للهِ فِي عِبَادَتِهِ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ، بَلِ الَّذِي أَتَى بِهِ شَيْءٌ غَيْرُ الْمَأْمُورِ بِهِ، فَلَا يَصِحُّ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ.

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: **«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي، فَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ بِهِ، وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ»**[9].

وَهَذَا الشِّرْكُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَغْفُورٍ، وَغَيْرِ[10] مَغْفُورٍ، وَأَكْبَرَ، وَأَصْغَرَ.

---

(١) في (ط): ولا.

(٢) في (أ، ط، ط ١): ينبغي. والمثبت من: (ب)، وأشار في الهامش أنه في نسخة: ينبغي.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٤) في (ب): لوجهك الكريم.

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» ص: [١١٨]، من طريق الحسن عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده منقطع.
ورواه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ٢٦١) من طريق مطيع بن إبراهيم، وعبدالعزيز بن أبي عثمان الكوفي كلاهما عن عمر، وإسناده معضل.

(٦) في (أ): ينزل.

(٧) في (ب): فيعاقبه.

(٨) في (ب): وقال.

(٩) مسلم [٢٩٨٥]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٠) في (ب): وإلى غير.

وَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ، وَأَكْبَرَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ مَغْفُورًا(١).

فَمِنْهُ(٢) الشِّرْكُ بِاللهِ فِي الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ: أَنْ يُحِبَّ مَخْلُوقًا كَمَا يُحِبُّ اللهَ، فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللهُ، وَهُوَ الشِّرْكُ الَّذِي قَالَ سُبْحَانَهُ فِيهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَقَالَ أَصْحَابُ هَذَا الشِّرْكِ لِآلِهَتِهِمْ وَقَدْ جَمَعَتْهُمُ(٣) الْجَحِيمُ: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ مَا سَوَّوْهُمْ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْخَلْقِ، وَالرِّزْقِ، وَالْإِمَاتَةِ، وَالْإِحْيَاءِ، وَالْمُلْكِ، وَالْقُدْرَةِ، وَإِنَّمَا سَوَّوْهُمْ بِهِ فِي الْحُبِّ، وَالتَّأَلُّهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُمْ، وَالتَّذَلُّلِ، وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ.

فَكَيْفَ يُسَوَّى التُّرَابُ بِرَبِّ الْأَرْبَابِ؟ وَكَيْفَ يُسَوَّى الْعَبِيدُ بِمَالِكِ الرِّقَابِ؟ وَكَيْفَ(٤) يُسَوَّى الْفَقِيرُ بِالذَّاتِ، الضَّعِيفُ بِالذَّاتِ، الْعَاجِزُ بِالذَّاتِ، الْمُحْتَاجُ بِالذَّاتِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ إِلَّا الْعَدَمُ: بِالْغَنِيِّ(٥) بِالذَّاتِ، الْقَادِرِ بِالذَّاتِ، الَّذِي غِنَاهُ، وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ، وَجُودُهُ، وَإِحْسَانُهُ، وَعِلْمُهُ(٦)، وَرَحْمَتُهُ، وَكَمَالُهُ الْمُطْلَقُ التَّامُّ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ؟!

فَأَيُّ ظُلْمٍ أَقْبَحُ مِنْ هَذَا؟! وَأَيُّ حُكْمٍ أَشَدُّ جَوْرًا مِنْهُ؟! حَيْثُ عَدَلَ مَنْ لَا عَدْلَ لَهُ بِخَلْقِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

فَعَدَلَ الْمُشْرِكُ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، بِمَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَا فِي الْأَرْضِ، فَيَا لَكَ مِنْ عَدْلٍ تَضَمَّنَ أَكْبَرَ الظُّلْمِ وَأَقْبَحَهُ.

---

(١) في (أ، ب، ط): مغفور (٢) في (ب): فيه. (٣) في (ط): جمعهم.
(٤) في (ب): فكيف. (٥) في (ب): الغني. (٦) في (ب): وعمله.

فَصْلٌ

وَيَتْبَعُ هَذَا الشِّرْكَ: الشِّرْكُ بِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْأَفْعَالِ، وَالْأَقْوَالِ، [وَالْإِرَادَاتِ، وَالنِّيَّاتِ.

فَالشِّرْكُ فِي الْأَفْعَالِ][١]: كَالسُّجُودِ لِغَيْرِهِ، وَالطَّوَافِ بِغَيْرِ[٢] بَيْتِهِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ عُبُودِيَّةً وَخُضُوعًا لِغَيْرِهِ، وَتَقْبِيلِ الْأَحْجَارِ غَيْرِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ الَّذِي هُوَ يَمِينُهُ[٣] فِي الْأَرْضِ، أو تَقْبِيلِ[٤] الْقُبُورِ، وَاسْتِلَامِهَا، وَالسُّجُودِ لَهَا.

وَقَدْ لَعَنَ النَّبِيُّ[٥] ﷺ مَنِ اتَّخَذَ قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ، يُصَلِّي للهِ فِيهَا، فَكَيْفَ بِمَنِ اتَّخَذَ الْقُبُورَ أَوْثَانًا يَعْبُدُهَا مِنْ دُونِ اللهِ؟

فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[٦] عَنْهُ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: **«لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**[٧].

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْهُ أَيضًا[٨]: **«إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»**[٩].

وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا عَنْهُ: **«إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، أَلا[١٠] فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»**[١١].

---

(١) في (ب): الغني. (٢) في (ب): وعمله. (٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٤) في (ب): لغير. (٥) في (ط): يمين الله. (٦) في (ب): أو يقبل، وفي (ط١): وتقبيل.
(٧) في (أ): رسول الله. (٨) في (ب): الصحيح.
(٩) البخاري [٤٣٥]، ومسلم [٥٣١] من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.
(١٠) زيادة من: (ب).
(١١) صحيح لغيره: رواهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيْحِهِ» رقم: [٧٠٦٧] مُعَلَّقًا، وَوَصَلَهُ: مَعْمَرٌ فِي «جَامِعِهِ» (١١/ ٤٠٢)، وَالإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١/ ٤٠٥، ٤٣٥)، وَابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّفِ» (٣/ ٣٠)، وَالبَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٥/ ١٣٦)، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «المُعْجَمِ الكَبِيْرِ» رقم: [١٠٤١٣]، وَابنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيْحِهِ» (٢/ ٦)، وَابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» رقم: [٦٨٤٧]، وغَيْرُهُم، مِنْ طَرِيقِ زَائِدَةَ ابنِ قُدَامَةَ، عَنْ عَاصِمِ بنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعُودٍ رضي الله عنه
=

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]، وَ«صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» عَنْهُ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ زُوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**»[(٢)].

وَقَالَ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٣)].

وَقَالَ: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَانُوا[(٤)] إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ[(٥)] الصُّورَةَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ**

= به، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» (٩/ ٤١٠): «حَدِيثٌ حَسَنٌ قَوِيُّ الإِسْنَادِ»، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بشَوَاهِدِهِ، فَشَطْرُ الحَدِيثِ الأَوَّلِ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» رقم: [٢٩٤٩] عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**»، وَشَطْرُ الحَدِيْثِ الثَّانِي: رَوَاهُ البُخَارِيُّ رقم: [٤١٧]، ومُسْلِمٌ رقم: [٥٢٨] مِنْ حَدِيْثِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ؛ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ يومَ القِيَامَةِ**».

(١) ساقطة من: (أ). (٢) مسلم [٥٣٢] من حديث جندب البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) زيادة من: (ط). (٤) سبق تخريجه.

(٥) **صحيحٌ**: رَوَاهُ مَالِكٌ فِي «المُوطَّأ» (١/ ١٧٢)، وَابنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الكُبْرَى» (٢/ ٢٤٠ - ٢٤١) عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ مُرْسَلًا وإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ إِلَى عَطَاء، وَقَدْ رُوِيَ مَوْصُولًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ومُرْسَلًا عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ. وَسَيَأْتِي تَخْرِيجُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَمَّا مرسل زيد بن أسلم فرَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «مُصَنَّفِهِ» رقم: [١٥٨٧]، وَابنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢/ ١٥٠، ٣/ ٣٠) عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ مُرْسَلًا وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ إِلَىٰ زَيْدٍ.

وأما حَدِيثُ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَرَوَاهُ البَزَّارُ فِي «مُسْنَدِهِ» (رقم: [٤٤٠] - كَشْفُ الأَسْتَارِ) مِنْ طَرِيْقِ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ مَرْفُوعًا، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي عُمَرَ بن مُحَمَّدٍ هَلْ هُوَ ابنُ صُهْبَانَ الضَّعِيفُ، أم ابنُ زَيْدٍ العُمَرِيِّ الثِّقَةُ؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ ابنُ زَيْدٍ العُمَرِيُّ الثِّقَةُ، هَكَذَا رَجَّحَهُ البَزَّارُ وَابنُ عَبْدِالبَرِّ، وَرَجَّحَ كَوْنَهُ ابنَ صُهبَانَ: الهَيْثَمِيُّ فِي «المَجْمَعِ» (٢/ ٢٨)، وَابنُ رَجَبٍ فِي «فَتْحِ البَارِي» لَهُ (٢/ ٤٤١)، وَتَبِعَهُ شيخنا الأَلبَانِيُّ فِي «تَحْذِيرِ السَّاجِدِ» ص: [١٩]، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ، وَحُجَّتُهُمْ أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ نُسَخِ البَزَّارِ، وَأَظُنُّهُ مِنْ تَصَرُّفِ النُّسَّاخِ لأَنَّ البَزَّارَ وَهُوَ صَاحِبُ المُسْنَدِ قَالَ - كَمَا فِي «التَّمْهِيدِ» (٥/ ٤١) -: «وَعُمَرُ بنُ مُحَمَّدٍ ثِقَةٌ، رَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ وَجَمَاعَةٌ»، وَنَقَلَ هَذَا التَّوْثِيقَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ فِي «تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ»، أَمَّا ابنُ صُهْبَانَ فَالبَزَّارُ يُوَهِّنُهُ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا مِنَ العُلَمَاءِ ذَكَرَ هَذَا الحَدِيثَ مِنْ مُنْكَرَاتِ ابنِ صُهْبَانَ. وَاللهُ أَعْلَمُ. =

الْقِيَامَةِ»[(١)]. فَهَذَا حَالُ مَنْ سَجَدَ للهِ فِي مَسْجِدٍ عَلَى قَبْرٍ، فَكَيْفَ حَالُ مَنْ سَجَدَ لِلْقَبْرِ نَفْسِهِ؟ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[(٢)]: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[(٣)].

وَقَدْ حَمَى النَّبِيُّ ﷺ جَانِبَ التَّوْحِيدِ أَعْظَمَ حِمَايَةٍ، حَتَّى نَهَى عَنْ صَلَاةِ التَّطَوُّعِ للهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا؛ لِئَلَّا يَكُونَ ذَرِيعَةً إِلَى التَّشَبُّهِ بِعُبَّادِ الشَّمْسِ الَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهَا فِي هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ[(٤)].

وَسَدَّ الذَّرِيعَةَ بِأَنْ مَنَعَ من الصَّلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ وَالصُّبْحِ؛ لِاتِّصَالِ[(٥)] هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ بِالْوَقْتَيْنِ اللَّذَيْنِ يَسْجُدُ الْـمُشْرِكُونَ فِيهِما[(٦)] لِلشَّمْسِ.

= فَظَهَرَ بِهَذَا أَنَّ إِسْنَادَ حَدِيْثِ البَزَّارِ صَحِيْحٌ كَمَا رَجَّحَهُ الحَافِظُ ابنُ عَبْدِ البَرِّ، وَالشَّيْخُ سُلَيْمَانُ، وَمِمَّا يَزِيْدُهُ قُوَّةً شَاهِدُهُ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَيَأْتِي.

(١) في (ط): كان.

(٢) في (أ): ذلك.

(٣) البخاري [٤٣٤]، ومسلم [٥٢٨] من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٤) في (أ، ط١): وقد قال ﷺ.

(٥) **صحيحٌ**: رَوَاهُ الإمامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/ ٢٤٦)، وَابنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ» (٢/ ٢٤١)، وَالحُمَيْدِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١٠٢٥]، وَالبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ» (٣/ ٤٧)، وَأَبُو يَعْلَى فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٦٦٨١]، وَالعُقَيْلِيُّ فِي «التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ» - كَمَا فِي «التَّمْهِيْدِ» (٥/ ٤٤) -، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الحِلْيَةِ» (٦/ ٢٨٣، ٧/ ٣١٧) وَابنُ عَبْدِ البَرِّ فِي «التَّمْهِيْدِ» (٥/ ٤٣) مِنْ طَرِيْقِ حَمْزَةَ بنِ المُغِيْرَةِ عَنْ سُهَيلِ بنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ مَرْفُوعًا. وَإِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ.

(٦) وردت عدة أحاديث في النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وأقربها لفظًا لما ذكره العلامة ابن القيم، حديث عمرو بن عبسة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ ﷺ: «**صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ**». رواه مسلم [٨٣٢].

وَأَمَّا السُّجُودُ لِغَيْرِ اللهِ فَقَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ [أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا للهِ] (١)»(٢).

وَ«لَا يَنْبَغِي» فِي كَلَامِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ لِلَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الِامْتِنَاعِ شَرْعًا(٣)، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١١].

وَقَوْلِهِ(٤) عن الملائكة: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨].



---

(١) في (أ): فلاتصال.

(٢) في (أ): فيها.

(٣) ساقط من: (أ).

(٤) حسنٌ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ دُونَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».

رواه ابن بشران في «الأمالي» [٩١٤] من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، ويحيى وثقه بعض الحفاظ، وضعفه آخرون، وقال بعض الحفاظ عنه: إنه متروك، والأقرب أنه ضعيف سيء الحفظ، وعنده مناكير، حتى أنه ربما روى أحاديث موضوعة من باب: «الغلط والغفلة»، ولكن هذا الحديث مما له أصل.

فقد رواه ابن أبي الدنيا في «العيال» [٥٣٤]، وابن حبان في «صحيحه» [٤١٦٢] من طريق محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: دَخَلَ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ الأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ جَمَلانِ يَضْرِبَانِ وَيَرْعَدَانِ، فَاقْتَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمَا، فَوَضَعَا جِرَانَهُمَا بِالأَرْضِ، فَقَالَ مَنْ مَعَهُ: سَجَدَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِمَا عَظَّمَ اللهُ عَلَيْهَا مِنْ حَقِّهِ**». وإسناده حسن. («إرواء الغليل» [١٩٩٨]).

وله شاهد من حديث ابن عباس وفيه: «**لا آمُرُ أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، وَلَوْ أَمَرْتُ أَحَدًا يَسْجُدُ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**» رواه الطبراني [١٢٠٠٣]، وابن بشران في «الأمالي» [٢٥٤] وإسناده حسن. («الصحيحة» [٣٤٩٠]).



فَصْلٌ

وَمِنَ الشِّرْكِ بِهِ سُبْحَانَهُ: [الشِّرْكُ بِهِ](١) فِي اللَّفْظِ، كَالْحَلِفِ بِغَيْرِهِ، كَمَا رَوَاهُ الإِمَامُ(٢) أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ عَنْهُ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**». صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَابْنُ حِبَّانَ(٣).

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ لِلْمَخْلُوقِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، كَمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»(٤).

هَذَا مَعَ أَنَّ اللهَ قَدْ أَثْبَتَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]

فَكَيْفَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ وَعَلَيْكَ، وَأَنَا فِي(٥) حَسْبِ اللهِ وَحَسْبِكَ، وَمَا لِي إِلَّا اللهُ وَأَنْتَ، وَهَذَا مِنَ اللهِ وَمِنْكَ، وَهَذَا مِنْ بَرَكَاتِ اللهِ وَبَرَكَاتِكَ، وَاللهُ لِي فِي السَّمَاءِ، وَأَنْتَ لِي فِي الْأَرْضِ.

---

(١) ساقطة من: (ب).
(٢) في (ب): وقولهم.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) صحيحٌ: رَواهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي «مُسْنَدِه» رقم: [١٨٩٦]، والإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢/ ٣٤، ٨٦)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٢٥١]، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [١٥٣٥]، وَحَسَّنَهُ، وَعَلِيُّ بنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [٨٩٥]، وابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» رقم: [٤٣٥٨]، وَأَبُو عوانة فِي «صَحِيْحِهِ» (٤/ ٤٤ - ٤٥) وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيْحَيْنِ» (١/ ١٨، ٥٢، ٤/ ٢٩٧) وَصَحَّحَهُ، والبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى» (١٠/ ٢٩) وَغَيْرُهُمْ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ. وَهُوَ حَدِيْث صَحِيْحٌ.
وَرَواهُ ابن المبارك في «مسنده» ص: [١٠٢] رقم: [١٧١]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٦٧) عن موسى بن عقبة عن سالم عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله**» قال فيه قولًا شديدًا. وإسناده صحيح.

[أَوْ يَقُولُ][1]: وَاللهِ، وَحَيَاةِ فُلَانٍ، أَوْ يَقُولُ نَذْرًا للهِ وَلِفُلَانٍ، [أو أَنَا تَائِبٌ للهِ وَلِفُلَانٍ][2]، أَوْ[3] أَرْجُو اللهَ وَفُلَانًا، وَنَحْوُ ذَلِكَ؟!

فَوَازِنْ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. ثُمَّ انْظُرْ أَيُّهَا أَفْحَشُ، يَتَبَيَّنْ لَكَ أَنَّ قَائِلَهَا أَوْلَى بِجَوابِ النَّبِيِّ[4] ﷺ لِقَائِلِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ جَعَلَهُ للهِ نِدًّا بِهَا[5]، فَهَذَا قَدْ جَعَلَ مَنْ [لَا يُدَانِي][6] رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - بَلْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَعْدَائِهِ - نِدًّا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالسُّجُودُ، وَالْعِبَادَةُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالتَّقْوَى، وَالْخَشْيَةُ، والتَّحسُّب، وَالتَّوْبَةُ، وَالنَّذْرُ، وَالْحَلِفُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّحْمِيدُ[7]، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَحَلْقُ الرَّأْسِ خُضُوعًا وَتَعَبُّدًا، وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ، وَالدُّعَاءُ، كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ، الذي لا يَصْلُحُ وَلَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ: مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ.

---

(١) **صحيح لغيره**: رَوَاهُ ابن المُبَارك فِي «مُسْنَدِهِ» رقم: [١٨١]، وَالإمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/ ٢١٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، وَابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٥/ ٣٤٠)، وَالبُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ» رقم: [٧٨٣]، والنَّسَائِي فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى - عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ» (٦/ ٢٤٥)، وابنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ: «الصَّمْتِ» رقم: [٣٤٢]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الكَبِيْر» رقم: (١٣٠٠٥ - ١٣٠٠٦)، والطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مُشْكِلِ الآثَارِ» (١/ ٢١٨)، والبَيْهَقِيُّ فِي «السُّنَنِ الكُبْرَى» (٣/ ٢١٧)، وَغَيْرُهُمْ، من طريق أجلح بنِ عبدِ اللهِ الكِنْدِيِّ عنْ يزيدَ بنِ الأَصَمِّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ، وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ بِشَوَاهِدِهِ.

وانْظُرْ: «سِلْسِلَةَ الأَحَادِيْثِ الصَّحِيْحَةِ» رقم: (١٣٦، ١٣٩، ١٠٩٣).

(٢) ساقطة من: (أ).

(٣) ساقط من: (أ)، وفي (ب): ويقول.

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) في (أ): و.

(٦) في (ب): رسول الله.

(٧) في (ب): وأنه كان قد جعله ندا بها.

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»: أَنَّ رَجُلًا أُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: «**عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ**»[١].



(١) مكان ما بين القوسين في (ب) بياض.

فَصْلٌ

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَاتِ وَالنِّيَّاتِ: فَذَلِكَ الْبَحْرُ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، فَمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ(١) غَيْرَ وَجْهِ اللهِ، أو(٢) نَوَى شَيْئًا غَيْرَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَلَبَ الْجَزَاءِ مِنْهُ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ فِي نِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَالْإِخْلَاصُ: أَنْ يُخْلِصَ للهِ فِي أَقْوَالِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَنِيَّتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ كُلَّهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهَا، وَهِيَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَهِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي مَنْ رَغِبَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ أَسْفَهِ السُّفَهَاءِ.

❁❁❁

---

(١) ساقطة من: (أ).

(٢) ضعيفٌ. رَوَاهُ الإمامُ أحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ» (٣/ ٤٣٥)، وَالقَطِيعِيُّ فِي «جُزْءِ الالفِ دِينَارٍ» ص: [٣٧٤]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الكَبِيرِ» رقم: (٨٣٩ - ٨٤٠)، وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الأَفْرَادِ وَالغَرَائِبِ» (١/ ٣٩٨ - أَطْرَافُهُ)، وَالحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ» (٤/ ٢٥٥) وَصَحَّحَهُ، والبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» (٤/ ١٠٣)، وَالضِّيَاءُ المَقْدِسِيُّ فِي «الأَحَادِيثِ المُخْتَارَةِ» (٤/ ٢٥٨) عَنِ الحَسَنِ عَنِ الأَسْوَدِ بنِ سَرِيعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهِ، وَفِي إِسْنَادِهِ مُحَمَّدُ بنُ مُصْعَبٍ القَرْقَسَانِيُّ: صَدُوقٌ كَثِيرُ الغَلَطِ كَمَا قَالَ الحَافِظُ فِي «التَّقْرِيبِ»، ولَعَلَّهُ غَلِطَ فِي وَصْلِ هَذَا الحَدِيثِ، وَالأَظْهَرُ أَنَّهُ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ مُرْسَلًا، كَذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِ: «الأَمْوَالِ» ص: [١٨٠]، وَابنُ زَنْجَوَيْهِ فِي «الأَمْوَالِ» رقم: [٤٤١] عَنِ الحَسَنِ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ بِأَسِيرٍ فقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَرَفَ الحَقَّ لأَهْلِهِ. دَعُوهُ**».

فَصْلٌ

إِذَا[١] عَرَفْتَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ انْفَتَحَ لَكَ بَابُ الْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ[٢] الْمَذْكُورِ، فَنَقُولُ -وَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ نَسْتَمِدُّ الصَّوَابَ-:

حَقِيقَةُ الشِّرْكِ: هُوَ التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ، وَالتَّشْبِيهُ لِلْمَخْلُوقِ بِهِ، هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ، الَّتِي وَصَفَ اللهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ[٣] بِهَا رَسُولُهُ سُبْحَانَهُ[٤]. فَعَكَسَ الْأَمْرَ مَنْ نَكَسَ اللهُ قَلْبَهُ، وَأَعْمَى[٥] عَيْنَ[٦] بَصِيرَتِهِ، وَأَرْكَسَهُ بِلَبْسِهِ الأمرَ[٧]، وَجَعَلِ التَّوْحِيدِ تَشْبِيهًا، وَالتَّشْبِيهِ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً.

فَالْمُشْرِكُ مُشَبِّهٌ[٨] لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ فِي خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ.

[فَإِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ][٩] التَّفَرُّدَ بِمِلْكِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ تَعَلُّقَ[١٠] الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ بِهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَخْلُوقٍ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِالْخَالِقِ، وَجَعَلَ مَا لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا، وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا، وَلَا حَيَاةً، وَلَا نُشُورًا، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ: شَبِيهًا[١١] لِمَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

فَأَزِمَّةُ[١٢] الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ[١٣]، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، بَلْ إِذَا فَتَحَ لِعَبْدِهِ بَابَ رَحْمَتِهِ لَمْ يُمْسِكْهَا أَحَدٌ، وَإِنْ أَمْسَكَهَا عَنْهُ لَمْ يُرْسِلْهَا إِلَيْهِ أَحَدٌ.

فَمِنْ أَقْبَحِ التَّشْبِيهِ: تَشْبِيهُ هَذَا الْعَاجِزِ الْفَقِيرِ بِالذَّاتِ بِالْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ[١٤].

---

(١) في (ب): وإذا. (٢) في (ب): الشرك! (٣) في (ب): ووصف.
(٤) ساقطة من: (ط). (٥) في (ط): وعمى. (٦) ساقطة من: (ب).
(٧) في (ب): وأركسه بنكسه الأمر، وفي (ط): وأركسه بكسبه.
(٨) في (ب): فالشرك شبه. (٩) ساقط من: (أ). (١٠) في (ط): تعليق.
(١١) في (ب): تشبيهًا (١٢) في (ب): وأزمة. (١٣) في (ب): بيده.
(١٤) في (ب): القادر بالذات الغني بالذات.

وَمِنْ خَصَائِصِ الإِلَهِيَّةِ: الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، الَّذِي لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ كُلُّهَا لَهُ وَحْدَهُ.

وَالتَّعْظِيمُ، وَالإِجْلَالُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالدُّعَاءُ، وَالرَّجَاءُ، وَالإِنَابَةُ، وَالتَّوْبَةُ[1]، وَالتَّوَكُّلُ، وَالاِسْتِعَانَةُ، وَغَايَةُ الذُّلِّ مَعَ غَايَةِ الْحُبِّ: كُلُّ ذَلِكَ يَجِبُ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَفِطْرَةً: أَنْ يَكُونَ لَهُ وَحْدَهُ.

وَيُمْنَعُ عَقْلًا، وَشَرْعًا، وَفِطْرَةً: أَنْ يَكُونَ[2] لِغَيْرِهِ.

فَمَنْ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَ ذَلِكَ الْغَيْرَ بِمَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مِثْلَ[3] له، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَذَلِكَ أَقْبَحُ التَّشْبِيهِ وَأَبْطَلُهُ.

وَلِشِدَّةِ قُبْحِهِ[4]، وَتَضَمُّنِهِ غَايَةَ الظُّلْمِ: أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، مَعَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.

وَمِنْ خَصَائِصِ الإِلَهِيَّةِ: الْعُبُودِيَّةُ الَّتِي قَامَتْ عَلَى سَاقَيْنِ، لَا قِوَامَ لَهَا بِدُونِهِمَا: غَايَةِ الْحُبِّ، مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ. هَذَا تَمَامُ الْعُبُودِيَّةِ.

وَتَفَاوُتُ مَنَازِلِ الْخَلْقِ فِيهَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِهِمْ فِي هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ.

فَمَنْ أَعْطَى حُبَّهُ، وَذُلَّهُ، وَخُضُوعَهُ لِغَيْرِ اللهِ؛ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ فِي خَالِصِ حَقِّهِ، وَهَذَا مِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَجِيءَ[5] بِهِ شَرِيعَةٌ مِنَ الشَّرَائِعِ، وَقُبْحُهُ مُسْتَقِرٌّ فِي كُلِّ فِطْرَةٍ وَعَقْلٍ، وَلَكِنْ غَيَّرَتِ الشَّيَاطِينُ فِطَرَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ، وَعُقُولَهُمْ، وَأَفْسَدَتْهَا عَلَيْهِمْ، وَاجْتَالَتْهُمْ[6] عَنْهَا.

وَمَضَى عَلَى الْفِطْرَةِ الأُولَى مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ بِمَا يُوَافِقُ فِطَرَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، فَازْدَادُوا بِذَلِكَ نُورًا عَلَى نُورٍ، ﴿يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

---

(١) ساقطة من: (أ). (٢) في (ب): أن تكون. (٣) في (ط): ولا مثيل.

(٤) في (ب): وأشده وأقبحه. (٥) في (ب): يجيء. (٦) في (ب): واختار لها!



إِذَا عُـرِفَ[(١)] هَـذَا: فَمِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: السُّجُودُ، فَمَنْ سَجَدَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَ الْـمَخْلُوقَ بِهِ.

وَمِنْهَا: التَّوَكُّلُ، فَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى غَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

وَمِنْهَا: التَّوْبَةُ، فَمَنْ تَابَ لِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

وَمِنْهَا: الْحَلِفُ بِاسْمِهِ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لَهُ[(٢)]، فَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِهِ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِهِ.

هَذَا فِي جَانِبِ التَّشْبِيهِ.

وَأَمَّا فِي جَانِبِ التَّشَبُّهِ بِهِ: فَمَنْ تَعَاظَمَ وَتَكَبَّرَ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى إِطْرَائِهِ فِي الْـمَدْحِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالْخُضُوعِ، وَالرَّجَاءِ، وَتَعْلِيقِ الْقَلْبِ بِهِ خَوْفًا، وَرَجَاءً، وَالْتِجَاءً، وَاسْتِعَانَةً بِهِ[(٣)]، فَقَدْ تَشَبَّهَ بِاللهِ، وَنَازَعَهُ فِي[(٤)] رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُهِينَهُ اللهُ غَايَةَ الْهَوَانِ، وَيُذِلَّهُ غَايَةَ الذُّلِّ، وَيَجْعَلَهُ تَحْتَ أَقْدَامِ خَلْقِهِ.

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْهُ ﷺ قَالَ[(٥)]: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **الْعَظَمَةُ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ**»[(٦)].

وَإِذَا كَانَ الْـمُصَوِّرُ الَّذِي يَصْنَعُ الصُّورَةَ[(٧)] بِيَدِهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ

---

(١) في (ب): عرفت. (٢) ساقطة من: (أ). (٣) ساقطة من: (ب).

(٤) ساقطة من: (ط١). (٥) ساقطة من: (ب).

(٦) روى مسلم في «صحيحه» رقم: [٢٦٢٠] عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قالا: قال رسول اللهِ ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ ينازعني عَذَّبْتُهُ**». ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤٤٢)، والحميدي في «مسنده» رقم: [١١٤٩]، وأبو داود في «سننه» رقم: [٤٠٩٠]، وابن ماجه في «سننه» رقم: [٤١٧٤]، وغيرهم عن أبي هريرة بلفظ: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، والْعظمةُ إزاري، فمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**»، وفي بعض ألفاظه: «**الْعِزُّ إِزَارِي، والْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فمَنْ نَازَعني شَيْئًا مِنْهُ عَذَّبْتُه**».

(٧) في (ب): الصور.

الْقِيَامَةِ لِتَشَبُّهِهِ بِاللهِ فِي مُجَرَّدِ الصنعة، فَمَا الظَّنُّ بِالتَّشَبُّهِ بِاللهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ؟ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُون، يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا [مَا خَلَقْتُمْ]**[(١)]**»** [(٢)].

وَفِي «الصَّحِيحِ»[(٣)] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ[(٤)]: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا**[(٥)] **كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»**[(٦)].

فَنَبَّهَ بِالذَّرَّةِ وَالشَّعِيرَةِ عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَكْبَرُ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ هَذَا حَالُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي صَنْعَةِ صُورَةٍ، فَكَيْفَ حَالُ[(٧)] مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي خَوَاصِّ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ؟ وَكَذَلِكَ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ فِي الِاسْمِ[(٨)] الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ[(٩)] وَحْدَهُ، كَمَلِكِ الْأَمْلَاكِ، وَحَاكِمِ الْحُكَّامِ، وَنَحْوِهِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: **«إِنَّ أَخْنَعَ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى**[(١٠)] **بِشَاهَانْ شَاهْ - أَيْ**[(١١)]: **مَلِكُ الْمُلُوكِ - وَلَا**[(١٢)] **مَلِكَ إِلَّا اللهُ»**[(١٣)].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٢) البخاري [٥٩٥١]، ومسلم [٢١٠٨]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، واللفظ للإمام أحمد. ولفظ الشيخين: «الَّذِينَ يَصْنَعُونَ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»، وسند الإمام أحمد ضعيفٌ، وقد صح مفرقًا، فالجملة الأخيرة مخرجة عند الشيخين من حديث ابن عمر، أما أول الحديث، فخرجه البخاري [٥٩٥٠]، ومسلم [٢١٠٩] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا بلفظ: **«أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ»**.

(٣) في (ط): الصحيحين.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) ساقطة من: (ب).

(٦) البخاري [٧٥٥٩]، ومسلم [٢١١١] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) ساقطة من: (أ).

(٨) في (ب): بالاسم.

(٩) في (ط ١): لله.

(١٠) في (ط): يسمى.

(١١) زيادة من: (ط).

(١٢) في (ط): لا.

(١٣) البخاري [٦٢٠٦]، ومسلم [٢١٤٣] - والسياق له - من حديث أبي هريرة مرفوعًا: **«إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ»**. قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ، وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو، عَنْ أَخْنَعَ، فَقَالَ: أَوْضَعَ.



وَفِي لَفْظٍ: «**أَغِيظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى**[١] **بِمَلِكِ الأَمْلَاكِ**»[٢].

فَهَذَا[٣] مَقْتُ اللهِ وَغَضَبُهُ عَلَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ[٤] فِي الِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَلِكُ الْـمُلُوكِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَاكِمُ الْحُكَّامِ وَحْدَهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ عَلَى الْحُكَّامِ كُلِّهِمْ، وَيَقْضِي عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ، لَا غَيْرُهُ.

❁❁❁

---

(١) في (ط): يسمى.

(٢) مسلم [٢١٤٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (ب): وهذا.

(٤) ساقطة من: (أ).

فَصْلٌ (١)

إِذَا(٢) تَبَيَّنَ هَذَا فَهَهُنَا أَصْلٌ عَظِيمٌ يَكْشِفُ سِرَّ الْمَسْأَلَةِ: وَهُوَ أَنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ إِسَاءَةُ الظَّنِّ بِهِ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ بِهِ الظَّنَّ قَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ، وَظَنَّ(٣) بِهِ مَا يُنَاقِضُ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا تَوَعَّدَ(٤) اللهُ سُبْحَانَهُ الظَّانِّينَ بِهِ(٥) ظَنَّ السَّوْءِ بِمَا لَمْ(٦) يَتَوَعَّدْ بِهِ غَيْرَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

وَقَالَ تَعَالَى لِمَنْ أَنْكَرَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وقَالَ تَعَالَى عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ(٧) أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٥ - ٨٧].

أَيْ: فَمَا ظَنُّكُمْ أَنْ يُجَازِيَكُمْ بِهِ(٨) إِذَا لَقِيتُمُوهُ، وَقَدْ [عَبَدْتُمْ غَيْرَهُ؟ وَمَا(٩) ظَنَنْتُمْ بِهِ حِينَ(١٠)] (١١) عَبَدْتُمْ مَعَهُ غَيْرَهُ؟

وَمَا ظَنَنْتُمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ مِنَ النَّقْصِ حَتَّى أَحْوَجَكُمْ(١٢) ذَلِكَ إِلَى عُبُودِيَّةِ غَيْرِهِ؟

---

(١) في هامش (ب): مطلب: أعظم الذنوب إساءة الظن بالله.

(٢) في (ب): وإذا. (٣) في (أ): فظن. (٤) في (ب): ما توعد!

(٥) في (ب): بالله. (٦) ساقطة من: (أ).

(٧) في (ط١): وقال تعالى حاكيًا عن خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم.

(٨) ساقطة من: (ب). (٩) في (ط ١): وماذا.

(١٠) في (ط، ط١): حتى، والمثبت من: (ب).

(١١) ساقط من: (أ). (١٢) في (أ): أخرجكم.

فَلَوْ ظَنَنْتُمْ بِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ: مِنْ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلى(١) كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، [وَكُلُّ مَا سِوَاهُ](٢) فَقِيرٌ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ الْـمُتَفَرِّدُ(٣) بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ، لا(٤) يُشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَالْعَالِمُ بِتَفَاصِيلِ الْأُمُورِ، فَلَا يَخْفَى(٥) عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْكَافِي لَهُمْ وَحْدَهُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مُعِينٍ، وَالرَّحْمَنُ(٦) بِذَاتِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ فِي رَحْمَتِهِ إِلَى مَنْ يَسْتَعْطِفُهُ.

وَهَذَا بِخِلَافِ الْـمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الرُّؤَسَاءِ(٧)، فَإِنَّهُمْ مُحْتَاجُونَ(٨) إِلَى مَنْ يُعَرِّفُهُمْ أَحْوَالَ الرَّعِيَّةِ وَحَوَائِجَهُمْ، وَإِلَى مَنْ يُعِينُهُمْ(٩) على قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَإِلَى مَنْ يَسْتَرْحِمُهُمْ وَيَسْتَعْطِفُهُمْ بِالشَّفَاعَةِ، فَاحْتَاجُوا إِلَى الْوَسَائِطِ ضَرُورَةً، لِحَاجَتِهِمْ، وعَجْزِهِمْ، وَضَعْفِهِمْ، وَقُصُورِ عِلْمِهِمْ.

فَأَمَّا الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْغَنِيُّ بذاته عَنْ(١٠) كُلِّ شَيْءٍ، العالم بكل شيء، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَإِدْخَالُ الْوَسَائِطِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ تنَقُّصٌ(١١) بِحَقِّ رُبُوبِيَّتِهِ، وَإِلَهِيَّتِهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَظَنٌّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَهَذَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَشْرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَيَمْتَنِعُ فِي الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ جَوَازُهُ، وَقُبْحُهُ مُسْتَقِرٌّ فِي الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ فَوْقَ كُلِّ قَبِيحٍ.

وَيُوَضِّحُ هَذَا: أَنَّ الْعَابِدَ مُعَظِّمٌ لِـمَعْبُودِهِ، مُتَأَلِّهٌ له(١٢)، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَهُ، وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ كَمَالَ التَّعْظِيمِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالتَّأَلُّهِ، وَالْـخُضُوعِ، وَالذُّلِّ، وَهَذَا خَالِصُ حَقِّهِ.

---

(١) في (ط): وهو على.
(٢) ساقط من: (أ).
(٣) في (ط): المنفرد.
(٤) في (أ): فلا.
(٥) في (ط ١): فلا تخفى.
(٦) في (ب): الرحمن.
(٧) في (ب): وغيرهم من أبناء الدنيا من الرؤساء.
(٨) في (ب): يحتاجون.
(٩) في (ط): ويعينهم. بدون «إلى من».
(١٠) في (ب): على.
(١١) في (ب): ينقص.
(١٢) ساقطة من: (ب).

[فَمِنْ أَقْبَحِ الظُّلْمِ أَنْ يُعْطَى حَقُّهُ][(١)] لِغَيْرِهِ، أَوْ[(٢)] يُشْرِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِيهِ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الَّذِي جُعِلَ شَرِيكَهُ فِي حَقِّهِ هُوَ عَبْدُهُ وَمَمْلُوكُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الرُّوم: ٢٨].

أَيْ: إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يَأْنَفُ أَنْ يَكُونَ مَمْلُوكُهُ شَرِيكَهُ فِي رِزْقِهِ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَ لِي مِنْ[(٣)] عَبِيدِي شُرَكَاءَ فِيمَا أَنَا بِهِ مُنْفَرِدٌ بِهِ؟ وَهُوَ[(٤)] الْإِلَهِيَّةُ، الَّتِي لَا تَنْبَغِي[(٥)] لِغَيْرِي، وَلَا تَصلُحُ[(٦)] لِسِوَايَ؟![(٧)]

فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ فَمَا قَدَرَنِي حَقَّ قَدْرِي، وَلَا عَظَّمَنِي حَقَّ تَعْظِيمِي، وَلَا أَفْرَدَنِي بِمَا أَنَا مُنفَرِدٌ بِهِ وَحْدِي دُونَ خَلْقِي.

فَمَا قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ عَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤].

فَمَا قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ عَبَدَ مَعَهُ[(٨)] مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ أَضْعَفِ حَيَوَانٍ وَأَصْغَرِهِ، وَإِنْ سَلَبَهُ الذُّبَابُ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اسْتِنْقَاذِهِ مِنْهُ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى[(٩)]: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) ساقط من: (أ). (٢) في (أ): أن. (٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ب): وهي. (٥) في (ب): لا ينبغي. (٦) في (ب): ولا يصلح.
(٧) في (ب): وهو الإلهية التي لا ينبغي لغيري ولا يصلح لسواي، وفي (ب): ولا تصح لسواي.
(٨) في (ط): معه غيره. (٩) في (أ، ط، ط١): وقال تعالى.

فَـمَا قَدَرَ مَنْ هَذَا شَـأْنُهُ وَعَظَمَتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ أَشْرَكَ مَعَـهُ[١] فِي عِبَادَتِهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَلْبَتَّةَ، بَلْ هُوَ أَعْجَزُ شَيْءٍ وَأَضْعَفُهُ.

فَمَا قَدَرَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ أَشْرَكَ مَعَهُ الضَّعِيفَ الذَّلِيلَ.

وَكَذَلِكَ مَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ إِلَى خَلْقِهِ رَسُولًا، وَلَا أَنْزَلَ كِتَابًا، بَلْ نَسَبَهُ إِلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَا يَحْسُنُ مِنْهُ، مِنْ[٢] إِهْمَالِ خَلْقِهِ وَتَضْيِيعِهِمْ وَتَرْكِهِمْ سُدًى، وَخَلْقِهِمْ بَاطِلًا عَبَثًا[٣].

وَلَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ نَفَى حَقَائِقَ أَسْـمَائِهِ الْحُسْـنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، فَنَفَى سَمْعَهُ، وَبَـصَرَهُ، وَإِرَادَتَـهُ، وَاخْتِيَـارَهُ، وَعُلُوَّهُ فَوْقَ خَلْقِـهِ، وَكَلَامَهُ، وَتَكْلِيمَهُ لِمَنْ شَـاءَ مِنْ خَلْقِهِ بِـمَا يُرِيدُ[٤]، أَوْ نَفَى[٥] عُمُـومَ قُدْرَتِهِ وَتَعَلُّقَهَا بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ مِـنْ طَاعَاتِهِمْ[٦] وَمَعَاصِيهِمْ، فَأَخْرَجَهَا عَنْ قُدْرَتِهِ وَمَشِـيئَتِهِ وَخَلْقِهِ[٧]، وَجَعَلَهُمْ يَخْلُقُونَ لِأَنْفُسِـهِمْ مَا يَشَـاءُونَ بِدُونِ مَشِـيئَةِ الرَّبِّ، فَيَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَـاءُ، وَيَشَـاءُ مَا لَا يَكُونُ. تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِ أَشْـبَاهِ الْـمَجُوسِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَكَذَلِكَ مَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يُعَاقِبُ عَبْدَهُ عَلَى مَا لَا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ، وَلَا لَهُ عَلَيْهِ قُدْرَةٌ، وَلَا تَأْثِيرٌ لَهُ فِيهِ أَلْبَتَّةَ، بَلْ هُوَ نَفْسُ فِعْلِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا، فَيُعَاقِبُ عَبْدَهُ عَلَى فِعْلِهِ هُوَ[٨] سُبْحَانَهُ، الَّذِي جَبَرَ الْعَبْدَ عَلَيْهِ.

وَجَـبْرُهُ عَـلَى الْفِعْلِ أَعْظَمُ مِنْ إِكْرَاهِ الْـمَخْلُوقِ لِلْمَخْلُوقِ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْـمُسْـتَقِرِّ فِي الْفِطَـرِ وَالْعُقُولِ أَنَّ السَّـيِّدَ لَوْ أَكْرَهَ عَبْـدَهُ عَلَى فِعْلٍ، أَوْ أَلْجَأَهُ إِلَيْهِ، ثُـمَّ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ لَكَانَ

---

(١) في (أ): من لم يشرك معه. وهذا تحريف، وعكس للكلام.

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) في (ط): وعبثًا.

(٤) في (ب): يريده.

(٥) في (أ): أو نفى عنه، وفي (ب): ونفى.

(٦) في (ب، ط): طاعتهم.

(٧) ساقطة من: (ب).

(٨) في (ط ١): وهو.

قَبِيحًا، فَأَعْدَلُ[١] الْعَادِلِينَ، وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ: كَيْفَ يَجْبُرُ الْعَبْدَ عَلَى فِعْلٍ لَا يَكُونُ[٢] لِلْعَبْدِ فِيهِ صُنْعٌ وَلَا تَأْثِيرٌ، وَلَا هُوَ وَاقِعٌ بِإِرَادَتِهِ، بَلْ وَلَا هُوَ فِعْلُهُ أَلْبَتَّةَ، ثُمَّ يُعَاقِبُ[٣] عَلَيْهِ عُقُوبَةَ الْأَبَدِ؟ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ قَولِ أَشْبَاهِ الْمَجُوسِ[٤].

وَالطَّائِفَتَانِ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

[وَكَذَلِكَ مَا قَدَرَهُ][٥] [حَقَّ قَدْرِهِ][٦] مَنْ لَمْ يَصُنْهُ عَنْ بِئْرٍ[٧]، وَلَا حُشٍّ، وَلَا مَكَانٍ يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهِ بَلْ جَعَلَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وصَانَهُ عَنْ عَرْشِهِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَوِيًا عَلَيْهِ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٨] [فَاطِر: ١٠].

وَتَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ، وَتَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٥].

فَصَانَهُ عَنِ اسْتِوَائِهِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، ثُمَّ جَعَلَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَأْنَفُ الْإِنْسَانُ - بَلْ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ - أَنْ يَكُونَ فِيهِ.

وَمَا قَدَرَهُ[٩] حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ نَفَى حَقِيقَةَ مَحَبَّتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ، وَرِضَاهُ، وَغَضَبِهِ، وَمَقْتِهِ، وَلَا مَنْ نَفَى حَقِيقَةَ[١٠] حِكْمَتِهِ، الَّتِي هِيَ الْغَايَاتُ الْمَحْمُودَةُ، الْمَقْصُودَةُ بِفِعْلِهِ، وَلَا مَنْ نَفَى حَقِيقَةَ فِعْلِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ فِعْلًا اخْتِيَارِيًّا يَقُومُ بِهِ، بَلْ أَفْعَالُهُ مَفْعُولَاتٌ

---

(١) في (ب): أعدل. (٢) في (أ): فعل ما لا يكون. (٣) في (أ): يعاقبه.

(٤) في (ط): أقوال المجوس. (٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٦) زيادة من: (ط١). (٧) في (ط): نتن!

(٨) كلمة «يرفعه» لم ترد في (ب)، وفي (ط١): يصعد إليه الكلم الطيب، والعمل الصالح، والمثبت من: (أ، ط).

(٩) في (ط): وما قَدَرَ اللهَ. (١٠) في (أ): ولا من نفى من حقيقة.

مُنْفَصِلَةٌ عَنْهُ، فَنَفَى حَقِيقَةَ مَجِيئِهِ، وَإِتْيَانِهِ[(١)]، وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَتَكْلِيمِهِ مُوسَى مِنْ جَانِبِ الطُّورِ، وَمَجِيئِهِ[(٢)] يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ بِنَفْسِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ، وَأَوْصَافِ كَمَالِهِ، الَّتِي نَفَوْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ بِنَفْيِهَا قَدْ قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ جَعَلَ لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، أَوْ جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ يَحِلُّ فِي مَخْلُوقَاتِهِ، أَوْ جَعَلَهُ عَيْنَ هَذَا الْوُجُودِ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ رَفَعَ أَعْدَاءَ رَسُولِهِ[(٣)]، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَعْلَى[(٤)] ذِكْرَهُمْ، وَجَعَلَ فِيهِمُ الْمُلْكَ، وَالْخِلَافَةَ، وَالْعِزَّ، وَوَضَعَ أَوْلِيَاءَ رَسُولِهِ[(٥)]، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَأَهَانَهُمْ، وَأَذَلَّهُمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ[(٦)] أَيْنَمَا ثُقِفُوا، وَهَذَا يَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْقَدْحِ فِي جَنَابِ الرَّبِّ. تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الرَّافِضَةِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَهَذَا الْقَوْلُ مُشْتَقٌّ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي رَبِّ الْعَالَمِينَ: أَنَّهُ أَرْسَلَ مَلِكًا ظَالِمًا، فَادَّعَى النُّبُوَّةَ لِنَفْسِهِ، وَكَذَبَ عَلَى اللهِ، وَمَكَثَ زَمَانًا[(٧)] طَوِيلًا[(٨)] يَكْذِبُ عليه كُلَّ وَقْتٍ، وَيَقُولُ: قَالَ كَذَا[(٩)]، وَأَمَرَ بِكَذَا[(١٠)]، وَنَهَى عَنْ كَذَا، وَيَنْسَخُ شَرَائِعَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَيَسْتَبِيحُ[(١١)] دِمَاءَ أَتْبَاعِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَحَرِيمَهُمْ، وَيَقُولُ: اللهُ أَبَاحَ لِي ذَلِكَ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُظْهِرُهُ، وَيُؤَيِّدُهُ، وَيُعْلِيهِ، وَيُعِزُّهُ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ[(١٢)]، وَيُمَكِّنُهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ[(١٣)]، وَيُقِيمُ

---

(١) في (أ، ب): مجبته، وإثباته! والمثبت من: (ط، ط ١).

(٢) في (ب): مجيئه.

(٣) في (ط): رسول الله ﷺ.

(٤) في (أ): وأهمل.

(٥) في (ط): رسول الله ﷺ.

(٦) ساقطة من: (أ).

(٧) في (ط، ط١): زمنًا، والمثبت من: (أ، ب).

(٨) ساقطة من: (ب).

(٩) في (ط): قال الله كذا.

(١٠) في (ب): كذا.

(١١) في (ب): وتستبيح.

(١٢) في (ط، ط ١): دعواته. والمثبت من: (أ، ب).

(١٣) في (ط١): خالفه.

الْأَدِلَّةَ عَلَى صِدْقِهِ، وَلَا يُعَادِيهِ أَحَدٌ إِلَّا ظَفِرَ بِهِ، فَيُصَدِّقُهُ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَتَقْرِيرِهِ، وَيُحْدِثُ أَدِلَّةَ تَصْدِيقِهِ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا يَتَضَمَّنُ أَعْظَمَ الْقَدْحِ وَالطَّعْنِ فِي الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَعِلْمِهِ(١)، وَحِكْمَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَرُبُوبِيَّتِهِ. تَعَالَى اللهُ عَنْ قَوْلِ الْجَاحِدِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَوَازِنْ بَيْنَ قَوْلِ هَؤُلَاءِ، وَبَيْنَ قَوْلِ(٢) إِخْوَانِهِمْ مِنَ(٣) الرَّافِضَةِ، تَجِدِ الْقَوْلَيْنِ [كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ](٤):

رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَقَاسَمَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ(٥)

وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُعَذِّبَ أَوْلِيَاءَهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْصِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيُدْخِلَهُمْ دَارَ الْجَحِيمِ، وَيُنَعِّمَ أَعْدَاءَهُ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَيُدْخِلَهُمْ دَارَ النَّعِيمِ، وَأَنَّ كِلَا الْأَمْرَيْنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا الْخَبَرُ الْمَحْضُ جَاءَ عَنْهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، فَمَنَعْنَاهُ لِلْخَبَرِ، لَا لِمُخَالَفَةِ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ.

وَقَدْ أَنْكَرَ سُبْحَانَهُ [فِي كِتَابِهِ](٦) عَلَى مَنْ جَوَّزَ(٧) عَلَيْهِ ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَجَعَلَ الْحُكْمَ بِهِ مِنْ أَسْوَإِ الْأَحْكَامِ(٨).

---

(١) لم ترد في: (ب). (٢) في (ب، ط): وقول. (٣) ساقطة من: (أ).

(٤) ساقط من: (أ، ط ١)، والمثبت من: (ب، ط). (٥) تقدم البيت.

(٦) ساقط من: (أ). (٧) في (أ): يجوز.

(٨) زاد في (ط): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧ - ٢٨]، وَقَالَ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١ - ٢٢]، وَقَالَ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦].

وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ زَعَمَ: أَنَّهُ لَا يُحْيِي الْمَوْتَى[١]، وَلَا يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَلَا يَجْمَعُ[٢] خلقَهُ لِيَوْمٍ يُجَازِي الْمُحْسِنَ فيه بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ فيهِ حَقَّهُ مِنْ ظَالِمِهِ، وَيُكْرِمُ الْمُتَحَمِّلِينَ لِلْمَشَاقِّ[٣] فِي هَذِهِ الدَّارِ مِنْ أَجْلِهِ، وَفِي مَرْضَاتِهِ بِأَفْضَلِ كَرَامَتِهِ، وَيُبَيِّنُ[٤] لِخَلْقِهِ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَيُعْلِمُ[٥] الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ.

وَكَذَلِكَ لَمْ يَقْدِرْهُ حَقَّ قَدْرِهِ: مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَعَصَاهُ، وَنَهْيُهُ فَارْتَكَبَهُ، وَحَقُّهُ فَضَيَّعَهُ، وَذِكْرُهُ فَأَهْمَلَهُ، وَغَفَلَ قَلْبُهُ عَنْهُ، وَكَانَ هَوَاهُ آثَرَ عِنْدَهُ مِنْ طَلَبِ رِضَاهُ، وَطَاعَةُ الْمَخْلُوقِ أَهَمَّ عنده[٦] مِنْ طَاعَتِهِ، فَلِلَّهِ الْفَضْلَةُ[٧] مِنْ قَلْبِهِ وَقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ، وسواهُ[٨] الْمُقَدَّمُ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ الْمُهِمُّ عِنْدَهُ، يَسْتَخِفُّ[٩] بِنَظَرِ اللهِ إِلَيْهِ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، وهو في قبضته، وناصيته بيده، ويعظم نَظَرَ المخلوقِ إليهِ، واطِّلاعِهِ[١٠] عليهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ.

وَيَسْتَحِيي[١١] مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحِيي مِنَ اللهِ، وَيَخْشَى النَّاسَ وَلَا يَخْشَى اللهَ.

وَيُعَامِلُ الْخَلْقَ بِأَفْضَلِ مَا[١٢] يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَامَلَ اللهَ عَامَلَهُ بِأَهْوَنِ مَا عِنْدَهُ وَأَحْقَرِهِ.

وَإِنْ قَامَ فِي خِدْمَةِ إِلهِهِ[١٣] مِنَ الْبَشَرِ قَامَ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ وَبَذْلِ النَّصِيحَةِ[١٤]، وَقَدْ فَرَّغَ[١٥] لَهُ قَلْبَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَقَدَّمَهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَصَالِحِهِ، حَتَّى إِذَا قَامَ فِي حَقِّ رَبِّهِ - إِنْ

---

(١) في (أ): من لم يزعم أنه يحيي الموتى.
(٢) في (أ): ولا يبعث.
(٣) في (أ): المشاق.
(٤) في (ب): وبيّن.
(٥) في (أ): وليعلم.
(٦) ساقطة من: (ط).
(٧) في (ب): الفضل.
(٨) في (ط): هواه.
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (أ): باطلاعه.
(١١) في (أ، ط): يستحي.
(١٢) في (أ): مما.
(١٣) في (ط): خدمة من يحبه.
(١٤) في (أ): قد بذل له النصيحة.
(١٥) في (ط): أفرغ.

سَاعَدَ الْقَدَرُ - قَامَ قِيَامًا لَا يَرْضَى مثلَهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقٍ[(١)]، وَبَذَلَ لَهُ مِنْ مَالِهِ مَا يَسْتَحِيي أَنْ يُوَاجِهَ بِهِ مَخْلُوقًا لِمِثْلِهِ.

فَهَلْ قَدَرَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ هَذَا وَصْفُهُ؟

وَهَلْ[(٢)] قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَنْ شَارَكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ[(٣)] فِي مَحْضِ حَقِّهِ مِنَ الْإِجْلَالِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالطَّاعَةِ، وَالذُّلِّ، وَالْخُضُوعِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ؟

فَلَوْ جعَلَ لَهُ مِنْ أَقْرَبِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ شَرِيكًا فِي ذَلِكَ؛ لَكَانَ ذَلِكَ جَرَاءَةً، وَتَوَثُّبًا عَلَى مَحْضِ حَقِّهِ، وَاسْتِهَانَةً بِهِ، وَتَشْرِيكًا[(٤)] بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، فِيمَا لَا يَنْبَغِي وَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَكَيْفَ[(٥)] وَإِنَّمَا شَرَّكَ[(٦)] بَيْنَهُ وَبَيْنَ [أَبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَأَهْوَنِهِمْ عَلَيْهِ، وَأَمْقَتِهِمْ عِنْدَهُ، وَهُوَ][(٧)] عَدُوُّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟

فَإِنَّهُ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١].

وَلَمَّا عَبَدَ الْمُشْرِكُونَ الْمَلَائِكَةَ بِزَعْمِهِمْ وَقَعَتْ عِبَادَتُهُمْ [فِي نَفْسِ الْأَمْرِ][(٨)] لِلشَّيطَانِ[(٩)]، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]

---

(١) في (ط): لا يرضاه مخلوق من مخلوق مثله.

(٢) ساقطة من: (أ). (٣) في (ب): عبده. (٤) في (ب): وشريكًا.

(٥) ساقطة من: (ب). (٦) في (ب): أشرك.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٨) ساقط من: (ط١). (٩) في (ط): للشياطين.

فَالشَّيْطَانُ يَدْعُو الْـمُشْرِكَ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَيُوهِمُهُمْ أَنَّهُ مَلَكٌ.

وَكَذَلِكَ عُبَّادُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوَاكِبِ يزعمون أنهم يعبدون روحانيَّاتِ هذهِ الكواكبِ، وَهِيَ الَّتِي تُخَاطِبُهُمْ، وَتَقْضِي لَهُمُ الْحَوَائِجَ.

وَلِهَذَا إِذَا طَلَعَتِ[1] الشَّمْسُ قَارَنَهَا الشَّيْطَانُ، فَيَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، فَيَقَعُ سُجُودُهُمْ لَهُ، وَكَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِهَا.

وَكَذَلِكَ مَنْ عَبَدَ الْـمَسِيحَ وَأُمَّهُ لَمْ يَعْبُدْهُمَا وَإِنَّمَا عَبَدَ الشَّيْطَانَ.

فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْبُدُ مَنْ أَمَرَهُ بِعِبَادَتِهِ وَعِبَادَةِ أُمِّهِ، وَرَضِيَهَا لَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِهَا، وَهَذَا هُوَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، [لعنة الله عليه][2]، لَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ.

فَنَزِّلْ هَذَا كُلَّهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠][3].

فَمَا عَبَدَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرَ اللهِ كَائِنًا مَنْ[4] كَانَ إِلَّا وَقَعَتْ عِبَادَتُهُ لِلشَّيْطَانِ، فَيَسْتَمْتِعُ الْعَابِدُ بِالْـمَعْبُودِ فِي حُصُولِ غَرَضِهِ، وَيَسْتَمْتِعُ الْـمَعْبُودُ بِالْعَابِدِ فِي تَعْظِيمِهِ لَهُ، وَإِشْرَاكِهِ مَعَ اللهِ، الَّذِي هُوَ غَايَةُ رِضَى الشَّيْطَانِ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [أي: مِنْ إِغْوائِهِمْ وإِضْلالِهِم][5] ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

---

(١) في (أ): ارتفعت.

(٢) ساقط من: (أ).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٤) في (ب): ما.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

فَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَطِيفَةٌ إِلَى السِّرِّ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَانَ [(١)] الشِّرْكُ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّهُ لَا يُغْفَرُ بِغَيْرِ التَّوْبَةِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ يُوجِبُ الْخُلُودَ فِي الْعَذَابِ [(٢)]، وَأَنَّهُ لَيْسَ تَحْرِيمُهُ وَقُبْحُهُ بِمُجَرَّدِ النَّهْيِ عَنْهُ، بَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَعَ عِبَادَةَ [(٣)] إِلَهٍ غَيْرِهِ، كَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ مَا يُنَاقِضُ أَوْصَافَ كَمَالِهِ، وَنُعُوتَ جَلَالِهِ.

وَكَيْفَ يُظَنُّ بِالْمُنْفَرِدِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ وَالْعَظَمَةِ وَالجلالِ أَنْ يَأْذَنَ فِي مُشَارَكَتِهِ فِي ذَلِكَ، أَوْ يَرْضَى بِهِ؟ تَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.



(١) في (أ): الذي كان لأجله.

(٢) في (أ): النار، وفي (ب): في العذاب في النار.

(٣) في (أ): العبادة، وفي (ط): لعباده عبادةَ.

فَصْلٌ

فَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ أَكْبَرَ شَيْءٍ مُنَافَاةً لِلْأَمْرِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ لَهُ الْخَلْقَ، وَأَمَرَ لِأَجْلِهِ بِالْأَمْرِ: كَانَ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ.

وَكَذَلِكَ الْكِبْرُ، وَتَوَابِعُهُ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ[1] لِتَكُونَ الطَّاعَةُ لَهُ وَحْدَهُ، وَالشِّرْكُ وَالْكِبْرُ يُنَافِيَانِ ذَلِكَ.

وَلِذَلِكَ حَرَّمَ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، فَلَا يَدْخُلُهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ[2].



---

(١) في (ط): الكتاب.

(٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**» رواه مسلم [٩١].

فَصْلٌ

وَيَلِي ذَلِكَ فِي كِبَرِ الْمَفْسَدَةِ: الْقَوْلُ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَوَصْفُهُ بِضِدِّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ[1] ﷺ. فَهُوَ[2] أَشَدُّ شَيْءٍ مُنَاقَضَةً وَمُنَافَاةً [لِكَمَالِ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ][3]، وَقَدْحٌ فِي نَفْسِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَخَصَائِصِ الرَّبِّ.

فَإِنْ صَدَرَ ذَلِكَ عَنْ عِلْمٍ فَهُوَ عِنَادٌ[4] أَقْبَحُ مِنَ الشِّرْكِ، وَأَعْظَمُ إِثْمًا عِنْدَ اللهِ.

فَإِنَّ الْمُشْرِكَ الْمُقِرَّ بِصِفَاتِ الرَّبِّ، خَيْرٌ مِنَ الْمُعَطِّلِ الْجَاحِدِ لِصِفَاتِ كَمَالِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ أَقَرَّ لِمَلِكٍ بِالْمُلْكِ، وَلَمْ يَجْحَدْ مُلْكَهُ، وَلَا الصِّفَاتِ الَّتِي اسْتَحَقَّ بِهَا الْمُلْكَ، لَكِنْ جَعَلَ مَعَهُ شَرِيكًا فِي بَعْضِ الْأُمُورِ، يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ: خَيْرٌ مِمَّنْ جَحَدَ صِفَاتِ الْمَلِكِ، وَمَا يَكُونُ بِهِ مَلِكًا.

هَذَا أَمْرٌ مُسْتَقِرٌّ فِي سَائِرِ الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ.

فَأَيْنَ الْقَدْحُ فِي صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَالْجَحْدِ لَهَا، مِنْ عِبَادَةِ وَاسِطَةٍ بَيْنَ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ، وَبَيْنَ الْعَابِدِ، يَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِعِبَادَةِ تِلْكَ الْوَاسِطَةِ، إِعْظَامًا لَهُ، وَإِجْلَالًا؟

فَدَاءُ التَّعْطِيلِ هو[5] الدَّاءُ الْعُضَالُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ.

وَلِهَذَا حَكَى اللهُ عَنْ إِمَامِ الْمُعَطِّلَةِ فِرْعَوْنَ، أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى مُوسَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَنَّ رَبَّهُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ، فَقَالَ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

---

(١) في (ط): رسول الله. (٢) في (ط): فهذا.
(٣) ساقط من: (أ)، وبدله: الخالق والأمر، وفي (ب): لحكمة الخالق والأمر.
(٤) في (ب): عنده. (٥) في (ط): هذا.

وَاحْتَجَّ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي كُتُبِهِ عَلَى الْـمُعَطِّلَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وقَدْ ذَكَرْنَا لَفْظَهُ[١] فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ[٢].

وَالْقَوْلُ عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ وَالشِّرْكُ مُتَلَازِمَانِ.

وَلَـمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْبِدَعُ الْـمُضِلَّةُ جَهْلًا بِصِفَاتِ اللهِ، وَتَكْذِيبًا بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ[٣] رَسُولُه[٤] ﷺ عِنَادًا وَجَهْلًا: كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ - إِنْ[٥] قَصُرَتْ عَنِ الْكُفْرِ -، وَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنْ كِبَارِ الذُّنُوبِ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الْبِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ[٦] مِنَ الْـمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْـمَعْصِيَةَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا»[٧].

وَقَالَ إِبْلِيسُ: «أَهْلَكْتُ بَنِي آدَمَ بِالذُّنُوبِ، وَأَهْلَكُونِي بِالِاسْتِغْفَارِ، وَبِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَلَـمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ[٨] بَثَثْتُ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ، فَهُمْ يُذْنِبُونَ[٩] وَلَا يَتُوبُونَ، لِأَنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»[١٠].

---

(١) في (ب): وقد ذكرت بلفظه.

(٢) في (ب): في غير هذا الكتاب، وهو كتاب: «اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية» في «إثبات العلوم»!. وكلمة «العلوم» محرفة من: «العلو». وانظر: كلامه في: «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٤٤)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» ص: [١٨٨].

(٣) في (أ): عن.

(٤) في (ط): رسول الله.

(٥) في (ط): وإن.

(٦) في (ب): إبليس بعنه الله.

(٧) أثرٌ حسنٌ عن سفيان الثوري: رواه علي بن الجعد [١٨٠٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٦)، والهروي في «ذم الكلام» [٩١٥]، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» [٢٣٨] من طريق يحيى بن يمان العجلي عن سفيان الثوري. وإسناده حسنٌ.

(٨) في (ب): ذلك منهم.

(٩) في (أ): لا يذنبون.

(١٠) عن أبي بكر رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُم بلا إِلَهَ إلا اللهُ وَالاسْتِغْفَارِ فَأَكْثِرُوا مِنْهُما، فإنّ إبْليس، قال: أهْلَكْتُ النّاس بِالذُّنُوبِ، فَأَهْلَكُونِي بِلا إِلَهَ إلا اللهُ وَالاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا** =

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْـمُذْنِبَ إِنَّمَا ضَرَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَمَّا الْـمُبْتَدِعُ فَضَرَرُهُ عَلَى النَّوْعِ.

وَفِتْنَةُ الْـمُبْتَدِعِ فِي أَصْلِ الدِّينِ، وَفِتْنَةُ الْـمُذْنِبِ فِي الشَّهْوَةِ.

❁ وَالْـمُبْتَدِعُ قَدْ قَعَدَ لِلنَّاسِ عَلَى صِرَاطِ اللهِ الْـمُسْتَقِيمِ(١) يَصُدُّهُمْ عَنْهُ، وَالْـمُذْنِبُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

❁ وَالْـمُبْتَدِعُ قَادِحٌ فِي أَوْصَافِ الرَّبِّ وَكَمَالِهِ، وَالْـمُذْنِبُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

❁ والمبتدع مناقضٌ لِـمَا جَاءَ به الرَّسُولُ ﷺ، والعَاصِي ليسَ كذَلِكَ.

❁ وَالْـمُبْتَـدِعُ يَقْطَـعُ عَـلَى النَّـاسِ طَرِيـقَ الْآخِـرَةِ، وَالْعَاصِي بَطِيءُ السَّـيْرِ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ.

❁❁❁

= رَأَيْـتُ ذَلِـكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ». رواه ابن أبي عاصم في «السـنة» [٧]، وأبو يعلى في «مسـنده» [١٣٦]، و«معجمه» [٢٩١]، والهروي في «ذم الكلام» [٩٤٤]، والأصبهاني في «الحجـة في بيان المحجـة» [١٠٤]، وابن العطـار في «فتيا وجوابها» [١١]، وغيرهم، وفي إسناده: عثمان بن مطر: ضعيف منكر الحديث، وعبد الغفور بن عبد العزيز: ضعيفٌ، وقال البخاري: «تركوه منكر الحديث»، واتهمه ابن حبان - وحده - بوضع الحديث، وقد حكم الشـيخ الألباني على الحديث بأنه موضوع. («الضعيفة» [٥٥٦٠]).

ورواه الهروي في «ذم الكلام» [٩٤٥] من حديث جابر رضي الله عنه بلفظ حديث أبي بكر، وسنده رجاله ثقات، عدا محمد بن أبي سهل الرباطي، ففيه جهالة، وأظنه وهم فيه، والحديث إنما يعرف من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(١) في (أ): على صراط المستقيم.

فَصْلٌ

ثُمَّ لَـمَّا كَانَ «الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ» مُنَافِيًا[١] لِلْعَدْلِ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَأَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ رُسُلَهُ[٢] [عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ][٣]، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ لِيَقُومَ النَّاسُ بِهِ: كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَتْ دَرَجَتُهُ فِي الْعِظَمِ[٤] بِحَسَبِ مَفْسَدَتِهِ فِي نَفْسِهِ.

فَكَانَ[٥] قَتْلُ الْإِنْسَانِ وَلَدَهُ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ الَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ، وَقَدْ جَبَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْقُلُوبَ عَلَى رَحْمَتِهِ[٦]، وَعَطْفِهَا عَلَيْهِ[٧]، وَخَصَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ ذَلِكَ بِمَزِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ، فَقَتْلُهُ خَشْيَةَ أَنْ يُشَارِكَهُ فِي مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَالِهِ: مِنْ أَقْبَحِ الظُّلْمِ وَأَشَدِّهِ.

وَكَذَلِكَ قَتْلُهُ أَبَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَا سَبَبَ وُجُودِهِ، وَكَذَلِكَ قَتْلُهُ ذَا رَحِمِهِ.

وَتَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُ الْقَتْلِ بِحَسَبِ قُبْحِهِ، وَاسْتِحْقَاقِ مَنْ قَتَلَهُ السَّعْيَ[٨] فِي إِبْقَائِهِ وَنَصِيحَتِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ[٩].

---

(١) في (ط): منافيين، والمثبت من: (أ، ب، ط ١).

(٢) في (ب): به رسله. (٣) زيادة من: (ط). (٤) في (ط): العظمة.

(٥) في (ط، ط ١): وكان. (٦) في (ط): محبته ورحمته.

(٧) في (ط): عليهم. والمثبت من: (أ، ب، ط١). والمراد: أن اله جبل القلوب على رحمة الطفلِ الصغير، والعطفِ عليه.

(٨) في (أ، ط): للسعي، والمثبت من: (ب، ط ١).

(٩) روى البخاري في «صحيحه» [٣٨٤٨] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَاشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ**». رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٧)، والبزار [١٧٢٨]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٦]، والطبراني [١٠٥١٥]، وغيرهم من طرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وروي مرفوعًا، وموقوفًا، وهو صحيح. («الصحيحة» [٢٨١]).

وَيَلِيهِ مَنْ قَتَلَ إِمَامًا، أو عَالِمًا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَيَنْصَحُهُمْ فِي دِينِهِمْ(١).

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ جَزَاءَ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ عَمْدًا الْخُلُودَ فِي النَّارِ، وَغَضَبَ الْجَبَّارِ، وَلَعْنَتَهُ، وَإِعْدَادَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ لَهُ، هَذَا مُوجِبُ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا(٢) مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ مَانِعٌ(٣).

وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْإِسْلَامَ الْوَاقِعَ بَعْدَ الْقَتْلِ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا مَانِعٌ مِنْ نُفُوذِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ.

وَهَلْ تَمْنَعُ تَوْبَةُ الْمُسْلِمِ مِنْهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ؟

فِيهِ(٤) قَوْلَانِ لِلسَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَهُمَا رِوَايَتَانِ عَنِ الْإِمَامِ(٥) أَحْمَدَ.

وَالَّذِينَ قَالُوا: لَا تَمْنَعُ(٦) التَّوْبَةُ مِنْ نُفُوذِهِ. رَأَوْا أَنَّهُ -حَقٌّ لِآدَمِيٍّ، لَمْ يَسْتَوْفِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَخَرَجَ مِنْهَا بِظَلَامَتِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُسْتَوْفَى لَهُ فِي دَارِ الْعَدْلِ.

= وأصله في «صحيح البخاري» [٥٦٠٦]، و«صحيح مسلم» [٢١٠٩] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**».

(١) قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١ - ٢٢].

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال عَزَّ مِنْ قائلٍ في صفات عباد الرحمن: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

فهذا الحق مثل القصاص، وقتال الخوارج، ودفع الصائل، ونحو ذلك هو من الحق بالضوابط الشرعية، ومن ذلك: من كان مشركًا وقَتَلَ مؤمنًا عمدًا، ثم أسلم، فلا يُنَزَّل عليه الوعيد إن ثبت على إسلامه.

(٤) ساقطة من: (أ). (٥) زيادة من: (ط). (٦) في (ب): لا يمنع.

قَالُوا: وَمَا اسْتَوْفَاهُ الْوَارِثُ فَإِنَّمَا اسْتَوْفَى مَحْضَ حَقِّهِ، الَّذِي خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ اسْتِيفَائِهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ، وَمَا يَنْفَعُ[١] الْـمَقْتُولَ مِنِ اسْتِيفَاءِ وَارِثِهِ؟ [وَأَيُّ اسْتِدْرَاكٍ لِظَلَامَتِهِ حَصَلَ لَهُ بِاسْتِيفَاءِ وَارِثِهِ؟][٢].

وَهَـذَا أَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ فِي الْـمَسْـأَلَةِ: أَنَّ حَقَّ الْـمَقْتُولِ لَا يَسْـقُطُ بِاسْـتِيفَاءِ الْوَارِثِ، وَهُمَا وَجْهَانِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ[٣] والشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِم[٤].

وَرَأَتْ طَائِفَةٌ[٥]: أَنَّهُ يَسْـقُطُ بِالتَّوْبَةِ وَاسْـتِيفَاءِ الْـوَارِثِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْـدِمُ مَا قَبْلَهَا، وَالذَّنْبُ الَّذِي قَدْ[٦] جَنَاهُ قَدْ أُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّهُ.

قَالُـوا: وَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ تَمْحُو أَثَرَ الْكُفْرِ وَالسِّـحْرِ، وَمَا هُو[٧] أَعْظَمُ إِثْمًا مِنَ الْقَتْلِ، فَكَيْفَ تَقْصُرُ عَنْ مَحْوِ أَثَرِ الْقَتْلِ؟

وَقَـدْ قَبِلَ اللهُ تَوْبَةَ الْكُفَّـارِ[٨] الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ، وَجَعَلَهُـمْ مِـنْ خِيَارِ عِبَادِهِ، وَدَعَا الَّذِينَ حَرَّقُوا[٩] أَوْلِيَاءَهُ، وَفَتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ[١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[١١] [الزمر: ٥٣].

فَهَذِهِ فِي حَقِّ التَّائِبِ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ الْكُفْرَ وَمَا دُونَهُ.

---

(١) في (ب): وما نفع. (٢) ساقط من: (أ).
(٣) في (ب) حاشية: وعندهم رواية ثالثة.
(٤) في (ط): وغيرهما. (٥) في (أ): روايةٌ ثالثةٌ. (٦) ساقطة من: (أ).
(٧) في (ط): وهما. (٨) في (أ): وقد قبل الله من الكفار...
(٩) في (ب): خوفوا، وفي (ط): أحرقوا.
(١٠) في (ب): وفتنوهم عن دينهم، ودعاهم إلى التوبة.
(١١) في (ب) أتم الآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

قَالُوا[١]: وَكَيْفَ يَتُوبُ الْعَبْدُ مِنَ الذَّنْبِ، وَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ بَعْدَ التَّوْبَةِ؟ هَذَا مَعْلُومٌ انْتِفَاؤُهُ فِي شَرْعِ اللهِ وَجَزَائِهِ.

قَالُوا: وَتَوْبَةُ هَذَا الْمُذْنِبِ تَسْلِيمُ نَفْسِهِ، وَلَا يُمْكِنُ تَسْلِيمُهَا إِلَى الْمَقْتُولِ، فَأَقَامَ الشَّارِعُ وَلِيَّهُ[٢] مَقَامَهُ، وَجَعَلَ تَسْلِيمَ النَّفْسِ إِلَيْهِ كَتَسْلِيمِهَا إِلَى الْمَقْتُولِ، بِمَنْزِلَةِ تَسْلِيمِ الْمَالِ الَّذِي عَلَيْهِ لِوَارِثِهِ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مَقَامَ تَسْلِيمِهِ لِلْمُوَرِّثِ[٣].

وَالتَّحْقِيقُ فِي الْمَسْأَلَةِ[٤]: أَنَّ الْقَتْلَ يَتَعَلَّقُ بِهِ ثَلَاثَةُ[٥] حُقُوقٍ: حَقٌّ للهِ، وَحَقٌّ لِلْمَقْتُولِ، وَحَقٌّ لِلْوَلِيِّ[٦].

فَإِذَا سَلَّمَ الْقَاتِلُ نَفْسَهُ طَوْعًا وَاخْتِيَارًا إِلَى الْوَلِيِّ نَدَمًا عَلَى مَا فَعَلَ، وَخَوْفًا مِنَ اللهِ، وَتَوْبَةً نَصُوحًا، سَقَطَ حَقُّ اللهِ بِالتَّوْبَةِ، وَحَقُّ الْوَلِيِّ بِالِاسْتِيفَاءِ أَوِ الصُّلْحِ[٧] أَوِ الْعَفْوِ، وَبَقِيَ حَقُّ الْمَقْتُولِ يُعَوِّضُهُ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ عَبْدِهِ التَّائِبِ الْمُحْسِنِ، وَيُصْلِحُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَلَا يَذْهَبُ حَقُّ هَذَا[٨]، وَلَا تَبْطُلُ تَوْبَةُ هَذَا.

وَأَمَّا مَسْأَلَةُ الْمَالِ: فَقَدِ اخْتُلِفَ فِيهَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: إِذَا أَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ إِلَى الْوَارِثِ فَقَدْ[٩] بَرِئَ مِنْ عُهْدَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا بَرِئَ مِنْهَا[١٠] فِي الدُّنْيَا.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلِ الْمُطَالَبَةُ لِمَنْ ظَلَمَهُ بِأَخْذِهِ بَاقِيَةٌ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ لَمْ[١١] يَسْتَدْرِكْ ظُلَامَتَهُ بِأَخْذِ وَارِثِهِ لَهُ، فَإِنَّهُ مَنَعَهُ مِنِ انْتِفَاعِهِ بِهِ فِي طُولِ حَيَاتِهِ، وَمَاتَ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ، وَهَذَا ظُلْمٌ لَمْ يَسْتَدْرِكْهُ هُوَ[١٢]، وَإِنَّمَا انْتَفَعَ[١٣] غَيْرُهُ بِاسْتِدْرَاكِهِ.

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (أ): وارثه. (٣) في (أ، ط): للموروث.
(٤) في (ط١): هذه المسألة. (٥) في (أ، ط، ط ١): ثلاث، والمثبت من: (ب).
(٦) في (ب): حق الله، وحق المقتول، وحق الولي.
(٧) في (أ): والصلح. (٨) في (أ): ولا يذهب، ولا يبطل حق هذا.
(٩) ساقطة من: (ط). (١٠) في (أ): ما تبرأ منه. (١١) ساقطة من: (أ).
(١٢) ساقطة من: (ط). (١٣) في (ط): ينتفع.

وَبَنَوْا عَلَى هَذَا: أَنَّهُ لَوِ انْتَقَلَ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى وَاحِدٍ، وَتَعَدَّدَ الْوَرَثَةُ، كَانَتِ الْمُطَالَبَةُ بِهِ لِلْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ دَفْعُهُ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عِنْدَ كَوْنِهِ هُوَ الْوَارِثَ، وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ.

وَفَصَلَ شَيْخُنَا[١] رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ، فَقَالَ: إِنْ تَمَكَّنَ الْمَوْرُوثُ مِنْ أَخْذِ مَالِهِ، وَالْمُطَالَبَةِ بِهِ؛ فَلَمْ يَأْخُذْهُ حَتَّى مَاتَ، صَارَتِ الْمُطَالَبَةُ بِهِ لِلْوَارِثِ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ طَلَبِهِ وَأَخْذِهِ، بَلْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَالطَّلَبُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَهَذَا التَّفْصِيلُ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُقَالُ، فَإِنَّ الْمَالَ إِذَا اسْتَهْلَكَهُ الظَّالِمُ عَلَى الْمَوْرُوثِ، وَتَعَذَّرَ عليهِ أَخْذُهُ مِنْهُ، صَارَ بِمَنْزِلَةِ عَبْدِهِ الَّذِي قَتَلَهُ قَاتِلٌ، وَدَارِهِ الَّتِي أَحْرَقَهَا غَيْرُهُ، [وَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ الَّذِي أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ غَيْرُهُ][٢]، وَمِثْلُ هَذَا إِنَّمَا تَلَفَ عَلَى الْمَوْرُوثِ لَا عَلَى الْوَارِثِ، فَحَقُّ الْمُطَالَبَةِ لِمَنْ تَلَفَ عَلَى مِلْكِهِ.

فبَقِيَ[٣] أَنْ يُقَالَ: فَإِذَا كَانَ الْمَالُ عَقَارًا أَوْ أَرْضًا[٤] أَوْ أَعْيَانًا[٥] قَائِمَةً بَاقِيَةً بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهِيَ مِلْكٌ لِلْوَارِثِ[٦]، يَجِبُ عَلَى الْغَاصِبِ دَفْعُهَا إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ، فَإِذَا لَمْ يَدْفَعْ[٧] إِلَيْهِ أَعْيَانَ مَالِهِ اسْتَحَقَّ الْمُطَالَبَةَ بِهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، كَمَا يَسْتَحِقُّ الْمُطَالَبَةَ بِهَا فِي الدُّنْيَا.

وَهَذَا سُؤَالٌ قَوِيٌّ، لَا مَخْلَصَ مِنْهُ إِلَّا بِأَنْ يُقَالَ: الْمُطَالَبَةُ لَهُمَا جَمِيعًا، كَمَا لَوْ غَصَبَ مَالًا مُشْتَرَكًا بَيْنَ جَمَاعَةٍ؛ اسْتَحَقَّ كُلٌّ مِنْهُمُ الْمُطَالَبَةَ بِحَقِّهِ[٨] مِنْهُ، وكَمَا لَوِ[٩] اسْتَوْلَى عَلَى

---

(١) في (ب): وفصل وحكم شيخنا.
(٢) ساقط من: (أ).
(٣) في (ط): يبقى، وفي (ط١): بقي معتمدين على نسخة واحدة دون بقية النسخ الموافقة لما في (أ، ب)، وهو ما أثبته. والمعنى مستقيم على كلٍّ.
(٤) في (ب): وأرضًا.
(٥) في (أ): وأرضًا وأعيانًا.
(٦) في (ط): الوارث.
(٧) في (ب): لم تدفع.
(٨) في (ط): لحقه.
(٩) ساقطة من: (أ).

وَقْفِ مُرَتَّبٍ[1] عَلَى بُطُونٍ، فَأَبْطَلَ حَقَّ الْبُطُونِ كُلِّهِمْ مِنْهُ، كَانَتِ الْمُطَالَبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَمِيعِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

❁ ❁ ❁

(١) في (ب): مترتب.

فَصْلٌ

وَلَـمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الْقَتْلِ هَذِهِ الْـمَفْسَدَةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ[1]: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

وَقَدْ أَشْكَلَ فَهْمُ هَذَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَالوا: مَعْلُومٌ أَنَّ إِثْـمَ قَاتِلِ مِائَةٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ إِثْمِ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّمَا أُتُوا[2] مِنْ ظَنِّهِمْ: أَنَّ التَّشْبِيهَ فِي مِقْدَارِ الْإِثْمِ وَالْعُقُوبَةِ، وَاللَّفْظُ لَمْ يَدُلَّ عَلَى هَذَا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَشْبِيهِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ أَخْذُهُ بِجَمِيعِ أَحْكَامِهِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ أَنَّ[3] لُبْثَهُمْ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا كَانَ هَذَا الْـمِقْدَارَ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ**»[4]، أَيْ: مَعَ الْعِشَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي لَفْظٍ آخَرَ[5].

وَأَصْرَحُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًّا[6] مِنْ شَوَّالٍ فَكَأَنَّمَا صَامَ الدَّهْرَ[7]**»[8].

---

(١) في (أ، ط ١): قال تعالى. (٢) في (ط): أتوه. (٣) ساقطة من: (أ).

(٤) مسلم [٦٥٦] من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٦٨)، وأبو داود [٥٥٥]، والترمذي [٢٢١]، وغيرهم بلفظ: «**وَمَنْ صلّى العشاء والفجر في جماعةٍ كان له كقيام ليلةٍ**».

(٦) في (ط): بستٍّ. (٧) في (ب): الدهر كله.

(٨) مسلم [١١٦٤] من حديث أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَقَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: ١]، **فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ ثَوَابَ فَاعِلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لا(٢) يَبْلُغُ ثَوَابَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، فَيَكُونَ قَدْرُهُمَا سَوَاءً، وَلَوْ كَانَ قَدْرُ الثَّوَابِ سَوَاءً لَمْ يَكُنْ لِمُصَلِّي الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ جَمَاعَةً(٣) مَنْفَعَةٌ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ غَيْرُ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ.

وَمَا أُوتِيَ(٤) عبدٌ - بَعْدَ الْإِيمَانِ - أَفْضَلَ مِنَ الْفَهْمِ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَفِي أَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ قَاتِلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَقَاتِلِ النَّاسِ جَمِيعًا؟

قِيلَ: فِي وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

أَحَدُهَا- أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا عَاصٍ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، مُخَالِفٌ لِأَمْرِهِ، مُتَعَرِّضٌ لِعُقُوبَتِهِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا قَدْ بَاءَ بِغَضَبِ اللهِ(٥) وَلَعْنَتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ،

---

(١) وردت أحاديث عديدة في فضل سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وأنها تعدل ثلث القرآن، من ذلك ما خرجه البخاري [٦٦٤٣] عن أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ، جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»، وروى مسلم [٨١١] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». وأقرب لفظ لما أورده العلامة ابن القيم حديث أَبِي أَيُّوبَ الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». رواه الإمام أحمد (٥/ ٤١٨)، والترمذي [٢٨٩٦]، والنسائي في «الكبرى» [٩٩٤٦]، وغيرهم. وإسناده صحيح. («صحيح الترغيب» [١٤٨١]).

(٢) في (ط، ط١): لم.

(٣) في (ب): في جماعة.

(٤) في أ: أتي.

(٥) في (أ): بغضب من الله.

وَأَعَـدَّ لَهُ عَذَابًـا عَظِيمًا، وَإِنَّ تَفَاوتَتْ[١] دَرَكَاتِ الْعَذَابِ، فَلَيْسَ إِثْـمُ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ إِمَامًا عَادِلًا أَوْ عَالِمًا يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْقِسْطِ، كَإِثْمِ مَنْ قَتَلَ مَنْ لَا مَزِيَّةَ لَهُ[٢] مِنْ آحَادِ النَّاسِ.

الثَّانِي- أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي اسْتِحْقَاقِ إِزْهَاقِ النَّفْسِ.

الثَّالِثُ- أَنَّهُمَا سَوَاءٌ فِي الْجَرَاءَةِ عَلَى سَفْكِ الدَّمِ الْحَرَامِ، فَإِنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، بَلْ لِمُجَرَّدِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، أَوْ لِأَخْذِ مَالِهِ: فَإِنَّهُ يَتَجَرَّأُ[٣] عَلَى قَتْلِ كُلِّ[٤] مَنْ ظَفَرَ بِهِ وَأَمْكَنَهُ قَتْلُهُ، فَهُوَ مُعَادٍ لِلنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يُسَمَّى قَاتِلًا وفَاسِقًا وظَالِمًا وعَاصِيًا[٥] بِقَتْلِهِ وَاحِدًا، كَمَا يُسَمَّى كَذَلِكَ بِقَتْلِهِ النَّاسَ جَمِيعًا.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ[٦] وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ واحدٌ[٧] تَدَاعَى لَهُ[٨] سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ[٩].

فَإِذَا أَتْلَفَ الْقَاتِلُ مِنْ هَذَا الْجَسَدِ عُضْوًا، فَكَأَنَّمَا أَتْلَفَ سَائِرَ الْجَسَدِ، وَآلَمَ جَمِيعَ أَعْضَائِهِ، فَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا وَاحِدًا فَكَأَنَّمَا آذَى جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، وفي[١٠] أَذَى جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ أَذَى جَمِيعِ النَّاسِ، فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا يدفعُ[١١] عَنِ النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ بَيْنَهُمْ، فَإِيذَاءُ الْخَفِيرِ إِيذَاءُ الْمُخْفَرِ[١٢].

---

(١) في (ط): وإنما التفاوت في. (٢) في (ب): من لا يؤبه به.

(٣) في (ط): يجترئ. (٤) ساقطة من: (أ).

(٥) في (ط، ط ١): يسمى قاتلًا أو فاسقًا، أو ظالمًا، أو عاصيًا. والمثبت من: (أ، ب).

(٦) في (ب): توددهم. (٧) زيادة من: (أ). (٨) ساقطة من: (أ).

(٩) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**». رواه البخاري [٦٠١١]، ومسلم [٢٥٨٦].

(١٠) في (ط ١): ومن، والمثبت من: (أ، ب، ط). (١١) في (ط): يدافع.

(١٢) في (أ): فإيذاء الحقير إيذاء المحقر. وفي (ب): للمخفر، وفي (ط): المخفور.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ**[(١)] **ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دمها**[(٢)]**؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»[(٣)].

وَلَمْ يَجِئْ هَذَا الْوَعِيدُ فِي أَوَّلِ زَانٍ، وَلَا أَوَّلِ[(٤)] سَارِقٍ، وَلَا أَوَّلِ شَارِبِ مُسْكِرٍ.

وَإِنْ كَانَ أَوَّلُ الْمُشْرِكِينَ قَدْ يَكُونُ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ قَاتِلٍ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الشِّرْكَ؛ وَلِهَذَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَمْرو بْنَ لُحَيٍّ[(٥)] يُعَذَّبُ أَعْظَمَ الْعَذَابِ فِي النَّارِ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[(٦)].

وقَالَ[(٧)] تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٤١].

أَيْ: فَيَقْتَدِي بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، فَيَكُونُ إِثْمُ كَفْرِهِ عَلَيْكُمْ، وَكَذَلِكَ حُكْمُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا.

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ الْمَقْتُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ**[(٨)] **دمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ**

---

(١) في (ب): النفس. (٢) في (ط): دمه.

(٣) البخاري [٣٣٣٥]، ومسلم [١٦٧٧] من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) في (ب): ولا في أول. (٥) زاد في (ط): الخزاعي.

(٦) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**». رواه البخاري [٤٦٢٣]، ومسلم [٢٨٥٦].

ورواه ابن أبي عاصم في «الأوائل» [٨٣]، وابن جرير في «تفسيره» [٨٧] وغيرهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لأَكْثَمَ بْنِ الْجَوْنِ: «**إِنِّي رَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَوَّلَ مَنْ حَمَى الْحِمَى، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ، وَبَحَرَ الْبَحِيرَةَ، ووصل الْوَصِيلَة، ونصب الأَصْنَام، وغيّر دِينَ إِسْمَاعِيلَ، فَلَمْ أَرَ أَحَدًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ يَضُرُّنِي ذَلِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: «**لَا، إِنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ**». وإسناده حسن، وهو صحيح بطرقه، وشواهده. («الصحيحة» [١٦٧٧]).

(٧) في (ط): وقد قال. (٨) في (ب): يشخب.

هَـذَا فِيـمَ قَتَلَنِي؟» فَذَكَرُوا لِابْـنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ، فَتَلَا هَـذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾[1] [النساء: ٩٣].

ثُمَّ قَالَ: مَا نُسِخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا بُدِّلَتْ، وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟. قَالَ[2] [التِّرْمِذِيُّ][3]: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»[4].

وَفِيهِ - أَيْضًا -، عَنْ نَافِعٍ قَالَ: نَظَرَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكِ [عِنْدَ اللهِ][5]»، قَالَ [التِّرْمِذِيُّ][6]: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»[7].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عَنْ جُنْدُبٍ[8] قَالَ: **«أَوَّلُ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ،**

---

(١) في (ط): فتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣]، وفي (ط١): ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا﴾، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) في (ط): وقال.

(٣) زيادة من: (ط).

(٤) رواه الترمذي [٣٠٢٩]، والنسائي [٤٠٠٥]، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (١١١٥، ١١٢٧) من طريق ورقاء، ومحمد بن ثابت، والبهلول بن الحسن، ومحمد بن مسلم الطائفي - وكلهم ثقات - عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده صحيح. وله طرق أخرى عن ابن عباس. («الصحيحة» [٢٦٩٧]).

(٥) ساقطة من: (أ)، وفي (ط): والمؤمنون عند الله أعظم حرمة منك.، وفي (ط١): والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك، والمثبت من: (ب).

(٦) زيادة من: (ط١).

(٧) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي رقم: [٢٠٣٢]، وابن حبان في «صحيحه» رقم: [٥٧٦٣]، وسنده حسن، وقد صح نحوه مرفوعًا؛ فعن عبد الله بن عمرو قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: **«ما أطيبك! وما أطيب ريحك!، ما أعظمك! وما أعظم حرمتك!، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك -ماله ودمه-»** رواه ابن ماجه رقم: [٣٩٣٢]، وغيره وهو حديث صحيح لغيره انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» رقم: [٢٤٤١].

(٨) في بعض النسخ: سمرة بن جندب، وهو خطأ.

فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ»[١].

وَفِي «صَحِيحِهِ» أَيْضًا عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»[٢].

وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «**مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ**»[٣].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرْفَعُهُ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ**[٤] **فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[٥].

وَفِيهِمَا أَيْضًا، عَنْهُ ﷺ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[٦].

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْهُ ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»[٧].

هَذِهِ[٨] عُقُوبَةُ قَاتِلِ عَدُوِّ اللهِ إِذَا كَانَ فِي عَهْدِهِ وَأَمَانِهِ[٩]، فَكَيْفَ عُقُوبَةُ[١٠] قَاتِلِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ؟

---

(١) البخاري [٧١٥٢] من حديث جندب البجلي رضي الله عنه.

(٢) البخاري [٦٨٦٢]. (٣) البخاري [٦٨٦٣]. (٤) في (ب): المؤمن.

(٥) البخاري [٤٨]، ومسلم [٦٤] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. ورواه ابن ماجه [٣٩٤٠]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسنٌ.

(٦) البخاري [٤٤٠٥]، ومسلم [٦٦] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه الشيخان من حديث جرير رضي الله عنه.

(٧) البخاري [٣١٦٦] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٨) في (ط): هذا. (٩) في (أ): أمانته. (١٠) في (ب): عقاب.

وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَدْ(١) دَخلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا وَعَطَشًا، فَرَآهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي النَّارِ، وَالْهِرَّةُ تَخْدِشُهَا فِي وَجْهِهَا وَصَدْرِهَا(٢)، فَكَيْفَ عُقُوبَةُ مَنْ حَبَسَ مُؤْمِنًا بِغَيْرِ جُرْمٍ حَتَّى مَاتَ؟(٣)

وَفِي بَعْضِ «السُّنَنِ» عَنْهُ ﷺ: «**لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ(٤) مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ [بِغَيْرِ حَقٍّ](٥)**»(٦).



---

(١) ساقطة من: (أ).

(٢) سبق تخريج الحديث الوارد في ذلك.

(٣) في (أ، ط، ط١): حبس مؤمنًا حتى مات بغير جرم. والمثبت من: (ب).

(٤) في (ب): عند الله.

(٥) في (ب): ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٦) صحيح لغيره: رواه الترمذي رقم: [١٣٩٥]، والنسائي رقم: [٣٩٨٧]، وغيرهما وهو حديث صحيح بمجموع طرقه. انظر: «غاية المرام تخريج أحاديث الحلال والحرام» للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ رقم: [٤٣٩].

فَصْلٌ

وَلَـمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنَى[١] مِنْ[٢] أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ، وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَصْلَحَةِ نِظَامِ الْعَالَمِ فِي حِفْظِ الْأَنْسَابِ، وَحِمَايَةِ الْفُرُوجِ، وَصِيَانَةِ الْحُرُمَاتِ، وَتَوَقِّي مَا يُوقِعُ أَعْظَمَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ إِفْسَادِ كُلٍّ مِنْهُمُ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ، وَابنَتِهِ، وَأُخْتِهِ، وَأُمِّهِ، وَفِي ذَلِكَ خَرَابُ الْعَالَمِ: كَانَتْ تَلِي مَفْسَدَةَ الْقَتْلِ فِي الْكِبَرِ، وَلِهَذَا قَرَنَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ ﷺ بها[٣] فِي سُنَّتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «وَلَا أَعْلَمُ[٤] بَعْدَ قَتْلِ النَّفْسِ شَيْئًا أَعْظَمَ مِنَ الزِّنَى».

وَقَدْ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ حُرْمَتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ۝٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفُرقان: ٦٨ - ٧٠].

فَقَرَنَ الزِّنَى بِالشِّرْكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَجَعَلَ جَزَاءَ ذَلِكَ الْخُلُودَ فِي الْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ، مَا لَمْ يَرْفَعِ الْعَبْدُ مُوجِبَ ذَلِكَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

قَالَ[٥] تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسرَاء: ٣٢].

فَأَخْبَرَ عَنْ فُحْشِهِ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ الْقَبِيحُ الَّذِي قَدْ تَنَاهَى قُبْحُهُ حَتَّى اسْتَقَرَّ فُحْشُهُ فِي الْعُقُولِ، حَتَّى عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانِ، كَمَا ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، عَنْ عَمْرِو ابْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدًا زَنَى بِقِرْدَةٍ، فَاجْتَمَعَ الْقُرُودُ عَلَيْهِمَا، فَرَجَمُوهُمَا حَتَّى مَاتَا»[٦].

---

(١) في (ب): الزاني.
(٢) ساقطة من: (أ).
(٣) ساقطة من: (ط).
(٤) في (ب): أعظم!
(٥) في (ط): وقد قال، وفي (ط ١): وقال.
(٦) البخاري [٣٨٤٩].

ثُمَّ أَخبرَ عَنْ غَايَتِهِ بِأَنَّهُ سَاءَ سبيلًا، فَإِنَّهُ سَبِيلُ هَلَكَةٍ وَبَوَارٍ وَافْتِقَارٍ فِي الدُّنْيَا، وَسبيلُ عَذَابٍ وَخِزْيٍ وَنَكَالٍ فِي الْآخِرَةِ.

وَلَـمَّا كَانَ نِكَاحُ أَزْوَاجِ الْآبَاءِ مِنْ أَقْبَحِهِ خصَّهُ بِمَزِيدِ ذَمٍّ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

وَعَلَّقَ سُبْحَانَهُ فَلَاحَ الْعَبْدِ عَلَى حِفْظِ فَرْجِهِ مِنْهُ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْفَلَاحِ بِدُونِهِ، فَقَالَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٧].

وَهَذَا يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ: أَنَّ[(١)] مَنْ لَمْ يَحْفَظْ فَرْجَهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُفْلِحِينَ، وَأَنَّهُ مِنَ الْمَلُومِينَ، وَمِنَ الْعَادِينَ، فَفَاتَهُ الْفَلَاحُ، وَاسْتَحَقَّ اسْمَ الْعُدْوَانِ، وَوَقَعَ فِي اللَّوْمِ، فَمُقَاسَاةُ أَلَمِ الشَّهْوَةِ وَمُعَانَاتُهَا أَيْسَرُ مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ.

وَنَظِيرُ هَذَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذَمَّ الْإِنْسَانَ، وَأَنَّهُ خُلِقَ هَلُوعًا، لَا يَصْبِرُ عَلَى سَرَّاءَ، وَلَا ضَرَّاءَ[(٢)]، بَلْ[(٣)] إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنَعَ وَبَخِلَ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزِعَ[(٤)]، إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ النَّاجِينَ مِنْ خَلْقِهِ، فَذَكَرَ مِنْهُمْ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المعارج: ٢٩ - ٣١].

وَأَمَرَ اللهُ تَعَالَى[(٥)] نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْمُرَ الْمُؤْمِنِينَ بِغَضِّ أَبْصَارِهِمْ، وَحِفْظِ

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (ب): ولا على ضراء.

(٣) ساقطة من: (أ).

(٤) في (ب): جزع وضجر.

(٥) في (أ، ط ١): وأمر تعالى، وفي (ط): فأمر الله تعالى، والمثبت من: (ب).

فُرُوجِهِمْ، وَأَنْ يُعْلِمَهُمْ أَنَّهُ مُشَاهِدٌ لِأَعْمَالِهِمْ(١)، مُطَّلِعٌ عَلَيْهَا، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وَلَـمَّا كَانَ مَبْدَأُ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ(٢) الْبَصَرِ: جَعَلَ الْأَمْرَ بِغَضِّهِ مُقَدَّمًا عَلَى حِفْظِ الْفَرْجِ(٣)، فَإِنَّ الْحَوَادِثَ مَبْدَاهَا(٤) مِنَ النَّظَرِ(٥)، كَمَا أَنَّ مُعْظَمَ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ، فَتَكُونُ(٦) نَظْرَةٌ، ثُمَّ خَطْرَةٌ، ثُمَّ خُطْوَةٌ، ثُمَّ خَطِيئَةٌ.

وَلِهَذَا قِيلَ: مَنْ حَفِظَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ أَحْرَزَ دِينَهُ وهِيَ(٧): اللَّحَظَاتِ، وَالْخَطَرَاتِ، وَاللَّفَظَاتِ، وَالْخُطُوَاتِ.

فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ بَوَّابَ نَفْسِهِ عَلَى هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ(٨)، وَيُلَازِمَ الرِّبَاطَ عَلَى ثُغُورِهَا، فَمِنْهَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْعَدُوُّ، فَيَجُوسُ(٩) خِلَالَ الدِّيَارِ وَيُتَبِّرُ(١٠) مَا عَلَا تَتْبِيرًا.

❁ ❁ ❁

(١) في (أ): شاهد أعمالهم.
(٢) في (ب): قَبيل.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (ط): مبدؤها.
(٥) في (ط): البصر.
(٦) في (ب): فيكون.
(٧) زيادة من: (ب).
(٨) في (أ): أن يكون ثواب نفسه على هذه الأعمال ثواب الأربعة!
(٩) في (أ): فمنها يجوس، في (ب): فيحرس.
(١٠) في (ب): يتبر.

فَصْلٌ

وَأَكْثَرُ مَا تَدْخُلُ[(١)] الْمَعَاصِي عَلَى الْعَبْدِ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الْأَرْبَعَةِ، فَنَذْكُرُ فِي كُلٍّ[(٢)] مِنْهَا فَصْلًا يَلِيقُ بِهِ.

فَأَمَّا اللَّحَظَاتُ: فَهِيَ رَائِدُ الشَّهْوَةِ وَرَسُولُهَا، وَحِفْظُهَا أَصْلُ حِفْظِ الْفَرْجِ، فَمَنْ أَطْلَقَ بَصَرَهُ أَوْرَدَهُ[(٣)] مَوَارِدَ الْهَلَكَاتِ.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ**[(٤)]»[(٥)].

وَفِي «الْمُسْنَدِ»، عَنْهُ ﷺ: «**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ لِلَّهِ، أَوْرَثَ اللهُ قَلْبَهُ حَلَاوَةً إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**» هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ[(٦)].

---

(١) في (ب): يدخل.

(٢) في (ط): في كل باب، وفي (ط١): في كل واحد، والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ط): أورد نفسه.

(٤) في (ط): الأخرى.

(٥) حسن لغيره: رواه وكيع في «الزهد» [٤٨٦]، والإمام أحمد (٥/ ٣٥١)، وأبو داود [٢١٤٩]، الترمذي [٢٧٧٧]، والبزار [٤٣٩٥]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ١٢٣)، والحاكم (٢/ ٢١٢)، والبيهقي (٧/ ٩٠)، وغيرهم وفي إسناده ضعفٌ يسير، ورواه الإمام أحمد (١/ ١٥٩)، والدارمي [٢٧٠٩]، والبزار [٩٠٧]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٥/ ١١٩) من طريق ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن سلمة بن أبي الطفيل عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، وفيه ابن إسحاق وقد عنعن، وبهذين الطريقين يكون حسنًا لغيره. («صحيح أبي داود - الأم -») [١٨٦٥].

(٦) رواه الطبراني [١٠٣٦٢] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ**»، وفي إسناده عبد الرحمن بن إسحاق ضعيفٌ، وقد اضطرب في هذا الحديث فرواه من حديث ابن مسعود كما سبق، ورواه من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [٢٧٣]، والحاكم (٤/ ٣٤٩)، =

وَقَالَ: «غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ»(١).

وَقَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَجَالِسُنَا مَا لَنَا مِنْهَا بُدٌّ، قَالَ: «فَإِنْ كُنْتُمْ لَابُدَّ فَاعِلِينَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ»(٢).

وَالنَّظَرُ(٣) أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ، فَإِنَّ النَّظْرَةَ(٤) تُوَلِّدُ خَطْرَةً،

= والقضاعي في «مسند الشهاب» [٢٩٢] وغيرهم بلفظ: «النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللهِ، أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»، ورواه من حديث عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه القضاعي [٢٩٣]، ورواه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٤٠]. وله طرق أخرى مدارها على متروكين. («الضعيفة» [١٠٦٥]).

(١) صحيح لغيره: رواه الطبراني في «الكبير» [٨٠١٨]، وفي «الأوسط» [٢٥٣٩]، والخطيب (٧/ ٣٩٢)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (٥/ ٨٠) وغيرهم من طريق فَضَالِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْغُدَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ صُدَيَّ بْنَ عَجْلَانَ الْبَاهِلِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْفُلُوا لِي بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ: إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وَإِذَا ائْتُمِنَ فَلَا يَخُنْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». وفضال: ضعيفٌ. ورواه الطبراني في «الكبير» [٨٠٨٢] من طريق الخليل بن مرة عن أبي غالب عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والخليل: ضعيفٌ.

وله شاهد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «تَقَبَّلُوا لِي سِتًّا أَتَقَبَّلْ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ»، قَالُوا: مَا هِيَ؟، قَالَ: «إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ فَلَا يَخُنْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ»، رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» - كما في «المطالب العالية» [٢٦٣٣] -، وأبو يعلى [٤٢٥٧]، والحاكم (٤/ ٣٩٩) وغيرهم وإسناده حسنٌ.

ومن حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٣)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» [٤٤٦]، وفي «مكارم الأخلاق» [١١٦]، وابن حبان [٢٧١]، والحاكم (٤/ ٣٩٩)، وغيرهم من طريق المطلب بن عبد الله عن عبادة. وسنده منقطع. («الصحيحة» [١٤٧٠]).

(٢) البخاري [٢٤٦٥]، ومسلم [٢١٢١] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) في (ب): وكف الأذى والنظر.

(٤) في (ط): فالنظرة.

ثُـمَّ تُولِّـدُ الْخَطْرَةُ فِكْرَةً، ثُمَّ تُولِّدُ الْفِكْرَةُ شَـهْوَةً، ثُمَّ تُولِّدُ الشَّـهْوَةُ إِرَادَةً، ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَـةً جَازِمَـةً، فَيَقَعُ الْفِعْـلُ وَلَابُدَّ، مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ مَانِعٌ، وَفِي هَـذَا قِيلَ: الصَّبْرُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ[١] [أَيْسَرُ مِنَ الصَّبْرِ][٢] عَلَى أَلَمِ مَا بَعْدَهُ.

وقَالَ[٣] الشَّاعِرُ:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا[٤] مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ
كَمْ نَظْرَةٍ بَلَغَتْ مِنْ قَلْبِ صَاحِبِهَا ... كَمَبْلَغِ السَّهْمِ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ
وَالْعَبْدُ مَا دَامَ ذَا[٥] طَرْفٍ يُقَلِّبُهُ ... فِي أَعْيُنِ الْعِينِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
[يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ][٦]

وَمِـنْ آفَاتِ النَّظَرِ: أَنَّهُ يُورِثُ الْحَسَرَاتِ وَالزَّفَرَاتِ وَالْحَرَقَاتِ، فَيَرَى الْعَبْدُ مَا لَيْسَ قَـادِرًا عَلَيْهِ، وَلَا صَابِرًا عَنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَذَابِ، أَنْ تَرَى مَا لَا صَبْرَ لَكَ عَنْ بَعْضِهِ، وَلَا قُدْرَةَ لَكَ عَلَى بَعْضِهِ[٧].

وقَالَ[٨] الشَّاعِرُ:

وَكُنْتُ[٩] مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ
رَأَيْتَ الَّذِي لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلَا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ[١٠]

---

(١) في (ب): غض الطرف.
(٢) ساقط من: (أ).
(٣) في (ط، ط ١): قال.
(٤) في (ط): مبدأها.
(٥) في (ط): اذ.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب). وانظر الأبيات في «روضة المحبين» ص: [٩٧].
(٧) في (أ): ولا قدرة لك عليه، وفي (ط): ولا قدرة على بعضه.
(٨) في (أ، ط، ط ١): قال.
(٩) في (ب): أنت.
(١٠) هذان البيتان ذكرهما الخرائطي في «اعتلال القلوب» (١/ ١٣٨) وفيه (أسلمتك المحاجر)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ص: [٥٥٤].

وَهَذَا الْبَيْتُ يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ، وَمُرَادُهُ: أَنَّكَ تَرَى مَا لَا تَصْبِرُ[١] عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيءٍ مِنْهُ[٢]، فَإِنَّ[٣] قَوْلَهُ: «لَا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ[٤]» نَفْيٌ لِقُدْرَتِهِ عَلَى الْكُلِّ الَّتِي لَا تَنْتَفِي[٥] إِلَّا بِنَفْيِ الْقُدْرَةِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ وَاحِدٍ[٦].

وَكَمْ مِمَّنْ[٧] أَرْسَلَ لَحَظَاتِهِ فَمَا أَقْلَعَتْ إِلَّا وَهُوَ يَتَشَحَّطُ بَيْنَهُنَّ قَتِيلًا، كَمَا قِيلَ:

يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعَتْ لَحَظَاتُهُ[٨] ... حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا[٩]

وَلِي مِنْ أَبْيَاتٍ:

مَلَّ السَّلَامَةَ فَاغْتَدَتْ[١٠] لَحَظَاتُهُ ... وَقْفًا عَلَى طَلَلٍ يُظَنُّ جَمِيلا

مَا زَالَ يُتْبِعُ إِثْرَهُ لَحَظَاتِهِ ... حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلا[١١]

وَمِنَ الْعَجَبِ: أَنَّ لَحْظَةَ النَّاظِرِ سَهْمٌ لَا يَصِلُ إِلَى الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ حَتَّى يَتَبَوَّأَ[١٢] مَكَانًا مِنْ قَلْبِ النَّاظِرِ، وَلِي مِنْ قَصِيدَةٍ:

يَا رَامِيًا بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِدًا ... أَنْتَ الْقَتِيلُ بِمَا[١٣] تَرْمِي فَلَا تُصِبِ

---

(١) في (ب): ما لا تصبر عليه.

(٢) ولا تقدر عليه.

(٣) في (ب): وأن.

(٤) ساقطة من: (أ).

(٥) في (ط): الذي لا ينتفي.

(٦) ساقطة من: (ط١).

(٧) في (ط): كم من.

(٨) في (أ): خطراته.

(٩) البيت لأبي نواس كما في «أخبار أبي نواس» لأبي هفان المهزمي ص: [٤١]، و«اعتلال القلوب» للخرائطي (١/ ١٣٥)، وفيهما: «بينهن قتيل».

(١٠) في (ب): فاعتدت.

(١١) وقد ذكر البيتين وأنهما لابن القيم السفاريني في «غذاء الألباب» في «شرح منظومة الآداب» (١/ ٨٦).

(١٢) في (ب): يتبر!

(١٣) في (ب): فما.

وبَاعِثَ[١] الطَّرْفِ يَرْتَادُ الشِّفَاءَ لَهُ احْبِسْ رَسُولَكَ لا يأْتِيكَ بالْعَطَبِ[٢]

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ النَّظْرَةَ تَجْرَحُ الْقَلْبَ جُرْحًا، فَيَتْبَعُهَا جُرْحٌ عَلَى جُرْحٍ، ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ أَلَمُ الجِرَاحَةِ مِنِ اسْتِدْعَاءِ تَكْرَارِهَا، وَلِي أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

مَا زِلْتَ تُتْبِعُ نَظْرَةً فِي نَظْرَةٍ فِي إِثْرِ كُلِّ مَلِيحَةٍ وَمَلِيحِ

وَتَظُنُّ ذَاكَ دَوَاءَ جُرْحِكَ وَهُوَ فِي الْـ تَحْقِيقِ تَجْرِيحٌ عَلَى تَجْرِيحِ

فَذَبَحْتَ طَرْفَكَ بِاللِّحَاظِ وَبِالْبُكَا فَالْقَلْبُ مِنْكَ[٣] ذَبِيحٌ أَيُّ ذَبِيحِ[٤]

وَقَدْ قِيلَ: حَبْسُ[٥] اللَّحَظَاتِ أَيْسَرُ مِنْ دَوَامِ الحَسَرَاتِ.

❁❁❁

---

(١) في (ط): يا باعث.

(٢) في (ب): بالغضب. والبيتان ذكرهما ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٤٩٦)، وفيه: «توقه إنه يرتد بالعطب»، وفي «روضة المحبين» ص: [٩٧]، وفيه: «توقه إنه يأتيك بالعطب».

(٣) في (أ): مثل.

(٤) ذكر هذه الأبيات سبط ابن العجمي في «كنوز الذهب» فى «تاريخ حلب» (٢/ ٣٢٩) من غير نسبة.

(٥) في (ط): إن حبس.

فَصْلٌ

وَأَمَّا[(١)] الْخَطَرَاتُ: فَشَأْنُهَا أَصْعَبُ، فَإِنَّهَا مَبْدَأُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمِنْهَا تَتَوَلَّدُ الْإِرَادَاتُ وَالْهِمَمُ وَالْعَزَائِمُ.

* فَمَنْ رَاعَى خَطَرَاتِهِ مَلَكَ زِمَامَ نَفْسِهِ وَقَهَرَ هَوَاهُ.

* وَمَنْ غَلَبَتْهُ خَطَرَاتُهُ فَهَوَاهُ وَنَفْسُهُ لَهُ أَغْلَبُ.

* وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْخَطَرَاتِ قَادَتْهُ قَصْرًا[(٢)] إِلَى الْهَلَكَاتِ، وَلَا تَزَالُ الْخَطَرَاتُ تَتَرَدَّدُ عَلَى الْقَلْبِ حَتَّى تَصِيرَ مُنًى بَاطِلَةً.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وَأَخَسُّ النَّاسِ هِمَّةً وَأَوْضَعُهُمْ نَفْسًا: مَنْ رَضِيَ مِنَ الْحَقَائِقِ بِالْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ، وَاسْتَجْلَبَهَا لِنَفْسِهِ، وَتَحَلَّى بِهَا، وَهِيَ لَعَمْرُ اللهِ رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمُفْلِسِينَ، وَمَتَاجِرُ الْبَطَّالِينَ، وَهِيَ قُوتُ[(٣)] النَّفْسِ الْفَارِغَةِ، الَّتِي قَدْ قَنَعَتْ مِنَ الْوَصْلِ بِزَوْرَةِ الْخَيَالِ، وَمِنَ الْحَقَائِقِ بِكَوَاذِبِ الْآمَالِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

مُنًى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى ... وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا[(٤)]

---

(١) في (ب): فأما.

(٢) بياض في (ب)، وفي (ط): قهرًا.

(٣) في (أ): فوق.

(٤) ذكر في (ط) بيتًا قبل هذا البيت وهو:

أَمَانِيّ مِنْ سُعْدَى رِوَاءٌ عَلَى الظَّمَا ... سَقَتْنَا بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمَإٍ بَرْدَا

والبيتان نسبهما الجاحظ في كتاب: «الحيوان» (٥/ ١٠٦) لبعض الأعراب، ونسبهما المرزوقي في «شرح ديوان الحماسة» (٢/ ١٦٦) إلى رجل من بني الحرث، ونسبهما البصري في «الحماسة البصرية» (٢/ ٢٠٩) إلى الرّماح بن ميّادة، وعندهم جميعًا البيت الثاني قبل الأول الذي ذكر في (ط).

وَهِيَ[(١)] أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَتَتَوَلَّدُ مِنْ[(٢)] الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَتُوَلِّدُ التَّفْرِيطَ وَالْحَسْرَةَ وَالنَّدَمَ، وَالْمُتَمَنِّي لَمَّا فَاتَهُ[(٣)] مُبَاشَرَةُ الْحَقِيقَةِ بِحِسِّهِ نَحَتَ[(٤)] صُورَتَهَا فِي قَلْبِهِ[(٥)]، وَعَانَقَهَا وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَقَنَعَ بِوِصَالِ صُورَةٍ وَهْمِيَّةٍ خَيَالِيَّةٍ[(٦)] صَوَّرَهَا فِكْرُهُ.

وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَيْهِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَثَلُهُ مَثَلُ الْجَائِعِ وَالظَّمْآنِ، يُصَوِّرُ فِي وَهْمِهِ صُورَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَهُوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ[(٧)].

وَالسُّكُونُ إِلَى ذَلِكَ واستحلاؤه[(٨)] يَدُلُّ عَلَى خَسَاسَةِ النَّفْسِ وَوَضَاعَتِهَا، وَإِنَّمَا شَرَفُ النَّفْسِ، وزكاتها[(٩)]، وَطَهَارَتُهَا، وَعُلُوُّهَا بِأَنْ يَنْفِيَ عَنْهَا كُلَّ خَطْرَةٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَلَا يَرْضَى أَنْ يُخْطِرَهَا بِبَالِهِ، وَيَأْنَفَ لِنَفْسِهِ مِنْهَا.

ثُمَّ الْخَطَرَاتُ بَعْدُ أَقْسَامٌ تَدُورُ عَلَى أَرْبَعَةِ أُصُولٍ:

❁ خَطَرَاتٌ يَسْتَجْلِبُ بِهَا الْعَبْدُ مَنَافِعَ دُنْيَاهُ.

❁ وَخَطَرَاتٌ يَسْتَدْفِعُ بِهَا مَضَارَّ دُنْيَاهُ.

❁ وَخَطَرَاتٌ يَسْتَجْلِبُ بِهَا مَصَالِحَ آخِرَتِهِ.

❁ [وَخَطَرَاتٌ يَسْتَدْفِعُ بِهَا مَضَارَّ آخِرَتِهِ][(١٠)].

فَلْيَحْصُرِ[(١١)] الْعَبْدُ خَطَرَاتِهِ وَأَفْكَارَهُ وَهُمُومَهُ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ، فَإِذَا انْحَصَرَتْ لَهُ فِيهَا فَمَا أَمْكَنَ اجْتِمَاعُهُ مِنْهَا لَمْ يَتْرُكْهُ لِغَيْرِهِ[(١٢)]، وَإِذَا تَزَاحَمَتْ عَلَيْهِ الْخَطَرَاتُ

---

(١) في (ب): وهو.
(٢) في (ط): ويتولد منها.
(٣) في (ط): فاتته.
(٤) في (أ): بجسمه تحت، وفي (ط): بجسمه حول.
(٥) في (ب): لما فاته مباشرة الحقيقة يحسد محبة صورة صورها نفسه في قلبه!
(٦) في (أ): وهمته حالته.
(٧) في (ط): لا يأكل ولا يشرب!
(٨) في (أ، ب): واستحلابه، وفي (ط): واستجلابه، والمثبت من: (ط١).
(٩) في (ط): وزكاؤها.
(١٠) ساقط من: (أ).
(١١) في (أ، ب): فليحضر.
(١٢) في (أ): كغيره.

لِتَزَاحُمِ مُتَعَلَّقَاتِهَا[١]، قَدَّمَ الْأَهَمَّ فَالْأَهَمَّ الَّذِي يَخْشَى فَوْتَهُ، وَأَخَّرَ الَّذِي لَيْسَ بِأَهَمَّ، وَلَا يَخَافُ فَوْتَهُ.

بَقِيَ قِسْمَانِ آخَرَانِ:

أَحَدُهُمَا- مُهِمٌّ لَا يَفُوتُ.

وَالثَّانِي- غَيْرُ مُهِمٍّ، وَلَكِنَّهُ[٢] يَفُوتُ.

فَفِي كُلٍّ مِنْهُمَا مَا يَدْعُو إِلَى تَقْدِيمِهِ، فَهَهُنَا[٣] يَقَعُ التَّرَدُّدُ وَالْحَيْرَةُ، فَإِنْ قَدَّمَ الْمُهِمَّ؛ خَشِيَ فَوَاتَ مَا دُونَهُ، وَإِنْ قَدَّمَ مَا دُونَهُ[٤] فَاتَهُ الِاشْتِغَالُ بِهِ عَنِ الْمُهِمِّ.

وَكَذَلِكَ يَعْرِضُ لَهُ أَمْرَانِ لَا يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَحْصُلُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِتَفْوِيتِ الْآخَرِ.

فَهَذَا مَوْضِعُ اسْتِعْمَالِ[٥] الْعَقْلِ وَالْفِقْهِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَمِنْ هَهُنَا ارْتَفَعَ مَنِ ارْتَفَعَ وَأَنْجَحَ مَنْ أَنْجَحَ، وَخَابَ مَنْ خَابَ، فَأَكْثَرُ مَنْ[٦] تَرَى مِمَّنْ يُعَظِّمُ عَقْلَهُ وَمَعْرِفَتَهُ، يُؤْثِرُ[٧] غَيْرَ الْمُهِمِّ [الَّذِي لَا يَفُوتُ عَلَى الْمُهِمِّ][٨] الَّذِي يَفُوتُ، وَلَا تَجِدُ أَحَدًا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ.

وَالتَّحْكِيمُ فِي هَذَا الْبَابِ لِلْقَاعِدَةِ الْكُبْرَى[٩] الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ، وَإِلَيْهَا مَرْجِعُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ: وَهِيَ إِيثَارُ أَكْبَرِ الْمَصْلَحَتَيْنِ وَأَعْلَاهُمَا، وَإِنْ فَاتَتِ الْمَصْلَحَةُ الَّتِي هِيَ دُونَهَا[١٠]، وَالدُّخُولُ فِي أَدْنَى الْمَفْسَدَتَيْنِ لِدَفْعِ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهَا.

---

(١) في (ب): متعلقها.

(٢) في (أ): لكنه.

(٣) في (ط، ط ١): فهنا.

(٤) في (ب): ما هو دونه.

(٥) في (أ): اشتغال.

(٦) في (ب): ما.

(٧) في (أ): تؤثر.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٩) في (أ): والتحكم في هذا الباب القاعدة.

(١٠) في (ب): دونها.

فَيُفَوِّتُ[1] مَصْلَحَةً لِيُحَصِّلَ[2] مَا هُوَ [أَكْبَرُ مِنْهَا، وَيَرْتَكِبُ مَفْسَدَةً لِدَفْعِ مَا هُوَ] [3] أَعْظَمُ مِنْهَا.

فَخَطَرَاتُ الْعَاقِلِ وَفِكَرُهُ لَا تَتَجَاوَزُ[4] ذَلِكَ، وَبِذَلِكَ جَاءَتِ الشَّرَائِعُ.

وَمَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ.

وَأَعْلَى الْفِكَرِ[5] وَأَجَلُّهَا وَأَنْفَعُهَا: مَا كَانَ للهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ.

فَمَا كَانَ للهِ فَهُوَ[6] أَنْوَاعٌ:

أَحَدُهَا ـ الْفِكْرَةُ فِي آيَاتِهِ الْمُنَزَّلَةِ وَتَعَقُّلُهَا[7]، وَفَهْمُ مُرَادِهِ مِنْهَا، وَلِذَلِكَ أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَى، لَا لِمُجَرَّدِ تِلَاوَتِهَا، بَلِ التِّلَاوَةُ وَسِيلَةٌ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ، فَاتَّخِذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا»[8].

الثَّانِي ـ الْفِكْرَةُ فِي آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ، وَالِاعْتِبَارُ بِهَا، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا عَلَى أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَبِرِّهِ، وَجُودِهِ، وَقَدْ حَضَّ اللهُ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ، وَتَدَبُّرِهَا، وَتَعَقُّلِهَا[9]، وَذَمَّ الْغَافِلَ عَنْ ذَلِكَ.

---

(١) في (أ): فتفوت.

(٢) في (ط، ط ١): لتحصيل. والمثبت من: (أ، ب).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٤) في (ب): لا يتجاوز، وفي (ط): لا يجاوز.

(٥) في (ب): الفكرة.

(٦) ساقطة من: (أ، ط١).

(٧) في (أ، ب): وتعلقها.

(٨) رواه الآجري في «أخلاق حملة القرآن» ص: [١٠٤]، والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» [١١٦] بسند حسن عن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ، وذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ١١٩)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص: [١٣٧] عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٩) في (ب): وتعلقها.

الثَّالِثُ- الْفِكْرَةُ فِي آلَائِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَى خَلْقِهِ بِأَصْنَافِ النِّعَمِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ، وَحِلْمِهِ(١).

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ تَسْتَخْرِجُ مِنَ الْقَلْبِ مَعْرِفَةَ اللهِ، وَمَحَبَّتَهُ، وَخَوْفَهُ، وَرَجَاءَهُ.

وَدَوَامُ الْفِكْرَةِ فِي ذَلِكَ مَعَ الذِّكْرِ يَصْبُغُ الْقَلْبَ فِي الْمَعْرِفَةِ، [وَالْمَحَبَّةِ صِبْغَةً تَامَّةً.

الرَّابِعُ- الْفِكْرَةُ](٢) فِي عُيُوبِ النَّفْسِ، وَآفَاتِهَا، وَفِي عُيُوبِ الْعَمَلِ.

وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ عَظِيمَةُ النَّفْعِ، وَهِيَ بَابٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَتَأْثِيرُهَا فِي كَسْرِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ(٣)، وَمَتَى كُسِرَتْ عَاشَتِ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وَانْتعشتْ(٤) وَصَارَ الْحُكْمُ لَهَا، فَحَيِيَ الْقَلْبُ، وَدَارَتْ كَلِمَتُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ، وَبَثَّ أُمَرَاءَهُ وَجُنُودَهُ فِي مَصَالِحِهِ.

الْخَامِسُ- الْفِكْرَةُ فِي وَاجِبِ الْوَقْتِ وَوَظِيفَتِهِ، وَجَمْعُ الْهَمِّ كُلِّهِ عَلَيْهِ، فَالْعَارِفُ ابْنُ وَقْتِهِ(٥)، فَإِنْ أَضَاعَهُ ضَاعَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُهُ كُلُّهَا، فَجَمِيعُ الْمَصَالِحِ إِنَّمَا تَنْشَأُ مِنَ الْوَقْتِ، وَإِنْ ضَيَّعَهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْهُ أَبَدًا(٦).

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْهُمْ سِوَى حَرْفَيْنِ: أَحَدُهُمَا قَوْلُهُمْ: الْوَقْتُ سَيْفٌ، فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ»، وَذَكَرَ الْكَلِمَةَ الْأُخْرَى(٧).

---

(١) في (ب): تكررت «وحلمه».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٣) في (ط): الأمارة بالسوء.

(٤) في (ط): وانبعثت.

(٥) أي: أن العارف بما ينفعه ويضره هو من يستفيد من وقته في أداء ما يقربه إلى الله من الفرائض والنوافل.
وهذا هو العارف على الحقيقة، لا من يلقب بالعارف وهو يتكلم بالهوى، والخطرات، والوساوس.

(٦) في (ب): إنما تنشأ من الوقت، فمتى ضاع الوقت لم يستدركه أبدًا.

(٧) وهي: «وَنَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ»، والأثر ذكره البيهقي في «مناقب» الإمام الشافعي (٢/ ٢٠٨).

فَوَقْتُ الْإِنْسَانِ هُوَ عُمُرُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْـمُقِيمِ، وَمَادَّةُ مَعِيشَتِهِ الضَّنْكِ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

وَهُوَ يَمُرُّ [أَسْرَعَ مِنَ] [١] مَرِّ [٢] السَّحَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ وَقْتِهِ [٣] للهِ، وَبِاللهِ؛ فَهُوَ حَيَاتُهُ وَعُمُرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ مَحْسُوبًا مِنْ حَيَاتِهِ، وَإِنْ عَاشَ فِيهِ عَيْشَ [٤] الْبَهَائِمِ.

فَإِذَا [٥] قَطَعَ وَقْتَهُ فِي الْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ وَالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَكَانَ خَيْرَ مَا قَطَعَهُ بِهِ النَّوْمُ وَالْبِطَالَةُ، فَمَوْتُ هَذَا خَيْرٌ لَهُ [٦] مِنْ حَيَاتِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ - وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ - لَيْسَ لَهُ [مِنْ صَلَاتِهِ] [٧] إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا [٨] فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ بِاللهِ وَلَهُ [٩].

وَمَا عَدَا هَذِهِ الْأَقْسَامِ مِنَ الْـخَطَرَاتِ وَالْفِكَرِ، فَإِمَّا وَسَاوِسُ شَيْطَانِيَّةٌ [١٠]، وَإِمَّا أَمَانِيُّ بَاطِلَةٌ، وَخِدَعٌ [١١] كَاذِبَةٌ، بِمَنْزِلَةِ خَوَاطِرِ الْـمُصَابِينَ فِي عُقُولِهِمْ مِنَ السُّكَارَى [١٢] وَالْـمَحْشُوشِينَ [١٣] وَالْـمُوَسْوِسِينَ.

وَلِسَانُ حَالِ هَؤُلَاءِ يَقُولُ عِنْدَ انْكِشَافِ الْحَقَائِقِ [١٤]:

إِنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الْحَشْرِ [١٥] عِنْدَكُمْ ... مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا ... وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثَ أَحْلَامِ [١٦]

---

(١) ساقط من: (أ).
(٢) ساقطة من: (ط).
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ط): عاش عيش.
(٥) في (ب): فإن.
(٦) ساقطة من: (ب).
(٧) ساقطة من: (ط١).
(٨) ساقطة من: (أ).
(٩) في (ط): بالله ولله.
(١٠) في (أ): من شيطانه.
(١١) في (أ): وإما خدع.
(١٢) في (ب): السكارين.
(١٣) في (ط١): والممسوسين
(١٤) في (ب) زيادة: [شعر].
(١٥) في (ب): الحب!
(١٦) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [٢٧٩]، وفيه «في الحب» بدل «في الحشر»، و (فاليوم) بدل =

وَاعْلَمْ[(١)] أَنَّ وُرُودَ الْخَاطِرِ لَا يَضُرُّ، وَإِنَّما[(٢)] يَضُرُّ اسْتِدْعَاؤُهُ، وَمُحَادَثَتُهُ، فَالْخَاطِرُ[(٣)] كَالْمَارِّ عَلَى الطَّرِيقِ، فَإِنْ لم تستدعه وتَرَكْتَهُ[(٤)] مَرَّ وَانْصَرَفَ عَنْكَ، وَإِنِ اسْتَدْعَيْتَهُ سَحَرَكَ بِحَدِيثِهِ، وخُدَعِهِ، وَغُرُورِهِ، وَهُوَ أَخَفُّ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ الْفَارِغَةِ الْبَاطِلَةِ، وَأَثْقَلُ شَيْءٍ عَلَى الْقَلْبِ، وَالنَّفْسِ الشَّرِيفَةِ السَّمَاوِيَّةِ الْمُطْمَئِنَّةِ.

[وَقَدْ رَكَّبَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الْإِنْسَانِ[(٥)]: نَفْسًا أَمَّارَةً، وَنَفْسًا مُطْمَئِنَّةً][(٦)]، وَهُمَا مُتَعَادِيَتَانِ، وَكُلَّما[(٧)] خَفَّ عَلَى هَذِهِ ثَقُلَ عَلَى هَذِهِ، وَكُلُّ مَا الْتَذَّتْ بِهِ هَذِهِ[(٨)] تَأَلَّمَتْ بِهِ الْأُخْرَى.

فَلَيْسَ عَلَى النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ للهِ، وَإِيثَارِ رِضَاهُ عَلَى هَوَاهَا، وَلَيْسَ لَهَا أَنْفَعُ مِنْهُ[(٩)].

وَلَيْسَ[(١٠)] عَلَى النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ أَشَقُّ مِنَ الْعَمَلِ لِغَيْرِ اللهِ، وإجابةُ دَاعِي الْهَوَى[(١١)]، وَلَيْسَ عَلَيْهَا شَيْءٌ[(١٢)] أَضَرُّ مِنْهُ.

وَالْمَلَكُ مَعَ هَذِهِ عَنْ يَمْنَةِ[(١٣)] الْقَلْبِ، وَالشَّيْطَانُ مَعَ تِلْكَ عَنْ يَسْرَةِ الْقَلْبِ، وَالْحَرْبُ[(١٤)] مُسْتَمِرٌّ[(١٥)] لاَ تَضَعُ أَوْزَارَهَا، إِلاَّ أَنْ تَسْتَوفِي[(١٦)] أَجَلُهَا مِنَ الدُّنْيَا.

= «اليوم»، و«البيتان منسوبان» لابن الفارض كما في «ديوانه» ص: [١٣٨]، وفيه: «في الحب»، و«ما قد رأيت»و«ظفرت روحي».

(١) في (أ): واعلموا. (٢) في (ب): إنما. (٣) في (ب): والخاطر.

(٤) في (ط): فإن تركته. (٥) في (ط): في الإنسان نفسين.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب). (٧) في (ط، ط١): فكل ما.

(٨) في (ب): أحدهما.

(٩) بدل هذا السطر في (ب): فليس على النفس الأمارة أشق من العمل لله ولطاعته.

(١٠) في (ب): وكذا ليس. (١١) في (ط): وما جاء به داعي الهوى.

(١٢) ساقطة من: (أ، ط ١). (١٣) في (ب): يمينة. (١٤) في (ط، ط١): والحروب.

(١٥) في (ط، ط ١): مستمرة. (١٦) في (ب، ط): يستوفي

وَالْبَاطِلُ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الشَّيْطَانِ وَالْأَمَّارَةِ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ يَتَحَيَّزُ مَعَ الْمَلَكِ وَالْمُطْمَئِنَّةِ.

والحربُ(١) دُوَلٌ وَسِجَالٌ، وَالنَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَمَنْ صَبَرَ، وَصَابَرَ، وَرَابَطَ، وَاتَّقى اللهَ(٢)، فَلَهُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ حَكَمَ اللهُ تَعَالَىٰ حُكْمًا لَا يُبَدَّلُ أَبَدًا: أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى، وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.

فَالْقَلْبُ لَوْحٌ فَارِغٌ، وَالْخَوَاطِرُ نُقُوشٌ تُنْقَشُ(٣) فِيهِ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالْعَاقِلِ أَنْ تَكُونَ(٤) نُقُوشُ لَوْحِهِ مَا بَيْنَ كَذِبٍ، وَغُرُورٍ، وَخُدَعٍ، وَأَمَانِيَّ بَاطِلَةٍ، وَسَرَابٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ؟

فَأَيُّ حِكْمَةٍ وَعِلْمٍ وَهُدًى يَنْتَقِشُ مَعَ هَذِهِ النُّقُوشِ؟

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَقِشَ(٥) ذَلِكَ فِي لَوْحِ قَلْبِهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ كِتَابَةِ(٦) الْعِلْمِ النَّافِعِ فِي مَحَلٍّ مَشْغُولٍ بِكِتَابَةِ مَا لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ.

فَإِنْ لَمْ يُفَرِّغِ الْقَلْبَ مِنَ الْخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ، لَمْ تَسْتَقِرَّ(٧) فِيهِ الْخَوَاطِرُ النَّافِعَةُ، فَإِنَّهَا لَا تَسْتَقِرُّ إِلَّا فِي مَحَلٍّ فَارِغٍ، كَمَا قِيلَ:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى ... فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا(٨) فَتَمَكَّنَا(٩)

---

(١) في (ط، ط ١): والحروب.
(٢) في (أ): واتقى.
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ب): يكون.
(٥) في (أ): ينقش.
(٦) ساقطة من: (ب).
(٧) في (ط ١): لم يستقر.
(٨) في (ط): فارغًا
(٩) ذكر هذا البيتَ: الجاحظُ في كتاب: «الحيوان» (٤/ ٣٤٠)، وابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٣٨] ونسباه إلى قيس بن الملوح، ونسب البيت ليزيد بن الطثرية كما في «محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهاني (٢/ ٥٥)، و لعمر بن أبي ربيعة في «عيون الأخبار» للدينوري (٣/ ١٣) وفيه: «قلبًا فارغًا».

وَلِهَذَا[(١)] كَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ السُّلُوكِ بَنَوْا سُلُوكَهُمْ[(٢)] عَلَى حِفْظِ[(٣)] الْخَوَاطِرِ، وَأَنْ لَا يُمَكِّنُوا خَاطِرًا يَدْخُلُ قُلُوبَهُمْ، حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ فَارِغَةً، قَابِلَةً لِلْكَشْفِ، وَظُهُورِ حَقَائِقِ الْعُلْوِيَّاتِ فِيهَا[(٤)].

وَهَؤُلَاءِ حَفِظُوا شَيْئًا، وَغَابَتْ عَنْهُمْ أَشْيَاءُ، فَإِنَّهُمْ أَخْلَوُا الْقُلُوبَ مِنْ أَنْ يَطْرُقَهَا خَاطِرٌ، فَبَقِيَتْ فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا، فَصَادَفَهَا الشَّيْطَانُ خَالِيَةً، فَبَذَرَ فِيهَا الْبَاطِلَ فِي قَوَالِبَ، أَوْهَمَهُمْ أَنَّهَا أَعْلَى الْأَشْيَاءِ وَأَشْرَفُهَا، وَعَوَّضَهُمْ بِهَا عَنِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْعِلْمِ وَالْهُدَى، وَإِذَا خَلَا الْقَلْبُ عَنْ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ جَاءَ الشَّيْطَانُ فَوَجَدَ الْمَحِلَّ خَالِيًا، فَشَغَلَهُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَ صَاحِبِهِ، حَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ[(٥)] أَنْ يَشْغَلَهُ بِالْخَوَاطِرِ السُّفْلِيَّةِ، فَشَغَلَهُ بِإِرَادَةِ التَّجْرِيدِ وَالْفَرَاغِ مِنَ الْإِرَادَةِ[(٦)] الَّتِي لَا صَلَاحَ لِلْعَبْدِ، وَلَا فَلَاحَ، إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ هِيَ الْمُسْتَوْلِيَةَ عَلَى قَلْبِهِ، وَهِيَ إِرَادَةُ مُرَادِ اللهِ الدِّينِيِّ[(٧)] الْأَمْرِيِّ، الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَشُغْلُ[(٨)] الْقَلْبِ، وَاهْتِمَامُهُ؛ بِمَعْرِفَتِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ بِهِ[(٩)]، وَالْقِيَامِ بِهِ، وَتَنْفِيذِهِ فِي الْخَلْقِ، وَالطُّرُقِ[(١٠)] إِلَى ذَلِكَ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَيْهِ بِالدُّخُولِ [فِي الْخَلْقِ][(١١)] لِتَنْفِيذِهِ، فَبَرْطَلَهُمُ الشَّيْطَانُ عَنْ ذَلِكَ[(١٢)]، بِأَنْ دَعَاهُمْ إِلَى تَرْكِهِ وَتَعْطِيلِهِ مِنْ بَابِ: «الزُّهْدِ فِي خَوَاطِرِ الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا».

وَأَوْهَمَهُمْ[(١٣)] أَنَّ كَمَالَهُمْ فِي ذَلِكَ التَّجْرِيدِ وَالْفَرَاغِ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ[(١٤)].

---

(١) في (ط): وهذا.
(٢) في (أ): أرباب الشكوك بنوا شكوكهم!
(٣) في (ب): كسر.
(٤) في (أ): حقائق المعلومات. وسقط منها كلمة «فيها».
(٥) في (أ): ينقطع.
(٦) في (ب): الإرادات.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (أ): ويشغل.
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (ط): والتطرق.
(١١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(١٢) أي صدهم عن ذلك بما يقدمه لهم من البراطيل اي: الرشوة.
(١٣) في (ب): وأوهم.
(١٤) لم تتكرر في (أ، ب، ط١)، وإنما تكررت في (ط).

إِنَّمَا الْكَمَالُ فِي امْتِلَاءِ[١] الْقَلْبِ والسِّرِّ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِي الرَّبِّ تَعَالَىٰ مِنَ الْعَبْدِ وَمِنَ النَّاسِ، وَالْفِكْرِ فِي طُرُقِ ذَلِكَ، وَالتَّوَصُّلِ إِلَيْهِ.

فَأَكْمَلُ النَّاسِ: أَكْثَرُهُمْ خَوَاطِرَ وَفِكْرًا وَإِرَادَاتٍ لِذَلِكَ.

كَمَا أَنَّ أَنْقَصَ النَّاسِ: أَكْثَرُهُمْ خَوَاطِرَ وَفِكْرًا وَإِرَادَاتٍ لِحُظُوظِهِ وَهَوَاهُ أَيْنَ كَانَتْ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ تَتَزَاحَمُ عَلَيْهِ الْخَوَاطِرُ فِي مَرَاضِي الرَّبِّ تَبَارَكَ[٢] وتَعَالَى، فَرُبَّمَا اسْتَعْمَلَهَا فِي صَلَاتِهِ، «فَكَانَ[٣] يُجَهِّزُ جَيْشَهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ[٤]»[٥]، فَيَكُونُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْجِهَادِ وَالصَّلَاةِ.

وَهَذَا مِنْ بَابِ [تَدَاخُلِ الْعِبَادَاتِ فِي الْعِبَادَةِ الْوَاحِدَةِ، وَهُوَ بَابٌ[٦]][٧] عَزِيزٌ، شَرِيفٌ، لَا يعرفُهُ[٨] إِلَّا صَادِقُ حَاذِقُ الطَّلَبِ[٩]، مُتَضَلِّعٌ مِنَ الْعِلْمِ، عَالِي الْهِمَّةِ، بِحَيْثُ يَدْخُلُ[١٠] فِي عِبَادَةٍ[١١] يَظْفَرُ فِيهَا بِعِبَادَاتٍ شَتَّى، وَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

❊❊❊

---

(١) في (ط).

(٢) زيادة من: (أ).

(٣) في (أ): وكان عمر.

(٤) في (ط، ط١): صلاته، والمثبت من: (أ، ب).

(٥) قال الإمام البخاري في «صحيحه» (١/ ٤٠٨ - بغا) في كتاب: «العمل في الصلاة» باب: «يُفكِرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ في الصَّلَاةِ. وقال عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لأُجهِّزُ جَيْشِي وأنا في الصَّلَاةِ». وما علَّقه البخاري، رواه موصولًا: ابن أبي شيبة في «مصنفه» [٧٩٥١] عن أبي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قال: قال عُمَرُ: «إِنِّي لَأُجَهِّزُ جُيُوشِي وأنا في الصَّلَاةِ». وإسناده صحيح.

(٦) في (ط): من باب.

(٧) ساقط من: (أ).

(٨) في (ط): لا يدخل منه.

(٩) في (أ): المطلب.

(١٠) ساقط من: (أ).

(١١) في (ب): عبادته.

فَصْلٌ

وَأَمَّا اللَّفَظَاتُ: فَحِفْظُهَا بِأَنْ لَا يُخْرِجَ لَفْظَةً ضَائِعَةً، بَلْ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا[١] يَرْجُو فِيهِ الرِّبْحَ وَالزِّيَادَةَ فِي دِينِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ نَظَرَ: هَلْ فِيهَا فَائِدَةٌ أو رِبحٌ[٢]، أَمْ لَا؟

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ[٣] فِيهَا رِبْحٌ أَمْسَكَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَ فِيهَا رِبْحٌ، نَظَرَ[٤]: هَلْ يَفُوتُهُ[٥] بِهَا كَلِمَةٌ هي أَرْبَحُ مِنْهَا، فَلَا يُضَيِّعُهَا بِهَذِهِ، وَإِذَا[٦] أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ، فَاسْتَدِلَّ عَلَيْهِ بِحَرَكَةِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ يُطْلِعُ[٧] عَلَى مَا فِي[٨] الْقَلْبِ، شَاءَ صَاحِبُهُ أَمْ أَبَى.

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: «الْقُلُوبُ كَالْقُدُورِ، تَغْلِي بِمَا فِيهَا، وَأَلْسِنَتُهَا مَغَارِفُهَا، فَانْظُرْ الرَّجُلَ حِينَ يَتَكَلَّمُ، فَإِنَّ لِسَانَهُ يَغْتَرِفُ لَكَ مِمَّا[٩] فِي قَلْبِهِ: حُلْوٌ وَحَامِضٌ، وَعَذْبٌ وَأُجَاجٌ[١٠]، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَيُبَيِّنُ لَكَ طَعْمَ قَلْبِهِ: اغْتِرَافُ لِسَانِهِ»[١١].

أَيْ: كَمَا تَطْعَمُ[١٢] بِلِسَانِكَ طَعْمَ مَا فِي الْقِدرِ[١٣] مِنَ الطَّعَامِ فَتُدْرِكُ الْعِلْمَ بِحَقِيقَتِهِ، كَذَلِكَ تَطْعَمُ مَا فِي قَلْبِ الرَّجُلِ مِنْ لِسَانِهِ، فَتَذُوقُ[١٤] مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ لِسَانِهِ، كَمَا تَذُوقُ مَا فِي الْقِدْرِ بِلِسَانِكَ.

---

(١) في (أ): بما.

(٢) في (ط): هل فيها ربح أو فائدة، وفي (ط١): هل فيها ربح وفائدة. والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (أ): لم يتكلم، وفي (ب): لم يجد.

(٤) في (ب): نظر فيها.

(٥) في (ط): تفوته.

(٦) في (أ): وإن.

(٧) في (ط): يطلعك.

(٨) ساقطة من: (أ).

(٩) في (أ): بما.

(١٠) في (ب): أو أجاج.

(١١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٦٣).

(١٢) في (أ): يطعم.

(١٣) في (ط): القدور.

(١٤) في (أ): فيذوق.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ الْمَرْفُوعِ: **«لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»**(١).

وَسُئِلَ النَّبِيُّ(٢) ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: **«الْفَمُ وَالْفَرْجُ»**، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٣)»(٤).

وَقَدْ سَأَلَ مُعَاذٌ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِرَأْسِهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ**

---

(١) حسنٌ: رواه الإمام أحمد [٢٨١٩٨]، وابن أبي الدنيا في «الصمت» [٩]، وفي «مكارم الأخلاق» [٣٤٣] مختصرًا، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٨٨٧]، وغيرهم من طريق علي بن مسعدة الباهلي عن قتادة عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده حسنٌ، وتابعه: حماد بن بشر - وهو مجهول - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه ابن لال في «مكارم الأخلاق» - كما في «كنز العمال» [٨٥]-، وابن عساكر في «تاريخه» (٦١/ ٢٥٠) بسند حسن إلى حماد بن بشر.

وله شاهد من حديث ابن مسعود وفيه: **«لا يستقيم دين عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه»**، رواه الطبراني [١٠٥٣٣]، والشجري في «أماليه» [١٦١] من طريق حبان بن علي، عن حصين بن مذعور عن قريش التميمي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحبان ضعيفٌ، وحصين وابن قريش مجهولان. والصحيح فيه عن ابن مسعود موقوفًا، كما قد خرجه الطبراني [٨٩٩٠]، وغيره بسند صحيح.

وله شاهد من مرسل الحسن أو بعض أصحابه، رواه هناد في «الزهد» (١٠٣٣، ١١٣٥)، والبيهقي في «الشعب» [٨]، والأصبهاني في «الحجة» [١٠٨] وإسناده صحيح إلى الحسن. وله شاهد لا يصلح للشهادة من حديث ابن عمر عند ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٨٨) وفي إسناده عبد العزيز بن أبان: متروك، وليث ضعيفٌ. («الصحيحة» [٢٨٤١]).

(٢) زيادة من: (ط).

(٣) في (ط): حديث حسن صحيح.

(٤) حسنٌ: رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٩٤]، والترمذي [٢٠٠٤]، وابن ماجه [٤٢٤٦]، وابن حبان [٤٧٦]، والحاكم (٤/ ٦٣٠)، وغيرهم من طريق يزيد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده حسنٌ، وقال الترمذي: «صحيح غريب». («الصحيحة» [٩٧٧]).

ذلك كله؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، فَقَالَ: وَإِنَّا لَـمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، [يَا مُعَاذُ]**[(١)]**، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ [فِي النَّارِ]**[(٢)] **عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ[(٣)]»[(٤)].

وَمِنَ الْعَجَبِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ[(٥)] وَالِاحْتِرَازُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ، وَالظُّلْمِ، وَالزِّنَى، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَمِنَ النَّظَرِ الْـمُحَرَّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ، حَتَّى تَرَى[(٦)] الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَزِلُّ[(٧)] بِالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِبِ، وَكَمْ تَرَى مِنْ رَجُلٍ مُتَوَرِّعٍ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالظُّلْمِ، وَلِسَانُهُ يَفْرِي فِي أَعْرَاضِ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، وَلَا يُبَالِي مَا يَقُولُ[(٨)].

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذَلِكَ فَانْظُرْ إِلَى مَا[(٩)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ،**

---

(١) ساقط من: (أ). (٢) ساقط من: (ط).

(٣) في (ط): حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح لغيره: رَوَاهُ مَعْمَرٌ فِي «جَامِعِهِ» (١١/ ١٩٤)، وعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِه» (٣/ ١٠٩)، وأَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» (٥/ ٢٣١)، والتِّرْمِذِيُّ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٢٦١٦]، وقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، والنَّسَائِيُّ (٦/ ٤٢٨)، وابنُ مَاجَهْ فِي «سُنَنِهِ» رقم: [٣٩٧٣]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الـمُعْجَمِ الكَبِيرِ» رقم: [٢٦٦]، وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ أَبِي وَائِلٍ عَنْ مُعَاذٍ وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بِطُرُقِهِ وَشَوَاهِدِهِ. وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَوَافَقَهُ النَّوَوِيّ فِي «رِيَاضِ الصَّالِحِينَ» ص: [٣٤٣]. («الصحيحة» [١١٢٢]).

(٥) في (ب): الحفظ. (٦) في (أ): يرى.

(٧) ساقطة من: (أ)، في (ب): تزل.

(٨) في (ب): ولسانه تفري في أغراض الأحياء ولا الأموات، فلا يبالي بما يقول.

(٩) في (ط): فانظر فيما.

فَقَـالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: **مَـنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنِّي لَا أَغْفِـرُ لِفُلَانٍ؟ قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»**(١).

فَهَـذَا الْعَابِـدُ الَّذِي قَدْ(٢) عَبَدَ اللهَ مَا شَـاءَ أَنْ يَعْبُدَهُ، أَحْبَطَتْ هَـذِهِ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ عَمَلَهُ كُلَّهُ.

وَفِي حَدِيـثِ أَبِي هُرَيْـرَةَ نَحْوُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ أَبُـو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَـةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(٣).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَـةِ(٤) مِـنْ رِضْـوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَـا بَالًا؛ يَرْفَعُـهُ اللهُ بِهَا(٥) دَرَجَـاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَهْوِي بِهَا(٦) فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(٧).

وَعِنْدَ «مُسْلِمٍ»: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا(٨) فِيهَا يَهْوِي(٩) بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**»(١٠).

---

(١) مسلم رقم: [٢٦٢١].

(٢) ساقطة من: (أ).

(٣) صحيـح: أَخْرَجَـهُ ابنُ المُبَـارَكِ فِي «الزُّهْـدِ» رقم: [٩٠٠]، وأَحْمَـدُ فِي «الـمُسْـنَدِ» (٢/ ٣٢٣، ٣٦٣)، وأَبُو دَاوُدَ رقم: [٤٩٠١]، وابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيْحِهِ» رقم: [٥٧١٢]، وَغَيْرُهُـمْ مِنْ طَرِيْقِ ضَمْضَمَ بنِ جَوسٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهِ وإِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ. [صحيح أبي داود].

(٤) في (ب): بكلمة.

(٥) في (ب): يرفعه بها.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) البخاري [٦٤٧٨]، ومسلم إنما رواه باللفظ الآخر الي ذكره بعده، وقد رواه البخاري أيضًا.

(٨) ساقطة من: (أ، ب).

(٩) في (أ، ب، ط)، وصحيـح البخـاري: يـزل، والمثبـت مـن: (ط ١) - اعتـمادا عـلى نسـخة خطيـة -، ومسلم.

(١٠) البخاري [٦٤٧٧]، ومسلم [٢٩٨٨].

وَعِنْدَ «التِّرْمِذِيِّ»، مِنْ حَدِيثِ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ[(١)]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[(٢)]: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ[(٣)] مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ[(٤)] مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا[(٥)] سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»**، فَكَانَ[(٦)] عَلْقَمَةُ يَقُولُ: كَمْ مِنْ كَلَامٍ قَدْ[(٧)] مَنَعَنِيهِ حَدِيثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ[(٨)].

وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»[(٩)] أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «تُوُفِّيَ[(١٠)] رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ له رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَوَلَا تَدْرِي؟[(١١)] فَلَعَلَّهُ[(١٢)] تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ بَخِلَ بِمَا لَا يُنْقِصُهُ»** قَالَ[(١٣)]: حَدِيثٌ حَسَنٌ[(١٤)].

---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (أ): وعند الترمذي عن النبي ﷺ من حديث بلال بن الحارث المزني: «إن أحدكم...».

(٣) في (ب): يبلغ. (٤) في (ب): يبلغ.

(٥) ساقطة من: (أ). (٦) في (ط): وكان.

(٧) ساقطة من: (أ).

(٨) صحيح لغيره: رواه مالك في «موطئه» [١٧٨١]، والإمام أحمد (٣/ ٤٦٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٦)، والترمذي [٢٣١٩]، وابن ماجه [٣٩٦٩]، وابن حبان [٢٨٠]، والحاكم (١/ ١٠٦)، وغيرهم وإسناده حسنٌ. («الصحيحة» [٨٨٨]).

(٩) في (ب): وفي حديث جامع الترمذي. (١٠) في (ب): لما توفي.

(١١) في (أ): علم أولا تدري، وفي (ب): الله أعلم أولا تدري. وفي (ط): وما يدريك، والمثبت من: (ط١)، والترمذي.

(١٢) في (أ): أنه، وفي (ب): لعله. (١٣) في (أ): وقال.

(١٤) حسنٌ لغيره: رواه الترمذي [٢٣١٦]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٢٤٢٣]، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٥٦)، والبيهقي في «الشعب» [١٠٥٣٥] وغيرهم من طريق حفص بن غياث عن الأعمش عن أنس رضي الله عنه، والأعمش لم يسمع من أنس رضي الله عنه. ووصله سعد بن الصلت فرواه عن الأعمش عن أبي سفيان طلحة بن نافع عن أنس رضي الله عنه. رواه البيهقي في «الشعب» [١٠٨٣٦]، والضياء في «المختارة» [٢٢٣٢]، وإسناده حسنٌ، ورجح الدارقطني الموصولة.

ورواه الروياني [١٣٦٨] من طريق صالح المري عن قتادة عن أنس رضي الله عنه به، بزيادة منكرة في متنه، =

وَفِي لَفْظٍ: «أَنَّ غُلَامًا اسْتُشْهِدَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَوُجِدَ عَلَى بَطْنِهِ صَخْرَةٌ مَرْبُوطَةٌ مِنَ الْجُوعِ، فَمَسَحَتْ أُمُّهُ التُّرَابَ عَنْ(١) وَجْهِهِ، وَقَالَتْ: هَنِيئًا لَكَ يَا بُنَيَّ، لكَ الْجَنَّةُ(٢)، فَقَالَ النَّبِيُّ(٣) ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكِ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ مَا لَا يَضُرُّهُ**»(٤).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَرْفَعُهُ(٥): «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٦).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ: فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ، أَوْ لِيَسْكُتْ**»(٧).

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْهُ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٨).

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ(٩)، قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،

= على وهاءٍ في سنده بسبب صالح المري.

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (ب): هنيئا لك يابني بالجنة.

(٣) في (ب): رسول الله.

(٤) ضعيفٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» [١٠٩]، وأبو يعلى [٤٠١٧] من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن الأعمش عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، ويحيى: ضعيفٌ.

(٥) في (ب): عن النبي ﷺ يرفعه.

(٦) البخاري [٦٤٧٥]، ومسلم [٤٧].

(٧) مسلم [١٤٦٨].

(٨) حسن لغيره: رواه الترمذي [٢٣١٧]، وابن ماجه [٣٩٧٦]، وابن حبان [٢٢٩]، وغيرهم من طريق الأوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به، والمحفوظ رواية الزهري عن علي بن الحسين به مرفوعًا. رواه معمر في «جامعه» [٢٠٦١٧]، ومالك في «الموطأ» [١٦٧٢]، ووكيع في «الزهد» [٣٦٤]، والترمذي [٢٣١٨]، وغيرهم، وله شواهد لا تخلوا من ضعف. وقد صححه الشيخ الألباني في («صحيح الجامع» [٥٩١١]).

(٩) في (أ): غيرك.

مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ(١) عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا»، وَالْحَدِيثُ(٢) صَحِيحٌ(٣).

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، [عَنِ النَّبِيِّ ﷺ](٤) قَالَ: «**كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ(٥)، لَا لَهُ، إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ(٦)، أَوْ ذِكْرُ اللهِ(٧)**»، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»(٨).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «**إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ، فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا(٩) فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِذَا اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(١٠).

---

(١) في (ب): ما يخاف.

(٢) في (أ): الحديث، وفي (ب): وهذا الحديث.

(٣) عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ**». رواه مسلم [٣٨]، واللفظ الذي ذكره العلامة ابن القيم رواه الإمام أحمد (٣/ ٤١٣)، والدارمي [٢٧١١]، والترمذي [٢٤١٠]، وابن ماجه [٣٩٧٢]، وابن حبان [٥٦٩٨]، وغيرهم وإسناده صحيح. («صحيح الترغيب» [٢٨٦٢]).

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) في (ب): كله عليه.

(٦) في (أ، ب، ط): منكر، والمثبت من: (ط١) - اعتمادا على نسخة خطية -، والترمذي.

(٧) في (ط): إلا أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو ذكرًا لله عَزَّ وَجَلَّ.

(٨) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد في «الزهد» [٢٣]، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٦١)، والترمذي [٢٤١٢]، وابن ماجه [٣٩٧٤]، والحاكم (٢/ ٥٥٧)، وغيرهم من طريق أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا به. وأم صالح لا تعرف. («الضعيفة» [١٣٦٦]).

(٩) ساقطة من: (أ، ب)، وفي (ط): اتق فينا. والمثبت من: (ط١) - اعتمادا على نسخة -، والترمذي.

(١٠) حسنٌ: رواه ابن المبارك في «الزهد» [١٠١٢]، والطيالسي [٢٢٠٩]، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٩٥)، وعبد بن حميد [٩٧٩]، والترمذي [٢٤٠٧]، وغيرهم من طريق حماد بن زيد عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به، وإسناده حسنٌ، وقد اختلف على حماد بن زيد في رفعه ووقفه، ورفعه صحيحٌ. («صحيح الترغيب» [٢٨٧١]).

[وَقَدْ كَانَ السَّلَفِ يُحَاسِبُ أَحَدُهُمْ نَفْسَهُ(١) فِي قَوْلِهِ(٢): «يَوْمٌ حَارٌّ»، وَ«يَوْمٌ بَارِدٌ»(٣)](٤).

وَلَقَدْ رُئِيَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي النَّوْمِ فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: أَنَا مَوْقُوفٌ عَلَى كَلِمَةٍ قُلْتُهَا، قُلْتُ: «مَا أَحْوَجَ النَّاسَ إِلَى غَيْثٍ»، فَقِيلَ لِي(٥): «وَمَا يُدْرِيكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ بِمَصْلَحَةِ(٦) عِبَادِي»(٧).

وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لخادمه(٨) يَوْمًا: هَاتِ(٩) السُّفْرَةَ نَعْبَثُ بِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، مَا أَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ(١٠) إِلَّا وَأَنَا أَخْطُمُهَا وَأَزُمُّهَا، إِلَّا هَذِهِ الْكَلِمَةَ خَرَجَتْ مِنِّي بِغَيْرِ خِطَامٍ وَلَا زِمَامٍ، أَوْ كَمَا قَالَ(١١).

---

(١) في (ب): بنفسه.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) لم أقف عليه.
(٤) ساقط من: (أ).
(٥) ساقطة من: (أ).
(٦) في (ب): بمصالح.
(٧) ذكر الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (١/ ٢٦٤) عن أبي العباس بن عطاء قال: رأيت الجنيد في النوم، فقلت: ما فعل اللهُ بك؟ فقال: تذكر السنة الفلانية، وقد احتبس على الناس المطر، فقلت: بلى، فقال: قلت مع الناس ما أحوج الناس إلى المطر، فوبخني الله على ذلك، فقال: يا جنيد، ما يدريك أن الناس يحتاجون إلى المطر، وأنا أدبر الخليقة بعلمي إني عليم خبير، اذهب فقد غفرت لك.
(٨) في (ط): لجاريته.
(٩) في (ط): هاتي، وفي (ب): هات لي.
(١٠) في (ب): بكلمة مذ أسلمت.
(١١) أثر حسنٌ: رواه ابن المبارك في «الزهد» [٨٤٣]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» [٣١]، وابن أبي الدنيا في «الصمت» [٤٣٨]، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٧) وغيرهم من طريق حسان بن عطية قال: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ لِغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالسُّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا غَيْرَ كَلِمَتِي هَذِهِ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ، وَاحْفَظُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ**
=

وَأَيْسَرُ حَرَكَاتِ الْـجَوَارِحِ: حَرَكَةُ اللِّسَانِ، وَهِيَ أَضَرُّهَا عَلَى الْعَبْدِ.

وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ: هَلْ يُكْتَبُ جَمِيعُ مَا يُلْفَظُ بِهِ[1] أَوِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ فَقَطْ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، أَظْهَرُهُمَا الْأَوَّلُ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ ذِكْرِ[2] اللهِ، وَمَا وَالَاهُ»[3].

= عَلَّامُ الْغُيُوبِ»، وبعضهم لم يذكر المرفوع. وإسناده ضعيف لانقطاعه. لكنه رواه ابن حبان [٩٣٥]، وأبو نعيم (١/ ٢٦٦)، وغيرهما من طريق حسان بن عطية عن مسلم بن مشكم عن شداد به مع القصة، وسنده موصول ثابتٌ، فالأثر والحديث المرفوع كلاهما حسن. وقد رواه الطبراني (١/ ٢٦٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٦) من طريق سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّحَبِيُّ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»**. وإسناده حسن، وله طرق أخرى. («الصحيحة» [٣٢٢٨]).

(١) زاد في (ط، ط ١): العبد.

(٢) ساقطة من: (ط).

(٣) هذا نفسه حديث أم حبيبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الذي سبق تخريجه، وقد قال مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنَ خُنَيْسٍ: كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَسَّانَ الْـمَخْزُومِيُّ، وَكَانَ قَاصَّ جَمَاعَتِنَا، وَكَانَ يَقُومُ بِنَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ: كَيْفَ الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْ أُمِّ صَالِحٍ؟ قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ صَالِحٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كَلَامُ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذِكْرُ اللهِ»**، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: قُلْتُ: مَا أَشَدَّ هَذَا، فَقَالَ سُفْيَانُ: وَمَا شِدَّةُ هَذَا الْحَدِيثِ، إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَنِ امْرَأَةٍ، هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، وَقَالَ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٢]، وَقَالَ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. رواه ابن أبي الدنيا في **«الصمت»** =

وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُمْسِكُ بِلِسَانِهِ[١]، وَيَقُولُ: «هَذَا أَوْرَدَنِي الْـمَوَارِدَ»[٢].

وَالْكَلَامُ أَسِيرُكَ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ فِيكَ صِرْتَ أَنْتَ أَسِيرَهُ، وَاللهُ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨].

وَفِي اللِّسَانِ آفَتَانِ عَظِيمَتَانِ، إِنْ خَلَصَ مِنْ إِحْدَاهُمَا لَمْ يَخْلُصْ مِنَ الْأُخْرَى: آفَةُ الْكَلَامِ، وَآفَةُ السُّكُوتِ، وَقَدْ يَكُونُ كُلٌّ مِنْهُما[٣] أَعْظَمَ إِثْمًا[٤] مِنَ الْأُخْرَى فِي وَقْتِهَا.

فَالسَّاكِتُ[٥] عَنِ الْحَقِّ: شَيْطَانٌ أَخْرَسُ، [عَاصٍ للهِ، مُرَاءٍ مُدَاهِنٌ إِذَا لَمْ يَخَفْ عَلَى نَفْسِهِ] [٦].

وَالْـمُتَكَلِّمُ بِالْبَاطِلِ: شَيْطَانٌ نَاطِقٌ، عَاصٍ للهِ.

وَأَكْثَرُ الْخَلْقِ مُنْحَرِفٌ فِي كَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ، فَهُمْ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ.

وَأَهْلُ الْوَسَطِ - وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ الْـمُسْتَقِيمِ - كَفُّوا أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ الْبَاطِلِ، وَأَطْلَقُوهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ نَفْعُهُ فِي الْآخِرَةِ. فَلَا يَرَى[٧] أَحَدُهُمْ أنه يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ تَذْهَبُ عَلَيْهِ ضَائِعَةً بِلَا مَنْفَعَةٍ، فَضْلا[٨] أَنْ تَضُرَّهُ فِي آخِرَتِهِ.

= [١٤]، والبزار [٢٦٦٣]، والحاكم (٢/ ٥٥٧)، والقضاعي [٣٠٥]، وغيرهم.

(١) في (ط): على لسانه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في (ب): كل واحد منهما.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ب): والساكت.

(٦) ساقط من: (أ).

(٧) في (ط): فلا ترى.

(٨) في (ط١) - تبعًا لنسخة -: فضلًا عن.

وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ[1] الْجِبَالِ، فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا عَلَيْهِ كُلَّهَا[2]، وَيَأْتِي بِسَيِّئَاتٍ أَمْثَالِ[3] الْجِبَالِ فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا مِنْ كَثْرَةِ[4] ذِكْرِ اللهِ، وَمَا اتَّصَلَ بِهِ.

❁ ❁ ❁

(١) في (ب): كأمثال.

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) في (أ): مثل، وفي (ب): كأمثال.

(٤) ساقطة من: (ب).

فَصْلٌ

وَأَمَّا الْخُطُوَاتُ: فَحِفْظُهَا[(١)] بِأَنْ لَا يَنْقِلَ قَدَمَهُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي خُطَاهُ مَزِيدُ ثَوَابٍ، فَالْقُعُودُ عَنْهَا خَيْرٌ لَهُ، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْ كُلِّ مُبَاحٍ يَخْطُو إِلَيْهِ قُرْبَةً يَنْوِيهَا للهِ، فَتَقَعُ[(٢)] خُطَاهُ قُرْبَةً.

وَلَمَّا كَانَتِ الْعَثْرَةُ عَثْرَتَيْنِ، [كما قيل:

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْلِ

فعثرته من[(٣)] فيه ترمي برأسه ... وعثرته في الرِّجلِ تبْرا على مهلِ[(٤)]][(٥)]

١- عَثْرَةَ الرِّجْلِ.

٢- وَعَثْرَةَ اللِّسَانِ.

جَاءَتْ إِحْدَاهُمَا قَرِينَةَ الْأُخْرَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

فَوَصَفَهُمْ بِالِاسْتِقَامَةِ فِي لَفَظَاتِهِمْ، وَخُطُوَاتِهِمْ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ اللَّحَظَاتِ وَالْخَطَرَاتِ[(٦)] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].



(١) في (أ): فيحفظها.

(٢) في (أ): فيقطع.

(٣) ساقطة من: (ب).

(٤) البيتان لابن السكيت، كما في «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢/ ١٩٦).

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

(٦) ساقطة من: (أ).

فَصْلٌ

وَهَذَا كُلُّهُ ذَكَرْنَاهُ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ[١] تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ، وَوُجُوبِ حِفْظِ الْفَرْجِ.

وَقَدْ قَالَ النبيُّ[٢] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ**»[٣].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ**»[٤].

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي اقْتِرَانِ الزِّنَى بِالْكُفْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، نَظِيرُ الْآيَةِ الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ[٥]، وَنَظِيرُ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ[٦].

وَبَدَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَكْثَرِ وُقُوعًا، ثُمَّ بِالَّذِي يَلِيهِ، فَالزِّنَى أَكْثَرُ وُقُوعًا مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ أَكْثَرُ وُقُوعًا مِنَ الرِّدَّةِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ انتقالٌ[٧] مِنَ الْأَكْبَرِ إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ.

وَمَفْسَدَةُ الزِّنَى مُنَاقِضَةٌ لِصَلَاحِ الْعَالَمِ: فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا زَنَتْ أَدْخَلَتِ الْعَارَ عَلَى أَهْلِهَا وَزَوْجِهَا وَأَقَارِبِهَا، وَنَكَّسَتْ رُؤُوسَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنْ حَمَلَتْ مِنَ الزِّنَى، فَإِنْ قَتَلَتْ

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) ليست في: (ب، ط). (٣) سبق تخريجه.

(٤) البخاري [٦٨٧٨]، ومسلم [١٦٧٦] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) في (ب): «القرآن». قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

(٦) حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: **أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ **أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ** سُبْحَانَهُ **تَصْدِيقَهَا**: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩]». متفق عليه، وقد سبق تخريجه.

(٧) في (ط): انتقل.

وَلَدَهَا جَمَعَتْ بَيْنَ الزِّنَى وَالْقَتْلِ، وَإِنْ حَمَّلَتْهُ الزَّوْجَ[(١)] أَدْخَلَتْ عَلَى أَهْلِهِ وَأَهْلِهَا أَجْنَبِيًّا لَيْسَ مِنْهُمْ، فَوَرِثَهُمْ [وَلَيْسَ مِنْهُمْ][(٢)]، وَرَآهُمْ، وَخَلَا بِهِمْ، وَانْتَسَبَ إِلَيْهِمْ؛ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَفَاسِدِ زِنَاهَا.

وَأَمَّا زِنَى الرَّجُلِ: فَإِنَّهُ يُوجِبُ اخْتِلَاطَ الْأَنْسَابِ أَيْضًا، وَإِفْسَادَ الْمَرْأَةِ الْمَصُونَةِ، وَتَعْرِيضَهَا لِلتَّلَفِ وَالْفَسَادِ.

وَفِي[(٣)] هَذِهِ الْكَبِيرَةِ: خَرَابُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَإِنْ عَمَرَتِ الْقُبُورَ فِي الْبَرْزَخِ، وَالنَّارَ فِي الْآخِرَةِ، فَكَمْ فِي الزِّنَى مِنِ اسْتِحْلَالِ مُحَرَّمَاتٍ[(٤)]، وَفَوَاتِ حُقُوقٍ، وَوُقُوعِ مَظَالِمَ؟

وَمِنْ خَاصِّيَّتِهِ: أَنَّهُ يُوجِبُ الْفَقْرَ، وَيُقَصِّرُ الْعُمُرَ، وَيَكْسُو صَاحِبَهُ سَوَادَ الْوَجْهِ، وَثَوْبَ الْمَقْتِ بَيْنَ النَّاسِ.

وَمِنْ خَاصِّيَّتِهِ أَيْضًا: أَنَّهُ يُشَتِّتُ الْقَلْبَ، وَيُمْرِضُهُ إِنْ لَمْ يُمِتْهُ، وَيَجْلِبُ الْهَمَّ وَالْحَزَنَ وَالْخَوْفَ، وَيُبَاعِدُ صَاحِبَهُ مِنَ الْمَلَكِ، وَيُقَرِّبُ مِنْهُ[(٥)] الشَّيْطَانَ.

فَلَيْسَ بَعْدَ مَفْسَدَةِ الْقَتْلِ أَعْظَمُ[(٦)] مِنْ مَفْسَدَتِهِ، وَلِهَذَا شُرِعَ فِيهِ الْقَتْلُ عَلَى أَشْنَعِ الْوُجُوهِ، وَأَفْحَشِهَا، وَأَصْعَبِهَا، وَأَقْبَحِهَا[(٧)]، وَلَوْ بَلَغَ الْعَبْدَ أَنَّ امْرَأَتَهُ [أَوْ حُرْمَتَهُ][(٨)] قُتِلَتْ كَانَ[(٩)] أَسْهَلَ عَلَيْهِ مِنْ[(١٠)] أَنْ يَبْلُغَهُ أَنَّهَا زَنَتْ.

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللهِ**

---

(١) في (ط): على الزوج.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٣) في (ب): ففي.
(٤) في (ط): لحرمات.
(٥) في (ط): ويقربه من.
(٦) في (ب): أعظم مفسدة.
(٧) زيادة من: (ب).
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٩) في (ب): لكان.
(١٠) ساقطة من: (أ).

لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش، ما ظهر منها، وما بطن». مُتَّفقٌ عَلَيْهِ[١].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا عَنْهُ ﷺ: «إنَّ الله يغار، وإنَّ المؤمن يغار، وغيرة الله: أَنْ يأتي العبد ما حرَّم عليه[٢]»[٣].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ ﷺ: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبُّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ولا أحد أحبُّ إليه المدح من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه»[٤].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» فِي خُطْبَتِهِ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، أَنَّهُ قَالَ: «يا أمة محمد، والله إنه لا أحد أغير من الله أن يزني عبده، أو تزني أمته. يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «اللهم هل بلغت؟»[٥].

وَفِي ذِكْرِ هَذِهِ الْكَبِيرَةِ بِخُصُوصِهَا عَقِيبَ[٦] صَلَاةِ الْكُسُوفِ سِرٌّ بَدِيعٌ لِمَنْ تَأَمَّلَهُ.

وَظُهُورُ الزِّنَى مِنْ أَمَارَاتِ خَرَابِ الْعَالَمِ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لَا يُحَدِّثُكُمُوهُ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ[٧] يَقُولُ: «من[٨] أشراط الساعة:

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) في (ب): ما حرم الله عليه.
(٣) البخاري [٤٨٢٢]، ومسلم [٢٧٦١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) في (ط): عقب.
(٧) في (ب): سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ.
(٨) في (ب): إن من.

أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَى، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَتَكْثُرَ[(١)] النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»[(٢)].

وَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ: أَنَّهُ عِنْدَ ظُهُورِ الزِّنَى يَغْضَبُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ، فَلَابُدَّ أَنْ يُؤَثِّرَ غَضَبُهُ فِي الْأَرْضِ عُقُوبَةً.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «مَا ظَهَرَ الرِّبَا وَالزِّنَى فِي قَرْيَةٍ إِلَّا أَذِنَ اللهُ بِهَلَاكِهَا[(٣)]»[(٤)].

وَرَأَى بَعْضُ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ابْنًا لَهُ يُغَامِزُ[(٥)] امْرَأَةً، فَقَالَ: مَهْلًا يَا بُنَيَّ، فَصُرِعَ الْأَبُ عَنْ سَرِيرِهِ، فَانْقَطَعَ نُخَاعُهُ، وَأَسْقَطَتِ امْرَأَتُهُ، وَقِيلَ لَهُ: هَكَذَا غَضِبْتَ[(٦)] لِي؟ لَا يَكُونُ فِي جِنْسِكَ[(٧)] حَبْرٌ[(٨)] أَبَدًا[(٩)].

وَخَصَّ سُبْحَانَهُ حَدَّ الزِّنَى مِنْ بَيْنِ الْحُدُودِ بِثَلَاثِ خَصَائِصَ:

أَحَدُهَا- الْقَتْلُ فِيهِ بِأَشْنَعِ[(١٠)] الْقَتَلَاتِ، وَحَيْثُ خَفَّفَهُ فَجَمَعَ[(١١)] فِيهِ بَيْنَ[(١٢)] الْعُقُوبَةِ عَلَى الْبَدَنِ بِالْجَلْدِ وَعَلَى الْقَلْبِ بِتَغْرِيبِهِ عَنْ وَطَنِهِ سَنَةً.

الثَّانِي- أَنَّهُ[(١٣)] نَهَى عِبَادَهُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ[(١٤)] بِالزُّنَاةِ رَأْفَةٌ فِي دِينِهِ، بِحَيْثُ تَمْنَعُهُمْ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ شَرَعَ هَذِهِ الْعُقُوبَةَ؛ فَهُوَ أَرْحَمُ

---

(١) في (أ): ويكثر.
(٢) البخاري (٨٠، ٨١)، ومسلم [٢٦٧١].
(٣) في (ط، ط١): بإهلاكها. والمثبت من: (أ، ب).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) في (ط): ابنه يغمز.
(٦) في (ط): غضبك.
(٧) مكانها بياضٌ في (ب).
(٨) في (ب، ط): خير، وفي (أ): خيرًا، والمثبت من: (ط١)، ومصادر التخريج.
(٩) سبق تخريجه.
(١٠) في (أ، ط١): أشنع، والمثبت من: (ب، ط).
(١١) في (ط): جمع.
(١٢) في (أ): من.
(١٣) ساقطة من: (ب).
(١٤) في (ب): يأخذهم.

منكم[١]، وَلَمْ تَمْنَعْهُ[٢] رَحْمَتُهُ مِنْ أَمْرِهِ بِهَذِهِ الْعُقُوبَةِ، فَلَا يَمْنَعْكُمْ أَنْتُمْ مَا يَقُومُ[٣] بِقُلُوبِكُمْ مِنَ الرَّأْفَةِ مِنْ إِقَامَةِ أَمْرِهِ.

وَهَذَا - وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي سَائِرِ الْحُدُودِ[٤] - وَلَكِنْ ذُكِرَ فِي حَدِّ الزِّنَى خَاصَّةً لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى ذِكْرِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ عَلَى الزَّانِي مَا يَجِدُونَهُ عَلَى السَّارِقِ وَالْقَاذِفِ وَشَارِبِ الْخَمْرِ، فَقُلُوبُهُمْ تَرْحَمُ الزَّانِيَ أَكْثَرَ مِمَّا تَرْحَمُ[٥] غَيْرَهُ مِنْ أَرْبَابِ الْجَرَائِمِ، وَالْوَاقِعُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ، فَنُهُوا أَنْ تَأْخُذَهُمْ هَذِهِ الرَّأْفَةُ وَتَحْمِلَهُمْ عَلَى تَعْطِيلِ حَدِّ اللهِ.

وَسَبَبُ هَذِهِ الرَّحْمَةِ: أَنَّ هَذَا ذَنْبٌ يَقَعُ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْأَوْسَاطِ والأَرْاذِلِ[٦]، وَفِي النُّفُوسِ أَقْوَى الدَّوَاعِي إِلَيْهِ، وَالْمُشَارِكُ فِيهِ كَثِيرٌ، وَأَكْثَرُ أَسْبَابِهِ الْعِشْقُ، وَالْقُلُوبُ مَجْبُولَةٌ على رَحْمَةِ الْعَاشِقِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَعُدُّ مُساعَدَتَهُ طَاعَةً وَقُرْبَةً، وَإِنْ كَانَتِ الصُّورَةُ الْمَعْشُوقَةُ مُحَرَّمَةً عَلَيْهِ.

وَلَا يَسْتَنْكِرُ[٧] هَذَا الْأَمْرَ، فَهُوَ مُسْتَقِرٌّ عِنْدَ مَا شَاءَ اللهُ مِنْ أَشْبَاهِ الْأَنْعَامِ، وَلَقَدْ[٨] حُكِيَ لَنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ، أكثره عَنْ ناقصي[٩] الْعُقُولِ كَالْخُدَّامِ وَالنِّسَاءِ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ هَذَا ذَنْبٌ غَالِبُ مَا يَقَعُ مَعَ[١٠] التَّرَاضِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ، وَلَا يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَالِاغْتِصَابِ مَا يُنَفِّرُ[١١] النُّفُوسَ مِنْهُ.

---

(١) في (ط): بكم. (٢) في (ب): يمنعه. (٣) في (ب): تقوم.

(٤) في (ب): الحد. (٥) في (ب): يرحم.

(٦) في (ط١): والأرذال، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٧) في (أ): ولا يستلزم. ومعنى لا يستنكر: اي: ليس غريبًا.

(٨) في (ب): وقد. (٩) في (ط): شيئًا كثيرًا نقاص.

(١٠) في (أ): من. (١١) في (ب، ط): تنفر.

وفيها[١] شَهْوَةٌ غَالِبَةٌ لَهُ، فَتُصَوِّرُ[٢] ذَلِكَ لنفسها[٣]، فَيَقُومُ[٤] بِهَا رَحْمَةٌ تَمْنَعُ إِقَامَةَ الْحَدِّ.

وَهَذَا كُلُّهُ[٥] مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ.

وَكَمَالُ الْإِيمَانِ: أَنْ يَقُومَ[٦] بِهِ قُوَّةٌ يُقِيمُ بِهَا أَمْرَ اللهِ، وَرَحْمَةٌ يَرْحَمُ بِهَا الْمَحْدُودَ، فَيَكُونُ مُوَافِقًا لِرَبِّهِ تَعَالَىٰ فِي أَمْرِهِ وَرَحْمَتِهِ.

الثَّالِثُ[٧]- أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَرَ أَنْ يَكُونَ حَدُّهُمَا بِمَشْهَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَكُونُ فِي خَلْوَةٍ بِحَيْثُ لَا يَرَاهُمَا أَحَدٌ، وَذَلِكَ أَبْلَغُ فِي مَصْلَحَةِ الْحَدِّ، وَحِكْمَةِ الزَّجْرِ.

وَحَدُّ الزَّانِي الْمُحْصَنِ مُشْتَقٌّ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ لِقَوْمِ لُوطٍ بِالْقَذْفِ بِالْحِجَارَةِ، وَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِ الزِّنَا وَاللِّوَاطِ فِي الْفُحْشِ، وَفِي كُلٍّ مِنْهُمَا فَسَادٌ يُنَاقِضُ حِكْمَةَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ.

فَإِنَّ فِي اللِّوَاطِ مِنَ الْمَفَاسِدِ مَا يَفُوتُ الْحَصْرَ وَالتَّعْدَادَ، وَلَأَنْ يُقْتَلَ الْمَفْعُولُ بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يُؤْتَى، فَإِنَّهُ يَفْسُدُ فَسَادًا لَا يُرْجَى لَهُ بَعْدَهُ صَلَاحٌ أَبَدًا، وَيَذْهَبُ خَيْرُهُ كُلُّهُ، وَتَمَصُّ الْأَرْضُ ماوِيَّةَ[٨] الْحَيَاءِ مِنْ وَجْهِهِ، فَلَا يَسْتَحِي بَعْدَ ذَلِكَ: لا[٩] مِنَ اللهِ وَلَا مِنْ خَلْقِهِ، وَتَعْمَلُ[١٠] فِي قَلْبِهِ وَرُوحِهِ نُطْفَةُ الْفَاعِلِ مَا يَعْمَلُ السُّمُّ فِي الْبَدَنِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ[١١]: هَلْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَفْعُولٌ بِهِ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ [تَقِيَّ الدِّينِ ابنَ تَيمِيَّةَ][١٢] يَحْكِيهِمَا.

---

(١) في (ط): وفي النفوس.
(٢) في (ط): فيصور.
(٣) في (ط): لها.
(٤) في (ب، ط): فتقوم.
(٥) ساقطة من: (أ).
(٦) في (ب، ط): تقوم.
(٧) أي: مما خص الله به حدَّ الزاني.
(٨) في (ط): ماء.
(٩) ساقطة من: (ب، ط).
(١٠) في (ب): ويعمل.
(١١) ساقطة من: (أ).
(١٢) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

وَالَّذِينَ قَالُوا: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ احْتَجُّوا بِأُمُورٍ:

مِنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَدُ زِنْيَةٍ**»(١). فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ وَلَدِ الزِّنَى، مَعَ أَنَّهُ لَا ذَنْبَ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ مَظِنَّةُ كُلِّ شَرٍّ وَخُبْثٍ، وَهُوَ جَدِيرٌ أَنْ لَا يَجِيءَ مِنْهُ خَيْرٌ أَبَدًا، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نُطْفَةٍ خَبِيثَةٍ، وَإِذَا كَانَ الْجَسَدُ الَّذِي تَرَبَّى عَلَى الْحَرَامِ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ، فَكَيْفَ بِالْجَسَدِ الْمَخْلُوقِ مِنَ النُّطْفَةِ الْحَرَامِ؟

قَالُوا: وَالْمَفْعُولُ بِهِ شَرٌّ مِنْ وَلَدِ الزِّنَى، وَأَخْزَى، وَأَخْبَثُ، وَأَوْسَخُ(٢)، وَأَوْقَحُ(٣)، وَهُوَ جَدِيرٌ أَنْ لَا يُوَفَّقَ(٤) لِخَيْرٍ، وَأَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَكُلَّمَا عَمِلَ خَيْرًا قُيِّضَ لَهُ مَا يُفْسِدُهُ عُقُوبَةً(٥).

وَقَلَّ أَنْ تَرَى(٦) مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فِي صِغَرِهِ إِلَّا وَهُوَ فِي كِبَرِهِ شَرٌّ مِمَّا كَانَ، وَلَا يُوَفَّقُ لِعِلْمٍ نَافِعٍ، وَلَا عَمَلٍ صَالِحٍ، وَلَا تَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

وَالتَّحْقِيقُ فِي الْمَسْأَلَةِ(٧) أَنْ يُقَالَ: إِنْ تَابَ الْمُبْتَلَى بِهَذَا الْبَلَاءِ، وَأَنَابَ، وَرُزِقَ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، وَكَانَ فِي كِبَرِهِ خَيْرًا مِنْهُ فِي صِغَرِهِ، وَبَدَّلَ سَيِّئَاتِهِ بِحَسَنَاتٍ،

---

(١) رواه الطيالسي [٢٢٩٥]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٣)، والدارمي [٢٠٩٣]، وعبد بن حميد [٣٢٤]، والنسائي في «الكبرى» (٤٩١٤ - ٤٩١٨)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» - مسند علي رضي الله عنه (٣٠٢ - ٣٠٣)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٣٧٣)، وابن خزيمة في كتاب: «التوحيد» [٥٨١]، وابن حبان [٣٣٨٣]، والبيهقي في «الشعب» (٧٨٧٥ - ٧٨٧٦) وغيرهم من طريق جابان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقد اختلف في إسناده، وفي لفظه، وبعضهم رواه مطولًا، وبعضه مختصرًا مقتصرًا على ولد الزنية. والحديث حسن لغيره لما له من الشواهد. («الصحيحة» [٦٧٣]).

(٢) ساقطة من: (ط، ط ١). (٣) ساقطة من: (أ). (٤) في (ب): يوافق.

(٥) في (ط): قيض الله له ما يفسده عقوبة له، وفي (ط١): قيض ما يفسده عقوبة له، والمثبت من: (أ، ب).

(٦) في (ب): يرى. (٧) في (أ): المسلم. وهو خطأ.

وَغَسَلَ عَارَ ذَلِكَ عَنْهُ بِأَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَغَضَّ بَصَرَهُ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ عَنِ(١) الْمُحَرَّمَاتِ، وَصَدَقَ اللهَ فِي مُعَامَلَتِهِ: فَهَذَا مَغْفُورٌ لَهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، وَإِذَا كَانَتِ التَّوْبَةُ تَمْحُو كُلَّ ذَنْبٍ، حَتَّى الشِّرْكَ بِاللهِ، وَقَتْلَ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَالسِّحْرَ، وَالْكُفْرَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا تَقْصُرُ عَنْ مَحْوِ هَذَا الذَّنْبِ.

وَقَدِ اسْتَقَرَّتْ حِكْمَةُ اللهِ تَعَالَى(٢) عَدْلًا وَفَضْلًا أَنَّ: «**التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ**»(٣).

وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَنْ تَابَ مِنَ(٤) الشِّرْكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ وَالزِّنَى، أَنَّهُ يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ(٥)، وَهَذَا حُكْمٌ عَامٌّ لِكُلِّ تَائِبٍ مِنْ ذَنْبٍ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى(٦): ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فَلَا يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ ذَنْبٌ وَاحِدٌ، وَلَكِنْ هَذَا فِي حَقِّ التَّائِبِينَ خَاصَّةً.

---

(١) في (ط١): من.

(٢) في (ط، ط١): حكمة الله به.

(٣) حديث حسن لغيره: رواه ابن ماجه [٤٢٥٠]، والطبراني [١٠٢٨١]، وفي «الدعاء» [١٨٠٧]، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٠)، والبيهقي (١٠/ ١٥٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٠٨]، من طريق أبي عبيدة عن ابن مسعود، وإسناده منقطع. وله شواهد من حديث أبي عنبة الخولاني، وأنس، وابن عباس، وأبي سعد بن وهب، وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولا تخلوا أسانيده من مقال، ولكن تثبت أن للحديث أصلًا. («صحيح الترغيب» [٣١٤٥]).

(٤) في (ب): عن.

(٥) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

(٦) في (أ، ط، ط١): وقد قال تعالى.

وَأَمَّا الْـمَفْعُولُ[١] بِهِ إِنْ[٢] كَانَ فِي كِبَرِهِ شَرًّا مِمَّا كَانَ فِي صِغَرِهِ؛ لَمْ يُوَفَّقْ لِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ، وَلَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَلَا اسْتَدْرَكَ[٣] مَا فَاتَ، [وَلا أَحْيَا مَا أَمَاتَ][٤]، وَلَا بَدَّلَ[٥] السَّيِّئَاتِ بِالْحَسَنَاتِ: فَهَذَا بَعِيدٌ أَنْ يُوَفَّقَ عِنْدَ الْـمَمَاتِ لِخَاتِمَةٍ[٦] يَدْخُلُ بِهَا الْجَنَّةَ، عُقُوبَةً لَهُ[٧] عَلَى عَمَلِهِ.

فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعَاقِبُ عَلَى السَّيِّئَةِ بِسَيِّئَةٍ أُخْرَى، فَتَتَضَاعَفُ[٨] عُقُوبَةُ السَّيِّئَاتِ [بَعْضِهَا بِبَعْضٍ][٩]، كَمَا يُثِيبُ عَلَى الْحَسَنَةِ بِحَسَنَةٍ أُخْرَى.

وإِذَا[١٠] نَظَرْتَ إِلَى حَالِ كَثِيرٍ مِنَ الْـمُحْتَضِرِينَ وَجَدْتَهُمْ يُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْإِشْبِيلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[١١]:

«وَاعْلَمْ أَنَّ لِسُوءِ الْخَاتِمَةِ - أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا - أَسْبَابًا، وَلَهَا طُرُقٌ وَأَبْوَابٌ، أَعْظَمُهَا: الِانْكِبَابُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأُخْرَى، وَالْإِقْدَامُ وَالْجُرْأَةُ عَلَى مَعَاصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَرُبَّمَا غَلَبَ عَلَى الْإِنْسَانِ ضَرْبٌ مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَنَوْعٌ مِنَ الْـمَعْصِيَةِ[١٢]، وَجَانِبٌ مِنَ الْإِعْرَاضِ، وَنَصِيبٌ مِنَ الْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ، فَمَلَكَ قَلْبَهُ، وَسَبَى عَقْلَهُ، وَأَطْفَأَ نُورَهُ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ حُجُبَهُ[١٣]، فَلَمْ تَنْفَعْ[١٤] فِيهِ تَذْكِرَةٌ، وَلَا نَجَعَتْ فِيهِ مَوْعِظَةٌ، فَرُبَّمَا جَاءَهُ الْـمَوْتُ

---

(١) في (ب): مفعول. (٢) ساقطة من: (ب، ط١). (٣) في (ب): ولا يستدرك.
(٤) ساقط من: (ط)، وفي (ب): وأحيا ما مات.
(٥) في (ب): ولا تبدل. (٦) في (ب): عند الخاتمة. (٧) ساقطة من: (ب).
(٨) في (أ): ويتضاعف، وفي (ب): وتتضاعف.
(٩) ساقطة من: (أ)، وفي (ب): بعضها إلى بعض.
(١٠) في (ب): فإذا. (١١) «العاقبة» (١٧٨ - ١٨١). (١٢) في (ب): المعاصي.
(١٣) في (أ): محنة، وفي (ب): محنته. والمثبت من: (ط، ط ١). وكتاب: «العاقبة» ص: [١٧٨].
(١٤) في (أ): فلم ينفع.

عَلَى ذَلِكَ، فَسَمِعَ النِّدَاءَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَلَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ[١] الْمُرَادُ، وَلَا عَلِمَ مَا أَرَادَ، وَإِنْ كَرَّرَ عَلَيْهِ الدَّاعِي وَأَعَادَ».

قَالَ[٢]: «وَيُرْوَى[٣] أَنَّ بَعْضَ رِجَالِ[٤] النَّاصِرِ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: «النَّاصِرُ مَوْلَايَ»، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْقَوْلَ، فَأَعَادَ[٥] مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَصَابَتْهُ غَشْيَةٌ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «النَّاصِرُ مَوْلَايَ»، وَكَانَ هَذَا دَأْبَهُ، كُلَّمَا قِيلَ لَهُ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: «النَّاصِرُ مَوْلَايَ»، ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ: «يَا فُلَانُ، النَّاصِرُ إِنَّمَا يَعْرِفُكَ بِسَيْفِكَ، وَالْقَتْلَ الْقَتْلَ[٦]، ثُمَّ مَاتَ».

قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ: «وَقِيلَ لِآخَرَ -مِمَّنْ أَعْرِفُهُ-: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: الدَّارُ الْفُلَانِيَّةُ أَصْلِحُوا[٧] فِيهَا كَذَا، وَالْبُسْتَانُ الْفُلَانِيُّ افْعَلُوا فِيهِ[٨] كَذَا».

وَقَالَ[٩]: «وَفِيمَا[١٠] أَذِنَ لِي أَبُو طَاهِرٍ السِّلَفِيُّ أَنْ أُحَدِّثَ بِهِ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَقِيلَ لَهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ بِالْفَارِسِيَّةِ: دَهْ يَازْدَهْ، تَفْسِيرُهُ: عَشَرَةٌ بِإِحْدَى عَشْرَةَ[١١].

وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ:
«أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ؟»[١٢].

قَالَ: «وَهَذَا الْكَلَامُ لَهُ قِصَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ وَاقِفًا بِإِزَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ بَابُهَا يُشْبِهُ بَابَ[١٣] هَذَا الْحَمَّامِ، فَمَرَّتْ بِهِ جَارِيَةٌ لَهَا مَنْظَرٌ[١٤]، فَقَالَتْ: أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ

---

(١) ساقطة من: (أ).
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) في (ب): وروي.
(٤) في (ب): الرجال.
(٥) في (ب): فقال.
(٦) لم تتكرر كلمة «القتل» في: (ب).
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (ب): فيها.
(٩) في (أ، ط): قال.
(١٠) في (ب): قد.
(١١) في (ط): فجعل يقول بالفارسية: ده يازده ده وازدة، تفسيره: عشرة بأحد عشر.
(١٢) سبق ذكره.
(١٣) ساقطة من: (أ).
(١٤) في (أ): منظر حسن.

مِنْجَابٍ[١]؟ فَقَالَ: هَذَا حَمَّامُ مِنْجَابٍ، فَدَخَلَتِ الدَّارَ وَدَخَلَ وَرَاءَهَا، فَلَمَّا رَأَتْ نَفْسَهَا فِي دَارِهِ، وَعَلِمَتْ أَنَّهُ قَدْ خَدَعَهَا، أَظْهَرَتْ لَهُ الْبِشْرَ[٢] وَالْفَرَحَ بِاجْتِمَاعِهَا مَعَهُ، وَقَالَتْ لَهُ: يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا مَا يَطِيبُ بِهِ عَيْشُنَا، وَتَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا، فَقَالَ لَهَا: السَّاعَةَ آتِيكِ بِكُلِّ مَا تُرِيدِينَ وَتَشْتَهِينَ، وَخَرَجَ وَتَرَكَهَا فِي الدَّارِ، وَلَمْ يُغْلِقْهَا، فَأَخَذَ مَا يَصْلُحُ، وَرَجَعَ، فَوَجَدَهَا قَدْ خَرَجَتْ، وَذَهَبَتْ، وَلَمْ تَخُنْهُ فِي شَيْءٍ، فَهَامَ الرَّجُلُ، وَأَكْثَرَ الذِّكْرَ لَهَا، وَجَعَلَ يَمْشِي فِي الطُّرُقِ وَالْأَزِقَّةِ، وَيَقُولُ:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ ... كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى حَمَّامِ مِنْجَابِ[٣]

فَبَيْنَا[٤] هُوَ يَوْمًا يَقُولُ ذَلِكَ، وَإِذَا بِجَارِيَةٍ أَجَابَتْهُ مِنْ طَاقٍ[٥]:

قَرْنَانُ[٦] هَلَّا جَعَلْتَ[٧] إِذْ ظَفِرْتَ بِهَا ... حِرْزًا عَلَى الدَّارِ أَوْ قُفْلًا عَلَى الْبَابِ[٨]

فَازْدَادَ هَيَمَانُهُ، وَاشْتَدَّ هَيَجَانُهُ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ[٩]، حَتَّى كَانَ هَذَا الْبَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا»[١٠].

قَالَ[١١]: وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا عَشِقَ[١٢] شَخْصًا فَاشْتَدَّ كَلَفُهُ بِهِ، وَتَمَكَّنَ حُبُّهُ مِنْ قَلْبِهِ، حَتَّى أَوَقَعَ أَلَمًا بِهِ[١٣]، وَلَزِمَ الْفِرَاشَ بِسَبَبِهِ، وَتَمَنَّعَ ذَلِكَ الشَّخْصُ عَلَيْهِ، وَاشْتَدَّ نِفَارُهُ

---

(١) في (ب): منجابه! (٢) في (ط): البشرى. (٣) سبق ذكره.
(٤) في (ب، ط): فبينما. (٥) في (ب): طارق! (٦) ساقطة من: (ط).
(٧) في (أ، ط): جعلت سريعًا. (٨) في كتاب: «العاقبة»: هلا جعلت لها إذ ظفرت بها.
(٩) في (ب): ولم يزل كذلك.
(١٠) ذكر القصة عبد الحق الاشبيلي في «العاقبة في ذكر الموت» ص: [١٧٩]، وذكرها عنه القرطبي في «التذكرة» ص: [١٨٩].
(١١) في (ط) ذكر أثر سفيان الثوري فما بعده، وجعل قصة أسلم بعد قصة المؤذن.
وفي هامش (ب): الرجل أحمد بن كليب، والمعشوق: أسلم. ذكر قصته ابن أبي حجلة في آخر كتابه «ديوان الصبابة». ا.هـ.
(١٢) في (أ، ط، ط١): عَلِقَ. والمثبت من: (ب)، وكتاب: «العاقبة».
(١٣) في (أ، ط١): وقع لما به، وفي (ط): وقع ألمًا به، والمثبت من: (ب).

عَنْهُ[١]، فَلَمْ تَزَلِ الْوَسَائِطُ يَمْشُونَ[٢] بَيْنَهُمَا، حَتَّى وَعَدَهُ بِأَنْ[٣] يَعُودَهُ، فأُخبر[٤] بِذَلِكَ البائسُ[٥]، فَفَرِحَ وَاشْتَدَّ سُرُورُهُ[٦]، وَانْجَلَى غَمُّهُ، وَجَعَلَ يَنْتَظِرُه للميعادِ[٧] الَّذِي ضَرَبَه لَهُ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ السَّاعِي بَيْنَهُمَا، فَقَالَ: إِنَّهُ وَصَلَ مَعِي إِلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ، وَرَجَعَ، فرغبتُ[٨] إِلَيْهِ، وَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ ذَكَرَنِي وبرَّح بي[٩]، وَلَا أَدْخُلُ مَدَاخِلَ الرِّيبَ[١٠]، وَلَا أُعَرِّضُ نَفْسِي لِمَوَاقِعِ[١١] التُّهَمِ، فَعَاوَدْتُهُ، فَأَبَى، وَانْصَرَفَ، فَلَمَّا سَمِعَ الْبَائِسُ أُسْقِطَ فِي يَدِهِ، وَعَادَ إِلَى أَشَدَّ مِمَّا كَانَ بِهِ، وَبَدَتْ[١٢] عَلَيْهِ عَلَائِمُ[١٣] الموتِ، فَجَعَلَ[١٤] يَقُولُ فِي تِلْكَ الْحَالِ[١٥]:

أَسْلَمُ يَا رَاحَةَ الْعَلِيلِ ... وَيَا شِفَا الْمُدْنَفِ[١٦] النَّحِيلِ
رِضَاكَ أَشْهَى إِلَى فُؤَادِي ... مِنْ رَحْمَةِ الْخَالِقِ الْجَلِيلِ[١٧]

فَقُلْتُ لَهُ[١٨]: يَا فُلَانُ، اتَّقِ اللهَ، قَالَ: قَدْ كَانَ، فَقُمْتُ عَنْهُ، فَمَا جَاوَزْتُ بَابَ دَارِهِ، حَتَّى سَمِعْتُ ضَجَّةَ[١٩] الْمَوْتِ، فَعِيَاذًا بِاللهِ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَشُؤْمِ الْخَاتِمَةِ[٢٠].

---

(١) ساقطة من: (أ).
(٢) في (ب): تسير، وفي العاقبة: تمشي.
(٣) في (أ، ط ١): أن، والمثبت من: (ب، ط)، وكتاب: «العاقبة».
(٤) في (ط): فأخبره.
(٥) في (ط): الناس! وفي (ب): البائس الفقير.
(٦) في (ب): سروره وفرحه.
(٧) في (ب): ينظر إلى الميعاد.
(٨) في (ط): ورغبت.
(٩) في (ب): وفرح. وسقطت كلمة «بي».
(١٠) في (ط): الريبة، وفي كتاب: «العاقبة»: السوء.
(١١) في (ب): لمواضع.
(١٢) في (ب): وبدرت.
(١٣) في (ب): علامات.
(١٤) في (أ): وجعل.
(١٥) في (ب): [أبيات شعر].
(١٦) المُدنفُ: المريض الذي لازمه المرض. انظر: «تهذيب اللغة» (١٤/ ٩٧).
(١٧) «البيت منسوب» لأحمد بن كليب النحوى كما في «طوق الحمامة» لابن حزم ص: [٣١٨]، و«المنتظم» لابن الجوزي (١٥/ ٢٤٦)، وفيهما:

اسلم يا راحة العليل ... رفقًا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

(١٨) ساقطة من: (ب).
(١٩) في (ب): صيحة.
(٢٠) انظر: «طوق الحمامة» لابن حزم ص: (٣١٥ - ٣١٨)، و«المنتظم» لابن الجوزي (١٥/ ٢٤٦- ٢٤٩).

وَلَقَدْ(١) بَكَى سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ: «كُلُّ هَذَا خَوْفًا مِنَ الذُّنُوبِ؟ فَأَخَذَ تِبْنَةً مِنَ الْأَرْضِ، وَقَالَ: الذُّنُوبُ أَهْوَنُ(٢) مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا أَبْكِي مِنْ(٣) خَوْفِ الْخَاتِمَةِ(٤)»(٥).

وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْفِقْهِ: أَنْ يَخَافَ الرَّجُلُ أَنْ تَخْذُلَهُ(٦) ذُنُوبُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَتَحُولُ(٧) بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ بِالْحُسْنَى(٨).

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّهُ لَمَّا احْتُضِرَ جَعَلَ يُغْمَى عَلَيْهِ، ثُمَّ يَفِيقُ وَيَقْرَأُ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠](٩).

فَمِنْ هَذَا خَافَ السَّلَفُ مِنَ الذُّنُوبِ، أَنْ تَكُونَ حِجَابًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَاتِمَةِ بِالْحُسْنَى.

قَالَ(١٠): «وَاعْلَمْ أَنَّ سُوءَ الْخَاتِمَةِ - أَعَاذَنَا اللهُ تَعَالَى مِنْهَا - لَا تَكُونُ(١١) لِمَنِ

---

(١) في (ب): ولهذا.
(٢) في (ب): أهون عليّ.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (ط): خوف سوء.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) في (ب): تحدث له.
(٧) في (أ): فيحول.
(٨) في (ب، ط): الحسنى.
(٩) رواه ابن المبارك في «الزهد» [٣٢]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٣٤٦٠٧]، وأبو داود في «الزهد» [٢٠٣]، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» [١٢٦]، والنسائي [١١٨٤٩]، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٧/ ١٩٧)، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، قَالَتْ: أُغْمِيَ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَأَفَاقَ، فَإِذَا بِلَالٌ ابْنُهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: قُمْ، فَاخْرُجْ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَعْمَلُ لِمِثْلِ مَضْجَعِي هَذَا؟ مَنْ يَعْمَلُ مِثْلَ سَاعَتِي هَذِهِ؟ف وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَق أَبَيْتُمْ، ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ، فَيَلْبَثُ لَبْثًا ثُمَّ يُفِيقُ، فَيَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى قُبِضَ». واللفظ للنسائي. وإسناده صحيح.
(١٠) اي: العلامة عبدالحق الإشبيلي.
(١١) في (ب): لا يكون.

اسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وَصَلُحَ بَاطِنُهُ، مَا سُمِعَ بِهَذَا، وَلَا عُلِمَ بِهِ، وَللهِ الْحَمْدُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ[١] لِمَنْ لَهُ فَسَادٌ فِي الْعَقِيدَةِ[٢]، أَوْ إِصْرَارٌ عَلَى الْكَبَائِرِ، وَإِقْدَامٌ عَلَى الْعَظَائِمِ، فَرُبَّمَا غَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْزِلَ بِهِ الْمَوْتُ قَبْلَ التَّوْبَةِ، فَيَأْخُذُهُ قَبْلَ إِصْلَاحِ الطَّوِيَّةِ، وَيُصْطَلَمُ[٣] قَبْلَ الْإِنَابَةِ، فَيَظْفَرُ بِهِ الشَّيْطَانُ عِنْدَ تِلْكَ الصَّدْمَةِ، وَيَخْتَطِفُهُ عِنْدَ تِلْكَ الدَّهْشَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ».

قَالَ: «وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ بِمِصْرَ رَجُلٌ يَلْزَمُ مَسْجِدًا لِلْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ، وَعَلَيْهِ بَهَاءُ الطَّاعَةِ، وَأَنْوَارُ الْعِبَادَةِ، فَرَقِيَ[٤] يَوْمًا الْمَنَارَةَ عَلَى عَادَتِهِ لِلْأَذَانِ، وَكَانَ تَحْتَ الْمَنَارَةِ دَارٌ لِنَصْرَانِيٍّ، فَاطَّلَعَ فِيهَا، فَرَأَى ابْنَةَ صَاحِبِ الدَّارِ، فَافْتُتِنَ بِهَا، فَتَرَكَ الْأَذَانَ، وَنَزَلَ إِلَيْهَا، وَدَخَلَ الدَّارَ عَلَيْهَا[٥]، فَقَالَتْ لَهُ: مَا شَأْنُكَ؟ وَمَا تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُكِ، فَقَالَتْ: لِمَاذَا؟ قَالَ: قَدْ سَبَيْتِ لُبِّي، وَأَخَذْتِ بِمَجَامِعِ قَلْبِي، قَالَتْ: لَا أُجِيبُكَ إِلَى رِيبَةٍ[٦]. قَالَ: أَتَزَوَّجُكِ؟ قَالَتْ: أَنْتَ مُسْلِمٌ وَأَنَا نَصْرَانِيَّةٌ، وَأَبِي لَا يُزَوِّجُنِي مِنْكَ، قَالَ لها[٧]: أَتَنَصَّرُ، قَالَتْ: إِنْ فَعَلْتَ أَفْعَلُ، فَتَنَصَّرَ الرَّجُلُ لِيَتَزَوَّجَهَا، وَأَقَامَ مَعَهُمْ فِي الدَّارِ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، رَقِيَ إِلَى سَطْحٍ كَانَ فِي الدَّارِ، فَسَقَطَ مِنْهُ، فَمَاتَ[٨]، فَلَمْ يَظْفَرْ بِهَا، وَفَاتَهُ دِينُهُ»[٩].

---

(١) في (ب): يكون.

(٢) في (ط): العقد.

(٣) أي: يموت.

(٤) في (ب): فترقى.

(٥) ساقطة من: (ب).

(٦) في (ط، ط١): ريبة أبدًا، والمثبت من: (أ، ب)، وكتاب: «العاقبة».

(٧) ساقطة من: (ط).

(٨) في (ب): فمات منه.

(٩) كتاب: «العاقبة» لعبد الحق ص: (١٧٨ - ١٨١).

فَصْلٌ

وَلَـمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ اللِّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الْـمَفَاسِدِ[(١)]؛ كَانَتْ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّاسُ: هَلْ هُوَ أَغْلَظُ عُقُوبَةً مِنَ الزِّنَى، أَوِ الزِّنَى أَغْلَظُ عُقُوبَةً مِنْهُ، أَوْ عُقُوبَتُهُمَا سَوَاءٌ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ.

فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ[(٢)]، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ[(٣)]، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ[(٤)]، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ[(٥)]، وَجابر[(٦)] بْنُ زَيْدٍ[(٧)]، وعبيد الله بن عبد الله بن معمر[(٨)]،

---

(١) في (أ): العقوبات.

(٢) وردت عنه عدة روايات تدل على رجمه للوطي، وأنه غلظ عقوبته سيأتي ذكر رواية تحريق اللوطي، وانظر: «تحريم اللواط» للآجري (٣٢ - ٣٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ٢٣٢)، و«المحلى» (١١/ ٣٨١).

(٣) ستأتي الرواية عن أبي بكر وعلي وخالد، وهي ثابتة.

(٤) رواه الدوري في «تاريخه عن ابن معين» [٤٦٣٩]، والآجري في «تحريم اللواط» [٣٤]، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [٤٢٩]، والبيهقي (٨/ ٢٣٣)، وابن حزم في«المحلى» (١١/ ٣٨٢) وفي إسناده يمان بن المغيرة: ضعيف.

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) في (ب): وخالد!

(٧) رواه ابن أبي شيبة [٢٨٣٤٩]، والآجري في «تحريم اللواط» (٣٩، ٤٥)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [٤٣٤]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٤] وسنده صحيح.

(٨) في (أ، ب، ط): وعبد الله بن معمر.

والأثر: رواه ابن أبي شيبة [٢٨٣٤٨]، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» [١٥٣]، والآجري في «تحريم اللواط» [٣٥]، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [٤٣٥]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٤] وسنده صحيح.

وَالزُّهْرِيُّ [(١)]، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ [(٢)]، وَمَالِكٌ [(٣)]، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ - فِي أَصَحِّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ [(٤)]، - وَالشَّافِعِيُّ - فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ - [(٥)]: إِلَى أَنَّ عُقُوبَتَهُ أَغْلَظُ [(٦)] مِنْ عُقُوبَةِ الزِّنَى، وَعُقُوبَتُهُ الْقَتْلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، مُحْصَنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ.

وَذَهَبَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ [(٧)]، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ [(٨)]، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ [(٩)]،

---

(١) رواه مالك في «موطأ مالك» (٢/ ٨٢٥)، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» [١٣٧]، والآجري في «تحريم اللواط» (٤١ - ٤٢، ٥٠) وإسناده صحيح. وروى ابن أبي شيبة [٢٨٣٤٦] بسند صحيح عن الزهري قال: «يرجم اللوطي إذا كان محصنا وإن كان بكرا جلد مائة».

(٢) رواه الآجري في «تحريم اللواط» (٤٨، ٤٩) عن الزهري وربيعة أنهما قالا في اللوطي: «عَلَيْهِ الرَّجْمُ، كَانَ مُحْصَنًا أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ». وهو صحيح، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٩٥) بسند صحيح عن يحيى بن سعيد وربيعة قالا: «من عمل عمل قوم لوط فعليه الرجم أحصن أو لم يحصن».

(٣) رواه الآجري في «تحريم اللواط» [٥٢] وسنده صحيح.

(٤) رواه الآجري في «تحريم اللواط» [٥١] من طريق إِسْحَاق بْن مَنْصُورٍ الْكَوْسَج، قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ يَعْنِيَ ابْنَ حَنْبَلٍ: «اللُّوطِيُّ أُحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنْ؟»، قَالَ: «يُرْجَمُ أُحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنْ»، قَالَ إِسْحَاقُ يَعْنِي ابْنَ رَاهَوَيْهِ: كَمَا قَالَ، وهو في «مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه رواية الكوسج» (٢/ ٢٥١) رقم: [٢٤٨٤]. وذكره الترمذي في «سننه» (٤/ ٥٧) عن مالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق.

(٥) «الأم» (٧/ ١٨٣)، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣٢) عن الربيع عن الشافعي أنه قال: «يرجم اللوطي محصنًا كان أو غير محصن».

(٦) في (ب): أعظم.

(٧) رواه الآجري في «تحريم اللواط» [٤٠]، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [٤٣٢]، والبيهقي (٨/ ٢٣٣)، و ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٤] وإسناده صحيح.

(٨) رواه ابن أبي شيبة (٢٨٣٤٣، ٢٨٩٤٤)، والآجري في «تحريم اللواط» [٣٨]، والبيهقي (٨/ ٢٣٣)، و ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٤] بسند صحيح.

(٩) رواه الآجري في «تحريم اللواط» [٤٦] بسند حسن عن ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ عَطَاءٍ وَابْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولَانِ: «الْفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ بِهِ بِمَنْزِلِ الزِّنَا، يُرْجَمُ الثَّيِّبُ وَالْبِكْرُ»، ورواه الخرائطي في «مساوئ» [٤٣١]، ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٤] بسند صحيح عن سعيد بن المسيب قال: «على اللوطي الرجم أحصن أو لم يحصن».

وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ [١]، وَقَتَادَةُ [٢]، وَالْأَوْزَاعِيُّ [٣]، وَالشَّافِعِيُّ -فِي ظَاهِرِ مَذْهَبِهِ- [٤]، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ -فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ عَنْهُ- [٥]، وَأَبُو يُوسُفَ، وَمُحَمَّدٌ [٦]: إِلَى أَنَّ عُقُوبَتَهُ وَعُقُوبَةَ الزَّانِي [٧] سَوَاءٌ.

وَذَهَبَ الحكم [٨]، وَأَبُو حَنِيفَةَ [٩]: إِلَى أَنَّ عُقُوبَتَهُ دُونَ عُقُوبَةِ الزَّانِي، وَهِيَ التَّعْزِيرُ. قَالُوا: لِأَنَّهُ مَعْصِيَةٌ مِنَ الْمَعَاصِي لَمْ يُقَدِّرِ اللهُ وَلَا رَسُولُهُ ﷺ فِيهِ حَدًّا مُقَدَّرًا، فَكَانَ فِيهِ التَّعْزِيرُ، كَأَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

قَالُوا: وَلِأَنَّهُ وَطْءٌ فِي مَحَلٍّ لَا تَشْتَهِيهِ [١٠] الطِّبَاعُ [١١]، بَلْ رَكَّبَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى النَّفْرَةِ مِنْهُ، حَتَّى الْحَيَوَانُ الْبَهِيمُ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ حَدٌّ، كَوَطْءِ الحمارِ، وَغَيْرِهِ [١٢].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٨٣٤٢، ٢٨٩٤٤)، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» [١٢٥]، والبيهقي (٨/ ٢٣٣) وهو حسن.

(٢) رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: (٢٠٤ - ٢٠٥) وسنده صحيح.

(٣) ذكره عنه ابن قدامة في «المغني» (٩/ ٥٨).

(٤) «الأم» (٧/ ١٨٣)، وذكر البيهقي في «سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٢٣٣) أنه الذي رجع إليه الشافعي فيما ذكره الربيع عنه.

(٥) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٥].

(٦) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٥].

(٧) في (ب): الزنى.

(٨) روى ابن أبي شيبة [٢٨٣٤٧]، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٣٨٢)، عن إبراهيم وعن الحكم في «اللوطي يضرب دون الحد». وسنده صحيح.

(٩) في (ب): والإمام أبو حنيفة. وانظر لقوله: «المبسوط» للسرخسي (٩/ ٧٧)، وذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٠٥].

(١٠) في (ط١): لا يشتهيه.

(١١) في (أ): الطبائع.

(١٢) في (ط): كوطء الأتان وغيرها.

قَالُوا: وَلِأَنَّهُ لَا يُسَمَّى زَانِيًا لُغَةً، وَلَا شَرْعًا، وَلَا عُرْفًا، فَلَا يَدْخُلُ فِي النُّصُوصِ[١] الدَّالَّةِ عَلَى حَدِّ الزَّانِينَ.

قَالُوا: ولأنَّا[٢] رَأَيْنَا قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا كَانَ الْوَازِعُ عَنْهَا طبعيًا[٣] اكْتُفِيَ بِذَلِكَ الْوَازِعِ مِنَ الْحَدِّ.

وَإِذَا كَانَ فِي الطِّبَاعِ تَقَاضِيهَا، جُعِل فيها الْحَدُّ بِحَسَبِ اقْتِضَاءِ الطِّبَاعِ لَهَا، وَلِهَذَا جُعِلَ الْحَدُّ فِي الزِّنَى، وَالسَّرِقَةِ، وَشُرْبِ الْمُسْكِرِ، دُونَ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

قَالُوا: وَطَرْدُ هَذَا: أَنَّهُ لَا حَدَّ فِي وَطْءِ الْبَهِيمَةِ، وَلَا الْمَيِّتَةِ، وَقَدْ جَبَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الطِّبَاعَ عَلَى النَّفْرَةِ مِنْ وَطْءِ الرَّجُلِ مِثْلَهُ[٤] أَشَدَّ نَفْرَةٍ، كَمَا جبلَهَا عَلَى النَّفْرَةِ مِنَ اسْتِدْعَاءِ الرَّجُلِ مَنْ يَطَؤُهُ، بِخِلَافِ الزِّنَى، فَإِنَّ الدَّاعِيَ فِيهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

قَالُوا: وَلِأَنَّ أَحَدَ النَّوْعَيْنِ إِذَا اسْتَمْتَعَ بِشَكْلِهِ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ الْحَدُّ، كَمَا لو تَسَاحَقَتِ الْمَرْأَتَانِ، وَاسْتَمْتَعَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِالْأُخْرَى.

قَالَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ - وَهُم[٥] جُمْهُورُ الْأُمَّةِ، وَحَكَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ إِجْمَاعًا لِلصَّحَابَةِ-: لَيْسَ فِي الْمَعَاصِي مفسدة أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْمَفْسَدَةِ[٦]، وَهِيَ تَلِي مَفْسَدَةَ الْكُفْرِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ أَعْظَمَ مِنْ مَفْسَدَةِ الْقَتْلِ، كَمَا سَنُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قَالُوا: وَلَمْ يَبْتَلِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذِهِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ[٧] قَوْمِ لُوطٍ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَعَاقَبَهُمْ عُقُوبَةً لَمْ يُعَاقِبْ بِهَا أُمَّةً[٨] غَيْرَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُقُوبَاتِ مِنَ[٩]

---

(١) في (ب): فلا تدخل للنصوص.
(٢) في (ط): وقد.
(٣) في (ط): طبيعيًا.
(٤) في (ط): رجلًا مثله.
(٥) في (ب، ط): وهو.
(٦) في (ب، ط): أعظم مفسدة من هذه المفسدة.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (ط): أحدًا.
(٩) في (ط): بين.

الْإِهْلَاكِ، وَقَلْبِ دِيَارِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَالْخَسْفِ بِهِمْ، وَرَجْمِهِمْ بِالْحِجَارَةِ مِنَ السَّمَاءِ، فَنَكَّلَ بِهِمْ نَكَالًا لَمْ يُنَكِّلْهُ بِأُمَّةٍ[(١)] سِوَاهُمْ، وَذَلِكَ لِعِظَمِ مَفْسَدَةِ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ الَّتِي تَكَادُ الْأَرْضُ تَمِيدُ[(٢)] مِنْ جَوَانِبِهَا إِذَا عُمِلَتْ عَلَيْهَا، وَتَهْرُبُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِذَا شَاهَدُوهَا، خَشْيَةَ نُزُولِ الْعَذَابِ عَلَى أَهْلِهَا، فَيُصِيبُهُمْ[(٣)] مَعَهُمْ، وَتَعِجُّ الْأَرْضُ إِلَى رَبِّهَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَكَادُ الْجِبَالُ تَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا.

وَقَتْلُ الْمَفْعُولِ بِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ وَطْئِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا[(٤)] وَطِئَهُ الرجلُ[(٥)] قَتَلَهُ[(٦)] قَتْلًا لَا تُرْجَى الْحَيَاةُ مَعَهُ[(٧)]، بِخِلَافِ قَتْلِهِ، فَإِنَّهُ مَظْلُومٌ شَهِيدٌ، وَرُبَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي آخِرَتِهِ.

قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ حَدَّ الْقَاتِلِ[(٨)] إِلَى خِيَرَةِ الْوَلِيِّ، إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ عَفَا، وَحَتَّمَ قَتْلَ اللُّوطِيِّ حَدًّا، كَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، [وَدَلَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ][(٩)] الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ، الَّتِي لَا مُعَارِضَ لَهَا، بَلْ عَلَيْهَا عَمَلُ أَصْحَابِهِ[(١٠)]، وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ[(١١)] -.

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ: أَنَّهُ وَجَدَ فِي بَعْضِ ضَوَاحِي[(١٢)] الْعَرَبِ رَجُلًا يُنْكَحُ كَمَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، فَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَاسْتَشَارَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَشَدَّهُمْ قَوْلًا فِيهِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ هَذَا

---

(١) في (ط): أمة.
(٢) في (ب): تمتد.
(٣) في (أ): فتصيبهم.
(٤) في (ب): فإذا. بدلًا من: فإنه إذا.
(٥) ساقطة من: (ب، ط).
(٦) في (ب): قتل.
(٧) في (ب): لا يرجى معه الحياة.
(٨) في (ب): القتل.
(٩) في (ب) بدل ما بين المعقوفين: وثبت في الأحاديث.
(١٠) في (ب): الصحابة.
(١١) - رضي الله عنهم أجمعين - زيادة من: (ط).
(١٢) في (ب): نواحي.

إِلَّا أُمَّةٌ(١) مِنَ الْأُمَمِ وَاحِدَةٌ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلَ اللهُ بِهَا، أَرَى أَنْ يُحَرَّقَ بِالنَّارِ، فَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ [إِلَى خَالِدٍ](٢)، فَحَرَّقَهُ(٣).

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُنْظَرُ أَعْلَى بِنَاءٍ فِي الْقَرْيَةِ، فَيُرْمَى اللُّوطِيُّ مِنْهُ(٤) مُنْكَبًّا(٥)، ثُمَّ يُتْبَعُ بِالْحِجَارَةِ»(٦).

وَأَخَذَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدَّ مِنْ عُقُوبَةِ اللهِ للوطيَّةِ(٧) قَوْمَ لُوطٍ.

وَابْنُ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٨): «**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ**». رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ، وَاحْتَجَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ(٩).

---

(١) في ب: إنما فعل هذا أمة.
(٢) ساقط من: (ب).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» [١٤٠]، والآجري في «ذم اللواط» [٢٩]، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [٤٥١]، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣٢)، وفي «الشعب» [٥٣٨٩]، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٣٨٠-٣٨١)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: (٢٠٢ - ٢٠٣) عن محمد بن المنكدر، وموسى بن عقبة وصفوان بن سليم به، وكلها منقطعة، ولكن يدل على شهرة القصة، ويدل على ثبوتها كما ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) في (ط): منها.
(٥) في (ب): منكسًا.
(٦) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٨٣٣٧]، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» [١٢٥]، والنسائي في «السنن الكبرى» [٧٢٩٨] والدوري في «تاريخه عن ابن معين» [٤٦٣٩]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٩/ ٤٤٧)، والآجري في «ذم اللواط» [٣٠]، والدينوري في «المجالسة» [٢٨٤٢]، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣٢)، وفي «معرفة السنن والآثار» [٥٠٨٥]، وابن حزم في «المحلى» (١١/ ٣٨١) وإسناده صحيح.
(٧) ساقطة من: (ط).
(٨) في (ط): عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال.
(٩) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٠)، وعبد بن حميد [٥٧٥]، وأبو داود [٤٤٦٢]، والترمذي في «سننه» [١٤٥٦]، وفي «العلل الكبير» [٤٢٧]، وابن ماجه [٢٥٦١]، وابن الجارود [٨٢٠]، وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» [١٢٢]، وأبو يعلى (٢٤٦٣، ٢٧٤٣)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» - مسند ابن عباس [٨٧٠]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٣٨٣٤]، والخرائطي في =

قَالُوا: وَثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ**(١)»(٢).

وَلَمْ يَجِئْ(٣) عَنْهُ لَعْنَةُ الزَّانِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ لَعَنَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ، فَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهِمْ فِي(٤) اللَّعْنَةِ(٥) مَرَّةً وَاحِدَةً، وَكَرَّرَ لَعْنَ اللُّوطِيَّةِ، فَأَكَّدَهُ(٦) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٧).

وَأَطْبَقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلِهِ، لَمْ(٨) يَخْتَلِفْ فِيهِ مِنهم رَجُلَانِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي صِفَةِ قَتْلِهِ، فَظَنَّ بعضُ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ اخْتِلَافٌ مِنْهُمْ فِي قَتْلِهِ، فَحَكَاهَا مَسْأَلَةَ نِزَاعٍ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَهِيَ بَيْنَهُمْ مَسْأَلَةُ إِجْمَاعٍ، لا مَسْأَلَةَ نِزَاعٍ.

قَالُوا: وَمَنْ تَأَمَّلَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وَقَوْلَهُ فِي اللِّوَاطِ: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]: تَبَيَّنَ لَهُ تَفَاوُتُ مَا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُ(٩) سُبْحَانَهُ نَكَّرَ الْفَاحِشَةَ فِي الزِّنَى، أَيْ: هُوَ(١٠) فَاحِشَةٌ مِنَ الْفَوَاحِشِ، وَعَرَّفَهَا فِي اللِّوَاطِ، وَذَلِكَ يُفِيدُ أَنَّهُ جَامِعٌ لِمَعَانِي اسْمِ الْفَاحِشَةِ، كَمَا تَقُولُ(١١): زَيْدٌ الرَّجُلُ، وَنِعْمَ الرَّجُلُ زَيْدٌ، أَيْ أَتَأْتُونَ الْخَصْلَةَ الَّتِي اسْتَقَرَّ فُحْشُهَا عِنْدَ

= «مساوئ الأخلاق» [٤١٨]، والآجري في «تحريم اللواط» (٢٦، ٢٧)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١١٦)، والدارقطني (٣/ ١٢٤)، والحاكم (٤/ ٣٩٥)، والبيهقي (٨/ ٢٣١)، وغيرهم من طرق عن عمرو مولى المطلب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وإسناده حسنٌ، وقد توبع عمرو، وللحديث شواهد يصح بها. («إرواء الغليل» [٢٣٥٠]).

(١) هذه الجملة مكررة ثلاث مرات في: (ط، ط١)، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) سبق تخريجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) في (ب): ولم يجئ.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ط): اللعن.

(٦) في (ب، ط): وأكد.

(٧) وهذا التأكد جاء في الرواية التي سبق تخريجها.

(٨) في (ب): فلم.

(٩) في (ط): وأنه.

(١٠) في (أ): هي.

(١١) في (ب): كما يقول.

كُلِّ أَحَدٍ، فَهِيَ[(١)] لِظُهُورِ فُحْشِهَا، وَكَمَالِهِ؛ غَنِيَّةٌ عَنْ ذِكْرِهَا، بِحَيْثُ لَا يَنْصَرِفُ الإِسْمُ إِلَى غَيْرِهَا، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ [الشعراء: ١٩]، أَيِ: الْفَعْلَةَ الشَّنْعَاءَ، الظَّاهِرَةَ، الْمَعْلُومَةَ لِكُلِّ أَحَدٍ.

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ شَأْنَ[(٢)] فُحْشِهَا بِأَنَّهَا لَمْ يَعْمَلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ قَبْلَهُمْ، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]][(٣)].

ثُمَّ زَادَ فِي التَّأْكِيدِ بِأَنْ صَرَّحَ بِمَا تَشْمَئِزُّ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَنْبُو عَنْهُ الْأَسْمَاعُ، وَتَنْفِرُ مِنْهُ أَشَدَّ النُّفْرَةِ الطِّبَاعُ[(٤)]، وَهُوَ إِتْيَانُ الرَّجُلِ رَجُلًا مِثْلَهُ، يَنْكِحُهُ[(٥)] كَمَا يَنْكِحُ الْأُنْثَى، فَقَالَ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [النمل: ١٩]، [العنكبوت: ٢٩][(٦)].

ثُمَّ نَبَّهَ عَلَى اسْتِغْنَائِهِمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْحَامِلَ لَهُمْ عَلَيْهِ لَيْسَ إِلَّا مُجَرَّدَ[(٧)] الشَّهْوَةِ لَا الْحَاجَةَ الَّتِي لِأَجْلِهَا مَالَ الذَّكَرُ إِلَى الْأُنْثَى، مِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ، وَلَذَّةِ الإِسْتِمْتَاعِ، وَحُصُولِ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي تَنْسَى الْمَرْأَةُ لَهَا أَبَوَيْهَا، وَتَذْكُرُ بَعْلَهَا، وَحُصُولِ النَّسْلِ الَّذِي هُوَ حِفْظُ هَذَا النَّوْعِ، الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَتَحْصِينِ الْمَرْأَةِ، وَقَضَاءِ وَطَرِهَا، وَحُصُولِ عَلَاقَةِ الْمُصَاهَرَةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ[(٨)] النَّسَبِ، وَقِيَامِ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ[(٩)].

---

(١) في (ب): وهي.
(٢) في (ط ١): بيان، والمثبت من: (أ، ب، ط).
(٣) ساقط من: (ب).
(٤) في (ب): وتنفر منه أشد نفرة الطباع، في (ط): وتنفر منه الطباع أشد نفرة.
(٥) في (ب): ينكح.
(٦) في (ط، ط١): ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ [الأعراف: ٨١]. والمثبت من: (أ، ب).
(٧) في (ب): ليس بمجرد.
(٨) في (ب): أحب.
(٩) في (ب): وقيام النساء على الرجال. وهو تحريف.

وَخُرُوجِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ مِنْ جِمَاعِهِنَّ كَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، وَالْمُؤْمِنِينَ[١].

وَمُكَاثَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْبِيَاءَ بِأُمَّتِهِ[٢]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ النِّكَاحِ.

وَالْمَفْسَدَةُ[٣] الَّتِي فِي[٤] اللِّوَاطِ تُقَاوِمُ[٥] ذَلِكَ كُلَّهُ[٦]، وَتُرْبِي[٧] عَلَيْهِ[٨] بِمَا لَا يُمْكِنُ حَصْرُ فَسَادِهِ، وَلَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهُ إِلَّا اللهُ.

[ثُمَّ أَكَّدَ قُبْحَ ذَلِكَ: بِأَنَّ اللُّوطِيَّةَ عَكَسُوا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا الرِّجَالَ، وَقَلَبُوا الطَّبِيعَةَ الَّتِي رَكَّبَهَا اللهُ فِي الذُّكُورِ، وَهِيَ شَهْوَةُ النِّسَاءِ، دُونَ شَهْوَةِ[٩] الذُّكُورِ، فَقَلَبُوا الْأَمْرَ، وَعَكَسُوا الْفِطْرَةَ وَالطَّبِيعَةَ، فَأَتَوُا الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ، وَلِهَذَا قَلَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، وَكَذَلِكَ قُلِبُوا هُمْ، وَنُكِّسُوا فِي الْعَذَابِ عَلَى رُؤُوسِهِمْ][١٠].

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ قُبْحَ ذَلِكَ: بِأَنْ حَكَمَ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْرَافِ، وَهُوَ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، فَقَالَ: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

فَتَأَمَّلْ هَلْ جَاءَ مِثْلُ[١١] ذَلِكَ [أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ][١٢] فِي الزِّنَى؟

وَأَكَّدَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]

---

(١) في (ط١) - تبعًا لنسخة واحدة -: الصالحين، والمثبت من (أ، ب، ط).
(٢) في (ب): ومكاثرة النبي صلى الله عليه وسلم أمته.
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (ب): يقاوم.
(٦) ساقطة من: (ب).
(٧) في (ب): ويربا.
(٨) ساقطة من: (أ).
(٩) ساقطة من: (أ، ط).
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(١١) ساقطة من: (ط١).
(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

ثُمَّ أَكَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمُ الذَّمَّ بِوَصْفَيْنِ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وَسَمَّاهُمْ مُفْسِدِينَ فِي قَوْلِ نَبِيِّهِمْ: ﴿رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]

وَسَمَّاهُمْ ظَالِمِينَ فِي قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ[١]: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١].

فَتَأَمَّلْ مَنْ عُوقِبَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ، وَمَنْ ذَمَّهُ اللهُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَذَمَّاتِ.

وَلَمَّا جَادَلَ فِيهِمْ خَلِيلُهُ إِبْرَاهِيمُ الْمَلَائِكَةَ، وَقَدْ أَخْبَرُوهُ بِإِهْلَاكِهِمْ، قِيلَ[٢] لَهُ: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦].

وَتَأَمَّلْ خُبْثَ اللُّوطِيَّةِ، وَفَرْطَ تَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللهِ، حَيْثُ جَاءُوا نَبِيَّهُمْ لُوطًا، لَمَّا سَمِعُوا بِأَنَّهُ قَدْ طَرَقَهُ أَضْيَافٌ هُمْ مِنْ أَحْسَنِ الْبَشَرِ صُوَرًا، فَأَقْبَلَ اللُّوطِيَّةُ إِلَيْهِ يُهْرَوِلُونَ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَالَ لَهُمْ[٣]: ﴿يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨]. فَفَدَى أَضْيَافَهُ بِبَنَاتِهِ، يُزَوِّجُهُمْ بِهِنَّ، خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَضْيَافِهِ مِنَ الْعَارِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ: ﴿يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، فَرَدُّوا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ رَدَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ[٤]﴾ [هود: ٧٩].

---

(١) ساقطة من: (أ).

(٢) في (ب): فقيل.

(٣) ساقطة من: (أ).

(٤) ذكر في (ب) الآية التي تليها، وسترد بعد سطر.

فَنَفَثَ نَبِيُّ اللهِ مِنْهُ نَفْثَةَ مَصْدُورٍ[١]، خَرَجَتْ[٢] مِنْ قَلْبٍ مَكْرُوبٍ عَمِيدٍ[٣]، فَقَالَ[٤]: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠].

فَنَفَّسَ لَهُ رُسُلُ اللهِ، وَكَشَفُوا لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ الْحَالِ، وَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا[٥] ممنْ يُوصَلُ إِلَيْهِمْ، وَلَا إِلَيْهِ بِسَبَبِهِمْ، فَلَا تَخَفْ مِنْهُمْ، وَلَا تَعْبَأْ بِهِمْ، وَهَوِّنْ عَلَيْكَ، فَقَالُوا: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، وَبَشَّرُوهُ بِمَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْوَعْدِ لَهُ، وَلِقَوْمِهِ مِنَ[٦] الْوَعِيدِ الْمُصِيبِ، فَقَالُوا: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ [هود: ٨١].

فَاسْتَبْطَأَ نَبِيُّ اللهِ مَوْعِدَ[٧] هَلَاكِهِمْ، وَقَالَ: أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ هَذَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود: ٨١].

فَوَاللهِ مَا كَانَ بَيْنَ هَلَاكِ[٨] أَعْدَاءِ اللهِ وَنَجَاةِ نَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ إِلَّا مَا بَيْنَ السَّحَرِ وَطُلُوعِ الْفَجْرِ، وَإِذَا بِدِيَارِهِمْ قَدِ اقْتُلِعَتْ مِنْ أُصُولِهَا[٩]، وَرُفِعَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ، حَتَّى سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ نُبَاحَ الْكِلَابِ، وَنَهِيقَ الْحَمِيرِ، فَبَرَزَ الْمَرْسُومُ الَّذِي لَا يُرَدُّ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ، إِلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ جِبْرِيلَ، بِأَنْ يَقْلِبَهَا[١٠] عَلَيْهِمْ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾ [هود: ٨٢].

---

(١) في (ب): فنفى نبي الله نفيًا مصدر.
(٢) في (ط١): وخرجت.
(٣) ساقطة من: (ط)، والعميد: شديد الحزن والكرب.
(٤) في (ب): وقال.
(٥) في (أ): ليس.
(٦) في (ب): ومن.
(٧) في (أ): أنر موعد.
(٨) في (ط): إهلاك.
(٩) في (ط): أصلها.
(١٠) في (ط): قلبها.

فَجَعَلَهُمْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَنَكَالًا وَسَلَفًا لِمَنْ شَارَكَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَجَعَلَ دِيَارَهُمْ بِطَرِيقِ السَّالِكِينَ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٧٥ - ٧٧].

أَخَذَهُمْ عَلَى غِرَّةٍ وَهُمْ نَائِمُونَ، وَجَاءَهُمْ بَأْسُهُ وَهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فانقلبت[1] تِلْكَ اللذات آلَامًا، فَأَصْبَحُوا بِهَا يُعَذَّبُونَ.

مَآرِبُ[2] كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ[3] لِأَهْلِهَا عَذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَمَاتِ عَذَابًا[4]

ذَهَبَتِ اللَّذَّاتُ وَأَعْقَبَتِ الْحَسَرَاتِ، وَانْقَضَتِ الشَّهْوَةُ[5]، وَأَوْرَثَتِ الشِّقْوَةَ[6]، وَتَمَتَّعُوا[7] قَلِيلًا، وَعُذِّبُوا طَوِيلًا، رَتَعُوا مَرْتَعًا وَخِيمًا فَأَعْقَبَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا، أَسْكَرَتْهُمْ[8] خَمْرَةُ تِلْكَ الشَّهْوَةِ[9]، فَمَا اسْتَفَاقُوا مِنْهَا إِلَّا فِي دِيَارِ الْمُعَذَّبِينَ، وَأَرْقَدَتْهُمْ تِلْكَ الْغَفْلَةُ، فَمَا اسْتَيْقَظُوا مِنْهَا إِلَّا وَهُمْ فِي[10] مَنَازِلِ الْهَالِكِينَ، فَنَدِمُوا وَاللهِ أَشَدَّ النَّدَامَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَبَكَوْا عَلَى مَا أَسْلَفُوهُ بَدَلَ الدُّمُوعِ بِالدَّمِ.

فَلَوْ رَأَيْتَ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، وَالنَّارُ تَخْرُجُ مِنْ مَنَافِذِ وُجُوهِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَهُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الْجَحِيمِ، وَهُمْ يَشْرَبُونَ بَدَلَ لَذِيذِ الشَّرَابِ كُئُوسَ الْحَمِيمِ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ يُسْحَبُونَ: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: ٢٤]، ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦].

---

(١) في (ط): فقلبت.

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [٤٨٣]، و«طريق الهجرتين» ص: [٩٩]، وفيهما:

مآرب كانت في الشباب لأهلها عذابا فصارت في المشيب عذابا

(٤) في (ط): فقلبت.

(٥) في (ب، ط): الشهوات.

(٦) في (ط): الشقاوة، وفي (ط): الشقوات.

(٧) في (ب، ط ١): تمتعوا.

(٨) في (ب): وأسكرتهم.

(٩) في (ط): الشهوات.

(١٠) ساقطة من: (أ).

ولقدْ قَرَّبَ اللهُ سُبحانَهُ مَسَافَةَ[١] الْعَذَابِ بَيْنَ هَذِهِ[٢] الْأُمَّةِ وَبَيْنَ إِخْوَانِهِمْ فِي الْعَمَلِ، فَقَالَ مُخَوِّفًا لَهُمْ أَنْ يَقَعَ الْوَعِيدُ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هُود: ٨٣].

[شعرٌ][٣]:

فَيَا نَاكِحِي الذُّكْرَانِ يَهْنِيكُمُ الْبُشْرَى ... فَيَوْمَ مَعَادِ النَّاسِ إِنَّ لَكُمْ أَجْرَا

كُلُوا وَاشْرَبُوا وَازْنُوا وَلُوطُوا وَأَبْشِرُوا[٤] ... فإنكم[٥] زَفْرًا إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمْرَا

فَإِخْوَانُكُمْ قَدْ مَهَّدُوا الدَّارَ قَبْلَكُمْ ... وَقَالُوا إِلَيْنَا عَجِّلُوا لَكُمُ الْبُشْرَى

وَهَا نَحْنُ أَسْلَافٌ لَكُمْ[٦] فِي انْتِظَارِكُمْ ... سَيَجْمَعُنَا الْجَبَّارُ فِي نَارِهِ الْكُبْرَى

وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّ الَّذِينَ نَكَحْتُمُو ... يَغِيبُونَ عَنْكُمْ بَلْ تَرَوْنَهُمْ جَهْرًا

وَيَلْعَنُ كُلًّا مِنْكُمَا بِخَلِيلِهِ وَيَشْقَى ... بِهِ الْمَحْزُونُ فِي الْكَرَّةِ الْأُخْرَى

يُعَذَّبُ كُلًّا مِنْهُمَا بِشَرِيكِهِ كَمَا ... اشْتَرَكَا فِي لَذَّةٍ تُوجِبُ الْوِزْرَا[٧]

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ب): أسافة.

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) زيادة من: (ب).

(٤) في (ب): فأبشروا.

(٥) في (ط): فإن لكم

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) الظاهر أنه من نظم ابن القيم.

فَصْلٌ

فِي الأَجْوِبَةِ عَمَّا احْتَجَّ بِهِ مَنْ جَعَلَ عُقُوبَةَ هَذِهِ الفَاحِشَةِ دُونَ عُقُوبَةِ الزِّنَى.

أَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّهَا مَعْصِيَةٌ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فِيهِ حَدًّا مُعَيَّنًا، فَجَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا - أَنَّ الْمُبَلِّغَ عَنِ اللهِ جَعَلَ حَدَّ صَاحِبِهَا الْقَتْلَ حَتْمًا، وَمَا شَرَعَهُ[1] رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِنَّمَا[2] شَرَعَهُ عَنِ اللهِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّ حَدَّهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ بِالشَّرْعِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهُ غَيْرُ ثَابِتٍ بِنَصِّ الْكِتَابِ لَمْ يَلْزَمْ [مِنْ ذَلِكَ][3] انْتِفَاءُ حُكْمِهِ لِثُبُوتِهِ بِالسُّنَّةِ.

الثَّانِي[4] - أَنَّ هَذَا يَنْتَقِضُ عَلَيْكُمْ بِالرَّجْمِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: بَلْ ثَبَتَ بِقُرْآنٍ نُسِخَ لَفْظُهُ وَبَقِيَ حُكْمُهُ.

قُلْنَا: فَيُنْقَضُ عَلَيْكُمْ بِحَدِّ شَارِبِ الْخَمْرِ.

الثَّالِثُ[5] - أَنَّ نَفْيَ[6] دَلِيلٍ مُعَيَّنٍ، لَا يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ مُطْلَقِ الدَّلِيلِ، وَلَا نَفْيَ الْمَدْلُولِ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ[7] الدَّلِيلَ الَّذِي نَفَيْتُمُوهُ غَيْرُ مُنْتَفٍ؟

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ وَطْءٌ فِي مَحَلٍّ لَا تَشْتَهِيهِ الطِّبَاعُ[8]، بَلْ رَكَّبَ اللهُ الطِّبَاعَ عَلَى النَّفْرَةِ مِنْهُ، فَهُوَ كَوَطْءِ الْمَيْتَةِ وَالْبَهِيمَةِ، فَجَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا - أَنَّهُ قِيَاسٌ فَاسِدُ الِاعْتِبَارِ، مَرْدُودٌ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

---

(١) الظاهر أنه من نظم ابن القيم.
(٢) في (ب): ما يشرعه.
(٣) في (أ): وإنما.
(٤) في (ط): والثاني.
(٥) في (ط): والثالث.
(٦) في (ب): بقاءه، وفي هامشها: لعله: أن نفي.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) ساقطة من: (ب).

الثَّانِي[(١)] - أَنَّ قِيَاسَ وَطْءِ الْأَمْرَدِ الْجَمِيلِ الَّذِي فِتْنَتُهُ تُرْبِي[(٢)] عَلَى كُلِّ فِتْنَةٍ، عَلَى وَطْءِ أَتَانٍ أَوِ امْرَأَةٍ مَيِّتَةٍ مِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ.

وَهَلْ تغزَّل[(٣)] أَحَدٌ قَطُّ بِأَتَانٍ، أَوْ بَقَرَةٍ، أَوْ مَيِّتَةٍ، أَوْ سَبَى[(٤)] ذَلِكَ عَقْلَ عَاشِقٍ، أَوْ أَسَرَ قَلْبَهُ، أَوِ اسْتَوْلَى عَلَى فِكْرِهِ وَنَفْسِهِ؟ فَلَيْسَ فِي الْقِيَاسِ أَفْسَدُ مِنْ هَذَا.

الثَّالِثُ - أَنَّ هَذَا مُنْتَقِضٌ[(٥)] بِوَطْءِ الْأُمِّ وَالْبِنْتِ وَالْأُخْتِ، فَإِنَّ[(٦)] النَّفْرَةَ الطَّبِيعِيَّةَ عَنْهُ حَاصِلَةٌ[(٧)]، مَعَ أَنَّ الْحَدَّ فِيهِ مِنْ أَغْلَظِ الْحُدُودِ - فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ - وَهُوَ الْقَتْلُ بِكُلِّ حَالٍ، مُحْصَنًا كَانَ، أَوْ غَيْرَ مُحْصَنٍ، وهذا إِحْدَى[(٨)] الرِّوَايَتَيْنِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَهُوَ قَوْلُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ[(٩)].

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَمِّي وَمَعَهُ الرَّايَةُ، فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى رَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَآخُذَ مَالَهُ». قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»[(١٠)].

---

(١) في (ط): والثاني.
(٢) في (ط): يربو.
(٣) في (ب): يعدل، وفي (ط): يعدل ذلك.
(٤) في (ب): شيئًا من.
(٥) في (ب): أنها منقض.
(٦) في (ب): وإن.
(٧) في (ب): عنده خالصة.
(٨) في (ب): أحد.
(٩) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٥٦).
(١٠) صحيحٌ: رواه عبد الرزاق [١٠٨٠٤]، وسعيد بن منصور [٩٤٢]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٨٨٦٧]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٠، ٢٩٥)، والدارمي [٢٢٣٩]، والترمذي [١٣٦٢]، وأبو داود [٤٤٥٧]، وابن ماجه [٢٦٠٧]، والنسائي (٣٣٣١ - ٣٣٣٢)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٢٩٥٨]، وفي شرح «معاني الآثار» (٣/ ١٤٨)، وابن حبان [٤١١٢]، والحاكم (٢/ ٢٠٨، ٣٧٣٢)، والبيهقي (٦/ ٢٥٣، ٧/ ١٦٢، ٨/ ٢٠٨)، وغيرهم من طريق عدي بن ثابت عن يزيد بن البراء عن أبيه، وبعضهم لم يذكر يزيد، وبعضهم - وهو زيد بن أبي أنيسة وحجاج بن أرطاة - ذكر: لقيت عمي، وبعضهم - ولا يصح لأنه من طريق أشعث بن سوار وهو ضعيف -: عمي الحارث بن عمرو، وبعضهم: خالي، وبعضهم خالي أبو بردة بن نيار، وقد اختلفت ترجيحات =

قَالَ الْجُوزَجَانِيُّ: «عَمُّ الْبَرَاءِ اسْمُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو»(١).

وفِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»(٢)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ وَقَعَ عَلَى ذَاتِ مَحْرَمٍ فَاقْتُلُوهُ»**(٣).

وَرُفِعَ إِلَى الْحَجَّاجِ رَجُلٌ اغْتَصَبَ أُخْتَهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَقَالَ: احْبِسُوهُ، واسألوا(٤) مَنْ هَهُنَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ مُطَرِّفٍ، فَقَالَ(٥): سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ تَخَطَّى حُرَمَ الْمُؤْمِنِينَ، فَخُطُّوا وَسَطَهُ بِالسَّيْفِ»**(٦).

= العلماء، وقد رجح أبو زرعة وغيره أنه خاله أبو بردة واسمه هانئ، وهو الصحيح. «العلل» [١٢٧٧]. وهو حديث صحيح. («إرواء الغليل» [٢٣٥١]).

(١) قد ورد في بعض الروايات تسميته بذلك عند الإمام أحمد وغيره، ولكنه من طريق أشعث بن سوار: وهو ضعيف.

(٢) في (ط): وفي «سنن أبي داود وابن ماجه». وهو خطأ، فإن أبا داود لم يخرجه.

(٣) ضعيفٌ: رواه عبد الرزاق [١٣٤٩٢]، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٠)، والترمذي [١٤٦٢]، وابن ماجه [٢٥٦٤]، وابن جرير في «تهذيب الآثار - مسند ابن عباس» [٨٧٣]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٣٨٣٢]، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ١١٠)، والطبراني في «الكبير» [١١٥٦٥]، وفي «الأوسط» [٩٣٥٠]، والدارقطني (٣/ ١٢٦)، والحاكم (٤/ ٣٩٧)، والبيهقي (٨/ ٢٣٤) وغيرهم وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة: ضعيفٌ. («ضعيف الترمذي» [٢٤٦]).

(٤) في (ط): وسلوا.

(٥) في (ب): قال.

(٦) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [٢٨١٧]، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» [٥٤٤]، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٠١)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٠٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٥)، [٤٥٥٦]، والبيهقي في «شعب الإيمان» [٥٤٧٣]، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٤/ ١٨٧) وغيرهم من طريق رفدة بن قضاعة عن صالح بن راشد به، وكلاهما ضعيف منكر الحديث. («الضعيفة» [٤٥٧٢]).

والصحيح ما رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [١٨٦] من طريق مُعَاذِ بنِ هِشَام، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: أُتِيَ الْحَجَّاجُ بِرَجُلٍ زَنَى بِأُخْتِهِ، فَسَأَلَ عَنْهَا عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي مُطَرِّفٍ، فَقَالَ: «يُضْرَبُ =

وَفِيهِ دَلِيلٌ: عَلى[1] الْقَتْلِ بِالتَّوْسِيطِ[2].

وَهَذَا دَلِيلٌ مُسْتَقِلٌّ فِي الْـمَسْأَلَةِ، وهو أن[3] مَنْ[4] لَا يُبَاحُ وَطْؤُهُ بِحَالٍ، فَحَدُّ وَطْئِهِ الْقَتْلُ.

دَلِيلُهُ: مَنْ وَقَعَ عَلَى أُمِّهِ وابْنَتِهِ[5].

وَكَذَلِكَ يُقَالُ فِي وَطْءِ ذَوَاتِ الْـمَحَارِمِ، وَوَطْءِ مَنْ لَا يُبَاحُ لَهُ[6] وَطْؤُهُ بِحَالٍ، فَكَانَ[7] حَدُّهُ الْقَتْلَ كَاللُّوطِيِّ.

وَالتَّحْقِيقُ: أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَى الْـمَسْأَلَتَيْنِ بِالنَّصِّ، وَالْقِيَاسُ يَشْهَدُ لِصِحَّةِ كُلٍّ مِنْهُمَا.

وَقَدِ اتَّفَقَ الْـمُسْلِمُونَ عَلَى: أَنَّ[8] مَنْ زَنَى بِذَاتِ مَحْرَمِهِ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي صِفَةِ الْحَدِّ: هَلْ هُوَ[9] الْقَتْلُ بِكُلِّ حَالٍ، أَوْ حَدُّهُ حَدُّ الزَّانِي؟

عَلَى قَوْلَيْنِ:

فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ، وَمَالِكٌ، وَأَحْمَدُ - فِي إِحْدَى رِوَايَتَيْهِ -: أَنَّ حَدَّهُ حَدُّ الزَّانِي.

وَذَهَبَ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إِلَى: أَنَّ حَدَّهُ الْقَتْلُ بِكُلِّ حَالٍ.

وَكَذَلِكَ اتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى: أَنَّهُ لَوْ أَصَابَهَا بِاسْمِ النِّكَاحِ عَالِـمًا[10]: أَنَّهُ يُحَدُّ، إِلَّا أَبَا حَنِيفَةَ وَحْدَهُ[11]، فَإِنَّهُ رَأَى ذَلِكَ شُبْهَةً مُسْقِطَةً لِلْحَدِّ.

= بِالسَّيْفِ». فَأَمَرَ بِهِ الْحَجَّاجُ، فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ. وإسناده صحيح إلى قتادة. وقال أبو زرعة - كما في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ٤٥٦) - بعد الحديث السابق: «رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ قَتَادَةُ وَدَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطَرِّفِ بْنِ الشِّخِّيرِ، أَنَّ الْحَجَّاجَ أُتِيَ بِرَجُلٍ..الْحَدِيثَ، وَهَذَا الصَّحِيحُ».

(١) ساقطة من: (ب).
(٢) في (أ، ب): بالتوسط.
(٣) في (ط): وأن.
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (ط): أو ابنته.
(٦) ساقطة من: (ب).
(٧) في (ب): وكان.
(٨) ساقطة من: (ب).
(٩) في (أ): هذا.
(١٠) في (ط): عالمًا بالتحريم.
(١١) ساقطة من: (أ).

وَمُنَازِعُوهُ يَقُولُونَ: إِذَا أَصَابَهَا بِاسْمِ النِّكَاحِ فَقَدْ زَادَ الْجَرِيمَةَ[1] غِلَظًا وَشِدَّةً، فَإِنَّهُ ارْتَكَبَ مَحْذُورَيْنِ عَظِيمَيْنِ: مَحْذُورَ الْعَقْدِ، وَمَحْذُورَ الْوَطْءِ، فَكَيْفَ تُخَفَّفُ عَنْهُ الْعُقُوبَةُ بِضَمِّ مَحْذُورِ الْعَقْدِ إِلى مَحْذُورِ الزِّنَا؟!

وَأَمَّا وَطْءُ الْمَيِّتَةِ: فَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْفُقَهَاءِ، وَهُمَا فِي مَذْهَبِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

أَحَدُهُمَا- يَجِبُ بِهِ الْحَدُّ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ، فَإِنَّ فِعْلَهُ أَعْظَمُ جُرْمًا، وأكثر[2] ذَنْبًا، لأَنَّهُ[3] انْضَمَّ إِلَى فَاحِشَتِهِ: هَتْكُ حُرْمَةِ الْمَيِّتَةِ.

❁❁❁

---

(١) في (ب): فقد زاد في تحريمه.

(٢) في (ب، ط): وأكبر.

(٣) ساقطة من: (ط).

فَصْلٌ

وَأَمَّا وطء[١] الْبَهِيمَةِ فَلِلْفُقَهَاءِ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا- أَنَّهُ يُؤَدَّبُ، وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ، وَهَذَا[٢] قَوْلُ مَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَالشَّافِعِيِّ فِي أَحَدِ قَوْلَيْهِ، وَ هُوَ قَولُ[٣] إِسْحَاقَ.

وَالْقَوْلُ[٤] الثَّانِي- أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ الزَّانِي؛ يُجْلَدُ إِنْ كَانَ بِكْرًا، وَيُرْجَمُ إِنْ كَانَ مُحْصَنًا. وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ- أَنَّ حُكْمَهُ حُكْمُ اللُّوطِيِّ. نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، فَيُخَرَّجُ عَلَى الرِّوَايَتَيْنِ فِي حَدِّهِ: هَلْ هُوَ الْقَتْلُ حَتْمًا، أَوْ هُوَ[٥] كَالزَّانِي؟

وَالَّذِينَ[٦] قَالُوا: حَدُّهُ الْقَتْلُ؛ احْتَجُّوا بِمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَى بَهِيمَةً فَاقْتُلُوهُ، وَاقْتُلُوهَا مَعَهُ**»[٧].

قَالُوا: وَلِأَنَّهُ وَطْءٌ لَا يُبَاحُ بِحَالٍ؛ فَكَانَ فِيهِ الْقَتْلُ كَحَدِّ اللُّوطِيِّ.

---

(١) في (ط): واطئ.
(٢) في (ب): أحدها- أن يؤدب عليه، وهو.
(٣) في (أ، ط١): وقول.
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) ساقطة من: (ب).
(٦) في (ب): والذي.
(٧) حسنٌ: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» [١٣٤٩٢]، وابن أبي شيبة [٢٨٥١٩]، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٦٩)، وعبد بن حميد [٥٧٥]، والترمذي في «سننه» [١٤٥٥]، وفي «العلل الكبير» [٤٢٧]، وأبو داود [٤٤٦٦]، وابن ماجه [٢٥٦٤]، والنسائي في «الكبرى» [٧٣٤٠]، وأبو يعلى [٢٤٦٢]، وابن جرير في «تهذيب الآثار - مسند ابن عباس» (٨٧٠ - ٨٧٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٨٣٠ - ٣٨٣١)، والدار قطني (٣/ ١٢٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٣٤٣)، والحاكم (٤/ ٣٩٥)، والبيهقي (٨/ ٢٣٢ - ٢٣٣)، وغيرهم من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما به، ورواه عن عكرمة: عمرو بن أبي عمرو، وعباد بن منصور، وداود بن الحصين. فهو حديث حسن الإسناد. («إرواء الغليل» [٢٣٤٨]).

وَمَـنْ لَمْ يَـرَ عَلَيهِ حَـدًّا قَالُوا: لَمْ يَصِحَّ فِيـهِ الْحَدِيثُ، وَلَوْ صَـحَّ لَقُلْنَا بِـهِ، وَلَمْ يَحِلَّ لَنَا مُخَالَفَتُهُ.

قَالَ إِسْـمَاعِيلُ بْنُ سَـعِيدٍ الشَّالَنْجِيُّ: سَـأَلْتُ أَحْمَدَ عَنِ الَّذِي يَأْتِي[1] الْبَهِيمَةَ، فَوَقَفَ عِنْدَهَا، وَلَمْ يَثْبُتْ حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو فِي ذَلِكَ[2].

وَقَـالَ الطَّحَاوِيُّ: «الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ»[3]، وَأَيْضًا فَرَاوِيـهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَدْ أَفْتَى بِأَنَّهُ

---

(١) في (ب): أتى.

(٢) ذكـره ابـن قدامـة في «المغني» (٩/ ٥٩)، وابن مفلـح في «المبدع» (٩/ ٦٨). وفي «مسـائل الإمام أحمد روايـة ابنـه عبد الله» (١/ ٤٢٦): «سـألت أبي عمن أتـى بهيمة، قال: اختلف فيه عـلى ابن عباس، أما عاصم فروى عن أبي رزين عن ابن عباس: «ليس على من أتى البهيمة حدٌّ»، روى عمرو بن أبي عمرو عـن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**من وقع على بهيمة فاقتلوه، واقتلوا البهيمة**»، وحديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس مثله». انتهى.
وفي «مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه» للكوسج (٢/ ٢٥٠): «قُلْتُ لأحمد: الرجلُ يقعُ على البهيمةِ؟ قَالَ: لا أرى عليهِ القتلَ، ولا الحدَّ، ولكن يُؤدَّب. قَالَ إسحاق: عليه القتلُ إذا تعمَّد ذَلِكَ، وهو يَعلم ما جاء فيه عن رسـول الله ﷺ، وإن دَرأ عنه إمامه القتلَ لا ينبغي أن يَدرأ عنه جلد مائة تشبيها بالزنا».

(٣) قـال الطحـاوي في «شرح مشـكل الآثار» (٩/ ٤٣٩) - بعد ذكر حديث ابن عباس من طريق شـيخه يوسـف بـن يزيد عن سـعيد بن منصور عـن الدراوردي عن عمـرو بن أبي عمرو عـن عكرمة، ومن طريـق ابـن أبي داود وعبدالعزيـز بن زبالة عن إسـحاق الفروي عـن إبراهيم بـن أبي حبيبة عن داود ابـن الحصـين عن عكرمـة -: «فَتَأَمَّلْنَا هَذَيْـنِ الْحَدِيثَيْنِ، فَوَجَدْنَا حَدِيثَ يُوسُـفَ يَرْجِـعُ إِلَى عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْـرٍو، وَهُـوَ رَجُلٌ قَدْ تُكُلِّمَ فِي رِوَايَتِهِ بِغَيْرِ إِسْـقَاطٍ لَهَا، وَوَجَدْنَا حَدِيثَ ابْـنِ أَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ زُبَالَةَ يَرْجِـعُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْـمَاعِيلَ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ، وَهُـوَ رَجُلٌ مَـتْرُوكُ الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ جَمِيعًا، ثُمَّ اعْتَبَرْنَـا هَذَيْـنِ الْحَدِيثَيْنِ، فَوَجَدْنَاهُمَا مَرْدُودَيْـنِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ وَجَدْنَا عَـنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ وُجُوهٍ صِحَـاحٍ مَـا يَدْفَـعُ الأَمْـرَ الْـمَذْكُورَ بِهِ فِيهِمَا» ثـم روى من طرقٍ عَـنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي رَزِيـنٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قَالَ: «لَيْسَ عَلَى مَنْ أَتَى الْبَهِيمَةَ حَدٌّ»
ثم قال: «فَكَانَ مَا رُوِّينَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ أَحْسَـنَ إِسْنَادًا عَنْهُ مِنَ الْحَدِيثَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، وَلَمْ يَخْـلُ الْحَدِيثَانِ الأَوَّلانِ مِنْ أَنْ يَكُونَا صَحِيحَيْنِ، أَوْ يَكُونَا غَيْرَ صَحِيحَيْنِ، فَإِنْ كَانَا غَيْرَ صَحِيحَيْنِ، فَقَـدْ كُفِينَـا الْكَلامَ فِيهِمَا، وَإِنْ كَانَا صَحِيحَـيْنِ، فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمْ يَقُلْ بَعْـدَ النَّبِيِّ ﷺ مَا يُخَالِفُ
=

لَا حَدَّ عَلَيْهِ(١)، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهَذَا يُضَعِّفُ الْحَدِيثَ»(٢).

وَلَا رَيْبَ: أَنَّ الزَّاجِرَ الطَّبْعِيَّ(٣) عَنْ إِتْيَانِ الْبَهِيمَةِ أَقْوَى مِنَ الزَّاجِرِ الطَّبْعِيِّ عَنِ التَّلَوُّطِ، وَلَيْسَ الْأَمْرَانِ(٤) فِي طِبَاعِ النَّاسِ سَوَاءً، فَإِلْحَاقُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ مِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ، [كَمَا تَقَدَّمَ](٥).



= مَا قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَنْهُ مِمَّا يُخَالِفُهُ إِلا بَعْدَ ثُبُوتِ نَسْخِهِ عِنْدَهُ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى سُقُوطِ الْحَدِيثَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، وَوُجُوبِ تَرْكِهِمَا، وَفِي هَذَا كِفَايَةٌ وَحُجَّةٌ فِي دَفْعِهِمَا، وَلَكِنَّا نُرِيدُ دَفْعَهُمَا أَيْضًا فِيمَا قَدْ رُوِّينَاهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَّا فِي كِتَابِنَا هَذَا مِمَّا قَامَتْ بِهِ الْحُجَّةُ عَنْهُ أَنَّهُ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: كُفْرٍ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنًى بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ**».
وَفِي ذَلِكَ مَا يَدْفَعُ الْقَتْلَ فِيمَا سِوَى هَذِهِ الثَّلاثَةِ الأَشْيَاءِ، إِلا أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ بِإِلْحَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِهَا غَيْرَهَا، فَيُلْحَقُ بِهَا، وَيَكُونُ الْحَظْرُ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسًا بِسِوَاهَا، أَوْ بِسِوَى مَا أَلْحَقَهُ فِيهَا، وَلَمْ نَجِدْ ذَلِكَ، فَكَانَ فِيهَا مَا يَدْفَعُ أَنْ يُقْتَلَ بِمَا سِوَاهَا، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ».

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» [١٣٤٩٧]، وابن أبي شيبة (٢٨٥٠٣)، والترمذي [١٤٥٥]، وأبو داود [٤٤٦٥]، وابن جرير في «تهذيب الآثار - مسند ابن عباس» (٨٦٧ - ٨٦٩)، الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٩/ ٤٤٠)، والحاكم (٤/ ٢٩٦)، والبيهقي (٨/ ٢٣٤) وغيرهم من طرق عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن ابن عباس به، وسنده حسنٌ.

(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ١٥٩) ولفظه: «حَدِيثُ عَاصِمٍ يُضَعِّفُ حَدِيثَ عَمْرِو بنِ أبي عَمْرٍو». ويعني بعاصم: ابن أبي النجود.

(٣) في هذا الموضع والذي بعده في (ب): الطبيعي.

(٤) في (ط): الأمر أنهما.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).



فَصْلٌ

وَأَمَّا قِيَاسُكُمْ وَطْءَ الرَّجُلِ لِمِثْلِهِ عَلَى تَدَالُكِ الْمَرْأَتَيْنِ: فَمِنْ أَفْسَدِ الْقِيَاسِ، إِذْ لَا إِيلَاجَ هُنَاكَ، وَإِنَّمَا نَظِيرُهُ مُبَاشَرَةُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ مِنْ غَيْرِ إِيلَاجٍ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْآثَارِ الْمَرْفُوعَةِ: «**إِذَا أَتَتِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَهُمَا زَانِيَتَانِ**»(١).

وَلَكِنْ لَا يَجِبُ الْحَدُّ بِذَلِكَ، لِعَدَمِ الْإِيلَاجِ، وَإِنْ أُطْلِقَ عَلَيْهِمَا اسْمُ الزِّنَى الْعَامُّ، كَزِنَى الْعَيْنِ، وَالْيَدِ، وَالرِّجْلِ، وَالْفَمِ.

إِذَا ثَبَتَ هَذَا: فَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ حُكْمَ التَّلَوُّطِ مَعَ الْمَمْلُوكِ كَحُكْمِهِ مَعَ غَيْرِهِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ تَلَوُّطَ الْإِنْسَانِ بِمَمْلُوكِهِ(٢) جَائِزٌ، وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٣٠].

---

(١) ضعيفٌ: رواه البيهقي (٨/ ٢٣٣)، وفي «الشعب» [٥٤٥٨]، من طريق محمد بن عبد الرحمن عن خالد الحذاء عن ابن سيرين عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَتَى الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَهُمَا زَانِيَانِ، وَإِذَا أَتَتِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَهُمَا زَانِيَتَانِ**».
ورواه الآجري في «تحريم اللواط» [١٧] مقتصرًا على الشطر الأول. ومحمد بن عبد الرحمن القشيري قال فيه أبو حاتم - كما في «الجرح والتعديل» (٧/ ٣٢٥) -: «متروك الحديث، كان يكذب، ويفتعل الحديث».
وعلقه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٨١)، ورواه موصولًا: ابن أبي حاتم في «مقدمة الجرح والتعديل» (١/ ٣٤٢)، والآجري في «تحريم اللواط» [١٦]، والطبراني في «الأوسط» [٤١٥٧]، والخطيب في «تالي تلخيص المتشابه» [٢٦٨]، وغيرهم من طريق بشر بن الفضل [عن أبيه] عن خالد الحذاء عن أنس بن سيرين عن أبي يحيى - وفي «التاريخ الكبير»: أبي عثمان - عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يباشر الرجل الرجل إلا وهما زانيان، ولا تباشر المرأة المرأة إلا وهما زانيتان**». وبشرٌ بصريٌّ مجهول، وليس هو ببشر بن المفضل كما وقع عند الطبراني، فذاك ثقة معروف، وهذا ليس حديثه. («إرواء الغليل» [٢٣٩٤]).

(٢) في (ب): مع مملوكه.

وَقَاسَ ذَلِكَ عَلَى أَمَتِهِ الْـمَمْلُوكَةِ: فَهُوَ كَافِرٌ، يُسْتَتَابُ، كَمَا يُسْتَتَابُ الْـمُرْتَدُّ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ[1] عُنُقُهُ.

وَتَلَوُّطُ الْإِنْسَانِ بِمَمْلُوكِهِ كَتَلَوُّطِهِ بِمَمْلُوكِ غَيْرِهِ فِي الْإِثْمِ وَالْحُكْمِ.

❁ ❁ ❁

(١) في (ب): ضرب.

فَصْلٌ

فَإِنْ قِيلَ: وَهَلْ[(١)] مَعَ ذلكَ كُلِّهِ مِنْ دَوَاءٍ[(٢)] لِهَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ؟ وَرُقْيَةٌ لِهَذَا السِّحْرِ الْقَتَّالِ؟ وَمَا الِاحْتِيَالُ لِدَفْعِ هَذَا الْخَبَالِ[(٣)]؟

وَهَلْ مِنْ طَرِيقٍ قَاصِدٍ إِلَى التَّوْفِيقِ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ السَّكْرَانَ بِخَمْرَةِ[(٤)] الْهَوَى أَنْ يُفِيقَ؟

وَهَلْ يَمْلِكُ الْعَاشِقُ قَلْبَهُ، وَالْعِشْقُ قَدْ وَصَلَ إِلَى سُوَيْدَائِهِ؟ وَهَلْ لِلطَّبِيبِ بَعْدَ ذَلِكَ حِيلَةٌ فِي بُرْئِهِ مِنْ سُوءِ دَائِهِ[(٥)]؟

إِنْ لَامَهُ لَائِمٌ الْتَذَّ بِمَلَامِهِ ذِكْرًا لِـمَحْبُوبِهِ، وَإِنْ عَذَلَهُ عَاذِلٌ [أَغْرَاهُ عَذْلُهُ][(٦)]، وَسَارَ بِهِ فِي طَرِيقِ مَطْلُوبِهِ، يُنَادِي عَلَيْهِ شَاهِدُ حَالِهِ، بل لسانُ[(٧)] قَالِهِ[(٨)]: [شعرٌ][(٩)]:

وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ ... لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدَّمُ
وَأَهَنْتِنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي جَاهِدًا ... مَا[(١٠)] مَنْ يَهُونُ عَلَيْكِ مِمَّنْ يُكْرَمُ
أَشْبَهْتِ أَعْدَائِي فَصِرْتُ أُحِبُّهُمْ ... إِذْ[(١١)] كَانَ حَظِّي مِنْكِ حَظِّي مِنْهُمْ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حبًّا[(١٢)] لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ[(١٣)]

---

(١) في (أ): فهل.
(٢) في (ط): فهل مع هذا كله دواء.
(٣) في (ب): الخيال.
(٤) في (ط): بخمر.
(٥) في (أ، ط): سويدائه.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٧) في (ط): بلسان.
(٨) في (ب، ط): مقاله.
(٩) زيادة من: (ب).
(١٠) في (ب): يا.
(١١) في (ب): إن.
(١٢) في (ط١): حيًا، والمثبت من: (أ، ب)، ومصادر العزو.
(١٣) الأبيات منسوبة لأبي الشيص: محمّد بن عبد الله بن رزين، وهو ابن عمّ دعبل بن علّي بن رزين الشاعر، وكان في زمن الرّشيد - كما في «الشعر والشعراء» للدينوري (٢/ ٨٣٢)، «طبقات الشعراء» لابن المعتز العباسي ص: [٧٣] والبيت الرابع تقدم.

وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالسُّؤَالِ الْأَوَّلِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الِاسْتِفْتَاءُ، وَالدَّاءُ[١] الَّذِي طُلِبَ لَهُ الدَّوَاءَ.

قِيلَ: نَعَمْ، الْجَوَابُ مِنْ رَأْسٍ: «ومَا[٢] أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ[٣] دَاءٍ إِلَّا أنزل[٤] لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[٥].

وَالْكَلَامُ فِي دَوَاءِ هَذَا الدَّاءِ[٦] مِنْ طَرِيقَيْنِ:

أَحَدُهُمَا- حَسْمُ مَادَّتِهِ قَبْلَ حُصُولِهَا.

وَالثَّانِي- قَلْعُهَا بَعْدَ نُزُولِهَا[٧].

وَكِلَاهُمَا يَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَمُتَعَذِّرٌ عَلَى مَنْ لَمْ يُعِنْهُ اللهُ، فَإِنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ[٨].

فَأَمَّا[٩] الطَّرِيقُ الْمَانِعُ مِنْ حُصُولِ هَذَا الدَّاءِ، فَأَمْرَانِ[١٠]:

أحدهما- غَضُّ الْبَصَرِ، كَمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، وَمَنْ أَطْلَقَ لَحَظَاتِهِ دَامَتْ حَسَرَاتُهُ.

وَفِي غَضِّ الْبَصَرِ عِدَّةُ مَنَافِعَ، [وَهُوَ بَعْضُ أَجْزَاءِ هَذَا الدَّوَاءِ النَّافِعِ][١١]:

أَحَدُهَا- أَنَّهُ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللهِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ أَنْفَعُ مِنَ امْتِثَالِ أَوَامِرِ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وما سَعِدَ مَنْ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (ط): ما. (٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ط): جعل. (٥) سبق تخريجه.
(٦) في (ط): والكلام في دواء داءِ تعلق القلب بالمحبط الهوائية! (٧) في (ط): نزوله.
(٨) في (ب): بيده. (٩) في (ب): وأما.
(١٠) ذكر الأمر الأول، وهو غض البصر هنا، وأخر الثاني، وهو اشتغال القلب بما يصده عن ذلك، إلى الفصل الذي بعده.
(١١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

وَالآخِـرَةِ إلا بِامْتِثَـالِ أَوَامِرِهِ، وَمَا شَـقِيَ [مَـنْ شَـقِيَ][1] فِي الدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ إِلَّا بِتَضْيِيعِ أَوَامِرِهِ.

الثَّانِيَةُ- أَنَّهُ يَمْتنِعُ[2] مِنْ وُصُولِ أَثَرِ السَّـهْمِ الْـمَسْـمُومِ - الَّذِي لَعَلَّ فِيهِ هَلَاكَهُ - إِلَى قَلْبِهِ.

الثَّالِثَةُ- أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ أُنْسًا بِاللهِ، وَجَمْعِيَّةً[3] على الله[4].

فَإِنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ يُفَرِّقُ الْقَلْبَ، وَيُشَتِّتُهُ، وَيُبْعِدُهُ من اللهِ، وَلَيْسَ عَلَى العَبْدِ[5] شَيْءٌ أَضَرُّ مِنْ إِطْلَاقِ الْبَصَرِ، فَإِنَّهُ يُوقِعُ[6] الْوَحْشَةَ بَيْنَ الْعَبْدِ وبين رَبِّهِ.

الرَّابِعَةُ- أَنَّهُ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَيُفرِحُهُ، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَ الْبَصَرِ يُضْعِفُهُ، وَيُـحْزِنُهُ.

الْخَامِسَةُ- أَنَّهُ يُكْسِبُ الْقَلْبَ نُورًا، كَمَا أَنَّ إِطْلَاقَهُ يُكْسِبُهُ[7] ظُلْمَةً.

وَلِهَـذَا ذَكَـرَ سُبْحَانَهُ[8] آيَةَ النُّورِ عُقَيْـبَ الْأَمْرِ بِغَضِّ الْبَـصَرِ، فَقَالَ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ثُمَّ قَالَ إِثْرَ ذَلِكَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]

أَيْ: مَثَلُ نُورِهِ فِي قَلْبِ عَبْدِهِ الْـمُؤْمِنِ الَّذِي امْتَثَلَ أَوَامِرَهُ، وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيَهُ.

وَإِذَا اسْـتَنَارَ الْقَلْـبُ أَقْبَلَـتْ وُفُودُ الْـخَيْرَاتِ إِلَيْهِ مِـنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، كَمَا أَنَّـهُ إِذَا أَظْلَمَ أَقْبَلَـتْ سَـحَائِبُ الْبَـلَاءِ وَالشَّرِّ عَلَيْهِ مِـنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَمَا شِئْتَ مِنْ بِدَعٍ وَضَلَالَـةٍ، وَاتِّبَاعِ هَوًى، وَاجْتِنَابِ هُدًى، وَإِعْرَاضٍ عَنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَاشْتِغَالٍ بِأَسْبَابِ الشَّقَاوَةِ.

---

(١) زيادة من: (ط١)، اعتمادًا على نسخة واحدة.
(٢) في (ط): يمنع.
(٣) في (ب): وجمعه.
(٤) في (ط): عليه.
(٥) في (ط): القلب.
(٦) في (ط): يورث.
(٧) في (ط): يلبسه.
(٨) في (ط): ذكر الله سُبْحَانَهُ.

فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكْشِفُهُ لَهُ[١] النُّورُ الَّذِي فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا[٢] فُقِدَ[٣] ذَلِكَ النُّورُ بَقِيَ صَاحِبُهُ كَالْأَعْمَى الَّذِي يَجُوسُ فِي حَنَادِسِ الظُّلُمَاتِ[٤].

السَّادِسَةُ- أَنَّهُ يُورِثُه[٥] فِرَاسَةً صَادِقَةً يُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْمُحِقِّ والْمُبْطِلِ[٦]، وَالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ.

وَكَانَ شَاهُ بنُ شُجَاعٌ الْكِرْمَانِيُّ[٧] يَقُولُ: «مَنْ عَمَرَ ظَاهِرَهُ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَبَاطِنَهُ بِدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ، وَغَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَكَفَّ نَفْسَهُ عَنِ الشهوات[٨]، وَاغْتَذَى بِالْحَلَالِ: لَمْ تُخْطِئْ لَهُ فِرَاسَةٌ».

وَكَانَ شَاهُ بنُ شُجَاعٍ[٩] هذا لَا تُخْطِئُ لَهُ فِرَاسَةٌ[١٠].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي الْعَبْدَ عَلَى عَمَلِهِ بِمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، **«وَمَنْ تَرَكَ للهِ شَيْئًا عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ»**[١١].

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (ب): فإن. (٣) في (ط): نفد.

(٤) في (ط): الظلام. (٥) في (ب، ط): يورث.

(٦) في (أ): الحق، وسقطت كلمة «المبطل»، وفي (ط): الحق والباطل.

(٧) في (أ، ط، ط١): وكان شجاع الكرماني. والمثبت من: (ب). وهو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرماني.

(٨) في (ط): الشبهات. (٩) في (أ، ط، ط١): وكان شجاع. والمثبت من: (ب).

(١٠) ذكره أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٧)، والقشيري في «الرسالة» ص: [٩٤] من طريق أبي عبدالرحمن السلمي عن جده عن شاه بن شجاع به.

(١١) صحيح بلفظ: **«لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لله إلا أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ»**، ونحوه.

وقد روي هذا الكلام مرفوعًا، وموقوفًا، أما المرفوع فرواه وكيع في «الزهد» [٣٥٦]، وابن أبي شيبة في «مسنده» [٩٩٤]، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٧٨)، والنسائي في «الكبرى» [١١٨١٠]، والمروزي في «زياداته على الزهد» لابن المبارك [١١٦٨]، وهناد في «الزهد» [٩٣٨]، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٣٥، ١١٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٣٥)، وفي «شعب الإيمان» [٥٧٤٨]، وغيرهم من طريق سليمان بن المغيرة، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة، وأبي الدهماء قالا: =

فَإِذَا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ؛ عَوَّضَهُ اللهُ بِأَنْ يُطْلِقَ نُورَ بَصِيرَتِهِ، عِوَضًا عَنْ حَبْسِهِ[1] بَصَرَهُ للهِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ[2] بَابَ العِلْمِ، وَالإِيمَانِ، وَالْمَعْرِفَةِ، وَالْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ الْمُصِيبَةِ، الَّتِي إِنَّمَا[3] تُنَالُ بِبَصِيرَةِ[4] القلبِ.

وَضِدُّ هَذا مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ اللُّوطِيَّةَ مِنَ العَمَهِ، الذِّي هوَ ضِدُّ البَصِيرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجر: ٧٢].

فَوَصَفَهُمْ بِالسَّكْرَةِ، [الَّتِي هِيَ فَسَادُ الْعَقْلِ، وَالْعَمَهِ[5] الَّذِي][6] هُوَ فَسَادُ الْبَصِيرَةِ[7].

فَالتَّعَلُّقُ بِالصُّوَرِ يُوجِبُ فَسَادَ الْعَقْلِ، وَعَمَهَ[8] الْبَصِيرَةِ، وَسُكْرَ الْقَلْبِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ [شعر][9]:

= كانا يكثران السفر نحو هذا البيت، قالا: أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوي: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله تبارك وتعالى، وقال: «**إنك لن تدع شيئا اتقاء الله جل وعز إلا أعطاك خيرًا منه**» وفي لفظ: «**لَنْ تَدَعَ شَيْئًا للهِ إلا أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ**». وإسناده صحيح.

ورواه أبو نعيم (٢/ ١٩٦)، والسلفي في «الطيوريات» [٩٧١]، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٣٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، بسند مظلم مسلسل بالمجاهيل، وفيه عبد الله الرقي كذبه الدارقطني. («الضعيفة» [٥]).

وأما الموقوف فرواه ابن المبارك في «الزهد» [٣٦]، وأبو داود في «الزهد» [١٩١]، وابن أبي الدنيا في «الورع» [٤٢]، والدينوري في «المجالسة» [٢٥٨٣]، والبيهقي في «الزهد الكبير» [٩١٣] عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئًا لا يَتْرُكُهُ إلا للهِ تبارك وتعالى، إلا أَتَاهُ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهُ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَلا تَهَاوَنَ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَصْلُحُ، إلا أَتَاهُ اللهُ بِمَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَصْلُحُ»، وفي إسناده مسلم بن شداد لم يوثقه غير العجلي وابن حبان.

(١) في (ط): حيس. (٢) في (ب): له. (٣) في (ب): إما.
(٤) في (ب): بصيرة. (٥) في (ب): والعمى. (٦) ساقط من: (أ).
(٧) في (ب): البصر. (٨) في (ب): وعمى. (٩) زيادة من: (ب).

سُكْرَانِ سُكْرُ هَوًى وَسُكْرُ مُدَامَةٍ[(١)] وَمَتَّى إِفَاقَةُ مَنْ بِهِ سُكْرَانِ[(٢)]

وَقَالَ الْآخَرُ:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ الْعِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ

الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ[(٣)]

السَّابِعَةُ- أَنَّهُ يُورِثُ الْقَلْبَ ثَبَاتًا وَشَجَاعَةً وَقُوَّةً، فَيَجْمَعُ[(٤)] اللهُ لَهُ بَيْنَ سُلْطَانِ البصيرة[(٥)] وَالْحُجَّةِ، وَسُلْطَانُ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ، كَمَا فِي الْأَثَرِ: «الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهُ، يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ»[(٦)].

---

(١) في (ب): ندامة. والمُدامة: الخمر.

(٢) البيت منسوب لديك الجن الحمصي كما في «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٦/ ٢٠٨) وعجز البيت: «فمتى يفيق فتى به سكران»، ونُسب لأبي عبد الله الخليع الشامي كما في «بغية الطلب فى تاريخ حلب» لابن العديم (١٠/ ٤٥١٢) وعجز البيت: «أنى يفيق فتى به سكران».

(٣) نسبت الأبيات لقيس بن الملوح كما في «الجليس الصالح» ص: [٢٧٥] للمُعَافَى بن زكريا، وكما في «روضة المحبين» ص: [١٣٩] ولفظه عند المُعافَى:

قالت جننت على ذكري فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين

(٤) في (ط): فجمع.

(٥) في (ط): النصرة.

(٦) أثرٌ حسنٌ: رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» [١٠٨] عن مالك بن دينار أنه قال: «قرأت في التوراة: إنْ سرّك أن تحيَى وتبلغ علم اليقين فاحتل في كل حين أن تغلب شهوات الدنيا، فإنه من يغلب شهوات الدنيا يفزع الشيطان من ظله» وإسناده حسنٌ.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٦٥)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٢٢] عن مَالِكَ بْنَ دِينَارٍ قال: «مَنْ غَلَبَ شَهْوَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَذَلِكَ الَّذِي يَفْرَقُ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ».

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٠) عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: «مَنْ جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمِهِ، فَزِعَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ، وَمَنْ غَلَبَ حِلْمُهُ هَوَاهُ، فَذَاكَ الْعَالِمُ الْغَلَابُ»، ورواه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» [١٢٠] عَنْ أَبِي الْحَجَّاجِ الْمَهْدِيِّ، قَالَ: «مَنْ جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرِقَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ»، ورواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٣١] عن بِشْرِ الْحَافِي أنه قال: «مَنْ جَعَلَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا =

وَضِدُّ هَذَا: [تَجِدُ فِي](١) الْمُتَّبِعِ لِهَوَاهُ - مِنْ ذُلِّ النَّفْسِ، وَوَضَاعَتِهَا، وَمَهَانَتِهَا، وَخِسَّتِهَا، وَحَقَارَتِهَا - مَا جَعَلَهُ(٢) اللهُ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ عَصَاهُ.

كَمَا قَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي رِقَابِهِمْ(٣)، أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ»(٤).

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ(٥) الْعِزَّ قَرِينَ طَاعَتِهِ، وَالذُّلَّ قَرِينَ مَعْصِيَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

[أَيْ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللهِ وَذِكْرِهِ مِنَ الْكَلِمِ(٦) الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ](٧).

وَفِي دُعَاءِ الْقُنُوتِ: «إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ»(٨).

= تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَرَقَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ، وَمَنْ غَلَبَ عِلْمُهُ هَوَاهُ، فَهُوَ الصَّابِرُ الْغَالِبُ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ كُلَّهُ فِي هَوَاكَ، وَالشِّفَاءَ كُلَّهُ فِي مُخَالَفَتِكَ إِيَّاهُ».

(١) زيادة من: (ط، ط ١).
(٢) في (ب): جعل.
(٣) في (ب): قلوبهم.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) في (ب): وقد جعل سبحانه.
(٦) في (ب): الكلام.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٨) صحيحٌ: رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٩٨٤، ٤٩٨٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» [٦٨٨٩]، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٩٩، ٢٠٠)، والدارمي [١٥٩١]، والترمذي [٤٦٤]، وأبو داود (١٤٢٥، ١٤٢٦)، وابن ماجه [١١٧٨]، والنسائي (١٧٤٥، ١٧٤٦)، وابن الجارود [٢٧٢]، وابن خزيمة في «صحيحه» [١٠٩٥]، وابن حبان [٩٤٥]، والحاكم (٣/ ١٨٨)، والبيهقي (٢/ ٢٠٩)، وغيرهم من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وإسناده صحيح. («صحيح أبي داود - الأم -» [١٢٨١]).

وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ فَقَدْ وَالاهُ فِيمَا أَطَاعَهُ فِيهِ، وَلَهُ مِنَ الْعِزِّ بِحَسَبِ طَاعَتِهِ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَادَاهُ فِيمَا عَصَاهُ فِيهِ، وَلَهُ مِنَ الذُّلِّ بِحَسَبِ مَعْصِيَتِهِ.

الثَّامِنَةُ- أَنَّهُ يسدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مَدْخَلَهُ إِلَى الْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يَدْخُلُ مَعَ النَّظْرَةِ، وَيَنْفُذُ مَعَهَا إِلَى الْقَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ نُفُوذِ الْهَوَاءِ فِي الْمَكَانِ الْخَالِي، فَيُمَثِّلُ لَهُ حُسْنَ[1] صورة الْمَنْظُورِ إِلَيْهِ وَيُزَيِّنُهَا، وَيَجْعَلُهَا صَنَمًا يَعْكُفُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ ثُمَّ يَعِدُهُ وَيُمَنِّيهِ، وَيُوقِدُ عَلَى الْقَلْبِ نَارَ الشَّهْوَةِ[2]، وَيُلْقِي عَلَيْهِ[3] حَطَبَ الْمَعَاصِي الَّتِي لَمْ يَكُنْ يُتَوَصَّلُ إِلَيْهَا بِدُونِ تِلْكَ الصُّورَةِ، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي اللَّهَبِ[4].

فَمِنْ ذَلِكَ اللهِيبِ[5]: تِلْكَ الْأَنْفَاسُ الَّتِي يَجِدُ فِيهَا وَهَجَ النَّارِ، وَتِلْكَ الزَّفَرَاتُ وَالْحُرُقَاتُ.

فَإِنَّ الْقَلْبَ قَدْ أَحَاطَتْ بِهِ النِّيرَانُ من كُلِّ جَانِبٍ، فَهُوَ[6] فِي وَسَطِهَا كَالشَّاةِ فِي وَسَطِ التَّنُّورِ.

وَلِهَذَا كَانَتْ عُقُوبَةُ أَصْحَابِ الشَّهَوَاتِ لِلصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ: أَنْ جُعِلَ لَهُمْ فِي الْبَرْزَخِ تَنُّورٌ مِنْ نَارٍ، وَأُودِعَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِيهِ إِلَى يَوْمِ حَشْرِ أَجْسَادِهِمْ، كَمَا أَرَاهُ اللهُ تَعَالَى[7] لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ، فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ[8].

---

(١) زيادة من: (ط١)، اعتمادا على نسخة واحدة.

(٢) في (ب): الشهوات.

(٣) في (ط): ويلي عليها.

(٤) في (ط ١): اللهيب، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٥) في (أ، ط): اللهب.

(٦) في (ب): وهو.

(٧) في (ب): كما أراه تعالى.

(٨) تقدم تخريجه، وفيه عقوبة الزناة، وليست العقوبة المذكورة لمن يعشق صورة محرمة دون ارتكاب الفاحشة، وإنما يكون عشق الصور المحرمة وسيلة لها.

التَّاسِعَةُ- أَنَّهُ يُفَرِّغُ الْقَلْبَ لِلْفِكْرَةِ فِي مَصَالِحِهِ، وَالِاشْتِغَالِ بِهَا، وَإِطْلَاقُ الْبَصَرِ يُشَتِّتُهُ عَنْ ذَلِكَ[1]، وَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَيَنْفَرِطُ عَلَيْهِ أُمُورُهُ[2] وَيَقَعُ فِي اتِّبَاعِ هَوَاهُ، وَفِي الْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى[3]: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وَإِطْلَاقُ النَّظَرِ يُوجِبُ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ بِحَسَبِهِ.

الْعَاشِرَةُ- أَنَّ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مَنْفَذًا وَطَرِيقًا يُوجِبُ انْفِعَالَ[4] أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ، وَأَنْ يَصْلُحَ بِصَلَاحِهِ، وَيَفْسُدَ بِفَسَادِهِ، فَإِذَا فَسَدَ الْقَلْبُ؛ فَسَدَ النَّظَرُ، وَإِذَا[5] فَسَدَ النَّظَرُ؛ فَسَدَ الْقَلْبُ.

وَكَذَلِكَ فِي جَانِبِ الصَّلَاحِ: فَإِذَا خَرِبَتِ الْعَيْنُ وَفَسَدَتْ؛ خَرِبَ الْقَلْبُ وَفَسَدَ، وَصَارَ كَالْمَزْبَلَةِ الَّتِي هِيَ مَحَلُّ النَّجَاسَاتِ، وَالْقَاذُورَاتِ، وَالْأَوْسَاخِ، فَلَا يَصْلُحُ لِسُكْنَى مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالسُّرُورِ بِقُرْبِهِ فِيهِ[6]، وَإِنَّمَا يَسْكُنُ[7] فِيهِ أَضْدَادُ ذَلِكَ.

فَهَذِهِ إِشَارَةٌ إِلَى بَعْضِ فَوَائِدِ غَضِّ الْبَصَرِ، نُطْلِعُكَ عَلَى مَا وَرَاءَهَا:



---

(١) في (ط): ينسيه ذلك.

(٢) في (ط): أمره. وفي جميع النسخ: فينفرط - بالياء -.

(٣) في (ب): وقال الله تعالى.

(٤) في (ب): استفعال. وفي (ط): انتقال.

(٥) في (ب): وإن.

(٦) ساقطة من: (أ).

(٧) في (ب): سكن.

فَصْلٌ [(١)]

الثانـي[(٢)] - اشْتِغَالُ الْقَلْبِ بِمَا يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَيَحُولُ بَيْنَـهُ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهِ، وَهُوَ إِمَّا خَوْفٌ مُقْلِقٌ[(٣)]، أَوْ حُبٌّ مُزْعِجٌ.

فَمَتَـى خَلَا الْقَلْبُ مِنْ خَوْفِ مَا فَوَاتُـهُ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِنْ حُصُولِ هَذَا الْـمَحْبُوبِ، [أَوْ خَـوْفِ مَـا حُصُولُهُ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا[(٤)] الْـمَحْبُوبِ][(٥)]، أَوْ[(٦)] مَحَبَّة[(٧)] مَا هُوَ أَنْفَعُ لَـهُ وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ هَذَا الْـمَحْبُـوبِ، وَفَوَاتُهُ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْـمَحْبُوبِ: لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ عِشْقِ الصُّوَرِ.

وَشَرْحُ هَـذَا: أَنَّ النَّفْـسَ لَا تَتْرُكُ مَحْبُوبًـا إِلَّا لِـمَحْبُوبٍ أَعْلَى مِنْهُ، أَوْ خَشْـيَةَ مَكْرُوهٍ حُصُولُـهُ أَضَرُّ عَلَيْهـا[(٨)] مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْـمَحْبُـوبِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ صَاحِبُـهُ إِلَى أَمْرَيْنِ، إِنْ فُقِدا[(٩)]، أَوْ أَحَدُهُمَا؛ لَمْ يَنْتَفِعْ بِنَفْسِهِ.

أَحَدُهُمَـا- بَصِيرَةٌ صَحِيحَةٌ يُفَرِّقُ بِهَـا بَيْنَ دَرَجَاتِ الْـمَحْبُـوبِ وَالْـمَكْرُوهِ، فَيُؤْثِرُ أَعْلَى[(١٠)] الْـمَحْبُوبَيْنِ عَلَى أَدْنَاهُمَا، وَيَـحْتَمِلُ أَدْنَى الْـمَكْرُوهَيْنِ لِيَخْلُصَ[(١١)] مِنْ أَعْلَاهُمَا، وَهَذَا خَاصَّةُ الْعَقْلِ، وَلَا يُعَدُّ عَاقِلًا مَنْ كَانَ بِضِدِّ ذَلِكَ، بَلْ قَدْ تَكُونُ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُ.

الثَّانِي- قُوَّةُ عَزْمٍ وَصَبْرٍ يَتَمَكَّنُ بِها[(١٢)] مِنْ هَذَا الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ.

---

(١) ساقطة من: (ط).

(٢) في (ط): الطريق الثاني المانع من حصول تعلق القلب.

(٣) في (ب): مطلق.

(٤) زيادة من: (ط، ط١).

(٥) ساقط من: (أ).

(٦) في (أ): إذ.

(٧) في (ط): محبته.

(٨) في (ب): عليه.

(٩) في (ط): فقدهما.

(١٠) في (أ): على.

(١١) في (أ): التخلص.

(١٢) في (ط): به.

فَكَثِيرًا مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ قَدْرَ التَّفَاوُتِ، وَلَكِنْ يَأْبَى لَهُ ضَعْفُ نَفْسِهِ، وَهِمَّتِهِ، وَعَزِيمَتِهِ، [عَلَى إِيثَارِ الأَنْفَعِ، مِنْ جَشَعِهِ(١)، وَحِرْصِهِ](٢)، وَوَضَاعَةِ نَفْسِهِ، وَخِسَّةِ هِمَّتِهِ.

وَمِثْلُ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ.

وَقَدْ مَنَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ إِمَامَةَ الدِّينِ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَقَالَ تَعَالَى وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ(٣): ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَة: ٢٤].

وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ، وَيَنْتَفِعُ(٤) بِهِ النَّاسُ، وَضِدُّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ، ولا يَنْتَفِعُ(٥) بِهِ غَيْرُهُ(٦)، [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ فِي نَفْسِهِ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ](٧).

فَالْأَوَّلُ: يَمْشِي فِي نُورِهِ، وَيَمْشِي النَّاسُ فِي نُورِهِ، وَالثَّانِي: قَدْ طَفِئَ(٨) نُورُهُ، فَهُوَ يَمْشِي فِي الظُّلُمَاتِ، وَمَنْ تَبِعَهُ فِي ظُلْمَتِهِ، وَالثَّالِثُ: يَمْشِي فِي نُورِهِ وَحْدَهُ. [واللهُ أَعْلَمُ](٩).



(١) في (ب): خيفته.
(٢) في (ط): على أشياء لا تنفع، أمن خسته وحرصه.
(٣) في (ط): المهتدون منهم.
(٤) في (أ): وينفع.
(٥) في (أ): ولا ينفع.
(٦) في (ب): الناس.
(٧) ساقط من: (أ).
(٨) يطفئ.
(٩) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

فَصْلٌ

إِذَا عَرَفْتَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ: فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَمِعَ فِي الْقَلْبِ حُبُّ الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى وَعِشْقُ الصُّوَرِ أَبَدًا، بَلْ هُمَا ضِدَّانِ لَا يَتَلَاقَيَانِ، بَلْ لَابُدَّ أَنْ يُخْرِجَ[1] أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ.

فَمَنْ كَانَتْ قُوَّةُ حُبِّهِ كُلُّهَا لِلْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى، الَّذِي مَحَبَّةُ مَا سِوَاهُ [بَاطِلَةٌ، وَعَذَابٌ عَلَى صَاحِبِهَا؛ صَرَفَهُ ذَلِكَ عَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ.

وَإِنْ أَحَبَّهُ][2] لَمْ يُحِبَّهُ إِلَّا لِأَجْلِهِ، ولِكَوْنِهِ[3] وَسِيلَةً لَهُ إِلَى مَحَبَّتِهِ، أَوْ قَاطِعًا لَهُ عَمَّا يُضَادُّ مَحَبَّتَهُ وينقصها[4].

وَالْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ تَقْتَضِي[5] تَوْحِيدَ الْمَحْبُوبِ، وَأَنْ لَا يُشْرِكَ[6] بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي مَحَبَّتِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْمَحْبُوبُ مِنَ الْخَلْقِ يَأْنَفُ وَيَغَارُ أَنْ يُشْرِكَ[7] مَحَبَّةَ غَيْرِهِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَيَمْقُتُهُ لِذَلِكَ، وَيُبْعِدُهُ[8]، ولَا يُحْظِيهِ بِقُرْبِهِ، وَيَعُدُّهُ كَاذِبًا فِي دَعْوَى مَحَبَّتِهِ، مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ أَهْلًا لِصَرْفِ كُلِّ قُوَّةِ الْمَحَبَّةِ إِلَيْهِ[9]، فَكَيْفَ بِالْحَبِيبِ الْأَعْلَى، الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْمَحَبَّةُ[10] إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، وَكُلُّ مَحبَّةٍ لِغَيْرِهِ فَهِيَ عَذَابٌ عَلَى صَاحِبِهَا وَوَبَالٌ؟

وَلِهَذَا لَا يَغْفِرُ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ فِي هَذِهِ الْمَحَبَّةِ، وَيَغْفِرَ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

---

(١) في (أ): تخرج.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، وبدله: وإن.

(٣) في (ط): أو لكونه.

(٤) في (ب، ط): وينقصها.

(٥) في (ب): تقتضي.

(٦) (ب): لا تشرك.

(٧) في (ط): يشرك مع.

(٨) في (ب): وتبعده.

(٩) ساقطة من: (ب).

(١٠) في (ب): لا ينبغي المحب.

فَمَحَبَّةُ الصُّوَرِ تُفَوِّتُ مَحَبَّةَ مَا هُوَ [أَنْفعُ لِلْعَبدِ منها، بَلْ تُفَوِّتُ مَحَبَّةَ][١] مَا لَيْسَ لَهُ صَلَاحٌ، وَلَا نَعِيمٌ، وَلَا حَيَاةٌ نَافِعَةٌ إِلَّا بِمَحَبَّتِهِ وَحْدَهُ.

فَلْيَخْتَرْ إِحْدَى الْمَحَبَّتَيْنِ، فَإِنَّهُمَا لَا تَجْتَمِعَانِ[٢] فِي الْقَلْبِ، وَلَا تَرْتَفِعَانِ[٣] مِنْهُ.

بَلْ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَذِكْرِهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ؛ ابْتَلَاهُ بِمَحَبَّةِ غَيْرِهِ، فَيُعَذِّبُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْبَرْزَخِ[٤]، وَفِي الْآخِرَةِ، فَإِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُ بِمَحَبَّةِ الْأَوْثَانِ، أَوْ مَحَبَّةِ[٥] الصُّلْبَانِ، [أَوْ مَحَبَّةِ النيرانِ؟][٦]، أَوْ مَحَبَّةِ الْمُرْدَانِ، أَوْ مَحَبَّةِ[٧] النِّسْوَانِ، [أَوْ مَحَبَّةِ الأَثْمَانِ][٨]، [أَوْ مَحَبَّةِ الْعُشَرَاءِ][٩] والخِلَّانِ[١٠]، أَوْ مَحَبَّةِ[١١] مَا دُونَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ فِي غَايَةِ الْحَقَارَةِ وَالْهَوَانِ، فَالْإِنْسَانُ عَبْدُ مَحْبُوبِهِ، كَائِنًا مَا[١٢] كَانَ، كَمَا قِيلَ[١٣]:

أَنْتَ الْقَتِيلُ بِكُلِّ[١٤] مَنْ أَحْبَبْتَهُ ... فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مَنْ تَصْطَفِي[١٥]

فَمَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَهُهُ مَالِكَهُ وَمَوْلَاهُ؛ كَانَ إِلَهُهُ هَوَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى[١٦]: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

❁❁❁

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٢) في (ب، ط): لا يجتمعان.
(٣) في (ب، ط): ولا يرتفعان.
(٤) في (أ): في الدنيا والبرزخ.
(٥) في (ط، ط١): بمحبة.
(٦) ساقط من: (ط)، وفي (ط١): أو بمحبة النيران.
(٧) في (ط): بمحبة.
(٨) ساقط من: (ط).
(٩) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(١٠) في (ط): أو بمحبة العشراء والإخوان.
(١١) في (ط): محبة.
(١٢) في (ط): مَن.
(١٣) في (ب) كما قيل بيت من الشِّعر.
(١٤) في (ب): بحب.
(١٥) البيت في «ديوان ابن الفارض» ص: [١٠٦]، وفيه: «بأي من أحببته».
(١٦) في (أ، ط، ط١): قال تعالى.

فَصْلٌ

وَخَاصِّيَّةُ[(١)] التَّعَبُّدِ: الْحُبُّ مَعَ الْخُضُوعِ، وَالذُّلِّ لِلْمَحْبُوبِ.

فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا[(٢)]، وَخَضَعَ لَهُ؛ فَقَدْ تَعَبَّدَ قَلْبُهُ لَهُ، بَلِ التَّعَبُّدُ آخِرُ مَرَاتِبِ الْحُبِّ، وَيُقَالُ لَهُ التَّتَيُّمُ[(٣)] أَيْضًا.

فَإِنَّ أَوَّلَ مَرَاتِبِهِ: الْعَلَاقَةُ. وَسُمِّيَتْ عَلَاقَةً لِتَعَلُّقِ الْمُحِبِّ[(٤)] بِالْمَحْبُوبِ.

قَالَ[(٥)]:

وَعُلِّقْتُ لَيْلَى وَهْيَ ذَاتُ تَمَائِمٍ وَلَمْ ... يَبْدُ[(٦)] لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ[(٧)]

وَقَالَ الْآخَرُ[(٨)]:

أَعَلَاقَةً أُمَّ الْوَلِيدِ بَعْدَ[(٩)] مَا ... أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ[(١٠)]

ثُمَّ بَعْدَهَا: الصَّبَابَةُ. وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِانْصِبَابِ الْقَلْبِ إِلَى الْمَحْبُوبِ.

قَالَ[(١١)]:

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ[(١٢)] الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي ... تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي[(١٣)]

---

(١) في (ب): وخاصة. (٢) في (ط): محبوبًا. (٣) في (ب): الهيم!

(٤) في (ب): الحب، وفي (ط١): القلب. والمثبت من: (أ، ط).

(٥) في (ط): قال الشاعر. (٦) في (ب): تبد.

(٧) البيت منسوب لقيس بن الملوح «مجنون ليلى» وهو في «ديوانه» (ص: [٢٨] - الكتب العلمية) وفيه: «تعلّقت ليلى وهي غرّ صغيرة»، وانظر: «الشعر والشعراء» للدينوري (٢/ ٥٥٠).

(٨) في (ط ١): آخر.

(٩) في (ب): بعيد.

(١٠) «البيت منسوب» للمرّار بن سعيد الفقعسي، كما في الكتاب لسيبويه (١/ ١١٦)، و«إصلاح المنطق» لابن السكيت ص: [٤١].

(١١) في (ط): قال الشاعر. (١٢) في (ب): المحبوب. (١٣) في (ب): وجدي.

فَكَانَتْ لِقَلْبِي لَذَّةُ الْحُبِّ[١] كُلُّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي[٢]

❁ ثُمَّ الْغَرَامُ: وَهُوَ لُزُومُ الْحُبِّ لِلْقَلْبِ لُزُومًا، لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْغَرِيمُ غَرِيمًا؛ [لِـمُلَازَمَتِهِ[٣] صَاحِبَهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]][٤].

وَقَدْ أُولِعَ الْـمُتَأَخِّرُونَ [بِاسْتِعْمَالِ هَذَا][٥] اللَّفْظِ فِي الْحُبِّ، وَقَلَّ أَنْ تَجِدَهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ.

❁ ثُمَّ الْعِشْقُ: وَهُوَ إِفْرَاطُ الْـمَحَبَّةِ، وَلِهَذَا لَا يُوصَفُ بِهِ الرَّبُّ تَعَالَىٰ[٦]، وَلَا يُطْلَقُ فِي حَقِّهِ.

❁ ثُمَّ الشَّوْقُ: وَهُوَ سَفَرُ الْقَلْبِ إِلَى الْـمَحْبُوبِ أَحَثَّ[٧] السَّفَرِ. وَقَدْ جَاءَ إِطْلَاقُهُ فِي حَقِّ الرَّبِّ تَعَالَىٰ، كَمَا فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، [من حَدِيثِ][٨] عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَمَا[٩] إِنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ، كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ[١٠] خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ،**

---

(١) في (ب): الوجه.

(٢) نسب ابن القيم البيتين لـ«شاعر الحماسة» كما في «روضة المحبين» ص: [١٦٦]، و«شرح ديوان الحماسة» للتبريزي (٢/ ٨٥) وفيه: «فكانت لنفسي»، وهما من شعر مجنون ليلى كما في ديوانه.

(٣) في هامش (ب): لعله: لملازمة.

(٤) ساقط من: (أ).

(٥) بدل ما بين المعقوفين في (ب): بهذا.

(٦) في (ط): تبارك وتعالى.

(٧) في (ب): أحب.

(٨) في (ط): عن.

(٩) ساقطة من: (ب).

(١٠) في (ط): إني أسألك.

وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكريم(١)، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(٢).

وَفِي أَثَرٍ آخَرَ: «طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي، وَأَنَا إِلَى لِقَائِهِمْ أَشَدُّ شَوْقًا»(٣).

وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ النَّبِيُّ(٤) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: **«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ»(٥).**

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْبَصَائِرِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]: «لَمَّا عَلِمَ سُبْحَانَهُ(٦) شِدَّةَ شَوْقِ أَوْلِيَائِهِ إِلَى لِقَائِهِ، وَأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَهدأُ(٧) دُونَ لِقَائِهِ، ضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا وَمَوْعِدًا لِلِّقَاءِ(٨)، تَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ بِهِ»(٩).

---

(١) لا توجد كلمة «الكريم» في: (ب، ط).

(٢) صحيحٌ: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [٢٩٣٤٦]، وفي «مسنده» [٤٤٢]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٤)، والنسائي (١٣٠٥، ١٣٠٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [٢٧٦]، وفي «السنة» [٤٢٤]، و البزار [١٣٩٣]، وعثمان الدارمي في «نقضه على بشر المريسي» (٢/ ٧١٣)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» [٤٦٧]، وابن خزيمة في كتاب: «التوحيد» [٣]، وابن حبان [١٩٧١]، والطبراني في «الدعاء» [٦٢٥]، والحاكم (١/ ٧٠٥)، وغيرهم من طرق عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وهو صحيح. («صحيح الجامع الصغير» [١٣٠١]).

(٣) رواه عبدالغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء» [١٩] عن أَحْمَدَ بْنِ مَخْلَدٍ الْخُرَاسَانِيِّ، أنه قال: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: **«أَلا قَدْ طَالَ شَوْقُ الأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي، وَإِنِّي إِلَيْهِمْ لأَشَدُّ شَوْقًا، وَمَا تَشَوَّقَ الْمُشْتَاقُونَ إِلا بِفَضْلِ شَوْقِي إِلَيْهِمْ، أَلا مَنْ طَلَبَنِي وَجَدَنِي، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرِي، لَمْ يَجِدْنِي، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، لَمْ أُقْبِلْ إِلَيْهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَوَكَّلَ عَلَيَّ، فَلَمْ أَكْفِهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي دَعَانِي، فَلَمْ أُجِبْهُ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي، فَلَمْ أُعْطِهِ؟»**، وفي إسناده محمد بن الحسن النقاش: متهم بالكذب ووضع الحديث.

(٤) لا توجد في: (ط).

(٥) البخاري [٦٥٠٧]، ومسلم [٢٦٨٣] من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٦) في (ط، ط١): لما علم الله سُبْحَانَهُ. والمثبت من: (أ، ب).

(٧) في (ط): لا تهتدي.

(٨) في (ط): للقائه.

(٩) ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في «تفسيره» (٢/ ١١٤)، وعنه: البيهقي في «شعب الإيمان» [٤٥٩]، =

وَأَطْيَبُ الْعَيْشِ، وَأَلَذُّهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ: عَيْشُ الْمُحِبِّينَ الْمُشْتَاقِينَ الْمُسْتَأْنِسِينَ، فَحَيَاتُهُمْ هِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ [فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَا حَيَاةَ لِلعَبْدِ[١] أَطْيَبَ وَلَا أَنْعَمَ وَلَا أَهْنَأَ مِنْهَا، وَهِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ][٢] الْمَذْكُورَةُ[٣] فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهَا الْحَيَاةَ الْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، مِنْ طِيبِ الْمَأْكَلِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَنْكَحِ، بَلْ رُبَّمَا زَادَ أَعْدَاءُ اللهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ فِي ذَلِكَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.

وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا أَنْ يُحْيِيَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، فَهُوَ[٤] صَادِقُ الْوَعْدِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ.

وَأَيُّ حَيَاةٍ أَطْيَبُ مِنْ حَيَاةِ مَنِ اجْتَمَعَتْ هُمُومُهُ كُلُّهَا، وَصَارَتْ هَمًّا وَاحِدًا فِي مَرْضَاةِ اللهِ؟ وَلَمْ يَتَشَعَّبْ[٥] قَلْبُهُ، بِالإِقبالِ[٦] عَلَى اللهِ، وَاجْتَمَعَتْ إِرَادَاتُهُ[٧] وَأَفْكَارُهُ - الَّتِي كَانَتْ مُنْقَسِمَةً[٨]، بِكُلِّ وَادٍ مِنْهَا شُعْبَةٌ - عَلَى اللهِ.

فَصَارَ ذِكْرُ مَحْبُوبِهِ[٩] الْأَعْلَى، وَحُبُّهُ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْأُنْسُ بِقُرْبِهِ: هُوَ الْمُسْتَوْلِي عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ تَدُورُ هُمُومُهُ، وَإِرَادَاتُهُ[١٠]، وَقُصُودُهُ، بَلْ[١١] خَطَرَاتُ قَلْبِهِ.

= وذكره القشيري في «رسالته» (٢/ ٤٩٩)، عن أبي عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري الواعظ توفي سنة: (٢٩٨) ولفظه: «هذه تعزية للمشتاقين أي: أعلم اشتياقكم إلي وأنا أجلت للقائكم أجلًا، فعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه، فطيبوا نفسًا، وتنعموا».

(١) في (ط): للقلب.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٣) ساقطة من: (ط).

(٤) في (ب): وهو.

(٥) في (ط١) - اعتمادا على نسخة -: «ولَمّ شَعثَ». وهو صحيح في المعنى، كما أن: «لم يتشعب»، صحيح في المعنى كذلك.

(٦) في (ط): بل أقبل.

(٧) في (ط): إرادته.

(٨) في (ط): متقسمة.

(٩) في (ط): ذكره بمحبوبه.

(١٠) في (ط): وإرادته.

(١١) في (ط): بكل.

فَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِاللهِ، وَإِنْ نَطَقَ نَطَقَ بِهِ[(١)]، وَإِنْ سَمِعَ فَبِهِ يَسْمَعُ، وَإِنْ أَبْصَرَ فَبِهِ يُبْصِرُ، وَبِهِ يَبْطِشُ، وَبِهِ يَمْشِي، وَبِهِ يتحرَّكُ، وبه يَسْكُنُ، وَبِهِ يَحْيَا، وَبِهِ يَمُوتُ، وَبِهِ يُبْعَثُ.

كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: **«مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا[(٢)]، [فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، وبي يبطش وَبِي يَمْشِي][(٣)]، [وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ][(٤)]، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ[(٥)] شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، تَرَدُّدِي[(٦)] عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْهُ»**[(٧)].

فَتَضَمَّنَ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ الْإِلَهِيُّ - الَّذِي حَرَامٌ[(٨)] عَلَى غَلِيظِ الطَّبْعِ، كَثِيفِ[(٩)] الْقَلْبِ؛ فَهْمُ مَعْنَاهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ- حَصْرَ أَسْبَابِ مَحَبَّتِهِ فِي أَمْرَيْنِ:

- أَدَاءِ فَرَائِضِه.
- وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ.

---

(١) في (ط، ط ١): بالله. (٢) في (أ): عليها.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، وليس في شيء من روايات الحديث، ولا يوجد مأثورًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الحديث المسند، وإنما هو شيء ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول- النسخة المسندة، في عدة مواطن من كتابه»، معزوًا للنبي صلى الله عليه وسلم عن ربه، دون إسناد. انظر: «نوادر الأصول» (٢/ ١١٢، ٤٠٨ - ٤٠٩، ٤/ ٦٩، ٣٣٢).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ). (٥) في (ط): في.

(٦) في (ط): كترددي. (٧) البخاري [٦٥٠٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨) في (ب): حرم. (٩) في (أ، ب): كشف!

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَدَاءَ فَرَائِضِهِ أَحَبُّ مَا تَقَرَّبَ[١] بِهِ إِلَيْهِ الْمُتَقَرِّبُونَ، ثُمَّ بَعْدَهَا النَّوَافِلُ، وَأَنَّ[٢] الْمُحِبَّ لَا يَزَالُ يُكْثِرُ مِنَ النَّوَافِلِ، حَتَّى يَصِيرَ مَحْبُوبًا للهِ، فَإِذَا صَارَ مَحْبُوبًا للهِ أَوْجَبَتْ محبة الله لَهُ مَحَبَّةً أُخْرَى مِنْهُ للهِ، فَوْقَ الْمَحَبَّةِ الْأُولَى، فَشَغَلَتْ هَذِهِ الْمَحَبَّةُ قَلْبَهُ عَنِ الْفِكْرَةِ، وَالِاهْتِمَامِ بِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ، وَمَلَكَتْ عَلَيْهِ رُوحَهُ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ سِعَةٌ لِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ أَلْبَتَّةَ.

فَصَارَ ذِكْرُ مَحْبُوبِهِ وَحُبُّهُ وَمَثَلُهُ[٣] الْأَعْلَى، مَالِكًا لِزِمَامِ قَلْبِهِ، مُسْتَوْلِيًا عَلَى رُوحِهِ، اسْتِيلَاءَ الْمَحْبُوبِ عَلَى مُحِبِّهِ الصَّادِقِ فِي مَحَبَّتِهِ، الَّتِي قَدِ اجْتَمَعَتْ قُوَى مَحَبَّةِ حُبِّهِ كُلُّهَا لَهُ.

وَلَا رَيْبَ: أَنَّ هَذَا الْمُحِبَّ إِنْ سَمِعَ سَمِعَ بِمَحْبُوبِهِ، وَإِنْ أَبْصَرَ أَبْصَرَ بِهِ، وَإِنْ بَطَشَ بَطَشَ بِهِ، وَإِنْ مَشَى مَشَى بِهِ، فَهُوَ فِي قَلْبِهِ، وَمَعَهُ، وَأَنِيسُهُ، وَصَاحِبُهُ، فَالْبَاءُ هَهُنَا بَاءُ الْمُصَاحَبَةِ[٤]، وَهِيَ مُصَاحَبَةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا، وَلَا تُدْرَكُ بِمُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ عَنْهَا، وَالْعِلْمِ بِهَا، فَالْمَسْأَلَةُ حَالِيَّةٌ، لَا عِلْمِيَّةٌ مَحْضَةٌ.

وَإِذَا كَانَ الْمَخْلُوقُ يَجِدُ هَذَا فِي مَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ لَهَا، وَلَمْ يُفْطَرْ عَلَيْهَا، كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ [شعر] [٥]:

خَيَالُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي ... وَمَثْوَاكَ فِي قَلْبِي فَأَيْنَ تَغِيبُ؟[٦]

---

(١) في (ط): يتقرب. (٢) في (ب): فإن.

(٣) في (ب): و وميله. هكذا بياض بين الواو و«وميله».

(٤) في (ط): فالباء ههنا للمصاحبة.

(٥) زيادة من: (ب).

(٦) «البيت منسوب» لأبي الحكم بن غلندو الإشبيلي كما في «معجم الادباء» (٣/ ١١٩٤) لياقوت الحموي وفيه: «خيالك في وهمي»، وذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [٢١] غير منسوب.

وَقَالَ آخَرُ[(١)]:

وَمِـنْ عَـجَـبٍ أَنِّـي أَحِـنُّ إِلَـيْـهِـمُ   وَأَسْأَلُ[(٢)] عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِي
وَتَـطْـلُـبُـهُـمْ عَـيْـنِي وَهُـمْ فِـي سَوَادِهَا   وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي[(٣)]

وَهَذَا أَلْطَفُ مِنْ قَوْلِ الْآخَرِ:

إِنْ قُلْتُ غِبْتِ فَقَلْبِي لَا يُصَدِّقُنِي   إِذْ أَنْـتَ فِـيهِ مَـكَـانَ الـسِّـرِّ لَمْ تَغِبِ
أَوْ قُلْتُ مَا غِبْتِ قَالَ الطَّرْفُ ذَا كَذِبٌ   فَقَدْ تَحَيَّرْتُ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ[(٤)]

فَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى إِلَى الْـمُحِبِّ مِنْ مَـحْبُوبِهِ، وَرُبَّمَا تَمَكَّنَتْ مِنْهُ الْـمَحَبَّةُ، حَتَّى يَصِيرَ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، بِحَيْثُ يَنْسَى نَفْسَهُ، وَلَا يَنْسَاهُ، كَمَا قَالَ:

أُرِيـدُ لِأَنْـسَـى ذِكْـرَهَـا فَكَأَنَّمَا   تُمَـثَّـلُ لِي لَـيْـلَى بِـكُـلِّ سَبِيلِ[(٥)]

---

(١) في (ب): الآخر. (٢) في (ط): فأسأل.

(٣) البيتان منسوبان لغانم بن الوليد المخزومي كما في «معجم السفر» ص: [٣٨٠] لأبي طاهر السلفي وفيه:

ومـن عجـب أنـى أحـنّ إليهم   وأسأل عنهم من أرى وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها   ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى

وأوردهما ياقوت الحموي في ترجمة غانم بن الوليد في «معجم البلدان» (١/ ٢٠٢) بلفظ:

ومـن عجـب انـي أحـنّ إليهم   وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهـم في سوادها   ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

(٤) ذكره ابن القيم في «هداية الحيارى» (٢/ ٥١١) وفيه: «إذ أنت فيه فدتك النفس»، وذكره سبط ابن العجمي في «كنوز الذهب فى تاريخ حلب» (٢/ ٣٣٣) وفيه:

إن قلت غبت بقلبي لا تصدقني   إذ أنت فيه وكان السر لم تغب
او قلت ما غبت قال الطرف ذاك   فقد تحيرت بين الصدق والكذب

(٥) «البيت منسوب» لكثير عزة كما في «الكامل للمبرد» (٣/ ٧٣)، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٦/ ١٩٢). وانظر: «ديوان كثير عزة» ص: [٥٢٣].

وَقَالَ آخَرُ:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ　　　وَتَأْبَى الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ[١]

وَخَصَّ فِي الْحَدِيثِ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْيَدَ وَالرِّجْلَ بِالذِّكْرِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْآلَاتِ آلَاتُ الْإِدْرَاكِ، وَآلَاتُ الْفِعْلِ[٢].

وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ يُورِدَانِ عَلَى الْقَلْبِ[٣] الْإِرَادَةَ وَالْكَرَاهَةَ، وَيَجْلِبَانِ إِلَيْهِ الْحُبَّ وَالْبُغْضَ، فَيَسْتَعْمِلُ الْيَدَ وَالرِّجْلَ.

فَإِذَا كَانَ سَمْعُ الْعَبْدِ بِاللهِ، وَبَصَرُهُ بِاللهِ كَانَ مَحْفُوظًا فِي آلَاتِ إِدْرَاكِهِ، وَكَانَ مَحْفُوظًا فِي حُبِّهِ وَبُغْضِهِ، فَحُفِظَ فِي بَطْشِهِ وَمَشْيِهِ.

وَتَأَمَّلْ: كَيْفَ اكْتَفَى بِذِكْرِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ عَنِ اللِّسَانِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ إِدْرَاكُ السَّمْعِ الَّذِي يَحْصُلُ بِاخْتِيَارِهِ تَارَةً، وَبِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ تَارَةً، وَكَذَلِكَ الْبَصَرُ قَدْ[٤] يَقَعُ بِغَيْرِ الِاخْتِيَارِ فَجْأَةً، وَكَذَلِكَ حَرَكَةُ الْيَدِ وَالرِّجْلِ الَّتِي لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْهَا[٥]، فَكَيْفَ بِحَرَكَةِ اللِّسَانِ الَّتِي لَا تَقَعُ[٦] إِلَّا بِقَصْدٍ وَاخْتِيَارٍ؟[٧] وَقَدْ يَسْتَغْنِي الْعَبْدُ عَنْهَا إِلَّا حَيْثُ أُمِرَ بِهَا؟

وَأَيْضًا: فَانْفِعَالُ اللِّسَانِ عَنِ الْقَلْبِ أَتَمُّ مِنَ انْفِعَالِ سَائِرِ الْجَوَارِحِ، فَإِنَّهُ تُرْجُمَانُهُ وَرَسُولُهُ. وَتَأَمَّلْ كَيْفَ حَقَّقَ تَعَالَىٰ كَوْنَ الْعَبْدِ بِهِ عند[٨] سَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَبَطْشُهُ، وَمَشْيُهُ، بِقَوْلِهِ: «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**» تَحْقِيقًا لِكَوْنِهِ مَعَ عَبْدِهِ، وَكَوْنِ عَبْدِهِ بِهِ[٩] فِي إِدْرَاكَاتِهِ، بِسَمْعِهِ[١٠]، وَبَصَرِهِ، وَحَرَكَاتِهِ بِيَدِهِ، وَرِجْلِهِ.

---

(١) «ديوان المتنبي» ص: [٢٥٩].
(٢) في (ب): العقل.
(٣) في (ب): العقل.
(٤) ساقطة من: (أ).
(٥) في (ط): منهما.
(٦) في (ب): يقع.
(٧) في (ب): إلا بقصده واختياره.
(٨) ساقطة من: (ط).
(٩) في (ب): وبه.
(١٠) في (ب): سمعه.

وَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَالَ: «فَبِي يَسْمَعُ، وَبِي يُبْصِرُ، [وبي يبطش][(١)]»، وَلَمْ يَقُلْ: فَلِي يَسْمَعُ، وَلِي يُبْصِرُ، [ولي يبطش][(٢)]، وَرُبَّمَا يَظُنُّ الظَّانُّ أَنَّ اللَّامَ أَوْلَى بِهَذَا الْمَوْضِعِ، إِذْ هِيَ أَدَلُّ عَلَى الْغَايَةِ، وَوُقُوعُ هَذِهِ الْأُمُورِ للهِ، وَذَلِكَ أَخَصُّ مِنْ وُقُوعِهَا بِهِ.

وَهَذَا مِنَ الْوَهْمِ وَالْغَلَطِ، إِذْ لَيْسَتِ الْبَاءُ هَهُنَا لِمُجَرَّدِ الِاسْتِعَانَةِ، فَإِنَّ حَرَكَاتِ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ وَإِدْرَاكَاتِهِمْ، إِنَّمَا هِيَ بِمَعُونَةِ اللهِ لَهُمْ، وَإِنَّمَا الْبَاءُ هَهُنَا لِلْمُصَاحَبَةِ، أَيْ: إِنَّمَا يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ وَيَبْطِشُ وَيَمْشِي وَأَنَا صَاحِبُهُ، ومَعَهُ، كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ[(٣)] بِي شَفَتَاهُ**»[(٤)].

وَهَذِهِ هِيَ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»[(٥)].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

---

(١) ساقطة من: (ط). (٢) ساقطة من: (ط). (٣) في (أ): أو.

(٤) صحيح: قال البخاري في صحيحه. كتاب: «التوحيد». باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، وَفِعْلِ النبي ﷺ حين يُنْزَلُ عليه الْوَحْيُ، وقال أبو هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: انا مع عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**» ورواه موصولًا: ابن المبارك في «الزهد» [٩٥٦]، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٤٠)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص: [٩٦]، وابن ماجه [٣٧٩٢]، وابن حبان [٨١٥]، والطبراني في «الأوسط» [٦٦٢١]، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٩ - ٥١٠)، وغيرهم، ورواه عن أبي هريرة: أم الدرداء، وكريمة المزنية. وإسناده صحيح. («صحيح الترغيب» [١٤٩٠]).

(٥) البخاري [٣٦٥٣]، ومسلم [٢٣٨١] من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ لِـمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

فَهَـذِهِ الْبَـاءُ مُفِيدَةٌ لِـمَعْنَى هَـذِهِ الْـمَعِيَّةِ دُونَ الـلَّامِ، وَلَا يَتَأَتَّـى لِلْعَبْدِ الْإِخْلَاصُ، وَالصَّبْرُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَنُزُولُهُ فِي مَنَازِلِ الْعُبُودِيَّةِ؛ إِلَّا بِهَذِهِ الْبَاءِ، وَهَذِهِ الْـمَعِيَّةِ.

فَمَتَى كَانَ الْعَبْدُ بِاللهِ هَانَتْ عَلَيْهِ الْـمَشَاقُّ، وَانْقَلَبَتِ الْـمَخَاوِفُ فِي حَقِّهِ أَمانًا، فَبِاللهِ يَهُونُ كُلُّ صَعْبٍ، وَيَسْهُلُ كُلُّ عَسِيرٍ، وَيَقْرُبُ كُلُّ بَعِيدٍ.

وَبِـاللهِ تَـزُولُ الْـهُمُـومُ وَالْغُمُـومُ وَالْأَحْزَانُ، فَلَا هَـمَّ مَعَ اللهِ، وَلَا غَـمَّ، وَلَا حَزَنَ، إِلا[١] حَيْـثُ يَفُوتُـهُ مَعْنَى هَذِهِ[٢] الْبَاءِ، فَيَصِيرُ قَلْبُهُ حِينَئِذٍ كَالْحُوتِ، إِذَا فَارَقَ الْـمَاءَ يَثِبُ، وَيَتقَلَّبُ[٣]، حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ.

وَلَـمَّا حَصَلَتْ هَذِهِ الْـمُوَافَقَـةُ مِنَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ فِي مَحَابِّهِ؛ حَصَلَتْ مُوافقَةُ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ فِي حَوَائِجِهِ وَمَطَالِبِهِ، فَقَالَ: «**وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

أَيْ: كَـمَا وَافَقَنِي فِي مُـرَادِي بِامْتِثَالِ[٤] أَوَامِرِي، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيَّ بِمَحَابِّي، فَأَنَا أُوَافِقُهُ فِي رَغْبَتِهِ وَرَهْبَتِهِ، فِيمَا يَسْأَلُنِي أَنْ أَفْعَلَهُ بِهِ، وَيَسْتَعِيذُنِي أَنْ يَنَالَهُ.

وَقَـوِيَ أَمْـرُ هَذِهِ الْـمُوَافَقَـةِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ، حَتَّـى اقْتَضَى تَرَدُّدَ الـرَّبِّ سُبْحَانَهُ فِي إِمَاتَةِ عَبْـدِهِ؛ لِأَنَّـهُ يَكْرَهُ الْـمَـوْتَ، وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ يَكْـرَهُ مَا يَكْرَهُهُ عَبْـدُهُ، وَيَكْرَهُ مُسَـاءَتَهُ، فَمِنْ هَـذِهِ الْجِهَـةِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يُمِيتَهُ، وَلَكِنَّ مَصْلَحَتَهُ فِي إِمَاتَتِهِ، فَإِنَّهُ مَا أَمَاتَهُ إِلَّا لِيُحْيِيَهُ، وَلا[٥]

---

(١) في (أ): ولا.

(٢) في (ب): هذا.

(٣) في (ط): وينقلب.

(٤) في (أ): اي: كما وافقني في امتثال...

(٥) في (أ): وما.

أَمْرَضَهُ إِلَّا لِيُصِحَّهُ، وَلَا أَفْقَرَهُ إِلَّا لِيُغْنِيَهُ، وَلَا مَنَعَهُ إِلَّا لِيُعْطِيَهُ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ[١] مِنَ الْجَنَّةِ فِي صُلْبِ أَبِيهِ إِلَّا لِيُعِيدَهُ إِلَيْهَا عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ، وَلَمْ يَقُلْ لِأَبِيهِ: «اخْرُجْ مِنْهَا»، إِلَّا وَهُوَ[٢] يُرِيدُ أَنْ يُعِيدَهُ إِلَيْهَا.

فَهَذَا هُوَ الْحَبِيبُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا سِوَاهُ، بَلْ لَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَنْبَتِ شَعْرَةٍ مِنَ الْعَبْدِ مَحَبَّةٌ تَامَّةٌ للهِ؛ لَكَانَ بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَى عَبْدِهِ. [شعرٌ][٣]:

نَقِّلْ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ... وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ[٤]

❊ ❊ ❊

(١) في (ط): ولم يخرج.

(٢) في (ط١): هو.

(٣) زيادة من: (ب).

(٤) ديوان أبي تمام (٢/ ٣٠٠) مع شرح التبريزي. طبع دار الكتاب العربي.

فَصْلٌ

ثُمَّ التَّتَيُّمُ: وَهُوَ آخِرُ مَرَاتِبِ الْحُبِّ، وَهُوَ تَعَبُّدُ الْمُحِبِّ لِمَحْبُوبِهِ، يُقَالُ تَيَّمَهُ الْحُبُّ، إِذَا عَبَّدَهُ، وَمِنْهُ: تَيْمُ اللهِ، أَيْ عَبْدُ اللهِ، وَحَقِيقَةُ التَّعَبُّدِ: الذُّلُّ وَالْخُضُوعُ لِلْمَحْبُوبِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ أَيْ مُذَلَّلٌ، قَدْ ذَلَّلَتْهُ الْأَقْدَامُ، فَالْعَبْدُ هُوَ الَّذِي ذَلَّلَهُ الْحُبُّ وَالْخُضُوعُ لِمَحْبُوبِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ أَشْرَفُ أَحْوَالِ الْعَبْدِ وَمَقَامَاتِهِ هِيَ الْعُبُودِيَّةِ، فَلَا مَنْزِلَ لَهُ أَشْرَفُ مِنْهَا.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ رَسُولُهُ[1] مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْعُبُودِيَّةِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ، وَهوَ[2] مَقَامُ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَمَقَامُ التَّحَدِّي بِالنُّبُوَّةِ، وَمَقَامُ الْإِسْرَاءِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وَقَالَ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[3] [الإسراء: ١] [الذي باركنا حوله].

وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «**اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، عَبْدٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**»[4]، فَنَالَ مَقَامَ الشَّفَاعَةِ بِكَمَالِ عُبُودِيَّتِهِ، وَكَمَالِ مَغْفِرَةِ اللهِ لَهُ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ، مَعَ أَكْمَلِ أَنْوَاعِ الْخُضُوعِ والذلِّ[5]، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ، الَّتِي مَنْ

---

(١) في (ب): رسول الله.

(٢) في (أ، ط، ط١): وهي، والمثبت من: (ب).

(٣) ما بين المعقوفين من: (ب).

(٤) البخاري [٤٤٧٦]، ومسلم [١٩٣] من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) ساقطة من: (ط).

رَغِبَ عَنْهَا فَقَدْ سَفِهَ نَفْسَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

[البقرة: ١٣٠ - ١٣٣]

وَلِهَذَا كَانَ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ الشِّرْكُ، [واللهُ لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ بِهِ] (١).

وَأَصْلُ الشِّرْكِ (٢) بِاللهِ: الإِشْرَاكِ به (٣) فِي الْـمَحَبَّةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. فَأَخبرَ (٤) سُبْحَانَهُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِكُ بِهِ، [فَيَتَّخِذَ مِنْ دُونِهِ] (٥) نِدًّا (٦) يُحِبُّهُ كَحُبِّ اللهِ (٧). وَأَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَنْدَادِ لِأَنْدَادِهِمْ.

وَقِيلَ: بَلِ الْـمَعْنَى: أَنَّهُمْ أَشَدُّ حُبًّا للهِ [مِنْ أَصْحَابِ الْأَنْدَادِ لله] (٨)، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ أَحَبُّوا اللهَ، لَكِنْ لَمَّا أَشْرَكُوا (٩) بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْدَادِهِمْ فِي الْـمَحَبَّةِ ضَعُفَتْ مَحَبَّتُهُمْ للهِ.

وَالْـمُوَحِّدُونَ للهِ لَمَّا خَلُصَتْ مَحَبَّتُهُمْ لَهُ كَانَتْ أَشَدَّ مِنْ مَحَبَّةِ أُولَئِكَ. وَالْعَدْلُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالتَّسْوِيَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْدَادِ هُوَ فِي هَذِهِ الْـمَحَبَّةِ، كَمَا تَقَدَّمَ.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٢) في (أ): والشرك. سقطت كلمة «أصل».

(٣) ساقطة من: (ب، ط).

(٤) في (ب): وأخبر.

(٥) ساقط من: (ط).

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) في (ب، ط): كما يحب الله.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٩) في (أ، ط): شركوا، والمثبت من: (ب).

وَلَـمَّا كَانَ مُرَادُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ هُوَ(١) خُلُوصَ هَذِهِ الْـمَحَبَّةِ لَهُ، أَنْكَرَ عَلَى مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا أَوْ شَفِيعًا غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَجَمْعُ ذَلِكَ تَارَةً، وَأَفْرَدَ أَحَدَهِمَا عَنِ الْآخَرِ [بالإنكار تارة](٢)، فَقَالَ تَعَالَى(٣): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤].

وَقَالَ فِي الْإِفْرَادِ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١].

[وَقَالَ فِي الْإِفْرَادِ](٤): ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ(٥)﴾ [الزمر: ٤٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: ١٠].

[وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]](٦).

---

(١) ساقطة من: (ط). (٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٣) في (ب، ط) زيادة آية هنا: [﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]]. وهذه الآية ذكر فيها إنكار الشفيع من دونه على الإفراد، ولم يذكر إنكار الأولياء، فحقها أن تكون مع آيتي الزمر، والجاثية الآتيتين، لذلك جعلتها هناك.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٥) زاد في (ط) جزءًا من الآية بعدها: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

(٦) زيادة من: (ب، ط)، ولكن ذكرت هناك قبل آية السجدة.

فَإِذَا وَالَى الْعَبْدُ رَبَّهُ وَحْدَهُ أَقَامَ لَهُ الشُّفَعَاءَ، وَعَقَدَ لَهُ[١] الْمُوَالَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَصَارُوا أَوْلِيَاءَهُ فِي اللهِ، بِخِلَافِ مَنِ اتَّخَذَ مَخْلُوقًا وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ.

فَهَذَا لَوْنٌ، وَذَاكَ لَوْنٌ، كَمَا أَنَّ الشَّفَاعَةَ الشِّرْكِيَّةَ الْبَاطِلَةَ لَوْنٌ، وَالشَّفَاعَةَ الْحَقَّ الثَّابِتَةَ، الَّتِي إِنَّمَا تُنَالُ بِالتَّوْحِيدِ لَوْنٌ.

وَهَذَا مَوْضِعُ فُرْقَانٍ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَأَهْلِ الْإِشْرَاكِ، وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ لَا تَحْصُلُ مَعَ الْإِشْرَاكِ بِاللهِ[٢] فِي الْمَحَبَّةِ، بِخِلَافِ الْمَحَبَّةِ للهِ، فَإِنَّهَا مِنْ لَوَازِمِ الْعُبُودِيَّةِ وَمُوجِبَاتِهَا.

فَإِنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ - بَلْ تَقْدِيمُهُ فِي الْحُبِّ عَلَى الْأَنْفُسِ وَالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ - لَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ إِلَّا بِهَا، إِذْ مَحَبَّتُهُ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ حُبٍّ فِي اللهِ وَللهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»**[٣].

وَفِي لَفْظٍ فِي «الصَّحِيحِ»[٤]: **«لَا يَجِدُ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»**[٥].

وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي السُّنَنِ: **«مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»**[٦].

---

(١) زيادة من: (أ). (٢) ليست في: (أ).

(٣) البخاري [١٦]، ومسلم [٤٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في (ط): الصحيحين. (٥) البخاري [٦٠٤١]، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) حسنٌ: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» (٤/ ٤٦٨١) رقم: [٢٢٠]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٨/ ١٣٤)، وَفِي «الأَوْسَطِ» (٩/ ٤١)، وفي «مسند الشاميين» رقم: (١٢٦٠، ٣٤٤٧)، وابن بطة =

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللهِ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»(١).

فَإِنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمُوجِبَاتِهَا، وَكُلَّمَا كَانَتْ أَقْوَى كَانَ أَصْلُهَا كَذَلِكَ.



= في «الإبانة» (٢/ ٦٥٨) رقم: [٨٤٧]، وَاللالَكَائِيُّ فِي «شَرْحِ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ» (٥/ ٩٠٢، ٩٤٦) رقم: (١٦١٨، ١٧١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤٩٢) رقم: [٩٠٢١]، والبغوي في «شرح السنة» رقم: [٣٤٦٩]، وابنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيْخِ دِمَشْقَ» (١٧/ ١٦٨، ٣٤/ ٦٤)، والذهبي في «معجم الشيوخ» (٢/ ٢٣٣، ٣٤٧) وغيرهم من طريق يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ، عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به مرفوعًا، وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ، كما قال الإمام الذهبي في «معجم شيوخه» (٢/ ٢٣٣)، وقال في «موضع آخر» (٢/ ٣٤٧): «حديث صحيح»، وَهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ بِشَوَاهِدِهِ. ورَوَاهُ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٧/ ١٣٠) مَوْقُوفًا عَلَىٰ أَبِي أَمَامَةَ وسَنَدُهُ حَسَنٌ.

(١) حسنٌ: رواه الطيالسي [٢١٦٦]، وعلي بن الجعد [٣١٩٢]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٤٤]، والبزار [٦٨٦٩]، وأبو يعلى [٣٤٢٠]، وابن حبان [٥٦٦]، والطبراني في «الأوسط» [٢٨٩٩]، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٢٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٣٤٩)، والحاكم (٤/ ١٨٩)، والبيهقي في «الشعب» [٩٠٤٩]، و«الضياء المقدسي» [١٧٤٤]، من طريق ثابت عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. ورواه عن ثابت: المبارك بن فضالة، وعبد الله بن الزبير اليحمدي، وإسناده حسنٌ.(«الصحيحة» [٤٥٠]).

فَصْلٌ

وَهَهُنَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْـمَحَبَّةِ، يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا، وَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ ضَلَّ بِعَدَمِ التَّمْيِيزِ بَيْنَهَا.

أَحَدُهَا ـ مَحَبَّةُ اللهِ. وَلَا تَكْفِي وَحْدَهَا فِي النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِهِ[١]، وَالْفَوْزِ بِثَوَابِهِ، فَإِنَّ الْـمُشْرِكِينَ وَعُبَّادَ الصَّلِيبِ وَالْيَهُودَ وَغَيْرَهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ.

الثَّانِي[٢] ـ مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّهُ[٣] اللهُ. وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُدْخِلُهُ فِي الْإِسْلَامِ، وَتُخْرِجُهُ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَقْوَمُهُمْ بِهَذِهِ الْـمَحَبَّةِ، وَأَشَدُّهُمْ فِيهَا.

الثَّالِثُ[٤] ـ الْـحُبُّ للهِ، وَفِيهِ. وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ مَا يُحِبُّ، وَلَا يَسْتَقِيمُ[٥] مَحَبَّةُ مَا يُحِبُّ إِلَّا بِالْحُبِّ[٦] فِيهِ، وَلَهُ.

الرَّابِعُ[٧] ـ الْـمَحَبَّةُ مَعَ اللهِ. وَهِيَ الْـمَحَبَّةُ الشِّرْكِيَّةُ، وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا مَعَ اللهِ لَا للهِ، وَلَا مِنْ أَجْلِهِ، وَلَا فِيهِ؛ فَقَدِ اتَّخَذَهُ نِدًّا مِنْ دُونِ اللهِ، وَهَذِهِ مَحَبَّةُ الْـمُشْرِكِينَ.

وَبَقِيَ[٨] قِسْمٌ خَامِسٌ، لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ: وَهُوَ الْـمَحَبَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ. وَهِيَ مَيْلُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا يُلَائِمُ طَبْعَهُ، كَمَحَبَّةِ الْعَطْشَانِ لِلْمَاءِ، وَالْجَائِعِ لِلطَّعَامِ، وَمَحَبَّةِ النَّوْمِ، وَالزَّوْجَةِ[٩]، وَالْوَلَدِ، فَتِلْكَ لَا تُذَمُّ إِلَّا إِذَا أَلْهَتْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَشَغَلَتْ عَنْ مَحَبَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ﴾ [المنافقون: ٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧].

---

(١) في (ط): عذاب الله.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) في (أ، ط): يحب.
(٤) في (ب): الثاني.
(٥) في (ط): ولا تستقيم.
(٦) ساقطة من: (ط).
(٧) في (ب): الثالث.
(٨) في (أ): وبقي فيه.
(٩) في (أ): ومحبة الزوجة. وكأن كلمة «محبة» مضروب عليها.

فَصْلٌ

ثُمَّ الْخُلَّةُ: وَهِيَ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَنِهَايَتَهَا، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي قَلْبِ الْمُحِبِّ سَعَةٌ(١) لِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ، وَهِيَ مَنْصِبٌ لَا يَقْبَلُ الْمُشَارَكَةَ بِوَجْهٍ مَا(٢)، وَهَذَا الْمَنْصِبُ خَلُصَ(٣) لِلْخَلِيلَيْنِ(٤) - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا -: إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ(٥) إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»(٦).

وَفِي «الصَّحِيحِ»، عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ(٧) قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ»(٨).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِهِ(٩)»(١٠).

وَلَمَّا سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْوَلَدَ فَأُعْطِيَهُ، وَتَعَلَّقَ حُبُّهُ بِقَلْبِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ شُعْبَةً، غَارَ الْحَبِيبُ عَلَى خَلِيلِهِ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ لِغَيْرِهِ، فَأَمَرَهُ بِذَبْحِهِ.

وَكَانَ الْأَمْرُ فِي الْمَنَامِ، لِيَكُونَ تَنْفِيذُ الْمَأْمُورِ(١١) بِهِ أَعْظَمَ ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا، وَلَمْ يَكُنِ الْمَقْصُودُ ذَبْحَ الْوَلَدِ، وَلَكِنَّ الْمَقْصُودَ ذَبْحُهُ مِنْ قَلْبِهِ؛ لِيَخْلُصَ الْقَلْبُ لِلرَّبِّ.

فَلَمَّا بَادَرَ الْخَلِيلُ إِلَى الِامْتِثَالِ، وَقَدَّمَ مَحَبَّةَ رَبِّهِ(١٢) عَلَى مَحَبَّةِ وَلَدِهِ؛ حَصَلَ الْمَقْصُودُ، فَرُفِعَ الذَّبْحُ، وَفُدِيَ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ.

---

(١) في (ط): في القلب سعة.

(٢) ساقطة من: (أ).

(٣) في (ب، ط): خاص.

(٤) في (ط١): لخليلين.

(٥) في (أ): واتخذ.

(٦) مسلم [٥٣٢] من حديث جندب رضي الله عنه.

(٧) ساقطة من: (ب).

(٨) مسلم [٢٣٨٣] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٩) في (ب): خلقه!

(١٠) وهذا وارد في بعض ألفاظ حديث ابن مسعود في «صحيح مسلم» [٢٣٨٣] ولفظه: «أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ».

(١١) في (ب): الأمر.

(١٢) في (ط، ط١): محبة الله، والمثبت من: (أ، ب).

فَإِنَّ الرَّبَّ تَعَالَىٰ مَا أَمَرَ بِشَيْءٍ، ثُمَّ[(١)] أَبْطَلَهُ رَأْسًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَبْقَى بَعْضُهُ أَوْ بَدَلُهُ، كَمَا أَبْقَى شَرِيعَةَ الْفِدَاءِ، وَكَمَا أَبْقَى اسْتِحْبَابَ الصَّدَقَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْـمُنَاجَاةِ، وَكَمَا أَبْقَى الْخَمْسَ الصَّلَوَاتِ[(٢)] بَعْدَ رَفْعِ الْخَمْسِينَ، وَأَبْقَى ثَوَابَهَا، وَقَالَ: «**لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، هِيَ خَمْسٌ فِي الْفِعْلِ، وَهِيَ خَمْسُونَ فِي الْأَجْرِ**»[(٣)].



---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (أ): الخمس صلوات، والمثبت من: (ب، ط).

(٣) البخاري [٣٤٩]، ومسلم [١٦٣] من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**». وليس في شيء من ألفاظ الحديث لفظة «في الأجر». وإن كان سياق الروايات يؤيده، لا سيما في الروايات التي تذكر الحسنات، والحسنة بعشر أمثالها.



فَصْلٌ (١)

وَأَمَّا مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ الْغَالِطِينَ(٢): أَنَّ الْمَحَبَّةَ أَكْمَلُ مِنَ الْخُلَّةِ، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ، وَمُحَمَّدًا حَبِيبُ اللهِ؛ فَمِنْ جَهْلِهِ.

فَإِنَّ الْمَحَبَّةَ عَامَّةٌ، وَالْخُلَّةَ خَاصَّةٌ، وَالْخُلَّةَ نِهَايَةُ الْمَحَبَّةِ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا(٣)، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيلٌ غَيْرَ رَبِّهِ، مَعَ إِخْبَارِهِ بِمَحَبَّتِهِ(٤) لِعَائِشَةَ، وَلِأَبِيهَا، وَلِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَغَيْرِهِمْ(٥).

وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

و﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. و﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

[و﴿يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]](٦). و﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

وَخُلَّتُهُ خَاصَّةٌ بِالْخَلِيلَيْنِ، [«وَالشَّابُّ التَّائِبُ حَبِيبُ اللهِ»(٧)](٨)، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ.

---

(١) ساقطة من: (ط). (٢) في (ب): العاطلين.

(٣) في (ط) زيادة: كما اتخذ إبراهيم خليلًا. (٤) في (ط): بحبه.

(٥) عن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قال: فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ «عَائِشَةُ»، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «عُمَرُ»، فَعَدَّ رِجَالًا». رواه البخاري [٤٣٥٨]، ومسلم [٢٣٨٤].

(٦) ما بين المعقوفين لم يرد في: (ط).

(٧) ضعيفٌ: رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» [١٨٤]، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١١٨، ٦/ ٨)، والشجري في «الأمالي» [٩٠٣]، والقشيري في «الرسالة» (١/ ٢٠٧)، وابن عساكر في «التوبة» [١١] من طريق غَسَّان بْن عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَاتِكَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الشَّابَّ التَّائِبَ»، واللفظ لابن أبي الدنيا. وغسان ضعيف، وأبو عاتكة: منكر الحديث. («الضعيفة» [٥٤٣١]).

(٨) ما بين المعقوفين جاء في (ط) قبل قوله: وخلته خاصة بالخليلين.

فَصْلٌ

وَقَدْ(١) تَقَدَّمَ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَتْرُكُ(٢) مَا يُحِبُّهُ وَيَهْوَاهُ، [إلا لِمَا يُحِبُّه وَيَهْوَاهُ](٣)، لَكِنْ(٤) يَتْرُكُ أَضْعَفَهُمَا مَحَبَّةً لِأَقْوَاهُمَا مَحَبَّةً، كَمَا أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَكْرَهُهُ؛ لِحُصُولِ مَا مَحَبَّتُهُ أَقْوَى عِنْدَهُ مِنْ كَرَاهَةِ مَا يَفْعَلُهُ، [أَوْ لِخَلَاصِهِ(٥) مِنْ مَكْرُوهٍ](٦)، [كراهته عنده أقوى من كراهة ما يفعله](٧).

وَتَقَدَّمَ(٨): أَنَّ خَاصَّةَ(٩) الْعَقْلِ إِيثَارُ أَعْلَى الْمَحْبُوبَيْنِ عَلَى أَدْنَاهُمَا، وَأَيْسَرِ الْمَكْرُوهَيْنِ عَلَى أَقْوَاهُمَا، وَتَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا مِنْ كَمَالِ قُوَّةِ الْحُبِّ وَالْبُغْضِ.

وَلا(١٠) يَتِمُّ لَهُ هَذَا إِلَّا بِأَمْرَيْنِ: قُوَّةِ الْإِدْرَاكِ، وَشَجَاعَةِ الْقَلْبِ، فَإِنَّ التَّخَلُّفَ(١١) عَنْ ذَلِكَ، وَالْعَمَلَ بِخِلَافِهِ، يَكُونُ إِمَّا لِضَعْفِ الْإِدْرَاكِ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَمْ(١٢) يُدْرِكْ مَرَاتِبَ الْمَحْبُوبِ وَالْمَكْرُوهِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَإِمَّا لِضَعْفٍ فِي النَّفْسِ، وَعَجْزٍ فِي الْقَلْبِ، لَا يُطَاوِعُهُ لِإِيثَارِ الْأَصْلَحِ له؛ مع(١٣) علمه(١٤) بِأَنَّهُ الْأَصْلَحُ.

فَإِذَا صَحَّ إِدْرَاكُهُ، وَقَوِيَتْ نَفْسُهُ، وَتَشَجَّعَ قَلْبُهُ(١٥) عَلَى إِيثَارِ الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى وَالْمَكْرُوهِ الْأَدْنَى؛ فَقَدْ وُفِّقَ لِأَسْبَابِ السَّعَادَةِ.

---

(١) في (ط): قد.
(٢) في (ب): لا ينزل.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).
(٤) في (ط): ولكن.
(٥) في (ب): لخلاصِ.
(٦) ساقط من: (أ).
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ط).
(٨) في (أ): ويقدم.
(٩) في (ط، ط١): خاصية، والمثبت من: (أ، ب).
(١٠) في (أ): لا.
(١١) في (ب): المتخلف.
(١٢) في (ب): لا.
(١٣) في (أ): لدفع، والمثبت من: (ب).
(١٤) في (ط): بحيث لا يطاوعه على إيثار الأصلح لرفع علمه.
(١٥) في (ط١): القلب.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ شَهْوَتِهِ أَقْوَى مِنْ سُلْطَانِ [عَقْلِهِ وَإِيمَانِهِ، فَيَقْهَرُ الْغَالِبُ الضَّعِيفَ[١].

وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ سُلْطَانُ إِيمَانِهِ وَعَقْلِهِ أَقْوَى مِنْ سُلْطَانِ][٢] شَهْوَتِهِ.

وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَرْضَى يَحْمِيهِ الطَّبِيبُ عَمَّا يَضُرُّهُ، فَتَأْبَى عَلَيْهِ نَفْسُهُ وَشَهْوَتُهُ إِلَّا تَنَاوُلَهُ، وَيُقَدِّمُ شَهْوَتَهُ عَلَى عَقْلِهِ، وَتُسَمِّيهِ الْأَطِبَّاءُ: «عَدِيمَ الْمُرُوءَةِ»، فَهَكَذَا أَكْثَرُ مَرْضَى الْقُلُوبِ يُؤْثِرُونَ مَا يَزِيدُ مَرَضَهُمْ؛ لِقُوَّةِ شَهْوَتِهِمْ لَهُ.

فَأَصْلُ الشَّرِّ: مِنْ ضَعْفِ[٣] الْإِدْرَاكِ، [وَضَعْفِ[٤] النَّفْسِ وَدَنَاءَتِهَا، وَأَصْلُ الْخَيْرِ مِنْ كَمَالِ الْإِدْرَاكِ][٥]، وَقُوَّةِ النَّفْسِ وَشَرَفِهَا وَشَجَاعَتِهَا.

فَالْحُبُّ وَالْإِرَادَةُ: أَصْلُ كُلِّ فِعْلٍ، وَمَبْدَؤُهُ.

وَالْبُغْضُ وَالْكَرَاهَةُ: أَصْلُ كُلِّ تَرْكٍ وَمَبْدَؤُهُ.

وَهَاتَانِ[٦] الْقُوَّتَانِ فِي الْقَلْبِ، أَصْلُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَشَقَاوَتِهِ[٧].

وَوُجُودُ الْفِعْلِ الِاخْتِيَارِيِّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِوُجُودِ سَبَبِهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْإِرَادَةِ.

وَأَمَّا عَدَمُ الْفِعْلِ: فَتَارَةً يَكُونُ لِعَدَمِ مُقْتَضِيهِ وَسَبَبِهِ، وَتَارَةً يَكُونُ لِوُجُودِ الْبُغْضِ وَالْكَرَاهَةِ الْمَانِعِ[٨] مِنْهُ.

---

(١) في (ب): للضعيف.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٣) في (ب): أضعف.

(٤) في (ب): وقوة!

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٦) ساقطة من: (أ).

(٧) في (ب): وشقاءه.

(٨) في (أ): والمانع، وفي (ط): المانعة.

وَهَـذَا مُتَعَلِّـقُ الْأَمْـرِ وَالنَّهْـيِ، وَهُوَ الَّذِي[1] يُسَـمَّى الْكَـفَّ، وَهُوَ مُتَعَلِّـقُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَبِهَذَا يَزُولُ الِاشْتِبَاهُ فِي مَسْأَلَةِ التَّرْكِ: هَلْ[2] هُوَ أَمْرٌ وُجُودِيٌّ، أَوْ عَدَمِيٌّ؟

وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ قِسْمَانِ:

- فَالتَّرْكُ الْـمُضَافُ إِلَى عَدَمِ السَّبَبِ الْـمُقْتَضِي: عَدَمِيٌّ.
- وَالْـمُضَافُ إِلَى السَّبَبِ الْـمَانِعِ مِنَ الْفِعْلِ: وُجُودِيٌّ.

❁ ❁ ❁

(١) ساقطة من: (أ).

(٢) في (ط): وهل.



فَصْلٌ

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ الِاخْتِيَارِيَّيْنِ إِنَّمَا يُؤْثِرُهُ الْحَيُّ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ حُصُولِ الْمَنْفَعَةِ، الَّتِي يَلْتَذُّ بِحُصُولِهَا، وَزَوَالِ(١) الْأَلَمِ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ الشِّفَاءُ [بِزَوَالِهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: شَفَى صَدْرَهُ، وَشَفَى قَلْبَهُ، قَالَ(٢):

هِيَ الشِّفَاءُ](٣) لِدَائِي لَوْ ظَفِرْتُ بِهَا ... وَلَيْسَ مِنْهَا شِفَاءُ الدَّاءِ مَبْذُولُ(٤)

وَهَذَا مَطْلُوبٌ يُؤْثِرُهُ الْعَاقِلُ، بَلِ الْحَيَوَانُ الْبَهِيمُ، وَلَكِنْ يَغْلَطُ فِيهِ أَكْثَرُ النَّاسِ غَلَطًا قَبِيحًا، فَيَقْصِدُ حُصُولَ اللَّذَّةِ بِمَا يُعْقِبُ(٥) عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْأَلَمِ، فَيُؤْلِمُ نَفْسَهُ مِنْ حَيْثُ يَظُنُّ أَنَّهُ يُحَصِّلُ لَذَّتَهَا، وَيَشْفِي قَلْبَهُ بِمَا يُعْقِبُ عَلَيْهِ غَايَةَ الْمَرَضِ.

وَهَذَا شَأْنُ مَنْ قَصَرَ نَظَرَهُ عَلَى الْعَاجِلِ، وَلَمْ يُلَاحِظِ الْعَوَاقِبَ، [وَخَاصَّةُ الْعَقْلِ النَّظَرُ فِي الْعَوَاقِبِ](٦).

فَأَعْقَلُ النَّاسِ: مَنْ آثَرَ لَذَّتَهُ وَرَاحَتَهُ الْآجِلَةَ الدَّائِمَةَ عَلَى الْعَاجِلَةِ الْمُنْقَضِيَةِ الزَّائِلَةِ.

وَأَسْفَهُ الْخَلْقِ: مَنْ بَاعَ نَعِيمَ الْأَبَدِ، وَطِيبَ الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَاللَّذَّةَ الْعُظْمَى(٧) الَّتِي لَا تَنْغِيصَ فِيهَا، وَلَا نَقْصَ(٨) بِوَجْهٍ مَا، بِلَذَّةٍ مُنَغَّصَةٍ(٩) مَشُوبَةٍ بِالْآلَامِ وَالْمَخَاوِفِ، وَهِيَ سَرِيعَةُ الزَّوَالِ، وَشِيكَةُ الِانْقِضَاءِ(١٠).

---

(١) في (ط): أو زوال.

(٢) في (ط): وقال، وفي ب: قال: بيت.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٤) البيت منسوب لهشام بن عقبة أخو ذى الرمة كما في الكتاب: «لسيبويه» (١/ ٧١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨/ ١٥٩).

(٥) في (ب): يتعقب.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٧) في (ب): العظماء.

(٨) ساقطة من: (أ).

(٩) في (ط): منقضية.

(١٠) في (ب): الانفصال.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: «فَكَّرْتُ فِيمَا يَسْعَى فِيهِ الْعُقَلَاءُ، فَرَأَيْتُ سَعْيَهُمْ كُلَّهُ فِي مَطْلُوبٍ وَاحِدٍ، وَإِنِ اخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَحْصِيلِهِ.

رَأَيْتُهُمْ جَمِيعَهُمْ: إِنَّمَا يَسْعَوْنَ فِي دَفْعِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ عَنْ نُفُوسِهِمْ، فَهَذَا بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَهَذَا بِالتِّجَارَةِ وَالْكَسْبِ، وَهَذَا بِالنِّكَاحِ، وَهَذَا بِسَمَاعِ الْغِنَاءِ وَالْأَصْوَاتِ الْمُطْرِبَةِ، وَهَذَا بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ.

فَقُلْتُ: هَذَا الْمَطْلُوبُ[1] مَطْلُوبُ الْعُقَلَاءِ، وَلَكِنَّ الطُّرُقَ كُلَّهَا غَيْرُ مُوَصِّلَةٍ إِلَيْهِ، بَلْ لَعَلَّ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا يُوَصِّلُ[2] إِلَى ضِدِّهِ.

وَلَمْ أَرَ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الطُّرُقِ طَرِيقًا مُوَصِّلَةً إِلَيْهِ[3]؛ إِلَّا الْإِقْبَالَ عَلَى اللهِ، وَمُعَامَلَتَهُ وَحْدَهُ، وَإِيثَارَ مَرْضَاتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

فَإِنَّ سَالِكَ هَذه الطَّرِيقِ إِنْ فَاتَهُ حَظُّهُ مِنَ الدُّنْيَا فَقَدْ ظَفِرَ بِالْحَظِّ الْعَالِي، الَّذِي لَا فَوْتَ مَعَهُ، وَإِنْ حَصَلَ لِلْعَبْدِ حَصَلَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِنْ فَاتَهُ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

وَإِنْ ظَفِرَ بِحَظِّهِ مِنَ الدُّنْيَا نَالَهُ عَلَى أَهْنَأِ الْوُجُوهِ[4]، فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَلَا أَوْصَلُ مِنْهَا إِلَى لَذَّتِهِ، وَبَهْجَتِهِ، وَسَعَادَتِهِ. وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ[5].

❁ ❁ ❁

---

(١) ساقطة من: (ب).
(٢) في (ب): توصل.
(٣) ساقطة من: (أ، ط ١).
(٤) في (ب): ناله أعلى الوجوه.
(٥) العالِمُ الذي نقل كلامه العلامة ابن القيم بالمعنى ملخصًا لعله ابن حزم في كتابه: «الأخلاق والسير» ص: (١٣ - ١٦) فقد دار كلامه حول ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَصْلٌ

وَالْمَحْبُوبُ قِسْمَانِ: مَحْبُوبٌ لِنَفْسِهِ، وَمَحْبُوبٌ لِغَيْرِهِ.

وَالْمَحْبُوبُ لِغَيْرِهِ، لَابُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَحْبُوبِ لِنَفْسِهِ، دَفْعًا لِلتَّسَلْسُلِ الْمُحَالِ.

وَكُلُّ مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ الْحَقِّ فَهُوَ مَحْبُوبٌ لِغَيْرِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُحَبُّ لِنَفْسِهِ[(١)] إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ.

وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِمَّا يُحَبُّ فَإِنَّمَا مَحَبَّتُهُ تَبَعٌ لِمَحَبَّةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[(٢)]، كَمَحَبَّةِ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهَا تَبَعٌ لِمَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَهِيَ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ الْمَحْبُوبِ تُوجِبُ مَحَبَّةَ مَا يُحِبُّهُ.

وَهَذَا مَوْضِعٌ يَجِبُ الِاعْتِنَاءُ بِهِ، فَإِنَّهُ مَحَلُّ فُرْقَانٍ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ النَّافِعَةِ[(٣)] لِغَيْرِهِ، وَالَّتِي لَا تَنْفَعُ بَلْ قَدْ[(٤)] تَضُرُّ[(٥)].

فَاعْلَمْ[(٦)] أَنَّهُ لَا يُحَبُّ لِذَاتِهِ إِلَّا مَنْ كَانَ كَمَالُهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، وَإِلَهِيَّتُهُ وَرُبُوبِيَّتُهُ وَغِنَاهُ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ.

وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا يُبْغَضُ، وَيُكْرَهُ؛ لِمُنَافَاتِهِ مَحَابَّهُ[(٧)]، وَمُضَادَّتِهِ لَهَا، وَبُغْضُهُ وَكَرَاهَتُهُ بِحَسَبِ قُوَّةِ هَذِهِ الْمُنَافَاةِ [وَضَعْفِهَا، فَمَا كَانَ أَشَدَّ مُنَافَاةً][(٨)] لِمَحَابِّهِ[(٩)]؛ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهَةً مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْإِرَادَاتِ وَغَيْرِهَا.

---

(١) في (ط): لذاته.
(٢) في (أ): لمحبة الرب تعالى.
(٣) في (ب): التابعة.
(٤) ساقطة من: (أ).
(٥) في (ب): يضر.
(٦) في (ب): واعلم.
(٧) في (ب): محباته.
(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٩) ساقطة من: (ب)، ومكانها بياض.

فَهَذَا[1] مِيزَانٌ عَادِلٌ[2] يُوزَنُ[3] بِهِ مُوَافَقَةُ الرَّبِّ، وَمُخَالَفَتُهُ، وَمُوَالَاتُهُ، وَمُعَادَاتُهُ.

فَإِذَا رَأَيْنَا شَخْصًا يُحِبُّ مَا يَكْرَهُهُ الرَّبُّ تَعَالَى، وَيَكْرَهُ مَا يُحِبُّهُ؛ عَلِمْنَا أَنَّ فِيهِ مِنْ مُعَادَاتِهِ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

وَإِذَا رَأَيْنَا الشَّخْصَ يُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ الرَّبُّ، [وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ، وَكُلَّمَا كَانَ الشَّيْءُ أَحَبَّ إِلَى الرَّبِّ][4] كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ، وَآثَرَ عِنْدَهُ، وَكُلَّمَا كَانَ أَبْغَضَ إِلى الرَّبِّ[5] كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدَ مِنْهُ: عَلِمْنَا أَنَّ فِيهِ مِنْ مُوَالَاةِ الرَّبِّ بِحَسَبِ ذَلِكَ.

فَتَمَسَّكْ بِهَذَا الْأَصْلِ [غَايَةَ التَّمَسُّكِ][6] فِي نَفْسِكَ وَفِي غَيْرِكَ.

فَالْوَلَايَةُ: عِبَارَةٌ عَنْ مُوَافَقَةِ الْمَولى[7] الْحَمِيدِ فِي مَحَابِّهِ وَمَسَاخِطِهِ، وَلَيْسَتْ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ، وَلَا صَلَاةٍ، وَلَا تَمَزُّقٍ، وَلَا رِيَاضَةٍ.

وَالْمَحْبُوبُ لِغَيْرِهِ قِسْمَانِ أَيْضًا:

أَحَدُهُمَا- مَا يَلْتَذُّ الْمُحِبُّ بِإِدْرَاكِهِ وَحُصُولِهِ.

وَالثَّانِي- مَا يَتَأَلَّمُ بِهِ وَلَكِنْ يَحْتَمِلُهُ لِإِفْضَائِهِ إِلَى مَحْبُوبِهِ[8]، كَشُرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ: أَنَّ الْقِتَالَ مَكْرُوهٌ لَهُمْ، مَعَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَهُمْ، لِإِفْضَائِهِ إِلَى أَعْظَمِ مَحْبُوبٍ وَأَنْفَعِهِ.

---

(١) في (أ): وهذا.
(٢) في (ب): عدل.
(٣) في (ط): توزن.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٥) في (ط): إليه.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).
(٧) في (ط، ط١): الولي، والمثبت من: (أ، ب).
(٨) في (ط): المحبوب.

وَالنُّفُوسُ تُحِبُّ الرَّاحَةَ، وَالدَّعَةَ[١]، وَالرَّفَاهِيَةِ، وذَلِكَ شَرٌّ لَهَا لِإِفْضَائِهِ إِلَى فَوَاتِ هذا الْمَحْبُوبِ.

فَالْعَاقِلُ لَا يَنْظُرُ إِلَى لَذَّةِ الْمَحْبُوبِ الْعَاجِلِ؛ فَيُؤْثِرُهَا، وَأَلَمِ الْمَكْرُوهِ الْعَاجِلِ؛ فَيَرْغَبُ عَنْهُ[٢]، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ يَكُونُ شَرًّا لَهُ، بَلْ قَدْ يَجْلِبُ عَلَيْهِ غَايَةَ الْأَلَمِ، وَيُفَوِّتُهُ أَعْظَمَ اللَّذَّةِ.

بَلْ عُقَلَاءُ الدُّنْيَا[٣] يَتَحَمَّلُونَ الْمَشَاقَّ الْمَكْرُوهَةَ لِمَا يُعْقِبُهُمْ مِنَ اللَّذَّةِ بَعْدَهَا، وَإِنْ كَانَتْ مُنْقَطِعَةً.

فَالْأُمُورُ[٤] أَرْبَعَةٌ:

- مَكْرُوهٌ يُوصِلُ إِلَى مَكْرُوهٍ.
- وَمَكْرُوهٌ يُوصِلُ إِلَى مَحْبُوبٍ.
- [وَمَحْبُوبٌ يُوصِلُ إِلَى مَحْبُوبٍ][٥].
- [وَمَحْبُوبٌ يُوصِلُ إِلَى مَكْرُوهٍ][٦].

فَالْمَحْبُوبُ الْمُوصِلُ إِلَى الْمَحْبُوبِ؛ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ دَاعِي [الْفِعْلِ مِنْ وَجْهَيْنِ.

وَالْمَكْرُوهُ الْمُوصِلُ إِلَى مَكْرُوهٍ؛ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ دَاعِي][٧] التَّرْكِ مِنْ وَجْهَيْنِ.

بَقِيَ الْقِسْمَانِ الْآخَرَانِ يَتَجَاذَبُهُمَا الدَّاعِيَانِ، وَهُمَا مُعْتَرَكُ الِابْتِلَاءِ وَالِامْتِحَانِ.

---

(١) في (ب): والرفعة. (٢) في (ب): فيه.
(٣) في (ب): الذين. (٤) في (ب): والأمور.
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب).
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).



فَالنَّفْسُ تُؤْثِرُ[(١)] أَقْرَبَهُمَا جِوَارًا[(٢)] مِنْهُما[(٣)]، وَهُوَ العَاجِلُ، وَالْعَقْلُ وَالْإِيمَانُ يُؤْثِرَان أَنْفَعَهُما[(٤)] وَأَبْقَاهُمَا، وَالْقَلْبُ بَيْنَ الدَّاعِيَيْنِ، وَهُوَ إِلَى هَذَا مَرَّةً، وَإِلَى هَذَا مَرَّةً.

وَهَهُنَا مَحَلُّ الِابْتِلَاءِ شَرْعًا وَقَدَرًا.

فَدَاعِي الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ يُنَادِي كُلَّ وَقْتٍ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى، وَفِي الْمَمَاتِ يَحْمَدُ الْعَبْدُ التُّقَى، فَإِنِ اشْتَدَّ ظَلَامُ لَيْلِ الْمَحَبَّةِ، وَتَحَكَّمَ سُلْطَانُ الشَّهْوَةِ وَالْإِرَادَةِ، يَقُولُ[(٥)]: [يَا نَفْسُ اصْبِرِي][(٦)]

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي وَيَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ وَيَزُولُ[(٧)]

❁❁❁

---

(١) في (ب): يؤثر.

(٢) في (ب): جوازًا.

(٣) في (ط): منها.

(٤) في (ط): يؤثر أنفعها، وفي (ب): يؤثر نفعها.

(٥) في (ب): تقول: شعرًا.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٧) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [٥]، و«مدارج السالكين» (٣/ ٣٢٩).

فَصْلٌ

وَإِذَا كَانَ الْـحُـبُّ[١] أَصْلَ كُلِّ عَمَلٍ مِنْ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، فَأَصْلُ الْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ [حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا أَنَّ أَصْلَ الْأَقْوَالِ الدِّينِيَّةِ] [٢] تَصْدِيقُ اللهِ وَرَسُولِهِ.

وَكُلُّ إِرَادَةٍ تَمْنَعُ كَمَالَ الْحُبِّ للهِ وَرَسُولِهِ، وَتُزَاحِمُ هَذِهِ الْـمَحَبَّةَ، أَوْ شُـبْهَةٍ تَمْنَعُ كَمَالَ التَّصْدِيقِ، فَهِيَ مُعَارِضَةٌ لِأَصْلِ الْإِيمَانِ، أَوْ مُضْعِفَةٌ[٣] لَهُ.

فَإِنْ قَوِيَتْ حَتَّى عَارَضَتْ أَصْلَ الْحُبِّ وَالتَّصْدِيقِ كَانَتْ كُفْرًا، وشِرْكًا أَكْبَرَ.

وَإِنْ لَمْ تُعَارِضْهُ قَدَحَتْ فِي كَمَالِهِ، وَأَثَّرَتْ فِيهِ ضَعْفًا وَفُتُورًا فِي الْعَزِيمَةِ وَالطَّلَبِ.

وَهِيَ تَـحْجُبُ الْوَاصِلَ، وَتَقْطَعُ الطَّالِبَ، وَتُنَكِّسُ الرَّاغِبَ.

فَـلَا تَصِحُّ الْـمُوَالَاةُ إِلَّا بِالْـمُعَادَاةِ كَمَا قَـالَ تَعَالَىٰ [عَنْ إِمَامِ] [٤] الْحُنَفَاءِ الْـمُحِبِّينَ، أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

فَلَـمْ يَصِحَّ[٥] لِخَلِيلِ اللهِ هَـذِهِ[٦] الْـمُوَالَاةُ وَالْـخُلَّةُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْـمُعَادَاةِ، فَإِنَّهُ لَا وَلَاءَ إِلَّا ببراءٍ، ولا ولاء لله إلا بالبراءة[٧] مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِـوَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]

---

(١) في (أ): المحب.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٣) في (ب): ومضعفة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، وفي (ب): على لسانِ إمامِ.

(٥) في (ط١): فلم تصح، وفي (أ): لم يصح.

(٦) ساقطة من: (ط١).

(٧) في (ط): ولا ولاء إلا بالبراءة، وفي (أ، ب) الكلام فيه تحريف وسقط.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

أَيْ: جَعَلَ هَذِهِ الْـمُوَالَاةَ للهِ، وَالْبَرَاءَةَ(١) مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ؛ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ، يَتَوَارَثُهَا الْأَنْبِيَاءُ، وَأَتْبَاعُهُمْ، بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَهِيَ كَلِمَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَهِيَ الَّتِي وَرَّثَهَا إِمَامُ الْحُنَفَاءِ لِأَتْبَاعِهِ(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، وَفَطَرَ اللهُ عَلَيْهَا جَمِيعَ الْـمَخْلُوقَاتِ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْـمِلَّةُ وَنُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَجُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ.

وَهِيَ الْكَلِمَةُ الْعَاصِمَةُ لِلدَّمِ وَالْـمَالِ وَالذُّرِّيَّةِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالْـمُنْجِيَةُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَهِيَ الْـمَنْشُورُ الَّذِي لَا يُدْخَلُ أَحَدٌ(٣) الْجَنَّةَ إِلَّا بِهِ، وَالْحَبْلُ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَى اللهِ مَنْ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِسَبَبِهِ.

وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَبِهَا انْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، وَمَقْبُولٍ وَطَرِيدٍ، وَبِهَا انْفَصَلَتْ دَارُ الْكُفْرِ مِنْ دَارِ الْإِيمَانِ، وَتَمَيَّزَتْ دَارُ النَّعِيمِ مِنْ دَارِ الشَّقَاءِ وَالْهَوَانِ.

وَهِيَ الْعَمُودُ الْحَامِلُ لِلْفَرْضِ وَالسُّنَّةِ، وَ«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤).

---

(١) في (ب): جعل هذه هذه البراءه والموالاة. هكذا بتكرار كلمة «هذه»، وبتقديم البراءة!

(٢) في (ب): الأتباع.

(٣) ساقطة من: (ب).

(٤) صحيحٌ: رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٥/ ٢٣٥، ٢٤٧)، وَأَبُو دَاوُدَ رقم: [٣١١٦]، وَالْبَزَّارُ رقم: [٢٦٢٦]، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي «الْمُعْجَمِ الكَبِيرِ» (٢٠/ ١١٢) رقم: [٢٢١]، وَفِي «الدُّعَاءِ» رقم: [١٤٧١]، وَالْحَاكِمُ (١/ ٣٥٠، ٥٠٣، ٦٧٨) وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «الاعْتِقَادِ» ص: (٣٦ - ٣٧)، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٠/ ٣٣٥)، وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الحَمِيدِ بنِ
=

وَرُوحُ هَـذِهِ الْكَلِمَةِ وَسِرُّهَا: إِفْرَادُ الرَّبِّ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَتَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ - بِالْمَحَبَّةِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالْخَوْفِ، وَالرَّجَاءِ، وَتَوَابِعِ ذَلِكَ: مِنَ التَّوَكُّلِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ.

فَلَا يُحَبُّ سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا كَانَ يُحَبُّ غَيْرَهُ فَإِنَّمَا يُحَبُّ تَبَعًا لِمَحَبَّتِهِ، وَكَوْنِهِ وَسِيلَةً إِلَى زِيَادَةِ مَحَبَّتِهِ، وَلَا[1] يُخَافُ سِوَاهُ، وَلَا يُرْجَى سِوَاهُ، وَلَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يُرْغَبُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُرْهَبُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يُحْلَفُ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا يُنْذَرُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُتَابُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُطَاعُ إِلَّا أَمْرُهُ، وَلَا يُتَحَسَّبُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُسْتَغَاثُ[2] فِي[3] الشَّدَائِدِ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُلْتَجَأُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُسْجَدُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُذْبَحُ إِلَّا لَهُ، وَبِاسْمِهِ.

وَيَجْتَمِعُ ذَلِكَ كُلُّهُ[4] فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ: أَنْ[5] لَا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ[6]، بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَهَذَا هُوَ تَحْقِيقُ[7] شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَلِهَذَا حَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ حَقِيقَةَ[8] الشَّهَادَةِ[9].

= جَعْفَرٍ الأَنْصَارِيِّ عَنْ صَالِحِ بن أَبِي عَرِيبٍ عَنْ كَثِيرِ بنِ مُرَّةَ عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهِ مَرْفُوعًا. وإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ بِشَوَاهِدِهِ. وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ سُلَيْمَانُ، وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الغَلِيلِ» رقم: [٦٨٧].

(١) في (ب): لا.
(٢) في (أ): ولا يستعان.
(٣) في (ب): من.
(٤) ساقطة من: (ط).
(٥) ساقطة من: (أ).
(٦) في (ب): وهو ألا تعبدوا إلا إياه.
(٧) في (ب): فهو تحقيق.
(٨) في (أ، ب): ثم حقيقة.
(٩) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: **«مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»**، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. البخاري [١٢٨]، ومسلم [٣٢].

وَمُحَالٌ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مَنْ تَحَقَّقَ بِحَقِيقَةِ هَذِهِ الشَّهَادَةِ، وَقَامَ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣].

فَيَكُونُ قَائِمًا بِشَهَادَتِهِ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فِي قَلْبِهِ وَقَالَبِهِ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ تَكُونُ شَهَادَتُهُ مَيِّتَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ نَائِمَةً، إِذَا نُبِّهَتِ انْتَبَهَتْ، [وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ(١) مُضْطَجِعَةً](٢)، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكُونُ إِلَى الْقِيَامِ أَقْرَبَ.

وَهِيَ فِي(٣) الْقَلْبِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ فِي الْبَدَنِ، فَرُوحٌ مَيِّتَةٌ، وَرُوحٌ مَرِيضَةٌ، إِلَى الْمَوْتِ أَقْرَبُ، [وَرُوحٌ إِلَى الْحَيَاةِ أَقْرَبُ](٤)، وَرُوحٌ صَحِيحَةٌ قَائِمَةٌ بِمَصَالِحِ الْبَدَنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ عِنْدَ الْمَوْتِ إِلَّا وَجَدَتْ رُوحُهُ لَهَا رَوْحًا**»(٥).

فَحَيَاةُ الرُّوحِ بِحَيَاةِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِيهَا، كَمَا أَنَّ حَيَاةَ الْبَدَنِ بِوُجُودِ الرُّوحِ فِيهِ، وَكَمَا أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ يَتَقَلَّبُ فِيهَا.

---

(١) في (ب): يكون.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٣) ساقطة من: (ب).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٥) **صحيح**: رواه ابن ماجه [٣٧٩٥]، والنسائي في «الكبرى» [١٠٨٧٤]، والبزار [٩٣٤]، وأبو يعلى [٦٤٢]، وابن خزيمة في «التوحيد» [٥١٩]، وابن حبان [٢٠٥]، و«الضياء المقدسي» [١١٢]، وغيرهم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن يحيى بن طلحة عن أُمِّه سُعْدَى الْمُرِّيَّةِ، قَالَتْ: مَرَّ عُمَرُ بِطَلْحَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لَكَ مُكْتَئِبًا أَسَاءَتْكَ إِمْرَةُ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا أَحَدٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، إِلَّا كَانَتْ نُورًا لِصَحِيفَتِهِ، وَإِنَّ جَسَدَهُ وَرُوحَهُ لَيَجِدَانِ لَهَا رَوْحًا عِنْدَ الْمَوْتِ**»، فَلَمْ أَسْأَلْهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُهَا هِيَ الَّتِي أَرَادَ عَمَّهُ عَلَيْهَا، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّ شَيْئًا أَنْجَى لَهُ مِنْهَا لَأَمَرَهُ. وإسناده صحيح. («صحيح الجامع» [٢٤٩٢]).

فَمَنْ عَاشَ عَلَى تَحْقِيقِهَا، وَالْقِيَامِ بِهَا؛ فَرُوحُهُ تَتَقَلَّبُ فِي جَنَّةِ الْـمَأْوَى، وَعَيْشُهُ أَطْيَبُ عَيْشٍ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١]

فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ.

وَجَنَّةُ الْـمَعْرِفَةِ، وَالْـمَحَبَّةِ، وَالْأُنْسِ بِاللهِ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْفَرَحِ بِهِ[1]، وَالرِّضَا بِهِ، وَعَنْهُ: مَأْوَى رُوحِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ.

فَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْجَنَّةُ مَأْوَاهُ هَهُنَا، كَانَتْ جَنَّةُ الْخُلْدِ مَأْوَاهُ يَوْمَ الْـمَعَادِ.

وَمَنْ حُرِمَ هَذِهِ الْجَنَّةَ فَهُوَ لِتِلْكَ الْجَنَّةِ أَشَدُّ حِرْمَانًا.

وَالْأَبْـرَارُ فِي النَّعِيـمِ، وَإِنِ اشْـتَدَّ بِهِـمُ الْعَيْشُ، وَضَاقَـتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَـا، وَالْفُجَّارُ فِي جَحِيمٍ[2]، وَإِنِ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وَطِيبُ الْحَيَاةِ جَنَّةُ الدُّنْيَا.

وَقَالَ تَعَالَىٰ[3]: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فَأَيُّ نَعِيمٍ أَطْيَبُ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ؟ وَأَيُّ عَذَابٍ أَمَرُّ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ؟

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].

---

(١) ساقطة من: (ط١)، والمثبت من: (أ، ب، ط).

(٢) في (ب): الجحيم.

(٣) في (ب): قال.

فَالْـمُؤْمِنُ الْـمُخْلِصُ للهِ مِنْ أَطْيَبِ النَّاسِ عَيْشًا، وَأَنْعَمِهِمْ بَالًا، وَأَشْرَحِهِمْ صَدْرًا، وَأَسَرِّهِمْ قَلْبًا، وَهَذِهِ جَنَّةٌ عَاجِلَةٌ قَبْلَ الْـجَنَّةِ الْآجِلَةِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا»، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[1].

[وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»[2]][3].

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ[4] - وَقَدْ سَأَلُوهُ عَنْ وِصَالِهِ فِي الصَّوْمِ: فقال[5]-: «إِنِّي[6] لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»[7].

فَأَخْبَرَ ﷺ: أَنَّ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْغِذَاءِ عِنْدَ رَبِّهِ، يَقُومُ مَقَامَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الحِسي[8]، وَأَنَّ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ مُخْتَصٌّ[9] بِهِ، لَا يَشْرَكُهُ[10] فِيهِ غَيْرُهُ، فَإِذَا أَمْسَكَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَلَهُ عَنْهُ عِوَضٌ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيَنُوبُ مَنَابَهُ، وَيُغْنِي عَنْهُ، كَمَا قِيلَ:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرَاكَ تَشْغَلُهَا[11] ... عَنِ الشَّرَابِ وَتُلْهِيهَا[12] عَنِ الزَّادِ
لَهَا بِوَجْهِكَ نُورٌ تَسْتَضِيءُ[13] بِهِ ... وَمِنْ حَدِيثِكَ فِي أَعْقَابِهَا حَادِي

---

(١) حسن لغيره: سبق تخريجه.
(٢) متفق عليه. سبق تخريجه.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) ساقطة من: (ط).
(٦) ساقطة من: (أ).
(٧) البخاري [١٩٦٤]، ومسلم [١١٠٥] من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٨) ساقطة من: (ب).
(٩) في (ط، ط١): يختص. والمثبت من: (أ، ب).
(١٠) في (ط): لا يشاركه.
(١١) في (أ): يشغلها.
(١٢) في (أ): ويلهيها.
(١٣) في (ب): يستضاء.

إِذَا شَـكَـتْ[1] مِـنْ كَـلَالِ الـسَّـيْرِ أَو عِدُهَا رَوْحَ اللِّقَاءِ فَتَحْيَا عِنْدَ مِيعَادِ[2]

❁❁❁

(١) في (ب): اشتكت.

(٢) «الأبيات منسوبة» لإدريس ابن أبي حفصة كما في «ديوان المعاني» لأبي هلال للعسكري (١/ ٦٣)، وانظر: «الوافي بالوفيات» للصفدي (٨/ ٢٠٦)، و«ذيل مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي (٣/ ٤٣).

فَصْلٌ [١]

وَكُلَّمَا كَانَ وُجُودُ الشَّيْءِ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ، وَهُوَ إِلَيْهِ أَحْوَجُ: كَانَ تَأَلُّمُهُ بِفَقْدِهِ أَشَدَّ.

وَكُلَّمَا كَانَ عَدَمُهُ أَنْفَعَ لَهُ[٢]: كَانَ تَأَلُّمُهُ بِوُجُودِهِ أَشَدَّ.

وَلَا شَيْءَ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ إِقْبَالِهِ عَلَى اللهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِذِكْرِهِ، وَتَنَعُّمِهِ بِحُبِّهِ، وَإِيثَارِهِ لِمَرْضَاتِهِ، بَلْ لَا حَيَاةَ لَهُ، وَلَا نَعِيمَ، وَلَا سُرُورَ، وَلَا بَهْجَةَ إِلَّا بِذَلِكَ، فَعَدَمُهُ آلَمُ شَيْءٍ لَهُ، وَأَشَدُّهُ عذابًا[٣] عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يُغَيِّبُ[٤] الرُّوحَ عَنْ شُهُودِ هَذَا الْأَلَمِ والعذاب: اشْتِغَالُهَا[٥] بِغَيْرِهِ، وَاسْتِغْرَاقُهَا فِي ذَلِكَ الْغَيْرِ، فَتَغِيبُ بِهِ[٦] عَنْ شُهُودِ مَا هِيَ فِيهِ مِنْ أَلَمِ الْفَوتِ[٧] بِفِرَاقِ أَحَبِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا، وَأَنْفَعِهِ لَهَا.

وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ[٨] السَّكْرَانِ الْمُسْتَغْرِقِ فِي سُكْرِهِ، الَّذِي احْتَرَقَتْ دَارُهُ وَأَمْوَالُهُ وَأَهْلُهُ وَأَوْلَادُهُ، وَهُوَ لِاسْتِغْرَاقِهِ فِي السُّكْرِ لَا يَشْعُرُ بِأَلَمِ ذَلِكَ الْفَوْتِ[٩]، وَحَسْرَتِهِ، حَتَّى إِذَا صَحَا، وَكُشِفَ عَنْهُ غِطَاءُ السُّكْرِ، وَانْتَبَهَ مِنْ رَقْدَةِ الْخَمْرِ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِحَالِهِ حِينَئِذٍ.

وَهَكَذَا الْحَالُ سَوَاءٌ عِنْدَ كَشْفِ الْغِطَاءِ، وَمُعَايَنَةِ طَلَائِعِ الْآخِرَةِ، وَالْإِشْرَافِ عَلَى مُفَارَقَةِ الدُّنْيَا، وَالِانْتِقَالِ مِنْهَا إِلَى اللهِ، بَلِ الْأَلَمُ وَالْحَسْرَةُ وَالْعَذَابُ هُنَاكَ أَشَدُّ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ.

فَإِنَّ الْمُصَابَ فِي الدُّنْيَا يَرْجُو جَبْرَ مُصِيبَتِهِ بِالْعِوَضِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أُصِيبَ بِشَيْءٍ زَائِلٍ[١٠] لَا بَقَاءَ لَهُ، فَكَيْفَ بِمَنْ مُصِيبَتُهُ بِمَا لَا عِوَضَ عَنْهُ، وَلَا بَدَلَ مِنْهُ، وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّنْيَا جَمِيعِهَا؟

---

(١) ساقطة من: (ط).
(٢) ساقطة من: (أ).
(٣) ساقطة من: (ط).
(٤) في (ط): تغيب.
(٥) في (ط): لاشتغالها.
(٦) في (ب): فغيب تام.
(٧) في (ط): الفوات.
(٨) في (ط): منزلة.
(٩) في (ط): الفوات.
(١٠) في (ب): بل!

فَلَوْ قَضَى اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْـمَوْتِ[١] مِنْ هَذِهِ الْحَسْرَةِ وَالْأَلَمِ؛ لَكَانَ الْعَبْدُ جَدِيرًا بِهِ.

وَإِنَّ[٢] الْـمَوْتَ لَيَعُودُ أَعْظَمَ أُمْنِيَتِهِ، وَأَكْبَرَ حَسَرَاتِهِ، هَذَا؛ لَوْ كَانَ الْأَلَمُ عَلَى مُجَرَّدِ الْفَوَاتِ، فَكَيْفَ وَهُنَاكَ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى الرُّوحِ وَالْبَدَنِ بِأُمُورٍ أُخْرَى؛ وُجُودِيَّةٍ، مَا لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ؟

فَتبَارَكَ مَنْ حَمَّلَ هَذَا الْـخَلْقَ الضَّعِيفَ هَذَيْنِ الْأَلَـمَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، اللَّذَيْنِ لَا تَحْمِلُهُمَا الْجِبَالُ الرَّوَاسِي.

فَاعْرِضِ الآنَ عَلَى نَفْسِكَ الْآنَ أَعْظَمَ مَـحْبُوبٍ لَكَ فِي الدُّنْيَا، بِحَيْثُ لَا تَطِيبُ لَكَ الْحَيَاةُ إِلَّا مَعَهُ، فَأَصْبَحْتَ وَقَدْ أُخِذَ مِنْكَ، وَحِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، أَحْوَجَ مَا كُنْتَ إِلَيْهِ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُكَ؟

هَذَا؛ وَمِنْهُ كُلُّ عِوَضٍ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَا عِوَضَ عَنْهُ؟ [كَمَا قَالَ][٣]:

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضُ ... وَمَا مِنَ اللهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عِوَضُ[٤]

وَفِي أَثَرٍ إِلَهِيٍّ: «ابْنَ آدَمَ، خَلَقْتُكَ لِعِبَادَتِي فَلَا تَلْعَبْ، وَتَكَفَّلْتُ بِرِزْقِكَ فَلَا تَتْعَبْ، ابْنَ آدَمَ، اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتُّكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا[٥] أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[٦].



---

(١) في (ط): عليه بالموت.
(٢) في (ط): فإن.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ط١)، وفي (ط): كما قيل، والمثبت من: (ب).
(٤) سبق ذكره.
(٥) في (ب): فأنا.
(٦) أثر إسرائيلي: ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٢)، والعلامة ابن القيم أيضًا في «روضة المحبين» ص: [٣٠٤]، و«طريق الهجرتين» ص: [٨٣]، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٩)، وذكر بعضه المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٣٠٥).

فَصْلٌ

وَلَـمَّا كَانَتِ الْـمَحَبَّةُ جِنْسًا تَحْتَهُ أَنْوَاعٌ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْقَدْرِ وَالْوَصْفِ، كَانَ أَغْلَبَ مَا يُذْكَرُ فِيهَا فِي[1] حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ مَا يُخْتَصُّ[2] بِهِ، وَيَلِيقُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِهَا، ولا[3] يصلح[4] إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، مِثْلَ الْعِبَادَةِ وَالْإِنَابَةِ وَنَحْوِهِمَا[5].

فَإِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ، وَكَذَلِكَ الْإِنَابَةُ.

وَقَدْ تُذْكَرُ الْـمَحَبَّةَ بِاسْمِهَا الْـمُطْلَقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائِدَة: ٥٤].

وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٥].

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْـمَحَبَّةِ الْـمَذْمُومَةِ: الْـمَحَبَّةُ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ، الَّتِي يُسَوِّي[6] الْـمُحِبُّ فِيهَا بَيْنَ مَحَبَّتِهِ للهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلنِّدِّ، الَّذِي اتَّخَذَهُ[7] مِنْ دُونِهِ.

وَأَعْظَمُ أَنْوَاعِهَا الْـمَحْمُودَةِ: مَحَبَّةُ اللهِ وَحْدَهُ، وَمَحَبَّةُ مَا أَحَبَّ.

وَهَذِهِ الْـمَحَبَّةُ هِيَ أَصْلُ السَّعَادَةِ، وَرَأْسُهَا، الَّتِي لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنَ الْعَذَابِ إِلَّا بِهَا.

وَالْـمَحَبَّةُ الْـمَذْمُومَةُ الشِّرْكِيَّةُ: هِيَ أَصْلُ الشَّقَاوَةِ، وَرَأْسُهَا، الَّتِي لَا يَبْقَى فِي الْعَذَابِ إِلَّا أَهْلُهَا.

---

(١) في (ب): من.
(٢) في (ب): تختص.
(٣) في (ط): لا.
(٤) في (ب): ولا تصلح.
(٥) في (ط): ونحوها.
(٦) في (ب): يسري.
(٧) في (ب): اتخذ.

فَأَهْلُ الْـمَحَبَّةِ الَّذِينَ أَحَبُّوا اللهَ، وَعَبَدُوهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لا(١) يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَمَنْ دَخَلَهَا مِنْهُمْ بِذُنُوبِهِ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى فِيهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَمَدَارُ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَمْرِ بِتِلْكَ الْـمَحَبَّةِ وَلَوَازِمِهَا، وَالنَّهْيِ عَنِ الْـمَحَبَّةِ الْأُخْرَى وَلَوَازِمِهَا.

وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالْـمَقَايِيسِ لِلنَّوْعَيْنِ، وَذِكْرِ قَصَصِ النَّوْعَيْنِ، وَتَفْصِيلِ أَعْمَالِ النَّوْعَيْنِ، [وَأَوْلِيَائِهِمْ، وَمَعْبُودِ كِلَيْهِما(٢).

وَإِخْبَارِهِ عَنْ فِعْلِهِ بِالنَّوْعَيْنِ، وَعَنْ حَالِ النَّوْعَيْنِ](٣) فِي الدُّورِ الثَّلَاثَةِ: دَارِ الدُّنْيَا، وَدَارِ الْبَرْزَخِ، وَدَارِ الْقَرَارِ.

فَالْقُرْآنُ(٤) جَاءَ فِي شَأْنِ النَّوْعَيْنِ.

وَأَصْلُ دَعْوَةِ جَمِيعِ الرُّسُلِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ: إِنَّمَا هُو(٥) عِبَادَةُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْـمُتَضَمِّنَةُ لِكَمَالِ حُبِّهِ، وَكَمَالِ الْـخُضُوعِ وَالذُّلِّ لَهُ، وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلَوَازِمِ ذَلِكَ مِنَ الطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، ووَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**(٦).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَأَنْتَ(٧) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: **«لَا، يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ**

---

(١) في (ب): ولا.
(٢) في (ط): كل منها.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٤) في (ط): والقرآن.
(٥) في (ط): هي.
(٦) البخاري [١٥]، ومسلم [٤٤].
(٧) في (أ): والله يا رسول الله لأنت.

إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فقَالَ[1]: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ: **«الْآنَ يَا عُمَرُ»**[2].

فَإِذَا[3] كَانَ هَذَا شَأْنَ مَحَبَّةِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَوُجُوبِ تَقْدِيمِهَا عَلَى مَحَبَّةِ نَفْسِ الْإِنْسَانِ، وَوَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ[4]، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَمَا الظَّنُّ بِمَحَبَّةِ مُرْسِلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَوُجُوبِ تَقْدِيمِهَا عَلَى مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ؟.

وَمَحَبَّةُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَخْتَصُّ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ فِي قَدْرِهَا، وَصِفَتِهَا، وَإِفْرَادِهِ سُبْحَانَهُ بِهَا.

فَإِنَّ الْوَاجِبَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ[5] أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَى الْعَبْدِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ، بَلْ مِنْ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَنَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، فَيَكُونُ إِلَهُهُ الْحَقُّ، وَمَعْبُودُهُ؛ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَالشَّيْءُ قَدْ يُحَبُّ مِنْ وَجْهٍ [دُونَ وَجْهٍ][6]، وَقَدْ يُحَبُّ لِغَيْرِهِ[7]، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُحَبُّ لِذَاتِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تَصْلُحُ[8] الْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ، وَ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وَالتَّأَلُّهُ[9]: هُوَ الْمَحَبَّةُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْخُضُوعُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ط): قال.

(٢) البخاري [٦٦٣٢] من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

(٣) في (ب): فإن.

(٤) في (أ): ووالديه.

(٥) في (ط): من ذلك كله.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٧) في (ط): بغيره.

(٨) في (ب): ولا يصلح.

(٩) في (أ): والثالثة.



فَصْلٌ

وَكُلُّ حَرَكَةٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ فَأَصْلُهَا الْمَحَبَّةُ، فَهِيَ عِلَّتُهَا الْفَاعِلِيَّةُ، وَالْغَائِيَّةُ(١).

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَرَكَاتِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: حَرَكَةٌ اخْتِيَارِيَّةٌ إِرَادِيَّةٌ، وَحَرَكَةٌ طَبِيعِيَّةٌ، وَحَرَكَةٌ قَسْرِيَّةٌ.

وَالْحَرَكَةُ الطَّبِيعِيَّةُ: أَصْلُهَا السُّكُونُ، وَإِنَّمَا يَتَحَرَّكُ الْجِسْمُ إِذَا خَرَجَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ، وَمَرْكَزِهِ(٢) الطَّبِيعِيِّ.

فَهُوَ(٣) يَتَحَرَّكُ لِلْعَوْدِ(٤) إِلَيْهِ، وَخُرُوجُهُ عَنْ مَرْكَزِهِ وَمُسْتَقَرِّهِ إِنَّمَا هُوَ بِتَحْرِيكِ(٥) الْقَاسِرِ الْمُحَرِّكِ لَهُ، فَلَهُ حَرَكَةٌ قَسْرِيَّةٌ بِمُحَرِّكِهِ(٦) وَقَاسِرِهِ.

وَحَرَكَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بِذَاتِهِ(٧) يَطْلُبُ بِهَا الْعَوْدَ إِلَى مَرْكَزِهِ.

وَكِلَا حَرَكَتَيْهِ تَابِعَةٌ لِلْقَاسِرِ الْمُحَرِّكِ، فَهُوَ أَصْلُ الْحَرَكَتَيْنِ.

وَالْحَرَكَةُ الِاخْتِيَارِيَّةُ الْإِرَادِيَّةُ: هِيَ أَصْلُ الْحَرَكَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ(٨)، وَهِيَ تَابِعَةٌ لِلْإِرَادَةِ وَالْمَحَبَّةِ، [فَصَارَتِ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ تَابِعَةً لِلْمَحَبَّةِ وَالْإِرَادَةِ](٩).

وَالدَّلِيلُ عَلَى انْحِصَارِ الْحَرَكَاتِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ: أَنَّ الْمُتَحَرِّكَ إِنْ كَانَ لَهُ شُعُورٌ(١٠) بِالْحَرَكَةِ فَهِيَ الْإِرَادِيَّةُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شُعُورٌ بِهَا، فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ(١١) عَلَى وَفْقِ طَبْعِهِ أَوْ لَا؟

---

(١) في (ب): الغائية، وفي (ط): الغائبة!
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) في (ب): فهي.
(٤) في (أ): إلى العود.
(٥) في (ب): يتحرك.
(٦) في (ط): تتحرك بتحريك محركه
(٧) في (ط):
(٨) في (ب): الأخريتين.
(٩) ساقط من: (ط).
(١٠) في (ب): أن المتحرك له إن كان شعور.
(١١) في (ب): يكون.

فَالْأُولَى-[١] هِيَ الطَّبِيعِيَّةُ، وَالثَّانِيَةُ-[٢] الْقَسْرِيَّةُ.

إِذَا ثَبَتَ هَذَا: فَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ، وَالشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، وَالرِّيَاحِ، وَالسَّحَابِ، وَالْمَطَرِ، وَالنَّبَاتِ، وَحَرَكَاتِ الْأَجِنَّةِ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهَا، فَإِنَّمَا هِيَ بِوَاسِطَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، وَالْمُقَسِّمَاتِ[٣] أَمْرًا، كَمَا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ نُصُوصِ[٤] الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ.

وَالْإِيمَانُ بِذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَائِكَةً، وَبِالْقَطْرِ مَلَائِكَةً، وَبِالنَّبَاتِ مَلَائِكَةً، وَبِالرِّيَاحِ مَلَائِكَةً[٥]، وَبِالْأَفْلَاكِ وَبِالشَّمْسِ[٦] وَبِالْقَمَرِ وَبِالنُّجُومِ[٧].

* وَوَكَّلَ بِكُلِّ عَبْدٍ أَرْبَعَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَاتِبَيْنِ عَلَى[٨] يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَحَافِظَيْنِ لَهُ[٩]، مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.
* وَوَكَّلَ مَلَائِكَةً بِقَبْضِ رُوحِهِ، وَتَجْهِيزِهَا إِلَى مُسْتَقَرِّهَا، مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ[١٠].
* وَمَلَائِكَةً بِمُسَاءَلَتِهِ، وَامْتِحَانِهِ فِي قَبْرِهِ، وعذابِهِ هُنَاكَ أو نَعِيمِهِ[١١].
* وملائكةً تسوقه إلى المحشَرِ إذَا قَامَ مِنْ قَبْرِهِ.
* وَمَلَائِكَةً بِتَعْذِيبِهِ[١٢] فِي النَّارِ، أَوْ نَعِيمِهِ فِي الْجَنَّةِ[١٣].

---

(١) مكانها في (ب) بياض.
(٢) في (ب): والثاني.
(٣) في (ب): فالمقسمات.
(٤) في (ط): نصوص من.
(٥) ساقطة من: (أ، ط١).
(٦) في (ط): والشمس.
(٧) في (أ، ط، ط ١): والقمر والنجوم. والمثبت من: (ب).
(٨) في (ط): عن.
(٩) زيادة من: (ب).
(١٠) في (ط١) اعتمادًا على نسخة: أو النار.
(١١) في (أ): ونعيمه.
(١٢) في (ب): لتعذيبه.
(١٣) في (ب): وملائكة تنعمه في الجنة.

❁ وَوَكَّلَ بِالجِبَالِ مَلَائِكَةً، وَبِالسَّحَابِ مَلَائِكَةً تَسُوقُهُ حَيْثُ أُمِرَتْ بِهِ، وَبِالْقَطْرِ مَلَائِكَةً تُنزله[1] بِأَمْرِ اللهِ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ كَمَا شَاءَ اللهُ.

❁ وَوَكَّلَ مَلَائِكَةً بِغَرْسِ الجَنَّةِ، وَعَمَلِ آلَتِهَا، وَفُرُشِهَا، وبنائها[2]، وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَمَلَائِكَةً بِالنَّارِ كَذَلِكَ.

فَأَعْظَمُ جُنْدِ اللهِ الْـمَلَائِكَةُ.

وَلَفْظُ «الْـمَلَكِ» يُشْعِرُ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مُنَفِّذٌ لأَمْرِ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ[3] لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، بَلِ الْأَمْرُ كُلُّهُ للهِ، وَهُمْ يُدَبِّرُونَ الْأَمْرَ، وَيُقَسِّمُونَهُ بِأَمْرِ اللهِ، وَإِذْنِهِ.

قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْهُمْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِطَوَائِفِ الْـمَلَائِكَةِ[4] الْـمُنَفِّذِينَ لِأَمْرِهِ فِي الْخَلِيقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا[5]﴾ [الصافات: ١ - ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [المرسلات: ١ - ٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ١ - ٥].

---

(١) في (ب، ط): تنزل.
(٢) ساقطة من: (ط).
(٣) في (ب): فليس.
(٤) في (ط): من الملائكة.
(٥) في (ب) أقحمت آية الذاريات رقم: [٤]: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: ٤].

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى ذَلِكَ، وَسِرَّ الْإِقْسَامِ بِهِ فِي كِتَابِ: «أيمان القرآن»[١].

وَإِذَا عُرف ذَلِكَ: فَجَمِيعُ تِلْكَ الْـمُحَبَّاتِ، وَالحركاتِ، وَالْإِرَادَاتِ، وَالْأَفْعَالِ: هِـيَ عِبَادَةٌ مِنْهُمْ لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّـمَوَاتِ، وَجَمِيـعُ الْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّـةِ وَالْقَسْرِيَّةِ تَابِعَةٌ لَهَا.

فَلَوْلَا الْـحُبُّ مَا دَارَتِ الْأَفْلَاكُ، وَلَا تَحَرَّكَتِ الْكَوَاكِبُ النَّيِّرَاتُ[٢]، وَلَا هَبَّتِ الرِّيَاحُ الْـمُسَـخَّرَاتُ، وَلَا مَرَّتِ السُّـحُبُ الْحَامِـلَاتُ، وَلَا تَحَرَّكَتِ الْأَجِنَّةُ فِي بُطُـونِ الْأُمَّهَاتِ، وَلَا انْصَدَعَ عَنِ الْحَبِّ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ، وَلَا اضْطَرَبَتْ أَمْوَاجُ البِحَارِ الزَّاخِرَاتِ، وَلَا تَحَرَّكَتِ الْـمُدَبِّرَاتُ وَالْـمُقَسِّمَاتُ، وَلَا سَـبَّحَتْ بِحَمْدِ فَاطِرِهَا الْأَرَضُونَ وَالسَّـمَوَاتُ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْـمَخْلُوقَاتِ.

فَسُـبْحَانَ مَنْ [تُسَبِّحُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرْضُ، وَمَنْ فِيهِنَّ][٣]: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].



(١) في (ط): التبيان في أقسام القرآن.

(٢) في (ب): المنيرات.

(٣) في (ط): ذكر بداية الآية التي في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]

فَصْلٌ

إِذَا[١] عُرِفَ ذَلِكَ فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ إِرَادَةٌ، وَمَحَبَّةٌ، وَعَمَلٌ بِحَسَبِهِ، وَكُلُّ مُتَحَرِّكٍ فَأَصْلُ حَرَكَتِهِ الْمَحَبَّةُ وَالْإِرَادَةُ.

وَلَا صَلَاحَ لِلْمَوْجُودَاتِ إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ حَرَكَاتُهَا وَمَحَبَّتُهَا لِفَاطِرِهَا وَبَارِئِهَا وَحْدَهُ، كَمَا لَا وُجُودَ لَهَا إِلَّا بِإِبْدَاعِهِ وَحْدَهُ.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وَلَمْ يَقُلْ سُبْحَانَهُ: لَمَا وُجِدَتَا، وَلَكَانَتَا مَعْدُومَتَيْنِ، وَلَا قَالَ: لَعُدِمَتَا، إِذْ هُوَ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُبْقِيَهُمَا عَلَى وَجْهِ الْفَسَادِ، لَكِنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَا عَلَى وَجْهِ الصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ، إِلَّا بِأَنْ[٢] يَكُونَ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ[٣] مَعْبُودَهُمَا، وَمَعْبُودَ مَا حَوَتَاهُ، وَسَكَنَ فِيهِمَا.

فَلَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ إِلَهَانِ لَفَسَدَ نِظَامُهُ غَايَةَ الْفَسَادِ، فَإِنَّ كُلَّ إِلَهٍ كَانَ[٤] يَطْلُبُ مُغَالَبَةَ الْآخَرِ، وَالْعُلُوَّ عَلَيْهِ، وَتَفَرُّدَهُ دُونَهُ بِإِلَهِيَّتِهِ، إِذِ الشِّرْكُ[٥] نَقْصٌ يُنَافِي[٦] كَمَالَ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْإِلَهُ لَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا نَاقِصًا.

فَإِنْ قَهَرَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كَانَ هُوَ الْإِلَهَ وَحْدَهُ، وَالْمَقْهُورُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، وَإِنْ لَمْ يَقْهَرْ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ لَزِمَ عَجْزُ كُلٍّ مِنْهُمَا وَنَقْصُهُ، وَلَمْ يَكُنْ تَامَّ الْإِلَهِيَّةِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَهُمَا إِلَهٌ قَاهِرٌ لَهُمَا، حَاكِمٌ عَلَيْهِمَا، وَإِلَّا ذَهَبَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا خَلَقَ، وَطَلَبَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْعُلُوَّ عَلَى الْآخَرِ، وَفِي ذَلِكَ فَسَادُ أَمْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَنْ فِيهِمَا[٧].

---

(١) في (أ): وإذا، وفي (ط): فإذا.
(٢) في (ب): أن.
(٣) في (أ): وهو.
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (ط): الشركة.
(٦) في (ط): في.
(٧) في (أ): فيهن.

كَمَا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ فَسَادِ الْبَلَدِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَلِكَانِ مُتَكَافِئَانِ، وَفَسَادِ الزَّوْجَةِ إِذَا كَانَ لَهَا بَعْلَانِ(١)، وَالشَّوْلِ(٢): إِذَا كَانَ فِيهِ فَحْلَانِ.

وَأَصْلُ فَسَادِ الْعَالَمِ: إِنَّمَا هُوَ مِنَ اخْتِلَافِ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ، وَلِهَذَا لَمْ يَطْمَعْ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ(٣) فِيهِ(٤) فِي(٥) زَمَنٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ إِلَّا فِي زَمَنِ تَعَدُّدِ مُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، وَاخْتِلَافِهِمْ، وَانْفِرَادِ كُلٍّ مِنْهُمْ بِبِلَادٍ، وَطَلَبِ بَعْضِهِمُ الْعُلُوَّ عَلَى بَعْضٍ.

فَصَلَاحُ(٦) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاسْتِقَامَتُهَا، وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى أَتَمِّ نِظَامٍ مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، [يُحْيِي وَيُمِيتُ](٧)، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ مِنْ لَدُنْ عَرْشِهِ إِلَى قَرَارِ أَرْضِهِ بَاطِلٌ، إِلَّا وَجْهَهُ الْأَعْلَى.

قَالَ تَعَالَى(٨): ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١ - ٢٣].

قَالَ اللهُ تَعَالَى(٩): ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]

---

(١) في (ب): زوجان.

(٢) الشـول من النُّوق: التي قد أتى عليها سبعة أشهر من يوم نتَاجها، فلم يَبْقَ في ضروعها إلا شَوْلٌ من اللبن، أي: بقيّة مقدار ثلث ما كانَتْ تحلبُ في حِدْثَان نَتَاجها. «تهذيب اللغة» (١١/ ٢٨٢)

(٣) في (ب): المسلمين.

(٤) ساقطة من: (أ)، وفي (ب): فيهم

(٥) في (ب): من.

(٦) في (ب): وصلاح.

(٧) ساقطة من: (أ، ط١).

(٨) في (ط): قال الله تعالى.

(٩) في (أ، ط، ط١): وقال تعالى، والمثبت من: (ب).

فَقِيلَ: المعنى(١): لَا تَبْتَغُوا السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِالْمُغَالَبَةِ وَالْقَهْرِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُلُوكُ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

قَالَ شَيْخُنَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْمَعْنَى: لَا تَبْتَغُوا إِلَيْهِ سَبِيلًا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَطَاعَتِهِ، فَكَيْفَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ؟ وَهُمْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً كَمَا تَقُولُونَ(٢) لَكَانُوا عَبِيدًا لَهُ».

قَالَ(٣): «وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا وُجُوهٌ:

مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ(٤) مِنْ دُونِي هُمْ(٥) عِبَادِي كَمَا أَنْتُمْ عِبَادِي، يَرْجُونَ(٦) رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي، فَلِمَاذَا(٧) تَعْبُدُونَهُمْ دُونِي(٨)؟

الثَّانِي- أَنَّهُ(٩) سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ لَابْتَغَوْا عَلَيْهِ سَبِيلًا، [بَلْ قَالَ(١٠): لَابْتَغَوْا إِلَيْهِ سَبِيلًا](١١)، وَهَذَا اللَّفْظُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِي التَّقَرُّبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وَأَمَّا فِي الْمُغَالَبَةِ: فَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ بِعَلَى(١٢) كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

---

(١) ساقطة من: (ط).
(٢) في (ط): يقولون.
(٣) في (ب): قالوا.
(٤) في (ب): يعبدونهم.
(٥) ساقطة من: (أ).
(٦) في (ط): ترجون.
(٧) في (ب): فماذا.
(٨) ساقطة من: (ب)، وفي (ط): من دوني.
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (ب): في (ب): وقال.
(١١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(١٢) ساقطة من: (ب).

الثَّالِثُ- أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّ آلِهَتَهُمْ تُغَالِبُهُ[(١)]، وَتَطْلُبُ الْعُلُوَّ عَلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ قَالَ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢]. وَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ آلِهَتَهُمْ[(٢)] تَبْتَغِي التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ، وَتُقَرِّبُهُمْ زُلْفَى إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُونَ لَكَانَتْ تِلْكَ[(٣)] الْآلِهَةُ عَبِيدًا لَهُ، فَلِمَاذَا[(٤)] تَعْبُدُونَ عَبِيدَهُ[(٥)] مِنْ دُونِهِ؟»[(٦)].

❁ ❁ ❁

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) ساقطة من: (ب).

(٣) ساقطة من: (أ).

(٤) في (ب): فماذا.

(٥) في (ب): عبده.

(٦) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٩/ ٣٥٠ - ٣٥١).

فَصْلٌ

وَالْـمَحَبَّـةُ لَهَا آثَارٌ، وَتَوَابِعُ، وَلَوَازِمُ، وَأَحْكَامٌ، سَـوَاءٌ كَانَتْ مَحْمُـودَةً، أَوْ مَذْمُومَةً، نَافِعَـةً أَوْ ضَـارَّةً، مِـنَ الـذَّوْقِ، وَالوَجْدِ، وَالْحَـلَاوَةِ، وَالشَّوْقِ، وَالْأُنْـسِ، وَالِاتِّصَالِ[١] بِالْـمَحْبُـوبِ، وَالْقُـرْبِ مِنْـهُ[٢]، وَالِانْفِصَالِ عَنْـهُ، وَالْبُعْدِ مِنْـهُ، وَالصَّـدِّ[٣]، وَالْهُجْرَانِ، وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَالْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَلَوَازِمِهَا.

وَالْمَحَبَّـةُ الْمَحْمُـودَةُ: هِيَ[٤] الْـمَحَبَّـةُ النَّافِعَةُ، الَّتِي تَجْلِـبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَنْفَعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، [وَهَذِهِ الْـمَحَبَّةُ هِيَ][٥] عُنْوَانُ سَعَادَته[٦].

وَالْـمَحَبَّةُ الْـمَذْمُومَةُ[٧]: هِيَ الَّتِي تَجْلِبُ لِصَاحِبِهَا مَا يَضُرُّهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَهِيَ عُنْوَانُ شَقَاوَته[٨].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْحَيَّ الْعَاقِلَ لَا يَخْتَارُ مَحَبَّةَ مَا يَضُرُّهُ وَيُشْقِيهِ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ ذَلِكَ عَنْ جَهْلٍ وَظُلْـمٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تَهْوَى مَا يَضُرُّهَا وَلَا يَنْفَعُهَا، وَذَلِكَ ظُلْم من الْإِنْسَـانِ لِنَفْسِـهِ، إِمَّا بِـأَنْ[٩] تَكُـونَ جَاهِلَةً بِحَالِ مَـحْبُوبِهَـا، بِأَنْ تَهْوَى الشَّيْءَ وَتُحِبَّهُ غَـيْرَ عَالِـمَةٍ بِمَا فِي مَـحَبَّتِهِ مِـنَ الْـمَضَرَّةِ، وَهَـذَا حَالُ مَـنِ اتَّبَعَ[١٠] هَـوَاهُ بِغَيْرِ عِلْـمٍ، وَإِمَّا عَالِمَـةً بِـمَا فِي مَـحَبَّتِهِ مِنَ الْـمَضَـرَّةِ[١١]، لَكِنْ تُؤْثِـرُ[١٢] هَوَاهَا عَلَى عِلْمِهَا، وَقَدْ تَتَرَكَّـبُ مَـحَبَّتُهَا من أَمْرَيْنِ[١٣]: اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ، وهوى مَذْمُومٌ، وَهَذَا حَالُ مَنِ اتَّبَعَ الظَّنَّ، وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ.

---

(١) في (ب): الاتصال.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ب): وهي.
(٥) بدل ما بين المعقوفين في (ب): وهي.
(٦) في (ط): السعادة.
(٧) في (أ، ط، ط١): والضارة، والمثبت من: (ب).
(٨) في (ط): الشقاوة.
(٩) ساقطة من: (أ).
(١٠) في (ب): يتبع.
(١١) في (ط): الضرر.
(١٢) في (أ): يؤثر.
(١٣) في (ب): أمر من.

فَلَا تَقَعُ الْـمَحَبَّةُ الْفَاسِـدَةُ إِلَّا مِنْ جَهْلٍ أو اعْتِقَادٍ[(١)] فَاسِـدٍ، أَوْ هَـوًى غَالِبٍ، أَوْ مَـا تَرَكَّبَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَعَانَ[(٢)] بَعْضُهُ بَعْضًا، فتتفق[(٣)] شُـبْهَةٌ يَشْـتَبِهُ بِهَـا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ[(٤)]، يُزَيِّنُ[(٥)] لَهُ أَمْرَ الْـمَحْبُوبِ، وَشَهْوَةً تَدْعُوهُ إِلَى حُصُولِهِ، فَيَتَسَاعَدُ جَيْشُ الشُّبْهَةِ وَالشَّهْوَةِ، عَلَى جَيْشِ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ، وَالْغَلَبَةُ لِأَقْوَاهُمَا.

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَتَوَابِعُ كُلِّ نَوْعٍ [مِنْ أَنْوَاعِ] [(٦)] الْـمَحَبَّةِ لَهُ حُكْمُ مَتْبُوعِهِ.

فَالْـمَحَبَّةُ النَّافِعَةُ الْـمَحْمُودَةُ -الَّتِي هِيَ عُنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ-: تَوَابِعُهَا كُلُّهَا نَافِعَةٌ لَـهُ، حُكْمُهَـا[(٧)] حُكْمُ مَتْبُوعِهَا، فَـإِنْ بَكَى نَفَعَهُ، وَإِنْ حَـزِنَ نَفَعَهُ، وَإِنْ فَـرِحَ نَفَعَهُ، [وَإِنِ انْقَبَـضَ نَفَعَهُ] [(٨)]، وَإِنِ انْبَسَـطَ نَفَعَهُ، فَهُوَ يَتَقَلَّـبُ[(٩)] فِي مَنَازِلِ الْـمَحَبَّـةِ، وَأَحْكَامِهَا، فِي مَزِيدٍ، وَرِبْحٍ، وَقُوَّةٍ.

وَالْمَحَبَّةُ الضَّارَّةُ الْـمَذْمُومَةُ: تَوَابِعُهَا وَآثَارُهَا [كُلُّهَا ضَارَّةٌ] [(١٠)] لِصَاحِبِهَا، مُبْعِدَةٌ لَهُ مِنْ رَبِّهِ، كَيْفَمَا تَقَلَّبَ[(١١)] فِي آثَارِهَا، وَنَزَلَ[(١٢)] فِي مَنَازِلِهَا فهو في خَسَارَةٍ وَبُعْدٍ.

وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ فِعْلٍ تَوَلَّدَ عَنْ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، فَكُلُّ[(١٣)] مَا تَوَلَّدَ عن[(١٤)] الطَّاعَةِ فَهُوَ زِيَادَةٌ لِصَاحِبِهِ[(١٥)] وَقُرْبَةٌ[(١٦)].

---

(١) في (ط١): واعتقاد، والمثبت من: (أ، ب، ط).
(٢) في (أ): أو أعان، وفي (ط١): وأعان، والمثبت من: (ط، ب).
(٣) في (أ): فيتفق، وفي (ط): فتتفق شبهة وشهوة، شبهة يشتبه...
(٤) في (ب): والباطل.
(٥) في (ط): وتزين، وفي (ط١): تزين، والمثبت من: (أ، ب). وفاعل «يزين» هو: الباطل، أو الاشتباه، وإذا كانت «تزين» فالفاعل: الشبهة. والله أعلم.
(٦) ساقط من: (أ).
(٧) في (ط): فحكمها.
(٨) ساقط من: (أ).
(٩) في (ب): ينقلب.
(١٠) ساقطة من: (أ).
(١١) في (ب): انقلب.
(١٢) ساقطة من: (ب).
(١٣) في (ب): وكل.
(١٤) في (ط): من.
(١٥) في (ط): لصاحبها.
(١٦) في (ب): وقربة وقومة.

وَكُلُّ مَا تَوَلَّدَ عَنِ الـمَعْصِيَةِ فَهُوَ خُسْرَانٌ لِصَاحِبِهِ وَبُعْدٌ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠ - ١٢١].

فَأَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي الآيَةِ الأُولَى: أَنَّ الـمُتَوَلِّدَ عَنْ طَاعَتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ يُكْتَبُ لهم بِهِ[(١)] عَمَلٌ صَالِحٌ.

وَأَخْبَرَ فِي الثَّانِيَةِ- أَنَّ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ الَّتِي بَاشَرُوهَا تُكْتَبُ لَهُمْ أَنْفُسُهَا.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الأَوَّلَ- لَيْسَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَإِنَّمَا تَوَلَّدَ[(٢)] عَنْهُ، فَكُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَالثَّانِي- نَفْسُ أَعْمَالِهِمْ[(٣)] فكتبت[(٤)] لَهُمْ.

فَلْيَتَأَمَّلْ قَتِيلُ الـمَحَبَّةِ هَذَا الْفَصْلَ حَقَّ التَّأَمُّلِ؛ لِيَعْلَمَ مَا لَهُ وعَلَيْهِ[(٥)].

سَيَعْلَمُ يَوْمَ الْعَرْضِ أَيَّ بِضَاعَةٍ ... أَضَاعَ وَعِنْدَ الْوَزْنِ مَا كَانَ حَصَّلا[(٦)]



---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) في (أ): يتولد.

(٣) في (ط ١): أفعالهم.

(٤) في (أ): تكتب، وفي (ط): فكتب، والمثبت من: (ب، ط١).

(٥) في (ط، ط١): وما عليه، والمثبت من: (أ، ب). وفي (ب) بعدها: [بيت شعر].

(٦) البيت ضمن أبيات في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٣٨)، وفيه: «وعند الوزن ما خَفَّ أو رَبَا».

فَصْلٌ

وَكَمَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْإِرَادَةَ أَصْلُ كُلِّ فِعْلٍ كَمَا تَقَدَّمَ، فَهِيَ أَصْلُ كُلِّ دِينٍ، سَوَاءٌ كَانَ[1] حَقًّا أَوْ بَاطِلًا.

فَإِنَّ الدِّينَ هُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَالْمَحَبَّةُ وَالْإِرَادَةُ أَصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَالدِّينُ: هُوَ الطَّاعَةُ، وَالْعَادَةُ[2]، وَالْخُلُقُ.

فَهُوَ الطَّاعَةُ اللَّازِمَةُ الدَّائِمَةُ الَّتِي صَارَتْ خُلُقًا وَعَادَةً، وَلِهَذَا[3] فُسِّرَ الْخُلُقُ بِالدِّينِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قَالَ[4] الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَعَلَى دِينٍ عَظِيمٍ»[5].

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»[6].

وَالدِّينُ فِيهِ مَعْنَى الْإِذْلَالِ وَالْقَهْرِ، وَفِيهِ مَعْنَى الذُّلِّ وَالْخُضُوعِ وَالطَّاعَةِ، فَلِذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ، كَمَا يُقَالُ: دِنْتُهُ[7] فَدَانَ، أَيْ: قَهَرْتُهُ فَذَلَّ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إِذْ كَرِهُوا[8] الدِّينَ فَأَضْحَوْا بِعِزَّةٍ وَصِيَالِ[9]

---

(١) في (ط): أكان. (٢) في (أ، ب، ط): العبادة.

(٣) في (ب): فلهذا. (٤) في (ط):

(٥) أثرٌ حسنٌ: رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٨)، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسنده لا بأس به في «التفسير». وكذلك رواه من طريق العوفي عن ابن عباس، وإسناده ضعيف. وعزاه في «الدر المنثور» (٨/ ٢٤٣) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٦) مسلم [٧٤٦]. (٧) في (ب): دنتته. وهو خطأ. (٨) في (ب): هو.

(٩) في (ب): فأصبحوا بعزة وصيان. والبيت للأعشى كما في «ديوانه» [٦١] ضمن قصيدة يمدح فيها الأسود بن المنذر اللخمي، مطلعها:

=

وَيَكُونُ مِنَ الْأَدْنَى لِلْأَعْلَى(١)، كَمَا يُقَالُ: دِنْتُ اللهَ، وَدِنْتُ للهِ، وَفُلَانٌ لَا يَدِينُ اللهَ(٢) [دِينًا، وَلَا يَدِينُ اللهَ](٣) بِدِينٍ(٤)، فَدَانَ اللهَ: أَيْ أَطَاعَ اللهَ وَأَحَبَّهُ وَخَافَهُ.

وَدَانَ للهِ(٥): أي: خشع(٦) لَهُ(٧)، وَخَضَعَ، وَذَلَّ، وَانْقَادَ.

وَالدِّينُ الْبَاطِنُ لَابُدَّ فِيهِ مِنَ الْحُبِّ وَالْخُضُوعِ كَالْعِبَادَةِ سَوَاءً، بِخِلَافِ الدِّينِ الظَّاهِرِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَلْزِمُ الْحُبَّ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ انْقِيَادٌ وَذُلٌّ فِي الظَّاهِرِ.

وَسَمَّى اللهُ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «**يَوْمَ الدِّينِ**» لِأَنَّهُ(٨) الْيَوْمُ الَّذِي يَدِينُ فِيهِ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ(٩)، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ جَزَاءَهُمْ وَحِسَابَهُمْ، فَلِذَلِكَ فُسِّرَ(١٠) بِيَوْمِ الْجَزَاءِ، وَيَوْمِ الْحِسَابِ.

وَقَالَ(١١) تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الواقعة: ٨٦ - ٨٧].

أَيْ: هَلَّا تَرُدُّونَ الرُّوحَ إِلَى مَكَانِهَا، إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَرْبُوبِينَ، ولا مَقْهُورِينَ، وَلَا مُجْزِيِّينَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ(١٢) تَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ: فَإِنَّهَا سِيقَتْ لِلِاحْتِجَاجِ(١٣) عَلَيْهِمْ فِي إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ، وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ الدَّلِيلُ مُسْتَلْزِمًا لِمَدْلُولِهِ، بِحَيْثُ يَنْتَقِلُ الذِّهْنُ مِنْهُ(١٤) إِلَى الْمَدْلُولِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّلَازُمِ، فكل مَلْزُومٍ دَلِيلٌ عَلَى لَازِمِهِ، وَلَا يَجِبُ الْعَكْسُ.

=

مـا بـكـاء الـكـبـيـر بـالأطـلال ... وسـؤالـي فـهـل تـرد سـؤاتـلـي

وآخر البيت: «دراكا بغزوة وصيال».

(١) في (ط): إلى الأعلى.

(٢) في (ب): لله.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٤) في (ب): دين.

(٥) لم يذكر لفظ الجلالة في: (أ).

(٦) في (ط): تخشع.

(٧) في (ب): لله.

(٨) في (ب، ط): فإنه.

(٩) في (أ): إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا.

(١٠) في (ط): فسروه.

(١١) في (ب): قال.

(١٢) ساقطة من: (أ).

(١٣) في (ب): سبقت بالاحتجاج.

(١٤) ساقطة من: (أ).

وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ: أَنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرُوا [الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ فَقَدْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَنْكَرُوا][(١)] قُدْرَتَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ.

فَإِمَّا أَنْ[(٢)] يُقِرُّوا بِأَنَّ لَهُمْ رَبًّا قَاهِرًا لهم[(٣)]، مُتَصَرِّفًا فِيهِمْ كَمَا يشاء[(٤)]، يُمِيتُهُمْ[(٥)] إِذَا شَاءَ، وَيُحْيِيهِمْ إِذَا شَاءَ، وَيَأْمُرُهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ، وَيُثِيبُ مُحْسِنَهُمْ، وَيُعَاقِبُ مُسِيئَهُمْ.

وَإِمَّا أَنْ لَا يُقِرُّوا بِرَبٍّ هَذَا شَأْنُهُ، فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ آمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالدِّينِ الْأَمْرِيِّ وَالْجَزَائِيِّ.

وَإِنْ أَنْكَرُوهُ، وكَفَرُوا[(٦)] بِهِ، فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَرْبُوبِينَ، وَلَا مَحْكُومٍ عَلَيْهِمْ، وَلَا لَهُمْ رَبٌّ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَمَا أَرَادَ، فَهَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ، وَعَلَى رَدِّ الرُّوحِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ؟

وَهَذَا خِطَابٌ لِلْحَاضِرِينَ وَهُمْ عِنْدَ الْمُحْتَضِرِ، وَهُمْ يُعَايِنُونَ[(٧)] مَوْتَهُ، أَيْ[(٨)]: فَهَلَّا تَرُدُّونَ رُوحَهُ[(٩)] إِلَى مَكَانِهَا إِنْ كَانَ لَكُمْ قُدْرَةٌ وَتَصَرُّفٌ، وَلَسْتُمْ مَرْبُوبِينَ[(١٠)] وَلَا مَقْهُورِينَ[(١١)] لِقَاهِرٍ، قَادِرٍ، يُمْضِي[(١٢)] عَلَيْكُمْ أَحْكَامَهُ، وَيَنْفُذُ فيكم أَوَامِرُهُ[(١٣)]؟

وَهَذَا غَايَةُ التَّعْجِيزِ لَهُمْ، إِذْ تَبَيِّنَ[(١٤)] عَجْزُهُمْ عَنْ رَدِّ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ [من مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ][(١٥)]، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ الثَّقَلَانِ.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٢) في (ب): بأن.
(٣) ساقطة من: (ط).
(٤) ساقطة من: (ط).
(٥) في (ط): سيميتهم.
(٦) في (ط): كفروا.
(٧) في (ب): ويعاينون.
(٨) ساقطة من: (ب).
(٩) في (ط): الروح.
(١٠) في (ط): بمربوبين.
(١١) في (ط): بمقهورين.
(١٢) في (ط): تمضي.
(١٣) في (ط): وتنفذ أوامره.
(١٤) في (ب، ط): بيَّن.
(١٥) بدل ما بين المعقوفين في (ط): إلى مكانها.

فَيَا لَهَا مِنْ آيَةٍ دَالَّةٍ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، ووَحْدَانِيَّتِهِ، وَتَصَرُّفِهِ فِي عِبَادِهِ، وَنُفُوذِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ، وَجَرَيَانِهَا عَلَيْهِمْ.

وَالدِّينُ دِينَانِ: دِينٌ شَرْعِيٌّ أَمْرِيٌّ، وَدِينٌ حِسَابِيٌّ جَزَائِيٌّ، وَكِلَاهُمَا للهِ وَحْدَهُ.

فَالدِّينُ كُلُّهُ للهِ سُبْحَانَهُ؛ أَمْرًا، أَوْ جَزَاءً.

وَالْـمَحَبَّةُ أَصْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الدِّينَيْنِ.

فَإِنَّ مَا شَرَعَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَمَرَ بِهِ؛ فَإِنَّهُ[١] يُحِبُّهُ، وَيَرْضَاهُ، وَمَا نَهَى عَنْهُ فَإِنَّهُ يَكْرَهُهُ وَيُبْغِضُهُ؛ لِـمُنَافَاتِهِ لِـمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، فَهُوَ يُحِبُّ ضِدَّهُ، فَعَادَ دِينُهُ الْأَمْرِيُّ كُلُّهُ إِلَى مَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ.

وَدِينُ الْعَبْدِ للهِ بِهِ[٢] إِنَّمَا يُقْبَلُ إِذَا كَانَ عَنْ مَحَبَّةٍ وَرِضى[٣]، كَمَا[٤] قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥]: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **رَسُولًا**»[٦].

فَهَذَا الدين قَائِمٌ بِالْـمَحَبَّةِ، وَبِسَبَبِهَا شُرِعَ، وَلِأَجْلِهَا شُرِعَ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَ.

وَكَذَلِكَ دِينُهُ الْجَزَائِيُّ، فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ مُجَازَاةَ الْـمُحْسِنِ بِإِحْسَانِهِ، وَالْـمُسِيءِ بِإِسَاءَتِهِ، وَكُلٌّ[٧] مِنَ الْأَمْرَيْنِ مَحْبُوبٌ لِلرَّبِّ، فَإِنَّهُمَا عَدْلُهُ وَفَضْلُهُ، وَكِلَاهُمَا مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَيُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهَا.

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الدِّينَيْنِ فَهُوَ صِرَاطُهُ الْـمُسْتَقِيمُ، الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فِي أَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَثَوَابِهِ، وَعِقَابِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ[٨]،

---

(١) ساقطة من: (ط١).
(٢) ساقطة من: (ب)، وفي (أ): ودين العبد به.
(٣) في (ط): محبته ورضاه.
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (ب): قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
(٦) مسلم [٣٤] من حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٧) في (ب): فكل.
(٨) في (ط): هود عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أنه[1] قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦].

وَلَـمَّا عَلِمَ نَبِيُّ اللهِ [هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ][2] أَنَّ رَبَّـهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَمَنْعِهِ وَعَطَائِهِ، وَعَافِيَتِهِ وَبَلَائِهِ، وَتَوْفِيقِهِ وَخِذْلَانِهِ، لَا يَخْرُجُ فِي ذَلِكَ عَنْ مُوجِبِ كَمَالِهِ الْـمُقَدَّسِ، الَّذِي تَقْتَضِيهِ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ، مِنَ الْعَدْلِ وَالْحِكْمَـةِ وَالرَّحْمَـةِ وَالْإِحْسَـانِ وَالْفَضْـلِ، وَوَضْعِ الثَّـوَابِ فِي[3] مَوضِعِـهِ، وَالْعُقُوبَةِ فِي مَوْضِعِهَا اللَّائِقِ بِهَا، وَوَضْعِ التَّوْفِيقِ وَالْخِذْلَانِ وَالْعَطَاءِ وَالْـمَنْعِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ، كُلُّ ذَلِكَ فِي أَمَاكِنِهِ، وَمَحَالِّهِ اللَّائِقَةِ بِهِ، بِحَيْثُ يَسْتَحِقُّ عَلَى ذَلِكَ كَمَالَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ: أَوْجَبَ لَـهُ ذَلِكَ الْعِلْـمَ وَالْعِرْفَانَ، أن[4] نَادَى عَلَى رُؤُوسِ الْـمَلَأِ مِنْ قَوْمِـهِ بِجَنَانٍ ثَابِتٍ، وَقَلْبٍ غَـيْرِ خَائِفٍ، بَلْ مُتَجَرِّدٍ لِلهِ: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦]][5].

ثُـمَّ أَخْـبَرَ عَنْ عُمُـومِ قُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ لِـكُلِّ مَا سِوَاهُ، وَذُلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِـهِ، فَقَالَ: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦]. فكيـف أَخَـافُ[6] مَـا[7] نَاصِيَتُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ، وَهُـوَ فِي قبضتـه[8]، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُـلْطَانِهِ دُونَهُ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا مِنْ أَجْهَـلِ الْجَهْلِ، وَأَقْبَحِ الظُّلْمِ؟!

ثُـمَّ أَخْـبَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ[9] عَلَى صِرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ، فِي كلِّ مَـا يَقْضِيهِ وَيُقَـدِّرُهُ، فَلَا يَخَافُ

---

(١) في (ط): إذ.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط١).

(٣) ساقطة من: (ط).

(٤) في (ط): إذ.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ، ب).

(٦) في (ب): خاف.

(٧) في (ط): من.

(٨) في (ط): وهو في قهره وقبضته.

(٩) في (ب): ثم إنه أخبر سُبْحَانَهُ، وفي (أ): ثم إنه سُبْحَانَهُ أخبر أنه.

الْعَبْدُ جَوْرَهُ وَلَا ظُلْمَهُ، فَلا[١] أَخَافُ مَا دُونَهُ، فَإِنَّ نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ، وَلَا أَخَافُ جَوْرَهُ، وَلا ظُلْمَهُ[٢]، فَإِنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ مَاضٍ فِي عَبْدِهِ حُكْمُهُ، عَدْلٌ فِيهِ قَضَاؤُهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ.

لَا يَخْرُجُ فِي تَصَرُّفِهِ فِي عِبَادِهِ عَنِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ، إِنْ أَعْطَى وَأَكْرَمَ وَهَدَى وَوَفَّقَ فَبِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَإِنْ مَنَعَ وَأَهَانَ وَأَضَلَّ وَخَذَلَ وَأَشْقَى فَبِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ فِي هَذَا وَهَذَا[٣].

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَا أَصَابَ عَبْدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ[٤] بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ: أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ[٥] رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَغَمَّهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فرحًا»، [قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهُنَّ؟ قَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[٦]][٧].

وَهَذَا يَتَنَاوَلُ حُكْمَ[٨] الرَّبِّ الْكَوْنِيَّ وَالْأَمْرِيَّ، وَقَضَاءَهُ الَّذِي يَكُونُ بِاخْتِيَارِ الْعَبْدِ، وَغَيْرِ اخْتِيَارِهِ.

وَكِلَا[٩] الْحُكْمَيْنِ مَاضٍ فِي عَبْدِهِ، وَكِلَا الْقَضَائَيْنِ عَدْلٌ فِيهِ، فَهَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، بَيْنَهُمَا أَقْرَبُ نَسَبٍ.

---

(١) في (ب): ولا.
(٢) في (ط): ولا أخاف جوره وظلمه.
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (ط): أسألك اللهم.
(٥) في (أ، ط): القرآن العظيم.
(٦) صحيحٌ: سبق تخريجه.
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب، ط١). والمثبت من: (أ، ط).
(٨) ساقطة من: (أ).
(٩) في (ط١): فكلا.

فَصْلٌ

وَنَخْتِمُ الجَوَابَ بِفَصْلٍ يتَعَلَّقُ[١] بِعِشْقِ الصُّوَرِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَإِنْ كَانَتْ أَضْعَافَ مَا يَذْكُرُهُ[٢] ذَاكِرٌ.

فَإِنَّهُ يُفْسِدُ الْقَلْبَ بِالذَّاتِ، وَإِذَا فَسَدَ[٣]؛ فَسَدَتِ الْإِرَادَاتُ وَالْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ، وَفَسَدَ نَفْسُ[٤] التَّوْحِيدِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَمَا سَنُقَرِّرُهُ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِنَّمَا حَكَى هَذَا[٥] الْمَرَضَ عَنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ النَّاسِ، وَهُمُ اللُّوطِيَّةُ وَالنِّسَاءُ.

فَأَخْبَرَ عَنْ عِشْقِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ لِيُوسُفَ[٦] عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[٧]، وَمَا رَاوَدَتْهُ وَكَادَتْهُ بِهِ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْحَالِ الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا يُوسُفُ بِصَبْرِهِ وَعِفَّتِهِ وَتَقْوَاهُ، مَعَ أَنَّ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَمْرٌ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ صَبَّرَهُ اللهُ عليه[٨].

فَإِنَّ مُوَافَقَةَ[٩] الْفِعْلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ الدَّاعِي، وَزَوَالِ الْمَانِعِ، وَكَانَ الدَّاعِي هَهُنَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا. مَا رَكَّبَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي طَبْعِ الرَّجُلِ مِنْ مَيْلِهِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَمَا يَمِيلُ الْعَطْشَانُ إِلَى الْمَاءِ، وَالْجَائِعُ إِلَى الطَّعَامِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَا يَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ، وَهَذَا لَا يُذَمُّ إِذَا صَادَفَ حِلًا[١٠]، بَلْ يُحْمَدُ.

---

(١) في (ط): متعلق.
(٢) في (ط): ذكره.
(٣) في (ط): وإذا فسد القلب.
(٤) في (ط): ثغر.
(٥) في (أ): لهذا.
(٦) في (أ): يوسف.
(٧) «عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» زيادة من: (أ).
(٨) ساقطة من: (أ، ط).
(٩) في (ط): مواقعة.
(١٠) في (ط): حلالًا.

كَمَا فِي «كِتَابِ الزُّهْدِ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ عَطِيَّةَ الصَّفَّارِ، عَنْ ثَابِتٍ(١)، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ [أنهُ قالَ](٢): «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، أَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ**»(٣).

الثَّانِي- أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ شَابًّا، وَشَهْوَةُ الشَّبَابِ وَحِدَّتُهُ أَقْوَى.

الثَّالِثُ- أَنَّهُ كَانَ عَزَبًا، لَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَلَا سُرِّيَّةٌ تَكْسِرُ شِدَّةَ(٤) الشَّهْوَةِ.

الرَّابِعُ- أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ غُرْبَةٍ(٥)، يَتَأَتَّى لِلْغَرِيبِ فِيهَا مِنْ قَضَاءِ الْوَطَرِ، مَا لَا يَتَأَتَّى لَهُ فِي وَطَنِهِ، بَيْنَ أَهْلِهِ وَمَعَارِفِهِ.

الْخَامِسُ- أَنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، بِحَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَدْعُو إِلَى مُوَاقَعَتِهَا(٦).

---

(١) في (ط): عن ثابت البناني. (٢) زيادة من: (ب).

(٣) ضعيف جدًا، وصحَّ بلفظ آخر. لم أقف عليه في المطبوع من الزهد، وقد قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكشاف» (١/ ١٩٦): «ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب: «الزهد» لأبيه، من غير طريق أبيه، فقال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبو معمر، ثنا يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة**» انتهى. ولم يذكره باللفظ الذي ذكره العلامة ابن القيم، واللفظ الذي ذكره الزيلعي صحيح. («صحيح الجامع» [٣١٢٤]).

وأقرب ما رأيته مما ذكره ابن القيم هو ما رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٣٥) من طريق يوسف ابن عَطِيَّةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ، وَحَبَّبَ إِلَيَّ الطِّيبَ كَمَا حَبَّبَ إِلَى الْجَائِعِ الطَّعَامَ، وَإِلَى الظَّمْآنِ الْمَاءَ، وَالْجَائِعُ يَشْبَعُ وَالظَّمْآنُ يُرْوَى، وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ**». وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْبَيْتَ يَكُونُ فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ» انتهى. وهذا سند ضعيف جدًا، يوسف بن عطية: متروكٌ.

(٤) في (ب): سَورَ، وفي (ط): قوة.

(٥) في (أ): الغربة.

(٦) في (أ، ب): موافقتها.

السَّـادِسُ- أَنَّهَـا غَيْرُ مُـمْتَنِعَـةٍ، وَلَا آبِيَةٍ، فَإِنَّ(١) كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُزِيـلُ(٢) رَغْبَتَهُ فِي الْـمَـرْأَةِ إِبَاؤُهَا وَامْتِنَاعُهَا، لِـمَا يَجِدُ فِي نَفْسِـهِ [مِنْ ذُلِّ](٣) الْـخُضُوعِ وَالسُّؤَالِ لَهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَزِيدُهُ الْإِبَاءُ وَالِامْتِنَاعُ إِرَادَةً وَحُبًّا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَزَادَنِي كَلَفًا فِي الْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ ... أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا(٤)

فَطِبَاعُ النَّاسِ مُـخْتَلِفَةٌ [فِي ذلِـك](٥)، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّـهُ عِنْدَ بَذْلِ الْـمَرْأَةِ وَرَغْبَتِهَا، وَيَضْمَحِلُّ عِنْدَ إِبَائِهَا وَامْتِنَاعِهَا.

وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْقُضَاةِ أَنَّ إِرَادَتَهُ وَشَـهْوَتَهُ تَضْمَحِلُّ عِنْدَ امْتِنَـاعِ امْرَأَتِهِ أَوْ سُرِّيَّتِهِ، وَإِبَائِهَا، بِحَيْثُ لَا يُعَاوِدُهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَضَاعَفُ حُبُّهُ وَإِرَادَتُهُ بِالْـمَنْعِ، [فَيَشْـتَدُّ شَـوْقُهُ، وتشتدُّ شهوتُهُ](٦) كُلَّمَا مُنِعَ، وَيَحْصُـلُ [لَهُ مِنَ اللَّـذَّةِ بِالظَّفَرِ، نَظِيرُ مَـا يَحْصُلُ](٧) مِنَ لَذَّةٍ بِالظَّفَرِ بِالصَّيدِ(٨) بَعْدَ امْتِنَاعِـهِ وَنِفَـارِهِ، وَاللَّذَّةُ(٩) بِإِدْرَاكِ الْـمَسْـأَلَةِ بَعْدَ اسْـتِعْصَائِهَا(١٠)، وَشِـدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى إِدْرَاكِهَا.

السَّـابِعُ- أَنَّهَـا طَلَبَـتْ، وأرادت، ورَاوَدَتْ(١١)، وَبَذَلَـتِ الْـجُهْـدَ، فَكَفَتْـهُ مُؤْنَـةَ

---

(١) ساقطة من: (أ). (٢) في (أ): تزيل. (٣) ساقط من: (ب).

(٤) «البيت منسوب» للأحوص بن محمد الأنصاري كما في كتاب: «الموشي» للوشاء ص: [١٣٩]، و«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٣/ ٢٥٨).

(٥) ساقط من: (ط).

(٦) في (أ، ب، ط): «فيشتد شوقه»، وفي (ط ١) - اعتمادا على بعض النسخ -: «وتشتد شهوته» وجمعت بين الجملتين لصحة السياق، ومناسبة المعنى، مع تنبيهي على ما في النسخ. والله الموفق.

(٧) ساقط من: (أ).

(٨) في (أ، ب، ط): بالضد، والمثبت من: (ط١) اعتمادا على نسخة واحدة.

(٩) في (ب): فاللذة. (١٠) في (ط): استصعابها. (١١) ساقطة من: (أ، ب).

الطَّلَبِ، وَذُلَّ الرَّغْبَةِ إِلَيْهَا، بَلْ كَانَتْ هِيَ الرَّاغِبَةَ الذَّلِيلَةَ(١)، وَهُوَ الْعَزِيزُ، الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ.

الثَّامِنُ- أَنَّهُ فِي دَارِهَا، وَتَحْتَ سُلْطَانِهَا وَقَهْرِهَا، بِحَيْثُ يَخْشَى إِنْ لَمْ يُطَاوِعْهَا مِنْ أَذَاهَا لَهُ، فَاجْتَمَعَ دَاعِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ.

التَّاسِعُ- أَنَّهُ لَا يَخْشَى(٢) أَنْ تَنِمَّ عَلَيْهِ هِيَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جِهَتِهَا، فَإِنَّهَا هِيَ الطَّالِبَةُ والراغبة(٣)، وَقَدْ غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ، وَغَيَّبَتِ الرُّقَبَاءَ.

الْعَاشِرُ- أَنَّهُ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَمْلُوكًا لَهَا(٤) فِي الدَّارِ، بِحَيْثُ يَدْخُلُ، وَيَخْرُجُ، وَيَحْضُرُ مَعَهَا، وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ، فكَانَ(٥) الْأُنْسُ سَابِقًا عَلَى الطَّلَبِ، وَهُوَ مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي.

كَمَا قِيلَ لِامْرَأَةٍ شَرِيفَةٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى الزِّنَى؟ قَالَتْ: «قُرْبُ الْوِسَادِ، وَطُولُ السَّوَادِ»، [تَعْنِي قُرْبَ وِسَادِ الرَّجُلِ مِنْ وِسَادِي(٦)، وَطُولَ السَّوَادِ(٧)](٨) بَيْنَنَا.

الْحَادِيَ عَشَرَ- أَنَّهَا اسْتَعَانَتْ عَلَيْهِ بِأَئِمَّةِ الْمَكْرِ وَالِاحْتِيَالِ، فَأَرَتْهُ إِيَّاهُنَّ، وَشَكَتْ حَالَهَا إِلَيْهِنَّ؛ لِتَسْتَعِينَ بِهِنَّ عَلَيْهِ، فَاسْتَعَانَ هُوَ بِاللهِ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

الثَّانِيَ عَشَرَ- أَنَّهَا تَوَاعَدَتْهُ(٩) بِالسِّجْنِ وَالصَّغَارِ، وَهَذَا نَوْعُ إِكْرَاهٍ، إِذْ هُوَ تَهْدِيدُ مِمَّنْ(١٠) يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ وُقُوعُ مَا هَدَّدَ بِهِ، فَيَجْتَمِعُ دَاعِي الشَّهْوَةِ، وَدَاعِي السَّلَامَةِ مِنْ ضِيقِ السِّجْنِ وَالصَّغَارِ.

---

(١) ساقطة من: (ب). (٢) في (أ): أنها لا تخشى. (٣) في (أ، ط): الراغبة.
(٤) ساقطة من: (ب). (٥) في (أ، ط): وكان.
(٦) في (أ): قرب وسادة الرجل من وسادتي، وفي (ط): قرب وساد الرجل من وسادتي.
(٧) في (ط): السرار. (٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٩) في (ط): توعدته. (١٠) في (أ، ط): من.

الثَّالِثَ عَشَرَ- أَنَّ الزَّوْجَ لَمْ يَظْهَرْ[(١)] منهُ[(٢)] مِنَ الْغَيْرَةِ[(٣)] وَالنَّخْوَةُ مَا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَهُمَا، وَيُبْعِدُ كُلًّا مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، بَلْ كَانَ غَايَةَ مَا قَابَلَهما[(٤)] بِهِ أَنْ قَالَ: لِيُوسُفَ: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾، وَلِلْمَرْأَةِ[(٥)]: ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩]. وَشِدَّةُ الْغَيْرَةِ في الرَّجُلِ[(٦)] مِنْ أَقْوَى الْـمَوَانِعِ، وهذا لَمْ يَظْهَرْ[(٧)] مِنْهُ غَيْرَةٌ.

وَمَعَ هَـٰذِهِ الدَّوَاعِي كُلِّهَا، فَآثَرَ مَرْضَاةَ اللهِ وَخَوْفَهُ، وَحَمَلَهُ حُبُّهُ للهِ عَلَى أَنِ اخْتَارَ السَّجْنَ عَلَى الزِّنَى، فقال[(٨)]: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُطِيقُ صَرْفَ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنَّ رَبَّهُ تَعَالَىٰ إِنْ لَمْ يَعْصِمْهُ وَيَصْرِفْهُ[(٩)] عَنْهُ كَيْدَهُنَّ؛ صَبَا إِلَيْهِنَّ بِطَبْعِهِ، وَكَانَ[(١٠)] مِنَ الْجَاهِلِينَ، وَهَـٰذَا مِنْ كَمَالِ مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ وَبِنَفْسِهِ.

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْفَوَائِدِ وَالْحِكَمِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ فَائِدَةٍ، لَعَلَّنَا إِنْ وَفَّقَ[(١١)] اللهُ أَنْ نُفْرِدَهَا فِي مُصَنَّفٍ مُسْتَقِلٍّ.

❁❁❁

---

(١) في (أ): تظهر.
(٢) ساقطة من: (ط).
(٣) في (ط): الغير.
(٤) في (ب، ط): ما قابلها.
(٥) في (أ): وقال للمرأة.
(٦) في (ط): للرجل.
(٧) في (ب): لم تظهر.
(٨) ساقطة من: (ط).
(٩) في (ط): ويصرف.
(١٠) في (ط): فكان.
(١١) في (أ): وفقنا.

فَصْلٌ

وَالطَّائِفَةُ الثَّانِيَةُ، الَّذِينَ[١] حَكَى اللهُ عَنْهُمُ[٢] الْعِشْقَ: هُمُ اللُّوطِيَّةُ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٠ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٧١ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٦٧ - ٧٢]. فَهَذِهِ عَشِقَتْ[٣].

فَحَكَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ[٤] عَنْ طَائِفَتَيْنِ، عَشِقَ كُلٌّ مِنْهُمَا مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ مِنَ الصُّوَرِ، وَلَمْ يُبَالِ بِمَا فِي عِشْقِهِ مِنَ الضَّرَرِ.

وَهَذَا دَاءٌ أَعْيَا الْأَطِبَّاءَ دَوَاؤُهُ، وَعَزَّ عَلَيْهِمْ شِفَاؤُهُ، وَهُوَ لَعَمْرُ اللهِ الدَّاءُ الْعُضَالُ، وَالسُّمُّ الْقَتَّالُ، الَّذِي مَا عَلِقَ بِقَلْبٍ إِلَّا وَعَزَّ عَلَى الْوَرَى استنقاذه[٥] مِنْ إِسَارِهِ، وَلَا اشْتَعَلَتْ نَارُهُ فِي مُهْجَةٍ إِلَّا وَصَعُبَ[٦] عَلَى الْخَلْقِ تَخْلِيصُهَا مِنْ نَارِهِ.

وَهُوَ أَقْسَامٌ:

فإنه[٧] تارةً يَكُونُ كُفْرًا، كَمَنِ اتَّخَذَ مَعْشُوقَهُ نِدًّا، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللهَ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ مَحَبَّتُهُ أَعْظَمَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ فِي قَلْبِهِ؟ فَهَذَا عِشْقٌ لَا يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الشِّرْكِ، وَاللهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَإِنَّمَا يَغْفِرُ بِالتَّوْبَةِ الْمَاحِيَةِ[٨].

وَعَلَامَةُ هَذَا الْعِشْقِ الشِّرْكِيِّ الْكُفْرِيِّ: أَنْ يُقَدِّمَ الْعَاشِقُ رِضَا مَعْشُوقِهِ عَلَى رِضَا رَبِّهِ[٩]، وَإِذَا تَعَارَضَ عِنْدَهُ حَقُّ مَعْشُوقِهِ وَحَظُّهُ، وَحَقُّ رَبِّهِ وَطَاعَتُهُ، قَدَّمَ حَقَّ مَعْشُوقِهِ

---

(١) في (ب): الذي ذكر حكى..
(٢) في (ط١): حكى عنهم.
(٣) في (ط): فهذه الأمة عشقت.
(٤) في (ط، ط١): فحكاه سبحانه.
(٥) في (ط): خلاصه.
(٦) في (ب): وضعف.
(٧) ساقطة من: (ب، ط).
(٨) في (ط): بالتوبة الماحية ما دون ذلك.
(٩) في (ط): رضاء معشوقه على رضاء ربه.

عَلَى حَقِّ رَبِّهِ، وَآثَرَ رِضَاهُ عَلَى رِضَاهُ، وَبَذَلَ لِمَعْشُوقِهِ[١] أَنْفَسَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَبَذَلَ لِرَبِّهِ - إِنْ بَذَلَ - أَرْدَأَ مَا عِنْدَهُ، وَاسْتَفْرَغَ وُسْعَهُ فِي مَرْضَاةِ مَعْشُوقِهِ، وَطَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ لِرَبِّهِ - إِنْ أَطَاعَهُ - الْفَضْلَةَ الَّتِي تَفْضُلُ عَنْ مَعْشُوقِهِ مِنْ سَاعَاتِهِ.

فَتَأَمَّلْ حَالَ أَكْثَرِ عُشَّاقِ الصُّوَرِ تَجِدْهَا[٢] مُطَابِقَةً لِذَلِكَ، ثُمَّ ضَعْ حَالَهُمْ فِي كِفَّةٍ، وَتَوْحِيدَهُمْ وَإِيمَانَهُمْ فِي كِفَّةٍ، وَزِنْ[٣] وَزْنًا يرضي اللهَ ورسولَهُ[٤]، وَيُطَابِقُ الْعَدْلَ.

وَرُبَّمَا صَرَّحَ الْعَاشِقُ مِنْهُمْ بِأَنَّ وَصْلَ مَعْشُوقِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ رَبِّهِ، كَمَا قَالَ الْعَاشِقُ الْخَبِيثُ[٥]:

يَتَرَشَّفْنَ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ ... هُنَّ أَحْلَى فِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ[٦]

وَكَمَا صَرَّحَ الْخَبِيثُ[٧] الْآخَرُ: بِأَنَّ وَصْلَ مَعْشُوقِهِ[٨] أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ، [فَعِيَاذًا بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ هَذَا الْخِذْلَانِ، فقالَ:

وَصْلُكَ أَشْهَى إِلَى فُؤَادِي ... مِنْ رَحْمَةِ الخَالِقِ الجَلِيلِ[٩]][١٠].

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْعِشْقَ مِنْ أَعْظَمِ الشِّرْكِ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْعُشَّاقِ[١١] يُصَرِّحُ بِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهِ مَوْضِعٌ لِغَيْرِ مَعْشُوقِهِ أَلْبَتَّةَ، بَلْ قَدْ مَلَكَ مَعْشُوقُهُ[١٢] عَلَيْهِ قَلْبَهُ كُلَّهُ[١٣]، فَصَارَ عَبْدًا مَحْضًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ لِمَعْشُوقِهِ، فَقَدْ رَضِيَ هَذَا مِنْ عُبُودِيَّةِ الْخَالِقِ جَلَّ جَلَالُهُ بِعُبُودِيَّةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ.

---

(١) في (ط): له.
(٢) في (ط١): هل تجدها.
(٣) في (ط): ثم زن.
(٤) في (ط): يرضى الله به ورسوله.
(٥) في (أ): الحبيب!
(٦) البيت للمتنبي كما في «ديوانه» ص: [١٣].
(٧) في (أ): الحبيب!
(٨) في (ط): أن وصله.
(٩) تقدم هذا البيت.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط)، وبدله: وقد مرَّ.
(١١) في (ط): وكثير منهم.
(١٢) ساقطة من: (ط).
(١٣) ساقطة من: (أ).

فَإِنَّ الْعُبُودِيَّةَ: هِيَ كَمَالُ الْحُبِّ وَالْـخُضُوعِ.

وَهَذَا قَدِ اسْتَفْرَغَ قُوَّةَ حُبِّهِ وَخُضُوعِهِ وَذُلِّهِ لِـمَعْشُوقِهِ، فَقَدْ أَعْطَاهُ حَقِيقَةَ الْعُبُودِيَّةِ.

وَلَا نِسْبَةَ بَيْنَ مَفْسَدَةِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَمَفْسَدَةِ[١] الْفَاحِشَةِ، فَإِنَّ تِلْكَ ذَنْبٌ كَبِيرٌ، لِفَاعِلِهِ حُكْمُ أَمْثَالِهِ. وَمَفْسَدَةُ هَذَا الْعِشْقِ[٢] مَفْسَدَةُ الشِّرْكِ.

وَكَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ الْعَارِفِينَ يَقُولُ: «لَأَنْ أُبْتَلَى بِالْفَاحِشَةِ[٣] مَعَ تِلْكَ الصُّورَةِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ[٤] أَنْ أُبْتَلَى فِيهَا بِعِشْقٍ يَتَعَبَّدُ لَهَا قَلْبِي، وَيَشْغَلُهُ عَنِ اللهِ».

❁ ❁ ❁

---

(١) في (أ): مفسدة، وفي (ب): وبين مفسدة.

(٢) في (ب): ومفسدة الفاحشة هذا العشق.

(٣) في (ب): يقول: «مفسدة الفاحشة لئن أبتلى بالفاحشة».

(٤) ساقطة من: (ب).

فَصْلٌ

وَدَوَاءُ هَـذَا الـدَّاءُ الْقَتَّالُ: أَنْ يَعْـرِفَ مَا ابْتُلِيَ بِهِ مِنْ هَذَا الـدَّاءِ الْـمُضَادِّ لِلتَّوْحِيدِ، أَوَّلًا[١].

ثُـمَّ يَأْتِي مِنَ الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِمَا يَشْـغَلُ قَلْبَهُ عَنْ دَوَامِ الْفِكْرَةِ فِيهِ، وَيُكْثِرُ اللَّجَأَ[٢] وَالتَّضَرُّعَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي صَرْفِ ذَلِكَ عَنْهُ، وَأَنْ يُرَاجِعَ بِقَلْبِهِ إِلَيْهِ.

وَلَيْـسَ لَـهُ دَوَاءٌ أَنْفَعُ مِـنَ الْإِخْلَاصِ للهِ، وَهُوَ الـدَّوَاءُ[٣] الَّذِي ذَكَـرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٢٤]

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ مِنَ الْعِشْقِ وَالْفَحْشَاءَ مِنَ الْفِعْلِ بِإِخْلَاصِهِ.

فَـإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا خلَصَ[٤]، وَأَخْلَصَ عَمَلَهُ للهِ؛ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ عِشْـقُ الصُّوَرِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِنْ قَلْبٍ فَارِغٍ، كَمَا قِيلَ[٥]:

فَـصَادَفَ قَلْـبًا خَالِيًا[٦] فَتَمَكَّنَا[٧]

وَلْيَعْلَـمِ الْعَاقِلُ: أَنَّ الْعَقْلَ وَالـشَّرْعَ يُوجِبَانِ تَحْصِيلَ الْـمَصَالِحِ وَتَكْمِيلَهَا، وَإِعْدَامَ الْـمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلَهَا.

---

(١) في (ط): (أن يعرف [أن] ما ابتلي به من [هذا] الداء المضاد للتوحيد: «إِنَّمَا هُوَ مِنْ جَهْلِهِ وَغَفْلَةِ قَلْبِهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ تَوْحِيدَ رَبِّهِ وَسُنَّتَهُ» أَوَّلًا). وما بين المعقوفين ليس في شيء من النسخ الخطية للكتاب، بل مقحمة من الناشر.

(٢) في (ب): الالتجاء.

(٣) في (أ): الداء.

(٤) في (ب): خلص لله.

(٥) في (ط، ط١): قال.

(٦) أشار في هامش (ب) أنه في نسخة: فارغًا.

(٧) في (ط): أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا.
وقد تقدم هذا البيت.

فَإِذَا عَرَضَ لِلْعَاقِلِ أَمْرٌ يَرَى[١] فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَمَفْسَدَةٌ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ: أَمْرٌ عِلْمِيٌّ، وَأَمْرٌ عَمَلِيٌّ.

فَالْعِلْمِيُّ: طَلَبُ مَعْرِفَةِ الرَّاجِحِ مِنْ طَرَفَيِ الْمَصْلَحَةِ وَالْمَفْسَدَةِ، فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الرُّجْحَانُ وَجَبَ عَلَيْهِ إِيثَارُ[٢] الْأَصْلَحِ لَهُ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي عِشْقِ الصُّوَرِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، بَلْ مَفْسَدَتُهُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا يُقَدَّرُ فِيهِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ، وَذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا- الِاشْتِغَالُ بِحُبِّ الْمَخْلُوقِ وَذِكْرِهِ، عَنْ حُبِّ الرَّبِّ تَعَالَىٰ[٣] وَذِكْرِهِ، فَلَا[٤] يَجْتَمِعُ فِي الْقَلْبِ هَذَا وَهَذَا، إِلَّا وَيَقْهَرُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ[٥]، وَيَكُونُ السُّلْطَانُ وَالْغَلَبَةُ لَهُ.

الثَّانِي- عَذَابُ قَلْبِهِ بِمَعْشُوقِهِ[٦]، فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا غَيْرَ اللهِ عُذِّبَ بِهِ وَلَابُدَّ[٧]:

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ ... وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلْوَ الْمَذَاقِ
تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حِينٍ ... مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِاشْتِيَاقِ
فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ ... وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا حَذَرَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ ... وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِي[٨]

[وَالْعِشْقُ وَإِنِ اسْتَعْذَبَهُ الْعَاشِقُ[٩]، فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مِنْ عَذَابِ الْقَلْبِ][١٠].

---

(١) في في (ب): ترى.
(٢) في (أ): إتيان.
(٣) في (ب): عن حب رب العالمين تعالى.
(٤) في (ب): لا.
(٥) في (ط): الآخر.
(٦) في (ط): به.
(٧) في (ط): ولابد، كما قيل.
(٨) ذكره ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٤٠)، و«البيت منسوب» لأبي محجن نصيب بن رباح كما في «ديوانه» ص: [١١١]، وفيه: «باكيا أبدًا حزينًا».
(٩) في (ط): صاحبه.
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

الثَّالِثُ- أَنَّ العاشـق[(١)] قَلْبَهُ أَسِيرٌ في قَبْضَةِ مَعْشُـوقِهِ[(٢)]، يَسُـومُهُ الْهَوَانَ[(٣)]، وَلَكِنْ لِسَكْرَةِ العشقِ لَا يَشْعُرُ[(٤)] بِمُصَابِهِ. فَقَلْبُهُ:

كَعُصْفُورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُهَا ... حِيَاضَ الرَّدَى وَالطِّفْلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ[(٥)]

فَعَيْشُ الْعَاشِـقِ عَيْشُ الْأَسِيرِ الْـمُوثَقِ، وَعَيْشُ الْخَلِيِّ عَيْشُ الْـمُسَيَّبِ الْـمُطْلَقِ[(٦)]. [فَالعَاشِقُ كَمَا قِيلَ][(٧)]:

طَلِيقٌ بِـرَأْيِ الْـعَـيْنِ وَهْـوَ أَسِيرُ ... عَلِيلٌ عَلَى قُطْبِ الْهَلَاكِ يَدُورُ
وَمَيِّتٌ يُرَى فِي صُورَةِ الْحَيِّ غَادِيًا ... وَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ
أَخُو غَمَرَاتٍ ضَاعَ فِيهِنَّ قَلْبُهُ ... فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ حُضُورُ[(٨)]

الرَّابِـعُ- أَنَّهُ[(٩)] يَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ مَصَالِـحِ دِينِهِ وَدُنْيَـاهُ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَضْيَـعَ لِـمَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ عِشْقِ الصُّوَرِ.

---

(١) ساقطة من: (ط). (٢) في (ط): غيره.
(٣) في (ب): إن! الهوان. (٤) في (ط): لسكرته لا يشعر.
(٥) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٠٣]، وهو منسوب لمحمد بن حمزة بن عبد الملك الزيات كما في «اعتلال القلوب» للخرائطي (٢/ ٣١٢) وعجز البيت عنده: «ورود حياض الموت والطفل يلعب».
(٦) في (ط): كَمَا قَالَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ:

مَلَكْتَ فُؤَادِي بِالْقَطِيعَةِ وَالْجَفَا ... وَأَنْتَ خَلِيُّ الْبَالِ تَلْهُو وَتَلْعَبُ
فَعَيْشُ الْعَاشِقِ عَيْشُ الْأَسِيرِ الْمُوثَقِ ... وَعَيْشُ الْخَلِيِّ عَيْشُ الْمُسَيَّبِ الْمُطْلَقِ

ثم أكمل بالأبيات الثلاثة الآتية!
(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).
(٨) لم أجد من ذكرها، سوى صدر البيت الأول، أنشده ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٠٣]، وأنشد ابن الجوزي في «التبصرة» (٢/ ١٩٢) بيتا يشبه عجز البيت الأول وهو:

لا تعتبن على الزمان فإنه ... فلك على قطب الهلاك يدور

(٩) في (أ، ب): أن، والمثبت من: (ط).

أَمَّا مَصَالِحُ الدِّينِ: فَإِنَّهَا مَنُوطَةٌ بِلَمِّ شَعَثِ الْقَلْبِ، وَإِقْبَالِهِ عَلَى اللهِ، وَعِشْقُ الصُّوَرِ أَعْظَمُ شَيْءٍ تَشْعِيثًا(١) وَتَشْتِيتًا لَهُ.

وَأَمَّا مَصَالِحُ الدُّنْيَا: فَهِيَ تَابِعَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِمَصَالِحِ الدِّينِ، فَمَنِ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دِينِهِ(٢)، وَضَاعَتْ عَلَيْهِ، فَمَصَالِحُ دُنْيَاهُ(٣) أَضْيَعُ وَأَضْيَعُ.

الْخَامِسُ- أَنَّ آفَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَسْرَعُ إِلَى عُشَّاقِ الصُّوَرِ مِنَ النَّارِ فِي يَابِسِ الْحَطَبِ.

وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ الْقَلْبَ كُلَّمَا قَرُبَ مِنَ الْعِشْقِ، وَقَوِيَ اتِّصَالُهُ بِهِ بَعُدَ مِنَ اللهِ، فَأَبْعَدُ الْقُلُوبِ مِنَ اللهِ قُلُوبُ عُشَّاقِ الصُّوَرِ.

وَإِذَا بَعُدَ الْقَلْبُ مِنَ اللهِ طَرَقَتْهُ الْآفَاتُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَوَلَّاهُ، وَمَن تَوَلَّاهُ عَدُوُّهُ، [وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ لَمْ يَأْلُهُ وَبَالًا](٤)، وَلَمْ(٥) يَدَعْ أَذًى يُمْكِنُهُ إِيصَالُهُ [إِلَيْهِ إِلَّا](٦) أَوْصَلَهُ(٧).

فَمَا الظَّنُّ بِقَلْبٍ تَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ، وَأَحْرَصُ الْخَلْقِ عَلَى غَيِّهِ وَفَسَادِهِ، وَبَعُدَ مِنْهُ وَلِيُّهُ، وَمَنْ لَا سَعَادَةَ لَهُ، وَلَا فَلَاحَ، وَلَا سُرُورَ، إِلَّا بِقُرْبِهِ(٨)، وَوِلَايَتِهِ؟

السَّادِسُ- أَنَّهُ إِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الْقَلْبِ، وَاسْتَحْكَمَ(٩)، وَقَوِيَ سُلْطَانُهُ: أَفْسَدَ الذِّهْنَ،

---

(١) مكانها بياض في: (ب).
(٢) في (أ): دنياه.
(٣) في (أ): دينه.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٥) في (ب): لم.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٧) في (ط): وَإِذَا بَعُدَ الْقَلْبُ مِنَ اللهِ طَرَقَتْهُ الْآفَاتُ، وَتَوَلَّاهُ الشَّيْطَانُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ، لَمْ يَدَعْ أَذًى يُمْكِنُهُ إِيصَالُهُ إِلَيْهِ إِلَّا أَوْصَلَهُ.
(٨) في (أ): ولا يقربه.
(٩) في (أ): استحكم.

وَأَحْدَثَ الْوَسْوَاسَ، وَرُبَّمَا الْتَحَقَ[1] صَاحِبُهُ بِالْمَجَانِينِ[2]، الَّذِينَ فَسَدَتْ عُقُولُهُمْ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهَا.

وَأَخْبَارُ الْعُشَّاقِ فِي ذَلِكَ مَوْجُودَةٌ فِي مَوَاضِعِهَا، بَلْ بَعْضُهَا مُشَاهَدٌ بِالْعِيَانِ.

وَأَشْرَفُ مَا فِي الْإِنْسَانِ عَقْلُهُ، وَبِهِ تَمَيَّزَ[3] عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ، فَإِذَا عُدِمَ عَقْلَهُ الْتَحَقَ بِالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ، بَلْ رُبَّمَا كَانَ حَالُ الْحَيَوَانِ أَصْلَحَ مِنْ حَالِهِ، وَهَلْ أَذْهَبَ عَقْلَ مَجْنُونِ لَيْلَى وَأَضْرُبَهُ[4] إِلَّا ذَلِكَ؟

وَرُبَّمَا زَادَ جُنُونُهُ عَلَى جُنُونِ[5] غَيْرِهِ[6] كَمَا قِيلَ:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهم ... الْعِشْقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ
الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ ... وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ[7]

السَّابِعُ- أَنَّهُ رُبَّمَا أَفْسَدَ الْحَوَاسَّ أَوْ بَعْضَهَا، إِمَّا إِفْسَادًا مَعْنَوِيًّا أَوْ صُورِيًّا.

أَمَّا الْفَسَادُ الْمَعْنَوِيُّ: فَهُوَ تَابِعٌ لِفَسَادِ الْقَلْبِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا فَسَدَ فَسَدَتِ الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ، فَيَرَى الْقَبِيحَ حَسَنًا مِنْهُ، وَمِنْ مَعْشُوقِهِ، كَمَا فِي «الْمُسْنَدِ» مَرْفُوعًا: «**حُبُّكَ الشَّيْءَ[8] يُعْمِي وَيُصِمُّ**»[9].

---

(١) في (ط): ألحق.
(٢) في (أ): المجانين.
(٣) في (ط، ط١): يتميز، والمثبت من: (أ، ب).
(٤) في (ط، ط): وأضرابه.
(٥) في (ب): جنونه على حزنه مجنون.
(٦) ساقطة من: (أ).
(٧) سبق ذكر البيتين.
(٨) في (أ، ط١): للشيء.
(٩) ضعيفٌ مرفوعًا، صحيح موقوفًا: رواه ابن أبي شيبة في «مسنده» [٤٩]، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٧)، وأبو داود [٥١٣٠]، وعبد بن حميد [٢٠٥]، والبزار [٤١٢٥]، والخرائطي في «اعتلال القلوب» [٨١٨]، والطبراني في «الأوسط» [٤٣٥٩]، وفي «مسند الشاميين» [١٤٥٤]، والقضاعي في «مسند الشهاب» [٢١٩]، والبيهقي في «الشعب» [٤١١]، وغيرهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه به. وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم: ضعيف مختلط. وكان تارة =

فَهُوَ يُعْمِي عَيْنَ الْقَلْبِ عَنْ رُؤْيَةِ مَسَاوِئِ الْـمَحْبُوبِ وَعُيُوبِهِ، فَلَا تَرَى الْعَيْنُ ذَلِكَ، وَيُصِمُّ أُذُنَهُ عَنِ الْإِصْغَاءِ إِلَى الْعَذْلِ[1] فِيهِ، فَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنُ ذَلِكَ.

وَالرَّغَبَاتُ تَسْتُرُ الْعُيُوبَ، فَالرَّاغِبُ فِي الشَّيْءِ لَا يَرَى عُيُوبَهُ، حَتَّى إِذَا زَالَتْ رَغْبَتُهُ فِيهِ أَبْصَرَ عُيُوبَهُ.

فَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ غِشَاوَةٌ عَلَى الْعَيْنِ، تَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ، كَمَا قِيلَ:

هَوِيتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومُهَا[2]

وَالدَّاخِلُ فِي الشَّيْءِ لَا يَرَى عُيُوبَهُ، وَالْخَارِجُ مِنْهُ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ لَا يَرَى عُيُوبَهُ، وَلَا يَرَى عُيُوبَهُ إِلَّا مَنْ دَخَلَ فِيهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ الَّذِينَ دَخَلُوا[3] فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ خَيْرًا مِنَ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا تَنْتَقِضُ[4] عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، إِذَا وُلِدَ[5] فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْجَاهِلِيَّةَ»[6].

وَأَمَّا إِفْسَادُهُ[7] الْحَوَاسَّ[8] ظَاهِرًا، فَإِنَّهُ يُمْرِضُ الْبَدَنَ وَيُنْهِكُهُ، وَرُبَّمَا أَدَّى إِلَى تَلَفِهِ، كَمَا هُوَ الْـمَعْرُوفُ فِي أَخْبَارِ مَنْ قَتَلَهُمُ[9] الْعِشْقُ.

= يرفعه، وتارة يوقفه. وقد ورد موقوفًا بسند صحيح. رواه: البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٠٧)، وأبو داود في «الزهد» [٢٠٨]، وابن الأعرابي في «معجمه» [١٢٤٧]، والبيهقي في «الشعب» [٤١٢] وابن عساكر في «تاريخه» (١٥/ ٣٠٢ - ٣٠٣).

(١) أي: اللوم.

(٢) «البيت منسوب» للحارث بن خالد المخزومي كما في «أنساب الأشراف» للبلاذري (٧/ ٢٢٩)، و«غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (٢/ ٦٥٩) وفيهما: «تبعتك إذ عيني».

(٣) ساقطة من: (ب). (٤) في (ب): ينقض. (٥) في (ب): من إذا ولدوا.

(٦) ذكره شيخ الإسلام في «دَرْءَ تَعارُضِ العَقْلِ وَالنَّقْلِ» (٥/ ٢٥٩)، وكذا العلامة في عدد من كتبه.

(٧) في (ط): فساد. (٨) في (ب): الحواس. (٩) في (ب): قبلهم.

وَقَدْ رُفِعَ[(١)] إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - وَهُوَ بِعَرَفَةَ[(٢)] - شَابٌّ قَدِ انْتَحَلَ[(٣)]، حَتَّى عَادَ[(٤)] لحمًا عَلَى عَظْمٍ[(٥)]، فَقَالَ: مَا شَأْنُ هَذَا؟ قَالُوا: بِهِ الْعِشْقُ، فَجَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنَ الْعِشْقِ عَامَّةَ يَوْمِهِ[(٦)].

الثَّامِنُ- أَنَّ الْعِشْقَ - كَمَا تَقَدَّمَ -: هُوَ الإِفْرَاطُ فِي الْمَحَبَّةِ، بِحَيْثُ يَسْتَوْلِي الْمَعْشُوقُ عَلَى قَلْبِ الْعَاشِقِ، حَتَّى لَا يَخْلُوَ مِنْ تَخَيُّلِهِ، وَذِكْرِهِ، وَالْفِكْرِ فِيهِ، بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ عَنْ خَاطِرِهِ وَذِهْنِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَشْتَغِلُ النَّفْسُ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْقُوَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالنَّفْسَانِيَّةِ، فَتَتَعَطَّلُ [تِلْكَ الْقُوى[(٧)]، فَيَحْدُثُ][(٨)] بِتَعْطِيلِهَا[(٩)] مِنَ الْآفَاتِ عَلَى الْبَدَنِ وَالرُّوحِ مَا يَعِزُّ دَوَاؤُهُ وَيَتَعَذَّرُ[(١٠)]، فَتَتَغَيَّرُ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَمَقَاصِدُهُ، وَيَخْتَلُّ جَمِيعُ ذَلِكَ، فَيَعْجِزُ[(١١)] الْبَشَرُ عَنْ صَلَاحِهِ، كَمَا قِيلَ:

---

(١) في (ب): وهو أن رجلًا رفع.
(٢) في (أ): وقد يعرفه! زوفي (ب): وقد كان يعرفه شابًا.
(٣) في (ب): انحل.
(٤) في (ب): صار.
(٥) في (ط١)- تبعًا لنسخة -: عظمًا بلا لحم.
(٦) أثر ضعيفٌ منكر: رواه البلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٥٠)، والفاكهي في «أخبار مكة» [٢٧٣٣]، والخرائطي في «اعتلال القلوب» [٧٦٥]، ومحمد بن مخلد الدوري في «أحاديث العطار عن شيوخه» [١٥]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٤٩٤]، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٧/ ٢٢)، والدمياطي في «الثامن من معجم شيوخه» [٢]، وغيرهم عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: «إِنَّا لَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَوْمَ عَرَفَةَ إِذَا فِتْيَةٌ يَحْمِلُونَ فَتًى مَعْرُوقَ الْوَجْهِ نَاحِلَ الْبَدَنِ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدِي ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالُوا: اسْتَشْفِ له يا ابن عم رسول الله، فقال: مَا بِهِ؟ فَأَنْشَدَهُ الْفَتَى:

بِنَا مِنْ جَوَى الأَحْزَانِ وَالْوَجْدِ لَوْعَةٌ ... تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
وَلَكِنَّمَا أَبْقَى حُشَاشَةَ مُعْوِلٍ ... عَلَى مَا بِهِ عُودٌ هُنَاكَ صَلِيبُ

ثُمَّ حَمَلُوهُ فَخَفَتَ فِي أَيْدِيهِمْ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا قَتِيلُ الْحُبِّ لا عَقْلَ وَلا قَوَدَ، وَمَا رَأَيْته سَأَلَ اللهَ إِلا الْعَافِيَةَ مِمَّا أَصَابَ ذَلِكَ الرجل حتى أمسى». وفي إسناده مجاهيل عينٍ وحالٍ، وفليح بن إسماعيل فيه ضعف.
(٧) في (ط): القوة.
(٨) ساقط من: (أ، ب).
(٩) في (ط١): بتعطلها.
(١٠) في (ط ١): أو يتعذر.
(١١) في (ط): فتعجز.

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لَجَاجَةٌ ... تَأْتِي[١] بِهَا وَتَسُوقُهُ الْأَقْدَارُ
حَتَّى إِذَا خَاضَ الْفَتَى لُجَجَ الْهَوَى ... جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ[٢]

وَالْعِشْقُ مَبَادِئُهُ سَهْلَةٌ حُلْوَةٌ، وَأَوْسَطُهُ هَمٌّ وَشُغْلُ قَلْبٍ وَسَقَمٌ، وَآخِرُهُ عَطَبٌ وَقَتْلٌ، إِنْ لَمْ تَتَدَارَكْهُ[٣] عِنَايَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، كَمَا قِيلَ:

وَعِشْ خَالِيًا فَالْحُبُّ أَوَّلُهُ عَنَا ... وَأَوْسَطُهُ سَقَمٌ وَآخِرُهُ قَتْلُ[٤]

وَقَالَ آخَرُ[٥]:

تَوَلَّعَ بِالْعِشْقِ حَتَّى عَشِقْ ... فَلَمَّا اسْتَقَلَّ بِهِ لَمْ يُطِقْ
رَأَى لُجَّةً ظَنَّهَا مَوْجَةً ... فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْهَا غَرِقْ[٦]

وَالذَّنْبُ لَهُ، فَهُوَ الْجَانِي [عَلَى نَفْسِهِ][٧]، وَقَدْ قَعَدَ تَحْتَ الْمَثَلِ السَّائِرِ: «يَدَاكَ أَوْكَتَا، وَفُوكَ نَفَخَ».

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ط): يأتي.

(٢) «البيت منسوب» للعباس بن الأحنف كما في «الأغاني» للأصبهاني (٥/ ٢٢٦)، وهو منسوبٌ أيضًا لجميل بثينة كما في «ديوانه» ص: [٧١].

(٣) في (ب): تدركه.

(٤) «البيت» لابن الفارض كما في «ديوانه» ص: [٩٣]، وفيه: «وأوله سقم».

(٥) في (ب، ط): الآخر.

(٦) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٤٧]، ونسبه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٥٨٦] لابن نحرير البغدادي، وانظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٠/ ٣٨٩).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

فَصْلٌ

وَالْعَاشِقُ لَهُ ثَلَاثُ مَقَامَاتٍ: مَقَامُ ابْتِدَاءٍ، وَمَقَامُ تَوَسُّطٍ، وَمَقَامُ انْتِهَاءٍ.

فَأَمَّا مَقَامُ ابْتِدَائِهِ: فالوَاجِبُ عَلَيْهِ[١] فِيهِ مُدَافَعَتُهُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، إِذَا كَانَ الْوُصُولُ إِلى[٢] مَعْشُوقِهِ مُتَعَذِّرًا قَدَرًا وَشَرْعًا.

فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَبَى قَلْبُهُ إِلَّا السَّفَرَ إِلى[٣] مَحْبُوبِهِ - وَهَذَا مَقَامُ التَّوَسُّطِ وَالِانْتِهَاءِ - فَعَلَيْهِ كِتْمَانُ[٤] ذَلِكَ، وَأَنْ لَا يُفْشِيَهُ إِلَى الْخَلْقِ، وَلَا يُشَبِّبَ[٥] بِمَحْبُوبِهِ، وَيَهْتِكُهُ[٦] بَيْنَ النَّاسِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الشِّرْكِ وَالظُّلْمِ.

فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ، وَرُبَّمَا كَانَ أَعْظَمَ ضَرَرًا عَلَى الْمَعْشُوقِ وَأَهْلِهِ مِنْ ظُلْمِهِ فِي مَالِهِ.

فَإِنَّهُ يُعَرِّضُ الْمَعْشُوقَ بِتَهَتُّكِهِ[٧] فِي عِشْقِهِ إِلَى وُقُوعِ النَّاسِ فِيهِ، وَانْقِسَامِهِمْ إِلَى مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَصَدِّقُ فِي هَذَا الْبَابِ بِأَدْنَى شُبْهَةٍ، وَإِذَا قِيلَ: فُلَانٌ فَعَلَ بِفُلَانٍ أَوْ بِفُلَانَةَ، كَذَّبَهُ وَاحِدٌ، وَصَدَّقَهُ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ.

وَخَبَرُ الْعَاشِقِ الْمُتَهَتِّكِ عِنْدَ النَّاسِ فِي هَذَا الْبَابِ يُفِيدُ الْقَطْعَ الْيَقِينِيَّ، بَلْ إِذَا أَخْبَرَهُمُ الْمَفْعُولُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ كَذِبًا وَافْتِرَاءً عَلَى غَيْرِهِ؛ جَزَمُوا بِصِدْقِهِ جَزْمًا لَا يَحْتَمِلُ النَّقِيضَ.

بَلْ لَوْ جَمَعَهُمَا مَكَانٌ وَاحِدٌ اتِّفَاقًا؛ لَجَزَمُوا[٨] أَنَّ ذَلِكَ عَنْ وَعْدٍ وَاتِّفَاقٍ بَيْنَهُمَا.

---

(١) في (ط): قالوا: يجب عليه.
(٢) ساقطة من: (أ).
(٣) في (ب): ورأى قلبه لا يستقر إلا إلى.
(٤) في (ب): بكتمان.
(٥) في (ط): ولا يشمت.
(٦) في (ب): فيهتكه.
(٧) في (ب، ط): بهتكه.
(٨) في (ب، ط١): جزموا، والمثبت من: (أ، ط).

وَجَزْمُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى الظُّنُونِ، وَالتَّخَيُّلِ، وَالشُّبَهِ، وَالْأَوْهَامِ، وَالْأَخْبَارِ الْكَاذِبَةِ، كَجَزْمِهِمْ بِالْحِسِّيَّاتِ الْمُشَاهَدَةِ.

وَبِذَلِكَ وَقَعَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِي الطَّيِّبَةِ الْمُطَيَّبَةِ، حَبِيبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورضي الله عنها، الْمُبَرَّأَةِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، بِشُبْهَةِ مَجِيءِ صَفْوَانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ بِهَا وَحْدَهُ خَلْفَ الْعَسْكَرِ، حَتَّى هَلَكَ مَنْ هَلَكَ[١].

وَلَوْلَا أَنْ تَوَلَّى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَرَاءَتَهَا، وَالذَّبَّ عَنْهَا، وَتَكْذِيبَ قَاذِفِهَا، [وإلا كَانَ][٢] أَمْرًا آخَرَ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ فِي إِظْهَارِ الْمُبْتَلَى عِشْقَ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ الِاتِّصَالُ بِهِ، مِنْ ظُلْمِهِ، وَأَذَاهُ، [مَا هُوَ][٣] عُدْوَانٌ عَلَيْهِ، وَعَلَى أَهْلِهِ، وَتَعْرِيضٌ لِتَصْدِيقِ[٤] كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ظُنُونَهُمْ فِيهِ.

فَإِنِ اسْتَعَانَ عَلَيْهِ بِمَنْ يَسْتَمِيلُهُ إِلَيْهِ، إِمَّا بِرَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ[٥]، تَعَدَّى الظُّلْمُ وَانْتَشَرَ[٦]، وَصَارَ ذَلِكَ الْوَاسِطَةُ دَيُّوثًا ظَالِمًا.

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ لَعَنَ الرَّائِشَ[٧] - وَهُوَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي فِي إِيصَالِ الرِّشْوَةِ - فَمَا الظَّنُّ[٨] بِالدَّيُّوثِ، الْوَاسِطَةِ بَيْنَ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ فِي الْوَصْلَةِ[٩] الْمُحَرَّمَةِ[١٠]؟

فَيَتَسَاعَدُ الْعَاشِقُ وَالدَّيُّوثُ عَلَى ظُلْمِ الْمَعْشُوقِ، وَظُلْمِ غَيْرِهِ، مِمَّنْ يَتَوَقَّفُ حُصُولُ غَرَضِهِما[١١] عَلَى ظُلْمِهِ فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ[١٢] أَوْ عِرْضٍ.

---

(١) حديث الإفك خرجه البخاري [٢٦٦١]، ومسلم [٢٧٧٠] من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) بدل ما بين المعقوفين في (ط): لكان.
(٣) ساقط من: (ب).
(٤) في (ب): التصديق.
(٥) في (أ): أو برهبة.
(٦) في (ب): فانتشر.
(٧) سبق تخريجه.
(٨) في (ط): فما ظنك.
(٩) في (ط): الوصل.
(١٠) ساقطة من: (ط).
(١١) في (ط): غرضه.
(١٢) في (ب): ومال.

فَإِنَّ كَثِيرًا مَا يَتَوَقَّفُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ عَلَى قَتْلِ نَفْسٍ، تَكُونُ[1] حَيَاتُهَا مَانِعَةً مِنْ غَرَضِهِ[2].

فَكَمْ[3] قَتِيلٍ طُلَّ[4] دَمُهُ بِهَذَا السَّبَبِ، مِنْ زَوْجٍ وَسَيِّدٍ وَقَرِيبٍ!

وَكَمْ خُبِّبَتْ[5] امْرَأَةٌ عَلَى بَعْلِهَا، وَجَارِيَةٍ وَعَبْدٍ عَلَى سَيِّدِهِمَا!

وَقَدْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ فَعَلَ[6] ذَلِكَ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ[7]، وَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ.

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ نَهَى أَنْ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَأَنْ يَسْتَامَ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ[8]، فَكَيْفَ بِمَنْ يَسْعَى[9] فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَهُ[10] وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، وَأَمَتِهِ[11]، حَتَّى يَتَّصِلَ[12] بِهَا[13]؟

وَعُشَّاقُ الصُّوَرِ وَمُسَاعِدُوهُمْ مِنَ الدِّيَثَةِ[14] لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ ذَنْبًا.

---

(١) في (ط): يكون.

(٢) في (ب): عرضه.

(٣) في (ط): وكم.

(٤) في (ب): ظل. ومعنى طل: أي صار هدرًا.

(٥) في (ب): خبثت.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) سبق تخريج حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ خَبَّبَ خَادِمًا عَلَى أَهْلِهَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

(٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَلَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا، وَلَا عَلَى خَالَتِهَا، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِئَ صَحْفَتَهَا وَلْتَنْكِحْ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللهُ لَهَا**». رواه البخاري [٢٧٢٧]، ومسلم [١٤٠٨] واللفظ له.

(٩) في (ب): سعى.

(١٠) في (ط): بين رجل.

(١١) ساقطة من: (ب).

(١٢) في (ب): يصل.

(١٣) في (ط١): بهما.

(١٤) في (ط): الديايثة.

فَإِنْ طَلَبَ الْعَاشِقُ وَصْلَ مَعْشُوقِهِ، وَمُشَارَكَةَ الزَّوْجِ وَالسَّيِّدِ، فَفِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمِ ظُلْمِ الْغَيْرِ مَا لَعَلَّهُ لَا يَقْصُرُ عَنْ إِثْمِ الْفَاحِشَةِ، وَإِنْ لَمْ يُرْبَ[١] عَلَيْهَا.

وَلَا يَسْقُطُ حَقُّ الْغَيْرِ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْفَاحِشَةِ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ وَإِنْ[٢] أَسْقَطَتْ حَقَّ اللهِ فَحَقُّ الْعَبْدِ بَاقٍ، لَهُ الْمُطَالَبَةُ بِهِ[٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَإِنَّ ظُلْمَ[٤] الْوَالِدِ بِإِفْسَادِ فِلْذَةِ[٥] كَبِدِهِ، وَمَنْ هُوَ أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَظُلْمُ[٦] الزَّوْجِ بِإِفْسَادِ حَبِيبَتِهِ[٧]، وَالْجِنَايَةِ[٨] عَلَى فِرَاشِهِ؛ أَعْظَمُ مِنْ ظُلْمِهِ بِأَخْذِ مَالِهِ كُلِّهِ.

وَلِهَذَا يُؤْذِيهِ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِمَّا يُؤْذِيهِ أَخْذُ مَالِهِ، وَلَا يَعْدِلُ ذَلِكَ عِنْدَهُ إِلَّا سَفْكُ دَمِهِ، فَيَا لَهُ مِنْ ظُلْمٍ أَعْظَمَ إِثْمًا مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ!

فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وُقِفَ لَهُ الْجَانِي الْفَاعِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ لَهُ: «خُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ» كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ[٩] ﷺ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَا ظَنُّكُمْ؟**»[١٠]. أَيْ: فَمَا تَظُنُّونَ يُبْقِي لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ؟

فَإِنِ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْمَظْلُومُ جَارًا، أَوْ ذَا رَحِمٍ[١١] تَعَدَّدَ الظُّلْمُ، وَصَارَ[١٢] ظُلْمًا مُؤَكَّدًا بِقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَأَذَى الْجَارِ[١٣]، وَ«**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**»[١٤]، وَلَا «**مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»[١٥].

---

(١) في (ب): يربو.
(٢) في (أ): إن.
(٣) ساقطة من: (ب).
(٤) في (ط): من ظلم.
(٥) في (أ، ب): ولده.
(٦) في (ط): فظلم.
(٧) في (ب): حبيبه.
(٨) في (ب): والخيانة.
(٩) في (ط، ط١) في الموضعين: النبي.
(١٠) رواه مسلم. وقد سبق تخريجه، وذكر لفظه.
(١١) في (ط): رحم محرم.
(١٢) في (ط): فصار.
(١٣) في (ط): لقطيعة الرحم وإيذاء الجار.
(١٤) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**». البخاري [٥٩٨٤]، ومسلم [٢٥٥٦] واللفظ له.
(١٥) سبق تخريجه.

فَإِنِ اسْتَعَانَ الْعَاشِقُ عَلَى وِصَالِ مَعْشُوقِهِ بِشَيَاطِينِ الْجِنِّ - إِمَّا بِسِحْرٍ، أَوِ اسْتِخْدَامٍ، ونَحْوِ[(١)] ذَلِكَ - ضُمَّ إِلَى الشِّرْكِ وَالظُّلْمِ كُفْرُ السِّحْرِ.

فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ هُوَ وَرَضِيَ بِهِ[(٢)]، كَانَ رَاضِيًا بِالْكُفْرِ، غَيْرَ كَارِهٍ لِحُصُولِ مَقْصِدِهِ بِهِ[(٣)]، وَهَذَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ مِنَ الْكُفْرِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ التَّعَاوُنَ فِي هَذَا الْبَابِ، تَعَاوُنٌ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.

وَأَمَّا مَا يَقْتَرِنُ بِحُصُولِ غَرَضِ الْعَاشِقِ مِنَ الظُّلْمِ الْمُنْتَشِرِ الْمُتَعَدِّي ضَرَرُهُ، فَأَمْرٌ لَا يَخْفَى.

فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ مَقْصُودُهُ مِنَ الْمَعْشُوقِ، فَلِلْمَعْشُوقِ[(٤)] أَغْرَاضٌ أُخَرُ، يُرِيدُ مِنَ الْعَاشِقِ إِعَانَتَهُ عَلَيْهَا، فَلَا يَجِدُ مِنْ إِعَانَتِهِ بُدًّا، فَيَبْقَى كُلٌّ مِنْهُمَا يُعِينُ الْآخَرَ [عَلَى الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ.

فَالْمَعْشُوقُ يُعِينُ الْعَاشِقَ][(٥)] عَلَى ظُلْمِ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَسَيِّدِهِ وَزَوْجِهِ.

وَالْعَاشِقُ يُعِينُ الْمَعْشُوقَ عَلَى ظُلْمِ مَنْ يَكُونُ غَرَضُ الْمَعْشُوقِ مُتَوَقِّفًا عَلَى ظُلْمِهِ. فَكُلٌّ مِنْهُمَا يُعِينُ الْآخَرَ عَلَى أَغْرَاضِهِ، الَّتِي يكونُ[(٦)] فِيهَا ظُلْمُ النَّاسِ، فَيَحْصُلُ الْعُدْوَانُ وَالظُّلْمُ لِلنَّاسِ بِسَبَبِ اشْتِرَاكِهِمَا فِي الْقُبْحِ، لِتَعَاوُنِهِمَا بِذَلِكَ عَلَى الظُّلْمِ، كَمَا جَرَتْ[(٧)] الْعَادَةُ بَيْنَ الْعُشَّاقِ وَالْمَعْشُوقِينَ، مِنْ إِعَانَةِ الْعَاشِقِ لِمَعْشُوقِهِ عَلَى مَا فِيهِ ظُلْمٌ، وَبَغْيٌ، وَعُدْوَانٌ.

---

(١) في (ط، ط١): أو نحو.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) ساقطة من: (أ).
(٤) في (ب): فإن للمعشوق.
(٥) ساقط من: (ب).
(٦) ساقطة من: (ط).
(٧) في ط: كما جرت به.

حَتَّى رُبَّمَا يَسْعَى لَهُ فِي مَنْصِبٍ لَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَا يَصْلُحُ لِمِثْلِهِ، وَفِي تَحْصِيلِ مَالٍ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَفِي اسْتِطَالَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ.

فَإِذَا اخْتَصَمَ مَعْشُوقُهُ وَغَيْرُهُ، أَوْ تَشَاكَيَا، لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي جَانِبِ الْمَعْشُوقِ، ظَالِمًا كَانَ، أَوْ مَظْلُومًا.

هَذَا إِلَى مَا يَنْضَمُّ إِلَى ذَاكَ مِنْ ظُلْمِ الْعَاشِقِ لِلنَّاسِ، بِالتَّحَيُّلِ عَلَى أَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، وَالتَّوَصُّلِ بِهَا(١) إِلَى الْمَعْشُوقِ(٢) بِسَرِقَةٍ، أَوْ غَصْبٍ، أَوْ خِيَانَةٍ، أَوْ يَمِينٍ كَاذِبَةٍ، أَوْ قَطْعِ طَرِيقٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَرُبَّمَا أَدَّى ذَلِكَ إِلَى قَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَهَا(٣) اللهُ، لِيَأْخُذَ مَالَهُ، يَتَوَصَّلَ(٤) بِهِ إِلَى مَعْشُوقِهِ.

وَكُلُّ(٥) هَذِهِ الْآفَاتِ، وَأَضْعَافُهَا، وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهَا، تَنْشَأُ مِنْ عِشْقِ الصُّوَرِ، ويَحْمِلُ(٦) عَلَى الْكُفْرِ الصَّرِيحِ.

وَقَدْ تَنَصَّرَ جَمَاعَةٌ مِمَّنْ نَشَأَ(٧) فِي الْإِسْلَامِ بِسَبَبِ الْعِشْقِ، كَمَا جَرَى لِبَعْضِ الْمُؤَذِّنِينَ، حِينَ أَبْصَرَ امْرَأَةً جَمِيلَةً عَلَى سَطْحٍ، فَفُتِنَ بِهَا، فَنَزَلَ(٨)، وَدَخَلَ عَلَيْهَا، وَسَأَلَهَا نَفْسَهَا، فَقَالَتْ: هِيَ نَصْرَانِيَّةٌ، فَإِنْ دَخَلْتَ فِي دِينِي تَزَوَّجْتُ بِكَ، فَفَعَلَ، فَرَقِيَ فِي(٩) ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى دَرَجَةٍ عِنْدَهُمْ، فَسَقَطَ مِنْهَا، فَمَاتَ، ذَكَرَ هَذَا عَبْدُ الْحَقِّ فِي كِتَابِ «الْعَاقِبَةِ» لَهُ(١٠).

---

(١) ساقطة من: (ب).
(٢) في (ط): معشوقه.
(٣) في (ب، ط): حرم.
(٤) في (ط): ليتوصل.
(٥) في (ط، ط١): فكل.
(٦) في (أ): وحمل، وفي (ط، ط١): وربما حمل. والمثبت من: (ب).
(٧) في (ط): نشؤوا.
(٨) في (ط): ونزل.
(٩) ساقطة من: (أ، ط١). والمثبت من: (ب، ط).
(١٠) كتاب: «العاقبة» ص: [١٨١].

وَإِذَا أَرَادَ النَّصَارَى أَنْ يُنَصِّرُوا الأَسِيرَ، أَرَوْهُ امْرَأَةً جَمِيلَةً، وَأَمَرُوهَا أَنْ تُطْمِعَهُ فِي نَفْسِهَا، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَ حُبُّهَا مِنْ قَلْبِهِ، بَذَلَتْ لَهُ نَفْسَهَا إِنْ دَخَلَ فِي دِينِهَا، فَهُنَالِكَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَفِي الْعِشْقِ مِنْ ظُلْمِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَاشِقِ وَالْمَعْشُوقِ لِصَاحِبِهِ، بِمُعَاوَنَتِهِ لَهُ عَلَى الْفَاحِشَةِ، وَظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ(١).

[فَكُلٌّ مِنْهُمَا ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ](٢) وَصَاحِبِهِ، وَظُلْمُهُمَا مُتَعَدٍّ إِلَى الْغَيْرِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ظُلْمُهُمَا بِالشِّرْكِ، فَقَدْ تَضَمَّنَ الْعِشْقُ أَنْوَاعَ الظُّلْمِ كُلَّهَا.

وَالْمَعْشُوقُ إِذَا لَمْ يَتَّقِ اللهَ فَإِنَّهُ يُعَرِّضُ الْعَاشِقَ لِلتَّلَفِ(٣)، وَذَلِكَ ظُلْمٌ مِنْهُ، بِأَنْ يُطْمِعَهُ فِي نَفْسِهِ، وَيَتَزَيَّنَ(٤) لَهُ، وَيَسْتَمِيلَهُ بِكُلِّ طَرِيقٍ، حَتَّى يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَالَهُ وَنَفْعَهُ، وَلَا يُمَكِّنُهُ مِنْ نَفْسِهِ، لِئَلَّا يَزُولَ غَرَضُهُ بِقَضَاءِ وَطَرِهِ مِنْهُ، فَهُوَ يَسُومُهُ سُوءَ الْعَذَابِ.

وَالْعَاشِقُ رُبَّمَا قَتَلَ مَعْشُوقَهُ لِيَشْفِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا جَادَ بِالْوِصَالِ لِغَيْرِهِ!

- فَكَمْ لِلْعِشْقِ مِنْ قَتِيلٍ مِنَ الْجَانِبَيْنِ!
- وَكَمْ أَزَالَ مِنْ نِعْمَةٍ، وَأَفْقَرَ مِنْ غِنًى، وَأَسْقَطَ مِنْ مَرْتَبَةٍ(٥)، وَشَتَّتَ مِنْ شَمْلٍ!
- وَكَمْ أَفْسَدَ مِنْ أَهْلٍ لِلرَّجُلِ وَوَلَدِهِ!

فَإِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا رَأَتْ بَعْلَهَا عَاشِقًا لِغَيْرِهَا اتَّخَذَتْ هِيَ مَعْشُوقًا لِنَفْسِهَا، فَيَصِيرُ الرَّجُلُ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ خَرَابِ بَيْتِهِ بِالطَّلَاقِ وَبَيْنَ الْقِيَادَةِ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُؤْثِرُ هَذَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْثِرُ هَذَا(٦).

---

(١) في (ط): وظلمه لنفسه ما فيه.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٣) في (ب): لتلفه.
(٤) غير واضحة في (ب).
(٥) في (ب): رتبة.
(٦) في (ب): ومن الناس من تؤثر هذا.

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُحَكِّمَ عَلَى نَفْسِهِ عِشْقَ الصُّوَرِ، لِئَلَّا يُؤَدِّيَهُ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْـمَفَاسِدِ، أَوْ أَكْثَرِهَا، أَوْ بَعْضِهَا.

فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ الْـمُفَرِّطُ بِنَفْسِهِ، الْـمَغْرُورُ[1] بِهَا، فَإِذَا هَلَكَتْ فَهُوَ الَّذِي أَهْلَكَهَا.

فَلَوْلَا تَكْرَارُهُ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ مَعْشُوقِهِ، وَطَمَعُهُ فِي وِصَالِهِ[2]؛ لَمْ يَتَمَكَّنْ عِشْقُهُ مِنْ قَلْبِهِ.

فَإِنَّ أَوَّلَ أَسْبَابِ الْعِشْقِ: الِاسْتِحْسَانُ، سَوَاءٌ تَوَلَّدَ عَنْ نَظَرٍ أَوْ سَمَاعٍ، فَإِنْ لَمْ يُقَارِنْهُ طَمَعٌ فِي الْوِصَالِ، وَقَارَنَهُ الْإِيَاسُ مِنْ ذَلِكَ؛ لَمْ يَحْدُثْ لَهُ الْعِشْقُ.

فَإِنِ اقْتَرَنَ بِهِ طَمَعٌ[3]، فَصَرَفَهُ[4] عَنْ فِكْرِهِ، وَلَمْ يَشْتَغِلْ[5] قَلْبُهُ بِهِ[6]؛ لَمْ يَحْدُثْ لَهُ ذَلِكَ.

فَإِنْ أَطَالَ مَعَ ذَلِكَ الْفِكْرَ فِي مَحَاسِنِ الْـمَعْشُوقِ، وَقَارَنَهُ خَوْفُ مَا هُوَ أَكْبَرُ عِنْدَهُ مِنْ لَذَّةِ وِصَالِهِ؛ إِمَّا خَوْفٌ دِينِيٌّ كَدُخُولِ النَّارِ، وَغَضَبِ الْجَبَّارِ، وَاحْتِقَابِ[7] الْأَوْزَارِ، وَغَلَبَ هَذَا[8] الْـخَوْفُ عَلَى ذَلِكَ الطَّمَعِ وَالْفِكْرِ؛ لَمْ يَحْدُثْ لَهُ الْعِشْقُ[9].

وَإِنْ[10] فَاتَهُ هَذَا الْـخَوْفُ، وَقَارَنَهُ[11] خَوْفٌ دُنْيَوِيٌّ؛ كَخَوْفِ إِتْلَافِ[12] نَفْسِهِ،

---

(١) في (ط١): المغرر.
(٢) في (ب): وصله.
(٣) في (ط، ط١): الطمع، والمثبت من: (أ، ب).
(٤) في (ب): يصرفه.
(٥) في (ب): يشغل.
(٦) ساقطة من: (أ).
(٧) في (ب): واجتناب. ومعنى احتقاب الأوزار: أي ملازمتها للعبد، وهذا يخشى منه هلاكه.
(٨) في (ب): هذه.
(٩) في (ط): له ذلك العشق.
(١٠) في (ط، ط١): فإن.
(١١) في (ط، ط١): فقارنه.
(١٢) في (أ، ط١): تلاف. والمثبت من: (ب، ط).

ومَالِهِ، وذَهَابِ جَاهِهِ(١)، وَسُقُوطِ مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ النَّاسِ، وَسُقُوطِهِ مِنْ عَيْنِ مَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ، وَغَلَبَ هَذَا(٢) الْخَوْفُ لِدَاعِي الْعِشْقِ: دَفَعَهُ.

وَكَذَلِكَ إِذَا خَافَ مِنْ فَوَاتِ(٣) مَحْبُوبٍ، هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ، وَأَنْفَعُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْشُوقِ، وَقَدَّمَ مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّةِ ذَلِكَ(٤) الْمَعْشُوقِ: [انْدَفَعَ عَنْهُ الْعِشْقُ.

فَإِنِ انْتَفَى ذَلِكَ كُلُّهُ، وَغَلَبَتْ مَحَبَّةُ الْمَعْشُوقِ](٥) لِذَلِكَ(٦)، انْجَذَبَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ بِكُلِّيَّتِهِ، وَمَالَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ كُلَّ الْمَيْلِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ ذَكَرْتُمْ آفَاتِ الْعِشْقِ، وَمَضَارَّهُ، وَمَفَاسِدَهُ، فَهَلَّا ذَكَرْتُمْ مَنَافِعَهُ، وَفَوَائِدَهُ، الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا: رِقَّةُ الطَّبْعِ، وَتَرْوِيحُ النَّفْسِ، وَخِفَّتُهَا، وَزَوَالُ ثِقَلِهَا، وَرِيَاضَتُهَا، وَحَمْلُهَا عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، مِنَ الشَّجَاعَةِ، وَالْكَرَمِ، وَالْمُرُوءَةِ، وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ، وَلُطْفِ الْجَانِبِ.

وَقَدْ قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ: إِنَّ ابْنَكَ عَشِقَ(٧) فُلَانَةً، فَقَالَ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَيَّرَهُ إِلَى طَبْعِ الْآدَمِيِّ**».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «الْعِشْقُ دَاءُ(٨) أَفْئِدَةِ الْكِرَامِ».

وَقَالَ غَيْرُهُ: «الْعِشْقُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِذِي مُرُوءَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَخَلِيقَةٍ طَاهِرَةٍ، أَوْ لِذِي(٩) لِسَانٍ فَاضِلٍ، وَإِحْسَانٍ كَامِلٍ، أَوْ لِذِي أَدَبٍ بَارِعٍ، وَحَسَبٍ نَاصِعٍ»(١٠).

---

(١) في (ط): أو ماله، أو ذهاب جاهه.
(٢) في (ب): هذه.
(٣) في (ب): قول.
(٤) ساقطة من: (أ، ط١).
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٦) في (ب): كذلك.
(٧) في (ط): قد عشق.
(٨) في (ب): ذا.
(٩) في (ب): ولذي، وجاءت في (ط) كلمة «لذي»: «لدى» في جميع النقل عن هذا الغير.
(١٠) لم أقف على ما سبق ذكره من الأقوال إلا في الفتوى في العشق المنحولة.

وَقَالَ آخَرُ: «العِشْقُ يُشَجِّعُ جَنَانَ الْجَبَانِ، وَيُصَفِّي ذِهْنَ الْغَبِيِّ، وَيُسَخِّي كَفَّ الْبَخِيلِ، وَيُذِلُّ عِزَّةَ الْمُلُوكِ، وَيُسَكِّنُ نَوَافِرَ الْأَخْلَاقِ، وَهُوَ أَنِيسُ مَنْ لَا أَنِيسَ لَهُ، وَجَلِيسُ مَنْ لَا جَلِيسَ لَهُ»(١).

وَقَالَ آخَرُ: «الْعِشْقُ يُزِيلُ الْأَثْقَالَ، وَيُلَطِّفُ الرُّوحَ، وَيُصَفِّي كَدَرَ الْقَلْبِ، وَيُوجِبُ الِارْتِيَاحَ لِأَفْعَالِ الْكِرَامِ»، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

سَيَهْلِكُ فِي الدُّنْيَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ ... إِذَا غَالَهُ مِنْ حَادِثٍ(٢) الْحُبِّ غَائِلُهْ

كَرِيمٌ يُمِيتُ السِّرَّ حَتَّى كَأَنَّهُ ... إِذَا اسْتَفْهَمُوهُ عَنْ حَدِيثِكَ جَاهِلُهْ

يَوَدُّ بِأَنْ يُمْسِيَ سَقِيمًا لَعَلَّهَا ... إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسِلُهْ

وَيَهْتَزُّ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعُلَا ... لِتُحْمَدَ(٣) يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلُهْ(٤)

فَالْعِشْقُ يَحْمِلُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «الْعِشْقُ يُرَوِّضُ(٥) النَّفْسَ، وَيُهَذِّبُ الْأَخْلَاقَ، إِظْهَارُهُ(٦) طَبِيعِيٌّ، وَإِضْمَارُهُ تَكَلُّفِيٌّ»(٧).

وَقَالَ آخَرُ: «مَنْ لَمْ تَبْهَجْ(٨) نَفْسَهُ بِالصَّوْتِ الشَّجِيِّ، وَالْوَجْهِ الْبَهِيِّ، فَهُوَ فَاسِدُ الْمِزَاجِ، مُحْتَاجٌ(٩) إِلَى عِلَاجٍ»(١٠)، وَأَنْشَدُوا فِي ذَلِكَ:

---

(١) ذكره بمعناه ابن عبد البر في «بهجة المجالس وأنس المجالس» ص: [١٧٣]، وعنه: ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ١٢٢)، وذكره الموصلي في «زهر الآداب وثمر الألباب» (٢/ ٣٢٨).

(٢) في (ب، ط): جانب. (٣) في (ب): ليحمد.

(٤) الأبيات منسوبة لكثير عزة وانظر: «أمالي القالي» (٢/ ٥)، و«ديوان كثير عزة» ص: [٤٢٠].

(٥) في (ب): يرضي. (٦) في (ط): وإظهاره.

(٧) في (ب، ط): تكليفي.

(٨) في (ب): يتهيج، وفي (ط): يهيج، وفي (ط١): تبتهج. والمثبت من: (أ).

(٩) في (ب، ط): يحتاج.

(١٠) هذا الكلام منسوب إلى جالينوس كما في فتوى في العشق.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فَأَنْتَ وَعِيرٌ[١] فِي الْفَلَاةِ سَوَاءُ[٢]

[وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فكُن حجرًا من جانب الصخر جلمَدا[٣]][٤]

[وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فَقُمْ فَاعْتَلِفْ تِبْنًا فَأَنْتَ حِمَارُ[٥]][٦]

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى فَمَا لَكَ فِي[٧] طِيبِ الْحَيَاةِ نَصِيبُ[٨]

وَقَالَ بَعْضُ الْعُشَّاقِ أُولُو الْعِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ: «عِفُّوا تَشْرُفُوا، وَاعْشَقُوا تَظْرُفُوا»[٩].

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعُشَّاقِ: مَا كُنْتَ تَصْنَعُ لَوْ ظَفِرْتَ بِمَنْ تَهْوَى؟ فَقَالَ: «كُنْتُ أُمَتِّعُ طَرْفِي

---

(١) في (أ): وعيرك.

(٢) أنشده الشعبي كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤/ ٣٢٨)، و«ذم الهوى» لابن الجوزي ص: [٣٠٦].

(٣) «البيت منسوب» للأحوص بن محمد الأنصاري كما في كتاب: «الموشي للوشاء» ص: [٦٠]، و«الأمثال المولدة» لمحمد الخوارزمي ص: [٣٤٠]، وفيهما: «فكن حجرًا من يابس الصخر جلمدا».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٥) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٧٧]، و«البيت منسوب» لقيس بن الملوح كما في كتاب: «الموشي للوشاء» ص: [٦٠].

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من: (ط، ط١).

(٧) في (أ): من.

(٨) لم أجد من ذكره، وفي «روضة المحبين» ص: [١٧٧] بيت مشابه:

إذا لم تذق في هذه الدار صبوة فموتك فيها والحياة سواء

(٩) نسبه منصور الرازي المتوفى سنة: (٤٢١ هـ) في «نثر الدر» (٥/ ٥٧)، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ٤٣١)، والعلامة ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٧٤] إلى عبد الله بن طاهر أمير خراسان.

بِوَجْهِهِ، وَأُرَوِّحُ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَحَدِيثِهِ، وَأَسْتُرُ مِنْهُ مَا لَا يُحِبُّ كَشْفَهُ، وَلَا أَصِيرُ بِقُبْحِ[١] الْفِعْلِ إِلَى مَا يَنْقُضُ عَهْدَهُ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

أَخْلُو بِهِ فَأَعِفُّ عَنْهُ تَكَرُّمًا ... خَوْفَ الدِّيَانَةِ لَسْتُ مِنْ عُشَّاقِهِ

كَالْمَاءِ فِي يَدِ صَائِمٍ يَلْتَذُّهُ[٢] ... ظَمأً فَيَصْبِرُ عَنْ لَذِيذِ مَذَاقِهِ[٣]»

وَقَالَ إِسْحَاقُ[٤] بْنُ إِبْرَاهِيمَ: «أَرْوَاحُ الْعُشَّاقِ عَطِرَةٌ لَطِيفَةٌ، وَأَبْدَانُهُمْ رَقِيقَةٌ خَفِيفَةٌ، نُزْهَتُهُمُ الْمُؤَانَسَةُ، وَكَلَامُهُمْ يُحْيِي مَوَاتَ الْقُلُوبِ، وَيَزِيدُ فِي الْعُقُولِ، وَلَوْلَا الْعِشْقُ وَالْهَوَى لَبَطَلَ نَعِيمُ الدُّنْيَا»[٥].

وَقَالَ آخَرُ: «الْعِشْقُ لِلْأَرْوَاحِ بِمَنْزِلَةِ الْغِذَاءِ لِلْأَبْدَانِ، إِنْ تَرَكْتَهُ ضَرَّكَ[٦]، وَإِنْ كَثَّرْتَ[٧] مِنْهُ قَتَلَكَ»[٨]، وَفِي ذَلِكَ قِيلَ:

خَلِيلَيَّ إِنَّ الْحُبَّ فِيهِ لَذَاذَةٌ ... وَفِيهِ شَقَاءٌ دَائِمٌ وَكُرُوبُ

عَلَى ذَاكَ مَا عَيْشٌ يَطِيبُ بِغَيْرِهِ ... وَلَا عَيْشَ إِلَّا بِالْحَبِيبِ يَطِيبُ

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ صَبَابَةٍ ... وَلَا فِي نَعِيمٍ لَيْسَ فِيهِ حَبِيبُ[٩]

---

(١) في (ط): بقبيح.

(٢) في (ب): يلتذ به.

(٣) لم أقف على القصة مع البيتين إلا في «فتوى العشق المنحولة» لشيخ الإسلام. انظر: «جامع المسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية - «عزير شمس» (١/ ١٨٣).

(٤) في (ط): أبو إسحاق. وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي الأديب، المتوفى سنة (٢٣٥هـ).

(٥) انظر: «ديوان الصبابة» لابن أبي حجلة ص: [١١]، وصديق حسن خان القنوجي في «نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان» ص: [١٥].

(٦) في (ب): قتلك.

(٧) في (ط، ط١): أكثرت.

(٨) ذكره أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٢/ ١٦٨) وعزاه لفيلسوف!

(٩) البيت الأخير ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٧٦]، والقنوجي في «نشوة السكران» ص: [١٧].

وَذَكَرَ الْخَرَائِطِيُّ، عَنْ أَبِي غَسَّانَ قَالَ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَارِيَةٍ وَهِيَ تَقُولُ:

وَهَوِيْتُهُ مِنْ قَبْلِ قَطْعِ[1] تَمَائِمِي   مُتَمَايِسًا[2] مِثْلَ الْقَضِيبِ النَّاعِمِ

فَسَأَلَهَا: أَحُرَّةٌ أَنْتِ أَمْ مَمْلُوكَةٌ؟ قَالَتْ: بَلْ مَمْلُوكَةٌ، فَقَالَ: مَنْ هَوَاكِ؟ فَتَلَكَّأَتْ، فَأَقْسَمَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ:

وَأَنَا الَّتِي لَعِبَ الْهَوَى بِفُؤَادِهَا   قُتِلَتْ بِحُبِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ

فَاشْتَرَاهَا مِنْ مَوْلَاهَا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَ[3]: «هَؤُلَاءِ فَتَنَّ الرِّجَالَ، وَكَمْ وَاللهِ قَدْ مَاتَ بِهِنَّ كَرِيمٌ[4]، وَعَطِبَ بِهِنَّ سَلِيمٌ»[5].

وَجَاءَتْ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَارِيَةٌ[6] تَسْتَعْدِي[7] عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهَا عُثْمَانُ: مَا قِصَّتُكِ؟ فَقَالَتْ: كَلِفْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِابْنِ أَخِيهِ، فَمَا أَنْفَكُّ أُرَاعِيهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: إِمَّا أَنْ تَهَبَهَا لِابْنِ أَخِيكَ، أَوْ أُعْطِيكَ ثَمَنَهَا مِنْ مَالِي، فَقَالَ: أُشْهِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا لَهُ[8].

وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ فَسَادَ الْعِشْقِ، الَّذِي مُتَعَلَّقُهُ[9] فِعْلُ الْفَاحِشَةِ بِالْمَعْشُوقِ، وَإِنَّمَا

---

(١) في (ب): حَلِّ.
(٢) في (ب): متماسا، وفي (ط): متمايلًا.
(٣) في (ط): فقال.
(٤) في (ب): كريم قتيل.
(٥) أثر ضعيفٌ منكرٌ: رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [٤٩٥] وإسناده معضل، أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي مات سنة (٢١٩هـ)، وبينه وبين أبي بكر الصديق ثلاثة رواة على الأقل.
(٦) في (ط): وجاءت جارية إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٧) في (ب، ط، ط١): تستدعي. والمثبت من: (أ). وهو الصواب.
(٨) أثر لا أصل له. ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [٣٨١].
(٩) في (ب): تتعلقه.

الْكَلَامُ فِي الْعِشْقِ الْعَفِيفِ، مِنَ الرَّجُلِ الظَّرِيفِ، الَّذِي يَأْبَى لَهُ دِينُهُ وَعِفَّتُهُ وَمُرُوءَتُهُ أَنْ يُفْسِدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْشُوقِهِ بِالْحَرَامِ.

وَهَذَا كَعِشْقِ (١) السَّلَفِ الْكِرَامِ، وَالْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ.

فَهَذَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَحَدُ الْفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ، عَشِقَ حَتَّى اشْتُهِرَ أَمْرُهُ، وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ، وَعَدَّ ظَالِمًا مَنْ لَامَهُ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

كَتَمْتَ الْهَوَى حَتَّى أَضَرَّ بِكَ الْكَتْمُ ... وَلَامَكَ أَقْوَامٌ وَلَوْمُهُمْ ظُلْمُ

فَنَمَّ عَلَيْكَ الْكَاشِحُونَ، وَقَبْلَهُمْ ... عَلَيْكَ الْهَوَى قَدْ نَمَّ لَوْ يَنْفَعُ الْكَتْمُ

فَأَصْبَحْتَ كَالنَّهْدِيِّ (٢) إِذْ مَاتَ حَسْرَةً ... عَلَى إِثْرِ هِنْدٍ أَوْ كَمَنْ شَفَّهُ سُقْمُ

تَجَنَّبْتَ إِتْيَانَ الْحَبِيبِ تَأَثُّمًا ... أَلَا إِنَّ هُجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ الْإِثْمُ

فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ ... رَشَادٌ أَلَا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ (٣)

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عِشْقُهُ (٤) لِجَارِيَةِ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ [بْنِ مَرْوَان] (٥) امرأتِهِ مَشْهُورٌ.

وَكَانَتْ جَارِيَةً بَارِعَةَ الْجَمَالِ، وَكَانَ مُعْجَبًا بِهَا، وَكَانَ يَطْلُبُهَا مِنِ امْرَأَتِهِ، وَيَحْرِصُ (٦) عَلَى أَنْ تَهَبَهَا لَهُ، فَتَأْبَى، وَلَمْ تَزَلِ الْجَارِيَةُ فِي نَفْسِ عُمَرَ.

---

(١) في (ط): عشق.

(٢) في (ب): كالهدرا! وفي (ط): كالهندي! والمراد به عبد الله بن عجلان النهدي. انظر: سمط اللآلي في «شرح أمالي القالي» (١/ ٦٥٤).

(٣) ذكره «القالي في الأمالي» (٢/ ٢٠)، والسبكي في «طبقات الشافعية» (٢/ ٨٣)، وزادا فيه:

وزادك إغراءً بها طول بخلها ... عليك وأبلى لحم أعظمك الهمُّ

(٤) في (ط): وعشقه مشهور لجارية....

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٦) في (أ): وتحرص، وفي (ب): ويحرض.

فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ، أَمَرَتْ فَاطِمَةُ بِالْجَارِيَةِ، فَأُصْلِحَتْ، وَكَانَتْ مَثَلًا فِي حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا، ثُمَّ دَخَلَتْ عَلَى عُمَرَ، وَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ، إِنَّكَ كُنْتَ مُعْجَبًا بِجَارِيَتِي فُلَانَةَ، وَسَأَلْتَنِيهَا[١]، فَأَبَيْتُ عَلَيْكَ، وَالْآنَ فَقَدْ طَابَتْ نَفْسِي لَكَ بِهَا.

فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ؛ اسْتَبَانَ الْفَرَحُ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ عَجِّلِي بِهَا[٢]، فَلَمَّا أَدْخَلَتْهَا عَلَيْهِ[٣]، ازْدَادَ بِهَا[٤] عَجَبًا، وَقَالَ لَهَا: أَلْقِي ثِيَابَكِ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ قَالَ[٥]: عَلَى رِسْلِكِ، أَخْبِرِينِي لِـمَنْ كُنْتِ؟ وَمِنْ أَيْنَ صِرْتِ لِفَاطِمَةَ؟ فَقَالَتْ: أَغْرَمَ الْحَجَّاجُ عَامِلًا لَهُ[٦] بِالْكُوفَةِ مَالًا، وَكُنْتُ فِي رَقِيقِ ذَلِكَ الْعَامِلِ، فَأَخَذَنِي[٧]، وَبَعَثَ بِي إِلَى عَبْدِ الْـمَلِكِ، فَوَهَبَنِي لِفَاطِمَةَ.

قَالَ: وَمَا فَعَلَ ذَلِكَ الْعَامِلُ؟ قَالَتْ: هَلَكَ، قَالَ: وَهَلْ تَرَكَ وَلَدًا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَالُهُمْ؟ قَالَتْ: سَيِّئَةٌ[٨]، فَقَالَ: شُدِّي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ، وَاذْهَبِي إِلَى مَكَانِكِ.

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْعِرَاقِ[٩]: أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ عَلَى الْبَرِيدِ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ لَهُ: ارْفَعْ إِلَيَّ جَمِيعَ مَا غَرَّمَهُ[١٠] الْحَجَّاجُ لِأَبِيكَ، فَلَمْ يَرْفَعْ إِلَيْهِ شَيْئًا إِلَّا دَفَعَهُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْجَارِيَةِ فَدُفِعَتْ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: إِيَّاكَ وَإِيَّاهَا، فَلَعَلَّ أَبَاكَ كَانَ[١١] أَلَمَّ بِهَا، فَقَالَ الْغُلَامُ: هِيَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِهَا.

قَالَ: فَابْتَعْهَا مِنِّي، قَالَ: لَسْتُ إِذًا مِمَّنْ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى.

---

(١) في (ط): وسألتها.

(٢) في (ط): عجلي علي بها، وفي (ط١): عجلي بها علي.

(٣) في (ب): فلما أدخلها عليه، وفي (ط): فلما دخلت بها عليه.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) في (ط، ط١): ثم قال لها.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) في (ط): قالت: فأخذني.

(٨) في (أ): مسيئة، وفي (ب): سببه!

(٩) في (ب): ثم كتب إلى عامله بالكوفة.

(١٠) في (ط): ما أغرمه.

(١١) في (ط): قد.

فَلَـمَّا عَزَمَ الْفَتَى عَلَى الِانْصِرَافِ بِهَا، قَالَـتْ: أَيْنَ وَجْدُكَ بِي يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: عَلَى حَالِهِ، وَلَقَدْ[١] زَادَ، وَلَمْ تَزَلِ الْجَارِيَةُ فِي نَفْسِ عُمَرَ، حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

وَهَـذَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الظَّاهِرِيُّ[٣] الْعَلَمُ[٤] الْـمَشْهُورُ فِي فُنُونِ الْعُلُومِ[٥]: مِنَ الْفِقْهِ، وَالْحَدِيثِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالْأَدَبِ، وَلَهُ قَوْلُـهُ فِي الْفِقْهِ، وَهُوَ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ، وَعِشْقُهُ مَشْهُورٌ.

قَـالَ نِفْطَوَيْـهِ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّـذِي مَاتَ فِيهِ، فَقُلْتُ: كَيْـفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: حُبُّ مَنْ تَعْلَمُ، أَوْرَثَنِي مَا تَرَى، فَقُلْتُ: وَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الِاسْتِمْتَاعِ بِهِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ؟

فَقَـالَ: الِاسْـتِمْتَاعُ عَـلَى وَجْهَـيْنِ: أَحَدُهُمَـا- النَّظَـرُ الْـمُبَـاحُ، وَالْآخَـرُ: اللَّـذَّةُ الْـمَحْظُورَةُ.

فَأَمَّا النَّظَرُ الْـمُبَاحُ، فَهُوَ الَّذِي أَوْرَثَنِي مَا تَرَى[٦]، وَأَمَّا اللَّذَّةُ الْـمَحْظُورَةُ فَمَنَعَنِي[٧] مِنْهَا مَا حَدَّثَنِي أَبِي، قال[٨]: حَدَّثَنَا سُـوَيْدُ بْنُ سَـعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْـهِرٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّـاتِ، عَـنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ: **«مَنْ عَشِـقَ، وَكَتَمَ، وَعَفَّ، وَصَبَرَ: غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»**[٩].

---

(١) في (أ): لقد.

(٢) قصة مكذوبة: رواها الخرائطي في «اعتلال القلوب» [٧٢]، ومن طريقه: ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٥٥]، وفي «المنتظم» (٧/ ٤٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٨/ ١٩٣) وفي إسناده: الهيثم بن عدي: إخباريٌّ، خارجي، تالف، معروف بالكذب.

(٣) في (أ، ب): وهذا أبو بكر بن محمد الظاهري. وهو خطأ.

(٤) في (ب، ط): العالم.

(٥) في (ط، ط١): العلم. والمثبت من: (أ، ب).

(٦) النظر إلى الشاب الأمرد بقصد الشهوة، والتلذذ به: ليس مباحًا، بل هو حرام، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: **«والعين تزني وزناها النظر»**، وما وصل إليه حال ابن أبي داود يؤكد هذا التحريم.

(٧) في (ط): ليمنعني.

(٨) زيادة من: (ب).

(٩) يأتي تخريجه.

ثُمَّ أَنْشَدَ:

انْظُرْ إِلَى السِّحْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهِ ... وَانْظُرْ إِلَى دَعَجٍ فِي طَرْفِهِ السَّاجِي
وَانْظُرْ إِلَى شَعَرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ ... كَأَنَّهُنَّ نِمَالٌ دَبَّ فِي عَاجِ

ثُمَّ أَنْشَدَ:

مَا لَهُمْ أَنْكَرُوا سَوَادًا بِخَدَّيْهِ ... وَلَا يُنْكِرُونَ وَرْدَ الْغُصُونِ؟
إِنْ يَكُنْ عَيْبُ خَدِّهِ بَدَدُ[1] ... الشَّعْرِ فَعَيْبُ الْعُيُونِ شَعْرُ الْجُفُونِ

فَقُلْتُ لَهُ: نَفَيْتَ[2] الْقِيَاسَ فِي الْفِقْهِ، وَأَثْبَتَّهُ فِي الشِّعرِ؟ فَقَالَ: «غَلَبَةُ الْوَجْدِ، وَمَلَكَةُ النَّفْسِ[3] دَعَوَا[4] إِلَيْهِ، ثُمَّ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ»[5].

وَبِسَبَبِ مَعْشُوقِهِ صَنَّفَ كِتَابَ «الزَّهْرَةِ»[6].

وَمِنْ كَلَامِهِ فِيهِ: «مَنْ يَئِسَ[7] مِمَّنْ يَهْوَاهُ، وَلَمْ يَمُتْ مِنْ وَقْتِهِ سَلَاهُ[8]، وَذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ رَوْعَاتِ الْيَأْسِ[9] تَأْتِي الْقَلْبَ، وَهُوَ غَيْرُ مُسْتَعِدٍّ لَهَا، فَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَتَأْتِي الْقَلْبَ، وَقَدْ وَطَّأَتْهُ لَهَا الرَّوْعَةُ الْأُولَى»[10].

---

(١) في (ب): بديد، وفي (ط): برد. والمراد: شعر لحيته المتباعد في خديه، وهذا لخفَّته.

(٢) في (ب): كيف تضيب!

(٣) في (ب): وملكة الوجد النفس! ففيها إقحام كلمة الوجد.

(٤) في (أ): دعوه، وفي (ط): دعت. والألف في «دَعَوَا» أَلِفُ الإثنين.

(٥) رواه السلفي في «الطيوريات» [١١٢]، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٢٩)، وجعفر البغدادي في «مصارع العشاق» (١/ ١٢)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٣/ ١٩٥)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٢١] وإسناده صحيح.

(٦) ذكر ذلك الخطيب في «تاريخه» (٢/ ٣٢٨)، وجعفر البغدادي في «مصارع العشاق» (٢/ ٢٢٣)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١١٩].

(٧) في (ب): تاس. يعني: تأسَّى. من الأسى. (٨) أي: انكشف عنه وابتعد.

(٩) في (ب): الناس!

(١٠) انظر: كتاب: «الزهرة» ص: [٤٥٢] (ط). السامرائي، وفيه: «مَنْ يَئِسَ مِمَّنْ يَهْوَاهُ، فَلَمْ يَلتفتْ مِنْ وَقْتِهِ =

وَالْتَقَى هُوَ وَأَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ[١]، فِي مَجْلِسِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْوَزِيرِ، فَتَنَاظَرَا فِي مَسْأَلَةٍ مِنَ الْإِيلَاءِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ: أَنْتَ بِأَنْ تَقُولَ: «مَنْ دَامَتْ لَحَظَاتُهُ؛ كَثُرَتْ حَسَرَاتُهُ»[٢]، أَحْذَقُ مِنْكَ بِالْكَلَامِ عَلَى الْفِقْهِ!

فَقَالَ: لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَقُولُ:

أُنَزِّهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مُقْلَتِيَّ ... وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمَا

وَأَحْمِلُ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى مَا لَوْ أَنَّهُ ... يُصَبُّ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ تَهَدَّمَا

وَيَنْطِقُ طَرْفِي عَنْ مُتَرْجَمِ خَاطِرِي ... فَلَوْلَا اخْتِلَاسِي رَدَّهُ[٣] لَتَكَلَّمَا[٤]

رَأَيْتُ الْهَوَى دَعْوَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... فَلَسْتُ أَرَى وُدًّا صَحِيحًا مُسَلَّمَا

فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ سُرَيْجٍ: بِمَ تَفْخَرُ عَلَيَّ؟ وَلَوْ شِئْتُ لَقُلْتُ:

وَمَطَاعِمٍ كَالشَّهْدِ فِي نَغَمَاتِهِ ... قَدْ بِتُّ أَمْنَعُهُ لَذِيذَ سِنَاتِهِ

صَبًا بِهِ[٥] وَبِحُسْنِهِ وَحَدِيثِهِ ... وَأُنَزِّهُ اللَّحَظَاتِ فِي[٦] وَجَنَاتِهِ

حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ ... وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاتِهِ

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَحْفَظُ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ مَا أَقَرَّ بِهِ، حَتَّى يُقِيمَ[٧] شَاهِدَيْنِ، عَلَى أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبَرَاءَتِهِ.

= سَلَاهُ... فأوّل روعات اليأس تلقى القلب وهو غير مستعد لمقاومتها، ولا مُصاب بمشاهدتها فتجرحه دفعةً واحدةً عادةً إلى غير عادةٍ والرّوعة الثانية ترد على القلب وقد ذلّلته لها الرّوعة الأوّلة...».

(١) في (أ، ب): شريح. في هذا الموضع، والمواضع الآيتية. وهو تصحيف.

(٢) انظر: كتاب: «الزهرة» ص: [٤٥] (ط). السامرائي، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٥٢٩)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٣/ ٥٠)، وعندهم جميعا: «من كثرت لحظاته دامت حسراته».

(٣) في (أ، ط): وده، والمثبت: من مصادر القصة.

(٤) هذا البيت ساقط من: (ب).

(٥) في (ط): بصبابة، وفي (ط١) ضنا به.

(٦) في (ط): عن.

(٧) في (ب): يقيم عليه.

فَقَالَ ابْنُ سُرَيْجٍ: يَلْزَمُنِي فِي هَذَا مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ:

أُنَزِّهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مُقْلَتِي ... وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مُحَرَّمَا

فَضَحِكَ الْوَزِيرُ، وَقَالَ[١]: لَقَدْ جَمَعْتُمَا لُطْفًا وَظرفًا.

ذَكَرَ ذَلِكَ[٢] أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ[٣].

وَجَاءَتْهُ يَوْمًا فُتْيَا مَضْمُونُهَا:

يَا ابْنَ دَاوُدَ يَا فَقِيهَ الْعِرَاقِ ... أَفْتِنَا فِي فَوَاتِكِ[٤] الْأَحْدَاقِ

هَلْ عَلَيْهَا بِمَا أَتَتْ مِنْ جُنَاحٍ ... أَمْ حَلَالٌ لَهَا دَمُ الْعُشَّاقِ

فَكَتَبَ[٥] الجَوَابَ بِخَطِّهِ تَحْتَ الْبَيْتَيْنِ:

عِنْدِي جَوَابُ مَسَائِلِ الْعُشَّاقِ ... فَاسْمَعْهُ مِنْ قَرِحِ الْحَشَا مُشْتَاقِ

لَمَّا سَأَلْتَ عَنِ الْهَوَى هَيَّجْتَنِي ... وَأَرَقْتَ دَمْعًا لَمْ يَكُنْ بِمُرَاقِ

إِنْ كَانَ مَعْشُوقٌ[٦] يُعَذِّبُ عَاشِقًا ... كَانَ الْمُعَذَّبُ أَنْعَمَ الْعُشَّاقِ»[٧]

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ «مَنَازِلِ الْأَحْبَابِ»، شِهَابُ الدِّينِ مَحْمُودُ[٨] بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ فَهْدٍ، صَاحِبُ الْإِنْشَاءِ[٩]: وَقُلْتُ فِي جَوَابِ الْبَيْتَيْنِ عَلَى وَزْنِهِمَا[١٠] مُجِيبًا لِلسَّائِلِ:

قُلْ لِمَنْ جَاءَ سَائِلًا عَنْ لِحَاظٍ ... هُنَّ يَلْعَبْنَ فِي دَمِ الْعُشَّاقِ

---

(١) في (ط١): فقال. (٢) في (ب): وكذلك، بدل «ذكر ذلك».

(٣) «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٢٩) وفيه أن القصة وقعت في مجلس القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وسياق القصة الموافق لما هنا هو في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٦/ ٢٥٢٨- ٢٥٢٩)، و«الوافي بالوفيات» للصفدي (٣/ ٥٠).

(٤) في (ط، ط١): قواتل. (٥) في (ب): فأجاب. (٦) في (ب، ط): معشوقًا.

(٧) «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٢٦)، و«مصارع العشاق» لجعفر البغدادي (٢/ ١١٩).

(٨) في (ب): محمد. (٩) في (ط): صاحب كتاب: «الإنشاء».

(١٠) في (ط): قافيتها.

مَا عَلَى السَّيْفِ فِي الْوَرَى مِنْ جُنَاحٍ ... إِنْ ثَنَى الْحَدَّ عَنْ دَمٍ مُهْرَاقِ
وَسُيُوفُ اللِّحَاظِ أَوْلَى بِأَنْ تُصْـ ... ـفَحَ عَمَّا جَنَتْ عَلَى الْعُشَّاقِ
إِنَّمَا كُلُّ مَنْ قَتَلْنَ شَهِيدٌ(١) ... وَلِهَذَا يَفْنَى ضَنًى وَهْوَ بَاقِ(٢)

وَنَظِيرُ ذَلِكَ فَتْوَى وَرَدَتْ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْخَطَّابِ، مَحْفُوظِ بْنِ أَحْمَدَ الْكَلْوَذَانِيِّ، شَيْخِ الْحَنَابِلَةِ فِي وَقْتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قُلْ لِلْإِمَامِ أَبِي الْخَطَّابِ مَسْأَلَةٌ ... جَاءَتْ إِلَيْكَ وَمَا خَلْقٌ سِوَاكَ لَهَا
مَاذَا عَلَى رَجُلٍ رَامَ الصَّلَاةَ فَمُذْ ... لَاحَتْ لِخَاطِرِهِ ذَاتُ الْجَمَالِ لَهَا(٣)

فَأَجَابَهُ تَحْتَ السُّؤَالِ:

قُلْ لِلْأَدِيبِ الَّذِي وَافَى بِمَسْأَلَةٍ ... سَرَّتْ فُؤَادِي لَمَّا أَنْ أَصَخْتُ لَهَا
إِنَّ الَّتِي فَتَنَتْهُ عَنْ عِبَادَتِهِ ... خَرِيدَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ فَانْثَنَى وَلَهَا(٤)
إِنْ تَابَ ثُمَّ قَضَى عَنْهُ عِبَادَتَهُ ... فَرَحْمَةُ اللهِ تَغْشَى مَنْ عَصَى وَلَهَا(٥)

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَعْمَرٍ(٦) الْقَيْسِيُّ: حَجَجْتُ سَنَةً، ثُمَّ دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ [ذَاتَ ليلةٍ](٧) بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، إِذْ سَمِعْتُ أَنِينًا، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ:

---

(١) في (أ، ب): شهيدًا.

(٢) ذكره السفاريني في «غذاء الألباب» في «شرح منظومة الآداب» (١/ ٩٦)، ولم ترد في «المطبوع من منازل الأحباب»، ولعل ذلك لنقص في المخطوط.

(٣) لها: من اللهو.

(٤) من الوله وهو شدة الشوق حتى يذهب عقله.

(٥) ولها: من اللهو. والقصة ذكرها الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٥/ ٢٥٢ - ٢٥٣)، وابن رجب في «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٢٧٦)، وفيهما: «لاحت لناظره».

(٦) في «المستجاد من فعلات الأجواد» للتنوخي ص: [٦٤] عبد الله بن المعتمر.

(٧) ساقط من: (ط)، وجاءت فيها في بداية القصة في قوله: دخلت ذات ليلة مسجد.

أَشْجَاكَ نَوْحُ حَمَائِمِ السِّدْرِ ... فَأَهَجْنَ مِنْكَ بَلَابِلَ الصَّدْرِ
أَمْ عَزَّ نَوْمَكَ ذِكْرُ غَانِيَةٍ ... أَهْدَتْ إِلَيْكَ وَسَاوِسَ الْفِكْرِ
يَا لَيْلَةً طَالَتْ عَلَى دَنِفٍ ... يَشْكُو السُّهَادَ[1] وَقِلَّةَ الصَّبْرِ
أَسْلَمْتِ مَنْ يَهْوَى[2] لِحَرِّ جَوًى ... مُتَوَقِّدٍ[3] كَتَوَقُّدِ الْجَمْرِ
فَالْبَدْرُ يَشْهَدُ أَنَّنِي كَلِفٌ ... مُغْرًى بِحُبِّ شَبِيهَةِ الْبَدْرِ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَهِيمُ بِهَا ... حَتَّى بُلِيتُ وَكُنْتُ لَا أَدْرِي

ثُمَّ انْقَطَعَ الصَّوْتُ، فَلَمْ أَدْرِ مِنْ أَيْنَ جَاءَ، وَإِذَا بِهِ قَدْ أَعَادَ[4] الْبُكَاءَ وَالْأَنِينَ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

أَشْجَاكَ مِنْ رَيَّا خَيَالٌ زَائِرٌ ... وَاللَّيْلُ مُسْوَدُّ الذَّوَائِبِ عَاكِرُ
وَاغْتَالَ مُهْجَتَكَ الْهَوَى بِرَسِيسِهِ ... وَاهْتَاجَ[5] مُقْلَتَكَ الْخَيَالُ الزَّائِرُ
نَادَيْتَ رَيَّا وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ ... يَمٌّ تَلَاطَمَ فِيهِ مَوْجٌ زَاخِرُ
وَالْبَدْرُ يَسْرِي فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ ... مَلِكٌ تَرَجَّلَ وَالنُّجُومُ عَسَاكِرُ
وَتَرَى بِهِ الْجَوْزَاءَ تَرْقُصُ فِي الدُّجَى ... رَقْصَ الْحَبِيبِ عَلَاهُ سُكْرٌ ظَاهِرُ[6]
يَا لَيْلُ طُلْتَ عَلَى مُحِبٍّ[7] مَا لَهُ ... إِلَّا الصَّبَاحَ مُسَاعِدٌ وَمُؤَازِرُ
فَأَجَابَنِي مُتْ حَتْفَ أَنْفِكَ وَاعْلَمَنْ ... أَنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ الْحَاضِرُ

قَالَ: وَكُنْتُ قَدْ[8] ذَهَبْتُ عِنْدَ ابْتِدَائِهِ بِالْأَبْيَاتِ، فَلَمْ يَتَنَبَّهْ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ، فَرَأَيْتُ شَابًّا مُقْتَبِلًا شَبَابُهُ[9]، قَدْ خَرَقَ الدَّمْعُ فِي خَدِّهِ خَرْقَيْنِ.

---

(١) الدنف: المريض الذي لازمه المرض، والسهاد: الأرق.
(٢) في (ب، ط): تهوى.
(٣) في (أ): متوقدًا.
(٤) في (ط): عاد.
(٥) في (ب): وأهاج.
(٦) في (ب): علا سكر طاهر.
(٧) في (ب): حبيب.
(٨) ساقطة من: (ط، ط١).
(٩) في (ب): شأنه.

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اجْلِسْ، مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَعْمَرٍ الْقَيْسِيُّ.

قَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. كُنْتُ جَالِسًا فِي الرَّوْضَةِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا صَوْتُكَ، فَبِنَفْسِي أَفْدِيكَ فَمَا الَّذِي تَجِدُ؟

فَقَالَ: أَنَا عُتْبَةُ بْنُ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ الْأَنْصَارِيُّ، غَدَوْتُ يَوْمًا إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ اعْتَزَلْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، فَإِذَا بِنِسْوَةٍ قَدْ أَقْبَلْنَ يَتَهَادَيْنَ مِثْلَ الْقَطَا، وَإِذَا فِي[1] وَسَطِهِنَّ جَارِيَةٌ بَدِيعَةُ الْجَمَالِ، كَامِلَةُ الْمَلَاحَةِ، فَوَقَفَتْ عَلَيَّ، وَقَالَتْ[2]: يَا عُتْبَةُ، مَا تَقُولُ فِي وَصْلِ مَنْ يَطْلُبُ[3] وَصْلَكَ؟ ثُمَّ تَرَكَتْنِي وَذَهَبَتْ.

فَلَمْ أَسْمَعْ لَهَا خَبَرًا، وَلَا قَفَوْتُ لَهَا أَثَرًا، وَأَنَا حَيْرَانُ أَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ[4]، ثُمَّ صَرَخَ، وَأَكَبَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، كَأَنَّمَا صُبِغَتْ وَجْنَتَاهُ بِوَرْسٍ[5]، ثُمَّ أَنْشَدَ[6]:

أَرَاكُمْ بِقَلْبِي مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ ... فَيَا هَلْ تَرَوْنِي بِالْفُؤَادِ عَلَى بُعْدِ[7]

فُؤَادِي وَطَرْفِي يَأْسَفَانِ عَلَيْكُمُ ... وَعِنْدَكُمْ رُوحِي وَذِكْرُكُمْ عِنْدِي

وَلَسْتُ أَلَذُّ الْعَيْشَ حَتَّى أَرَاكُمُ ... وَلَوْ كُنْتُ فِي الْفِرْدَوْسِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ

فَقُلْتُ لَهُ[8]: يَا ابْنَ أَخِي، تُبْ إِلَى رَبِّكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ مِنْ ذَنْبِكَ، فَبَيْنَ يَدَيْكَ[9] هَوْلُ الْمَطْلَعِ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِسَالٍ حَتَّى يَؤُوبَ[10] الْقَارِظَانِ! وَلَمْ أَزَلْ مَعَهُ إِلَى أَنْ طَلَعَ[11] الْفَجْرُ[12].

---

(١) في (ب): فإذا في، وفي (ط١): وفي.
(٢) في (ط): فقالت.
(٣) في (ب): تطلب.
(٤) في (ط): آخر.
(٥) الورس: نبت تستخرج منه صبغة حمراء، تصبغ بها ملابس الحرير وغيرها.
(٦) في (ط١): ثم أنشأ يقول.
(٧) في (ط): بعدي.
(٨) زيادة من: (أ).
(٩) في (ب): ذلك.
(١٠) ساقطة من: (ب).
(١١) في (أ): معه حتى طلع.
(١٢) في (ط، ط١): الصبح، والمثبت من: (أ، ب).

فَقُلْتُ: قُمْ بِنَا إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ، فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ كُرْبَتَكَ، قَالَ(١): أَرْجُو ذَلِكَ(٢) إِنْ شَاءَ اللهُ بِبَرَكَةِ طَلْعَتِكَ(٣)، فَذَهَبْنَا حَتَّى أَتَيْنَا مَسْجِدَ الْأَحْزَابِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

يَا لَلرِّجَالِ لِيَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ أَمَا ... يَنْفَكُّ يُحْدِثُ لِي بَعْدَ النُّهَى طَرَبَا
مَا إِنْ يَزَالُ غَزَالٌ مِنْهُ يُقْلِقُنِي(٤) ... يَأْتِي إِلَى مَسْجِدِ الْأَحْزَابِ مُنْتَقِبَا
يُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّ الْأَجْرَ هِمَّتُهُ ... وَمَا أَتَى طَالِبًا لِلْأَجْرِ مُحْتَسِبَا
لَوْ كَانَ يَبْغِي ثَوَابًا مَا أَتَى صَلِفًا(٥) ... مُضَمَّخًا بِفَتِيتِ الْمِسْكِ مُخْتَضِبَا

ثُمَّ جَلَسْنَا حَتَّى صَلَّيْنَا الظُّهْرَ، فَإِذَا(٦) بِالنِّسْوَةِ قَدْ أَقْبَلْنَ، وَلَيْسَتِ الْجَارِيَةُ فِيهِنَّ، فَوَقَفْنَ عَلَيْهِ، وَقُلْنَ لَهُ: يَا عُتْبَةُ مَا ظَنُّكَ بِطَالِبَةِ وَصْلِكَ، وَكَاسِفَةِ بَالِكَ؟ قَالَ: وَمَا بَالُهَا، قُلْنَ: أَخَذَهَا أَبُوهَا، وَارْتَحَلَ بِهَا إِلَى أَرْضِ السَّمَاوَةِ، فَسَأَلْتُهُنَّ عَنِ الْجَارِيَةِ، فَقُلْنَ: هِيَ رَيَّا ابْنَةُ الْغِطْرِيفِ السُّلَمِيِّ، فَرَفَعَ عُتْبَةُ رَأْسَهُ إِلَيْهِنَّ، وَقَالَ:

خَلِيلَيَّ رَيَّا قَدْ أُجِدَّ بُكُورُهَا(٧) ... وَسَارَتْ إِلَى أَرْضِ السَّمَاوَةِ عِيرُهَا
خَلِيلَيَّ إِنِّي قَدْ عَشِيتُ مِنَ الْبُكَا ... فَهَلْ عِنْدَ غَيْرِي مُقْلَةٌ أَسْتَعِيرُهَا

فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي وَرَدْتُ(٨) بِمَالٍ جَزِيلٍ أُرِيدُ بِهِ أَهْلَ السَّتْرِ(٩)، وَوَاللهِ(١٠) لَأَبْذُلَنَّهُ أَمَامَكَ، حَتَّى تَبْلُغَ رِضَاكَ، وَفَوْقَ الرِّضَا(١١)، فَقُمْ بِنَا إِلَى مَسْجِدِ الْأَنْصَارِ.

---

(١) في (ط): فقال.
(٢) في (أ، ط١): ذاك، والمثبت من: (ب، ط).
(٣) إن قصد بما جعل الله من البركة بمجيئك فلا بأس، وأما التبرك بذاتِ أحد من الناسِ بعد رسول الله ﷺ فهو من وسائل الشرك.
(٤) في (ط): يقتلني.
(٥) الصلف: شدة الطبع وجفاؤه.
(٦) في (أ): وإذا.
(٧) الكور: الرَّحْل.
(٨) في (ط، ط١): قد وردت.
(٩) في (ب): السير!
(١٠) في (ب): فوالله.
(١١) في (أ): حتى تبلغ فوق رضاك وفوق الرضا.

فَقُمْنَا، وَسِرْنَا، حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ، فَسَلَّمْتُ، فَأَحْسَنُوا الرَّدَّ، فَقُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلَأُ، مَا تَقُولُونَ فِي عُتْبَةَ وَأَبِيهِ؟ قَالُوا: مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ، فَقُلْتُ[١]: إِنَّهُ[٢] قَدْ رُمِيَ بِدَاهِيَةٍ[٣] مِنَ الْهَوَى، وَمَا أُرِيدُ مِنْكُمْ إِلَّا الْمُسَاعَدَةَ إِلَى السَّمَاوَةِ، فَقَالُوا: سَمْعًا وَطَاعَةً.

فَرَكِبْنَا، وَرَكِبَ الْقَوْمُ مَعَنَا، حَتَّى أَشْرَفْنَا عَلَى مَنَازِلِ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأُعْلِمَ الْغِطْرِيفُ بِنَا، فَخَرَجَ مُبَادِرًا، فَاسْتَقْبَلَنَا، وَقَالَ: حُيِّيتُمْ بِالإِكْرَامِ[٤].

فَقُلْنَا: وَأَنْتَ فَحَيَّاكَ اللهُ، إِنَّا لَكَ أَضْيَافٌ، فَقَالَ: نَزَلْتُمْ أَكْرَمَ مَنْزِلٍ.

ثُمَّ نَادَى[٥]: يَا مَعْشَرَ الْعَبِيدِ، أَنْزِلُوا الْقَوْمَ، فَفُرِشَتِ الْأَنْطَاعُ وَالنَّمَارِقُ[٦]، وَذُبِحَتِ الذَّبَائِحُ، فَقُلْنَا: لَسْنَا بِذَائِقِي طَعَامِكَ حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَنَا.

فَقَالَ: وَمَا حَاجَتُكُمْ؟ قُلْنَا[٧]: نَخْطُبُ عَقِيلَتَكَ الْكَرِيمَةَ لِعُتْبَةَ بْنِ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ.

فَقَالَ: إِنَّ الَّتِي تَخْطِبُونَهَا أَمْرُهَا إِلَى نَفْسِهَا[٨]، وَأَنَا أَدْخُلُ أُخْبِرُهَا.

ثُمَّ دَخَلَ مُغْضَبًا عَلَى ابْنَتِهِ، فَقَالَتْ: يَا أَبَتِ، مَا لِي أَرَى الْغَضَبَ[٩] فِي وَجْهِكَ؟

فَقَالَ: قَدْ وَرَدَ الْأَنْصَارُ يَخْطُبُونَكِ مِنِّي.

قَالَتْ[١٠]: سَادَةٌ[١١] كِرَامٌ، اسْتَغْفَرَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلِمَنِ الْخِطْبَةُ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ[١٢]: لِعُتْبَةَ بْنِ الْحُبَابِ، فَقَالَتْ[١٣]: وَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ عَنْ عُتْبَةَ هَذَا: أَنَّهُ يَفِي بِمَا وَعَدَ، وَيُدْرِكُ إِذَا قَصَدَ.

---

(١) في (ب): فقال، وفي (ط): قلت.
(٢) في (ط): فإنه.
(٣) في (ط١): بداية.
(٤) في (ط): يا كرام.
(٥) في (ط١): فنادى.
(٦) أي: فرشت الفرش ووضعت الوسائد.
(٧) في (ب): فقلنا.
(٨) في (ب): نفسهم!
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (ط): فقالت.
(١١) في (ط): سادات.
(١٢) في (أ، ط١): قال.
(١٣) في (ط، ط١): قالت.

فَقَالَ: أَقْسَمْتُ لَا زَوَّجْتُكِ بِهِ أَبَدًا، وَلَقَدْ نَمَى إِلَيَّ بَعْضُ حَدِيثِكِ مَعَهُ، فَقَالَتْ: مَا كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذْ أَقْسَمْتَ، فَإِنَّ الْأَنْصَارَ لَا يَرُدُّونَ رَدًّا قَبِيحًا، فَأَحْسِنْ[1] لَهُمُ الرَّدَّ.

فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: أَغْلِظْ لَهُمُ الْمَهْرَ، فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا يُجِيبُونَ، فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ مَا قُلْتِ!

ثُمَّ خَرَجَ مُبَادِرًا لَهُمْ[2]، فَقَالَ: إِنَّ فَتَاةَ الْحَيِّ قَدْ أَجَابَتْ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ مَهْرًا مِثْلَهَا[3]، فَمَنِ الْقَائِمُ بِهِ[4]؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَعْمَرٍ: أَنَا، فَقُلْ مَا شِئْتَ.

فَقَالَ: أَلْفُ مِثْقَالٍ[5] مِنَ الذَّهَبِ، وَمِائَةُ ثَوْبٍ مِنَ الْأَبْرَادِ، وَخَمْسَةُ أَكْرِشَةِ عَنْبَرٍ[6]، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَكَ ذَلِكَ[7]، فَهَلْ أَجَبْتَ، قَالَ: أَجَلْ[8].

قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَأَنْفَذْتُ نَفَرًا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَوْا بِجَمِيعِ مَا طَلَبَ، ثُمَّ صُنِعَتِ الْوَلِيمَةُ، وَأَقَمْنَا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا، ثُمَّ قَالَ: خُذُوا فَتَاتَكُمْ، وَانْصَرِفُوا مُصَاحَبِينَ.

ثُمَّ حَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ، وَجَهَّزَهَا بِثَلَاثِينَ رَاحِلَةً مِنَ الْمَتَاعِ وَالتُّحَفِ، فَوَدَّعْنَاهُ، وَسِرْنَا، حَتَّى[9] بَقِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ مَرْحَلَةٌ وَاحِدَةٌ[10]، خَرَجَتْ عَلَيْنَا خَيْلٌ تُرِيدُ الْغَارَةَ، أَحْسَبُهَا مِنْ سُلَيْمٍ، فَحَمَلَ عَلَيْهَا عُتْبَةُ بْنُ الْحُبَابِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ رِجَالًا، وَجَنْدَلَ[11] آخَرِينَ.

ثُمَّ رَجَعَ وَبِهِ طَعْنَةٌ تَفُورُ دَمًا، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَتَتْنَا نَجْدَةٌ[12]، فَطَرَدَتْ عَنَّا الْخَيْلَ،

---

(١) في (ط): حسِّن.

(٢) زيادة من: (ب).

(٣) في (ط، ط١): لها مهر مثلها.

(٤) ساقطة من: (ب).

(٥) ساقطة من: (أ).

(٦) اي: خمسة أوعية من العنبر.

(٧) في (ط): لك ذلك كله.

(٨) في (ط١): نعم.

(٩) في (ط، ط١): حتى إذا.

(١٠) ساقطة من: (ب).

(١١) في (أ): حذل، وفي (ط): وجرح، وفي (ط١): وجدّل.

(١٢) في (ط١): وأتتنا نجدة، وفي (ط): وانثنى بخده!!

وَقَدْ قَضَى عُتْبَةُ نَحْبَهُ، فَقُلْنَا: وَاعُتْبَتَاهُ(١)، فَسَمِعَتْنَا الْـجَارِيَةُ، فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا عنِ(٢) الْبَعِيرِ، وَجَعلَتْ تَصِيحُ بِحُرْقَةٍ، وَأَنْشَدَتْ:

تَصَبَّرْتُ لا أَنِّي صَبِرْتُ وَإِنَّمَا ... أُعَلِّلُ نَفْسِي أَنَّهَا بِكَ لاحِقَهْ

فَلَوْ أَنْصَفَتْ رُوحِي لَكَانَتْ إِلَى الرَّدَى ... أَمَامَكَ مِنْ دُونِ الْبَرِيَّةِ سَابِقَهْ

فَمَا أَحَدٌ بَعْدِي وَبَعْدَكَ مُنْصِفٌ ... خَلِيلًا وَلَا نَفْسٌ لِنَفْسٍ مُوَافِقَهْ

ثُمَّ شَهِقَتْ، وَقَضَتْ نَحْبَهَا، فَاحْتَفَرْنَا لَهُمَا قَبْرًا وَاحِدًا وَدَفَنَّاهُمَا فِيهِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ(٣)، فَأَقَمْتُ سَبْعَ سِنِينَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الْحِجَازِ، وَوَرَدْتُ الْـمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَآتِيَنَّ قَبْرَ عُتْبَةَ أَزُورُهُ، فَأَتَيْتُ الْقَبْرَ، فَإِذَا عَلَيْهِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا عَصَائِبُ حُمْرٌ وَصُفْرٌ(٤)، فَقُلْتُ لِأَرْبَابِ الْـمَنْزِلِ: مَا يُقَالُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ قَالُوا: «شَجَرَةُ الْعَرُوسَيْنِ»(٥).

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْعِشْقِ مِنَ الرُّخْصَةِ الْـمُخَالِفَةِ لِلتَّشْدِيدِ إِلَّا الْحَدِيثُ الْوَارِدُ بِالْحَسَنِ مِنَ الْأَسَانِيدِ، وَهُوَ حَدِيثُ سُوَيْدِ بْنِ(٦) سَعِيدٍ، عنْ عَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْقَتَّاتِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ: «**مَنْ عَشِقَ، وَعَفَّ، وَكَتَمَ، فَمَاتَ، فَهُوَ شَهِيدٌ**».

وَرَوَاهُ سُوَيْدٌ أَيْضًا، عَنِ ابْنِ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا.

---

(١) في (ب): واعتباه.

(٢) في (ط): من.

(٣) في (ط): ثم رجعت إلى المدينة. وهو خطأ. فهو قد رجع إلى بلده، بدلالة ما بعده.

(٤) وهذا فعل باطل، من أفعال المشركين، وأهل الجاهلية.

(٥) ذكر القصة أبو علي التنوخي في «المستجاد من فعلات الأجواد» ص: (٦٤-٦٨)، وابن حجة الحموي في «ثمرات الأوراق» (٢/ ١٧٣- ١٧٩) وقال: قيل: إن عبد الله بن معمر القيسي كان أميرًا من أمراء العرب، وكان بطلا شجاعًا جوادًا ذا مروءة وافرة.

(٦) في (ب): عن.

وَرَوَاهُ الْـخَطِيبُ، عَنِ الْأَزْهَرِيِّ، عَنِ الْـمُعَافَى بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ قُطْبَةَ(١) بنِ الْفَضْلِ(٢)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَسْرُوقٍ، عَنْهُ.

وَرَوَاهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْـمَاجِشُونِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٣).

وَهَذَا سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷺ، نَظَرَ إِلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ: «سُبْحَانَ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»(٤).

---

(١) في (ب): فطنة!

(٢) في (ط): عن قطبة عن ابن الفضل!

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) ذكر القصة كثير من المفسرين بدون إسناد، وقد روى يونس بن بكير في زياداته على سيرة ابن إسحاق (٥/ ٢٤٤-مع سيرة ابن هشام)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣١٦) من طريق سُلَيم مَوْلَى الشَّعْبِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ»، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ: أَلا أُطَلِّقُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وسليم ضعيفٌ.

ورواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٠٢)، وابن جرير في «تاريخه» (٢/ ٨٩)، والحاكم (٤/ ٢٥)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٣/ ٢٢٦) من طريق الواقدي عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ الأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، قَالَ: جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَطْلُبُهُ..». والواقدي متروك، والأسلمي: ضعيف، والحديث معضل.

ورواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ١٣)، وفي «تاريخه» (٢/ ٨٩ - ٩٠) عن ابْنِ زَيْدٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ زَوَّجَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، ابْنَةَ عَمَّتِهِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا يُرِيدُهُ، وَعَلَى الْبَابِ سِتْرٌ مِنْ شَعْرٍ، فَرَفَعَتِ الرِّيحُ السِّتْرَ فَانْكَشَفَ، وَهِيَ فِي حُجْرَتِهَا حَاسِرَةٌ، فَوَقَعَ إِعْجَابُهَا فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ. فَلَمَّا وَقَعَ ذَلِكَ كُرِّهَتْ إِلَى الآخَرِ، قال: فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُفَارِقَ صَاحِبَتِي، قَالَ: «مَا لَكَ، أَرَابَكَ مِنْهَا شَيْءٌ؟»، قَالَ: لا، وَاللهِ مَا رَابَنِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلا رَأَيْتُ إِلا خَيْرًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ»، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. تُخْفِي فِي نَفْسِكَ إِنْ فَارَقَهَا تَزَوَّجْتَهَا. وابن زيد ضعيف
=

وَكَانَتْ تَحْتَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ، فَلَمَّا هَمَّ بِطَلَاقِهَا، قَالَ(١): «اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، فَلَمَّا طَلَّقَهَا، زَوَّجَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ [مِنْ رَسُولِهِ ﷺ](٢) مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ.

فَكَانَ هُوَ وَلِيَّهَا، وَوَلِيَ تَزْوِيجَهَا مِنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَعَقَدَ عَقْدَ نِكَاحِهَا مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وَهَذَا دَاوُدُ نَبِيُّ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا كَانَ تَحْتَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً، ثُمَّ أَحَبَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، فَتَزَوَّجَ بِهَا(٣)، وَكَمَّلَ بِهَا الْمِائَةَ(٤).

= جدًا، وهو مع ذلك معضل. وأصل القصة بدون قضية النظر صحيح ثابت. فقد روى البخاري في «صحيحه» [٧٤٢٠]، ومسلم [١٧٧]، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ»، قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكَتَمَ هَذِهِ، قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ. واللفظ للبخاري.

(١) في (ط، ط١): قال له.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٣) في (ط، ط١): فتزوجها.

(٤) قصة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ مع المرأة من الإسرائيليات المنكرة، المخالفة لشريعتنا، وقد رويت عن النبي ﷺ من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رواها: الحكيم الترمذي في نوادر الأصول [٨٣٢]، وابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٠ - ١٥١)، وفي «تاريخه» (١/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم [١٨٣٤٤]، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٩٠)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٥) من طريق يزيد الرقاشي وهو ضعيف. ورويت آثار موقوفة عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وأبي عمران الجوني، والسدي، وعطاء الخراساني، ووهب بن منبه. فبعضها ضعيف، وبعضها لو صح فهو مما أخذ عن أهل الكتاب.

وقَـالَ الزُّهْـرِيُّ: «أَوَّلُ حُـبٍّ كَانَ فِي الْإِسْـلَامِ: حُـبُّ النَّبِـيِّ ﷺ عَـائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا»[(١)].

وَكَانَ مَسْرُوقٌ يُسَمِّيهَا «حَبِيبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ[(٢)]»[(٣)].

وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ[(٤)] مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو: أَرْسَلَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو إِلَى أُمِّ سَـلَمَةَ؛ أَسْـأَلُهَا: أَكَانَ النَّبِـيُّ ﷺ يُقَبِّلُ أَهْلَهُ[(٥)] وَهُـوَ صَائِمٌ؟ فَقَالَتْ: لَا، فَقَالَ: إِنَّ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيَّ ﷺ[(٦)] يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ»، فَقَالَتْ أُمُّ سَـلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى عَائِشَةَ لَا يَتَمَالَكُ عَنْهَا»[(٧)].

---

(١) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [١٩]، والآجري في «الشريعة» [١٩٠٩]، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٤)، عن الزهري، ورواه عن الزهري: عبد العزيز بن عمران وهو منروك، ومحمد بن الزبير مؤذن مسجد حران وهو ضعيف.

ورواه الدارقطني في «الغرائب والأفراد» (١٢٠٢-أفراده)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٤)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٧٢) من طريق موسى بن أحمد حدثنا الموقري عن الزهري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أول حب كان في الإسلام حب النبي لعائشة». قال ابن الجوزي: «تفرد به الموقري ولم يروه عنه غير موسى بن محمد بن عطاء وكلاهما كذاب».

(٢) في (أ، ط١): حبيبة رسول رب العالمين.

(٣) أثرٌ صحيحٌ: رواه المروزي في «زوائده على الزهد» لابن المبارك [١٠٧٩]، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٦٦)، والإمام أحمد في «العلل» [٢٨٤٠]، والآجري في «الشريعة» [١٨٨٦]، وابن بطة في «الإبانة - فضائل الصحابة» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ [١٥١]، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٤)، وغيرهم عَنْ مُسْلِمِ ابن صبيح، عَنْ مَسْرُوقٍ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَ عَنْ عَائِشَةَ رحمها الله، قَالَ: «حَدَّثَتْنِي الْمُبَرَّأَةُ الصِّدِّيقَةُ ابْنَةُ الصِّدِّيقِ، حَبِيبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ». وإسناده صحيح.

(٤) في (أ، ب): أنيس.

(٥) ساقطة من: (ط١).

(٦) في (ط): إن النبي ﷺ كان.

(٧) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٦، ٣١٧)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [٣٠٣٠]، والنسائي في «الكبرى» [٣٠٧٢]، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤٥، ٣٤٠)، و«الأوسط» (٣٢٣٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ١٢٤)

=

وَذَكَرَ سَعْدُ[١] بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ[٢] ﷺ يَزُورُ هَاجَرَ[٣] فِي كُلِّ يَوْمٍ[٤] عَلَى الْبُرَاقِ مِنْ شَغَفِهِ بِهَا[٥]، وَقِلَّةِ صَبْرِهِ عَنْهَا[٦]»[٧].

وَذَكَرَ الْخَرَائِطِيُّ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ م اشْتَرَى جَارِيَةً رُومِيَّةً، فَكَانَ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا، فَوَقَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ عَنْ بَغْلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ وَجْهِهَا، وَيُقَبِّلُهَا[٨]، وَكَانَتْ تُكْثِرُ[٩] أَنْ تَقُولَ: يَا بَطْرُونُ، أَنْتَ قَالُونُ، يَعْنِي[١٠]: يَا مَوْلَايَ، أَنْتَ جَيِّدٌ، ثُمَّ إِنَّهَا هَرَبَتْ مِنْهُ، فَوَجَدَ عَلَيْهَا وَجْدًا شَدِيدًا، وَقَالَ:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُنِي قَالُونَ فَانْصَرَفَتْ ... فَالْيَوْمَ أَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ قَالُونَ[١١]

= من طريق موسى بن علي عن أبيه عن أبي قيس، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا به. وإسناده ظاهره أنه صحيح على شرط مسلم، ولكنه معارض بما صح عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقبلها وهو صائم. انظر: («إرواء الغليل» [٤/ ٨٤]).

(١) في (ط): سعيد. وهو خطأ.
(٢) في (ط١): خليل الله.
(٣) في (ب): يزوره جبريل.
(٤) في (ط، ط١): كل يوم من الشام.
(٥) في (ب): به.
(٦) في (ب): عنه.
(٧) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [٧٣٨]، وابن عساكر في «تاريخه» (٦٩/ ١٨٧) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده الواقدي: متروكٌ.
(٨) في (ط١): ويفديها.
(٩) في (ط): تكثر من.
(١٠) في (ط، ط١): تعني.
(١١) أثرٌ موضوع: رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/ ١٧٨) عن شيخه غالب بن أحمد بن المسلم -ولم يكن الحديث من شأنه-، عن علي بن أحمد بن زهير - وهو ليس بثقة -، عن علي بن محمد بن شجاع - وهو كذاب في سماعه لبعض كتب العلماء -، عن مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الإِسْفَرَايِينِيِّ عن عَبْدِ اللهِ ابْن عَدِيٍّ الْحَافِظ، عن مُحَمَّدِ بنِ خَلَفٍ، عن أَبِي زَيْدٍ النُّمَيْرِيِّ، نا أَحْمَدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ-وهو اسم مبهم-، عَنْ مَالِكٍ، قَالَ: اشْتَرَى ابْنُ عُمَرَ جَارِيَةً رُومِيَّةً.. فهذا إسناد منقطع وفيه متروكون، ورجل مبهم.

قَالَ أَبُو[(١)] مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ: «وَقَدْ أَحَبَّ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ كَثِيرٌ»[(٢)].

وَقَالَ رَجُلٌ[(٣)] لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، رَأَيْتُ امْرَأَةً فَعَشِقْتُهَا، فَقَالَ: **«ذَلِكَ مَا لَا تَمْلِكُ[(٤)]»**[(٥)].

فَالْجَوَابُ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ:

أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا[(٦)] الْبَابِ لَابُدَّ فِيهِ مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَالْجَائِزِ، وَالنَّافِعِ وَالضَّارِّ، وَلَا يُسْتَعْجَلُ[(٧)] عَلَيْهِ بِالذَّمِّ وَالْإِنْكَارِ، وَلَا بِالْمَدْحِ وَالْقَبُولِ، مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ.

وَإِنَّمَا يَتَبَيَّنُ[(٨)] حُكْمُهُ، وَيَنْكَشِفُ أَمْرُهُ، بِذِكْرِ مُتَعَلَّقِهِ[(٩)]، وَإِلَّا فَالْعِشْقُ مِنْ حَيْثُ هُوَ لَا يُحْمَدُ وَلَا يُذَمُّ.

وَنَحْنُ نَذْكُرُ النَّافِعَ مِنَ الْحُبِّ، وَالضَّارَّ، وَالْجَائِزَ، وَالْحَرَامَ.

اعْلَمْ أَنَّ أَنْفَعَ الْمَحَبَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَأَوْجَبَهَا، وَأَعْلَاهَا، وَأَجَلَّهَا: مَحَبَّةُ مَنْ جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَفُطِرَتِ الْخَلِيقَةُ عَلَى تَأَلُّهِهِ[(١٠)].

---

(١) ساقطة من: (أ).

(٢) في «طوق الحمامة» لابن حزم ص: [٩٠]: «وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير، منهم بأندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعجاء، والحكم بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم..» فظهر أن مقصوده خلفاء زمانه.

(٣) في (أ): قال: وحكي.

(٤) في (ب): لا يملك.

(٥) أثر موضوع: رواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٥٨٦] وفي إسناده: عبد العزيز بن عمران متروك، وشيخه مبهم.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) في (ط): ولا يحكم، وفي (ط١) - اعتمادا على نسخة واحدة -: ولا يسجل. والمثبت من: (أ، ب).

(٨) في (ط): يبين.

(٩) في (ب): يتعلقه.

(١٠) في (ط): تأليهه.

وَبِهَا قَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، وَعَلَيْهَا فُطِرَتِ الْـمَخْلُوقَاتُ.

وَهِيَ سِرُّ شَهَادَةِ أَنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَإِنَّ «الْإِلَهَ» هُوَ[١] الَّذِي تَأْلَّهُ الْقُلُوبُ بِالْـمَحَبَّةِ، وَالْإِجْلَالِ، وَالتَّعْظِيمِ، وَالذُّلِّ[٢]، وَالْخُضُوعِ، وَتَعَبُّدُهُ[٣].

وَالْعِبَادَةُ لَا تَصْلُحُ[٤] إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ.

وَالْعِبَادَةُ هِيَ: كَمَالُ الْحُبِّ، مَعَ كَمَالِ الْـخُضُوعِ وَالذُّلِّ.

وَالشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ أَظْلَمِ الظُّلْمِ، الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ[٥] اللهُ.

وَاللهُ تَعَالَى يُحَبُّ لِذَاتِهِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّمَا [يُحَبُّ تَبَعًا لِـمَحَبَّتِهِ.

وَقَدْ دَلَّ عَلَى وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ سُبْحَانَهُ][٦]: جَمِيعُ كُتُبِهِ الْـمُنَزَّلَةِ، وَدَعْوَةُ جَمِيعِ رُسُلِهِ، وَفِطْرَتُهُ الَّتِي فَطَرَ عِبَادَهُ عَلَيْهَا، وَمَا رَكَّبَ فِيهِمْ مِنَ الْعُقُولِ، وَمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ.

فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ مَجْبُولَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهَا، وَأَحْسَنَ إِلَيْهَا، فَكَيْفَ بِمَنْ كُلُّ الْإِحْسَانُ مِنْهُ؟

وَمَا بِخَلْقِهِ جَمِيعِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وَمَا تَعَرَّفَ بِهِ[٧] إِلَى عِبَادِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْـحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا، وَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آثَارُ مَصْنُوعَاتِهِ، مِنْ كَمَالِهِ، وَبَهَائِهِ، وَجَلَالِهِ[٨]، وَعَظَمَتِهِ.

---

(١) ساقطة من: (ب).
(٢) في (ط): والذل له.
(٣) في (ط): والتعبد. وكلمة «وتعبده» معطوفة على «تألهه».
(٤) في (ط١): لا تصح.
(٥) في (ب): لا يغفر.
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).
(٧) ساقطة من: (ب).
(٨) في (ط، ط١): ونهاية جلاله.

وَالْـمَحَبَّـةُ لهَا داعِيانِ: الجَمالُ، وَالإجْمالُ[١]. وَالرَّبُّ تَعَالَىٰ لَهُ الْكَمالُ[٢] الْـمُطْلَقُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ «جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ»[٣]، بَلِ الْـجَمالُ كُلُّهُ لَهُ، وَالإِجْمالُ[٤] كُلُّهُ مِنْهُ.

فَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُحَبَّ لِذَاتِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ سِـوَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

وَالوِلَايَةُ أَصْلُهَا الحُبُّ، فَلَا مُوالَاةَ إِلَّا بِحُبٍّ، كَمَا أَنَّ الْعَدَاوَةَ أَصْلُهَا الْبُغْضُ.

وَاللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ، فَهُمْ يُوالُونَهُ بِمَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَهُوَ يُوالِيهِمْ بِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ. فَاللهُ يُوَالِي عَبْدَهُ الْـمُؤْمِنَ[٥] بِحَسَبِ مَـحَبَّتِهِ لَهُ.

وَلِهَذَا أَنْكَـرَ سُبْحَانَهُ عَلَى مَنِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِـهِ أَوْلِيَاءَ، بِخِلَافِ مَـنْ وَالَى أَوْلِيَاءَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْهُمْ مِنْ دُونِهِ، بَلْ مُوَالَاتُهُ لَهُمْ مِنْ تَمَامِ مُوَالَاتِهِ.

وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ سَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الْـمَحَبَّةِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ[٦] فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ أَنْدَادًا، يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥][٧].

---

(١) في (ط): والإجلال. والمراد بالإجمال: الإنعام.

(٢) في (ب): الجمال.

(٣) كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ. رواه مسلم في «صحيحه» (١/ ٩٣) رقم: [٩١].

(٤) في (ط): والإجلال. (٥) زيادة من: (ب). (٦) ساقطة من: (أ).

(٧) في (ط): يحبهم كحب الله. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وَأَخْبَرَ عَمَّنْ سَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْدَادِ فِي الْحُبِّ: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي النَّارِ لِمَعْبُودِيهِمْ(١): ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨].

وَبِهَذَا التَّوْحِيدِ فِي الْحُبِّ: أَرْسَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ جَمِيعَ رُسُلِهِ، وَأَنْزَلَ جَمِيعَ كُتُبِهِ، وَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِ دَعْوَةُ جَمِيعِ الرُّسُلِ، مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَلِأَجْلِهِ خَلَقَ(٢) السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَجَعَلَ الْجَنَّةَ لِأَهْلِهِ، وَالنَّارَ لِلْمُشْرِكِينَ بِهِ فِيهِ.

وَقَدْ أَقْسَمَ(٣) النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يَكُونَ هُوَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٤)، فَكَيْفَ بِمَحَبَّةِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ؟

وَقَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»(٥)، أَيْ: لَا تُؤْمِنُ حَتَّى تَصِلَ مَحَبَّتُكَ لِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ(٦).

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْلَى بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا فِي الْمَحَبَّةِ وَلَوَازِمِهَا، أَفَلَيْسَ الرَّبُّ - جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، [وَتَبَارَكَ اسْمُهُ، وَتَعَالَى جَدُّهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ](٧) - أَوْلَى بِمُحِبِّيهِ(٨)، وَعِبَادِهِ(٩) مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟!

وَكُلُّ مَا مِنْهُ إِلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ يَدْعُو إِلَى مَحَبَّتِهِ، مِمَّا يُحِبُّ الْعَبْدُ أَوْ يَكْرَهُ(١٠).

فَعَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ، وَمُعَافَاتُهُ وَابْتِلَاؤُهُ، وَقَبْضُهُ وَبَسْطُهُ، وَعَدْلُهُ وَفَضْلُهُ، وَإِمَاتَتُهُ وَإِحْيَاؤُهُ، وَلُطْفُهُ وَبِرُّهُ، وَرَحْمَتُهُ وَإِحْسَانُهُ، وَسَتْرُهُ وَعَفْوُهُ، وَحِلْمُهُ وَصَبْرُهُ عَلَى عَبْدِهِ،

---

(١) في (ب): لمعبودهم. (٢) في (ط): خلقت. (٣) في (ب): وأقسم.

(٤) سبق تخريجه. (٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ب): أي: لا تؤمن حتى أكون أحب إليك تصل محبتك إلى هذه الغاية.

(٧) ساقط من: (ط)، وسقط من (ب): «ولا إله غيره».

(٨) في (أ، ب، ط): بمحبته، والمثبت من: (ط١).

(٩) في (ط): وعبادته، وفي (ب): وعبادته وعباده.

(١٠) في (ط): ويكره.

وَإِجَابَتُهُ لِدُعَائِهِ[(١)]، وَكَشْفُ كَرْبِهِ، وَإِغَاثَةُ لَهْفَتِهِ، وَتَفْرِيجُ كُرْبَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهِ، بَلْ مَعَ غِنَاهُ التَّامِّ عَنْهُ، مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ.

كُلُّ ذَلِكَ دَاعٍ لِلْقُلُوبِ[(٢)] إِلَى تَأَلُّهِهِ[(٣)] وَمَحَبَّتِهِ.

بَلْ تَمْكِينُهُ عَبْدَهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَإِعَانَتُهُ عَلَيْهَا، وَسَتْرُهُ حَتَّى يَقْضِيَ وَطَرَهُ مِنْهَا، وَكَلَاءَتُهُ وَحِرَاسَتُهُ لَهُ، وَهو يَقْضِي وَطَرَهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ بِعَيْنِهِ[(٤)]، وَيَسْتَعِينُ[(٥)] عَلَيْهَا بِنِعَمِهِ: مِنْ أَقْوَى الدَّوَاعِي إِلَى مَحَبَّتِهِ.

فَلَوْ أَنَّ مَخْلُوقًا فَعَلَ بِمَخْلُوقٍ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَمْلِكْ قَلْبَهُ عَنْ مَحَبَّتِهِ، فَكَيْفَ لَا يُحِبُّ الْعَبْدُ بِكُلِّ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ، بِعَدَدِ الْأَنْفَاسِ، مَعَ إِسَاءَتِهِ؟!

فَخَيْرُهُ إِلَيْهِ[(٦)] نَازِلٌ، وَشَرُّهُ إِلَيْهِ صَاعِدٌ، يَتَحَبَّبُ إِلَيْهِ بِنِعَمِهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُ، وَالْعَبْدُ يَتَبَغَّضُ إِلَيْهِ بِالْمَعَاصِي وَهُوَ فَقِيرٌ إِلَيْهِ[(٧)].

---

(١) وإجابته له عليه.

(٢) في (أ): وكل ذلك للقلوب!

(٣) في (ط): تأليهه.

(٤) في (ط): يعينه.

(٥) في (ب): وهو يستعين.

(٦) ساقطة من: (ب).

(٧) وَفِي بَعْضِ الآثَارِ الإِلَهِيَّةِ: «إِنِّي وَالجِنَّ وَالإِنْسَ فِي نَبَإٍ عَظِيمٍ؛ أَخْلُقُ وَيُعْبَدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ سِوَايَ، خَيْرِي إِلَى العِبَادِ نَازِلٌ، وَشَرُّهُمْ إِلَيَّ صَاعِدٌ، أَتَحَبَّبُ إِلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ، وَيَتَبَغَّضُونَ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي». رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ» رقم: (٩٥٦، ٩٥٧)، وَالحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «نَوَادِرِ الأُصُولِ» (٤/ ٣١١) رقم: [٩٨٣]، وَالحَاكِمُ فِي «التَّارِيخ - كَمَا فِي الدُّرِّ الْمَنْثُورِ» (٧/ ٦٢٥) -، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ» رقم: [٤٥٦٣]، وَابنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٧/ ٧٧) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ وَشَرِيحِ بنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: فَذَكَرَهُ إِلَى قَوْلِهِ: «**وَيُشْكَرُ غَيْرِي**». وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، وَآخَرُ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ، وَكُلُّهَا وَاهِيَةٌ.

وَالأَظْهَرُ أَنَّهُ أَثَرٌ إِسْرَائِيلِيٌّ فَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزُّهْدِ» ص: [١٠٦] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «**إِنَّ فِي التَّوْرَاةِ مَكْتُوبًا: يَا ابنَ آدَمَ، تَذْكُرُنِي بِلِسَانِكَ وَتَنْسَانِي، وَتَدْعُو إِلَيَّ وَتَفِرُّ مِنِّي، وَأَرْزُقُكَ وَتَعْبُدُ غَيْرِي**» وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ الحَسَنِ، وَوَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

فَلَا إِحْسَانُهُ وَبِرُّهُ وَإِنْعَامُهُ عليه يَصُدُّهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَلَا مَعْصِيَةُ الْعَبْدِ وَلُؤْمُهُ يَقْطَعُ[(١)] إِحْسَانَ رَبِّهِ عَنْهُ.

فَأَلْأَمُ اللُّؤْمِ تَخَلُّفُ الْقُلُوبِ عَنْ مَحَبَّةِ مَنْ هَذَا شَأْنُهُ، وَتَعَلُّقُهَا بِمَحَبَّةِ سِوَاهُ.

وَأَيْضًا فَكُلُّ[(٢)] مَنْ تُحِبُّهُ مِنَ الْخَلْقِ وَيُحِبُّكَ إِنَّمَا يُرِيدُكَ لِنَفْسِهِ وَغَرَضِهِ مِنْكَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُكَ لَكَ، كَمَا فِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ: «**عَبْدِي كُلٌّ يُرِيدُكَ لِنَفْسِهِ**[(٣)]**، وَأَنَا أُرِيدُكَ لَكَ**»، فَكَيْفَ لَا يَسْتَحِي الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ رَبُّهُ لَهُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُ، مَشْغُولٌ بِحُبِّ غَيْرِهِ، قَدِ[(٤)] اسْتَغْرَقَ قَلْبَهُ مَحَبَّةُ[(٥)] سِوَاهُ؟

وَأَيْضًا، فَكُلُّ مَنْ تُعَامِلُهُ مِنَ الْخَلْقِ إِنْ لَمْ يَرْبَحْ عَلَيْكَ لَمْ يُعَامِلْكَ، فَلَابُدَّ[(٦)] لَهُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّبْحِ، وَالرَّبُّ تَعَالَى إِنَّمَا يُعَامِلُكَ لِتَرْبَحَ أَنْتَ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الرِّبْحِ وَأَعْلَاهُ، فَالدِّرْهَمُ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهِ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَسْرَعُ شَيْءٍ[(٧)] مَحْوًا.

وَأَيْضًا فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَلَقَكَ لِنَفْسِهِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمَنْ أَوْلَى مِنْهُ بِاسْتِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِي مَحَبَّتِهِ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي مَرْضَاتِهِ؟

وَأَيْضًا فَمَطَالِبُكَ، بَلْ مَطَالِبُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا لَدَيْهِ، وَهُوَ أَجْوَدُ الْأَجْوَدِينَ، وَأَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ.

أَعْطَى[(٨)] عَبْدَهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهُ فَوْقَ مَا يُؤَمِّلُهُ، يَشْكُرُ الْقَلِيلَ مِنَ الْعَمَلِ وَيُنَمِّيهِ، وَيَغْفِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الزَّلَلِ وَيَمْحُوهُ[(٩)]، ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

---

(١) في (أ): تقطع.
(٢) ساقطة من: (ب).
(٣) في (أ): لنفسه وغرضه.
(٤) في (ب): وقد.
(٥) في (ط): بمحبة.
(٦) في (ط، ط١): ولابد.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (ط١): وأعطى.
(٩) في (ب): ويمحيه، وفي (أ): ويمحوه يسأله ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي﴾ [الرحمن: ٢٩]. فتكررت فيها «يسأله».

لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، وَلَا تُغَلِّطُهُ[١] كَثْرَةُ الْمَسَائِلِ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ[٢]، وَيُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَيَغْضَبُ إِذَا لَمْ يُسْأَلْ.

يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ حَيْثُ لَا يَسْتَحِي الْعَبْدُ مِنْهُ، وَيَسْتُرُهُ حَيْثُ لَا يَسْتُرُ نَفْسَهُ، وَيَرْحَمُهُ حَيْثُ لَا يَرْحَمُ نَفْسُهُ.

دَعَاهُ بِنِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ وَأَيَادِيهِ[٣]، إِلَى كَرَامَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، فَأَبَى[٤]، فَأَرْسَلَ رُسُلَهُ فِي طَلَبِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعَهُمْ عَهْدَهُ، ثُمَّ نَزَلَ سُبْحَانَهُ إِلَيهِ[٥] بِنَفْسِهِ، وَقَالَ: «**مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[٦].

كَمَا قِيلَ:

أَدْعُوكَ لِلْوَصْلِ[٧] تَأْبَى ... أَبْعَثُ رُسُلِي فِي الطَّلَبْ
أَنْزِلُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي ... أَلْقَاكَ فِي النُّوَّامْ[٨]

وَكَيْفَ لَا تُحِبُّ الْقُلُوبُ مَنْ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ[٩] إِلَّا هُوَ، وَلَا يُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيُقِيلُ[١٠] الْعَثَرَاتِ، وَيَغْفِرُ الْخَطِيئَاتِ، وَيَسْتُرُ الْعَوْرَاتِ، وَيَكْشِفُ الْكُرُبَاتِ، وَيُغِيثُ اللَّهَفَاتِ، وَيُنِيلُ الطَّلَبَاتِ سِوَاهُ؟

---

(١) في (أ، ط١): ولا يغلطه. والمثبت من: (ب، ط).
(٢) في (ط، ط١): ولا يبرم بإلحاح الملحين، بل يحب الملحين في الدعاء. والمثبت من: (أ، ب).
(٣) في (ب): وأدناه.
(٤) ساقطة من: (أ).
(٥) ساقطة من: (ب).
(٦) سبق تخريجه.
(٧) في (ط): وللوصل.
(٨) لم أجد من ذكره.
(٩) في (ط، ط١): السيئات.
(١٠) في (ط، ط١): ولا يجيب الدعوات إلا هو، ولا يقيل... والمثبت من: (أ، ب).

فَهُوَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ شُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَحَقُّ مَنْ حُمِدَ، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى، وَأَرْحَمُ مَنِ اسْتُرْحِمَ، وَأَكْرَمُ مَنْ قُصِدَ، وَأَعَزُّ مَنِ الْتُجِئَ إِلَيْهِ وَأَكْفَى مَنْ تُوُكِّلَ عَلَيْهِ[١].

أَرْحَمُ بِعَبْدِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا[٢]، وَأَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ التَّائِبِ مِنَ الْفَاقِدِ لِرَاحِلَتِهِ، الَّتِي عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فِي الْأَرْضِ الْمُهْلِكَةِ، إِذَا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ، ثُمَّ وَجَدَهَا[٣].

وَهُوَ الْمَلِكُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْفَرْدُ لَا[٤] نِدَّ لَهُ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

لَنْ يُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَنْ يُعْصَى إِلَّا بِعِلْمِهِ، يُطَاعُ فَيَشْكُرُ، وَبِتَوْفِيقِهِ وَنِعْمَتِهِ أُطِيعَ، وَيُعْصَى فَيَغْفِرُ وَيَعْفُو، وَحَقُّهُ أُضِيعَ.

فَهُوَ أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَجَلُّ حَفِيظٍ، وَأَوْفَى وَفِيٍّ[٥] بِالْعَهْدِ، وَأَعْدَلُ قَائِمٍ بِالْقِسْطِ، حَالَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذَ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبَ الْآثَارَ، وَنَسَخَ الْآجَالَ.

---

(١) في (أ): وأكفى من توكل عليه العبد، وفي (ط): وأكفى من توكل العبد عليه.

(٢) روى البخاري [٥٩٩٩]، ومسلم [٢٧٥٤] عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **«أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»** قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: **«للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»**.

(٣) روى البخاري [٦٣٠٩]، ومسلم [٢٧٤٧] - واللفظ له - عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»**.

(٤) في (ط، ط١): فلا.

(٥) ساقطة من: (ط).

فَالْقُلُوبُ لَـهُ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، وَالْغَيْبُ لَدَيْهِ مَكْشُوفٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِلَيْهِ مَلْهُوفٌ.

عَنَتِ[١] الْوُجُوهُ لِنُورِ وَجْهِهِ، وَعَجَزَتِ الْعُقُولُ[٢] عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِهِ، وَدَلَّتِ الْفِطَرُ وَالْأَدِلَّةُ كُلُّهَا عَلَى امْتِنَاعِ مِثْلِهِ وَشِبْهِهِ.

أَشْرَقَتْ لِنُورِ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ، وَاسْتَنَارَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ، وَصَلُحَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، «لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ[٣] كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[٤].

مَا اعْتَاضَ بَاذِلُ حُبِّهِ لِسِوَاهُ مِنْ ... عِوَضٍ وَلَوْ مَلَكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ[٥]



(١) في (ط): وعنت.

(٢) في (ط١): القلوب.

(٣) في (ط): ولو.

(٤) لفظ حديث رواه مسلم [١٧٩] من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٥) لم أجد من ذكره.

فَصْلٌ

وَهَهنا أَمْرٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى اللَّبِيبِ الِاعْتِنَاءُ بِهِ: وَهُوَ أَنَّ كَمَالَ اللَّذَّةِ، وَالْفَرَحِ، وَالسُّرُورِ، وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَابْتِهَاجِ الرُّوحِ، تَابعٌ لِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا- كَمَالُ الْمَحْبُوبِ فِي نَفْسِهِ وَجَمَالِهِ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِإِيثَارِ الْمَحَبَّةِ[1] مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ.

وَالْأَمْرُ الثَّانِي- كَمَالُ مَحَبَّتِهِ، وَاسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ فِي حُبِّهِ، وَإِيثَارُ قُرْبِهِ، وَالْوُصُولِ إِلَيْهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَكُلُّ[2] عَاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّذَّةَ بِحُصُولِ الْمَحْبُوبِ بِحَسَبِ قُوَّةِ مَحَبَّتِهِ.

فَكُلَّمَا كَانَتِ الْمَحَبَّةُ أَقْوَى كَانَتْ لَذَّةُ الْمُحِبِّ[3] أَكْمَلَ، فَلَذَّةُ مَنِ اشْتَدَّ ظَمَؤُهُ بِإِدْرَاكِ الْمَاءِ الزُّلَالِ، وَمَنِ اشْتَدَّ جُوعُهُ بِأَكْلِ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ، وَنَظَائِرُ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ شَوْقِهِ وَشِدَّةِ إِرَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ.

وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا، فَاللَّذَّةُ وَالسُّرُورُ وَالْفَرَحُ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ مَقْصُودُ كُلِّ حَيٍّ[4]، وَإِذَا كَانَتِ اللَّذَّةُ مَطْلُوبَةً لِنَفْسِهَا، فَهَلْ[5] تُذَمُّ إِذَا أَعْقَبَتْ[6] أَلَمًا أَعْظَمَ مِنْهَا، أَوْ مَنَعَتْ لَذَّةً خَيْرًا وَأَجَلَّ مِنْهَا؟!

فَكَيْفَ إِذَا أَعْقَبَتْ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ، وَفَوَّتَتْ أَعْظَمَ اللَّذَّاتِ وَالْمَسَرَّاتِ؟

---

(١) في (ط١): الحب.

(٢) ساقطة من: (أ).

(٣) في (ط): المحبة.

(٤) في (ط): كل حي وعاقل.

(٥) في (ط، ط١): فهي. والمثبت من: (أ، ب).

(٦) في (ب): عقبت.

وَتُحْمَدُ إِذَا أَعَانَتْ عَلَى لَذَّةٍ عَظِيمَةٍ، دَائِمَةٍ، مُسْتَقِرَّةٍ، لَا تَنْغِيصَ فِيهَا، وَلَا نَكَدَ بِوَجْهٍ مِنَ الوجوهِ[(١)]، وَهِيَ لَذَّةُ الْآخِرَةِ، وَنَعِيمُهَا، وَطِيبُ الْعَيْشِ فِيهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧].

وَقَالَ السَّحَرَةُ لِفِرْعَوْنَ[(٢)] لَمَّا آمَنُوا: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [: ٧٢ - ٧٣].

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيُنِيلَهُمْ هَذِهِ اللَّذَّةَ الدَّائِمَةَ فِي دَارِ الْخُلْدِ، وَأَمَّا هذهِ الدَّارُ[(٣)] فَمُنْقَطِعَةٌ، وَلَذَّاتُهَا لَا تَصْفُو أَبَدًا، وَلَا تَدُومُ.

بِخِلَافِ الْآخِرَةِ: فَإِنَّ لَذَّاتِهَا دَائِمَةٌ، وَنَعِيمَهَا خَالِصٌ مِنْ كُلِّ كَدَرٍ وَأَلَمٍ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، مَعَ الْخُلُودِ أَبَدًا، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى اللهُ لِعِبَادِهِ فِيهَا مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ[(٤)]، بَلْ فِيهَا «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[(٥)]، وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ النَّاصِحُ لِقَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾

[غافر: ٣٨ - ٣٩]

فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَتَاعٌ يُتَمَتَّعُ[(٦)] بِهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ.

---

(١) في (أ): ولا تنكد بوجه. وفي (ط، ط١): ولا نكد بوجه ما. والمثبت من: (ب).

(٢) في (ب): وقال سحرة فرعون.

(٣) في (أ): وأما الدار، وفي (ط، ط١): وأما الدنيا، والمثبت من: (ب).

(٤) في (ب): ما أخفي لهم من قرة أعين.

(٥) روى البخاري [٣٢٤٤]، ومسلم [٢٨٢٤] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«قَالَ اللهُ تبارك وتعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»** قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]».

(٦) في (ط، ط١): يستمتع. والمثبت من: (أ، ب).

وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ لَذَّاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمَهَا مَتَاعٌ، وَوَسِيلَةٌ إِلَى لَذَّاتِ الْآخِرَةِ، وَلِذَلِكَ خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتُهَا، فَكُلُّ لَذَّةٍ أَعَانَتْ عَلَى لَذَّةِ الْآخِرَةِ، وَأَوْصَلَتْ(١) إِلَيْهَا؛ لَمْ يُذَمَّ تَنَاوُلُهَا، بَلْ يُحْمَدُ، بِحَسَبِ اتِّصَالِهَا إِلَى الْآخِرَةِ(٢).

إِذَا عُرِفَ هَذَا: فَأَعْظَمُ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَلَذَّاتِهَا: النَّظَرُ(٣) إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَسَمَاعُ كَلَامِهِ مِنْهُ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الرُّؤْيَةِ: «**فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ**»(٤).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّهُ إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ، [وَرَأَوْهُ؛ نَسُوا](٥) مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ»(٦).

---

(١) في (أ): وواصلت.

(٢) في (ط، ط١): بحسب إيصالها إلى لذة الآخرة. والمثبت من: (أ، ب).

(٣) في (ط): هو النظر.

(٤) روى مسلم [١٨١] عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّ وَجَلَّ».

(٥) مكانها بياض في: (ب).

(٦) ضعيفٌ جدًا: رواه ابن ماجه [١٨٤]، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» [٩٨]، والبزار (٢٢٥٣- كشف الأستار)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٤٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» [٩١]، والآجري في «الشريعة» [٦١٥]، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٤٣١)، وغيرهم من طريق الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ**، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. قَالَ: **فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ**». والفضل الرقاشي منكر الحديث. («ضعيف الترغيب» [٢٢٤٤]).

وله شاهد من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رواه الكلاباذي في «بحر الفوائد» ص: [٣٢١] من =

وَفِي «النَّسَائِيِّ»، وَ«مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»، مِنْ حَدِيثِ[(١)] عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي دُعَائِهِ: «**وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ**[(٢)]**، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ**»[(٣)].

وَفِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» لِعَبْدِ اللهِ ابْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، مَرْفُوعًا: «**كَأَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ، إِذَا سَمِعُوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ**»[(٤)].

وَإِذَا[(٥)] عُرِفَ هَذَا: فَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُحَصِّلُ هَذِهِ اللَّذَّةَ: هُوَ[(٦)] أَعْظَمُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهو لَذَّةُ مَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَذَّةُ مَحَبَّتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ جَنَّةُ الدُّنْيَا، وَنَعِيمُهَا الْعَالِي، وَنِسْبَةُ لَذَّاتِهَا الْفَانِيَةِ إِلَيْهِ كَتَفْلَةٍ فِي بَحْرٍ.

فَإِنَّ الرُّوحَ وَالْقَلْبَ وَالْبَدَنَ إِنَّمَا خُلِقَ لِذَلِكَ.

فَأَطْيَبُ مَا فِي الدُّنْيَا: مَعْرِفَتُهُ وَمَحَبَّتُهُ. وَأَلَذُّ مَا فِي الْجَنَّةِ: رُؤْيَتُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ.

= طريق عباد بن كثير، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الزِّيَادَةُ؟ قَالَ: «**النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ تَعَالَى**»، «وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا نَظَرُوا إِلَى اللهِ نَسُوا نَعِيمَ الْجَنَّةِ**» وعباد بن كثير متروكٌ. وله شاهد من قول الحسن البصري: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَتَجَلَّى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَآهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ نَسُوا نَعِيمَ الْجَنَّةِ» رواه الآجري في «الشريعة» [٥٧٢]، وفي التصديق بالنظر [٢]، وفي إسناده أبو حفص عمر بن مدرك وهو كذاب.

(١) في «ط»: «عن» بدلًا من «من حديث».

(٢) في (ط): وجهك الكريم.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) ضعيفٌ: رواه الديلمي في «مسنده» - كما في «كنز العمال» [٣٩٣٤٢]، وأبو يعلى في «إبطال التأويلات» [٣٦٤]، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٤٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده إسماعيل بن رافع: ضعيف، ومحمد بن عبد الرحمن العبدي فيه جهالة. («الضعيفة» [٣٢٨٢]).
وعزاه في «كنز العمال» [٣٩٣٤١]، للسجزي في «الإبانة» عن أنس، وعزاه في «الدر المنثور» (٣/ ٢٥٧) لأبي الشيخ عن محمد بن كعب القرظي.

(٥) في (ب): فإذا.

(٦) ساقطة من: (أ).

فَمَحَبَّتُهُ وَمَعْرِفَتُهُ: قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ، وَبَهْجَةُ الْقُلُوبِ، وَنَعِيمُ الدُّنْيَا وَسُرُورُهَا.

بَلْ لَذَّاتُ الدُّنْيَا الْقَاطِعَةُ عَنْ ذَلِكَ تَنقَلِبُ آلَامًا وَعَذَابًا، وَيَبْقَى صَاحِبُهَا فِي الْـمَعِيشَةِ الضَّنْكِ، فَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ إِلَّا بِاللهِ.

وَكَانَ بَعْضُ الْـمُحِبِّينَ تَمُرُّ بِهِ أَوْقَاتٌ فَيَقُولُ: «إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ»[١].

وَكَانَ غَيْرُهُ يَقُولُ: «لَوْ عَلِمَ الْـمُلُوكُ[٢] مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ»[٣].

وَإِذَا كَانَ صَاحِبُ الْـمَحَبَّةِ الْبَاطِلَةِ الَّتِي هِيَ عَذَابٌ عَلَى قَوْلِ الْـمُحِبِّ، بِقَوْلِهِ[٤] فِي حَالِهِ:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْعَاشِقُونَ ذَوُو الْهَوَى ... وَلَا[٥] خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ وَيَعْشَقُ[٦]

وَبِقَوْلِ الْآخَرِ[٧]:

أُفٍّ لِلدُّنْيَا مَتَى لَمْ[٨] يَكُنْ ... صَاحِبُ الدُّنْيَا مُحِبٌّ أَوْ حَبِيب[٩]

---

(١) في (ط) بعدها: وقد تقدم ذلك.

(٢) في (ط): لو علم الملوك وأبناء الملوك.

(٣) تقدم عزو هذين النقلين.

(٤) في (ط): على قلب المحب، يقول.. وهذا تحريف، والمراد: أن المحبة الباطلة عذاب على أصحابها باعترافهم، وبناء على قولهم في وصف حالهم.

(٥) في (ط): فلا.

(٦) «البيت منسوب» للعباس بن الأحنف كما في «روضة المحبين» ص: [١٧٥]، وموجود في «المطبوع من ديوان الأحنف» ص: [١٩٧] قصيدة رقم [٣٨١] تحقيق: عاتكة الخزرجي.

(٧) في (ط): ويقول غيره، وفي (ط١): يقول الآخر، والمثبت من: (أ، ب).

(٨) في (ط): إذا ما لم، وفي (ط١): متى ما لم. والمثبت من: (أ، ب).

(٩) في (ط، ط١): محبًا أو حبيب. و«البيت منسوب» للعباس بن الأحنف كما في «ديوانه» ص: [٤١] قصيدة رقم: [٦٨]، وفيه: أف للدنيا إذا ما لم يكن صاحب الدنيا حبيبا أو مُحب.

وَبِقَولِ الآخَرِ[١]:

وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي نَعِيمِهَا وَأَنْتَ وَحِيدٌ مُفْرَدٌ غَيْرُ عَاشِقِ[٢]

وَبِقَولِ الآخَرِ:

اسْكُنْ إِلَى سَكَنٍ تَلَذُّ بِحُبِّهِ ذَهَبَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مُنْفَرِدُ[٣]

وَبِقَولِ الآخَرِ:

تَشَكَّى الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لَيْتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحْدِي

فَكَانَتْ لِقَلْبِي لَذَّةُ الْحُبِّ كُلُّهَا فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي[٤]

فَكَيْفَ بِالْمَحَبَّةِ[٥] الَّتِي هِيَ[٦] حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الْأَرْوَاحِ، وَلَيْسَ لِلْقَلْبِ لَذَّةٌ، وَلَا نَعِيمٌ، وَلَا فَلَاحٌ، وَلَا حَيَاةٌ إِلَّا بِهَا، وَإِذَا[٧] فَقَدَهَا الْقَلْبُ كَانَ أَلَمُهُ أَعْظَمَ مِنْ أَلَمِ الْعَيْنِ إِذَا فَقَدَتْ نُورَهَا، وَالْأُذُنِ إِذَا فَقَدَتْ سَمْعَهَا، وَالْأَنْفِ إِذَا فَقَدَ شَمَّهُ، وَاللِّسَانِ إِذَا فَقَدَ نُطْقَهُ؟!

بَلْ فَسَادُ الْقَلْبِ إِذَا خَلَا مِنْ مَحَبَّةِ فَاطِرِهِ، وَبَارِئِهِ، وَإِلَهِهِ الْحَقِّ: أَعْظَمُ مِنْ فَسَادِ الْبَدَنِ إِذَا خَلَا مِنَ الرُّوحِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُصَدِّقُ بِهِ إِلَّا مَنْ فِيهِ حَيَاةٌ[٨]:

---

(١) في (ط، ط١) في هذا الموضع والموضعين الآتيين: ويقول الآخر، والمثبت من: (أ، ب).

(٢) ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٧٥]، و«مدارج السالكين» (٣/ ٣١٢).

(٣) في (ب): متفرد. والبيت ذكره ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [١٧٦]، ونُسب إلى بشار بن البرد كما في «التذكرة الحمدونية» لابن حمدون البغدادي (٣/ ١٣١) وكما في «ديوانه» (٣/ ٦٢- شرح الطاهر ابن عاشور) ولفظه:

فاسكن إلى سكن تسر به ذهب الزمان وأنت منفرد

(٤) سبق ذكره.

(٥) في (ب): المحبة.

(٦) ساقطة من: (أ).

(٧) في (أ): إذا.

(٨) في (ب): وهذا أمر لا يصدقه إلا من في قلبه حياةٌ.

.... وَمَـا لِجُـرْحٍ بِمَـيِّـتٍ إِيـلَامُ[١].

وَالْمَقْصُـودُ: أَنَّ أَعْظَـمَ لَـذَّاتِ الدُّنْيَـا: هُـوَ السَّـبَبُ الْـمُوصِـلُ إِلَى أَعْظَـمِ لَـذَّةٍ فِي الْآخِرَةِ.

وَلَذَّاتُ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

فَأَعْظَمُهَـا وَأَكْمَلُهَا[٢]: مَـا أَوْصَلَ لَذَّةَ الْآخِرَةِ، وَيُثَابُ الْإِنْسَـانُ عَلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ أَتَمَّ ثَوَابٍ.

وَلِهَذَا كَانَ الْـمُؤْمِنُ يُثَابُ عَلَى مَا يَقْصِدُ بِهِ وَجْهَ اللهِ؛ مِنْ أَكْلِهِ، وَشُرْبِهِ، وَلِبَاسِـهِ[٣]، وَنِكَاحِهِ، وَشِفَاءِ غَيْظِهِ بِقَهْرِ عَدُوِّ اللهِ وَعَدُوِّهِ.

فَكَيْفَ بِلَذَّةِ إِيمَانِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ[٤]، وَمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَشَوْقِهِ إِلَى لِقَائِهِ، وَطَمَعِهِ فِي رُؤْيَةِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ؟!

النَّـوْعُ الثَّانِي- لَـذَّةٌ تَمْنَعُ لَـذَّةَ الْآخِـرَةِ، وَتُعْقِبُ[٥] آلَامًـا أَعْظَمَ مِنْهَا، كَلَـذَّةِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ، وَيَسْتَمْتِعُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، كَمَا يَقُولُونَ فِي الْآخِرَةِ إِذَا لَقُوا رَبَّهُمْ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨ - ١٢٩].

---

(١) سبق ذكره.

(٢) هذا النوع الأول من أنواع لذات الدنيا.

(٣) في (ط١): ولبسه.

(٤) في (ط، ط١): ومعرفته بالله. والمثبت من: (أ، ب).

(٥) في (ب): ويعقب.

وَلَذَّةِ[١] أَصْحَابِ الْفَوَاحِشِ، وَالظُّلْمِ، وَالْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ، وَالْعُلُوِّ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

وَهَذِهِ اللَّذَّاتُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هِيَ اسْتِدْرَاجٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ، لِيُذِيقَهُمْ[٢] أَعْظَمَ الْآلَامِ، وَيَحْرِمَهُمْ بِهَا أَكْمَلَ اللَّذَّاتِ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَدَّمَ لِغَيْرِهِ طَعَامًا لَذِيذًا مَسْمُومًا؛ يَسْتَدْرِجُهُ بِهِ إِلَى هَلَاكِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٢ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾

[الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣]

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ فِي تَفْسِيرِهَا: «كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثْنَا لَهُمْ نِعْمَةً»[٣].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَى لِأَصْحَابِ[٤] هَذِهِ اللَّذَّةِ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦].

وَقَالَ فِي حَقِّهِمْ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

---

(١) معطوفة على «لذة» في قوله السابق: «كلذة».

(٢) في (ط، ط١): ليذسقهم بها. والمثبت من: (أ، ب).

(٣) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ذكره الثعالبي في «تفسيره» (١/ ٢٧٢)، ورواه الدينوري في «المجالسة» [٣٤٠٨] من طريق الضحاك عن ابن عباس، وهو منقطع، وفيه عمر بن طلحة صاحب مناكير. و«ذكره البغوي» (٢/ ٢١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٤/ ٣١٢)، عن الضحاك، وورد عن السدي كما ذكره السمر قندي في «تفسيره» (١/ ٥٨٤)، وعن غيرهم.
وقال عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ الخريبي، عَنْ سُفْيَانَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١١٢]، قَالَ: «سَنُسْبِغُ عَلَيْهِمِ النِّعَمَ، وَنَمْنَعُهُمُ الشُّكْرَ»، قَالَ: وَقَالَ غَيْرُ سُفْيَانَ: «كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أَحْدَثْتُ لَهُمْ نِعْمَةً». رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» [١١٦]، والبيهقي في «الأسماء والصفات» [١٠٢٤] وإسناده صحيح.

(٤) في (ط، ط١): في أصحاب. والمثبت من: (أ، ب).

وَهَذِهِ اللَّذَّاتُ[١] تَنْقَلِبُ آخِرًا آلَامًا مِنْ أَعْظَمِ الْآلَامِ، كَمَا قِيلَ:

مَآرِبُ كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ لِأَهْلِهَا عِذَابًا فَصَارَتْ فِي الْمَعَادِ عَذَابًا[٢]

النَّوْعُ الثَّالِثُ. لَذَّةٌ لَا تُعْقِبُ لَذَّةً فِي دَارِ الْقَرَارِ وَلَا أَلَمًا، وَلَا تَمْنَعُ أَصْلَ لَذَّةِ دَارِ الْقَرَارِ، وَإِنْ مَنَعَتْ كَمَالَهَا[٣]، وَهَذِهِ اللَّذَّةُ الْمُبَاحَةُ، الَّتِي لا[٤] يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى لَذَّةِ الْآخِرَةِ، فَهَذِهِ زَمَانُهَا يَسِيرٌ، لَيْسَ[٥] لِتَمَتُّعِ النَّفْسِ بِهَا قَدْرٌ، وَلَابُدَّ أَنْ يَشْتَغِلَ[٦] عَمَّا هُوَ خَيْرٌ، وَأَنْفَعُ مِنْهَا.

وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الَّذِي عَنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «**كُلُّ لَهْوٍ يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ فَهُوَ بَاطِلٌ، إِلَّا رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ[٧]، وَتَأْدِيبَهُ[٨] فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتَهُ امْرَأَتَهُ، فَإِنَّهُنَّ مِنَ[٩] الْحَقِّ**»[١٠].

فَمَا أَعَانَ عَلَى اللَّذَّةِ الْمَطْلُوبَةِ لِذَاتِهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا لَمْ يُعِنْ عَلَيْهَا فَهُوَ بَاطِلٌ.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ط): اللذة. (٢) سبق ذكره. (٣) في (ب): لذة كمالها.

(٤) ساقطة من: (أ، ب). والمثبت من: (ط، ط١).

(٥) ساقطة من: (ب). (٦) في (ط، ط١): تشغل. والمثبت من: (أ، ب).

(٧) في (ب): بقوس. (٨) في (أ، ب): أو تأديبه. (٩) ساقطة من: (أ).

(١٠) صحيح: رواه معمر في «جامعه» [٢١٠١٠]، وابن أبي شيبة في «المصنف» [١٩٤٣٣]، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٦)، والترمذي [١٦٣٧]، وأبو داود [٢٥١٣]، وابن ماجه [٢٨١١]، والنسائي [٣٥٧٨]، وابن الجارود [١٠٦٢]، والحاكم (٢/ ١٠٤)، وغيرهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وهو صحيح. («الصحيحة» [٣١٥]).

فَصْلٌ

فَهَذَا الْحُبُّ لَا يُنْكَرُ وَلَا يُذَمُّ، بَلْ هُوَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الْحُبِّ، وَكَذَلِكَ حُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّمَا نَعْنِي الْمَحَبَّةَ الْخَاصَّةَ، وهيَ الَّتِي(١) تَشْغَلُ قَلْبَ الْمُحِبِّ، وَفِكْرَهُ، وَذِكْرَهُ لِمَحْبُوبِهِ(٢).

وَإِلَّا فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ للهِ(٣) وَرَسُولِهِ، لَا يَدْخُلُ الْإِسْلَامَ إِلَّا بِهَا، وَالنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ تَفَاوُتًا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ، فَبَيْنَ مَحَبَّةِ الْخَلِيلَيْنِ وَمَحَبَّةِ غَيْرِهِمَا(٤) مَا بَيْنَهُمَا.

فَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي(٥) تُلَطِّفُ(٦)، وَتُخَفِّفُ أَثْقَالَ التَّكَالِيفِ، وَتُسَخِّي الْبَخِيلَ، وَتُشَجِّعُ الْجَبَانَ، وَتُصَفِّي الذِّهْنَ، وَتُرَوِّضُ النَّفْسَ، وَتُطَيِّبُ الْحَيَاةَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، لَا مَحَبَّةُ الصُّوَرِ الْمُحَرَّمَةِ، وَإِذَا بُلِيَتِ السَّرَائِرُ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَانَتْ سَرِيرَةُ صَاحِبِهَا خَيْرَ(٧) سَرَائِرِ الْعِبَادِ، كَمَا(٨) قِيلَ:

سَيَبْقَى لَكُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا ... سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ(٩)

وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي(١٠) تُنَوِّرُ الْوَجْهَ، وَتَشْرَحُ الصَّدْرَ، وَتُحْيِي الْقَلْبَ.

---

(١) في (ط): والتي.
(٢) في (ط): بمحبوبه.
(٣) في (ب): محبة الله.
(٤) في (أ، ب): غيرهم.
(٥) في (ط): هي التي.
(٦) في (ط١) اعتمادا على نسخة واحدة -: تلطف الروح.
(٧) في (ط، ط١): من خير. والمثبت من: (أ، ب).
(٨) في (أ): وكما.
(٩) «البيت منسوب» للأحوص الأنصاري كما في «أنساب الأشراف» للبلاذري (٨/ ٢٠٢)، والعمدة في «محاسن الشعر» للحسن بن رشيق الأزدي (١/ ٧١).
(١٠) في (ط): هي التي.

وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ كَلَامِ اللهِ، فَإِنَّهُ مِنْ عَلَامَةِ مَحَبَّةِ اللهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ(١) مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ(٢) غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، فَانْظُرْ مَحَبَّةَ(٣) الْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ، وَالْتِذَاذَكَ بِسَمَاعِهِ أَعْظَمَ(٤) مِنَ الْتِذَاذِ أَصْحَابِ الْمَلَاهِي وَالْغِنَاءِ الْمُطْرِبِ بِسَمَاعِهِمْ؟

فَإِنَّهُ(٥) مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ مَحْبُوبًا كَانَ كَلَامُهُ وَحَدِيثُهُ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ، كَمَا قِيلَ:

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي ... فَلِمْ هَجَرْتَ كِتَابِي؟
أَمَا تَأَمَّلْتَ مَا فِيـ ... ـهِ مِنْ لَذِيذِ خِطَابِي(٦)

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللهِ»(٧).

وَكَيْفَ يَشْبَعُ الْمُحِبُّ مِنْ كَلَامِ مَحْبُوبِهِ، وَهُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِ؟!

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقْرَأْ عَلَيَّ»، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ فَقَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَاسْتَفْتَحَ، وقرأ(٨) سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَوْلَهُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى

---

(١) في (ب): يعلم. (٢) ساقطة من: (ب).

(٣) في (ط ١) - اعتمادًا على نسخة واحدة -: إلى محبة. ولا حاجة للتعدية بحرف «إلى» هنا.

(٤) أي: أتراها أعظمَ؟ (٥) في (ط): فإن.

(٦) ذكره ابن القيم أيضًا في «روضة المحبين» ص: [٢٠١].

(٧) رواه المروزي في «زوائده على الزهد» لابن المبارك [١١٣٣]، وعبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده على الزهد» لأبيه ص: [١٢٨]، وفي «زوائده على فضائل الصحابة» لأبيه [٧٧٥]، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٧٢، ٣٠٠)، من طريق سفيان بن عيينة عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناده معضل. ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» [٢٢٢٣]، وفي «الاعتقاد» ص: [١٠٥]، وفي «الأسماء والصفات» [٥٢٤]، وابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٢٣٩)، من طريق الحسن البصري عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده منقطع.

(٨) في (ط): فقرأ.

هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ»، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ تَذْرِفَانِ(١) مِنَ الْبُكَاءِ(٢).

وَكَانَ الصَّحَابَةُ إِذَا اجْتَمَعُوا وَفِيهِمْ أَبُو مُوسَى، يَقُولُونَ: يَا أَبَا مُوسَى، ذَكِّرْنَا رَبَّنَا، فَيَقْرَأُ، وَهُمْ يَسْتَمِعُونَ(٣).

فَلِمُحِبِّي الْقُرْآنِ [مِنَ الْوَجْدِ، وَالذَّوْقِ، وَاللَّذَّةِ، وَالْحَلَاوَةِ، وَالسُّرُورِ أَضْعَافُ](٤) مَا لِمُحِبِّي السَّمَاعِ الشَّيْطَانِيِّ.

فَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ: ذَوْقَهُ، وَوَجْدَهُ(٥)، وَطَرَبَهُ، وَتَشَوُّقَهُ فِي(٦) سَمَاعِ الْأَبْيَاتِ، دُونَ سَمَاعِ الْآيَاتِ، وَسَمَاعِ الْأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، كَمَا قِيلَ:

تُقْرَأُ عَلَيْكَ الْخَتْمَهْ ... وَأَنْتَ جَامِدٌ كَالْحَجَرْ

وَبَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ يُنْشَدْ ... تَمِيلُ كَالسَّكْرَانْ(٧)

فَهَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ وَكَلَامِهِ، وَتَعَلُّقِهِ بِمَحَبَّةِ سَمَاعِ الشَّيْطَانِ، وَالْمَغْرُورُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ.

---

(١) في (ب): يذرفان.

(٢) البخاري [٤٥٨٣]، ومسلم [٨٠٠] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه عبدالرزاق في «المصنف» [٤١٧٩]، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٠٩)، والدارمي [٣٤٩٣]، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص: [١٦٣]، وابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» [٨١]، وابن حبان [٧١٩٦]، وأبو عوانة [٣٨٨٧]، وأبو نعيم (١/ ٢٥٨)، وغيرهم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه عن عمر: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وحبيب بن أبي مرزوق وكلاهما لم يسمع منه.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٥) في (ط١): وجده. وهو خطأ.

(٦) في (ط): وتشوقه إلى، وفي (ط١): ونشوته في. والمثبت من: (أ، ب). ويظهر لي أن كلمة «نشوته» غلط، لأن النشوة لا تعتري قارئ القرآن، وإنما تعتري سامعي الطرب، وأهل السكر. والذي يعتري قارئ القرآن، ويعتري سامع الغناء هو الشوق. والله أعلم.

(٧) في (ط١): كالنشوان. والمثبت من: (أ، ب، ط). والبيتان لم أقف عليهما عند غير ابن القيم.

فَفِي[1] مَـحَبَّةِ اللهِ وَكَلَامِ رَسُـولِهِ ﷺ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَا ذَكَرَ السَّـائِلُ مِنْ فَوَائِدِ الْعِشْقِ وَمَنَافِعِهِ، بَلْ لَا حُبَّ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَنْفَعُ مِنْهُ، وَكُلُّ حُبٍّ سِوَى ذَلِكَ بَاطِلٌ، إِنْ لَمْ يُعِنْ عَلَيْهِ، وَيُشَوِّقُ الْـمُحِبَّ إِلَيْهِ.



(١) في (ط): ويسوق.

فَصْلٌ

وَأَمَّا مَحَبَّةُ النِّسْوَانِ[(١)]: فَلَا لَوْمَ عَلَى الْمُحِبِّ فِيهَا، بَلْ هِيَ مِنْ كَمَالِهِ، وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ فَقَالَ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١].

فَجَعَلَ الْمَرْأَةَ سَكَنًا لِلرَّجُلِ، يَسْكُنُ قَلْبُهُ إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا خَالِصَ الْحُبِّ، وَهُوَ الْمَوَدَّةُ الْمُقْتَرِنَةُ[(٢)] بِالرَّحْمَةِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ عُقَيْبَ ذِكْرِهِ مَا أُحِلَّ لَنَا[(٣)] مِنَ النِّسَاءِ، وَمَا حُرِّمَ مِنْهُنَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النِّسَاء: ٢٦ - ٢٨].

ذَكَرَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ»، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «إِذَا نَظَرَ إِلَى النِّسَاءِ لَمْ يَصْبِرْ»[(٤)].

وَفِي «الصَّحِيحِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ رَأَى امْرَأَةً، فَأَتَى زَيْنَبَ، فَقَضَى حَاجَتَهُ مِنْهَا، وَقَالَ: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ، فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ**»[(٥)].

---

(١) في (ط): الزوجات. والمراد بالنسوان هنا الزوجات.

(٢) في (ب): المقرونة.

(٣) ساقطة من: (ب).

(٤) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [١٩٩]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٦٤] وإسناده صحيح.

(٥) مسلم [١٤٠٣].

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ عِدَّةُ فَوَائِدَ:

مِنْهَا(١): الْإِرْشَادُ إِلَى التَّسَلِّي عَنِ الْـمَطْلُوبِ بِجِنْسِهِ، كَمَا يَقُومُ الطَّعَامُ مَقَامَ الطَّعَامِ، وَالثَّوْبُ مَقَامَ الثَّوْبِ.

وَمِنْهَا: الْأَمْرُ بِمُدَاوَاةِ الْإِعْجَابِ بِالْـمَرْأَةِ الْـمُورِثِ لِشَهْوَتِهَا بِأَنْفَعِ الْأَدْوِيَةِ، وَهُوَ قَضَاءُ وَطَرِهِ مِنْ أَهْلِهِ، وَذَلِكَ يَنْقُضُ(٢) شَهْوَتَهُ لَهَا.

وَهَذَا كَمَا أَرْشَدَ الْـمُتَحَابَّيْنَ إِلَى النِّكَاحِ، كَمَا فِي «سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ»، مَرْفُوعًا: «**لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابَّيْنَ مِثْلُ النِّكَاحِ**»(٣).

فَنِكَاحُ الْـمَعْشُوقَةِ هُوَ دَوَاءُ الْعِشْقِ، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ دَوَاءَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا.

وبه تَدَاوَى(٤) بِهِ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ يَرْتَكِبْ نَبِيُّ اللهِ مُحَرَّمًا، وَإِنَّمَا تَزَوَّجَ الْـمَرْأَةَ، وَضَمَّهَا إِلَى نِسَائِهِ لِـمَحَبَّتِهِ لَهَا، وَكَانَتْ تَوْبَتُهُ بِحَسَبِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللهِ، وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ، وَلَا يَلِيقُ بِنَا الْـمَزِيدُ عَلَى هَذَا(٥).

---

(١) زيادة من: (ط، ط١).

(٢) في (ب): ينقص.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه [١٨٤٧]، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٥٣)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٣٤)، والطبراني في «الكبير» [١١٠٠٩]، وفي «الأوسط» [٣١٥٣]، والصيداوي في «معجمه» ص: (٢٤٣ - ٢٤٤)، وتمام في «فوائده» (٨١٦ - ٨١٨)، والحاكم (٢/ ١٧٤)، و«الخليلي في الإرشاد» (٢/ ٦٥٣، ٣/ ٩٤٧)، والبيهقي (٧/ ٧٨)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٤/ ١٨٤)، وغيرهم وإسناده حسنٌ. وقد اختلف في وصله وإرساله، ووصله ثابتٌ. («الصحيحة» [٦٢٤]).

(٤) في (ط): شرعًا وقد تداوى.

(٥) هذا التوضيح بناء على ثبوت القصة، وليس لها إسناد يثبت، وأصح ما في الباب أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣]: «ما زاد داود على أن قال: أكفلنيها أي: انزل لي عنها». رواه عبدالرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٦٣)، والطبراني [٩٠٤٣]، وإسناده صحيح.

وَأَمَّا قِصَّةُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ: فَزَيْدٌ كَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى طَلَاقِهَا، وَلَمْ تُوَافِقْهُ[1]، وَكَانَ يَسْتَشِيرُ النبيَّ ﷺ فِي فِرَاقِهَا[2]، وَهُوَ يَأْمُرُهُ بِإِمْسَاكِهَا، فَعَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّهُ مُفَارِقُهَا ولَابُدَّ، فَأَخْفَى فِي نَفْسِهِ: «أَنَّ[3] يَتَزَوَّجُهَا إِذَا فَارَقَهَا زَيْدٌ»، وَخَشِيَ مَقَالَةَ النَّاسِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَزَوَّجَ زَوْجَةَ ابْنِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ تَبَنَّى زَيْدًا قَبْلَ النُّبُوَّةِ.

وَالرَّبُّ تَعَالَى يُرِيدُ أَنْ يُشَرِّعَ شَرْعًا عَامًّا، فِيهِ مَصَالِحُ عِبَادِهِ، فَلَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدٌ، وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْهُ، أَرْسَلَهُ إِلَيْهَا يَخْطِبُهَا لِنَفْسِهِ، فَجَاءَ زَيْدٌ، وَاسْتَدْبَرَ الْبَابَ بِظَهْرِهِ، وَعَظُمَتْ فِي صَدْرِهِ، لَـمَّا ذَكَرَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَنَادَاهَا مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ: «يَا زَيْنَبُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطِبُكِ»، فَقَالَتْ: «مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي».

وَقَامَتْ إِلَى مِحْرَابِهَا، فَصَلَّتْ، فَتَوَلَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نِكَاحَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ[4] ﷺ بِنَفْسِهِ، وَعَقَدَ النِّكَاحَ لَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ بِذَلِكَ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِوَقْتِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا.

وَكَانَتْ[5] تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ، وَتَقُولُ: «أَنْتُنَّ زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»[6].

فَهَذِهِ قِصَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ زَيْنَبَ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ[7] قَدْ حُبِّبَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ حَدِيثِ[8] أَنَسٍ، عَنْهُ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ**

---

(١) أي: لم يتوافقا في معيشتهما، وعشرتهما.
(٢) في (أ): بفراقها.
(٣) في (ط): أنه.
(٤) في (ط١): رسوله.
(٥) في (ط، ط ١): فكانت.
(٦) سبق تخريجها.
(٧) ساقطة من: (أ).
(٨) في (ط): عن.

قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» هَذَا لَفْظُ الْحَدِيثِ[١]**، لا**[٢] **مَا يَرْوِيهِ بَعْضُهُمْ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَةٌ**[٣]**...»**.[٤]

زَادَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «كِتَابِ الزُّهْدِ»، فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «أَصْبِرُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ»[٥].

وَقَدْ حَسَدَهُ أَعْدَاءُ اللهِ الْيَهُودُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا: مَا هَمُّهُ إِلَّا النِّكَاحَ، فَرَدَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَنَافَحَ[٦] عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وَهَذَا خَلِيلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، [إِمَامُ الْحُنَفَاءِ][٧]، كَانَ عِنْدَهُ سَارَّةُ أَجْمَلُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَأَحَبَّ هَاجَرَ، وَتَسَرَّى بِهَا.

وَهَذَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عِنْدَهُ تِسْعٌ[٨] وَتِسْعُونَ امْرَأَةً، فَأَحَبَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ، وَتَزَوَّجَ بِهَا[٩]، فَكَمَّلَ بِهَا[١٠] الْمِائَةَ.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٩٨)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٨)، والبزار (٦٨٧٨ - ٦٨٧٩)، والنسائي [٣٩٤٠]، وأبو يعلى (٣٤٨٢، ٣٥٣٠)، وابن أبي عاصم في «الزهد» [٢٣٤]، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» [٣٢٢]، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ [٧٢٧]، والطبراني في «الأوسط» [٥٢٠٣]، وأبو عوانة (٤٠٢٠ ٤٠٢١)، والحاكم (٢/ ١٧٤)، والبيهقي (٧/ ٧٨)، والضياء في «المختارة» (١٦٠٨، ١٦٠٩)، من طريق ثابت عن أنس رضي الله عنه، ورواه عن ثابت: سلام أبو المنذر، وجعفر بن سليمان. وهو حديث صحيح. («صحيح الجامع» [٣١٢٤]).

(٢) في (ب): إلا. وهو خطأ.

(٣) في (ط، ط١): ثلاث.

(٤) مسلم [١٤٠٣].

(٥) سبق تخريجه.

(٦) في (ب): وكافح.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(٨) في (ط، ط١): تسعة. وهو خطأ.

(٩) في (ط): وتزوجها.

(١٠) زيادة من: (ب).

وَهَذَا سُلَيْمَانُ ابْنُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَطُوفُ فِي اللَّيْلَةِ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً[1].

وَقَدْ سُئِلَ[2] رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ[3] إِلَيْهِ، فَقَالَ: «عَائِشَةُ»[4].

وَقَالَ عَنْ خَدِيجَةَ: «إِنِّي رُزِقْتُ[5] حُبَّهَا»[6].

فَمَحَبَّةُ النِّسَاءِ مِنْ كَمَالِ الْإِنْسَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»[7].

وَقَدْ ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَقَعَ فِي سَهْمِهِ يَوْمَ جَلُولَاءَ[8] جَارِيَةٌ، كَأَنَّ عُنُقَهَا إِبْرِيقُ فِضَّةٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ: «فَمَا صَبَرْتُ أَنْ قَبَّلْتُهَا، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ»[9].

وَبِهَذَا احْتَجَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَى جَوَازِ الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ الْمَسْبِيَّةِ قَبْلَ الِاسْتِبْرَاءِ بِغَيْرِ الْوَطْءِ، بِخِلَافِ الْأَمَةِ الْمُشْتَرَاةِ.

---

(١) البخاري [٦٦٣٩]، ومسلم [١٦٥٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهَا تَأْتِي بِفَارِسٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، فَجَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَايْمُ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ**».

(٢) في (ط): وسئل.

(٣) في (ب) نسائه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) في (ب): قد رزقت.

(٦) مسلم [٢٤٣٥].

(٧) البخاري [٥٠٦٩]. والمقصود به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أُذِنَ له ما لم يؤذن لغيره من أمته صلى الله عليه وسلم.

(٨) في (أ، ب): يومًا. وسقطت من (ب) كلمة «جلولاء».

(٩) أثر ضعيفٌ منكر: رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» [١٦٦٥٦]، والإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» [٢١٨٩]، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٤١٩)، والدوري في «تاريخه» عن ابن معين [٤٩٨١]، والحربي في «غريب الحديث» (٣/ ١١١٢)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» [٢٩٥]، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [١٦٤]، من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أيوب اللخمي عن ابن عمر، وإسناده ضعيفٌ، ابن زيد ضعيف، واللخمي فيه جهالة.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّهُ لَا يُتَوَهَّمُ [انْفِسَاخَ الْمِلْكِ][(١)] فِي الْمَسْبِيَّةِ، بِخِلَافِ الْمُشْتَرَاةِ، فَقَدْ يَنْفَسِخُ فِيهَا[(٢)] الْمِلْكُ، فَيَكُونُ مُسْتَمْتِعًا بِأَمَةِ غَيْرِهِ.

وَقَدْ شَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَاشِقٍ أَنْ تُوَاصِلَهُ مَعْشُوقَتُهُ[(٣)] بِأَنْ تَتَزَوَّجَ بِهِ، فَأَبَتْ، وَذَلِكَ فِي قِصَّةِ مُغِيثٍ وَبَرِيرَةَ، فَإِنَّهُ[(٤)] رَآهُ[(٥)] يَمْشِي خَلْفَهَا [بَعْدَ فِرَاقِهَا][(٦)]، وَدُمُوعُهُ تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهِ، فَقَالَ لَهَا[(٧)]: «**لَوْ رَاجَعْتِيهِ؟**» فَقَالَتْ: أَتَأْمُرُنِي يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «**لَا، إِنَّمَا أَشْفَعُ**»، فَقَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي بِهِ. فَقَالَ لِعَمِّهِ: «يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِهَا لَهُ»[(٨)].

وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ حُبَّهَا، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ بَانَتْ مِنْهُ، [فَإِنَّ هَذَا مَا لَا يَمْلِكُهُ][(٩)].

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَوِّي بَيْنَ نِسَائِهِ فِي الْقَسْمِ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ**»[(١٠)] يَعْنِي فِي الْحُبِّ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى[(١١)]: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، **يَعْنِي**: فِي الْحُبِّ وَالْجِمَاعِ.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).
(٢) في (ب): بها.
(٣) في (ب): معشوقه.
(٤) في (ط): لَـمَّا.
(٥) في (ط): رآه النبي ﷺ.
(٦) ساقط من: (ط).
(٧) في (ط): فقال لها رسول الله ﷺ.
(٨) البخاري [٥٢٨٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٩) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).
(١٠) ضعيفٌ: رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٤٤)، والدارمي [٢٢٠٧]، والترمذي [١١٤٠]، وفي «العلل الكبير» [٢٨٦]، وأبو داود [٢١٣٤]، وابن ماجه [١٩٧١]، والنسائي [٣٩٤٣]، وابن أبي الدنيا في «العيال» [٥١٠]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٢٣٢]، وابن حبان [٤٢٠٥]، والخرائطي في «إعتلال القلوب» [١٦]، والحاكم (٢/ ٢٠٤)، والبيهقي (٧/ ٢٩٨)، وغيرهم من طريق حماد بن سلمة عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها به. وقد أخطأ فيه حماد بن سلمة، والصواب أنه مرسل كما رجحه الأئمة. («إرواء الغليل» [٢٠١٨]).
(١١) في (ط، ط١): وقد قال تعالى.

وَلَمْ يَزَلِ[(١)] الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَالرُّحَمَاءُ مِنَ النَّاسِ، يَشْفَعُونَ فِي الْعُشَّاقِ[(٢)] إِلَى مَعْشُوقِهِمُ الْجَائِزِ وَصْلُهُنَّ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ.

وَكَذَلِكَ عَلِيٌّ[(٣)] أُتِيَ بِغُلَامٍ مِنَ الْعَرَبِ وُجِدَ فِي دَارِ قَوْمٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ لَهُ[(٤)]: مَا قِصَّتُكَ؟ قَالَ[(٥)]: لَسْتُ بِسَارِقٍ، وَلَكِنِّي أَصْدُقُكَ:

تَعَلَّقْتُ فِي دَارِ الرِّيَاحِيِّ خَوْدَةً ... يَذِلُّ لَهَا مِنْ حُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَدْرُ

لَهَا فِي بَنَاتِ[(٦)] الرُّومِ حُسْنٌ وَمَنْظَرٌ[(٧)] ... إِذَا افْتَخَرَتْ بِالْحُسْنِ جَانِبُهَا[(٨)] الْفَخْرُ

فَلَمَّا طَرَقْتُ الدَّارَ مِنْ حَرِّ[(٩)] مُهْجَةٍ ... أَتَيْتُ وَفِيهَا مِنْ تَوَقُّدِهَا الْجَمْرُ

تَبَادَرَ أَهْلُ الدَّارِ بِي[(١٠)] ثُمَّ صَيَّحُوا ... هُوَ اللِّصُّ مَحْتُومًا لَهُ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ

فَلَمَّا سَمِعَ عَلِيٌّ[(١١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْرَهُ، رَقَّ لَهُ، وَقَالَ لِلْمُهَلَّبِ [بْنِ رِيَاحٍ][(١٢)]: اسْمَحْ لَهُ بِهَا، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، سَلْهُ مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: النَّهَّاسُ بْنُ عُيَيْنَةَ، فَقَالَ: خُذْهَا فَهِيَ لَكَ[(١٣)].

وَاشْتَرَى مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَارِيَةً، فَأُعْجِبَ بِهَا إِعْجَابًا شَدِيدًا، فَسَمِعَهَا[(١٤)] يَوْمًا تُنْشِدُ أَبْيَاتًا مِنْهَا:

---

(١) في (أ): ولم تزل.
(٢) في (ط): يشفعون للعشاق.
(٣) لم ترد في: (أ).
(٤) ساقطة من: (ب).
(٥) في (أ): فقال.
(٦) في (ب): بيان.
(٧) في (ب): ومنصب.
(٨) في (ب): حولها، وفي (ط): خافتها..
(٩) ساقطة من: (ب).
(١٠) في (ط١): لي.
(١١) في (ب): أمير المؤمنين علي، وفي (ط): علي بن أبي طالب.
(١٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، وفي (ب، ط): بن رباح.
(١٣) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [٥٢٣]، وفي إسناده أبو مخنف لوط بن يحيى: متروك. وهو معضل بين لوطٍ وعليٍّ رضي الله عنه شخصان على الأقل. وقد تحرف اسمه في المطبوع من الاعتلال.
(١٤) في (ب): سمعها.

وَفَارَقْتُهُ كَالْغُصْنِ يَهْتَزُّ فِي الثَّرَى طَرِيرًا[١] وَسِيمًا بَعْدَ مَا طَرَّ[٢] شَارِبُهُ

فَسَأَلَهَا، فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا تُحِبُّ سَيِّدَهَا، فَرَدَّهَا إِلَيْهِ، وَفِي قَلْبِهِ مِنْهَا[٣].

وَذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «رَبِيعه»: أَنَّ زُبَيْدَةَ[٤] قَرَأَتْ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ عَلَى حَائِطٍ:

أَمَا فِي عِبَادِ اللهِ أَوْ فِي إِمَائِهِ كَرِيمٌ يُجَلِّي الْهَمَّ عَنْ ذَاهِبِ الْعَقْلِ

لَهُ مُقْلَةٌ أَمَّا الْمَآقِي[٥] قَرِيحَةٌ وَأَمَّا الْحَشَا فَالنَّارُ مِنْهُ عَلَى رِجْلِ

فَنَذَرَتْ أَنْ تَحْتَالَ لِقَائِلِهَا إِنْ عَرَفَتْهُ، حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُحِبُّهُ.

فَبَيْنَا هِيَ فِي الْمُزْدَلِفَةِ[٦]، إِذْ سَمِعَتْ مَنْ يُنْشِدُ الْبَيْتَيْنِ[٧]، فَطَلَبَتْهُ، فَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَهُمَا فِي ابْنَةِ عَمٍّ لَهُ، نَذَرَ أَهْلُهَا أَنْ لَا يُزَوِّجُوهَا مِنْهُ. فَوَجَّهَتْ إِلَى الْحَيِّ، وَمَا زَالَتْ تَبْذُلُ لَهُمُ الْمَالَ حَتَّى زَوَّجُوهَا مِنْهُ، وَإِذَا[٨] الْمَرْأَةُ أَعْشَقُ لَهُ مِنْهُ لَهَا، فَكَانَتْ تَعُدُّهُ مِنْ أَعْظَمِ حَسَنَاتِهَا، [وَكَانَتْ تَقُولُ][٩]: مَا أَنَا بِشَيْءٍ أَسَرَّ مِنِّي مِنْ جَمْعِي بَيْنَ ذَلِكَ الْفَتَى وَالْفَتَاةِ[١٠].

وَقَالَ الْخَرَائِطِيُّ: وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ غُلَامٌ وَجَارِيَةٌ يَتَحَابَّانِ، فَكَتَبَ الْغُلَامُ إِلَيهَا[١١] يَوْمًا:

---

(١) في (ب): طويرًا. (٢) في (ب): ظن!

(٣) عزاه ابن القيم في «روضة المحبين» ص: [٣٨١]، وكذا ابن أبي حجلة في «ديوان الصبابة» ص: [٦٠]، إلى التميمي في كتابه المسمى بامتزاج النفوس.

(٤) زبيدة بنت جعفر بن الخليفة أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمية. زوجة هارون الرشيد، ووالدة الخليفة الأمين محمد. توفيت سنة (٢١٦هـ) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٥/ ١٥٥).

(٥) في (ب): الماقي، وفي (ط): الأماقي. (٦) في (ط): بالمزدلفة.

(٧) في (ط): من ينشدهما. (٨) في (ب): فإذا.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، وفي (ط، ط١): وتقول.

(١٠) ذكره الثعالبي في «الشكوى والعتاب» ص: [١٧١]، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ٤٢٨).

(١١) في (ط١): لها.

وَلَقَدْ رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّمَا عَاطَيْتِنِي[١] مِنْ رِيقِ فِيكِ الْبَارِدِ
وَكَأَنَّ كَفَّكِ فِي يَدِي وَكَأَنَّنَا بِتْنَا جَمِيعًا فِي فِرَاشٍ وَاحِدِ
فَطَفِقْتُ يَوْمِي كُلَّهُ مُتَرَاقِدًا لِأَرَاكِ فِي نَوْمِي وَلَسْتُ بِرَاقِدِ

فَأَجَابَتْهُ الْجَارِيَةُ:

خَيْرًا رَأَيْتَ وَكُلُّ مَا أَبْصَرْتَهُ سَتَنَالُهُ مِنِّي بِرَغْمِ الْحَاسِدِ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُعَانِقِي فَتَبِيتَ مِنِّي فَوْقَ ثَدْيٍ نَاهِدِ
وَأَرَاكَ بَيْنَ خَلَاخِلِي وَدَمَالِجِي وَأَرَاكَ فَوْقَ تَرَائِبِي وَمَجَاسِدِي[٢]

[ومنه:

ونكونُ أَنْعَمَ عَاشِقَيْنِ تَعَاطَيَا مُلَحَ الحديثِ بلا مَخَافَةِ رَاصِدِي][٣]

فَبَلَغَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ فَأَنْكَحَهَا الْغُلَامَ وَأَحْسَنَ حَالَهُمَا، عَلَى فَرْطِ غَيْرَتِهِ[٤].

وَقَالَ جَامِعُ بْنُ مُرْخِيَّةَ[٥]:

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ مُفْتِيَ الْمَدِينَةِ: هَلْ فِي حُبِّ دَهْمَاءَ مِنْ وِزْرٍ؟

فَقَالَ سَعِيدٌ: إِنَّمَا تُلَامُ[٦] عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ[٧] مِنَ الْأَمْرِ.

فَقَالَ سَعِيدٌ: وَاللهِ مَا سَأَلَنِي أَحَدٌ عَنْ هَذَا، وَلَوْ سَأَلَنِي مَا كُنْتُ أُجِيبُ[٨] إِلَّا بِهِ[٩].

---

(١) في (ب): عاطيني. (٢) في (ب): ومحاسدي!

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من: (ب).

(٤) ذكره الثعالبي في «الشكوى والعتاب» ص: [١٧١]، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ٤٢٩).

(٥) في (ب): مراحيه. وقد اختلفت الكتب في ذكر اسمه على ألوان، وأصحه أنه جامع بن مرخية. انظر: «الأغاني» لأبي الفرج (٩/ ١٤٣).

(٦) في (ب): يلام. (٧) في (ب): يستطيع. (٨) في (ب): أجبت.

(٩) أثرٌ ضعيفٌ منكرٌ: رواه الحافظ ابن ديزيل في «جزئه» [١٤]، وابن الوشاء في كتاب: «الموشي» [٩١]، من طريقين مدارهما على مبهم، وفي إسناد ابن ديزيل عبد العزيز بن عامر مجهول، وفي إسناد ابن =

فَعِشْقُ النِّسَاءِ ثَلَاثَةُ أَقْسَام:

فَعِشْقٌ[(١)] هُوَ قُرْبَةٌ وَطَاعَةٌ، وَهُوَ عِشْقُ الرَّجُلِ[(٢)] امْرَأَتَهُ وَجَارِيَتَهُ، وَهَذَا الْعِشْقُ عِشْقٌ[(٣)] نَافِعٌ؛ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى الْمَقَاصِدِ الَّتِي شَرَعَ اللهُ لَهَا النِّكَاحَ، وَأَكَفُّ لِلْبَصَرِ وَالْقَلْبِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، وَلِهَذَا يُحْمَدُ هَذَا الْعَاشِقُ[(٤)] عِنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ النَّاسِ.

وَعِشْقٌ: هُوَ مَقْتٌ مِنَ اللهِ، وَبُعْدٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَهُوَ عِشْقُ الْمُرْدَانِ، فَمَا ابْتُلِيَ بِهِ إِلَّا مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ اللهِ، وَطُرِدَ[(٥)] عَنْ بَابِهِ، وَأُبْعِدَ قَلْبُهُ عَنْهُ[(٦)]، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْحُجُبِ الْقَاطِعَةِ عَنِ اللهِ.

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «إِذَا[(٧)] سَقَطَ الْعَبْدُ مِنْ عَيْنِ اللهِ، ابْتَلَاهُ بِمَحَبَّةِ الْمُرْدَانِ».

وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ: الَّتِي[(٨)] جَلَبَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ مَا جَلَبَتْ[(٩)]، فَمَا أُتُوا إِلَّا مِنْ هَذَا الْعِشْقِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى[(١٠)]: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[(١١)] [الحجر: ٧٢].

وَدَوَاءُ هَذَا الدَّاءِ: الِاسْتِغَاثَةُ[(١٢)] بِمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، وَصِدْقُ اللَّجَأِ[(١٣)] إِلَيْهِ، وَالِاشْتِغَالُ بِذِكْرِهِ، وَالتَّعَوُّضُ بِحُبِّهِ وَقُرْبِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي الْأَلَمِ الَّذِي يُعْقِبُهُ هَذَا الْعِشْقُ، وَاللَّذَّةُ الَّتِي تَفُوتُهُ بِهِ، فَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ فَوَاتُ أَعْظَمِ مَحْبُوبٍ، وَحُصُولُ أَعْظَمِ مَكْرُوهٍ، فَإِذَا

= الوشاء عبد الله بن شبيب متروك. والقصة ذكرها الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٣/ ٤٣٤).

(١) في (ط): قسم.
(٢) ساقطة من: (ط).
(٣) ساقطة من: (ط، ط١).
(٤) في (ب): العشق.
(٥) في (ط١): وطرده، والمثبت من: (أ، ب، ط).
(٦) ساقطة من: (ب).
(٧) في (أ): وإذا.
(٨) في (ط، ط١): هي التي.
(٩) في (ب): ما أجلبت.
(١٠) في (ط١): قال تعالى.
(١١) ذكر الآية في (ط، ط١) كاملة: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].
(١٢) في (أ، ط١): الاستعانة.
(١٣) في (ب): الالتجاء.

أَقْدَمَتْ نَفْسُهُ عَلَى هَذَا وَآثَرَتْهُ[(١)]، فَلْيُكَبِّرْ عليها[(٢)] تكْبِيرَه على الْجِنَازَةِ[(٣)]، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ أَحَاطَ بِهِ.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ [من العشقِ][(٤)] - عِشْقٌ مُبَاحٌ[(٥)]، كَعِشْقِ مَنْ وُصِفَتْ لَهُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، أَوْ رَآهَا فَجْأَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، [فَأورثَهُ ذلكَ عِشْقًا لها][(٦)]، وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُ ذَلِكَ الْعِشْقُ مَعْصِيَةً، فَهَذَا لَا يُمْلَكُ، وَلَا يُعَاقَبُ عليهِ.

وَالْأَنْفَعُ لَهُ مُدَافعَتُهُ، وَالِاشْتِغَالُ بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُ[(٧)]، والوَاجِبُ عَلَى هَذَا أنْ يَكْتُمَ[(٨)]، وَيَعفَّ، ويَصْبِرَ عَلَى بَلْوَاهُ[(٩)]، فَيُثِيبُهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيُعَوِّضُهُ عَلَى صَبْرِهِ للهِ، وَعِفَّتِهِ، وَتَرْكِهِ طَاعَةَ هَوَاهُ، وَإِيثَارِ مَرْضَاةِ اللهِ، وَمَا عِنْدَهُ.



---

(١) في (ب): أو آثرته.

(٢) في (ب): عليه، وفي (ط): على نفسه.

(٣) في (ط): تكبير الجنازة.

(٤) ساقط من: (ط).

(٥) في (ب): عشق بمباح. وفي (ط): العشق المباح وهو الواقع من غير قصد!

(٦) بدل ما بين المعقوفين في (ط): فتعلق قلبه بها.

(٧) في (ط): له منه.

(٨) في (ب): يتكتم.

(٩) في (ط): ويجب الكتم والعفة والصبر فيه على البلوى.



فَصْلٌ

والعُشَّاقُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ(١):

مِنْهُمْ: مَنْ يَعْشَقُ الْـجَمَالَ الْـمُطْلَقَ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْشَقُ الْجَمَالَ الْـمُقَيَّدَ، سَوَاءٌ طَمِعَ بِوِصَالِهِ(٢) أَوْ لَمْ يطمع.

وَمِنْهُمْ: مَنْ لَا يَعْشَقُ إِلَّا مَنْ يَطْمَعُ فِي الوصول(٣) إليه.

وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ(٤) تَفَاوُتٌ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ.

فَعَاشِقُ الْجَمَالِ الْـمُطْلَقِ، قَلْبُهُ(٥) يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ، وَلَهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ مُرَادٌ. [شعرٌ](٦):

يَوْمًا بِحزْوَى وَيَوْمًا بِالْعُذَيب ... وَيو مًا بالعقيق وَيَوْمًا بِالْخُلَيْصَاءِ

وتارَةً تنْتَحِي(٧) نَجْدًا وَآونَةً(٨) ... شِعْبَ الْعَقِيقِ وَطَوْرًا قَصْرَ تَيْمَاءَ(٩)

فَهَذَا عِشْقُهُ واسِعٌ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ ثَابِتٍ، [كَثِيرُ التَّنَقُّلِ](١٠).

---

(١) في (ط): والناس في العشق ثلاثة أقسام.

(٢) في (ب): في وصاله.

(٣) في (ب): الوصال.

(٤) في (ط): الأنواع الثلاثة.

(٥) في (ب): قلب.

(٦) زيادة من: (ب).

(٧) في (ب): ينتحي.

(٨) في (ب): وأودية.

(٩) «البيت منسوب» لأبي محمد الخازن كما في «المنتحل» للثعالبي ص: (٢١٨-٢١٩)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٢/ ٧٠٢)، والبيت الأول فيهما:

يومًا بحزوى ويومًا بالعراق ويو ... مًا بالعذيب ويومًا بالخُليصاءِ

(١٠) ساقط من: (أ).

[وقال آخر][(١)]:

يَهِيمُ[(٢)] بِهَذَا ثُمَّ يَعْشَقُ غَيْرَهُ ... وَيَسْلَاهُمْ[(٣)] مِنْ وَقْتِهِ حِينَ يُصْبِحُ[(٤)]

وَعَاشِقُ الْجَمَالِ الْمُقَيَّدِ أَثْبَتُ عَلَى مَعْشُوقِهِ، وَأَدْوَمُ مَحَبَّةً لَهُ، وَمَحَبَّتُهُ أَقْوَى مِنْ مَحَبَّةِ الْأَوَّلِ، لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي وَاحِدٍ، [وتَقَسُّمِ[(٥)] الأولَى][(٦)]، وَلَكِنْ يُضْعِفُهُمَا عَدَمُ الطَّمَعِ فِي الْوِصَالِ.

وَعَاشِقُ الْجَمَالِ الَّذِي يُطْمَعُ فِي وِصَالِهِ[(٧)] أَعْقَلُ الْعُشَّاقِ وَأَعْرَفُهُمْ، وَحُبُّهُ أَقْوَى، لِأَنَّ الطَّمَعَ يُمِدُّهُ وَيُقَوِّيهِ.



---

(١) ساقط من: (ط، ط١).

(٢) في (ب): يهم.

(٣) في (ب): ويسئلهم.

(٤) ذكره ابن القيم في «طريق الهجرتين» ص: [٣٧]، ومحمد بن داود الظاهري في كتاب: «الزهرة» ص: [٦٢] ونسبه لبعض أهل العصر، و«البيت منسوب» لسمنون بن حمزة كما في «طبقات الصوفية» للسلمي ص: [١٦١]، وفيه:

وَكَانَ فُؤَادِي خَالِيًا قبل حبكم ... وَكَانَ بذكر الْخلق يلهو ويمزح

فَلَمَّا دَعَا قلبي هَوَاك أَجَابَهُ ... فلست أراهُ عَن فنائك يبرح

ولم يذكر البيت الموجود هنا، وهو ضمن أبيات مطلعها:

لقد كان يسبى القلب في كل ليلة ... ثمانون بل تسعون نفسا وأرجح

(٥) في (ب): وتقسيم.

(٦) ساقط من: (ط).

(٧) في (ب): الوصال.

فَصْلٌ

وَأَمَّا حَدِيثُ: «مَنْ عَشِقَ، فَعَفَّ[(١)]»[(٢)]، فَهَذَا يَرْوِيهِ سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ.

---

(١) في (ب): وكفَّ.

(٢) روي من حديث ابن عباس مرفوعًا وموقوفًا، ومن حديث عائشة.

أما حديث ابن عباس المرفوع. فورد من طريقين: **الأول**- وهو المشهور-: فرواه أبو بكر بن داود الأصبهاني في «الزهرة» ص: [٢٤]، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٤٩)، والسلمي في «طبقات الصوفية» ص: [١٥٢]، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٥٦، ٢٦٢، ٦/ ٥٠، ١١/ ٢٩٧، ١٣/ ١٨٤)، والسلفي في «الطيوريات» [١١٢]، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٣/ ١٩٥)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: (١٢١، ٣٢٦ - ٣٢٩)، وفي «العلل المتناهية» (١٢٨٦، ١٢٨٧)، وفي «مشيخته» [٧٥]، وغيرهم من طريق سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس به، وأبو يحيى القتات: ضعيفٌ، وسويد ضعيف في رواية المتأخرين عنه بسبب اختلاطه، وكذلك قد أنكر عليه الأئمة هذا الحديث فإنه تفرد به عن علي بن مسهر، فهو حديث موضوع وباطل.

وأما الطريق الثاني: فرواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» [١٠٦]، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» [١٢٨٨] من طريق يعقوب بن عيسى عن الزبير بن بكار عن عبد الله بن عبد الملك الماجشون عن عبد العزيز بن أبي حازم،

وابن الجوزي في في «ذم الهوى» ص: [٣٢٦] من طريق محمد بن جعفر بن سهل عن يعقوب بن عيسى كلاهما - ابن أبي حازم ويعقوب - عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعًا. فمدار الحديثين على يعقوب بن عيسى الزهري وهو متروك، حاله مثل الواقدي في الحفظ، ورواية الأباطيل، والتهمة بالكذب. فالحديث بهذا الإسناد موضوع أيضًا.

وأما الموقوف عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرواه ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٣٢٧] من طريق الذراع قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا زكريا بن يحيى الكوفي قال حدثنا محمد بن حريث عن مطر عن أبيه عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال: «من عشق فعف فمات دخل الجنة». والذراع كذاب لكنه توبع كما سيأتي، ومحمد بن خلف هو ابن المزبان وهو لين الحديث، والبقال ضعيفٌ، ومحمد بن خلف، ومحمد بن حريث عن مطر عن أبيه مجاهيل. ورواه جعفر البغدادي في مصارع العشاق من طريق آخر عن محمد بن خلف به. وهو واهٍ أيضًا لما فيه من العلل السابقة عدا الذراع.

وأما حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيأتي تخريجه.

فَقَدْ[١] أَنْكَرَهُ حُفَّاظُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَدِيٍّ فِي كَامِلِهِ: «هَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ مَا أُنْكِرَ عَلَى سُوَيْدٍ»[٢].

وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ[٣] الْبَيْهَقِيُّ[٤]، وَابْنُ طَاهِرٍ فِي الذَّخِيرَةِ، وَالتَّذْكِرَةِ[٥]، وَأَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَعَدَّهُ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ[٦].

وَأَنْكَرَهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَاكِمُ عَلَى تَسَاهُلِهِ، وَقَالَ: «أَنَا أَتَعَجَّبُ مِنْهُ»[٧].

قُلْتُ: وَالصَّوَابُ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَوْقُوفًا[٨] عَلَيْهِ، فَغَلِطَ سُوَيْدٌ فِي رَفْعِهِ[٩].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الْأَزْرَقِ، عَنْ سُوَيْدٍ بِهِ، فَعَاتَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ، فَأَسْقَطَ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ[١٠] بَعْدَ ذَلِكَ يُسْأَلُ عَنْهُ فَلَا يَرْفَعُهُ[١١].

وَلَا يُشْبِهُ هَذَا كَلَامَ[١٢] النُّبُوَّةِ.

---

(١) في (ط): وقد.

(٢) لم أجده في المطبوع من الكامل.

(٣) في (أ): ذكر.

(٤) لم أقف على كلام للبيهقي فيه.

(٥) ساقطة من: (أ). وهو في «تذكرة الحفاظ» لابن طاهر [٨٦١]، وهو كتاب أفرد فيه أحاديث كتاب: «المجروحين» لابن حبان، ولم أجده في «ذخيرة الحفاظ» لابن طاهر، وهو كتاب أفرد فيه أحاديث كتاب: «الكامل» لابن عدي.

(٦) ذكره ابن الجوزي في «العلل المتناهية»، ولم أقف عليه في كتاب: «الموضوعات»، وقد عزاه إليه العلامة ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٢٧٧).

(٧) كلام الحاكم في «تاريخه»، وذكره عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤١٨).

(٨) في (ب): مرفوعًا. وهو خطأ.

(٩) لا يثبت مرفوعًا، ولا موقوفًا، وقد قال العلامة ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٢٧٧): «وفي صحته موقوفًا على ابن عباس نظر».

(١٠) في (أ، ط): وكان.

(١١) ذكره ابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٣٢٩].

(١٢) في (ب): الكلام.

وَأَمَّا روايةُ الْخَطِيبُ لَهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ: حَدَّثَنَا[١] الْمُعَافَى بْنُ زَكَرِيَّا، حَدَّثَنَا قُطْبَةُ بْنُ الْفَضْلِ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَسْرُوقٍ[٢]، حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ، حَدَّثَنَا ابنُ مُسْهِرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ [مَرْفُوعًا.

فَمِنْ أَيْنَ الْخَطَأُ، وَلَا يَحْتَمِلُ هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ][٣]، مِثْلَ هَذَا عِنْدَ أَدْنَى[٤] مَنْ شَمَّ أَدْنَى رَائِحَةٍ مِنَ الْحَدِيثِ.

وَنَحْنُ نُشْهِدُ اللهَ[٥]: أَنَّ عَائِشَةَ مَا حَدَّثَتْ بِهَذَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَطُّ، [وَلَا حَدَّثَ بِهِ عَنْهَا عُرْوَةُ، وَلَا حَدَّثَ بِهِ هِشَامٌ قَطُّ][٦].

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ الْمَاجِشُونِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، فَكَذِبٌ عَلَى ابْنِ الْمَاجِشُونِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُحَدِّثْ بِهَذَا، وَلَا حَدَّثَ بِهِ عَنْهُ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ تَرْكِيبِ بَعْضِ الْوَضَّاعِينَ[٧].

وَيَا سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ يَحْتَمِلُ هَذَا الْإِسْنَادُ مِثْلَ هَذَا الْمَتْنِ؟ فَقَبَّحَ اللهُ الْوَضَّاعِينَ.

---

(١) في (ب) في هذا الموضع وما يأتي: ثنا.

(٢) في (ط، ط): أحمد بن محمد بن مسروق، والمثبت من: (أ، ب). وأحمد هذا كثيرًا ما ينسب إلى جده، فلا إشكال في المخطوطات.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ).

(٤) ساقطة من: (ط، ط١).

(٥) في (ب): لله.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب). والحديث موضوع. رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٧٩)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» ص: [٣٢٩]. وهو من طريق سويد أيضًا، وفيه أيضًا: قطبة بن المفضل فيه جهالة، وأحمد بن محمد بن مسروق: ضعيفٌ.

(٧) سبق تخريج وبيان أنه موضوع.

وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ[(١)]، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ سَهْلٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عِيسَى مِنْ وَلَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ[(٢)]، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مَرْفُوعًا.

وَهَذَا غَلَطٌ قَبِيحٌ، فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ هَذَا هُوَ الْخَرَائِطِيُّ، وَوَفَاتُهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ، فَمُحَالٌ أَنْ يُدْرِكَ شَيْخُهُ يَعْقُوبُ: ابْنَ أَبِي نَجِيحٍ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ رَوَاهُ فِي كِتَابِ: «الِاعْتِلَالِ»، عَنْ يَعْقُوبَ هَذَا، عَنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ[(٣)].

وَالْخَرَائِطِيُّ هَذَا مَشْهُورٌ بِالضَّعْفِ فِي الرِّوَايَةِ، ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ[(٤)] فِي كِتَابِ: «الضُّعَفَاءِ»[(٥)].

وَكَلَامُ حُفَّاظِ الْإِسْلَامِ فِي إِنْكَارِ هَذَا الْحَدِيثِ هُوَ الْمِيزَانُ، وَإِلَيْهِمْ يُرْجَعُ فِي هَذَا الشَّأْنِ، وَمَا[(٦)] صَحَّحَهُ، بل[(٧)] وَلَا حَسَّنَهُ أَحَدٌ يُعَوَّلُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ عَلَيْهِ، وَيُرْجَعُ فِي الصَّحِيحِ[(٨)] إِلَيْهِ، وَلَا مَنْ عَادَتُهُ التَّسَامُحُ وَالتَّسَاهُلُ، فَإِنَّهُ لَمْ يُطَنِّفْ[(٩)] نَفْسَهُ لَهُ.

وَيَكْفِي أَنَّ ابْنَ طَاهِرٍ الَّذِي يَتَسَاهَلُ فِي أَحَادِيثِ التَّصَوُّفِ، وَيَرْوِي مِنْهَا الْغَثَّ، وَالسَّمِينَ، [والْمُنْخَنِقَةَ، وَالْمَوْقُوذَةَ[(١٠)]][(١١)]، قَدْ أَنْكَرَهُ، وَشَهِدَ[(١٢)] بِبُطْلَانِهِ[(١٣)].

---

(١) في (ط): أبو الفرج ابن الجوزي.

(٢) في (أ، ب): من ولد عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عوف.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في (ب): ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الرواية.

(٥) الـذي ذكـره ابن الجوزي في «الضعفاء» (٣/ ٤٦، ٤٧): محمد بن جعفر المدائني يروي عن شعبة قال أحمد: «لا أحدث عنه بشيء أبدًا»، وقال الرازي: «لا يحتج به»، ومحمد بن جعفر بن عبد الله بن جعفر قال الرازي: «مجهول». وأما الخرائطي فثقة معروف. انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ٢١٤ - ٢١٥).

(٦) في (ط): ولا.

(٧) ساقطة من: (ط).

(٨) في (ط، ط١): التصحيح.

(٩) في (أ): يطيف، وفي (ب): يطب.

(١٠) في (ب): والموقودة.

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط).

(١٢) في (ط١): وحكم.

(١٣) وذلك في ذكره للحديث في كتابة تذكرة الحفاظ، كما سبق.

نَعَم. ابْنُ عَبَّاسٍ غَيرَ مُسْتَكْثَرٍ (١) ذَلِكَ عَنْهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ حَزْمٍ عَنْهُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَيِّتِ عِشْقًا، فَقَالَ: «قَتِيلُ الْهَوَى، لَا عَقْلَ (٢)، وَلَا قَوَدَ» (٣).

وَرُفِعَ إِلَيْهِ بِعَرَفَاتٍ شَابٌّ، قَدْ صَارَ كَالْفَرْخِ (٤)، فَقَالَ: مَا شَأْنُهُ؟ قَالُوا (٥): الْعِشْقُ، فَجَعَلَ عَامَّةَ يَوْمِهِ يَسْتَعِيذُ مِنَ الْعِشْقِ (٦).

[فَهَذَا نَفَسُ مَنْ قَالَ: مَنْ عَشِقَ، وَعَفَّ، وَكَتَمَ، وَمَاتَ (٧) فَهُوَ شَهِيدٌ] (٨).

وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَدَّ الشُّهَدَاءَ فِي الصَّحِيحِ، فَذَكَرَ «**الْمَقْتُولَ فِي الْجِهَادِ، وَالْمَبْطُونَ، وَالْحَرِقَ، وَالنُّفَسَاءَ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا، وَالْغَرِقَ، وَصَاحِبَ ذَاتِ الْجَنْبِ**» (٩).

---

(١) في (ط): لا ينكر، وفي (ط١): غير مستنكر. (٢) في (ط): لا عقل له.

(٣) «طوق الحمامة» ص: [٩٣]، وقد سبق تخريج الأثر، وبيان أنه ضعيف منكر.

(٤) في (ب): كالرمح. (٥) في (ب): فقالوا.

(٦) زاد في (ط): [وقد تقدم]. وهو أثر منكر، سبق تخريجه، وهو نفس الأثر السابق.

(٧) في (ب): ثم مات.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (ط)، وبدله: فهذا نفس ما روى عنه ذلك.

(٩) روى البخاري [٦٥٣]، ومسلم [١٩١٤] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».
وروى مالك في «الموطأ» [٥٥٥]، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٦)، وأبو داود [٣١١١]، وابن ماجه [٢٨٠٣]، والنسائي [١٨٤٦]، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» [٥١٠٤]، وابن حبان [٣١٨٩]، والحاكم (١/ ٥٠٣)، والبيهقي في «الشعب» [٩٨٨٠]، وغيرهم من حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ**» والمراد بجمع أي في نفاسها. والحديث صحيح لغيره. «أحكام الجنائز» (٣٩ - ٤٠)، («صحيح الترغيب» [١٣٩٨]).

وَلَمْ يَذْكُرْ(١) مِنْهُمْ العَاشِقَ يَقْتُلُهُ الْعِشْقُ(٢).

وَحَسْبُ قَتِيلِ الْعِشْقِ: أَنْ يَصِحَّ لَهُ هَذَا الْأَثَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٣)، عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ تَحْتَهُ(٤) حَتَّى يَصْبِرَ للهِ، وَيَعِفَّ للهِ، وَيَكْتُمَ للهِ.

[وهذا لا يكونُ إلا](٥) مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى مَعْشُوقِهِ، وَإِيثَارِ(٦) مَحَبَّةِ اللهِ وَخَوْفِهِ وَرِضَاهُ.

وهَذَا(٧) أَحَقُّ مَنْ دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

وَتَحْتَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعظيمِ(٨)، أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ آثَرَ حُبَّهُ عَلَى هَوَاهُ، وَابْتَغَى بِذَلِكَ قُرْبَهُ وَرِضَاهُ، بِمَنِّهِ، وكَرَمِهِ. إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

تَمَّ الكِتَابُ(٩).

---

(١) في (ط١): ولم يعدّ.

(٢) في (ط): ولم يذكر منهم من يقتله العشق.

(٣) لو كان له وجه من الصحة. ولكنه ضعيف، منكر سندًا ومتنًا.

(٤) في (ط): الجنة!

(٥) بدل ما بين المعقوفين في (ط): ولكن العاشق إذا صبر وعف وكتم.

(٦) في (ط): وآثر.

(٧) في (ط): هذا.

(٨) في (ط): الكريم.

(٩) في نسخة (ب)، بعد ذلك: «بحمد الله تعالى، وعونه، ومعونته، وحسن توفيقه. نسأل الله العظيم أن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأن يختم لنا بخير، في عافية. إنه أرحم الراحمين، ورب العالمين».

فهرس


تم بحمد الله